

خطواتي
على درب النور

المنصوري بنعلي

خطواتي
على درب الربّ الكريم

سيرة ذاتية

تقديم: د. محمد حميدة

محافظة
جميع حقوق

خصواتي على عرب الزمن سيرة ذاتية

تأليف : المنصوري بنعلي

تقديم : د. محمد احميدة

الطبعة الثانية : 1 نونبر 2024

حقوق الطبع : © محفوظة.

الإيداع القانوني : 2024MO1530

ردمك : 9-00-544-9920-978

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط



10 شارع العلويين رقم 3، حسان - الرباط

الهاتف : 05 37 20 75 83 - الفاكس : 05 37 20 75 89

E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com



جلالة ملك المغرب

السلامة لله ومملكته،

والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه.

فخيمنا الأرض السيد المنصوري بعلي المكاتب بمهمة بديواننا الملكي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد، فقد تلقينا بكل ترحيب نسخة من مؤلف "خصواتك على حرب الزمن"، والذي رفعت
إلى جنابنا الشريف على سبيل الإهداء.
وإننا لنشكرك على هذه المباحرة المعمولة، التي تعبر عما تكنه لجلالتنا من حائق
مشاعر الوفاء والإخلاص، ومن تعلق وثيق بالعرش العلوي السعيد، راجين لك كامل التوفيق
والسلامة في أعمالك، مشمولين بسابغ عطفتنا ورضانا.

محمد السادس

ملك المغرب

ومرر بالفجر الملكي بالرياض في يوم الإثنين 17 ربيع الثاني 1446هـ، الموافق 21 أكتوبر 2024م.

السيد المنصوري بنعلي



خطواتي على درب الترميز



صورة مع أخي العزيز ميمون المنصوري لواء قسم (Général de division)
قائد الحرس الملكي مباشرة بعد توشيحته من طرف جلالة الملك
محمد السادس نصره الله بوسام العرش من درجة ضابط كبير.
بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتربع جلالتة على عرش أسلافه الميامين



الإهداء

أهدي هذا العمل إلى:

روح والدي الحاج المختار رحمه الله

روح والدي الحاج نجمة رحمه الله

زوجتي ياسمين، وابني حكيم

إلى كل أخواتي وإخوتي... مع التفاتة خاصة لأخي

العزير الجنرال ميمون...





كلمة شكر

أتقدم بخالصي شكري إلى:

الأستاذ الدكتور محمد احميدة على تفضله بقراءة هذا
السيرة وكتابة تقديم لها؛

السيدة خديجة العسري على جهودها في رقب هذا
العمل ومتابعة تكليفه؛

السيد ياسين العلمي على مساعدته التقنية لإخراج
الكتاب في هذه العجلة.



تصدير

د. محمد الكتاني

عندما اقترح علي الصديق الكريم السيد المنصوري بنعلي أن أكتب كلمة تقدير لسيرته الذاتية «خطواتي على درب الزمن» استقبلت اقتراحه بكل اعتزاز وتقدير، لأن هذا التقديم أو هذه الكلمة ستمكنني من التعبير عما أكنه لهذا الصديق المحترم من تقدير يرجع إلى ما نسجته أيام العمل بالديوان الملكي، حيث قضينا أكثر من ربع قرن كل منا في القيام بالمهام التي كلف بها.

لقد كانت مرحلة من العمر حافلة بالمهام والأحداث والمتغيرات بكل ما يعنيه التغيير والتطور من أحداث وتطورات سياسية وطنية ودولية.

وما كان يدور في خلد أحد منا من قبل أن يوفق المغرب بقيادة جلالة الملك محمد السادس، من جهة بين متطلبات التنمية والتغيير والتحويلات المؤسسية، وبين الاستقرار السياسي من جهة ثانية، بل ومواكبة التطور الاجتماعي الهائل، لولا القيادة الحكيمة لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

إن الفترة التي نتحدث عنها السيرة الذاتية للسيد المنصوري بنعلي تأخذ أهميتها إذن من هذا العمق التاريخي ذي الأبعاد المتعددة، حيث يعد نصف القرن الذي يؤطر هذه السيرة الذاتية مرحلة انتقالية بامتياز، جمعت بين الثبات والتغيير وبين الاستقرار والتطور، وبين التحديث والتنمية. وبالتالي لا يمكن أن يكتفي في إنجاز تاريخ هذه المرحلة بما يدونه المؤرخ الأكاديمي من أحداث مهما يكن لمنهجه من دقة وتعمق، وإنما لابد أن تقوم السيرة الذاتية للمفكرين والأدباء والسياسيين والمناضلين المنخرطين في التدافعات

الحركية والتقدمة لكشف الخبايا وفض الزوايا. وهو عمل يحتاج إلى الكثير من الشجاعة والصراحة والغيرة على إظهار الحقيقة. من هذا المنظور تأخذ السيرة الذاتية للأستاذ المنصوري بنعلي أهميتها أخذاً بعين الاعتبار ما يتصف به صاحبها من شجاعة وإباء النفس وصراحة المواقف ومضائها.

فالسيرة الذاتية «خطواتي على درب الزمن» تتصف بمصادقية الرأي، حيث أنها لم تتهرب من لحظات الأزمات والصراعات السياسية التي أعقبت استرداد المغرب لاستقلاله ووحدته، واسترداده لوحده الترابية وإقدام العرش المغربي بكل حزم وحكمة وغيرة وطنية سواء في الطور الأول أو الطور الثاني المتلاحمين، طور حكم الحسن الثاني رحمه الله وطور محمد السادس حفظه الله وأدام نصره. أقول إقدام العرش على اتخاذ المواقف الحازمة والتدابير الاستباقية لوقاية المغرب من الهزات العنيفة. في هذا المعترك والبحر الخضم غمس قلم (السيرة الذاتية) في المداد للمرحلة وتحديث عن الكثير من القضايا في مقدمتها عمله على رد الاعتبار للمنطقة التي ينتمي إليها. وهي منطقة (الريف).

وتتميز السيرة الذاتية للأستاذ المنصوري بكونها لم تعمل على الخوض في الحياة الخصوصية للمؤلف، فقسمت هذه السيرة إلى أبواب منها مساهمة المؤلف داخل المجتمع المدني ومنها المهام التي اضطلع بها المؤلف بتكليف من جلالة الملك الحسن الثاني، سواء في بعض الدول العربية أو بعض الدول الإفريقية أو في بعض دول أمريكا اللاتينية. ومنها باب عن شخصية الملك الحسن الثاني في سياقات مختلفة كعلاقته بأهل الفن من أبناء شعبه أو غيرهم ومنها أحداث وطنية سياسية.

ومنها جوانب من سياسة الملك محمد السادس في سبيل منطقة الشمال. وما كان لها من ملفات عالقة. لقد حرصت «السيرة الذاتية» للأستاذ المنصوري بنعلي على إبراز عمل صاحبها في إخراج إقليم الشمال بالمغرب، ولاسيما إقليم الريف من التهميش والتخلف. وحرصت في نفس الوقت على إبراز مشاعره

الوطنية التي كانت تواكب كل الأحداث التي تجري على المستوى الإداري للدولة أو على مستوى العلاقات السياسية.

وفي هذا السياق نذكر ما قام به المنصوري بنعلي في العمل على أن يكون للنشيد الوطني المغربي كلمات تحول ألفاظه إلى مشاعر تهز قلوب السامعين بمعاني الفخر والحماسة والوطنية وعبارة (منبت الأحرار) التي هي عنوان النشيد الوطني لم تكن بالنسبة للسيد المنصوري بنعلي مجرد عنوان فقط وإنما كانت شحنة شعورية قوية، إنها إحالة على تاريخ وطني حافل بالتضحيات والمواقف والأمجاد التي يشكل تاريخ المغرب أبعاداً ملحمية بها. وهو ما يحتاج من أبناء المغرب إلى كتابة هذا التاريخ.

والجدير بالذكر ما اعتمده كاتب هذه السيرة من صور ووثائق عديدة وصور فوتوغرافية مهمة تعزز الوصف بالصورة في حياة المؤلف. وبالتالي فهذه السيرة الذاتية نابضة بالحياة والعفوية والصدق وهنا لا يسعني إلا أن أهنئ المؤلف الأستاذ المنصوري بنعلي على هذا العمل الأدبي والتاريخي والوثائقي الذي أصبح مرجعاً لا يستغني عنه من يؤرخ للحياة السياسية والاجتماعية في المغرب النصف الثاني من القرن العشرين والنصف الأول من القرن الواحد والعشرين.

الأستاذ محمد الكتاني
عضو أكاديمية المملكة المغربية

وحرر بالرباط في 01 ماي 2024

*** **

تقديم

د. محمد احميدة

يلاحظ المهتم بتاريخ الثقافة المغربية، في مرحلتها المعاصرة، وخاصة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، نوعاً من الدفع في التأريخ للذات، من خلال كتابة السير الذاتية أو المذكرات. وقد انبرت لهذا الأمر، العديد من الأقلام، تنتمي إلى فئات مختلفة، منهم شخصيات سياسية، وأخرى من الأساتذة الجامعيين، وبعض الحقوقيين، ومن رجال المقاومة، وحقل الإعلام، ورجال السلطة، وغير هؤلاء.

وفي إطار تنوع كتابة السير الذاتية للمغاربة المعاصرين، نجد بين أيدينا اليوم، سيرة ذاتية لأحد رجالات المغرب، ممن اغتنى مسارهم، من خلال ما تقلده من مسؤوليات عديدة ومتنوعة. لقد عاش الأستاذ المنصوري بنعلي زمنين سياسيين من تاريخ المغرب المعاصر، شقه الأول، مع المغفور له الملك الحسن الثاني، وشقه الثاني، مع الملك محمد السادس حفظه الله. وامتدت تجربته لغاية اليوم، إلى ما يقارب نصف قرن من الزمان، وهي فترة عرف فيها المغرب أحداثاً كبيرة ومؤثرة، تميزت فيها تجربة صاحب هذه السيرة، بالتنوع من خلال العمل الحزبي، والحياة البرلمانية، وتقلد مناصب وزارية، ليغتني هذا المسار بالاقتراب من المراكز العليا للقرار، داخل رحاب الديوان الملكي.

من ثمّ، كان إقدام الأستاذ المنصوري بنعلي، على كتابة سيرته الذاتية، عبر مراحلها المختلفة، أمراً له أهميته، ويتسم بنوع من الجرأة، باعتبار مكانة الرجل في هرم الدولة.

ولا شك أن موقعه هذا، مكّنه من تدوين بعض ما لم يتأت لغيره، ليضع بذلك بين يدي القاريء المهتم، نصًّا غنيا بأحداثه وتفاعلاتها، لمرحلة من تاريخ المغرب تمتد على مدى عقود.

وعبر هذا الامتداد التاريخي، سجّل الأستاذ المنصوري جوانب من حياة الوطن، من خلال الأحداث والوقائع، والأشخاص والبيئات المختلفة، مست ما له علاقة بالحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية لبلدنا.

وترسم هذه السيرة من جانب آخر، صورة ذلك المغربي الذي ولد في وسط ريفي بسيط، وعائلة بإمكانات محدودة، مع تعدد أفرادها. لكن هذا المغربي امتلك من الطموح والإرادة والمثابرة، ما مكّنه من تجاوز الصّعاب التي صادفته في مسار حياته.

والقاريء لسيرة الأستاذ المنصوري بنعلي، يجد نفسه أمام رجل مشبع بروح الوطنية العميقة، تبدت تجلياتها في مستويات متعددة، من أبرزها ذلك الإخلاص والتفاني في إنجاز ما أسند إليه من مهام، زمن تولّيه مسؤوليات وزارية، ثم بعد ذلك في المهام الخاصة برحاب الديوان الملكي، بجانب الملّكين الحسن الثاني، طيب الله ثراه، ومحمد السادس حفظه الله.

كثيرة هي الأحداث والوقائع التي عاشها صاحب هذه السيرة، مع هذين الملّكين، تكشف عن الثقة التي وضعت فيه، وكان ما أسند ويسند إليه أحيانا، مما يدخل في باب أسرار الدولة. ولم يتردد الأستاذ المنصوري - كما كشفت سيرته - في إنجاز كل ما يمكن أن يكون في خدمة وطنه، مهما كلفه ذلك، وأحيانا كادت بعض المهام أن تكلفه حياته، على غرار ما عاشه في إحدى الدول الإفريقية، التي انتقل إليها مكلفا بمهمة، من طرف الملك الحسن الثاني رحمه الله.

أمر آخر يلفت الانتباه في هذه السيرة الذاتية، يتمثل فيما يلمسه قارئها في تلك العلاقة العميقة، التي تربط الأستاذ المنصوري بمسقط رأسه، بل بناحية الريف بكلّيتها. ترددت أحاديث كثيرة طيّ الكتاب، ترسم العلاقة

بتلك القرية الريفية الصغيرة، التي كانت مسقط الرأس والقلب، وتردد اسم «جبل العروي» مرات عديدة، وصاحب السيرة يسرد جملة من الأحداث. نلمس من كل ذلك، تعلقه بمنبت الأجداد، بلاد الريف الشامخ. من ثم، تصادفك، وأنت تتقدم مع أحداث سيرة الأستاذ بنعلي، تلك المبادرات التي كان يقوم بها لصالح تلك المنطقة من بلاد المغرب، وكثيرة هي أياديه عليها وعلى ساكنتها. بدا ذلك منذ انخرط في العمل الجمعي ثم الحزبي، حتى إذا تقلب في المناصب الوزارية، سعى إلى أن تكون منطقته الريفية من المناطق التي تستفيد من المشاريع المسطرة، في الوزارات التي تولى مسؤوليتها، سواء في السياحة أم الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري أم النقل. ويكفي التلميح في هذا الباب، إلى ما قام به -وهو يومئذ وزير للوظيفة العمومية والإصلاح الإداري ومكلف بالخدمة المدنية- حينما عمل على إزاحة تلك العراقيل المصطنعة، التي كانت تقصي أبناء الريف، بتواطؤ ومكر، من التوظيف والولوج إلى وزارات محدّدة.

لقد كان الأستاذ المنصوري في حرصه على جلب خدمات ومشاريع إلى المنطقة الريفية والشمالية بشكل عام - كما سجلته سيرته الذاتية- ينطلق من إيمانه أن خدمة هذه المنطقة هي جزء من خدمة الوطن ككل، وأن أقاليم الشمال -ومنها منطقة الريف- حريّة بأن تنال حظها من التنمية، كباقي أقاليم المملكة.

وكان حضور فضاء الريف ملحوظا في هذه السيرة، والمكان هنا، يمثل بأبعاده التاريخية بما في ذلك أبطال المقاومة، الذين أبلوا البلاء الحسن في محاربة الاستعمار، ومن ثم حضور اسم بطل الريف، المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، وأفراد أسرته، عبر محطات مختلفة، داخل هذه السيرة الذاتية، نظرا لرمزية هذه الشخصية في تاريخ المغرب المعاصر.

ولما كان صاحب هذه السيرة، ممن سمح لهم الزمان بالاقتراب من رحاب الديوان الملكي، وعلى مدى عقود من الزمن، فقد كان طبيعيا أن نجد صدى لما يُمور داخل هذه الدائرة المقربة من الملك. ومما رسمته السيرة في هذا الباب، تلك

الصراعات التي تدور رحاها داخل ذلك المحيط. فقد سطر الأستاذ بنعلي مواقف أبانت عن هذا الجانب مما يدور بين مكونات المحيط الملكي، وعن الحساسيات في هذا الوسط، قد تُغلف حيناً بنوع من المجاملة، وحيناً آخر بغبطة، وأخرى تأخذ شكل منافسة تبدو ظاهرياً ناعمة، وتكشف أنا آخر عن مكيدة، تؤدي في ظروف معينة إلى نوع من التنافر، يقصر أو يطول أمده، حسب الحيثيات المصاحبة. وهذا الأمر لا يجب أن ينظر إليه باعتباره خاصية تنحصر في الوسط المغربي، فمثل هذه الصراعات داخل هذه المواقع، نقف عليها في بيئات ودول مختلفة، بدرجات تتباين من مجتمع لآخر، لترسم ملامح من الطبيعة البشرية.

ولما كانت شخصية الأستاذ المنصوري بنعلي منفتحة على شرائح اجتماعية مختلفة، فقد سمح له هذا الوضع بتعدد علاقاته، بانفتاحه على طبقات اجتماعية متعددة. لذا سنجده، وهو يدون سيرته الذاتية، يخصص حيزاً للحديث عن أسماء محدّدة، يبدو أن بصمتها حاضرة في حياة صاحب السيرة، في مرحلة من مراحل عمره، مع اختلاف في طبيعة هذه البصمة، ومدى تأثيرها في مسار الرجل.

ويرتبط الحديث عن هذه الأسماء بأحداث ووقائع، خاصة مع أولئك الذين كانت لهم مسؤوليات سامية داخل دواليب الدولة، بل إن بعضهم -بطبيعة ما أسند إليهم من مهام- ممن يمتلكون بعض أسرار الدولة؛ كما حمل الحديث عن هؤلاء، سمة الوفاء والتقدير لمن صاحبهم الأستاذ المنصوري بنعلي في ظروف خاصة وأحداث معينة، كشفت عن نبل أصحابها، ومن هنا كانت أهمية ما سطر عن علاقة صاحب السيرة بتلك الأسماء.

وأنت تقترب من نهاية سرد سيرة ذاتية، لرجل شغل مناصب سامية متعددة ومتنوعة، وقربه إخلاصه وتفانيه في خدمة وطنه من المحيط الملكي، لن يخامرك شك بأن ما دُون في هذا السفر، ليس سوى قُلّ من كثر، وأن موقع صاحبه لن يسمح برشحان أشياء، قد تلقي بظلال ثقيلة على المعيش الراهن، أو تلمز أشخاصاً ترك شأنهم للتاريخ! وانتبه الأستاذ المنصوري إلى ما تكتسيه


الصورة من أهمية في توثيق الأحداث، فعمد إلى إغناء هذه الكتابة، بمجموعة من الصور والوثائق المكتوبة، وزَّع بعضها داخل المتن، في ارتباط بإيقاع الحكيم، وجمع أخرى في إضمامة شكَّلت ملحقا وضع في القسم الأخير من هذه السيرة، فأغنى مادة الكتابة، ونطقت الصورة أحيانا بما لم يدوِّنه مداد القلم، أو ما لم تلمسه الأنامل الرَّاقنة من حروف، رسمت على لوحة الحاسوب، خَلَل الرقن؛ وكشفت بعض الوثائق المكتوبة، عن تفاصيل لمواقف وردت في النص المسرود بإشارات عابرة.

إن سيرة ذاتية بهذه الطبيعة مرغوب فيها، وموقع صاحبها في هرم الدولة المغربية، يجعله حاملا في ذاكرته وملقاته الكثير مما يفيد. غير أن حنكة الأستاذ المنصوري بنعلي، واتزان، وخبرته في الحياة -وهي غنية بالتجارب المتنوعة- جعلت منه رجلا مسؤولا، يشعر من خلال سرده، بذلك التآني الذي لا يترك مجالا للارتجال، أو إرسال الكلام على عواهنه. يشعر قارئ هذا النص السيرذاتي أن صاحبه يمزج بتبصّر، بين الرغبة في حكي الذات والتأريخ لها، وإلجام القلم، صونا له من أن يزلَّ إلى ما يخرج صاحبه عن رزانة القول المسيَّج بروح المسؤولية، مع لباقة الخطاب، والترفع عن قوارص الكلمات، دون التفريط في موضوعية مطلوبة، وصدق منشود في كتابة السيرة الذاتية؛ من ثم، كان السرد بحسبان!


محمد احميدة، أستاذ جامعي
باحث في الأدب المغربي

رباط الفتح 6 شوال 1445هـ
الموافق ل 15 أبريل 2024 م

*** **



١- النشأة
والمسار الكراسي



أ- نسبي وتاريخ ميلادي:

داخل أسرتي، تُداول قصة تحكي عن قبيلتي «بني وُكيل». وهي قصة رُويت جَدًّا عن جدِّ. تربط هذه القصة أصول قبيلتنا بقبائل الساقية الحمراء أقصى جنوب وطني، ومنها تفرقت عائلات هذه القبيلة في مختلف أنحاء المغرب. فانتقلت أسرتي المنتسبة إلى «بني وُكيل» منذ حوالي تسعة قرون، إلى تافيلالت، واستقرت هناك زمنًا، ليستمر الرحيل إلى منطقة سايس، وبعد مدة، كان الترحال إلى المنطقة الشرقية، ومنها إلى منطقة الريف. وعبر أجيال، استقرت قبيلة «بني وُكيل» بكل فروعها، في أرجاء المنطقة الريفية، وهو الاستقرار الذي استمر نحو ثمانية قرون، وما زالت حتى الآن مستقرة بها.

وطيَّ هذا الحكي عن تنقل قبيلتي، يروي من أدركناهم من الجُدد والشيخ، أن هذا الترحال الذي كان يتم بقوافل الجمال، ما كان ليتوقَّف، لولا البحر الذي قام حاجزاً أمام تنقل قبيلتنا. وهو ما يفسر وجود الخيمة والجمال في منطقة الريف، التي كانت معروفة بالخيول فقط.

وفي عمق جماعة «بني وُكيل» بإقليم الناظور في منطقة الريف، كان مسقط رأسي، في اليوم الثالث من شهر ماي سنة أربع وأربعين وتسعمائة وألف (1944/05/03).

ب- مساري الدراسي:

1 - المرحلة الابتدائية:

لا شك أن المسار التعليمي للفرد يُسهم بشكل كبير في تشكيل شخصيته. وقد يطول الحديث إذا سعيْتُ لرسم هذا المسار بتفاصيله الدقيقة، وأكتفي في هذا السياق بالإشارة إلى بعض المحطات:

- المدرسة الابتدائية بقرية تيزطوطين و مدرسة جبل العروي:

كانت بداية التقائي بالفضاء المدرسي داخل البيئة الريفية، وبالضبط في مدرسة ابتدائية بقرية تيزطوطين، ثم انتقلتُ إلى قرية جبل العروي، ما لبثتُ أن انتقلتُ منها إلى مدرسة أخرى، وهذه المرة في مدينة مليلية.

- مدرسة مليلية:

كان العديد من الأطفال المغاربة من منطقة الريف يلتحقون بهذه المدرسة بمليلية، ومما يساعد على ذلك وجود مقر تابع للدولة المغربية، اتخذ مركزاً لإقامة التلاميذ المغاربة، الذين يدرسون في هذه المدينة المغربية المحتلة. مدير هذا المركز إسباني، والحارس العام مغربي الجنسية. وقد يبدو الأمر طريفاً إذا علمنا أن هذا المركز ما يزال قائماً إلى اليوم، برعاية مغربية متمثلة في توفير الموارد المالية اللازمة لتسييره.

وأضيفُ في هذا السياق، إشارة أخرى تتعلق بتمويل المملكة المغربية لأغلب المساجد الموجودة في مدينة مليلية، بل إن خطباءها يتم تعيينهم من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة، وهي التي تُؤدِّي أجورهم. وكان لهذه المساجد دور كبير في تعميق الارتباط بالوطن/المغرب فضلاً عن ممارسة السكان المغاربة لشعائهم الدينية الإسلامية، وما يلعبه المسجد من دور في تحصين العقيدة وحماتها، خاصة إذا علمنا أن نشاط الكنيسة في مدينتي سبتة ومليلية المحتلتين، على قدم وساق؛ ومن ثم لم تكن المؤسسة المسيحية تنظر بعين الرضا إلى مساجد المسلمين في هذه الديار المغربية.



أيام الدراسة في مدينة مليلية سنة 1959
وتظهر في الصورة المدرسة ومقر الطلبة المغاربة المسلمين التابعة لوزارة التربية الوطنية المغربية

2- مرحلة التعليم الثانوي:

- مدرسة Polytechnique École:

دامت إقامتي بمدينة مليلية تلميذاً بالمدرسة الابتدائية مدة ثلاث سنوات من 1957 إلى 1959. ولإكمال دراستي، كان عليّ أن أنتقل إلى مدينة تطوان. قد يبدو الحديث عن السفر من مدينة الناظور إلى تطوان شيئاً عادياً، ويراه ابن بداية الألفية الثالثة أمراً يسيراً. لم يكن الأمر، بالنسبة لطفل مثلي، بالشيء الهين. فأنا سأنتقل إلى مدينة تطوان، وهي مدينة لا أعرف عنها أي شيء؛ أضف إلى ذلك، ركوب حافلة يرجع تاريخها إلى أواخر خمسينيات القرن الماضي، وأترك للقارئ الكريم مجالاً، ليسبح بخياله، في رسم ما يمكن أن تتوفر عليه هذه الحافلة من أسباب الراحة...!؟

يكفي أن أشير إلى المدة الزمنية التي استغرقتها الحافلة لقطع المسافة بين الناصور وتطوان يومئذ. انطلقت حافلتنا من الناصور في الساعة الخامسة عصراً، لتصل إلى تطوان في العاشرة صباحاً من اليوم الموالي...! سبع عشرة ساعة هو الزمن الذي استغرقتة حافلة القرن الماضي للوصول إلى مدينة تطوان. وهذا الزمن يرسم طيّه طبيعة الطريق وتضاريسها. لم يكن الأمر يسيراً للتنقل بين مدن المغرب، وخاصة في منطقة الريف، وزاد من قساوة هذه الرحلة، حالة الطقس الذي لم أدخله البتّة في حساباتي. كان للحافلة محطة تتوقف فيها للاستراحة، وهي المعروفة بـ ”باب برّد“، بعد الخروج من الحسيمة. حينما وصلتُ إلى هذه المحطة، استقبلتني بثلوج أثبتت أنّ المنطقة اسم على مسمّى، فهي ”باب برّد“ بكل معنى الكلمة. كنتُ أرتمي ملابس لا تكفي لحماية جسمي من برودة المساء، فبالأحرى من صقيع منتصف الليل والثلوج، بل ثلوج اكتست بها جبال المنطقة برمتها. الدفء الوحيد الذي لازمني في هذه الرحلة هو الصبر والرغبة في الوصول إلى مدينة تعتبر امتداداً لمساري التعليمي، علماً أنّي متجه إلى فضاء سأجد فيه نفسي غريباً. ف لأول مرة ستطأ قدمي أرض ”تطوان“ أو ”تطاوين“.

حين تطأ قدمك مدينة لأول مرّة، ولا صديق ولا قريب، فإنك تتمسك بأول قشة تحسبها خلاصاً. وكأنّ ذاكرتي استفاقت لتتذكر أن أحد أفراد عائلتي كنتُ أناديه ”عمّي عبد السلام“، كان قد غادر قبيلة بني وُكيل مبكراً قاصداً مدينة ”تطوان“، حيث أقام وتزوج. شرعتُ في البحث عن هذا العم، وساعدني حظّي لأصل إلى مكان إقامته. كان رجلاً بسيطاً وطيباً. رحّب بي، بل أسكنني معه فترة من الزمن، إلى أن تدبرتُ أمري، واكتريتُ غرفة في إحدى العمارات الخاصة بالطلبة. كانت مصاريف الإقامة في تطوان تصلني من والدي وأخي العزيز السي ميمون، هذا الأخ الذي سيكون له فضلٌ كبير في تشكيل مسار حياتي.



مع مجموعة من أصدقائي التلاميذ، أيام الدراسة، بمدينة مليبية، سنة 1958

هناك أمر لا بدّ من تدوينه في هذا الباب. ذلك أنني منذ غادرتُ منزل العائلة إلى مدينة تطوان لإكمال دراستي الثانوية، فإن عودتي لهذا المنزل لا تحصل إلا في العطل، واستمر الحال على هذا المنوال.

كانت المدرسة التي التحقتُ بها في تطوان تحمل يومئذ اسم "École Polytechnique"، وأصبحت تحمل بعد الاستقلال اسم «ثانوية جابر بن حيّان». درستُ فيها على يد أساتذة مغاربة وإسبانيين، ومعهم أحد الأساتذة المصريين الذي كان ضمن البعثة التعليمية التي قدمت إلى المغرب من مصر خلال تلك المرحلة التاريخية.



مع أحد الأصدقاء، أمام مدخل مدرسة
Polytechnique، بمدينة تطوان،
سنة 1960



أمام مدخل مدرسة Polytechnique،
تطوان، سنة 1960

Les Étudiants de l'E. S. C. préparent un boum pour la Nuit "Sup. de Co"



Les Étudiants de l'Ecole Supérieure de Commerce — au nombre de 203 — sont, il va sans dire, supérieurement... organisés.

Nous en voulons pour preuve les innombrables activités qu'ils mènent de front avec leurs études.

La corpa a outre un sens aigu de l'organisation — la traditionnelle « Nuit Sup de Co » en témoigne — celui des responsabilités. C'est une source d'émulation qui se traduit par l'activité et le dynamisme des nombreuses commissions.

Enquête « Loisirs »

Celle dite « Jeune Commerce » est orientée cette année vers les « contacts humains ». Chacun se souvient de la remarquable plaquette réalisée l'an dernier, « Recherche et Rentabilité » études du plus haut intérêt.

« Jeune Commerce », organe mensuel de liaison interne de l'Ecole, s'adresse aux étudiants, mais aussi aux anciens. Il favorise les rapprochements et les

contacts toujours enrichissants pour les uns et les autres.

Les Étudiants se livrent aussi cette année à une enquête socio-économique axée sur le thème « Les Loisirs », sujet aussi vaste que d'une perpétuelle actualité.

Echanges culturels

La Commission A.I.E.S.E.C. est l'émanation du comité local de l'« Association Internationale des Étudiants en Sciences Economiques et Commerciales ».

On lui doit l'organisation des échanges de stagiaires avec l'étranger.

Ainsi, cette année, 32 étudiants de l'Ecole Supérieure de Commerce se rendront en stage dans divers pays d'Europe et en Amérique, réciproque des 32 étrangers qui ont effectué un stage dans des entreprises industrielles et commerciales de la région nantaise.

Les étudiants de l'E.S.C. vous diront que leur corps est la plus sportive de Nantes. Dans le cadre des échanges de la période pascale, deux rencontres seront disputées en Espagne, Allemagne

et Portugal et avec les E.S.C. de Besençon et Poitiers.

Voyages d'études

La « commission culturelle » est présente et participe à toutes les activités culturelles de la ville. Elle y trouve un complément à l'enseignement; cela lui procure aussi des ouvertures nouvelles, « Voyages d'Etudes » en est une autre. Elle prépare le voyage de 23 étudiants et 2 professeurs appelés à se rendre aux U.S.A., pays considéré comme se trouvant à l'avant-garde des études techniques et des méthodes de gestion commerciale.

A cette floraison de commissions, ajoutons celle des Bourses, mais aussi les très utiles, voire indispensables « livres » et « chambres » qui sont autant de problèmes fréquents que la corpa s'attache à résoudre.

Pour l'heure, toutes les activités extra-étudiantines sont axées et concentrées vers la « Nuit Sup de Co », que Camille Sauvage et Jacques Dup's animeront du crépuscule à l'aube, le samedi 13 mars, Salons Mauduit.

سنتي الأولى في المدرسة العليا للتجارة بمدينة نانط الفرنسية (ضمن الفوج بكامله).

استمرت دراستي في مدينة تطوان من سنة 1958 إلى 1963، حيث حصلتُ على شهادة البكالوريا.

بحصولي على شهادة البكالوريا، ازداد طموحي لإكمال دراستي العليا. كانت رغبتني في التوجّه إلى إسبانيا، فاللغة الإسبانية السائدة في شمال المغرب كلغة أجنبية أولى تمهّد السبيل للالتحاق بالجامعات الإسبانية، بيد أن منعطفاً جعلني أحول اتجاهي إلى الجامعات الفرنسية.

3 - المرحلة الجامعية:

- المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات

بمدينة نانت «Nantes» بفرنسا:

في مفترق الطرق، والانتقال من مرحلة إلى أخرى، يحتاج المرء إلى من يساعده في ضبط بوصلته، حفظاً له من الزّوغان؛ كان «الضابط»، في هذه المرحلة من العمر، أخي الأكبر «السي ميمون» حفظه الله. فقد سعى ليكون تسجيلي في إحدى الكليات أو أحد المعاهد الفرنسية، وتمّت مراسلة مؤسسات جامعية مختلفة، فجاءت الموافقة من «المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات» بمدينة «نانت Nantes» سنة 1963.

لا شكّ أن شاباً في مقتبل العمر يحظى بالقبول للتسجيل في إحدى أهم المدارس العليا في فرنسا، سيخالجه شعور من الفرح الممزوج بنوع من التوجّس، وتزاحم الأسئلة بداخله. كيف لشابّ قادم من إقليم الريف المغربي، لم تكن له معرفة بمدينة في بلده، اسمها «تطوان»، أن يرحل إلى مدينة تسمى «نانت Nantes» في قارة أخرى، وبلاد سيبدو فيها الفتى «غريب الوجه واليد واللسان»؟!

وأنا أتهيأ للسفر إلى فرنسا، اندلعت «حرب الرمال» بين المغرب والجزائر، في أكتوبر 1963. وإذا بأخي السي ميمون، المشرف على ترتيبات سفري، يستدعي ليكون من الضباط الذين سيتوجهون إلى جبهة القتال، ومع هذا الحدث دخل التحاق بالمدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات بمدينة «نانت Nantes» دائرة الشك.



المنصوري زمن الشباب

ففي ذلك الأسبوع استُدعي أخي السي ميمون من القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية للقيام بتدريب في ألمانيا لتعميق الخبرة في المجال العسكري المتعلق برجال المظلات. لا شك أن الحيرة قد امتلكت أخي ميمون، وهو المقبل على السفر إلى ألمانيا، دون أن يكمل ترتيبات ملف الأخ الأصغر للالتحاق بمقرّ دراسته في فرنسا، بل كانت حيرتي أكبر، عندما شعرتُ بذلك الفراغ الذي سيتركه سفر أخي، الذي كان سندي في كل خطواتي. وتشاء الأقدار أن يظهر في مساري رجل ستكون لمساعدته الأثر الطيّب على تيسير أسباب سفري إلى

الديار الفرنسية. ذلك هو الضابط محمد إدريس أمقران، وكان صديقاً حميماً لأخي، وينتسب إلى القوات المسلحة الملكية الجوية.

وكأن الضابط الصديق أحسّ بما يدور في خلد الضابط ميمون، فسعى مُطمئناً أخِي ومُرَدِّداً: «... أخوك في رعايتي، وكن مطمئناً، كأنك حاضر... وسأسهر على ترتيب سفره إلى فرنسا»، وكذلك كان.

قضيتُ أسبوعاً كاملاً بين الجنود، وهي فرصة سنحت لي بالاقتراب من أجواء الإقامة داخل ثكنة عسكرية بالقاعدة الجوية بمدينة سلا، وكذا الاقتراب من طبيعة النظام داخلها، وما يميزها من حيوية وانضباط. ثم انتقلت إلى بيت أسرة الضابط محمد إدريس أمقران، إلى أن حان موعد سفري. كنتُ أنتظرُ بشغفٍ كبيرٍ حلول ذلك اليوم الذي سألتحقُ فيه بالمطار المدني في رحلة تحملني إلى الديار الفرنسية. ولأول مرة في حياتي سأركبُ طائرة. ودارت في نفسي هواجس وتساؤلات، لكن كل ذلك كان يتضاءل أمام رغبتي في متابعة دراستي في المدرسة العليا للتجارة. ربما كان حديثي مع بعض الضباط، وأنا مقيمٌ داخل الثكنة بالقاعدة الجوية بمدينة سلا، يثني ببعض هواجسي، مما جعل الضابط محمد إدريس أمقران - وكان صاحب تجربة في السفر إلى فرنسا - يحدّثني بتفصيل عن الخطوات التي سأقطعها في هذه الرحلة انطلاقاً من مطار الرباط - سلا إلى باريس؛ بدءاً من الجمارك وشرطة الحدود، وتسجيل الأمتعة... وصولاً إلى باريس والخروج من المطار. وقد نصحتني باتخاذ الحافلة وسيلة للنقل، وعدم اللجوء إلى «الطاكسي» نظراً لارتفاع ثمنه. ولدقة المعلومات التي قدّمها لي هذا الضابط، فقد عيّنت لي المحطة التي سأتوجه إليها داخل باريس، وهي محطة «Les Invalides»، ثم أردف قائلاً: حينما تصل إلى هذه المحطة، تنزل تحت الأرض، ستجد الميترو الذي سيوصلك إلى محطة القطار، بعد تغيير الخط ثلاث مرات...؟!

لاحظ الضابط بعض الذهول الذي ارتسم على مُحيائي! والحق أن العديد من التساؤلات قد جالت بخاطري، ومُخاطبي مسترسل في الحديث. فحينما أخبرني أنني سأنزّل تحت الأرض لركوب «الميترو»، قلتُ في نفسي:

- كيف أنزلت تحت الأرض؟ وما هو الميترو؟ وكيف سأغير «الميترو» في ثلاث محطات...؟

انتبهت من غفلي حينما سمعت الضابط يقول: خذ ورقة وقلمًا، واكتب هذه الخطوات بدقة، حتى لا تنسى، ولا تقع في حيرة من أمرك. وفعلاً، دونت ما أملاه عليّ بالكامل.

لقد أصبح بين يديّ الآن، بفضل نصائح ذلك الضابط، رسمٌ واضح لخط رحلي من الانطلاق إلى الوصول. ورغم ذلك، فإن بعض الارتباك لم يفارقني، وقد بدا منذ الانطلاق، وأنا في مطار الرباط-سلا. ما الذي حدث؟

كانت بطاقة السفر التي بيدي من شركة الخطوط الملكية المغربية (RAM)، وفي اعتقادي أنني سأركبُ طائرة لهذه الشركة. بقيتُ في صالة الانتظار أترقبُ ظهور طائرة الخطوط الملكية المغربية، وفي نفس الآن أشاهد المسافرين يمرون أمامي، يدخلون طائرة متوقفة تحمل علامة الشركة الفرنسية «Air France»، متجهة إلى باريس. أنا متأكدٌ بأن البطاقة التي بيدي هي للشركة المغربية، وعلى متنها سأسافر، ولا يمكن أن يكون غير ذلك!

بعد مرور فترة زمنية، خلت قاعة الانتظار من المسافرين، وبقيتُ وحدي أنتظر طائرة الخطوط الملكية المغربية الزاهية إلى باريس...؟!

شاهدني أحد رجال شرطة الحدود، فتقدّم نحوي سائلاً:

- إلى أين يا ابني؟

- مسافر إلى باريس؟

- ها هي الطائرة الزاهية إلى باريس في هذا التوقيت، ستقلع بعد قليل!؟

- لكن ... بطاقتي مع الخطوط الملكية المغربية...!

- هذا خط تتعاون فيه الشركتان معاً...

انتبه الشرطي إلى الالتباس الذي وقعتُ فيه. كان رجلاً طيباً، أخذ بيدي وأسرع نحو الباب المؤدي إلى الطائرة التي كانت على وشك الإقلاع، فقد أبعد

السُّلم، وشرع في إقفال بابي الطائرة؛ فأشعر المشرفون بوجود فتى لم يلتحق بعد بالطائرة، فيسر الله أمر التحاقي بمقعدي في طائرة الخطوط الفرنسية؛ فكان هذا أول سفر لي بالطائرة.

أنقل هذه الصورة إلى القاريء ليلمس بعض الصعوبات والعراقيل التي صادفتني في مساري الدراسي. فعدم التحاقي بإسبانيا لاستكمال دراستي بلغة ألفتها واستأنست بجانب من ثقافتها، ودارت على لساني منذ طفولتي الأولى، فرض عليّ الارتقاء في أحضان لغة أخرى، لم أكن على صلة وثيقة بها، مما وضعني أمام نوع من التحدي. أضف إلى ذلك، التعثر الذي حدث في ملف التحاقي بفرنسا حينما رحل أخي إلى ألمانيا، وكان بالإمكان ألا تتم إجراءات سفري، ثم ما حصل لي في مطار الرباط-سلا، وما يمكن أن يترتب عن عدم سفري في الوقت المحدد لي، كل هذه العوائق وما تيسر لها من حلول، تؤكد حقيقة واحدة، وهي أن الباري تعالى إذا سطر لك في حياتك أمراً، فإنه واقع ولا مرد له.

ها قد وصلت إلى مدينة «Nantes» ولك أيها القاريء الكريم أن تتصور الحالة التي كنت أحسها، بعد انتظار دام ست ساعات بمحطة «Montparnasse» في باريس، لركوب القطار الذي أوصلني إلى Nantes في منتصف الليل؛ ولشدة رغبتني في معرفة المؤسسة التي سألتحق بها، ركبت سيارة الأجرة، وطلبت من السائق أن يوصلني إلى المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات.

الساعة تشير إلى ما يقارب الثانية صباحاً، في ليل شديد البرودة، والفتى القادم من المغرب، منتصب أمام باب المدرسة العليا يتأمل هذا المدخل الجديد، الذي سيشكل منعطفاً في حياته.

لقد أخذ التعب مني مأخذاً، ضاعفه ذلك الطقس البارد لمدينة Nantes، بحثت عن فندق قريب أفضي فيه ما تبقى من هزيع الليل. وفي الساعة الثامنة صباحاً كنت من الوافدين الأوائل على المدرسة. خطواتي الأولى داخل المدرسة

العليا للتجارة سَتَمَتُّدُ عبر سنوات، حيث استغرقت الدراسة في هذه المؤسسة العلمية من 1963 إلى 1966. وهي سنوات لم تكن طريقها مفروشة بالورود !
سأصطدمُ منذ الأيام الأولى بذلك الحفل الذي يُخصص للوافدين الجدد على المؤسسة، حيث للطلبة القدامى طريقتهم الخاصة لاستقبال الطلبة الجدد. وهي طريقة لم أعهد لها ولم يكن لي علمٌ بها ! وما تمّ، بدا لي وكأني في عالم غريب !



المنصوري بنعلي في ريعان الشباب

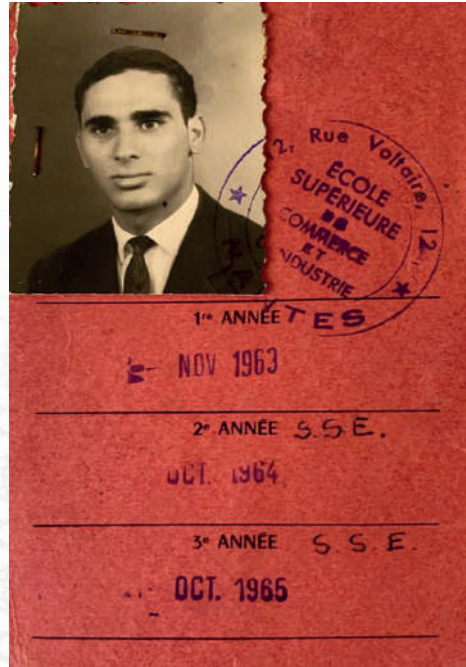
ومما ضاعف من صعوبات التأقلم الأولى داخل المؤسسة، ما كنتُ أعانيه من قصور في علاقتي باللغة الفرنسية، فتكويني مؤسس أصلاً على الثقافتين العربية والأمازيغية مع انفتاح مبكر على الثقافة الإسبانية.
ما كان لي أن أستسلم، بل عقدتُ العزم على تطوير قدراتي في اللغة الفرنسية، وهو ما تمّ بالعمل على تلقي دروس في هذه اللغة ليلاً. وإلى جانب

هذين الأمرين، برزت أمامي صعوبة أخرى تمثلت في الجانب المالي. كيف لي أن أرتب شؤون حياتي لأتفرغ لدراستي بشكل لا يشوش على تحصيلي؟ كانت أسرتي ترغب في مدّي بما تستطيع، لكن مكتب الصرف المغربي آنذاك، لا يسمح إلا بتحويل مبلغ مائة درهم! ثم استطعتُ الحصول على منحة دراسية، تقدمها الدولة المغربية للطلاب الذين يستكملون دراستهم خارج الوطن، وتمنح وفق معايير استحقاقية مضبوطة. كنا -نحن الطلبة المغاربة- نتسلم هذه المنحة على رأس كل ثلاثة أشهر، ومبلغها لا يتجاوز ثلاثمائة درهم (300 درهم). ورغم ذلك، وجدتُ نفسي أمام صعوبات تسديد ما تتطلبه الحياة الطلابية، في مدينة فرنسية. بدأتُ في البحث عن وسيلة لسدّ هذه الثغرات التي تجعلك تعيش لحظات من الضيق المالي، خاصة عندما تتأخر المنحة الدراسية. وبعد أن أصبحتُ أكثر اندماجاً في الحياة الطلابية، وربطتُ علاقات صداقة مع عدد من الطلاب المغاربة وغير المغاربة، علمت أن الطالب يمكن أن يحقق مدخولاً مادياً، يسد به بعض مصاريف الحياة الدراسية، عن طريق العمل خلال فترات العطل. قررتُ خوض التجربة، فاشتغلتُ في حقول الفراولة (التوت الأرضي Fraise)، وأمسكتُ أناملي معدات فلاحية مختلفة، أيام نهاية الأسبوع والعطل وخاصة العطلة الصيفية، بعد أن كانت ممسكة بالقلم داخل مدرجات المؤسسة العلمية، خلال شهور الدراسة.

مرت السنة الأولى من دراستي في فرنسا، محفوفة بمعاونة كبيرة، بدأت تضعف رويداً رويداً، مع اكتساب صداقات، بعضها استمر إلى اليوم. وأذكر من هؤلاء الأصدقاء الذين تخرجوا ضمن فوجي: السيد علي الإبراهيمي من مدينة وجدة، وقد قدّم لي هذا الصديق مساعدات كثيرة، وصاحبته في العديد من الأسفار التي قمنا بها، والتي كانت تتم عن طريق طلب النقل بالإشارة «L'auto-stop»، وقد زرنا سوياً كل من سويسرا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا؛ وعندما التحق بالمغرب اشتغل في المجال البنكي. ومن هؤلاء الأصدقاء: السيد عبد الحّيّ السّبتّي، الذي التحق بالخطوط الملكية الجوية المغربية عند تخرجه، والسيد علي

جسّوس من مدينة الدار البيضاء، الذي شغل عند التحاقه بالمغرب، مدير فرع بنك التجارة الخارجية (BMCE)، ودام الاتصال بيننا إلى غاية تقاعده.

ومن أصدقائي الفرنسيين الذين امتدت علاقتي بهم إلى عهود قريبة، السيد ريجيس Régis الذي أقوم بزيارته كلما حللت بباريس. ومن هؤلاء كذلك السيد Jean Arthuist الذي سيصبح وزيراً للمالية في عهد الرئيس الفرنسي جاك شيراك Jacques Chirac، ثم انتُخب بعد ذلك عضواً في البرلمان الأوروبي. كان يزورني كلما حل بالمغرب. وفي إحدى المرات، استقبله الملك الراحل الحسن الثاني -طيب الله ثراه- بصفته وزيراً للمالية، وقد سنحت لي فرصة لأخبرَ جلالته الملك بأنه أحد أصدقائي الذي تخرج من المدرسة العليا للتجارة وتدبير المقاولات ضمن الفوج الذي أنتمي إليه.



صورة لبطاقة الطالب المنصوري بنعلي
بالمدرسة العليا للتجارة بمدينة نانت بفرنسا.

MUTUELLE NATIONALE DES ÉTUDIANTS DE FRANCE
5, Place du Panthéon — PARIS (V^e)

Section locale de NANTES — 1, rue du Chapeau-Rouge — Tél. : 71-43-15


ÉLECTIONS MNEF 1965-1966

N° 132,433

Nom: MANSOURI
Prénoms: Bey Ali
Établissement: ESC
Domicile: 10 rue Colbert
Nantes

Le Président de la M.N.E.F.
Ch. de LAPPARENT

Le Titulaire.



صورة لبطاقة التعاضدية الوطنية لطلبة فرنسا،
أيام دراستي بمدينة نانت بفرنسا.

ساهم تنوع صداقاتي على رفع إيقاع اندماجي في البيئة الجديدة، بل زاد انفتاحي على المجتمع الفرنسي وثقافته، بدءاً من سنتي الدراسية الثانية. كانت الدراسة بالمدرسة العليا للتجارة وتدير المقاولات ذات مستوى عالٍ، وهيئة التدريس بها بمكانة. كان المناخ العام يشجع على الانفتاح، ولم أسمع قط، مدى السنوات التي قضيتها في مدينة «نانت Nantes»، سواء داخل المؤسسة أو خارجها، كلمة يُشَمَّ منها رائحة العنصرية. أما الهاجس الديني، أو ما نسمعه اليوم عن الإسلاموفوبيا L'Islamophobie فلم ألمس له وجوداً عند إقامتي في فرنسا.

زاد انفتاحي على جوانب مختلفة من الحياة الفرنسية، بدأت أحضر بعض السهرات الموسيقية، فكانت مدخلاً للاقترب أكثر من الفن الموسيقي لمطربين فرنسيين، كانت أسماؤهم يومئذ تملأ الفضاءات الثقافية والفنية. أذكر من المطربين الذين أعجبتُ بهم بعد اكتشافهم لهم: جورج براسانس Georges Brassens، جاك برييل Jacques Brel، جليبير بيكو Gilbert Bécaud، إلى جانب مغنيات شهيرات، وخاصة إديث پياف Edith Piaf، وباربارا Barbara، بل وجدتُ نفسي، وقد انفتحت على هذا العالم الموسيقي، أميلُ إلى موسيقى الجاز.

كان بحق عالماً أكتشفه لأول مرة، وكان ذلك بفضل الصداقات التي نسجتها مع طلبة مغاربة وفرنسيين. وسينفتح أمامي بسببها مجال آخر يرتبط بالرياضة، وبالضبط بعالم كرة القدم الفرنسية. كانت المدينة التي أدرُس بها، أي مدينة «نانت Nantes»، تمتلك فريقاً لكرة القدم، كان يومئذ من بين أهم الفرق الفرنسية، بل كان العديد من أفراد ذلك الفريق، يشكلون دعامة أساسية للفريق الوطني الفرنسي لكرة القدم. ولما كنتُ وأصدقائي ممن يحبون هذه اللعبة، فقد أصبحنا نميل إلى تشجيع فريق «نانت Nantes»، وكان المرحوم «هنري ميشيل Henri Michel» أحد أهم لاعبيه، وهو الذي سيصبح فيما بعد مدرباً للفريق الوطني المغربي لكرة القدم.

وعلى مدى ثلاث سنوات قضيتها في المدرسة العليا للتجارة وتدبير المقاولات بمدينة «نانت Nantes»، تعرفتُ على الكثير من صور الحضارة الغربية في نموذجها الفرنسي، مما كان له أثر كبير في بلورة جوانب من مقومات شخصيتي، وشكلت هذه المرحلة من دراستي منعطفاً كبيراً في مسار حياتي.



مع الجنرال عبد الحق القاردي في حفل بالسفارة المغربية بباريس سنة 1967، بمناسبة عيد العرش. والصورة تؤرخ لبداية علاقتي بصديقي الجنرال عبد الحق القاردي.

غادرتُ مدينة «نانت Nantes» وقد أحرزتُ شهادة المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات، شفعتها بأخرى هي «الشهادة العليا للغرفة التجارية الإسبانية»، وكانت شهادة مخصصة بالأساس للفرنسيين الذين يرغبون في العمل في المقاولات الإسبانية، بناء على اتفاق مبرم مع المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات والغرفة التجارية الإسبانية.


حين يُبهي طالب مغربي دراسته في فرنسا، ونحن في الستينيات من القرن الماضي، يبدأ في البحث عن عمل. ولباريس في هذا الباب جاذبية خاصة. فقررْتُ الانتقال إلى العاصمة الفرنسية، حيث اشتغلت في القطاع البنكي، وبالضبط في «القرض الصناعي والتجاري»، واتخذتُ من «دار المغرب»، التي كانت توجد في La rue des Écoles قرب شارع سان ميشيل Saint-Michel المعروف بحي الطلبة، مَقَرًا لسُكناي.

وخلال إقامتي في باريس، سمحت الظروف بالتعرف على الجنرال عبد الحق القادري، الذي كان ضابطاً ملحقا بسفارة المملكة المغربية في باريس، وستستمر علاقتنا، التي تحولت إلى صداقة حميمية، إلى أن توفي رحمه الله سنة 2017.

لم تدم إقامتي في باريس أكثر من سنة، قررتُ بعدها الدخول إلى المغرب. وكان من أكبر العوامل التي دفعتني إلى اتخاذ هذا القرار، ما عشته في باريس، بعد هزيمة العرب في حرب حزيران/يونيو 1967. فقد أقيمت العديد من الحفلات من طرف الإسرائيليين ابتهجا بهذه الهزيمة التي اعتبرت انتصاراً لجيوشهم، ونظمت تظاهرات مؤيدة لإسرائيل، واكتشفتُ في خضم هذا الحماس أن بعض أصدقائي الفرنسيين كانوا يهوداً، وهو الأمر الذي لم أفطن إليه، وأظهرته ظروف هذه الحرب. أثرت هذه الأجواء في نفسي عميقاً، فقررْتُ الالتحاق بوطني؛ وقبل دخولي للمغرب، وجدتُ صديقاً إنجليزياً، كنت قد تعرفتُ عليه، يقدم لي مقترحاً للسفر إلى لندن؛ قلت في نفسي: ولم لا أقوم بهذه المغامرة؟ سافرتُ إلى لندن، وبقيت بها مدة شهر، لأعود أدراجي، ومن باريس التحقت ببلدي.



١١- أسرتي



مع والدي الحاج المختار ووالدتي الحاجة نجيمة:

كان والدي الحاج المختار رجلاً يمنح عناية كبيرة لأسرته، واهتماماً أقوى لأبنائه. وإني لأذكر واقعة حدثت لي وأنا طفل صغير، حين أستعيدها ترتسم معها ملامح أبٍ حريص على سلامة أبنائه وأسرته.

كان والدي من الأشخاص القليلين، الذين حرصوا على تعليم أولادهم، إناثاً وذكوراً، والتحاقهم بالمدارس، خلال سنوات الأربعين من القرن الماضي.

لا أخفي - وأنا أدونُ هذه السطور من سيرتي- أنني كنتُ في صغري طفلاً عنيداً، بمعنى أن ما يخطر ببالي كنتُ أسعى لتنفيذه، وأحياناً بدون مراعاة العواقب. ومن تجليات هذا السلوك المحمّل بالتصلّب، أنني أذكرُ وأنا طفل صغير، وجود ناقة صعبة المراس في بيتنا، ولا أحد من الأطفال يستطيع الاقتراب منها. كنت الوحيد الذي يستطيع أن يمتطيها دون أن تلحق بي سوءاً. عمري يومئذ لا يتجاوز سبع سنوات.

ومن صور الإقدام على شيء دون احتساب عواقبه، ما قمتُ به ذات يوم حين طلبتُ من والدي أن يصحبني معه إلى السوق الذي يقام يوم الأحد من كل أسبوع، في قرية «جبل العروي» التي تبعد عن منزلنا بخمسة عشر كيلومتر (15 كلم). لم يرغب والدي في أخذي إلى السوق إشفاقاً على طفل صغير، قد يلحقه تعب كبير من التنقل إلى مكان يعرف صحباً كبيراً، فضلاً عن معاناة الطريق. ألححتُ في طلبي بيد أن الوالد -رحمه الله- أمرني بالعودة إلى البيت. ركب الوالد الحافلة في الساعة السابعة صباحاً، وتركني. لكن هذا الطفل الذي يرغب أحياناً في تنفيذ ما يدور في رأسه، لم يعد إلى البيت، بل عنَّ له أن يقوم بهذه المغامرة، ويقصد السوق مشياً على الأقدام. توكلتُ بأمرني وانطلقتُ قدماي سيراً، وجّهتني السوق. وفي الطريق، حوالي الساعة الحادية

عشرة، صادفتُ منزل صديق لوالدي، اسمه علال انطاهر. يقع المنزل على قارعة الطريق، أحسستُ بعطش قوي، فطرقْتُ باب المنزل، ومن ورائه، جاء صوت «الصّافية» زوجة السيد علال لتخبرني بأن لا أحد في الدار، وأن الجميع ذهب إلى السوق. ثم سألتُ: من الطارق؟ أجبتها: بنعلي!

كان جوابي تلقائياً، وكأنني شخص دائم التردد على هذه الدار! وما أنا إلا ذلك الطفل الصغير الذي لا يتجاوز عمره سبع سنوات، يغامر وحيداً في طريقه إلى السوق، والوقوف بباب منزل صديق والدي لم يكن سوى صدفه!

طلبتُ منها شربة ماء، شربتُ، فسألتني: إلى أين؟

- أجبتها: إلى السوق. لم تطلب مئّي المكوث في البيت حتى يعود زوجها أو يعرّج والدي على بيتهم عند رجوعه. لم يخطر ببالها صعوبة ذهاب طفل صغير وحيداً، إلى سوق يعج بالناس!

أكملتُ سيرتي، وفي منتصف الطريق، التقيتُ ابنة عمّتي «يَمِينَة» قرب منزلها، سألتني باستغراب:

- إلى أين...؟

- إلى السوق!

- الساعة الآن أوان العصر! لا سوق بعد العصر!

خرجتُ من منزلنا صباحاً، ووصلتُ إلى منتصف الطريق عصراً؟! بعد مغادرة والدي لبيتنا في الساعة السابعة صباحاً.

انتبهت ابنة عمّتي إلى مغامرتي، وبدا لها أن تركي وحيداً، والزمن يميل إلى الغروب، قد يعرضني إلى خطر محتمل. فأخذتني إلى منزلهم، وأخذت تروي هذه الواقعة لمن كان موجوداً بالدار.

حينما عاد الوالد من السوق إلى المنزل، سألت والدي عني:

- أين بنعلي؟

- أجابت: لقد ذهب معك إلى السوق !
- كان ردّ الوالد: لا ... لم يصاحبني، بل أمرته بالعودة إلى الدار، ألم يعد ؟
قامت ضجة كبرى في البيت، الكل يبحث عنيّ، لا أثر للطفل بنعليّ !...

لن يهدأ بال والدي وابنه ليس بين أحضانه وداخل بيته. ركب حصانه وخرج يبحث عنيّ، متتبعاً الطريق المؤدية إلى السوق. وفي الطريق، مرّ بمنزل صديقه علّال أنطاهر، كنتُ بدوري مررتُ به، وطلبتُ من زوجته ماء لإطفاء العطش. توقف الوالد عند منزل صديقه، وسألهم إن كان الطفل بنعلي قد مرّ بهم ؟ فكان الجواب من زوجة الصديق:

- نعم، لقد توقف عندنا، وطلب ماء، وقد شرب ثم أكمل السير ! وقد سألتُهُ: إلى أين ؟ فقال: إلى السوق.

استأنف الوالد سيره إلى أن وصل إلى بيت عمتي في منتصف الليل. وصول أبي إلى منزل أخته في ساعة متأخرة من الليل لم يكن مفاجئاً لهم، السبب معلوم، سأل:

- ابني بنعلي موجود عندكم ؟

- في حفظ الله، وهو نائم الآن !

هدأ هذا الجواب من روع والدي، بعد أن اطمأن على سلامة ابنه، وأنه في بيت عمته وبين أهله. أحكي هذه الواقعة لأرسم جانباً من صورة الوالد الذي كان يرعانا، بكل دفء الأبوة وحزم ربّ البيت. وقد سَمَحَتْ خصاله بأن يحظى كذلك باحترام كبير داخل قبيلته. كان بيتنا مقصداً للعديد من أفراد القبيلة، طلباً لحلّ المشاكل أو رغبة في وساطة، أو غير ذلك من الشؤون التي يكون الوالد حَكَمًا فيها، يقَدِّم المساعدة سعياً لما فيه خير القبيلة.

وكم من مرّة تحول بيت الوالد إلى محكمة شرعية، يفصل الوالد داخلها بين الزوج وزوجته التي لحقها حيف، أو حدثت بينها وبين زوجها خصومة ما، فتهرع الزوجة إلى بيتنا طلباً للإنصاف، ويسعى الوالد بكل الأساليب الممكنة لإصلاح

ذات البين بين الطرفين، ذلك أن مكانته داخل القبيلة، وما يحظى به من احترام وتقدير، كل ذلك كان يسعفه في الوصول إلى الحل الذي يُرضي الطرفين.

وإذا كان ما سردته لحد الآن عن والدي يقدم صورة لأب يصرف الرعاية الكاملة لأسرته، ويمد يد المساعدة لقبيلته، فإن هناك وجهاً آخر لوالدي الحاج المختار -رحمة الله عليه- الذي وقف دوماً إلى جانب الحق، وناضل من أجل كرامة الإنسان المغربي، ووطن يبغيه عزيزاً.



والدي الحاج المختار المنصوري في مرحلة شبابه

وربما كانت سنة 1956 من اللحظات التي رسمت بعض ملامح الوالد الراض للطغيان والاستبداد الحزبي والابتزاز.

تعود بي ذاكرتي إلى سنة 1958، وأنا تلميذ بثانوية جابر بن حيان بتطوان، كنت عائداً إلى منزلنا بمناسبة عطلة مدرسية، صادفت عودتي ما يعرف ب «أحداث الريف».

وأنا في الطريق، فوجئتُ في إحدى اللحظات بتوقف الحافلة التي أركبها في منطقة بين ترغيست والحسيمة. لم أدر ما وقع؟ ولم أفهم ما جرى؟ صعد رجلان اثنان إلى الحافلة، وبدءا يطلبان من الركاب إبراز أوراق تعريفهم.

لم تكن في ذلك الزمان «بطاقة وطنية»، وإنما هي ورقة عليها صورة، تسمى «ورقة التعريف». ظل التلميذ بنعلي مشدوها لا يفهم شيئاً مما يقع أمام عينيه. كل ما يتذكره الآن أن هذا التفتيش تمخض عن سَوْق ثلاثة أفراد من بين الركاب، أنزلوا من الحافلة وأخذوا إلى الجبل، لوجهة لا يعلم عنها ذلك التلميذ شيئاً.

في هذه الفترة من أواخر سنوات الخمسين، حدثت انتفاضة في الشمال؛ وأخرى في الجنوب بزعامة عَدِّي أوبيهي. لم تكن هذه الانتفاضة ضد الشرعية المتمثلة في الملك محمد الخامس قدس الله روحه، بل كانت ضد تصرفات حزب الاستقلال الذي كان يريد أن ينضم إليه المقاومون وجيش التحرير، ليكون الحزب الوحيد في المشهد السياسي للمغرب بعد الاستقلال، ويسيطر على الحكم وتسيير البلاد ويجعل من الملك الشرعي للبلاد محمد الخامس، مجرد رمز للحكم.

كان حزب الاستقلال يكلف مفتشين، وهم أشخاص ليس لهم أي مستوى ولا مكانة داخل القبائل، لكي يضعوا لوائح يتم بها ابتزاز الناس. إما أن يقدموا ما يُطلب منهم من مال أو ما ملكت يمينهم، أو ينضموا إلى الحزب، وإذا رفضوا تُدَوَّن أسماءهم في تلك اللائحة المشؤومة! ومن هنا جاءت عبارة عَدِّي أوبيهي «لم نُخْرَجْ فرنسا ليحكمنا الرّعاة!».

لماذا ساق عَدِّي أوبيهي كلمة «الرّعاة» في هذه العبارة؟ لقد استند في ذلك إلى واقع الحال في المغرب خلال تلك المرحلة التاريخية، وخاصة السنوات الأولى من إحراز المغرب على استقلاله.

كان لحزب الاستقلال في هذه الفترة اليد الطولى في إدارة جميع المرافق الإدارية، وأمام قلة الأطر المغربية، كان مسؤولو هذا الحزب يأتون بأميين



لوحة لصورة والدي القايد الحاج المختار المنصوري (1919 - 1985)

ويعينونهم قواداً على رأس مناطق مهمة من البلاد. وفي إطار هذا الاستقواء الحزبي، رفض عباس المساعدي، بصفته رئيساً للمقاومة وجيش التحرير بشمال المغرب، أن ينضمَّ المجاهدون الذين يعملون تحت إمرته إلى حزب الاستقلال. أدى هذا الرفض إلى التآمر على هذا القائد، وتمَّ اغتياله في مدينة فاس سنة 1956 وتمَّ دفنه بها.

لم يقبل أعضاء جيش التحرير التابعين لعباس المساعدي أن يدفن قائدهم في مدينة فاس، وطلبوا من وزير الداخلية أن يسمح لهم بنقل جثمان قائدهم، إلى معقل مقاومته بـ «تيزي وسلي» بأكنول بإقليم الحسيمة، لكن وزير الداخلية في تلك الفترة ومعه مدير الأمن «الغزوي» التابعين لحزب الاستقلال رفضا السماح بنقل جثمان المساعدي إلى منطقة الريف.

تمَّ اجتماع بين أعضاء جيش التحرير التابعين للمساعدي والمحجوبي أحرضان والدكتور عبد الكريم الخطيب لإيجاد حل لهذه النازلة. وتمَّ الاتفاق في نهاية الحوار على أن ينقل جثمان عباس المساعدي فجراً من مدينة فاس إلى تيزي وسلي بأكنول، وتمَّ إخبار أعضاء جيش التحرير الذين يوجدون في المناطق القريبة من الريف للالتقاء فجراً في المكان الذي سيتمَّ فيه الدفن «تيزي وسلي» بأكنول، ومن بين الذين تمت دعوتهم للحضور والدي الحاج المختار رحمه الله.

توافد على المنطقة العديد من رجال جيش التحرير، ومنهم والدي، ومن له علاقة برجالات التحرير والمقاومة أيام الاستعمار، نظراً للمكانة التي كان عباس المساعدي يتمتع بها كمقاوم للاستعمار، ودوره في جيش التحرير. ما كان لهذا الحدث أن يمر دون أن تعلم به قيادة حزب الاستقلال، فللحزب عيون في كل الأماكن. فما أن طلع الصباح حتى كانت منطقة تيزي وسلي بأكنول مطوقة بعناصر الجيش الملكي، بأمر من وزير الدفاع الذي كان ينتمي هو الآخر لحزب الاستقلال، وكان على رأس الفرقة المكلفة بهذه المأمورية الكمندار/ Commandant علوش، وأصله ريفي من مدينة الحسيمة. لقد صدرت الأوامر

إلى الكمندار علوش بمنع دفن المجاهد عباس المساعدى، ومنع أي تجمع أو تظاهرة أو مهرجان خطابي... وكل من خالف هذه الأوامر يُطلق عليه الرصاص. حينما وصل جثمان عباس المساعدى، يحقّه رجال المقاومة وأعضاء من جيش التحرير، جال الكمندار علوش بنظره بين الجموع، فإذا به يرى بين الحضور، المحجوبى أحرضان، والدكتور عبد الكرىم الخطيب، وممثلين لرجالات المقاومة وجيش التحرير من الأقاليم المجاورة، وحضور المجاهدين من الأقاليم الريفية، ومن بينهم والدى رحمه الله.

أصيب ذلك الضابط بحيرة كبرى، هناك أوامر تطالبه بإطلاق النار، وفى نفس الوقت، هؤلاء الذين سيطلق عليهم النار، يوجد من بينهم أبناء من منطقتة ومن قبيلته...!

توجّه الضابط علوش إلى المحجوبى أحرضان والدكتور عبد الكرىم الخطيب، تحدث إليهما قائلاً ما معناه: لديّ أوامر بإطلاق النار على كلّ من لا يمثّل، وكيف لي أن أطلق النار على أبناء قبيلتي، وأنا أعرف العديد منهم بينكم؟ لذا عليكم أن تقوموا بعملية الدفن، ثم تفرقوا...! تمت مراسيم الدفن وتفرّق الناس.

بعد هذا الحدث لم يظهر للكمندار علوش أيّ أثر؟! لكن ما إن حلّ الظلام حتى تمّ القبض على العديد من قيادات جيش التحرير وأعضاء المقاومة. وكان ممن ألقى القبض عليهم فى منازلهم: المحجوبى أحرضان، والدكتور عبد الكرىم الخطيب، وعدّى أويهيى فى الرشيدية، والقائد لحسن اليسى-الذى كان وزير التاج- وقد قام بمحاولة للهرب قبل القبض عليه؛ وكذلك بعض المقاومين وأعضاء جيش التحرير فى أقاليم مختلفة، منهم والدى الحاج المختار.

كانت الساعة تشير إلى حوالى الثالثة صباحاً، حين اقتحم بيتنا مفتش حزب الاستقلال الذى عُيّن من طرف هذا الحزب قائداً لمنطقتنا. كفاءة هذا الرجل لم تكن تتجاوز بيع الحبز، لينتقل من حرفة «خبّاز» إلى درجة «قائد»!

تمّ اعتقال والدي فجراً، والأعوان الذين صاحبوا هذا «القائد» يعرفون والدي حق المعرفة، ويحترمون مكانته التي يعرف بها داخل قبيلته. لذا رفضوا أوامر «القائد» بوضع القيود في يديّ الحاج المختار. رفضوا وضع القيود في يد يدركون جيّداً أنها يد طالما امتدّت إلى الناس بالخير، يد لرجل عرفوا عنه عزة النفس والغيرة على وطنه.

أودع والدي سجن الناضور، لينتقل بعد ذلك إلى سجن «لعلو» بالرباط. وتمت محاكمته أمام محكمة عسكرية بتهمة إخفاء أسلحة، وهي التهمة التي رماه بها ذلك «القائد» الحَبَّاز. غير أن عفواً ملكياً أصدره الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، أنقذ والدي من عذاب سجن بُنيت تهمة على باطل. وقد شمل هذا العفو العديد من الأشخاص، من بينهم المحجوبي أحرضان و الدكتور عبد الكريم الخطيب و عَدِّي أوبيهي وغيرهم.

من الأشياء التي ما زالت عالقة بذاكرتي، وتعكس مكانة أسرتنا داخل قبيلتنا، تلك الواقعة المرتبطة بمحاولة تهريب القائد لحسن اليوسي إلى خارج الوطن.

فبعد تلك الحملة على رجال المقاومة، عمل هؤلاء على نقل القايد لحسن اليوسي إلى إسبانيا. فكان يتم نقله من قبيلة إلى أخرى، ولا يقيم إلا عند أسرة تكون محل ثقة عند رجال المقاومة. كانت رحلة مخفوفة بالأخطار، وتتطلب سرية عالية، إلى أن أوصلوه إلى إقليم الناضور، حيث سيتم البحث عن مكان لإقامة هذا المناضل. فوقع الاختيار على منزلنا لما يعرفه رجال المقاومة عن أسرتي من غيرة وطنية وأمانة والتزام لا يشوبه ضعف، إلى جانب ما تتمتع به من صيت طيب داخل قبيلتنا، بل في منطقتنا الريفية بشكل عام. ومن باب الاحتياط من مراقبة عيون الغير، استقر الرأي أن يكون منزلنا مُستقراً للقائد لحسن اليوسي، حيث كان عمّي منصور، رحمه الله، يشرف على أمور العائلة بسبب وجود والدي في السجن. أقام القائد لحسن اليوسي ليلتين عندنا، في انتظار تهيبّ الظروف المناسبة للانتقال إلى مدينة مليلية. نظم كل من عمّي منصور وعمّي المَجاهد عملية عبور القائد لحسن اليوسي، من منزلنا إلى مدينة

مليلية، بتوفير مجموعة من الدواب، وسيلة النقل المتاحة، لأن الطريق الذي سيسلكه القائد لحسن اليوسي، وكل من رافقه، عبارة عن مسالك جبلية وعرة، ولم يسلكوا الطريق المعروفة، تجنباً لأي كمين، فالرجل كان مطلوباً، والبحث عنه قائم على قدم وساق.

تمّ العبور إلى مدينة مليلية بعد المغرب، ليصل القايد لحسن اليوسي في الفجر إلى مليلية، وبعدها أخذ الباخرة التي أقلته إلى إسبانيا، حيث ظل هناك ردهاً من الزمن، إلى أن صدر في حقه عفو ملكي من الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه.

لم تكن العناية التي لقيها القايد لحسن اليوسي من طرف عائلتي، أثناء عبوره متخفياً إلى مليلية، لتغيب عن ذاكرته. فبمجرد عودته إلى المغرب، قام بالاتصال بأعمامي، ورغبهم في زيارته بالرباط حيث كان يقيم. كانت هذه الدعوة للالتقاء بالقايد لحسن اليوسي، بمثابة اعتراف بما أسدته عائلتي من مساعدة للرجل، خلال تلك المحنة التي مر بها. تمّ اللقاء بالرباط، وهي الزيارة الأولى لأعمامي لعاصمة المملكة، وقد حضرت معهم هذه الجلسة التي جمعتنا بهذا القائد في منزله بالرباط. وستستمر لقاءاتي معه بعد ذلك، إلى أن غادر هذه المدينة ليستقر في مدينة صفرو.

ومن الأشياء الطريفة التي حدثت لي مع القائد لحسن اليوسي، خلال الجلسات التي جمعتني به، أنه في إحداها، حدثني عن مجموعة بندقيات صيد كانت في ملكه، وسُجبت منه في محنته. وعرفت من خلال حديثه أن الرجل كان محباً وهاوياً للصيد. حمل حديثه عن بندقياته المسلوبة إيقاعاً حزيناً، ترك في نفسي أثراً. فقررت أن ألبّي للرجل أمنيته بامتلاك بندقية جديدة.

كيف أتدبر الأمر للحصول على بندقية صيد؟ مرة أخرى ستجمعني الصّدف بالضابط محمد ادريس أمقران، حينما طلبت منه -وكان في مهمة ببلجيكا- أن يشتري لي بندقية صيد من تلك الديار، وهو ما تمّ بالفعل. فوجدتني ذات يوم أطرق باب منزل القائد لحسن اليوسي في الرباط، حاملاً

في يدي هدية للرجل، ليست سوى تلك البندقية التي اشتاقت نفسه لرؤيتها، ويدها لحملها. كانت فرحة الرجل كبيرة، وانتابني بدوري شعور بالسعادة لكوني استطعت تحقيق أمنية مناضل، يبدو أن بندقية صيد عنده مقرونة بالشهامة والشجاعة والمروعة. هذا الحدث سيرتسم في ذاكرة ابن القايد لحسن اليوسي. كان طفلاً صغيراً يوم قدّمتُ البندقية/الهدية إلى والده. وارتبطت البندقية في ذهن الصبي، بصوت طلقاتها، «طاو طاو»، وبالتالي غدت زيارتي لبيتهم، مقرونة بهذه الحركة، فيناديني هذا الابن عند رؤيتي ب «طاو طاو»، ويشعر أهله بحضوري قائلاً: «ها طاو طاو جا».

وفي سياق حديثي عن أسرتي، لا بدّ من الإشارة إلى والدتي الحاجة «نجيمة» رحمة الله عليها. كانت ربة بيت بكل معنى الكلمة. كل المسؤوليات المتعلقة بالشؤون الداخلية للبيت تقع على كاهلها. كان التدبير اليومي لما تتطلبه الأسرة من طبخ وتنظيف، ورعاية الصغار ... من مسؤوليات الوالدة، بل إن إدارة الموارد المعيشية اليومية لأسرتنا تتم بإشرافها بضبط محكم، وحرص لا يوقع الأسرة في الخصاص. ومما أذكره في هذا الباب، تلك العناية الكبيرة التي توليها لتخزين بعض المواد الغذائية الأساسية، تحسباً لظروف طارئة. ومن مظاهر تدبيرها التي ظلّت عالقة بذاكرتي، صورة ذلك القدر التقليدي من الفخار الذي كانت الوالدة تجمع فيه ما يتوفر لها من سمن أو غيره، حتى إذا امتلأ عمدت إلى دفنه في مكان بعيد عن الأعين والأيدي، لتعمد إلى استخدام ما تمّ تخزينه عند الحاجة. كانت، رحمها الله، من حسن تدبيرها، تلك المنقذة حين يُداهم بعض الضيوف، أحياناً، منزلنا فجأة، فيسألها والدي الحاج المختار -الذي كان يناديها باسمها- «أنجيمة، واش مدّسية شي حاجة؟» أي هل عندك حاجة مُحَبَّبة؟ كان جوابها يثلج صدر والدي، فما تدخره من مؤونة يسعف في مثل هذه الزيارات المفاجئة!

لقد كانت عادة التخزين أمراً مألوفاً عند بعض الأسر الريفية، في سنوات الأربعين من القرن الماضي. ومن تلك الصور التي يمكن استرجاعها من زمن الطفولة، أن «الكاوكاو» (الفول السوداني) كان من أحبّ المكسّرات لوالدي، وكان تزيين المائدة المقدّمة للضيوف ب «الكاوكاو» أمراً مُحَبَّباً لديها. ومن عاداتها

الجميلة، حرصها -رحمها الله- على إخفاء كل قطع الحلوى، وبعض الفواكه الجافة منها «الكاوكاو» و«الكرغاع»، مما يصل إلى يدها، في كل مناسبة يتاح لها الحصول على شيء من ذلك؛ حتى إذا تجمّع لديها ما يمكن أن يرضي صغارها، قامت بتوزيعه عليهم، مما يبعث البهجة والسرور في نفوسهم؛ دون أن أغفل ذكر ذلك التحايل الذي كنّا نمارسه، للوصول إلى ما تمّ إخفاؤه عن عيوننا، حين يتسرّب إلينا خبر وجوده في مكان ما، ذلك المكان الخفي عتّال لم يكن سوى عبارة عن زربية تسمى «تَلَيْس» كانت والدتي -رحمة الله عليها- تعتبر طيّاته المكان الأنسب للإخفاء.

وأذكرُ أنّي كنتُ أستخدمُ كل الحيل للفوز بقطعة حلوى قبل أن يتم توزيعها من طرف الوالدة، ولكن هيهات... فحرصها على أن ينال كل قسطه منها، يدفعها إلى الاجتهاد في تنويع طرق التخبيّة.



والدتي الحاجة نجيمة

وإذا كان دور والدتي في تدبير شؤون بيتنا كبيراً ومتنوعاً في الأيام العادية، فإن مشاقه تتضاعف في الأيام العصيبة، ذلك ما عانته والدتي أيام اعتقال والدي، واتهامه بإخفاء السلاح، ذلك السلاح الذي لم يكن سوى عبارة عن مسدس لم يعد له فائدة بعد الاستقلال. فأخذته والدتي وقامت بدفنه بحفرة في عرصة في محيط منزلنا. لكن حين تمّ القبض على والدي في بداية الاستقلال - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - سألت والدتي عن مسدسه (الذي كان مدفوناً داخل تلك الحفرة منذ سنتين من 1956 إلى 1958، ولم يكن صالحاً للاستعمال)؛ وسُلم إلى ذلك القائد الذي كان منتسباً لحزب الاستقلال ويشغل وظيفة مفتش داخله، في تلك الفترة التاريخية التي مارس فيها هذا الحزب الكثير من الابتزاز، والمغرب في سنواته الأولى من حصوله على حريته واستقلاله.



مع والدتي الحاجة نجيمة



زوجتي السيدة ياسمينه المنصوري
صورة في بداية سنوات السبعين

لقد كان اعتقال والدي وإدخاله إلى سجن لعلو بمدينة الرباط محنة كبيرة لأسرتنا، وخاصة بالنسبة لوالدي التي ترعى أطفالاً صغاراً. فالمسافة بين الناضور والرباط بعيدة، ووسائل النقل في ذلك الزمان غير متوفرة بالشكل المطلوب، وما هو متوفر لا يسعف في تنقل مريح. هذه الوضعية ستضاعف من متاعب الوالدة، في غياب رب الأسرة. غير أن ذلك لم يضعف همتها وعزيمتها، فقد تحملت بصبر ومعاناة، إلى أن أفرج عن والدي.

وإذا كان اعتقال الوالد من الوقائع التي تحملت فيها والدي أعباء ثقيلة، وتركت في نفسها أثراً قوياً؛ فإن الحاجة نجيمة، رحمها الله، ستعرض لواقعة أخرى عاشتها قبل اعتقال والدي، أعتقد أن آثارها النفسية كانت أكبر وأعمق.

فما هي هذه الواقعة التي تركت جرحاً بليغاً في أعماق الحاجة نجيمة؟

يرتبط الحدث بزواج والدي بامرأة ثانية! لا شك أن الصّرة مَصْرَّة في عين الزوجة الأولى! وحساسية المرأة بشكل عام تجاه هذه المسألة كبيرة، ويمكن أن نلمسها عند مختلف الشعوب. كيف فكّر الوالد في الزواج بامرأة ثانية؟ وما هي الظروف التي أحاطت بهذه الزيجة؟



زوجتي ياسمينة مع والدي الحاج المختار المنصوري

في سنة 1954، كان لوالدي صديق معروف بالسّي مصطفى يمارس خطة العدالة، ومن المنتسبين إلى الزاوية الكركرية (نسبة إلى جبل كركر). وقد أبدى هذا الصديق رغبته في المصاهرة مع أسرتنا، واقترح على والدي أن

يتزوج بامرأة ثانية، تنتسب أسرتها إلى تلك الزاوية، وسيتكلف السّي مصطفى بالخطوات اللازمة لإتمام المطلوب.

وفعلاً، عمل صديق والدي على خطبة إحدى بنات السّي أحمد الكركري التي ستصبح الزوجة الثانية لوالدي. كانت هذه الزوجة صغيرة السن، ولم تكن راضية عن هذا الزواج، وسينعكس هذا الأمر على علاقتها بوالدي، ويبدو أن عشرتها الزوجية في بداية الأمر صادفت العديد من الصعوبات، ما كان يدفع الحاجة فاطمة، رحمها الله، إلى اللجوء لبيت والديها، هرباً من منزل الزوجية.

التحاق الضرة بمنزلنا، أمام أعين والدي، لم يكن حدثاً بسيطاً. لقد أحدث هذا الزواج جرحاً عميقاً في نفس والدي، الحاجة نجيمة رحمها الله، رغم أن تعدد الزوجات لم يكن أمراً غريباً في البيئة الريفية التي نشأت فيها، وكنا نقف على ما يخلفه هذا التعدد من منافرة وخصومات بين الزوجات، لتنتقل تلك المشاحنات إلى الأبناء.

غير أن الأمر اختلف في وضعية أسرتي. فمع مرّ السنوات، بدأ دفع العلاقة الودية يدبّ في حياة الزواج الثاني للوالد. وستتعرّز أسرتي بإخوة جدد، بلغ عددهم مع الحاجة فاطمة، الزوجة الثانية، ثلاثة عشر طفلاً، إذا انضاف إليهم سبعة أشقاء من رحم الحاجة نجيمة، ارتفع أبناء والدي الحاج المختار إلى عشرين ذكوراً وإناثاً، شكّل هذا العدد لحمة قوية في بنية أسرتنا. وعلى خلاف ما كنا نسمعه ونراه من صراعات بين أبناء الزواج المتعدد في بيئتنا الريفية، رغم الصعوبات في السنوات الأولى، سرت بين أبناء الحاج المختار روح التآزر والتضامن، ورعاية الكبير للصغير، ومساعدة من يكون في حاجة إلى مساعدة ومساندة، وغدت الحاجة فاطمة أمّاً ثانية، مساهمة في زرع روح الوثام بين الجميع. واستمرت معاملة أبناء الحاجة نجيمة لإخوتهم على نفس الدرجة من العناية إلى أن اشتدّ عودهم، وأشرف الأشقاء على شؤون أبناء الحاجة فاطمة إلى أن التحقوا بأسلاك الوظيفة، بل امتدت هذه العناية إلى أن تزوج كل واحد منهم، وغدا مستقراً داخل أسرته الصغيرة.

ولما كانت والدتي الحاجة نجيمة قد أدت مناسك الحج مع والدي قيد حياته، فإننا حرصنا جميعاً، بعد وفاة والديّ، على تحقيق رغبة زوجة والدنا، الحاجة فاطمة، في أداء مناسك الحج. استمرت اللّحمة العائلية على درب التضامن والتآخي إلى أن التحقت الحاجة فاطمة بالرفيق الأعلى، تغمدها الله وإياهما جميعاً بوسع رحمته، وأسكنهم فسيح جناته. وبقيت تلك العلاقة الأخوية قوية حتى بعد وفاة الوالدين.

ولا بدّ من التأكيد -وأنا أقدمُ هذه الصورة عن علاقة الودّ بين أبناء لأب أنجبهم من زوجتين- على أن أسرتنا أصبحت مضرب المثل في التآخي والتآزر داخل قبيلتنا.



السيد المنصوري بنعلي

مع أخي العزيز الجنرال ميمون:

للأخ الأكبر في العائلة مكانة خاصة. وفي ثقافتنا المغربية، غالباً ما يتحمل هذا الأخ، إلى جانب الوالد، بعض المسؤولية داخل الأسرة، من خلال العناية التي كان يحيطني بها، وأنا أتابع دراستي الثانوية في مدينة تطوان، ثم إشرافه على توجيهي نحو الدراسة العليا الجامعية. وقد سبق أن أشرتُ إلى تكفّله بترتيبات ملفي للالتحاق بالمدرسة العليا للتجارة في فرنسا بمدينة «نانت Nantes». وعندما أتيت لي الإمكانيات، توليتُ مع أخي العزيز ميمون مساعدة الأسرة. ومثلي، أخي مصطفى وبعده أخي الدكتور عبد العزيز تحمّلا المسؤولية معنا. واصلنا، نحن الأربعة، الاستمرار في تحمل المسؤولية بعد وفاة الوالد، رحمة الله عليه، وفي تقديم يد المساعدة لمن يحتاجها، فكان هذا من مميزات عائلتنا، وما غرسته تربية الوالدين فينا.



لوحة لصورة أخي العزيز الجنرال ميمون
قائد الحرس الملكي من 1990 إلى 2020 م

كان أخي العزيز ميمون يدرُس في إحدى ثانويات مدينة الناظور. وحينما حصل المغرب على استقلاله، كان من أولويات الدولة المغربية تأسيس جيش وطني حديث، فكان نداء الملك محمد الخامس لالتحاق المغاربة بهذا الميدان في إطار بناء مؤسسات حديثة للمغرب المستقل.

تلبيةً لهذا النداء الملكي، عبَّر أخي العزيز ميمون عن رغبته في الالتحاق بالمدرسة الحربية في طليطلة بإسبانيا وعمره يومئذ لا يتجاوز **ست عشرة سنة (16)**.

كان الجنرال مزيان مكلفاً بتسجيل الشباب المغاربة الذين عبَّروا عن رغبتهم في التكوين العسكري، بمنطقة الشمال. ونظرا للعلاقة التي للجنرال مزيان برئيس الدولة الإسبانية، الجنرال فرانكو، فإن عملية هذا التعاون في هذا المجال بين الدولتين، وفي إطار تكوين ضباط في المدارس الإسبانية، تمَّت بسلاسة.

وإذا كانت رحلتي إلى فرنسا قد عرفت مفاجأة سفر أخي إلى ألمانيا دون إكمال ترتيبات ملفي... فإن أخي العزيز ميمون لم يسلم بدوره من مفاجأة. كيف؟

لظروف ما، كلف أخي العزيز ميمون أحد أصدقائه، ممن كان يدرس معه في مدينة الناظور، للقيام بتسجيله ضمن الراغبين في الالتحاق بالمدرسة الحربية بإسبانيا، وكان التسجيل بمدينة تطوان. سلمه الملف المطلوب، وطمأنه هذا الصديق بأنه سيكون حريصاً على القيام بهذه المهمة كما يتطلب الأمر! وفعلاً قام هذا الشخص بتسجيل نفسه في لائحة من سيلتحق بالمدرسة العسكرية بإسبانيا، ووضع ملفه كاملاً وبالعناية اللازمة! ثم انصرف إلى حال سبيله دون تسجيل أخي العزيز ميمون! ماذا فعل هذا الشخص بملف أخي؟ الله أعلم!

علم أخي العزيز بما وقع. فانتقل إلى مدينة تطوان حيث يوجد المكتب المكلف بالتسجيل، والذي يشرف عليه الجنرال مزيان. سأل أخي عن ملفه، بعد البحث، أخبروه أن ملفه غير موجود!



أخي العزيز الجنرال ميمون مع أولاده سلمى وسمية وعبد الله وأختي عيشة

كانت ترتيبات التحاق العناصر المسجلة قد اقتربت من نهايتها، ليرحل هؤلاء الشباب قاصدين المدرسة العسكرية بإسبانيا. صُدم أخي العزيز حين علم أن ملفه بكامله غير موجود. كان ذلك اليوم هو التاريخ المحدد لحصر التسجيل. خارج مكتب التسجيل، جلس الشاب ميمون وقد امتلأ قلبه حسرة وألماً. فما لبثت دموعه أن انهمرت، وهو يرى أن فرصة تلبية نداء الملك محمد الخامس تنفلت من يديه. لكن الأقدار الإلهية تسوق للإنسان ما لم يكن في الحسبان! بينما دموع أخي العزيز تسيل على خده، وملامح وجهه ترتسم عليها علامات حزن عميق، يخرج رئيس ديوان الجنرال مزيان من مكتب التسجيل، وهو الكولونيل Colonel بنكيران. لفت نظره هذا الفتى بعينين دامعتين، وسمات الإحباط بادية على محياه. توقف ليسأله. حكى أخي العزيز الواقعة للكولونيل بنكيران بكل تفاصيلها. أمسك هذا الأخير بيد

أخي، وأدخله إلى مكتب الجنرال مزيان، راوياً له ما حدث لهذا الفتى وما تعرض له من خيانة من شخص استأمنه على ملفه. أشفق الجنرال مزيان على أخي ميمون وقد لمس فيه تلك الرغبة الكبيرة في الالتحاق بالمدرسة الحربية تلبية لنداء ملك البلاد، فتمت إضافته بصفة استثنائية في آخر لحظة من ذلك اليوم، وكان الانخراط في المدرسة الحربية الإسبانية سنة 1956.

إن الإشارة إلى الجنرال مزيان في هذا السياق تذكرنا برجل كان يتمتع بتقدير كبير من الدولة الإسبانية، ومن طرف أعلى مراكز السلطة فيها، ويحظى من الجنرال فرانكو بثقة واحترام كبيرين. ويكفي لمعرفة هذه المكانة أن نعلم أن الجنرال مزيان كان المغربي المسلم الوحيد الذي عُيِّنَ قائداً مدنياً



لوحة للمرشال مزيان
محمد بلقاسم زهراوي

Mohamed Belkacem Zahraoui Meziane

وعسكرياً في بعض الأقاليم الإسبانية وآخرها جزر الكناري. ومن التقاليد المتبعة في هذه التعيينات، أن مراسيمها تتم داخل الكنيسة، ونظراً لطبيعة العلاقة الوطيدة التي تربط الجنرال مزيان بالجنرال فرانكو، فقط طلب هذا الأخير من الأسقف ألا تتم تلك المراسيم في الكنيسة احتراماً للجنرال المسلم، فاستجاب لرغبته.

سيتخلى الجنرال مزيان عن كل امتيازاته في إسبانيا ليلتحق بوطنه، وقد ترك حسرة في نفوس الإسبان حين مغادرته إسبانيا، نظراً للسمعة الطيبة التي كان يتمتع بها بين سكان مختلف الأقاليم التي كان يحكمها، وكذا لدى الدوائر العليا والأوساط السياسية التي كانت على علم بما قدمه هذا الجنرال من خدمات جليلة لبلادهم.

وسيحظى الجنرال مزيان بتقدير أعلى في بلده، سواء مع الملك محمد الخامس أو الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراهما. ويكفي أن نعلم أن الملك الحسن الثاني سيرقى الجنرال مزيان إلى رتبة «مارشال»، وهي الرتبة التي لم يحصل عليها أي ضابط في القوات المسلحة الملكية إلى اليوم، وظل مزيان الضابط الوحيد الحامل لهذه الرتبة.

طبيعة العلاقة المتميزة بين الجنرال مزيان والسلطات العليا في إسبانيا سيوظفها الرجل عندما حقق المغرب استقلاله، ومنها مساهمته في بناء القوات المسلحة الملكية. ولما كانت علاقة الجنرال فرانكو بالجنرال مزيان من مستوى رفيع، طلب هذا الأخير من فرانكو السماح بتدريب الطلبة المغاربة، في مختلف المدارس العسكرية، ومن أهمها مدارس مدينة طليطلة، وأخرى للطيران والمدافع؛ وكان أخي العزيز ميمون، أحد الضباط الأوائل الذين تخرجوا من المدرسة الحربية الإسبانية.



مع أخي العزيز الجنرال ميمون بالقصر الملكي بمراكش

وأودّ -وأنا بصدد الحديث عن الجنرال مزيان- أن أشير إلى ذلك الصراع الذي كان بينه وبين الجنرال الكتاني. ميولات هذا الأخير، إلى المدرسة الفرنسية جعلته مُرَجِّحاً لكفة تكوين المدارس العسكرية الفرنسية التي يعتبرها أعلى من مثيلاتها في إسبانيا. فبعد أن تخرَّج الفوج الأول من الضباط المغاربة -الذي حمل اسم فوج محمد الخامس- حاول الجنرال الكتاني أن يُمتَّع الضباط، خريجي المدرسة الفرنسية، بامتيازات خاصة على مستوى الرتب العسكرية، على حساب الضباط خريجي المدارس العسكرية الإسبانية، وهو الأمر الذي أثار غضب الجنرال مزيان، لدرجة أنه أقدم على تقديم استقالته إلى الملك محمد الخامس الذي رفضها، نظراً لما لديه من تقدير لهذا الضابط الكبير. كان جواب الملك واضحاً وفاضلاً، قال طيب الله ثراه: «إننا نريد جمع شمل المغاربة، لا فرق بين الشمال والجنوب، ولا بين خريجي المدرسة الفرنسية أو المدرسة الإسبانية». أشيرُ في هذا السياق، أنني قمتُ بزيارة المارشال مزيان بمدينة مدريد قبل وفاته في سنة 1975.

من المدرسة الحربية بطليطلة، ومن الفوج الذي كان فيه ملك إسبانيا خوان كارلوس، تخرَّج أخي العزيز ميمون ضابطاً، وأدى مهامه بكل إخلاص ووفاء واكتسب ثقة ثلاثة ملوك: محمد الخامس، والحسن الثاني طيب الله ثراهما، وجمالة الملك محمد السادس حفظه الله. وتدرَّج الضابط ميمون في المراتب العسكرية خلال مدة تزيد على ستين سنة، حتى أصبح قائداً للحرس الملكي، ليبقى على رأس هذه المهمة ثلاثين سنة إلى أن حصل على تقاعده، وقد بلغ الثمانين من عمره.

إن الحديث عن أخي العزيز الجنرال ميمون لا تستوعبه صفحات معدودة، بيد أنني أريدُ تسجيل بعض المواقف التي تدلُّ على مكانة التقدير والثقة التي كان يحظى بها من طرف الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه.

أذكر في هذا الباب تلك الزيارة التي قام بها ملك إسبانيا إلى المغرب واستقبله الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، في مدينة مراكش. في هذه الزيارة سأل الملك الإسباني عن الجنرال ميمون؟ لا شك أن السؤال عن ضابطٍ سامٍ في الدائرة الملكية القريبة من الحسن الثاني، سيثير فضول الكثيرين! وما كان لهذا الأمر أن يغيب عن الملك! سيعلم كل هؤلاء أن سبب سؤال الملك خوان كارلوس عن أخي العزيز الجنرال ميمون، يعود إلى أيام الدراسة بالمدرسة الحربية الإسبانية بطليطلة؛ فأخي هو أحد خريجي ذلك الفوج الذي تخرج فيه الملك الإسباني. والتقى الجنرال ميمون بالملك خوان كارلوس، حول مأدبة غداء أقامها ملك إسبانيا في إقامته الخاصة.

وفي زيارة ثانية للملك خوان كارلوس، حيث كان استقبله هذه المرة في العاصمة الرباط، سيقف الملك الراحل الحسن الثاني، طيب الله ثراه، على موقف طريف! كيف؟

تمّ ذلك والملك الحسن الثاني يودع ملك إسبانيا، في ختام زيارته لبلادنا. بعد التوديع، انطلقت سيارة الضيف... بعد لحظة، توقفت تلك السيارة! ظل الحسن الثاني يتابع ما يجري أمام عينيه! لم يفهم سبب هذا التوقف! فإذا بالملك خوان كارلوس ينزل من سيارته، ويتجه صوب فرقة الحرس الملكي التي كانت تقدم التحية للملك؛ وأمام أنظار الملك الحسن الثاني، عانق الملك خوان كارلوس أخي العزيز الجنرال ميمون، الذي كان قائداً للحرس الملكي! فقد لمحّه من نافذة السيارة ليأمر السائق بالتوقف لمعانقة رفيق الدراسة.

من المؤكد أن مشهداً محمّلاً بمشاعر إنسانية، كالذي تمّ أمام الملك الحسن الثاني، سيترك أثره في نفس جلالته الذي وقف على ما يتمتع به أحد المخلصين القريبين من دائرته الخاصة من تقدير واحترام؛ وهما أمران يمكن أن نقف عليهما مرة أخرى، في سياق آخر يرتبط بحادث كبير جرت وقائعه في

شارع الشانزي ليزي Champs Elysées بمدينة باريس، فوق التراب الفرنسي. يرتبط هذا الحدث بآخر زيارة قام بها الملك الراحل الحسن الثاني، قدس الله روحه، إلى الديار الفرنسية، كان ذلك في شهر يوليوز من سنة 1999. والمناسبة احتفال فرنسا بعيدها الوطني الذي يتم كل عام في 14 من شهر يوليوز. وجرت العادة أن يُنظَّم بهذه المناسبة استعراض عسكري كبير، يكون شارع الشانزي ليزي Champs Elysées مكانه. ونظراً للعلاقة الشخصية المتينة بين الرئيس الفرنسي جاك شيراك والملك الحسن الثاني، طلب الرئيس الفرنسي مشاركة فرقة من الجيش الملكي في هذا الاستعراض، وهي أول دولة تشارك بحجم كبير بهذا الاستعراض في العيد الوطني الفرنسي. فكلف الملك الحسن الثاني أخي العزيز الجنرال ميمون بتكوين فرقة من الحرس الملكي للمشاركة في هذا الاستعراض. كانت الحالة الصحية للملك الحسن الثاني غير مرضية، فنصحه بعض المقربين بالاستغناء عن هذا السفر. لكنه كان مُصرّاً على حضور هذه المناسبة، خاصة وأن فريقاً من الحرس الملكي المغربي سيشارك في الاستعراض العسكري الكبير، الذي ينظم بهذه المناسبة. وتعتبر هذه المشاركة حدثاً استثنائياً.

كان حضور الحرس الملكي في احتفالات فرنسا بعيدها الوطني يتطلب استعدادات كبيرة، وتنظيماً محكماً، وانضباطاً لا تشوبه شائبة. لأن هذا الحضور صورة للوطن وللمؤسسة العسكرية الملكية، وما ترمز إليه من قيم مغربية أصيلة.

ومن ثم، كانت ضرورة إسناد مهمة تنظيم مشاركة المغرب في هذه المناسبة إلى من تتوفر فيه الكفاءة المطلوبة في مثل هذه المهام. أسندت هذه المهمة إلى أخي العزيز الجنرال ميمون، وما كان ليكون غير

ذلك. فعلاقة الجنرال ميمون بالحرس الملكي تمتدّ عبر سنوات عديدة، مما مكّنه من خبرة عميقة بمختلف شؤون هذا المرفق العسكري، الملصق بالمحيط الملكي القريب. وهذا القرب مكّن الجنرال ميمون من استيعاب الكثير من الجوانب المرتبطة بتطلعات الملك الحسن الثاني، وحرصه الكبير على إظهار صورة المغرب، في المجالات المختلفة، بالشكل الذي يمثل عراقه حضارته، وأصالته قيمه. لذا كان حرص أخي العزيز الجنرال ميمون على التفاصيل الدقيقة، حتى تكون مشاركة الحرس الملكي في المستوى الذي يُرضي ملك البلاد.

ولتحقيق هذا المبتغى، ركب الجنرال ميمون سبيل المغامرة المحسوبة، بلمسة إبداعية، والحاملة للمبادرة التي تكتسي طابع المفاجأة!

حلّ يوم 14 يوليوز من سنة 1999، وفرقة الحرس الملكي التي ستشارك في استعراض احتفالات فرنسا بعيدها الوطني مستقرة في باريس، قد هيّأت كل ما تتطلبه هذه المشاركة المتميزة. في صبيحة ذلك اليوم، وصل الملك الحسن الثاني والرئيس الفرنسي جاك شيراك إلى شارع الشانزي ليزي Champs Elysées، وكان وصولهما في نفس الوقت، والساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحاً.

بدأ العرض العسكري، ونحن المرافقين لجلالة الملك، في المنصة الشرفية، نرقب وصول الفرقة المغربية. وقبل وصولها، كانت الجماهير المحتشدة في شارع الشانزي ليزي «Champs Elysées»، قد ملأت الأجواء تصفيقاً وتحية لمرور فرقة الحرس الملكي المغربي.

وما إن اقتربت من المنصة الرسمية، حيث يوجد جلالته الملك الحسن الثاني والرئيس الفرنسي -وهنا كانت المفاجأة الأولى- حين بدأت في عزف النشيد الوطني، المغربي والفرنسي (La Marseillaise)...! مقطع من هذا، ومقطع من الآخر بشكل أثار الإعجاب، لم يتمالك معه جلالته الملك والرئيس

الفرنسي نفسيهما فوقفا، ثم وقف الجميع ممن في المنصة الرسمية، إعجاباً بهذا المزج الرائع، الذي يحمل جملة من الدلالات الرمزية، لم يكن انسجام الإيقاعات الموسيقية سوى صورة واحدة لتلك الدلالات.

اكتسى مرور فرقة الحرس الملكي هيبة وروعة في التنظيم، والانسجام والتنسيق في الهيئة، وجمالية عزف النشيدين الوطنيين، وزاد في هذا البهاء ما مثلته المفاجأة الثانية، بدت في مقدمة فرقة الحرس الملكي ! إنها مشاركة المرأة المغربية ! لقد اختار الجنرال ميمون أن يضع في المقدمة امرأة بدرجة كمندار Commandant، وبرتبة علمية عالية، فقد كانت حاصلة على درجة الدكتوراه في الطب. ولا شك أن الجنرال ميمون، وهو المشرف على تنظيم فرقته، حينما وضع طبية عسكرية في المقدمة، كان هذا الاختيار محملاً بعدة رسائل للجمهور المتابع لهذا الاستعراض الكبير، بشكل مباشر أو عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

هذه المشاركة للحرس الملكي في استعراض 14 يوليوز 1999، بمناسبة العيد الوطني الفرنسي، تركت إحساساً عميقاً بالفرح، في نفس جلالة الملك الحسن الثاني. كنتُ ألاحظ ملامح السعادة على محياه، رغم الظروف الصحية الصعبة التي كان يمر بها في تلك الأيام. وسيتأكد لي هذا الأمر بعد عودتنا إلى الفندق الذي نقيم فيه بباريس.

في الفندق، لم يكن جلالة الملك يتحدث إلا عن مشاركة الحرس الملكي في الاستعراض العسكري. كان حديثه ممزوجاً بالإعجاب والثناء على المشاركين، وعلى الجنرال ميمون قائد الحرس الملكي، المشرف على التنظيم. وفي لحظة من اللحظات، شارك جلالته فرحته، مع وليّ عهده الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس) وشقيقه الأمير مولاي رشيد، بالمستوى المشرف الذي ظهرت به فرقة الحرس الملكي في هذا الاحتفال بالعيد الوطني الفرنسي،

ومشيداً كذلك بالصورة الرفيعة لهذا الحضور المغربي.

لم ينحصر هذا الإعجاب فيما قاله الملك الحسن الثاني، بل عبّر الرئيس الفرنسي جاك شيراك نفسه، عن إعجابه بالمستوى الرفيع للمشاركة المغربية، وأبدى لجلالة الملك رغبته في استضافة فرقة الحرس الملكي مدة يومين آخرين، فتمت تلبية طلبه، ونُظمت للفرقة - في إطار هذه الضيافة - مجموعة من الزيارات لمعالم باريس.

لم تسمح الحالة الصحية لجلالة الملك بإطالة الإقامة في باريس، فكانت العودة إلى الرباط. وعندما كنّا في الطائرة، وخلال الرحلة، لم يتوقف جلالته عن الحديث عن هذه المشاركة التاريخية، وكانت ملامح الفرح والسرور بادية على وجهه، وفي خضم حديث جلالته، وصف أخي العزيز الجنرال ميمون بأنه من المهندسين البُنّاءة Les Bâtitseurs . حالة الانتشاء التي كان عليها جلالة الملك بعد هذه المشاركة، شيء لم أر مثله خلال لقاءاتي مع جلالته في الشهور الأخيرة من حياته رحمه الله. كانت حالة استثنائية من الاعتزاز والسعادة.

وكما جرت العادة، عند وصولنا إلى مطار الرباط-سلا، كان هناك أعضاء الحكومة، والعديد من الشخصيات المدنية والعسكرية في استقبال جلالته، فاصطف أخي العزيز الجنرال ميمون مع الجنرالات. وعندما كان هذا الأخير يتهيأ للسلام على جلالة الملك، وضع جلالته يده على كتف الجنرال وخاطبه قائلاً: «أميمون ... حَمَّرتِي لِي وَجْهِي». هذه العبارة بلسانها المغربي الدارج، تحمل في طيّها ذلك التقدير والاحترام من ملك البلاد، لأحد ضباطه السّامين، الذين أخلصوا لمليكتهم ووطنهم، وتفانوا في عملهم على مدى عقود من الزمن.

وسيعزز جلالة الملك هذا الموقف، برسالة ملكية سامية، حملت تنويهاً كبيراً بقائد الحرس الملكي الجنرال ميمون وفرقته. ظلت هذه الرسالة فوق مكتب جلالته، وكانت حالته الصحية قد ازدادت حرجاً. نحن الآن في الأسبوع

الثاني من شهر يوليو 1999، ولم تمر على حضور جلالة الملك استعراض 14 يوليو سوى أيام قليلة؛ وفي يوم 29 يوليو 1999، انتقل الملك الحسن الثاني إلى عفو الله، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

ما مصير الرسالة-التنويه الموجهة إلى الحرس الملكي وقائده الجنرال ميمون؟ حينما تمت مراسيم بيعة جلالة الملك محمد السادس نصره الله، وشرع في ممارسة صلاحياته الدستورية، سيجد فوق مكتب والده الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، تلك الرسالة التنويهية المخطوطة، فتم تسليمها إلى أخي العزيز الجنرال ميمون من طرف جلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

لم يكن قصدي، وأنا أتحدث عن أخي العزيز الجنرال ميمون، أن أبسط كل جوانب مساره المهني، بل حاولت تقديم صورة لأخ عزيز، قدّم تضحيات كثيرة في سبيل أسرته، وأخرى لضابط أخلص للأسرة الملكية، وتفانى في خدمتها وخدمة وطنه، مما بوأه تلك المكانة الرفيعة من الثقة، داخل الدائرة القريبة من الأسرة المالكة.

ولا بدّ في هذا السياق، أن أشير إلى أمرٍ آخر، يؤكد ما كان يحظى به أخي العزيز من رعاية مولوية. فقد كان أحد الخدّام المخلصين للملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وكانت طبيعة عمله تسمح بالقرب من جلالته، فهو قائد لفرقة المظليين المكلفة بحماية القصر الملكي، ومصاحبة جلالة الملك حيثما أقام في أية مدينة من المدن المغربية.

كان الملك الحسن الثاني شديد الحرص على الاستقرار النفسي والاجتماعي للمحيطين به، توفيراً للظروف الملائمة التي يتطلبها أداء مهامهم على الوجه المطلوب، بالانضباط الكامل، والكفاءة العالية.

ولا شك أن الاستقرار العائلي يشكل عنصراً أساسياً في هذا الباب، ومن ثم حرص جلالة الملك أن يكون الاقتران بزوجة أمراً محسوماً في حياة المقربين منه. ولما كان أخي العزيز من هذه الدائرة، فقد تضمنت أحاديث جلالتة مع أخي في بعض لقاءاتهما، إشارات وتلميحات، سينجلي هدفها ذات يوم في مدينة إفران، بداية سنوات الثمانين من القرن الماضي.

كيف تم ذلك؟

كان جلالة الملك يومئذ مقيماً في مدينة إفران. ذات يوم -وقد حان وقت الغداء وأخي العزيز ميمون في غرفته داخل الفندق- فإذا به يسمع من يطرق باب الغرفة! لم يكن سوى صديقه الكولونيل نور الدين القنبي من الدرك الملكي. دخل، وكانت بيده حقيبة، وضعها على السرير، وخاطب أخي مُمازحاً: «أَحْصَلْتِي!» فُتحت الحقيبة ليجد أخي العزيز جلباباً وسلهما وطربوشاً وبلغة!

لا شك أن أسئلة كثيرة دارت في خاطر أخي العزيز، لينتبه وصديقه القنبي يخاطبه: إلبس....! فالجنرال حسني بنسليمان والجنرال سور الله في انتظارك خارج الفندق، في السيارة! أسرع أخي العزيز في ارتداء ما حمل إليه من ملابس، والتحق بالجنرالين، لتنتقل السيارة من مدينة إفران إلى جهة لا يعلم عنها أخي أي شيء!

وعلى طول المسافة التي قطعها السيارة، كان حديث الثلاثة أمشاجاً من المُزاح والضحك، دون أن تغيب الحيرة والدهشة عن الأخ العزيز، في ظل الكتمان الذي التزم به الجنرالان، ولم ينبس بكلمة تفضي إلى الكشف عن موضوع هذه المصاحبة، بل بالعكس، كانا يسألانه مازحين: «هل سيعينك جلالة الملك عاملاً على مدينة إفران؟»، كل هذا ليعبدا تفكير صديقهما عن فكرة الزواج!

بعد أن قطعت السيارة مسافة خمسة عشر كيلومتراً منذ انطلاقتها من مدينة إفران، بدأ يتراءى لأخي العزيز الاتجاه المقصود، والذي لم يكن إلا ذلك المكان الجميل على ضفاف بحيرة تعرف باسم «ضاية عوا». ولاحت من بعيد مجموعة من الخيام المنتصبة حول البحيرة.

لقد كان الملك الحسن الثاني حاضراً في هذا المكان، مصحوباً بالعائلة الملكية، لقضاء ساعات من الاستجمام في فضاء اكتسى حلة من الجمال الطبيعي الذي تُعرف به تلك المنطقة.

عند وصولهم، قصدوا خيمة كبيرة، ليجد أخي العزيز نفسه أمام الملك الحسن الثاني. تقدم الجميع للسلام على جلالته، الذي طلب على الفور حضور العدول! هنا سيفهم أخي العزيز أطوار كل هذه الحكاية!

لقد قرر الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، ومن باب عنايته الكريمة بأحد خدامه أن يدخل أخي العزيز بيت الزوجية، ويعقد قرانه في هذا الفضاء الجميل، وبرعاية خاصة من ملك البلاد!

من هي المرأة التي اختارها جلالة الملك، لتكون زوجة لأخي؟

هي من إحدى الفتيات اللائي احتضنهنَّ المغفور له الملك محمد الخامس، وكنَّ من ضحايا زلزال آغادير، الذي أصاب المدينة سنة 1961. نشأت داخل القصر، في رعاية ملوكية.

لم يكن اختيار الملك الحسن الثاني اعتبارياً، إنَّه اختيار لا يُقدَّم إلا لمن توسم فيه الملك سمات الإخلاص والاستقامة والمروءة.

كان فرح العائلة كبيراً حينما انتهى إلى علمها عقد هذا القران. فسعى العريس إلى إقامة حفل كبير، كان مكانه نادي الضباط بالرباط، زينه حضور أفراد عائلتي، وأعيان منطقتنا الريفية، ومدعوين من الضباط السامين وبعض الوزراء وشخصيات من دوائر القصر الملكي.

وأبت أسرتي إلا أن تشرك معها في هذه المناسبة السعيدة أفراد عائلتنا الكبرى، فنظمت حفلاً آخر في منزلنا بجبل العروي، حضره من لم تتح لهم فرصة الحضور بالرباط، إلى جانب أعيان المنطقة، وبعض الشخصيات.

وما دمتُ بصدد الحديث عن الأجواء التي دار فيها زواج أخي العزيز ميمون، فلا بأس أن أنعطف لحَيِّ طريفة وقعت لهذا الأخ العزيز، وهو يتهيأ للانتقال من فندق إقامته بإفران إلى بحيرة «ضاية عوا»، وقد طُلب منه ارتداء اللباس المغربي التقليدي. تمَّ الأمر على عَجَلٍ! وأخي ذلك الضابط العسكري لم يكن متعوداً كثيراً على ارتداء اللباس التقليدي، فمهامه جعلت من لباسه العسكري زيَّه اليومي. فلما حُملت إليه الحقيبة المشار إليها، وتم ارتداء الجلباب وتبَّعه على إيقاع سريع، ظلت اللمسة الدقيقة التي يجب أن تصحب لباسنا التقليدي غائبة! فكان هذا الغياب باباً نفذ منه تعليق لطيف طريف من الملك الحسن الثاني، وهو في حالة انبساط في جوِّ عقد القران، مخاطباً أخي العزيز: «حَصَّكَ تمشي عند التشريفات الملكية (Protocole) يعلِّموك تلبس الجلالة والسَّلام!»!

لكن الأقدار الإلهية لم تشأ أن يدوم هذا الزواج طويلاً، حيث التحقت الزوجة المصون إلى رحمة الله، بعد حوالي سنة من زواجهما، وورِّي جثمانها داخل القصر الملكي بالرباط، تغمدها الله بوسع رحمته وأسكنها فسيح جناته. وعلى إثر وفاة زوج أخي، تمَّ استقبالنا أنا وأخي العزيز- من طرف الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه، بالقصر الملكي بفاس، لتقديم تعازينا لجلالته، في وفاة المرحومة.

ترك غياب الزوجة فراغاً في حياة أخي العزيز الجنرال ميمون، تغلَّب عليه بالانصراف الكامل إلى عمله الذي يأخذ من وقته القسط الكبير. لكن عين الملك الحسن الثاني لم تكن لتغفل عن شؤون المقربين منه.

لذلك سأجدُ نفسي ذات يوم، وأنا أعادُرُ القصر الملكي بمدينة إفران، حيث كان يقيم الملك الحسن الثاني، أمام الحاجب الملكي المرحوم ابراهيم فرج يناديني ويطلب منِّي عدم مغادرة القصر، قائلاً: «إنَّ صاحب الجلالة يريد التحدث إليك!!» في مثل هذه المواقف، تدور في خلدي أسئلة عديدة: ما موضوع هذا الحديث؟ ولماذا أنا بالضبط؟ ولماذا لم يحدثني عندما كنَّا في الداخل؟ قلبتُ الأمر ظهراً وبطناً... ثم قلتُ في نفسي: ليجعل الله خيراً...؟!!

حينما أُذِنَ لي بلقاء جلالته، وكان لقاءً ثنائياً، خاطبني، رحمه الله، قائلاً: «أبلغ أخاك، الجنرال ميمون، أنني موافقٌ على زواجه». والحق أن هذا الخبر شكّل مفاجأة لي، لأنني أعلمُ أن أخي العزيز لم يكن ينوي الزواج في تلك الفترة، فأثار فقدان زوجته ما تزال مقيمة في دواخله. بدرتُ إلى سؤال جلالته، وكان هذا السؤال هو الوحيد الذي دار في ذهني، أمام جلالته، في تلك اللحظة لربح الوقت: هل الأم المريية للزوجة المرحومة على علم بهذا الزواج؟ لم ينبس جلالته بكلمة، وتركني وانصرف.

كانت الأم المريية، السيدة الطيّبة، تعيش في القصر منذ عهد المغفور له محمد الخامس، الذي كلفها، قدس الله روحه، بتربية المرحومة. وبعد زواج أخي العزيز الجنرال ميمون من ابنتها، ربطت علاقة وطيدة مع عائلتي وخاصة السيدة الوالدة. كانت تكنُّ لأخي العزيز محبة خاصة، ولا تتوانى عن زيارتنا، وهي الزيارات التي تمنحها فرصة للخروج من القصر. وحتى بعد وفاة ابنتها المرحومة، لم تتغير علاقتها بعائلتي، واستمرت على ما كانت عليه حتى وفاتها، رحمه الله، حيث تمّ دفنها قرب المرحومة داخل القصر. لهذه العوامل كلها، ولعلاقتها بعائلتي ومكانتها في القصر، طرحتُ السؤال الذي يبدو أنه لم يرقُ جلالة الملك.

لهذا، وبعد ساعات من مغادرتي القصر، والتحاقني بالفندق، أرسل لي جلالتة الحاجب ابراهيم فرج، الذي أخبرني بلباقته المعهودة، بأن جلالة الملك كلّفه بأن يقول لي «إن هذا الموضوع لا دخل للنساء به». بدأت أتدبّر أمري، وأبحث عن الوسيلة الملائمة والظروف المناسبة لإبلاغ الخبر إلى أخي العزيز الجنرال ميمون. أبلغته. كان الأمر مفاجئاً له. ودار بيننا حوار:

- سألته: هل كنت تفكر في الزواج مرة أخرى؟ وهل كلّفت أحداً لطلب موافقة جلالة الملك على هذا الأمر؟

- تفاجأ بسؤالِي، وقال لي: أنا لم أكلف أحداً، وليس لديّ الآن لا فكرة ولا رغبة في الزواج!

- قلتُ: ولكن ... هذا ما يراه جلالة الملك بالنسبة لوضعيتك.

- أجبني: إن صورة المرحومة ما تزال تسكن ذاكرتي.

- قلتُ: على كل حال... هذا ما وافق عليه جلالة الملك...!

- فقال لي: إذا كان هذا قرار جلالة الملك، وكان قراراً نهائياً، فليس لديّ ما أقول.

والحق أن قصة زواج أخي العزيز للمرة الثانية، قد حيكت من وراء ظهره!

كلّ خطوات هذا الزواج نُسج تديبيرها في خفاء، والأخ العزيز لا علم له بالأمر؟! بل لم يكن لديه أيّ استعداد نفسي للزواج مرة أخرى. لكن لما كان هذا الأمر بتتبع من الملك فقد تمّ هذا الزواج، برعاية جلالتة، تغمّده الله بواسع رحمته. وأودُّ أن أشير إلى أنني بدوري لم أعلم بهذه الخطوات عن الزواج

الثاني لأخي العزيز، إلا بعد مرور فترة من الزمن، فقد عرفتُ مَنْ دَبَّر، وكيف دَبَّر، وكَلَّف مَنْ أبلغ الملك الحسن الثاني، تغمّده الله بواسع رحمته، بأن أخي العزيز الجنرال ميمون ينوي الزواج بهذه السيدة. والحقيقة أنه لم يدر بجَلَدَه الزواج مرة ثانية، ولم يكلف أحداً بذلك.

ورغم ما مرّ به هذا الزواج من صعوبات في السنوات الأولى، فقد رُزق الأخ العزيز من هذه السيدة ثلاثة أبناء: سلمي، وسمية، وعبد الله. نشأوا في أحضان أسرة خيم عليها الوئام، وظللتها محبة عميقة جمعت أخي العزيز بأبنائه، ساهمت في خلق أسباب التوفيق والنجاح، تكلّل بحصول هؤلاء الأبناء على شهادات عليا من جامعات دولية.



في منزلي مع أخي العزيز الجنرال ميمون والشيخ حمد بن علي العطية
مستشار الأمير دولة قطر أثناء زيارته للمغرب .

مع أخي مصطفى:

كان أخي مصطفى المنصوري، من بين أفراد عائلتي، منجذباً إلى الدراسات الاقتصادية، وأظهر هذا الميل بشكل جليّ بعد حصوله على شهادة البكالوريا، وإنهاء المرحلة التعليمية الثانوية، التي تابعها بثانوية الحسن الثاني في مدينة الرباط.



ولتحقيق طموحاته العلمية في هذا المجال، انتقل إلى فرنسا، حيث حصل على شهادة الإجازة في العلوم الاقتصادية، ثم تابع مسيرته العلمية في الجامعة الفرنسية، حتى حصوله على دبلوم الدراسات العليا في نفس التخصص. دفعه حنينه إلى الوطن، للعودة إلى المغرب حيث عُيِّن أستاذاً لمادة الاقتصاد، بالمدرسة الوطنية العليا للإدارة (المدرسة الوطنية للإدارة، سابقاً)، في مدينة الرباط. بيد



جلالة الملك الحسن يستقبل أخي مصطفى المنصوري، الذي قدم لجلالته نسخة من أطروحته التي أنجزها تحت إشراف الأستاذ الدكتور الحبيب المالكي، وفي الصورة، إلى جانب صاحب الأطروحة وأستاذه، بنعلي المنصوري، والجنرال ميمون المنصوري

أن طموحه العلمي لم يخبُ، ووجد في تشجيعي له، حافزاً لتحقيق ما يصبو إليه في مجال الدراسات العليا. من ثم، عمل على تسجيل أطروحته بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، تحت إشراف الأستاذ الحبيب المالكي.

بعد سنوات من المثابرة، وما يقتضيه إنجاز عمل علمي في مستوى الدكتوراه، من عناء وتضحيات، ستم مناقشة هذه الأطروحة، التي نال صاحبها الأستاذ مصطفى المنصوري، درجة دكتوراه الدولة.

سعيثُ بعد ذلك في الحصول على استقبال من طرف الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يقدم خلاله أخي مصطفى، نسخة من أطروحته لجلالة الملك. وأتيحت لي تلك الفرصة، حيث أبيتُ لجلالة الملك رغبة أخي في تقديم عمله العلمي إلى جلالته، وأردفتُ قائلاً: لقد أشرف على هذه الأطروحة، الأستاذ الحبيب المالكي، فجاء جواب جلالة الملك: إذاً، ليحضرا معاً. وكذلك كان، وتم استقبال أخي مصطفى صحبة الأستاذ المشرف الحبيب المالكي، حيث قدم أخي لجلالة الملك نسخة من أطروحته، ودار حوار خلال هذا اللقاء، حول هذا العمل العلمي، بين جلالته وصاحب الأطروحة، وأستاذه المشرف.

كنتُ أرتقب صدى هذا الاستقبال في وسائل الإعلام، غير أن ذلك لم يتم. خاطبتُ السيد إدريس البصري في هذا الشأن، وهو يومئذ وزير للداخلية والإعلام، فوعد، دون تحقيق وعده. ألححتُ في الطلب حتى استجاب، فنشرت وكالة المغرب العربي الخبر، وأذيع على أمواج الإذاعة الوطنية، كما أدرجته التلفزة المغربية ضمن إحدى نشراتها.

كانت خلفية الإلحاح لظهور خبر استقبال أخي مصطفى، من طرف صاحب الجلالة، في تلك المناسبة، هي دفع أخي إلى الواجهة. كنتُ أهينهُ لخوض غمار الحياة السياسية. بدأ ذلك بتشجيعه لخوض غمار الانتخابات المحلية، في منطقتنا بالريف، وبالضبط في جبل العروي. بدأت الخطوة الأولى بالالتحاق

محزب التجمع الوطني للأحرار، وباسمه ترشح في الانتخابات المحلية، التي نجح فيها، وأصبح عضواً في المجلس البلدي لمدينة العروي. ثم ترشح لرئاسة هذا المجلس، فأحرز عليها، وشجعتُه مرة أخرى للترشح للمجلس الإقليمي، ونجح.

ولما حان موعد الانتخابات التشريعية، بدت لي المناسبة سانحة، ليحل أخي في المقعد الذي كنتُ أشغله، داخل مجلس النواب. لقد قررتُ عدم خوض الانتخابات التشريعية القادمة، بعدما كنتُ برلمانيا لمدة تزيد على عشر سنوات!

لكي قبل تنفيذ قراري، كان عليّ إشعار جلالته الملك بهذه الخطوة التي سأقدم عليها. ولما أتاحت لي فرصة اللقاء بجلالته، خاطبته، طيب الله ثراه، في هذا الأمر وقلت: إذا سمح جلالتكم فإنني لن أترشح للانتخابات التشريعية القادمة!

- جاء الجواب فوراً من جلالته: ستترك فراغاً!

- قلت: إن أخي مصطفى، سيترشح في الانتخابات البرلمانية ليحلّ مكاني.

قد يتساءل القاريء الكريم، وأنا أسردُ جانباً من مسار أخي، وقد دخل إلى دوايب الحياة السياسية في المغرب، عن السبب الكامن خلف قراري، بعدم تجديد ترشيحي لدخول مجلس النواب، في الانتخابات المزمع إجراؤها، بعد انتهاء المدة القانونية للمجلس السابق؟ لقد كان خوض غمار الحياة السياسية في بلدي، من أجل تقديم خدمات للصالح العام، ولمنطقتي في بلاد الريف، نظراً لما كانت تحتاجه، وللخصائص الكبير الذي كانت تعانيه في مجالات متعددة. وقد عملتُ على تحقيق أشياء كثيرة، في مختلف مستويات المسؤولية التي تقلدتها، بدءاً من المجلس المحلي إلى مجلس النواب. بيد أنني لقيتُ جزاء سِنَمَار، وخاصة من الجيل الجديد من بعض أبناء المنطقة. فبقدر ما شملني به أبناء المنطقة من كبار السن، من احترام وتقدير، بقدر ما صدمني جحود بعض أبناء الجيل الجديد. وقد أثار هذا الموقف الجاحد في نفسي عميقاً، وألمني بشكل دفعني إلى الزهد في الترشح مرة أخرى، فقررتُ الابتعاد.



مع أخي العزيز الجنرال ميمون المنصوري وأخي مصطفى المنصوري.

غير أن هذا القرار لم يمنعني من مساندة أخي مصطفى، وهو يخوض غمار العمل السياسي. بل ظلت مساندي له قائمة، عبر مسيرته السياسية، حتى إذا حان أوان الانتخابات التشريعية، ترشح إلى مجلس النواب، باسم حزب التجمع الوطني للأحرار.

في تلك المرحلة، كان هناك سوء تفاهم، بين رئيس التجمع الوطني للأحرار، ووزارة الداخلية. أدى هذا الأمر إلى عرقلة ترشح أخي مصطفى إلى مجلس النواب باسم هذا الحزب. كانت سلطات الداخلية تدفعه للترشح باسم الحركة الشعبية.

اتصل بي أخي مصطفى، وهو في حيرة من أمره!

وفي حوار دار بيننا في خضم هذه الانتخابات، قال لي: أنا رئيس المجلس البلدي في العروي ورئيس المجلس الإقليمي في الناظور باسم التجمع الوطني

للأحرار، فكيف يتسنى لي أن أتقدم إلى الانتخابات التشريعية باسم حزب آخر، هو الحركة الشعبية؟

شعرت بالحيرة التي تنتابه، فطلبتُ منه أن يمهلني بعض الوقت، للتفكير في الموضوع، والبحث عن حل لهذه النازلة!؟

أتيحت لي فرصة الحديث مع جلالة الملك، خلال مرافقته إلى ملعب الكولف، بدار السلام بالرباط، فأخبرته بالواقعة، وأسهبْتُ في الحديث معه، طيب الله ثراه، وقلت من جملة ما دار بيننا: من مصلحة البلد، أن يكون أخي مصطفى مرشحاً باسم التجمع الوطني للأحرار، فعطائه سيكون أكبر وأفيد، ضمن حزب التجمع، وهو ما تمّ بالفعل. فقد ترشح أخي مصطفى إلى مجلس النواب، باسم التجمع الوطني للأحرار، وحاز على مقعده داخل هذا المجلس، بل سينتخب رئيساً للفريق التجمعي.

في مسيرة أخي مصطفى، سيتولى مسؤولية عدة وزارات. ففي حكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، تم تعيينه وزيراً للنقل، ثم وزيراً للتجارة والصناعة، وفي حكومة السيد إدريس جطو، عُيِّن وزيراً للتشغيل، لنجد مصطفى المنصوري، وقد دخل المغرب عهداً جديداً مع جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، قد أصبح رئيساً لحزب التجمع الوطني للأحرار.

نحن الآن ندخل عهداً جديداً، مع ملك شاب، يسعى إلى إكمال مسيرة والده، الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، في مجال التنمية، لكن بلمسة خاصة، وطموح أكبر، وروح جديدة، وإيقاع أعلى، وهي خصائص تُميِّز العهد الجديد، وفلسفة جلالة الملك محمد السادس في تسيير دفة الحكم. وهو الأمر الذي تطلب رؤى مبتكرة، مع كفاءات ووجوه جديدة. وكان على الأحزاب السياسية، أن تتجاوب مع طموحات العهد الجديد، فتبحث عن قيادات حزبية تتماشى والروح الجديد، الذي غدا سمة واضحة، مع جلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

في عهد جلالة الملك محمد السادس، سيصبح مصطفى المنصوري، رئيساً لحزب التجمع الوطني للأحرار. فكيف تمّ وصوله إلى رئاسة هذا الحزب؟

حينما خوطب أخي في موضوع ترشحه لرئاسة حزب التجمع، رفض الاقتراح، احتراماً للسيد أحمد عصمان رئيس الحزب، والذي تربطه به علاقة طيبة. بعد هذا الرفض من أخي مصطفى، وُجّه الاقتراح للسيد مصطفى عكاشة، وهو من مؤسسي حزب التجمع الوطني للأحرار. أمام هذه التحركات الساعية إلى إزاحة السيد أحمد عصمان عن رئاسة الحزب، طلب بعض أعضاء المكتب السياسي للحزب، من السيد أحمد عصمان عدم ترشحه للانتخابات التي ستجرى لانتخاب رئيس جديد.

لكن السيد عصمان لم يستغ هذه الطريقة التي يراد بها التخلص منه! فرفض ما طُلب منه. بدأت تظهر بعض التوترات داخل أجهزة الحزب، حينها اتصل بي بعض أعضاء المكتب السياسي، وكان اتصالم هذا، بصفتي عضواً في الديوان الملكي. قاموا بزيارتي في منزلي، وخلاها أبلغوني عدم رضاهم على ترشح السيد أحمد عصمان لولاية جديدة، وأضافوا: إنه في حالة إصراره على البقاء في الرئاسة، فإن الحزب سيكون مضطراً إلى اللجوء إلى وسائل أخرى تجبره على الانصياع!

ومساهمةً منّي في الوصول إلى حلّ لهذا المشكل، ونظراً للعلاقة الوطيدة التي تربطني بالسيد أحمد عصمان، دعوتُه لزيارتي في منزلي، وخلال حديثنا أخبرته بزيارة بعض أعضاء المكتب السياسي، وأبلغته بما قرّ عليه عزمهم، وبما سيقدّمون عليه من خطوات غير محمودة العواقب، إذا ما بقي مصرّاً على الترشح لرئاسة الحزب؛ ونصحته بالألا يتقدم للانتخابات المقبلة لرئاسة الحزب، موضحاً له أن الوضع أصبح الآن مختلفاً، وأن جيلاً جديداً برز في الساحة السياسية، وقد يكون من الملائم جدّاً إفساح المجال أمام كفاءات شابة، لإبراز مؤهلاتها، وتحمل المسؤولية، وكل هذا يصب في خدمة البلاد.

كان السيد أحمد عصمان ينصت إلى حديثي بانتباه كبير، حتى إذا أنهيته، قال: قبل أن أتخذ أي قرار، سأكتب رسالة لجلالة الملك محمد السادس، أسأل جلالتة: هل أرشح نفسي للانتخابات التي ستنظم لاختيار رئيس للحزب، أم لا ؟

فجاء جوابي على الفور: لا داعي لإحراج الملك، وقد لا يجيبك !

- قال: لماذا ؟

- قلت: إذا رفض جلالة الملك طلبك بالترشح لرئاسة الحزب، فقد يُفسَّر تفسيراً تبدو منه ملامح الاعتراض عليك، وإذا وافق على ترشحك، فقد يعتبر تزكية مسبقه لك. لذلك، يبدو لي، أن تجنّب هذا الأمر، أكثر صواباً.

انتهت جلستنا، ليغادر السيد أحمد عصمان منزلي، وقد بدا مقتنعاً بأن الحزب يدخل مرحلة جديدة، يلزمها وجه جديد في القيادة.

وبعد أيام قليلة، سيتصل السيد عصمان بأخي مصطفى، طالبا منه الترشح لرئاسة حزب التجمع الوطني للأحرار، خاصة بعد أن رأى السيد مصطفى عكاشة يدخل حلبة السباق نحو الرئاسة مدفوعاً من بعض الجهات. والحق أن حظوظ أخي مصطفى كانت ضعيفة.

وتحت إلحاح الكثيرين، ترشح أخي مصطفى إلى رئاسة الحزب، وترشح في نفس الآن السيد مصطفى عكاشة الذي كانت ظروفه الصحية تمنعه من التحرك في جميع الأقاليم، للترويج لحملة الانتخابية. ومع هذا، فقد شجعتة تلك الجهات على خوض غمار الانتخابات لرئاسة الحزب رغم الظرف الصحي الذي يمر به، وقد كانت رغبتهم أن يكون السيد عكاشة مجرد رئيس مؤقت، ليسعوا بعد ذلك إلى تغييره، وإفساح المجال لأطر أخرى، لتدبير شؤون الحزب.

خاض أخي حملة انتخابية كبيرة، عبر مختلف الأقاليم، والتقى بأعضاء الفروع المختلفة، مما هَيَّأ السبيل إلى تحقيق نجاح، انتهى بانتخاب الأخ مصطفى المنصوري رئيساً لحزب التجمع الوطني للأحرار، رغم كل الوسائل التي استعملت لإنجاح السيد مصطفى عكاشة.

قد يدور في ذهن البعض، أن المنافسة بين السيد المنصوري والسيد عكاشة، قد أفرزت سوء تفاهم، أو عكّرت صفو العلاقة بين الرجلين، لم يكن الأمر كذلك. كان السيد مصطفى عكاشة رجلاً طيباً، ولقد ظلت العلاقة بينهما على درجة كبيرة من الودّ والاحترام المتبادل، لدرجة أن مصطفى المنصوري، وقد غدا رئيساً للحزب، طلب من السيد عكاشة، اقتراح بعض الأسماء التي يراها مناسبة للاتحاق بالنتيجة الجديدة، التي ستشكل المكتب السياسي في هذه المرحلة.

وفعلاً، سيقترح السيد مصطفى عكاشة بعض الأسماء من أصدقائه، ليلتحقوا أعضاء في المكتب السياسي لحزب التجمع. ونظراً لما أعرفه عن أخي مصطفى من دماثة الخلق، وروح الانفتاح على الآخر، ولما يتمتع به من مرونة في نسج العلاقات، فقد توطدت صلته مع السيد مصطفى عكاشة، لدرجة أنه حين مرض مرضه الأخير، لم يعد يستقبل أحداً، حتى إذا عادَ أخي، أُذِنَ له بالدخول عليه.

بعد فوز أخي مصطفى برئاسة حزب التجمع الوطني للأحرار، سيعمل هذا الحزب على ترشيح أخي لرئاسة مجلس النواب، وهو الأمر الذي تحقق، ليحصل السيد مصطفى المنصوري أغلبية الأصوات، وكان أول ريفي يتراأس مجلس النواب.

ويبدو أن طريق أخي في دروب الحياة السياسية المغربية، لم يكن بدوره طريقاً مفروشاً بالورود، فقد زرع الخصوم في سبيله عدة دبابيس، وتوسّلوا بأساليب عديدة للكيد له. ويكفي أن أشير هنا إلى ما قامت به مختلف

الأجهزة من تحركات للحيلولة دون ترشحه لولاية ثانية لرئاسة مجلس النواب. فكانت الوشاية الكاذبة، واختلاق التهم من الأدوات التي توصل بها المناوئون.

ونفس الحالة عاشها منذ انتخابه بطريقة ديمقراطية، لرئاسة حزب التجمع، حيث لم يستسغ المناوئون أن ريفياً يترأس أحد أكبر الأحزاب في المغرب كالتجمع الوطني للأحرار.

لم يكن يُنظر بعين الرضا لنجاح السيد مصطفى المنصوري في رئاسة الحزب، وبعدها رئاسة مجلس النواب. فكان الخصوم يتحينون الفرص لإزاحته، وذلك ما تحقق لهم. فقد نُقل إلى الدوائر العليا في البلاد، أن السيد مصطفى المنصوري، رئيس مجلس النواب ورئيس الحزب التجمعي، يبدي تعاطفاً كبيراً مع المعارضة، وخاصة مع حزب العدالة والتنمية، وهو الأمر الذي لم يكن صحيحاً البتة. كان رئيس مجلس النواب يتعامل مع جميع الفرق البرلمانية على قدم المساواة، وباحترام الجميع. فتحت قبة البرلمان، يتجسد تمثيل الفئات المختلفة للمجتمع المغربي، أغلبية ومعارضة، ومن ثم، كان أخي مصطفى يعامل الجميع بالاحترام الواجب. أن تُعامل ممثلي الشعب بالاحترام اللازم، وأن تُعامل مختلف الفرق البرلمانية على قدم المساواة، فسره المناوئون لأخي، بأنه ميل أو تعاطف مع المعارضة، ولا سيما حزب العدالة والتنمية ! وهو الأمر الذي سيثبت زيفه فيما بعد، حيث ظهرت حقيقة الشائعات التي كانت تروج ضد أخي مصطفى. فتوالي الأيام كشف أن حزب العدالة والتنمية الذي كان يقدمه البعض إلى السلطات العليا، باعتباره «البُعْبُع» الذي يجب الحذر منه، سيتسلم رئاسة الحكومة، بعد إجراء الانتخابات التشريعية وفوزه بالأغلبية البرلمانية؛ أما أخي مصطفى المنصوري، فلم تمس صورته، وتجددت الثقة المولوية في شخصه، ليعينه صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، سفيراً للمغرب لدى المملكة العربية السعودية؛ والرياض، من المراكز الدبلوماسية السياسية، التي يتمّ التعيين فيها، وفق ضوابط خاصة.

جانب آخر من محيطي العائلي:

وما دمتُ بصدد إشراك القاريء في التعرف على جانب من محيطي العائلي، أودّ أن ألفتُ إلى إخوة آخرين، منهم أخي عبد العزيز المنصوري، الذي التحق في مراحل دراسته الأولى بالمدرسة العسكرية، بمدينة القنيطرة، حيث حصل على شهادة البكالوريا، ليتوجه بعد ذلك إلى تونس لمتابعة دراسته العليا في مجال الطب. وبعد تخرجه، عاد إلى أرض الوطن، وعيّن طبيباً في مستشفى الولادة بالرباط. وبعد فترة، انتقل إلى مدينة مراكش، ليعمد في الأخير إلى فتح عيادته الخاصة بمدينة الرباط، طبيباً متخصصاً في أمراض النساء والتوليد.

أما أخي المرحوم البشير المنصوري، فقد شق طريقه في اتجاه آخر، أوصله إلى شغل منصب من مناصب السلطة، التابعة لوزارة الداخلية، حيث تمّ تعيينه قائداً في منطقة الناظور، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفي رحمه الله، بعد مرض أصابه في أواخر حياته، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.



صورة لإخوتي (من اليمين إلى اليسار) الجنرال ميمون، الدكتور عبد العزيز، القائد البشير.

ومن إخوتي مَنْ مال إلى المجال السياحي، وهو أخي حسن المنصوري. وقد عملتُ على تشجيعه للالتحاق بإحدى المؤسسات العلمية، للحصول على تكوين أكاديمي في هذا الباب. درس في المعهد العالي للسياحة بطنجة، وتخرج فيه. وقد أتاح له تكوينه العلمي الولوج إلى إحدى الشركات الوطنية الكبرى، وهي شركة الخطوط الملكية المغربية (RAM)، حيث شغل منصب ممثل لهذه الشركة في لاس بالماس وبرشلونة، وظل إداراً في هذه المؤسسة الوطنية إلى أن تقاعد.

ومن غادر الوطن من أسرتي الصغيرة، أخي محمد، وكان ذلك في سن لم يتجاوز العشرين، حيث استقر في السويد، مدة من الزمن زادت على عشر سنوات، عاد بعدها إلى أرض الوطن، حيث استقر في إقليم العروي مع عائلته.

أما نون النسوة في عائلتي، متمثلاً في أخواتي، فقد تنوعت مساراتهن. فأختي «عائشة»، أصبحت موظفة في شركة صنوناسيد (SONACID)، الشركة الوطنية للحديد والصلب، لتنتقل بعد ذلك إلى وكالة تنمية الأقاليم الشمالية. والتحقت أختي «ظريفة» بالقطاع البنكي، موظفة في البنك المغربي للتجارة الخارجية (BMCE) (فرع الناظور). أما أختي «أمينة»، فقد شغلت منصباً في إدارة مديرية مراقبة التراب الوطني، وهي الوظيفة التي ما تزال بها إلى اليوم. واجتذبت القطاع البنكي أختي «كلثوم»، فالتحقت بالبنك المغربي للتجارة الخارجية، بمدينة الرباط. وكانت «زهرة» من أخواتي اللاتي كَوَّنَ عائلة طيبة بعد زواجهما، واختارت إقليم العروي مستقراً لها.

وإذا كان هذا الجناح النسائي من أسرتي قد استقر في أرض الوطن، فهناك جناح آخر من نون نسوتنا، اتخذ من بلاد الغرب مستقراً له. فكانت السويد مُقَاماً لأختي «خديجة» بعد زواجهما، على مدى عشر سنوات، لتعود بعد ذلك إلى أرض الوطن. كما كانت ديار الغربية محتضناً لأختي «حليمة» و«نورة»، بعد زواجهما. استقرت الأولى في بلجيكا، والتحقت الثانية بألمانيا. ومما يمكن

الإشارة إليه في هذا السياق، هو ذلك التشابه الكبير بين «نورة» و «عائشة» في حبهما للعمل الاجتماعي، وفي شقه الخيري بشكل خاص. لذلك حظيت «نورة» بين العائلات الريفية في ألمانيا بتقدير خاص، لما اتسمت به من طيبوبة وروح تطوعية لخدمة الغير. فيما يخص أختي المحبوبة جميلة بعد الدراسة والزواج استقرت بالرباط.

توقفت في هذه الفقرات، أسردُ ملامح عن أسرتي الصغيرة، أرسُم من خلالها صورة لعائلة من أعماق الريف. أبغي من وراء ذلك، أن أقدم نموذجاً لما يمكن أن تُنجبه القرى النائية، والعائلات القروية، الشاوية بين الجبال، بعيدة عن المركز، بل هي أَسْر لا تتوفر لها أبسط المقومات لحياة عادية. من قرية لا ماء فيها ولا كهرباء، وتعيش على الكفاف والعفاف، يولد التحدي لبناء الذات، وينبثق الطموح لتغيير الواقع إلى الأفضل. من بين جبال الريف، ومن قرية صغيرة، وُلدت كفاءات عالية، أسهمت في بناء الوطن؛ ليست أسرتي الصغيرة سوى نموذج واحد لهذا التحدي، له شبيه - لا شك - فيما كان منسياً في القرى الأخرى من وطني.

الدخول إلى بيت الزوجية:

خطواتي الأولى نحو هذا البيت، بدأت بعد عودتي من باريز سنة 1967. التحقْتُ بمنزل أخي العزيز ميمون الذي كان على علاقة صداقة مع عائلة الكولونيل (Colonel) أحمد بنيس. هذه العائلة التي كانت تقطن مدينة فاس، ثم انتقلت إلى مدينة الرباط، أواخر سنوات الستين من القرن الماضي.

حينما كانت أسرة السيد بنيس مقيمة في فاس، ربطت علاقة مع أسرة فرنسية، كانت تقطن في إحدى القريبات المجاورة لها. كان رب العائلة الفرنسية، السيد ميشل Michel مهندساً في عمالة فاس. له ابنة اسمها «سيلفيت Sylvette» ربطت علاقة صداقة وطيدة في طفولتها، مع «أمل»، ابنة الكولونيل أحمد بنيس، التي كانت في نفس سنها. ومع مرّ الأيام، ازدادت هذه العلاقة، وتعمقت إلى درجة أن البنيتين أصبحتا غير قادرتين على الابتعاد عن بعضهما،



مع زوجتي ياسمينه، سنة 1970

لمدة قد تطول، بل يمكن القول: إنهما أصبحتا كالتوأم. ولعمق ما ربط بين «Sylvette» و «أمل»، فقد استمرت هذه الصداقة الأخوية بينهما إلى اليوم.

أواخر الستينيات من القرن الماضي، ستضطر الأسرتان إلى مغادرة فاس، لكن، كلٌّ في اتجاه. ستقصد أسرة بنيس مدينة الرباط، ويَمَّت أسرة «ميشل» مدينة طنجة، ليشتغل الأب مهندساً في عمالة هذه المدينة. لكن هذا الانتقال إلى وجهتين مختلفتين لم يؤثر على الروابط التي تجمع بين العائلتين، وخاصة علاقة «Sylvette» ب «أمل»، تلك التي نشأت منذ الطفولة، وامتدت بعد ذلك سنوات طوال. لقد استمر الاتصال والتزاور، لذا كانت Sylvette تتردد كثيراً على مدينة الرباط لزيارة صديقتها الحميمية، أمل بنيس.

أُتيحت لي ذات مرة -بعد عودتي من فرنسا- سنة 1967، فرصة اللقاء بأسرة السيد أحمد بنيس. كنتُ يومها رفقة أخي العزيز ميمون. ومن الصدفة الجميلة، أن Sylvette كانت قد قدمت من طنجة لزيارة عمته في الرباط، السيدة «إليز بُورديي (Élise Bordier)» زوجة المهندس المدير التقني للفوسفاط بخريبكة، وفي نفس الآن زيارة صديقة الطفولة «أمل».

كانت هذه الصدفة، لقائي الأول ب «Sylvette»، في جوّ عائلي، بين أفراد أسرة السيد أحمد بنيس، وأخي العزيز ميمون. وسيغدو هذا اللقاء خطوة أولى لعلاقة ستتطور مع الزمن، لتصبح Sylvette زوجتي.

وإذا كانت بداية هذه العلاقة قد تمت أواخر سنة 1967، فإنني سأجدُ نفسي سنة 1968، أمام قرار عودة السيد ميشل والد Sylvette إلى فرنسا، بعد أن وصل سن التقاعد. رحلت العائلة إلى فرنسا، ورفضت Sylvette الذهاب !

ما سرى بيني وبين Sylvette من مشاعر عاطفية، قوى لديها أسباب الارتباط بالمغرب. كانت الإقامة عند عمته بالرباط السيدة إليز، ذريعة جميلة تمكّنا، نحن الاثنين، من البقاء قريبين من بعضنا. ولا بدّ من الاعتراف هنا، بما قدمته زوجتي من تضحيات في هذا الباب. لقد سافر الأب والأم، وأخوها «كريستيان Christian» الذي لم تكن تفارقه إلا قليلا، وفضّلت البقاء إلى جانبي. ما كان ليكون الأمر على هذه الصورة، لولا عمق ما جمع بيننا من عواطف صادقة.

وما دام الحديث هنا عن أصهاري، فإني أودُّ أن أشير إلى ما كان يتمتع به السيد ميشل Michel من طيبوبة ودمائة الخلق، وهي صفات جعلته محبوباً في الأوساط التي يختلط بها، سواء في حياته المهنية، أم في علاقاته العامة، بعيداً كل البعد عما يمكن أن يُشعر مرافقه بنوع من العنصرية؛ إلى جانب أنه لم يكن رافضاً لعلاقتي بابنته Sylvette، بخلاف زوجته ماري لويز Marie-Louise، التي لم تكن تنظر إلى هذه العلاقة بعين الرضا، لدرجة أنها لم تزر ابنتها بعد زواجنا،

إلا بعد أن رزقنا بابننا «حكيم»، بل بعد أن بلغ حكيم عامه الأول !

ويبدو أن انتقال أصهاري إلى فرنسا، ترتبت عنه مضاعفات نفسية. فمعظم مراحل حياتهم كانت بالمغرب. فقد تعرف السيد «ميشل Michel» على زوجته في المغرب، وفي المغرب تمّ زواجهما، وأنجبا ابنيهما، فكان الانتقال إلى فرنسا أواخر حياتهما بمثابة اجتثاث نبتة من جذورها الأصلية، ونقلها إلى تربة بدت غريبة، استعصى معها التأقلم من جديد. وبعد فترة قصيرة من رحيلهما إلى فرنسا، توفي السيد ميشل Michel، والتحقت به زوجته بعد مدة ليست بالطويلة، ثم توفي ابنهما كريستيان Christian، وهذا الأخير، أوصى بأن يدفن في مدينة طنجة، هذه المدينة التي أخذت بلبّ هذه الأسرة، ومن بينهم زوجتي، التي ما تزال طنجة آخذة بلبّها إلى اليوم.

بقاء Sylvette في المغرب، بعد رحيل أسرتها إلى فرنسا، أتاح لنا الاقتراب من بعضنا أكثر، وتوطدت العلاقة بيننا بشكل أعمق، كانت نتيجتها الطبيعية اتفاقنا على الزواج.

قبل عقد القران، عزمْتُ على إخبار والديّ. سافرتُ إلى الناظور صحبة أخي العزيز ميمون.

عندما وصلنا، وجدتُ والدي مسافراً، حيث كان في زيارة أحد أصدقائه، في منطقة خارج المدينة. أخبرتُ والدي بأنني مقدم على الزواج. باركت بداية، ثم سألتني:

- بمن ستتزوج ؟

- أجبت: سأتزوج من امرأة فرنسية !

بدت على ملامح والدي، علامات ممزوجة بمشاعر، اختلط فيها الفرح بالحيرة !

أحسستُ من التردد الذي انتاب والدتي، بشيء يشي برفض داخلي لم تجرؤ على البوح به، وكأنها لم ترغب في إفساد إحساسي الذي جئتُ به طي الإخبار. ظلت تتظاهر بقبول ما أنا مُقدم عليه. وبدوري، قدّرتُ مشاعر الأمومة التي بدت في هذا الموقف.

بعد ذلك، ركبْتُ وأخي سيارتنا، قاصدين المنزل الذي يوجد والدي ضيفا فيه عند أحد أصدقائه. تفاجأ والدي بحضوري، وسألني: ما الأمر؟

أجبت: خيراً إن شاء الله؛ جئتُ لأخبرك بأنني سأتزوج.

فسألني بدوره: بمن ستتزوج؟ أجبت: زوجتي فرنسية.

لم تظهر على الوالد ما يُشعر بالاستغراب أو الرفض، بل بارك ما أنا مُقدم عليه، مع دعواته لي بالتوفيق.

لم يتجاوز سفرنا، أنا وأخي، يوماً واحداً، بدأت الزيارة صباحاً، تمَّ إبلاغ الرسالة، وكانت العودة مساء في نفس اليوم، إلى مدينة الرباط.

بعد العودة، بدأتُ التفكير في عقد القران، كنتُ أستشيرُ بعض الأصدقاء عما يمكن إنجازه في مثل هذه المناسبة، وعن بعض العادات المتعلقة بالزواج. كانت الخطوة الأولى في هذا الباب، القيام بما هو شرعي، والبداية بكتابة عقد الزواج. وجَّهني بعض الأصدقاء إلى مكتب العدول، يقع في حيِّ المحيط (L'Océan) بالرباط.

أريدُ أن أذكرَ القاريء، أنني أحكي عن سنوات الستين من القرن الماضي، لذلك فإن ذهابي إلى مكتب العدول ليس لتحديد موعد لحضور العدلين إلى منزلنا، ثم بقية الطقوس... لا شيء من هذا حدث!

ذات صباح، ذهبْتُ وخطيبتي Sylvette، يداً في يد، قاصدين مكتب العدول، وأنجزنا، بمفردنا، ما هو شرعي، وتمت كتابة عقد الزواج. ومن بين

ما طرح عليّ من أسئلة في هذه الجلسة: كم ستدفع في الصداق؟ قلت: مائة درهم (100 د).

غادرنا مكتب العدول، وقد غدت Sylvette زوجة لبنعلي المنصوري.

لقد تمّت هذه الخطوة دون إخبار أيّ فرد من عائلتي. لم نُقم حفلاً، ولم ننظم عُرساً بالطريقة التي تتم في مثل هذه المناسبة. ولما أنجزت إجراءات عقد الزواج، أخبرتُ والديّ وأخي العزيز ميمون بما تمّ.

ولما كانت زوجتي Sylvette من مواليد مدينة فاس، في المملكة المغربية، فقد حصلت على الجنسية المغربية، وقد هداها الله سبحانه وتعالى إلى ظلال الديانة المحمدية، فاعتنقت الإسلام، واختارت لنفسها اسم «ياسمينه».

والحقّ أن العلاقة بزوجتي، على مدى العقود التي جمعتنا، وتجمعنا، والحمد لله، إلى اليوم، تميزت بصفاء العشرة، والمحبة الصادقة، هي سَكَن لي، وأنا سَكَن لها؛ بل يمكن أن أقول: إن ارتباطي بزوجتي ياسمينه، كان منعظاً جميلاً في حياتي، أو كما نقول بتعبيرنا الدارج «قَدَامُهَا... قَدَامُ الرِّبْح»، كانت خيراً عليّ وعلى مساري، فمنذ تزوجتها وأنا في صعود مهني واجتماعي، وأعتبر الأمر فضلاً من الله تعالى.

فمنذ السنة الأولى (1969) من زواجنا، أخذت زوجتي ياسمينه على عاتقها مسؤولية تسيير شؤون البيت، والاهتمام بكل ما يتعلق بشخصي، ولم تدخر جهداً في السهر على راحتي. كانت مثلاً للصبر، مُقدِّرة لظروف عملي ومهامي، مجتهدة في إبعاد كل ما يمكن أن يعكر صفو حياتنا الزوجية، التي امتدت وتمتد -بمشيئة الله- على مدى نصف قرن وتيّف من الزمان. وتضاعف ثقل مسؤوليات زوجتي بعد ولادة ابننا «حكيم».



مع إبنى حكيم

وكشفت الأيام أن Sylvette لم تجد عناء كبيراً في الاندماج مع أسرتي. فالعلاقة مع والدي غدت على درجة عالية من الانسجام والتفاهم، علماً أن الوالدة أبدت في البداية نوعاً من التحفظ على زواجي بها، ليتحوّل التحفظ إلى وئام مع ياسمينه. كانت زوجتي إذا تأخرت أو أبطأت زيارتها للوالدة، كثر السؤال عنها وعن سبب الغياب! لقد كانت ياسمينه تحظى بمكانة خاصة، عند الوالد والوالدة، ولم يحدث أبداً بين الطرفين أي شأن، أو ما يعكّر صفو العلاقة، وحينما تمازحها والدي تقول لها: لقد تزوجت أصعب أبنائي «الله يكون في عونك»! ولم يكن هذا الدفء في العلاقة محصوراً في الأبوين، بل امتد إلى إخوتي وأخواتي، وخاصة أخي العزيز الجنرال ميمون، وأخي مصطفى، وأخي عبد العزيز، وأختي «عائشة». فعلاقة هذه الأخيرة بزواجتي، علاقة متميزة خاصة في السنوات الأخيرة، بحيث يمكنني القول: إن زوجتي ياسمينه تعتبر أختي «عائشة» في مقام ابنتها، فهي محطّ بعض أسرارها! وبعض هذه الأسرار لا أعرف عنها شيئاً!

ولعائشة مكانة خاصة عندي كذلك. أشعرُ بأنها أقرب أخواتي إلى نفسي، علماً أنّ روابط المودة والعطف بيننا جميعاً متينة، وأصرة القربى لا تشوبها شائبة. لكن، تبقى لعائشة تلك المكانة، التي جعلت منها صلة وصل وتواصل، بيني وبين أخواتي الأخريات. هي صاحبة شخصية قوية، مع طيبة وحنان كبيرين، وجمعها بين هذه الصفات تجعلك مطمئناً في الاعتماد عليها في العديد من المسائل التي تخص الأسرة. ومن ثمّ كانت لي سنداً في الكثير من شؤوني الخاصة. أختي عائشة، بها شبه كبير بوالدي رحمها الله، شخصية قوية، لها تمسك عميق بتعاليم الإسلام الحنيف، مع المحافظة على القيم النبيلة، وهي بذلك تجسّد بحق نموذج المرأة الريفية الأصيلة.

وإذا كانت لي «عائشة» هذه الحظوة مع زوجتي، فقد وجدت فيها عائشة وعبد العزيز ومصطفى أستاذة للغة الفرنسية في طفولتهم، وخاصة في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي، فقدّمت المساعدة لمن يحتاجها، وبذلك سمت مكانة ياسمينة بين أفراد أسرتي. هذا الاندماج كانت له صورة أخرى في العلاقات التي ربطتها زوجتي مع بعض العائلات المغربية، وتشكل الجانب الأكبر في حياتها الاجتماعية، ساعدها في ذلك ما تتسم به من تواضع، وما تقوم به من أعمال خيرية، كل أولئك أكسبها سهولة الاندماج في المجتمع المغربي، والأمر ليس بغريب، إذا علمنا أنها من مواليد هذه البلاد المغربية.

غير أن هذا الانفتاح على المجتمع المغربي، سيّجته الزوجة بحدود معينة. ومن ثمّ كان ابتعادها عن الأضواء، فلم ترغب في ربط علاقات مع زوجات الوزراء، ولا تحضر الحفلات الرسمية التي كُنّا ندعى لها. لقد حددت الدائرة الاجتماعية التي كانت تراها أقرب إلى طبيعتها، مع اهتمام بهواياتها الرياضية، ممثلة في كرة المضرب والفروسية، وميولاتها الفنية، وخاصة الفن التشكيلي. فقد كانت زوجتي ياسمينة ميالة منذ وقت مبكر إلى رسم اللوحات الفنية، بيد أنها لم تكن ترغب في الخروج بهذه اللوحات إلى العموم؛ فلم تَسعَ إلى

إقامة معارض، رغم تشجيعي لها على ذلك، بل كانت تكتفي بعرضها أمام بعض الأصدقاء، أو أفراد من العائلة، حينما يقومون بزيارتنا في البيت، وتقوم أحيانا بتقديم لوحاتها لبعضهم، ممن يبدو إعجابهم بما أبدعته فرشاتها، وألحوا في الحصول على إحداها. وإلى جانب الفن التشكيلي، تتمتع ياسمينة بميول راجحة إلى الفن الموسيقي، شغفتها بإتقان العزف على آلي القيثارة والبيان (البيانو).

كانت الأم خير مدرسة، أخذ عنها «حكيم» ما يتمتع به من أخلاق عالية، وتشبث بواجباته الدينية الإسلامية. ورغم أن ابني «حكيم» من الذين أتيحت لهم فرصة الدراسة الأولى داخل نظام البعثة الفرنسية، بثانوية «ديكارت»، في الرباط، فإن الرعاية المنزلية، والتأطير الذي أحيط به داخل المنزل، جنبه بعض المزالق التي يقع فيها بعض تلامذة هذا النظام التعليمي الفرنسي. وإذا كانت الرعاية داخل الأسرة لها دورها، فإن انتقال «حكيم» في مرحلة التعليم العالي، إلى النظام المغربي، قد ساهم في التشبع بالقيم المغربية. ف «حكيم»، هو أحد خريجي الجامعة المغربية، حيث التحق بعد حصوله على البكالوريا، بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، بجامعة محمد الخامس، بالرباط، حيث حصل على الإجازة، ثم دبلوم الدراسات العليا، فدكتوراه الدولة، وكلها شهادات في مجال العلوم الاقتصادية.

ولقد كان الإشراف على إدارة شؤون البيت أساً رئيساً في حياتها، وسيزداد هذا الانشغال، بعد أن رُزقنا بابننا «حكيم»، الذي زاد البيت بهجة وملاءة سعادة أكبر. ولا بدّ في هذا السياق، أن أشير إلى الدور الكبير الذي قامت به زوجتي، في تنشئة ابنا حكيم. فالفضل في هذا الباب يعود إليها بالدرجة الأولى. ذلك أن مشاغل والتزاماتي، تجعني أتغيب عن البيت مدة طويلة، خاصة حينما يطول مقام الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، في إحدى المدن المغربية، أو خلال بعض رحلاته خارج الوطن.

*** **



صورة مع ابني حكيم في طفولته



حكيم في طفولته



زوجتي وبين ذراعيها ابنا حكيم



حكيم في طفولته

عُرس ابني حكيم:

ودون أن أخوض في الحديث عن المراحل المختلفة التي تدرج فيها ابننا، دعني أحط مباشرة في مرحلة متأخرة من مساره، يوم فاتح حكيم والدته برغبته في الاقتران بالفتاة التي ستغدو زوجته، وبالتالي دخوله مرحلة من الحياة، يرتفع فيها حسّ المسؤولية درجات.

كان ما أخبرتني به والدته مفاجأة لي. وما إن سقط الخبر في أذني، حتى طافت بخاطري ذكريات، استرجعتُ معها ما خامرني من مشاعر، يوم عقد قراني، أعادني أدراجي إلى سنوات الستين من القرن الماضي. وأخذنا -أنا وزوجتي- مهلة للتفكير، كُنّا غير مرتاحين لزواج ابننا من فتاة فرنسية، وبعد إلحاحه وافقنا، لأنني كنتُ أتساءل كيف سأرفض لابني ما لم يرفضه والدي لي، وهو الزواج من فرنسية. وهذا كله كان مقدرًا من الله.

وحينما حدثتُ مع أسرتي الصغيرة تاريخ حفل زفاف ابننا حكيم، ليكون يوم 9 يوليوز 2004، رغبتُ أن أحقق في هذه المناسبة، ما لم يتأتَّ لي في عُرسِي. لذا وفَرْتُ لهذا الحفل كل الحفاوة التي تعطي لهذا الزفاف طابعاً خاصاً، وتجعل منه عُرساً مغربياً أصيلاً، وفي المستوى الذي يعكس درجة حُبِّنا -أنا وزوجتي- لابننا حكيم.

ومما عمَّق فرحتي في هذه المناسبة، ما حظيت به أسرتي الصغيرة من التفاتة ملكية كريمة، حيث توصل العروسان بهدية ملكية من جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله ورعاه، فتسلم ابني ساعة ذهبية رفيعة، وحظيت زوجته بجزام ذهبي (مضمة) بصياغة متميزة.

وقد شرفني بحضوره البهيم في هذه المناسبة، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، حفظه الله، وكذا حضور الشَّريفين مولاي عبد الله ومولاي يوسف، ابني الأميرة للا فاطمة الزهراء، أخت الملك الحسن الثاني، وزوجة الأمير مولاي علي.



جلسة كتابة عقد الزواج بحضور العدلين



إبني حكيم (العريس) مع جدته الحاجة نجيمة



إبني حكيم (العريس) على صهوة جواد داخل الحفل
صورة ترتبط بترائنا الأصيل



مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد



إبني حكيم (العريس) مع الشريف مولاي عبد الله ابن الأميرة للافاطمة
الزهراء (ابنة الملك محمد الخامس)



العروسان مع الشريف مولا يوسف ابن الأميرة للافاطمة الزهراء
(ابنة الملك محمد الخامس) والأمير مولاي علي.

لقد حضر زفاف ابني حكيم معظم أفراد عائلتي، وعلى رأسهم والدتي التي كان شعورها بالفرح على درجة عالية، وهي ترى حفيدها يعقد قرانه وسط هذا الحفل الكبير. وبقدر ما كنتُ سعيداً بفرحة والدتي في هذه المناسبة، بقدر ما حَزَّ في نفسي غياب والدي الذي كان قد انتقل إلى عفو الله، قبل أن يتم هذا القران، تغمده الله بواسع رحمته، لكن، كان للوالد مع ذلك حضور آخر، عبر ما خامرني في وجداني وتذكّري لأمنيته بأن يرى حفيده يوم زفافه، في حفل بهيج.

وازدان هذا الحفل كذلك بحضور العديد من الشخصيات المدنية والعسكرية، أذكرُ منهم: مولاي أحمد العراقي، الذي شغل في فترة سابقة منصبى رئيس الحكومة ووزير الخارجية. لم يكن هذا الرجل من الذين يخالطون الناس بشكل كبير، وعلاقاته محدودة، لكنه أبى إلا أن يشاركني هذه اللحظة السعيدة في حياتي، فانتقل من الدار البيضاء، محل سكنه، إلى مدينة الرباط، صحبة الدكتور الطاهر ماركوش، صديقي المقرب، لحضور هذه المناسبة، نظراً للعلاقة الخاصة التي كانت تربطني به، والتي تمتد من جهة أخرى، إلى صديق مشترك، هو الدكتور مصطفى بوجيبار، زوج السيدة «عيشة»، ابنة المجاهد عبد الكريم الخطابي، الذي أبنْتُ عن صلتى به وبأسرته في سياق آخر.

ومن الشخصيات والأصدقاء -الذين أذكرُهم- وشرفوني بحضورهم في حفل زفاف ابني حكيم، منهم من تحمل مسؤوليات رئاسة الحكومة أو مسؤوليات وزارية، أو شغلوا مناصب على رأس أحزاب ومؤسسات كبيرة، أذكرُ السادة: أحمد عصمان (الوزير الأول السابق ورئيس البرلمان ورئيس حزب التجمع الوطني للأحرار)، كريم العمراني (الوزير الأول السابق)، عز الدين العراقي (الوزير الأول السابق)، إدريس جطو (الوزير الأول السابق)، عباس الفاسي (الوزير الأول السابق)، محمد عوَّاد (وزير الدفاع ومستشار صاحب الجلالة)، محمد بوسته (الكاتب العام لحزب الاستقلال ووزير الدولة

في الخارجية السابق)، محمد اليازغي (الكاتب العام لحزب الاتحاد الاشتراكي ووزير السكنى والتعمير السابق)، نبيل بنعبد الله (الكاتب العام لحزب التقدم والاشتراكية ووزير السكنى والتعمير السابق)، عبد الرحمان الكوهن (وزير السياحة السابق)، أحمد السنوسي (وزير الإعلام السابق)، عبد اللطيف الجواهري (وزير المالية السابق ووالي بنك المغرب)، محمد القباچ (وزير الأشغال العمومية السابق)، الحبيب المالكي (وزير الفلاحة السابق)، الدكتور رحالي رحال (وزير الصحة السابق)، محمد العلمي التازي (وزير التجارة والصناعة السابق)، الدكتور ماء العينين بيد الله (رئيس البرلمان ووزير الصحة السابق)، محمد أوجار (وزير العدل ووزير حقوق الإنسان السابق)، عبد الرحمان بوفتاس (وزير السكنى والتعمير السابق)، عبد السلام زُينند (وزير الشؤون العامة السابق)، حسن اليعقوبي (زوج الأميرة للا عائشة، أخت الملك الحسن الثاني)، مصطفى الكتيري (المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير)، عثمان بنجلون (الرئيس، المدير العام للبنك المغربي للتجارة الخارجية)، مراد الشريف (المدير العام للمكتب الشريف للفوسفاط السابق)، عبد السلام أحيزون (الرئيس، المدير العام لاتصالات المغرب)، محمد العلج (المدير العام للمكتب الوطني للسكك الحديدية)، عبد الجليل الحجمري (مدير المعهد المولوي وأمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية)، الحاج أحمد الحريري (مدير وكالة الأسفار).

ومن الشخصيات العسكرية، أذكرُ الجنرالات: حسني بنسليمان (الذي لا يخالط النَّاسَ كثيراً). عبد الحق القادري، سور الله بنعاشر، بنعلي أحرش، محمد الدغمي، عبد الكبير بنيعيش، بوبكر السكيرج، محمد التمساني، محفوظ الكاملي، والكولونيل حسن اليوسي (ابن أخ لحسن اليوسي وزير التاج السابق).

وأتذكر من العنصر النسوي، اللائي حضرن حفل هذا الرَّفَّاف: السيدة «عيشة» ابنة المجاهد عبد الكريم الخطابي، والدكتورة ليل أمزيان ابنة المارشال

أمزيان، والدكتورة الصيدلانية ليلي بنهيمه ابنة الدكتور محمد بنهيمه الوزير
الأسبق، وبنات المحجوبي أحرضان: مايا، وكنزة، وفانو.

ومن الأصدقاء الذين حضرت أسماؤهم، وأنا أتحدث عن أجواء هذه
المناسبة: السيد إدريس أرجوج عامل إقليم طانطان، الدكتور عبد السلام
الخمليشي، الدكتور نجيب الوزاني، السيد حسن أوشن والي جهة الدار البيضاء
الكبرى، الحاج أحمد البوكيلي، والسيدان: محمد بوهريز، والطاهر شاكر من
رجال الأعمال بمدينة طنجة، ومحمد لبحر (رئيس المجلس البلدي للحسيمة)،
وأحمد بنعمر (المدير الجهوي لوزارة الفلاحة بإقليم الحسيمة)، والحاج علي
اليوسفي، والحاج بنعيسى الصباغي من رجال الأعمال بالدار البيضاء؛ وهؤلاء
السادة من بعض مؤسسي جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط».

ولما كانت المناسبة جالبة للفرح والانشراح، فقد كان لحضور الفن وأهله
مكانة بين الضيوف، وأضفوا بمشاركتهم المتميزة طابعا من البهجة والسعادة،
خيّم على أجواء حفل الزفاف. وأذكر من هؤلاء الفنانين والرياضيين: الفنان
التشكيلي حسن الـكـلاوي، ولاعب كرة القدم الكبير والدولي حسن أقصي،
المطربة الكبيرة حياة الإدريسي، والحاج يونس، وعبد الرحيم الصويري.
ويصعب في هذا الباب تذكّر كل الضيوف الذين شاركوني وأسرتي هذا الحفل،
بل يصعب كذلك سرد أسماء هؤلاء جميعاً في سياق هذه الكتابة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحضور الذي شاركنا فرحتنا بهذا الزّفاف،
مثل مُدنا مغربية مختلفة، أذكر منها: الناظور، الحسيمة، الشاون، تطوان،
طنجة، الرباط، الدار البيضاء، فاس ومكناس...

ومن اللطائف التي ظلت عالقة بذاكرتي، في ارتباطها بزفاف ابني
حكيم، ما قام به صديقي الحاج محمد بن هدي من مدينة الناظور.

ما الذي انبرى إليه هذا الريفي الأصيل؟

لقد أصرَّ على أن تكون اللبسة التقليدية الريفية حاضرة في هذه المناسبة المرتبطة بحفل زفاف ابن أحد أصدقائه. لقد فاجأني هذا الصديق، ونحن في غمرة الاحتفال، بِالْهَدِيَّةِ هي عبارة عن ثَوْرَيْنِ، ساقهما من الناضور إلى مكان الحفل بالرباط، بكل الطقوس التقليدية المصاحبة من أهازيج وموسيقى ومُرَدَّدات !

ولطيفة أخرى كانت بمبادرة صديقي الحاج علي اليوسفي «السوسي الأصيل»، الذي جاء قادما من الدار البيضاء، فيماذا سيفاجئني؟

لقد انتقل هذا الصديق إلى مكان الحفل بالرباط، مُصاحِباً بفرقتين كاملتين، تمثلان جانبا من التراث الموسيقي السوسي، لمشاركتنا فرحة هذا الزَّفاف. والحق أن المبادرتين معاً، من هذين الصديقين، كانتا مفاجأة بالنسبة لي ولأسرتي.

وأنا أتحدُّث عن حفل زفاف ابني حكيم، أودُّ أن أسجل بأنه لم يطلب مِنِّي أبداً إحاطة زفافه بكل تلك الحفاوة ومظاهر الاحتفال التي وقرَّتها له بهذه المناسبة العزيزة، كانت رغبته أن يكون حفل زفافه بسيطاً، وفي إطار عائلي محدود جدًّا، لكنني كنتُ مُصرًّا على إقامة حفل كبير وبهيج وبشكل متميِّز؛ ربما كان في الأمر نوع من التعويض عما لم يتحقق لي يوم زفافي !

*** **



إبني حكيم (العريس) محاطا بوالده المنصوري بنعلي وعمِّيه الجنرال ميمون والدكتور عبد العزيز، والعروس في «العمارية» المنمقة



لحظة توجّه ابني حكيم وزوجته إلى منصة العروسين



جلسة الحناء



إبني حكيم المنصوري (العريس)



العريس، ابني حكيم محمولا في لحظة فرح.
صورة من تقاليد العرس المغربي



صور عائلية لأفراد أسرتي خلال حفل عرس ابني حكيم



في الصورة السيد المنصوري بنعلي، العروس وابني حكيم (العريس) ووالدته



المرحومة عائشة ابنة المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي وهي أصغر بناته،
وقد ولدت في جزيرة لارينييو «La Réunion» خلال مرحلة نفي والدها. والصورة
التقطت لها عند حضورها حفل عُرس ابني حكيم يوم 09 يوليوز 2004

صور لبعض الشخصيات التي حضرت حفل عرس ابني حكيم



في الصورة: أحمد عصمان، (الوزير الأول السابق) مولاي أحمد العراقي (الوزير الأول السابق) عبد الرحمان بوفتاس وزير السكنى



في الصورة: كريم العمراني (الوزير الأول السابق) أخي الدكتور عبد العزيز المنصوري،
المنصوري بنعلي



مع ادريس جطو (الوزير الأول السابق) وعز الدين العراقي (الوزير الأول السابق)



في الصورة من اليمين إلى اليسار : مراد الشريف وزير المالية، الشيخ ماء العينين وزير الصحة، ادريس جطو وزير (الوزير الأول السابق) ، عز الدين العراقي (الوزير الأول السابق) كريم العمراني (الوزير الأول السابق) الجنرال حسني بنسليمان، رحالي رحال، وزير الصحة، عباس الفاسي وزير السكنى ، العلمي التازي وزير التجارة



مع الأستاذ محمد بوستة الأمين العام لحزب الاستقلال، ووزير الدولة للشؤون الخارجية. وفي الصورة عن اليمين أخي الدكتور عبد العزيز المنصوري، ومحمد أمين بنعبد الله الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية



أخي مصطفى المنصوري، وفي الصورة، عبد السلام زينبند،
وخلفه الوالي حسن وشن



في الصورة من اليمين إلى اليسار: الحاج أحمد الحريري، حسن اليعقوبي (زوج الأمير
للا عائشة ابنة محمد الخامس)، عبد الرحمان الكوهن وزير سابق



مع الكاتب العام لحزب الاتحاد الاشتراكي السيد محمد اليازغي
على يسار الصورة، أخي محمد المنصوري.



في الصورة من اليمين إلى اليسار: عثمان بن جلون وحرمة، الدكتورة ليلى ابنة المارشال مزيان، أحمد عصمان الوزير الأول وحرمة.



في الصورة من اليمين إلى اليسار: أخي العزيز الجنرال ميمون، المنصوري بنعلي، عبد اللطيف الجواهري، الجنرال عبد الحق القادري، مصطفى المنصوري، في حديث مع العريس ابني حكيم



مع أخي العزيز الجنرال ميمون، ومولاي مصطفى العلوي وحرمة.



مع صديقي العزيز الجنرال عبد الحق القادري



أخي العزيز الجنرال ميمون في حديث مع عبد الرحمان بوفتاس وعبد الجليل الحجمري
مدير المعهد المولوي، أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية.



في الصورة من اليمين إلى اليسار: أخي العزيز الجنرال ميمون، الدكتور الشيخ بيد الله ماء العينين وزير الصحة، أخي مصطفى المنصوري



في الصورة من اليمين إلى اليسار: أخي حسن المنصوري، وأخي مصطفى المنصوري
والكولونيل حسن اليوسي وحرمة ثريا بوخرطة



في الصورة من اليمين إلى اليسار: المنصوري بنعلي، أخي العزيز الجنرال ميمون،
الجنرال بنعيش، الجنرال الكامي



مع الجنرال محمد الدغمي



مع عبد السلام أحيزون المدير العام لاتصالات المغرب



في الصورة: من اليمين إلى اليسار: أخي عبد العزيز المنصوري، حسن أقصي اللاعب الدولي لكرة القدم، وأخي العزيز الجنرال ميمون



مع الفنان التشكيلي حسن الكلاوي



من اليمين إلى اليسار: الحاج بنعيسى السباعي، أخي العزيز الجنرال ميمون،
الحاج علي اليوسفي



في الصورة من اليمين: المنصوري بنعلي، أخي العزيز الجنرال ميمون،
عبد اللطيف الجواهري والي بنك المغرب



في الصورة من اليمين إلى اليسار: عبد الجليل الحجمري، الجنرال محمد التسماني،
الجنرال بوبكر السكيرج، الجنرال الكاملي



في الصورة، عن اليسار حول المائدة: عبد الجليل الحجمري،
الجنرال محمد التسماني، محمد القباج مستشار صاحب الجلالة

من المشاركين في إحياء حفل عُرس ابني حكيم



من المشاركين في إحياء حفل عُرس ابني حكيم، فرقة لأحواش سوس، وهي فرقة جاء بها صديقي الحاج علي اليوسفي



عناصر نسائية من فرقة أحواش السوسية



فرقة من شيوخ الغناء بإقليم الناظور، جاء بها صديق العائلة
الحاج محمد بن هدي



عناصر نسائية من فرقة شيوخ الغناء بإقليم الناظور



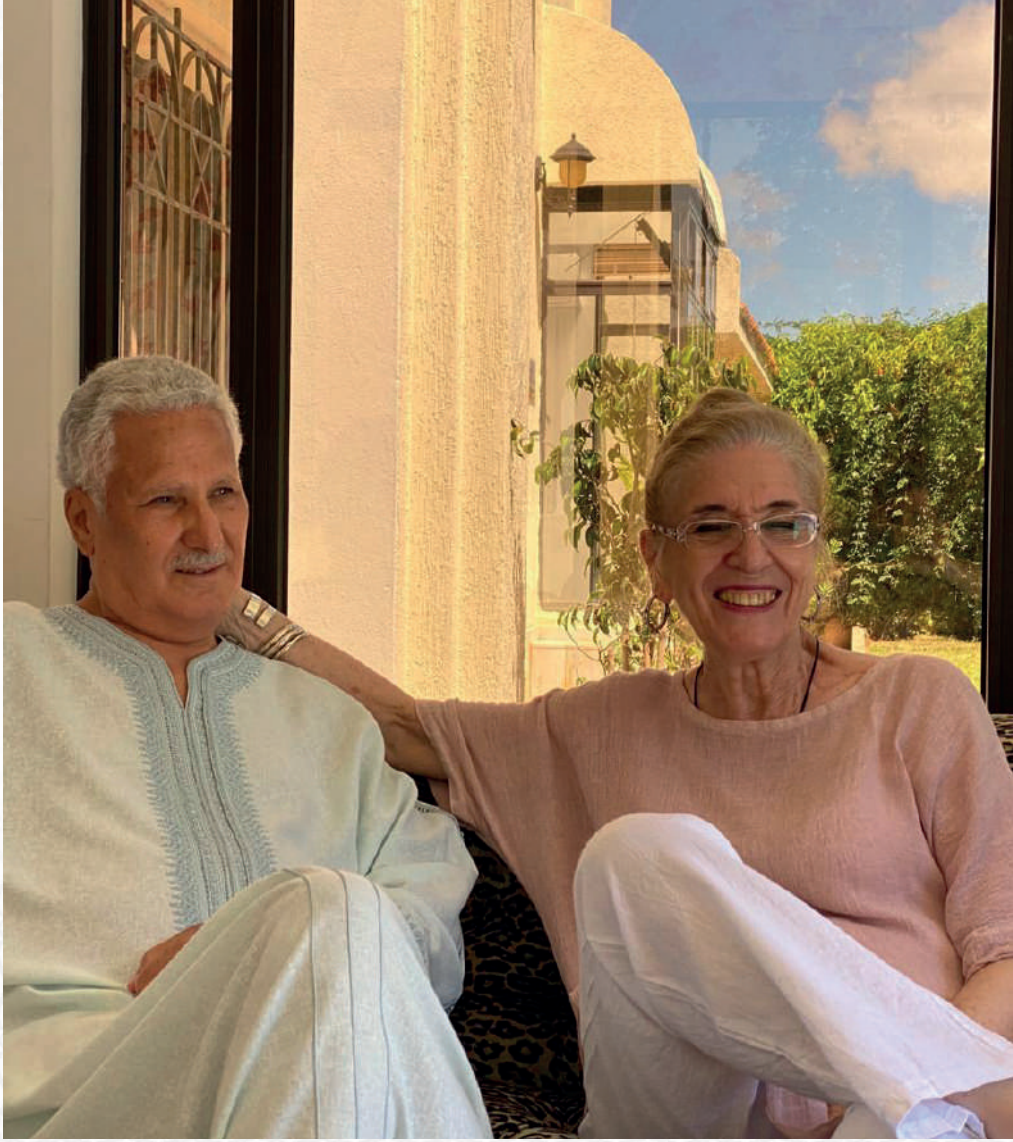
المطربة حياة الإدريسي
وفي الصورة عازف العود المتميز الحاج يونس



الفنان عبد الرحيم الصويري



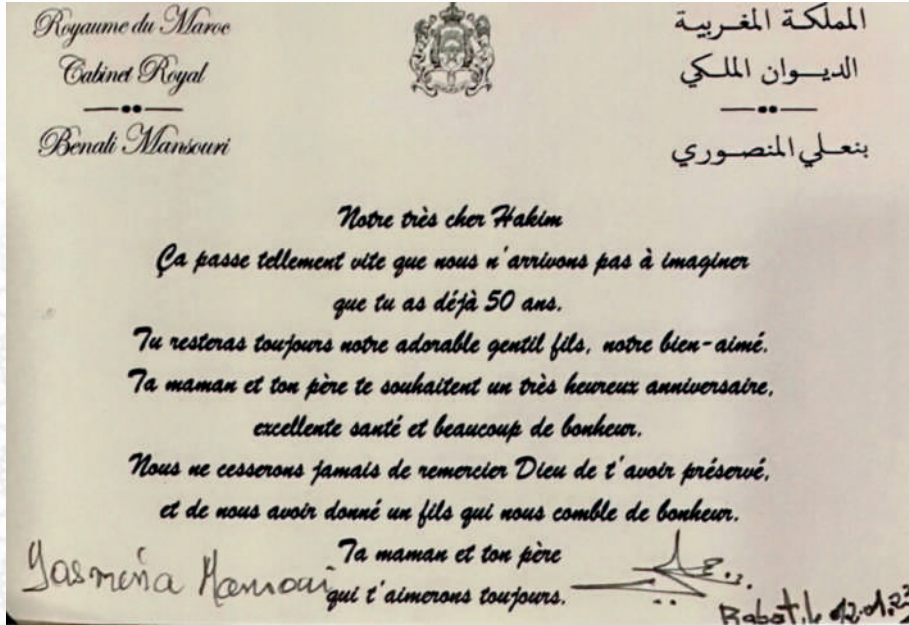
هدية محمولة من قرية تيزطوبين (إقليم الناظور) إلى منزلي بالرباط، حيث مكان حفل
عُرس ابني حكيم، وصاحب هذه الهدية صديق العائلة الحاج محمد بن هدي



مع زوجتي السيدة ياسمينة المنصوري



حكيم علي عتبة الخمسين



بطاقة محملة بمشاعر الحب من الأب والأم، إلى ابننا حكيم،
وقد بلغ من العمر خمسين سنة.



مع ابني حكيم



مع زوجتي ياسمينة يتوسطنا ابننا حكيم، في منزلنا بالرباط



صورة في بيتي مع أخواتي



في منزلي بالرباط: عن يساري ابني حكيم، علي يميني بنينة الخمليشي حرم أخي مصطفى المنصوري، ثم زوجتي ياسمينه بجانبها أختي عائشة و ابنها ياسين



لوحة فنية لصورة زوجتي ياسمينة المنصوري




لوحة من اللوحات المنجزة بريشة زوجتي ياسمينة المنصوري.




لوحة من اللوحات العديدة، التي أبدعتها زوجتي ياسمينه، ولم تخرج بها إلى العلن،
وظلت لوحاتها محصورة في دائرة الأصدقاء المقربين.



زوجتي ياسمينه وتحية احترام، لدى سلامها على جلالة الملك الحسن الثاني
في إحدى المناسبات بالقصر الملكي بالرباط.



III- مغامرة فرنسا
والعودة إلى الوطن
وبداية مساري المهني



لقد سبق أن أشرتُ إلى أنه من الأسباب التي جعلتني أفكرُ في العودة إلى المغرب، بعد تخرّجي من المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات، تلك الوقائع التي شاهدتها في باريس، بعد حرب 5 يونيو 1967 بين العرب وإسرائيل. بعد شهرين من وقوع تلك النكسة، التحقتُ بوطني حيث أقيمتُ مع عائلتي في قريتنا بالريف.

في المكتب الشريف للفوسفاط:

بدأتُ أبحثُ عن عمل يناسب تخصصي. قدمت طلبات متعددة إلى إدارات مختلفة. سألتُني جواباً من المكتب الشريف للفوسفاط. وطلب مني اجتياز اختبار... تمّ هذا الأمر بداية سنة 1968. تمّ اختياري للالتحاق بالعمل، متدرباً لمدة ستة أشهر، يمكن بعد ذلك ترسيبي في وظيفتي، أو الاستغناء عني. كل ذلك مرتببٌ بما يمكن أن أظهره من كفاءة وجدية، يترتب عليهما اتخاذ القرار الذي تراه الإدارة مناسباً.

للقيام بهذا التدريب المطلوب، كان عليّ أن أنتقل إلى مدينة خريبكة، حيث مناجم الفوسفاط والإدارة المسيّرة لدواليب العمل. يومها حين سمعت اسم مدينة خريبكة، بدا لي وكأنني أسمع هذا الاسم لأول مرة! والحق أنّي لم أكن أعرف موقع هذه المدينة المغربية!

بعد السؤال هنا وهناك، وتجميع بعض المعلومات، تدبرْتُ أمري، وسافرت قاصداً هذه المدينة، في المنطقة التي سأعرفُ فيما بعد أنّها تحتزن ثروة هائلة من الفوسفاط. عند التحاقني بعلمي هناك، قُدّم لي سكن داخل مُركب خاص بالأطر العاملة في المكتب الشريف للفوسفاط بهذه المدينة. وإلى غاية تلك الفترة التاريخية، كان ما يزال بعض الفرنسيين يعملون مديرين داخل المكتب الشريف للفوسفاط (OCP)، من بينهم المدير التقني المكلف بمناجم الفوسفاط بمخريبكة.

BENJELLOUN

المكتب الشريف للفوسفاط

OFFICE CHÉRIFIEN DES PHOSPHATES

RABAT, le 27 Avril 1968

DF/SC N° 3

D.E KHOURIBGA
D.E YOUSOUFIA
EMBARQUEMENTS CASABLANCA
EMBARQUEMENTS SAFI
DG/PHC

OBJET : Stage d'information de Monsieur MANSOURI

Monsieur MANSOURI, Agent Hors-Cadres, attaché au Contrôle Général effectuera un stage d'information dans les Centres Miniers et portuaires du 1er au 27 Avril inclus.

CENTRE DE KHOURIBGA -

- Du 1er au 6 Avril : Etude des Travaux du SBC du Centre
- Du 8 au 13 Avril : Visite des différents Services du Centre de Khouribga selon les durées de principe suivantes et dans l'ordre qui conviendra le mieux au Centre.

- Siège de Khouribga (Recette 2, Usine) : 1 jour
- Siège de Oued-Zen (Découverte, Laverie) : 1 jour
- Siège de Beni-Idir (Découverte Merra-Usine) : 1 jour
- Services Approvisionnements et Magasin : 1 jour
- SGM et Ateliers Centraux..... : 1 jour
- Services Administratifs .. : 1 jour

- Du 15 au 20 Avril : 2ème période de Stage au SBC du Centre.

CENTRE DE YOUSOUFIA -

- Service Production : 22 Avril
- Services Centraux : 23 Avril

EMBARQUEMENTS SAFI : 24 Avril

EMBARQUEMENTS CASABLANCA : du 25 au 27 Avril inclus

A l'issue de ce stage, Monsieur MANSOURI remettra un rapport.

20 KGA
5 YOU
2 DC/PHC
1 DF
1 CER
1 CS

P. LE DIRECTEUR GÉNÉRAL & p.o.,



رسالة تأكيد التدريب بالمكتب الشريف للفوسفاط



على يسار الصورة داخل أحد مناجم الفوسفات بخربيگة، زمن اشتغالي بالمكتب الشريف للفوسفات.

ولما كنتُ حديث التخرج من المدرسة الفرنسية، فإن معرفتي بالعمل الميداني كان ضعيفاً. لذلك سأصطدمُ بذلك الواقع الذي لمستُه من خلال الظروف التي يعمل فيها العمال لاستخراج مادة الفوسفات ! أنا ذلك الطالب الذي تخرّج مهندساً، من مدرسة عليا، لم يخطر ببالي أن عمالاً يشتغلون في أنفاق على الشكل الذي رأيت، وفي ظروف قاسية جداً لمستُها عن كثب عند دخولي إلى تلك الأنفاق !

آلني ما شاهدتُه ! لكن ما حيلتي !؟

دامت إقامتي بمدينة خربيگة ثلاثة أشهر، انتقلتُ بعدها إلى مدينة واد زم، ليستمر تنقلي بعد ذلك إلى مدينة اليوسفية، فالدار البيضاء حيث يوجد الميناء الذي يتم منه تصدير مادة الفوسفات، فميناء آسفي، لم يكن بعد مهيباً لهذه الوظيفة.

المكتب الشريف للفوسفاط
OFFICE CHÉRIFIEN DES PHOSPHATES

RABAT, LE 4 JUILLET 1968

DG/PHC/1 - 643

MONSIEUR MANSOURI BEN ALI

s/c D.F.

J'AI LE PLAISIR DE VOUS INFORMER QUE VOUS ÊTES TITULARISÉ DANS LE PERSONNEL HORS-CADRES DE L'OFFICE CHÉRIFIEN DES PHOSPHATES, À COMPTER DU 3 JUIN 1968.

A COMPTER DE LA DATE PRÉCITÉE, VOUS BÉNÉFICIEZ DONC DE TOUS LES AVANTAGES DU STATUT DU PERSONNEL HORS-CADRES. IL EST CEPENDANT PRÉCISÉ QUE LES DISPOSITIONS PRÉVUES NOTAMMENT PAR LES ARTICLES 16, 18, 19, 20, 21, 23, 50, 51, 52, 53, 56, 57, 58, 67 ET 68 DE CE STATUT POURRONT NE PAS VOUS ÊTRE APPLICABLES SOIT DANS LEUR TOTALITÉ SOIT EN PARTIE, UNE REFORME GÉNÉRALE DU STATUT DU PERSONNEL HORS-CADRES DE NOTRE OFFICE ÉTANT ACTUELLEMENT EN COURS.

A L'OCCASION DE VOTRE TITULARISATION, VOUS PERCEVREZ SOUS DÉDUCTION DES AVANCES QUI AURAIENT PU VOUS ÊTRE FAITES À CE TITRE :

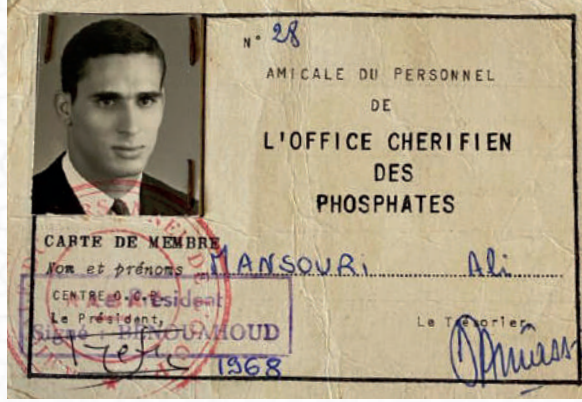
- L'INDEMNITÉ FORFAITAIRE DE DÉMÉNAGEMENT PRÉVUE DANS LA LETTRE DG/PC - 64 DU 16 DÉCEMBRE 1967.

LE DIRECTEUR GÉNÉRAL,


الامضاء: محمد كريم المراني
Signé: M. KARIM LAMRANI

2985.0702.66

مراسلة المصادقة على الالتحاق بموظفي المكتب الشريف للفوسفاط



صورة لبطاقة جمعية الموظفين للمكتب الشريف للفوسفات، زمن اشتغالي بهذا المكتب.

انتهت مدة التدريب المقررة والتي استغرقت ستة أشهر. كان عليّ أن أقدم تقريراً حول ما أسند إليّ من مهام. قدمتُ تقريراً إلى الجهة المسؤولة، وبعد دراسته، تمت الموافقة على ترسيمي داخل إدارة المكتب الشريف للفوسفات، الذي كان مقره جنب جامع السنّة بمدينة الرباط، ورُتبتُ ضمن الأطر العليا في مديرية الشؤون المالية، التي كان مديرها المسؤول ابن عروش.

داخل دواليب هذه الإدارة أُتيح لي التعرف على العديد من الأسماء، أتذكر منهم اليوم السيد أبراهام السرفاتي، وهو مهندسٌ ومدير تقني في الإدارة المركزية.

خلال الفترة التي قضيتها داخل هذه المؤسسة التحقتُ مجموعة من الكفاءات، أذكر منهم السيد ادريس بنهيمه الذي سيشغل مناصب سامية فيما بعد، منها منصب وزير النقل والملاحة التجارية والسياحة والطاقة والمعادن؛ والسيد فتّاح الذي سيصبح وزيراً فيما بعد (وهو والد السيدة نادية فتّاح وزيرة الاقتصاد والمالية حالياً، في حكومة السيد عزيز أخنوش)؛ والسيد عبد اللطيف الكراوي الذي أصبح وزيراً للصحة؛ والسيد العرفاوي المهندس المكلف بالمعلومات (Informatique) في هذه الإدارة. وخلال الفترة التي قضيتها داخل مرافق المكتب الشريف للفوسفات، والتي امتدت إلى سنة 1973، كان المدير العام لهذه المؤسسة هو السيد كريم العمراني، الذي أصبح فيما بعد وزيراً أول في عدة حكومات.

في وزارة التعاون والخدمة المدنية:

ستتم مغادرتي لوظيفتي الأولى سنة 1973، وهي السنة التي سيُحدث فيها الملك الحسن الثاني وزارة باسم «وزارة التعاون والخدمة المدنية»، وسيُعين على رأسها الدكتور محمد بنهيمه، كوزير دولة.

وزارة التعاون والخدمة المدنية المُحدثة، وزارة جديدة، لذا حينما تمّ تعيين الدكتور محمد بنهيمه على رأسها، وجد نفسه في حاجة كبيرة إلى أطر تساعد على القيام بالمهام التي أنشئت هذه الوزارة من أجلها. لجأ الدكتور بنهيمه إلى صديقه كريم العمراني، طالباً منه مدّة ببعض الأطر، لمساعدته في مهامه الجديدة. كنتُ ممن اقترحهم السيد كريم العمراني للالتحاق بوزارة التعاون والخدمة المدنية. أُبديتُ موافقتي ما دام الأمر يتعلق بمساعدة رجل له خبرة كبيرة في التسيير، وتجربة طويلة في عدة مسؤوليات داخل دواليب الدولة. التحقتُ بالوزارة الجديدة، واستقبلني السيد الوزير الدكتور بنهيمه، ومن خلال ما دار بيننا من حديث، بسط أمامي طبيعة المهمة التي يرغب في إسنادها إليّ. واقترح أن يتمّ تعييني رئيساً لديوانه، ومسؤولاً عن الخدمة المدنية التي تعتبر من المهام الجديدة التي أسندت إلى وزارة التعاون.

اشتغلتُ بهذا الملف بحرص كبير، وضبط محكم، فكل الطلبة الذين يتخرجون من الجامعة، سواء داخل المغرب أو خارجه، كانوا مطالبين بأداء الخدمة المدنية، داخل الإدارة المغربية، تستغرق مدة سنتين. كتنا نراسل مختلف الوزارات، لتحديد حاجياتها، حتى نقوم بتعيينات دقيقة تلبّي طلباتها المرغوبة. كان الدكتور محمد بنهيمه يتابع هذا الملف بعناية كبيرة، متتبّعاً كل الخطوات التي أُنجِزها، وأُطلِعُه على كل جديد في سير العمل، وبما قد يعترضه أحيانا من صعوبات. من ثمّ توطدت علاقتي بهذا الرجل الذي وضع في شخصي ثقته الكاملة. وبمَثابرتي وحرصني على أداء مهمتي، بإخلاصٍ وتفانٍ، لم يقع، مدى اشتغالي مع الدكتور بنهيمه، ما يعكّر صفو العلاقة بيننا، وظل ملف الخدمة

المدنية تحت مسؤوليتي إلى غاية 1977، وهي السنة التي تمّ فيها تعيين الدكتور محمد بنهيمه وزيراً للداخلية.

وأنا أدوّن هذه الفترة من حياتي المهنية، أريدُ أن أشرك القاريء في أمر حدث لي أثناء عملي في وزارة التعاون، مكلفاً بملف الخدمة المدنية. وهذا الحدث ظل موشوماً في ذاكرتي إلى اليوم. ما هو هذا الحدث؟

ذات يوم، وأنا في مكنتي، زارني رجل شارحاً لي رغبته في إعفاء ابنه من الخدمة المدنية! كان الطلب بالنسبة إليّ أمراً غريباً؟! لم أستسغ هذا الطلب من والد لا يشجع ابنه على أداء واجب وطني! كان هذا الرجل يشغل منصب سفير في وزارة الخارجية المغربية...!! وكان صديقاً للدكتور محمد بنهيمه، الوزير المسؤول الأول عن هذا الملف في وزارته! لا شك أن السيد الوزير قد شعر بإحراج، فاتصل بي يسأل: هل هناك حلّ لهذه الوضعية؟ لمستُ حيرة الوزير، وكان عليّ إيجاد مخرج لهذه الواقعة. طلبتُ من هذا الأب/السفير أن يقدم للمصلحة المكلفة بالخدمة المدنية شهادة طبية يمكن الاستناد إليها، لتبرير الإعفاء! اعتقدتُ أنني بذلك قد أخرجتُ الوزير من دائرة الإحراج، وفي نفس الآن أكون قد وضعتُ ما يمكن أن يمنع هذا التهرب من أداء الواجب، حين طالبتُ بشهادة طبية مُقنعة! لكن ... خاب ظني! لقد أحضر والد ذلك الشاب الشهادة الطبية بالمقاييس المطلوبة! والتحق الابن المتخرج من الجامعة بوزارة الخارجية، خارج إطار الخدمة المدنية، ثم تدرّج في أسلاك هذه الوزارة ليصبح فيما بعد سفيراً...!! حرّز هذا الأمر في نفسي، ولم أستسغ أن يغرس سفير في ابنه خصلة التهرب من أداء واجب وطني!

هناك مسألة أخرى صادفتها في طريقي، وأنا أزاول مهمتي في وزارة التعاون مكلفاً بملف الخدمة المدنية. فمن خلال الممارسة، لاحظتُ أن الأطر التي تتخرّج من الجامعة، وتنتمي إلى منطقة الشمال من المملكة المغربية، توضع في طريقها عوائق، كي لا تلتحق ببعض الوزارات، ولا سيما وزارات السيادة (وزارة

الخارجية، وزارة المالية وغيرهما). فبعض المنافذ مغلقة أمام أبناء تلك المنطقة، خاصة أبناء الريف. راعني هذا الأمر، واعتبرته حيفاً لا يجب السكوت عنه! فكنتُ أعمل - كلما أتاحت لي الفرصة - على تكسير هذه القاعدة، وسعيْتُ إلى تعيين العديد من أبناء الشمال، والقادمين من البوادي، في تلك الوزارات التي كانوا يُبعدون عنها، مراعيّاً في نفس الآن شروط الكفاءة المطلوبة، وربما كنتُ أول مسؤول يعيّن أحد أبناء الناصور، داخل الوزارة الأولى.

لقد كانت التجربة الإدارية التي قضيتها في وزارة التعاون والخدمة المدنية، إلى جانب الوزير الدكتور محمد بنهيمه غنية، اكتسبتُ بفضلها خبرة، ستكون لي خير معينٍ في الآتي من المهام والمسؤوليات التي تقلدتها. والحق أنني حظيتُ بعناية كبيرة من هذا الوزير الذي عُرف بمجديته وصراحته. فكسبتُ ثقته، وقرّبي منه، وبسبب هذا القرب استفدتُ الكثير مهنيّاً، وتوطدت العلاقة بيننا بشكل كبير.

لذا، ستستمر علاقتي بالرجل، وحينما عُيّن وزيراً للداخلية سنة 1977، اقترح عليّ تولّي منصب عامل على إحدى المدن المغربية، أو أن أهَيّ نفسي لخوض غمار الانتخابات التي كانت على الأبواب.

الخطوة الأولى لخوض غمار الانتخابات:

لم تكن لي اهتمامات بالانتخابات وصراعاتها، ومن ثمّ لم أبدأ أي حماس لهذا الموضوع. وحينما لمس الدكتور محمد بنهيمه ما يراودني من تردد، خاطبني بقوله: «ملكنا يريد أطراً من الريف». ثم أردف قائلاً بنبرة لا تخلو من حزم يقرب الإخبار من دائرة الأمر:

- عليك أن تخوض غمار الانتخابات!

- كيف؟ وأنا ليس لي أية خبرة في هذا المجال ولا تجربة؟

- ترشّح في إقليم الناظور.

- ولكن ...

- قاطعني: ... أمور الانتخابات مُهيّأة بشكل مضبوط، ووزارة الداخلية بكافة أطرها وموظفيها قد أعدت كل ما تتطلبه هذه الاستحقاقات، لتمرّ في الظروف المناسبة!

دخلت هذه المغامرة، وخلالها اطلعتُ على عالم جديد لم تكن لي به أدنى معرفة. هناك، عرفتُ ما هي الانتخابات، وما يدور فيها من مناورات، وما يحاك لك في ظهرك، ونقيضه الذي يبيده لك البعض في وجهك إلى غير ذلك من صور النفاق والتملق، حتى إنك لتجد من يظهر لك مساندته لتجده في نهاية الطريق وقد اصطفّ إلى جانب خصمك...!

في خضم كل هذه الوقائع، أعلنتُ نتائج وزارة الداخلية نجاحي في قريتي.

بهذه العضوية في المجلس المحلي، سيشجعني الدكتور محمد بنهيمه، وزير الداخلية، للترشح مرة أخرى إلى المجلس الإقليمي للمنطقة التي أنتمي إليها في الريف. ترشّحتُ ونجحتُ. لقد أصبحتُ الآن عضواً في المجلس الإقليمي، لتتمّ مخاطبتي مرة أخرى للسعي للحصول على رئاسة هذا المجلس. حينما عَلِمَ بعض الأعضاء بترشحي لرئاسة المجلس الإقليمي، جنّدوا كل طاقاتهم لمحاربتني، والحيلولة دون الوصول إلى هذه الرئاسة. لم ترحبُ الفئة المتحكمة في المجلس الإقليمي بهذا الترشيح، وذلك لخوفهم من ضياع مصالحهم. لكن، ورغم كل هذه المناورات، فزتُ برئاسة هذا المجلس، بعد حصولي على أغلبية الأصوات.

بدأتُ أترجّح في مسالك الانتخابات، وما تسفر عنه من مجالس محلية وإقليمية، بدت معها -مع مرّ الأيام- معالم طريق توصلني إلى ما هو أعلى، حتى إذا حلّ أوان الانتخابات التشريعية (1977)، وجدتُ الدكتور محمد بنهيمه يدفعني إلى الترشح للحصول على مقعد داخل البرلمان المغربي.

قدمتُ ترشيحي بشكل مستقل، أي في إطار ما كان يسمى بـ «الأحرار» أو «اللامنتمين». نجحتُ في هذه الانتخابات، وحصلتُ على مقعد في البرلمان. وكان من المعروف أن هؤلاء الناجحين بصفة «أحرار»، غالباً ما كانوا يلتحقون بأحزاب معينة. استشرتُ مع الدكتور محمد بنهيمه، وزير الداخلية، قبل أن ألتحق بأحد الأحزاب. كان للسيد الوزير علاقة طيبة بالسيد المحجوبي أحرسان كرئيس لحزب الحركة الشعبية، لذلك وجهني للالتحاق بهذا الحزب لعلمه بعلاقتي بالأستاذ المحجوبي أحرسان، فالتحقتُ بالحركة الشعبية، وجلبتُ معي أربعة برلمانيين آخرين، نجحوا ضمن لائحة «اللامنتمين»، لينضموا إلى الحركة.

من الترشح بشكل حزبي إلى الانضمام لحزب الحركة الشعبية:

بدأتُ الاستعدادات لتشكيل الحكومة التي سترأسها السيد أحمد عصمان، سنة 1977، وبدأتُ اتصالاته بالأحزاب التي ستكون الأغلبية في الحكومة، ومن ضمنها حزب الحركة الشعبية. دخل السيد عصمان في حوار مع السيد المحجوبي أحرسان، حول طبيعة هذه المشاركة وحجمها. طلب الوزير الأول أحمد عصمان من السيد المحجوبي أحرسان، أن يُقدّم له لائحة تضم عشرة أسماء، ليمتّ اختيار بعضهم وزراء باسم حزب الحركة الشعبية. ونظراً لطبيعة العلاقة التي تربطني بالسيد المحجوبي أحرسان، سيتصل بي للاجتماع معي. تمّ اللقاء في منزله رأساً لرأس، وخصّص لوضع اللائحة التي تتضمن الأسماء العشرة. لم يدر في خلدي - ونحن نضع هذه الأسماء - أن يكون اسمي من بين الأسماء المقترحة والمرشحة، لشغل منصب وزير داخل الحكومة الجديدة.

حينما بدأنا في تدوين الأسماء، خاطبني السيد المحجوبي أحرسان بقوله:

- سجّل اسمك في أول اللائحة.

- جاء جوابي: أنا برلماني ! ضَعُ اسماً آخر، وأنا أقترحُ عليك اسم السيد «الخضراوي»، بل ضَعُهُ في أول اللائحة.

كان السيد الخضراوي صديقاً لي، ومن الأطر المتميزة في إدارة الجمارك. وأمام إلحاحي على ترشيح هذا الصديق، وإلحاح السيد أحرضان على تسجيل اسمي، دوّننا الاسمين معاً، السيد الخضراوي والسيد المنصوري، ثم أكملنا العدد المطلوب والمحدّد في عشرة أسماء.

كلّفتي السيد أحرضان بتقديم اللائحة إلى السيد الوزير الأول أحمد عصمان. وبعد الإجراءات المصاحبة في مثل هذه المفاوضات، مثل التحرّيات عن الأشخاص المرشحين، جاء جواب الوزير الأول متضمناً الأسماء التي تمّ انتقاؤها للمشاركة باسم حزب الحركة الشعبية. ضمتّ اللائحة أربعة أسماء وهم: السيد المحجوبي أحرضان، السيد المنصوري بنعلي، الدكتور رحالي رحال، والسيد محمد أوناصر.

أقلقتني غياب اسم السيد الخضراوي من اللائحة. اجتمعتُ بالسيد أحرضان لأعرف سبب غياب اسم الخضراوي عن اللائحة. لم يبد اهتماماً بسؤالي وتجاهله، فزاد إلحاحي سائلاً عن سبب إسقاط هذا الاسم؟ بقي سؤالي بدون جواب!

أمام هذا الصمت، قرّرتُ الاتصال بالدكتور محمد بنهيمه بصفته وزيراً للداخلية، نظراً للعلاقة الخاصة التي تربطني به، في محاولة للحصول على جواب ولتدارك الأمر. وعند لقائي به في منزله، جاء جوابه في صيغة تدل على حنكة وخبرة، ولباقة، وهي من صفات رجال الدولة. كان الجواب مختصراً وقاطعاً: «التحرّيات أظهرت أن للخضراوي مشاكل»!

ما كان لي أن أستفسر عن طبيعة هذه المشاكل، التي حالت دون اختيار ذلك الصديق وزيراً باسم الحركة الشعبية!

سيتجددُ لِقائِي بالسيد أحرضان، لأخبره بما دار بيني وبين وزير الداخلية الدكتور محمد بنهيمه ؛ وما إن انتهيتُ من حديثي معه، وإطاعه على ما قاله لي السيد الوزير، حتى انفجر السيد أحرضان ضاحكاً ... بُهتُ...! هل كان في حديثي ما يثير الضحك ؟

بقيتُ مشدوهاً لحظات ... لم أنتبه إلا على وقع عبارته التي تقول:

- صاحبك الذي تُدافعُ عنه كان حاضراً هنا، ولم يغادر منزلي إلا قبل وصولك بقليل !

- قلت: كيف حاله ؟ ربما كان متضايقا من عدم اختياره ضمن لائحة وزراء الحركة ؟

رسم المحجوبي أحرضان على وجهه ابتسامة تعبر عن الإشفاق، ولم أفهم سياقها في هذا الموقف !

طلب منِّي الجلوس، وخاطبني بنبرة، هي مزيج من الحسرة والغضب. قال:

- اسمع، إن صاحبك الخضراوي، الذي رشحته ودافعت عن ترشيحه حتى وضعنا اسمه في اللائحة، وكنت حريصا على أن تضع اسمه قبل اسمك في اللائحة المقترحة، جاء ليحدثني عنك.

- قلت: وماذا قال عني ؟

- أجبني: لقد لامني لأنني وضعتك ضمن الأسماء التي اقترحناها للوزارة؟!!

- سألتُه باستغراب: الخضراوي ... يعترض على اسمي؟!!

- نعم...! لأنه يرى نفسه، أقدم منك في الحزب وأقرب إليّ منك، وأنت حديث الالتحاق بالحزب !

- رددتُ سؤالِي مرةً أخرى على مسامع السيد أحرضان: كل هذا صدر عن الخضراوي؟!

- هذا ما قاله ذلك الذي تماديت في الدفاع عنه ليكون اسمه مقترِحاً قبل اسمك في لائحة الأسماء التي رشحها حزبنا...! لقد غضب حينما لم يجد اسمه مدرجاً في اللائحة المقبولة، وازداد غضبه أكثر، حينما علم أن اسمك كان من الأسماء التي اختيرت ضمن وزراء الحركة الذين سيشاركون في الحكومة !

بعد هذا الحديث، أخبرني السيد أحرضان بما قاله للخضراوي: إن المنصوري منتخَب في المجلس البلدي، ورئيس المجلس الإقليمي، وعضو في البرلمان، وأضاف: إنه عندما التحق بحزب الحركة جلب معه أربعة برلمانيين من إقليم الناظور لم يكونوا في الحزب، وهؤلاء البرلمانيون الأربعة الذين التحقوا بالحزب، هم الذين ساعدوا الحزب للمشاركة في الحكومة، لذا، ألححتُ على وضع اسمه على رأس اللائحة.

ما كان للسيد المحجوبي أحرضان أن يسرد على مسامعي كل ما فاه به الخضراوي، لولا تلك العلاقة القوية التي تجمَعنا، وما كنتُ لأصدّق هذا الكلام لو صدر عن طرف آخر في حق هذا «الصديق»، الذي أبلتُ البلاء الكبير في الدفاع عن ترشيحه، بل وصل بي الأمر إلى درجة أنني اقترحتُ حذف اسمي ليأخذ مكاني في اللائحة التي قدّمها السيد أحرضان للوزير الأول.

أُصِبتُ بصدمة كبيرة بعد سماعي ما صدر عن شخص كنتُ أعتبرُهُ من أصدقائي، بل إن علاقتي به وبالسيد أحرضان تجاوزت ما يربط بين صديقين عاديين، واتسعت مع مرّ الأيام لتغدو علاقة عائلية، تعارفتُ أسرنا، وتبادلنا الزيارات في مناسبات عديدة ومختلفة، لكن الزمن كَشَف !

*** **



آخر زيارة ولقاء مع المرحوم المحجوبي أحرسان في منزله بالرباط 2020



١٧- المرحلة الوزارية:
إنجازات ومصاعب



في وزارة السياحة:



مع صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني وأعضاء الحكومة التي تشكلت سنة 1977، بعد أول انتخابات جرت عقب المسيرة الخضراء. شغلت فيها مناصب وزير السياحة، ووزير الشؤون الإدارية والوظيفة العمومية بعد التعديل.

ويرى في الصورة، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي عبد الله، صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد ولي العهد، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد. الدكتور محمد بنهيمه، وزير الداخلية، محمد بوستة، وزير الخارجية، المحجوبي أحرسان وزير البريد، الحاج محمد باحنيبي، وزير الثقافة.



السلام على جلالة الملك الحسن الثاني، بمناسبة عيد العرش المجيد بالقصر الملكي بالرباط.



المنصوري بنعلي في مكتبه بوزارة السياحة

بعد تدرّجي في مهام العمل السياسي، بدءاً من المجلس المحلي لقريتي، إلى حصولي على مقعد في البرلمان، تمّ التحاقني بحزب الحركة الشعبية، الحزب الذي تمّ تأسيسه ضد هيمنة حزب الاستقلال الذي كان يعتبر نفسه الحزب الوحيد الذي يمثل كل المغاربة ! ولا بد أن أشير في هذا السياق، أن حزب الحركة الشعبية، كان صاحب الفضل الكبير في إصدار ظهير الحريات العامة سنة 1958. التحقتُ بالحزب، وسيتمّ تعييني من طرف الملك الحسن الثاني، وزيراً للسياحة، في الحكومة التي تشكّلت بعد المسيرة الخضراء والانتخابات البرلمانية في سنة 1977، والتي كان يرأسها الأستاذ أحمد عصمان.

سأجد نفسي لأول مرة أمام مهام وزارية، وفي مجال يحتاج إلى الإحاطة بجوانبه المختلفة. اجتهدتُ في توسيع معارفي في عالم السياحة، من خلال الاطلاع على تجارب دولية متعددة. قررتُ بعد ذلك تعميق معرفتي بتجربتين اثنتين: التجربة الإسبانية والتجربة الفرنسية. كان السؤال الذي يطاردني منذ توليتُ مهام وزارة السياحة هو: كيف استطاعت إسبانيا أن تحقق تلك المكانة المرموقة في مجال السياحة؟ وما هي الخطوات التي اتبعتها؟ وما الوسائل التي اعتمدها لتصل إلى ما وصلت إليه في هذا الميدان؟

لقد كنتُ أعرف -وأنا ابن منطقة من الشمال، لا تبعد عن إسبانيا إلا بكيلومترات معدودة- أن مناطق من جنوب ذلك البلد الأوروبي كانت شبه فارغة إلى زمن قريب، ولا سيما في سنوات الستين من القرن الماضي، حين كنتُ أسافر إلى فرنسا عبر إسبانيا، وأنا يومئذ، أتابع دراستي بالديار الفرنسية. لذا كان النموذج الإسباني في السياحة نصب عيني منذ البداية.

سلكتُ الترتيبات الضرورية للقيام بأول زيارة رسمية خارج المغرب، وكانت إلى إسبانيا. استقبلني خلالها الملك خوان كارلوس، و رئيس البرلمان الإسباني آنذاك، هذا الأخير ستتوطّد علاقتي به، فدعوته لزيارة المغرب فلبّي الدعوة. بعد استقبالي له، استقبله رئيس البرلمان المغربي في تلك الفترة.

استقبلني وزير السياحة الإسباني، ودارت بيننا محادثات طويلة، سألته خلالها عن سرّ نجاح بلده في مجال السياحة؟ فبسط أمامي تلك المخططات التي وضعتها إسبانيا، حتى استطاعت أن تحقق ذلك النجاح الذي وصلت إليه السياحة في هذا البلد. ومما قاله الوزير الإسباني، وهو يسرد عليّ أسباب ازدهار السياحة الإسبانية: إن الفضل في كل ذلك يعود إلى الجنرال فرانكو. فسألته: كيف ذلك؟

أجاب: كانت إسبانيا تعاني من أزمة تتعلق بمخزونها من العملة الصعبة! فطلب الجنرال من الحكومة إنجاز دراسة للبحث عن السبيل الأقوم لسدّ هذا العجز، والوسيلة الأنجع لجلب العملة الصعبة إلى البلاد. ثم أضاف الوزير مفسراً: أسفرت الدراسة المنجزة، تلك النتيجة التي ترى أن السياحة من بين الحلول التي ستؤدي إلى تحقيق الهدف المطلوب. وبعد أن أطلع الوزير الأول الجنرال فرانكو على نتائج الدراسة، وأحاطه بمحيثات الموضوع، دعا الجنرال إلى عقد مجلس وزاري ليشرح للحكومة خطته في هذا المجال، بناء على ما توفر لديه من المعطيات، مبيناً رغبته في أن تكون السياحة أسساً رئيساً لاقتصاد إسبانيا، في تلك المرحلة التاريخية.

وحدثني السيد وزير السياحة الإسباني عن شيء آخر، وهو بحث الجنرال فرانكو عن شخصية تتولى تنفيذ خطوات هذه السياسة، ويكون لهذه الشخصية من الكفاءة والخبرة والحزم ما يحوّل هذا المشروع إلى حقيقة ملموسة على أرض الواقع!

طرح الجنرال فرانكو السؤال: من هي هذه الشخصية التي تتوفر فيها هذه الشروط؟ ومضى الوزراء يبحثون ويستفسرون. بعد العثور على تلك الشخصية التي يرغب الجنرال فرانكو في إسناد هذا الملف إليها، تمّ إخباره من طرف رئيس الحكومة باسم تلك الشخصية، وقال له: إن الشخص الذي تتوفر فيه الشروط المطلوبة اسمه «فراغا إيرري بارني Fraga Iribarné وهو اليوم سفير إسبانيا في لندن بإنجلترا!؟



في حديث مع الملك خوان كارلوس ملك إسبانيا، خلال استقبالي في مدريد، سنة 1978.

كان فراغا إيربي بَارْنِي Fraga Iribarné، وزيراً سابقاً، ومن الذين لا يتفقون مع سياسة الجنرال فرانكو بشكل عام، فقام الجنرال بإبعاده وتعيينه سفيراً في لندن.

سألت السيد وزير السياحة الإسباني: لماذا تمّ اقتراح هذه الشخصية على الجنرال فرانكو، علماً أنه من المبعدين عن البلاد؟

جاء توضيح الوزير كالآتي: كان الجنرال يرغب في إعطاء صلاحيات متعددة للوزير الذي سيشرف على مشروعه في المجال السياحي، ذلك أن مشروعاً كهذا تتداخل فيه الصلاحيات بين وزارات متعددة، لذلك كان من الضروري البحث عن شخصية قوية وصارمة، تحظى باحترام كل الوزراء الذين سيشتغلون إلى جانبه في الحكومة، حتى يتم تجنّب كل ما يمكن أن يعرقل سير المشروع.

وفعلاً -يقول السيد الوزير- تمّ استدعاء السيد فراغا Fraga، واستقبله الجنرال فرانكو واقترح عليه تولّي وزارة السياحة. كان جواب «فراغا»:

- قبولي لتولّي شؤون هذه الوزارة مقترن بشرطين:

الأول: أن تجتمع لديّ تلك الاختصاصات المتعلقة بالسياحة، ويكون إمضائي ينوب عن كل الاختصاصات الأخرى (كالتعمير، والتجهيز، والسكنى، والمالية وغيرها...).

والثاني: أن يكون لي اتصال مباشر معكم (يقصد الجنرال فرانكو) فيما يتعلق بهذا الملف، إذا عتَرَضْتَنِي صعوبة ما، أو احتجت إلى استشارة.

وقد قَبِلَ فرانكو كل ذلك، وأمر الوزير المعين فراگا بالشروع في العمل. كان أول عمل قام به وزير السياحة الجديد هو وضع مخطط يقسم إسبانيا إلى قسمين: القسم الأول يشمل شمال إسبانيا، وخصّص له برنامجاً يرتبط أساساً بالسياحة الداخلية؛ أما القسم الثاني الذي يضم شواطئ جنوب إسبانيا، فقد وضع له مخططاً يستهدف السياحة الخارجية.

إنجاز هذا المشروع يفترض حكمة في التسيير، فاندبرى الوزير الإسباني فراگا Fraga، إلى تنظيم إداري محكم في المناطق التي أُعْطِيت لها الأسبقية كـ «كوسطا ديل صول» و«كوسطا براكا Costa Brava». فعمل على إنشاء معاهد لتكوين الأطر اللازمة، والتي يمكن أن تشكل العمود الفقري لنجاح السياحة الإسبانية، ومسّ التكوين مختلف المهن المرتبطة بذلك المجال، كمسيري الفنادق، والمرشدين السياحيين، والعاملين في مجال الطبخ، ومهام الاستقبال ومجال التنشيط، وغير ذلك مما يشكل فيه العنصر البشري عامل نجاح، كما أحدث الشرطة السياحية، ذلك أنه كان يعتبر الأمن من العناصر الضرورية لحماية السياح، ثم سعى إلى توسيع البنية الإدارية بإنشاء إدارة مخصصة للسياحة.

ولا شكّ أن تهييء البنية التحتية من طرق وفنادق ونقل.... كان نصب عيني الوزير فراگا Fraga، ومن ثمّ كان لا بدّ من خلق محفّزات تساعد على الإقبال للاستثمار في مجال السياحة. لذلك، حينما يتقدم مستثمر بمشروعه السياحي، كانت تُقدّم له الأرض مجهزة بالمجان أو بثمان رمزي في البداية، ثم يطلب من المستثمر تقديم تصاميم مشروعه. وخلال شهر، تسلم الإدارة الرخصة لصاحب المشروع، وإذا لم يتسلم الرخصة في حدود هذه المدة، فله

الحق في بداية إنجاز مشروعه. وقد ساعد هذا التدبير المحكم في تسريع إيقاع المنجزات السياحية في إسبانيا، لدرجة أن مناطق الجنوب قد تغير وجهها رأساً على عقب، وفي فترة زمنية قصيرة. ويمكن لأي زائر دخل جنوب إسبانيا أواخر الستينيات من القرن العشرين، ثم زارها بعد ذلك، أن يلاحظ التطور الكبير الذي حققته تلك المناطق الجنوبية من البلاد الإسبانية، مثل كوستا ديل صول (ماريبا)، وكوستا براكا (Costa Brava) (نواحي برشلونة).

وأنا بدوري لمستُ هذا التحول، من خلال ما حصل من تحسن في المواصلات، وخاصة الطرق التي كانت عبارة عن مسالك متواضعة، لتتحول إلى طرق ذات جودة عالية؛ ومثال ذلك، ما حصل في مدينة «بِنْدُورْمُ» (Bénidorm)، التي كنتُ أعرفها قرية صغيرة، بها كنيسة وبعض المتاجر، حتى إذا وصلتها تلك المشاريع السياحية، تحولتُ إلى ساحل ساحر، وفنادق رائعة، وعمارات شاهقة، ومنزهات... إلى غير ذلك من مرافق التنشيط التي حولت المدينة إلى منطقة سياحية ذات شهرة عالمية.

وبعد اطلاعي على التجربة الإسبانية في المجال السياحي، رغبتُ كذلك في معرفة الخبرة الفرنسية في نفس المجال. فوجهتُ دعوة رسمية إلى الوزير الفرنسي المكلف بالسياحة في تلك الفترة «جاك ميدسان» (Jacques Médecin)، وكان ذلك سنة 1978. وفعلاً، لبي الوزير دعوتي، وأجريتُ معه عدة لقاءات أطلعني من خلالها على جوهر التجربة الفرنسية.

تجمعتُ لديّ، بعد الاقتراب من التجريبتين: الإسبانية والفرنسية، جملة من المعطيات والتصورات، مهدتُ لي السبيل للوصول إلى خلاصة، يمكن أن تشكل قاعدة لما يمكن إنجازه بالنسبة لبلدي المغرب. غير أنني سعتُ، قبل ذلك، إلى دعم ما أرغب في تحقيقه، بدراسة علمية موضوعية. فقررتُ الاستعانة بمكتب للدراسات. اخترتُ مكتباً ألمانياً له خبرة في هذا المجال، وكان من أهدافي الأساسية، التعرف على المناطق التي يمكن أن تحظى بالأولوية، في إطار خطة تطوير السياحة المغربية، ثم الوسائل التي يجب اعتمادها لتحقيق الأهداف المبتغاة.



مع الوزير الأول السيد أحمد عصمان وهو يستقبل وزير السياحة الفرنسي السيد جاك ميدسان.

بعد توصلي بالدراسة المطلوبة، قررتُ أن تعطي الأهمية بالدرجة الأولى لتحديد المناطق السياحية والعناية بمسألة تكوين العنصر البشري والمراقبة والجودة. كنتُ أعلم أنني لن أستطيع إنجاز كل شيء، من ثم كان تركيزي على مسألتَي التكوين والمراقبة، كما عملتُ على تطوير المعاهد التابعة لوزارة السياحة، وعلى إنشاء معاهد أخرى لتكوين الأطر في مختلف التخصصات التي تهتم السياحة. وشجعتني على المضي في طريق العناية بالعنصر البشري، ما وجدته في وزارة السياحة من شكاوى تتعلق ببعض الفنادق، وبعض «المرشدين السياحيين» وأصحاب البزارات، الذين يمارسون مجموعة من السلوكات المشينة، التي تسيء إلى السياحة المغربية، من غش واحتيال... إلى غير ذلك. وقد لاحظتُ شيئاً مهماً، يتمثل في نسبة عودة السياح الذين سبق لهم أن زاروا المغرب؛ كانت نسبة ضعيفة جداً، ومن أسباب تدنيها، ما يصادفونه من معاملات غير لائقة، وهذا ما كان يؤثر سلباً على السياحة نظراً لما تخلفه حكايات السياح والأحداث التي مروا بها، بعد مغادرتهم، من دعاية سيئة للمغرب.



عندما شغلت منصب وزير السياحة، استقبلتُ نظيري وزير السياحة الفرنسي السيد جاك ميدسان، وتم ذلك سنة 1978.



استقبالي في مدريد من طرف ملك إسبانيا خوان كارلوس، وأنا يومئذ أشغل منصب وزير السياحة، سنة 1978.

لقد اقتنعتُ، بعد اطلاعي على التجربتين الإسبانية والفرنسية، أن المغرب يحتاج إلى نمط آخر من الحياة السياحية، وأن استنساخ إحدى التجربتين لن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة. وكان هذا الاقتناع مُؤسَّساً على مبدأ الاختلاف الموجود بين الثقافتين، وبالتالي بين العقليتين. فالحياة الإسبانية مثلاً يشكل سكانها أنفسهم، بعددهم الكبير، حركة سياحية وتنشيطية هائلة. وفي إسبانيا يجد السائح الأجنبي عائلة إسبانية تُشركه معها في منزلها، سكناً وتغذية، وهو الأمر الذي كنتُ أراه متعذراً في بيتنا المغربية، إلى غير ذلك من الاختلافات. فبدأ لي أن النمط السياحي الذي يمكن أن يكون صالحاً في المغرب لا يجب أن يبقى محصوراً في سياحة الشواطئ، بل ينبغي تكميله بأنماط سياحية أخرى، كسياحة المؤتمرات، والنوادي الخاصة، ثم تلك اللقاءات والأنشطة التي تتخذ من الفنادق الكبرى (فنادق خمسة نجوم) مقرات لها، لتنظيم المؤتمرات والندوات العلمية الدولية.

ومع ما تجلبه سياحة الشواطئ، كنتُ أبحث عن إخراج هذا النوع السياحي من زمنيته المحدودة في فصل الصيف، بل شرعتُ في فتح مجال السياحة الجبلية المرتبطة بالصيد البري، أو المشي؛ وأدخلتُ في حسابي ما يمكن القيام به في الجبال في فصل الشتاء لتوظيف ما يرتبط بالثلوج، دون أن أنسى ما يمكن أن تضيفه السياحة المرتبطة بالرمال في مناطق الصحراء المغربية.

ومن العناصر التي اعتمدها لتطوير هذا المرفق الحيوي في اقتصاد بلادنا، العمل على تشجيع السياحة المرتكزة على المركبات السياحية. فالسائح -والأجنبي على وجه الخصوص- يجد في المركبات أنشطة متنوعة، وفي مختلف الأوقات، فهناك ما يرتبط بفترات النهار، وأخرى بالفترات المسائية. وقد اتخذتُ من نادي البحر الأبيض المتوسط Club Méditerranéen نموذجاً في هذا الباب، نظراً لصيته وللخبرة التي راكمها على المستوى العالمي.

حرصتُ على تشجيع إدارة النادي، وكانت نتيجة هذه المساندة أن عملتُ هذه المؤسسة على فتح فروع أخرى، في مدن مغربية مختلفة، على نمط الفرع الأصل الذي تمّ إنجازه في مدينة الحسيمة.

وفي إطار رفع إيقاع التنمية السياحية، أعطيتُ الانطلاقة لمشروع SONABA في آكادير، أتبعتهُ بالشروع في إنجاز دراسة تتعلق بمشروع سياحي كبير على شاطئ تاغزوت بمنطقة آكادير. وقد عملتُ على تنمية وتشجيع مشاريع في مناطق طنجة وتطوان والحسيمة والناضور. وكانت هذه الأخيرة من الأماكن التي اتخذتها هدفاً للاستقطاب السياحي وتشجيع الاستثمار فيها. وفي هذا الإطار، وجهتُ دعوة إلى السيد «جيلبير تريغانو Gilbert Trigano» المدير العام لنادي البحر الأبيض المتوسط Club Méditerranéen الذي لبّي دعوتي، فعدنا اجتماعاً بمقر وزارة السياحة، وعرضتُ عليه مشروع إنجاز مركب سياحي كبير في «مارشিকা Marchica». وجد اقتراحي قبولاً وحماساً من قبل المدير العام للنادي، وطلبتُ منه إنجاز دراسة للمشروع. بيد أن رحيلي عن وزارة السياحة حال دون إكمال هذا المشروع الذي كان جزءاً من برنامجي العام، في مجال تطوير السياحة في المنطقة.

وأودّ أن أشير، وأنا أتحدثُ عما أتيتُ لي إنجازهِ وأنا أتحملُ مسؤولية وزارة السياحة، إلى أن أقاليمنا الصحراوية المسترجعة، كانت ضمن اهتماماتي، بل حرصتُ على إنشاء أول فندق بمدينة العيون (فندق المسيرة). أقول أول فندق، وأنا على علم بوجود فندق «بارادور Parador» الذي بنته السلطات الإسبانية. لكن اسم فندق يطلق مجازاً على تلك البناية التي لم تكن في حقيقة الأمر، سوى نادٍ للضباط الإسبان، الذين كانوا في تلك المدينة، بل إن العيون نفسها، لم تكن تتوفر على البنيات التي تجعل منها مدينة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة (الطرق، المواصلات، شبكة الماء والكهرباء في المستوى المطلوب...). من ثم فإنني أعتبرُ الفندق الذي وضعتُ الحجر الأساس لبنائه سنة 1977، هو المؤسسة التي تتوفر فيها مقومات الفندق الحقيقي. والحق أنني حينما زرتُ العيون لوضع هذا المشروع على أرض الواقع، فوجئتُ بالحالة التي كانت عليها تلك المنطقة، التي تشعرك - في ذلك الزمان - أنك داخل ثكنة عسكرية إسبانية، تتناثر حولها بعض الدور البسيطة؛ أما معالم «مدينة» فلن تعثر عليها ! العيون/المدينة، هي التي تحققت عندما

استرجع المغرب صحراءه، وللزائر اليوم أن يقف، حينما تطأ قدماه ذلك الفضاء،
على معالم مدينة وحاضرة، بكل المقومات الأساسية لمدينة عصرية.

ويتملكني شعور غامر بالسعادة، حينما أتذكرُ أنني من المسؤولين المغاربة
الأوائل الذين زاروا أقاليمنا الصحراوية، بعد سنتين فقط من المسيرة الخضراء،
ومن الوزراء الذين أسهموا في الخطوات الأولى للنهضة الكبيرة التي تعرفها
اليوم تلك الأقاليم.

أتحدث عن كل هذا، ونحن في السبعينيات من القرن الماضي. فكان من
الأشياء الأساسية التي وجهتُ إليها اهتمامي إنشاء وكالة، مهمتها حيازة أراضي
الدولة صالحة للاستثمار السياحي، وفي نفس الآن، تكون المخاطب الوحيد
أمام المستثمر، لتجنبه كل ما يمكن أن يعرقل مشروعه. قدّمْتُ مقترحي
باعتباري وزيراً للسياحة إلى الحكومة لتنظر فيه، ومن ثمّ يأخذ المقترح طريقه
القانوني ليصاغ الظهير المؤسس لهذه الوكالة. هل تمّ إصدار هذا الظهير؟ نُصبتُ
العراقيل في سبيله من مختلف الوزارات ! وإلى يومنا هذا، لم يستطع أي وزير
أُسندت إليه وزارة السياحة إخراج هذا الظهير إلى الوجود !

قد يبدو للغير أن تدبير شؤون وزارة ما هو أمرٌ يسير، وأن إصدار أوامر،
أو اقتراح قوانين إلى غير ذلك، يجد السبيل أمامه ممهداً وسالكا. ليس الأمر
كذلك. فخلال ممارستي لمهامي الوزارية، صادفتني صعوبات، بعضها من صناعة
من تشترك معهم في حكومة واحدة، من المفروض أن يتم العمل بين وزرائها
بروح من التضامن والتعاون والانسجام؛ وأخرى من لوبيات خارج الحكومة.

من تلك العراقيل، أنني حينما عُيِّنتُ على رأس هذه الوزارة، وجدتُ أن
الميزانية المخصصة لتجهيز المرافق المتعلقة بالسياحة، تنضوي ضمن ميزانية
وزارة الأشغال العمومية. هذه الأخيرة لم تكن تعطي العناية الكافية لتنمية
السياحة كإنجاز مطارات وطرق سياحية، ولا سيما في المناطق الجبلية؛ بل
تصرف اهتمامها الأكبر إلى مشاريعها الكبرى، كالسدود والطرق السيارة

والموانئ، وكل ما يدخل في برامجها الرئيسية. وأمام هذا الوضع، طالبت بإلحاق ميزانية التجهيز بوزارة السياحة، فتمّ ذلك.

وبدأ نوع آخر مما كان يُصادفني في طريقي من صعوبات، حينما فتحت ملف مراقبة الفنادق ! فكوّنتُ لجنةً لمراقبة جميع فنادق المملكة بدءاً من المدن الكبرى.

ما إن بدأتُ حتى تكالب عليّ قوم من الذين يقدمون مصالحهم الشخصية على مصالح الوطن !

من تلك الفنادق التي أخضعتها للمراقبة، فندق حسان «Hassan» وفندق بليما «Balima»، وهما من أهم الفنادق الكبيرة بالعاصمة الرباط. بعد المراقبة التي أخضعتُ لها فندق «بليما»، قررتُ دحرجته إلى درجة دنيا، وإسقاط نجمة واحدة من رتبته في التصنيف الفندقي المعروف والمعول به دولياً. وجاء هذا القرار بعد تسجيل التدهور الذي لحق هذه المؤسسة الفندقية، وعدم إنجازها للإصلاحات المطلوبة في تلك الفترة، وقد كنتُ أعطيتُ لها مهلة سنة كاملة للقيام بالإصلاحات بهدف استرجاع النجمة التي أسقطت لها.

أثارت هذه المبادرة، التي اعتبرها من مهامي ومسؤوليتي، زوبعة كبيرة، لكنني كنتُ أمارسُ صلاحياتي بما يخدم مصلحة بلدي. فأتبعْتُ المراقبة الأولى ل «بليما» بمراقبة ثانية لفندق «حسان». كان الفندق تابعاً للدولة المغربية، وحينما قمنا بعملية مراقبة طريقة تسييره، اتضح لي أن هذا الفندق من الفنادق التي تكون ممتلئة بشكل يكاد يكون دائماً، وأن دواليبه ومختلف مرافقه تشتغل باستمرار، لكن الغريب في الأمر أن هذه الحركة الدائبة يصاحبها في الأغلب الأعم عجز مالي في ميزانية الفندق ! وهذا أمر غير مفهوم ؟

بحثتُ في الأمر، وطلبتُ من وزارة المالية إنجاز تفتيش عام، حول طريقة تسيير «فندق حسان». أثارت هذه الخطوة التي أقدمتُ عليها ضجة كبرى، أدت إلى ممارسة ضغوط على وزارة المالية. فلم تُعيّن اللجنة التي طالبت بتكوينها

لإنجاز مهمة التفتيش، وبالتالي جُمِد هذا الملف. وسأقُف فيما تلا من الأيام على ثقب كَثيرة في تسيير هذا الفندق، يتسرب منها ما يتسبب له باستمرار في عجز مالي كبير، منها تلك المجانية التي تقدّم لبعض الشخصيات المغربية الوازنة.

ينبغي أن أشير -وأنا أسردُ بعض ما اعترضني من عقبات- أنني كنتُ أصغر وزير سنّاً داخل الحكومة، غير مدرب على ممارسة المناورات وما يحاك في الكواليس، والتفنن في غرس الأشواك في الطريق. كان المبدأ الذي أسستُ عليه مساري هو القيام بواجبي، وتحمل المسؤولية التي أسندها إليّ الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. لذلك كنتُ أقرر وأنفذُ ما أراه في مصلحة بلدي دون استشارة الحزب الذي أنتمي إليه.

السيرُ على هذا المنوال، والتحلي بروح المسؤولية، سبب لي اصطدامات مع تلك الفئة التي تسعى لتحقيق مصالحها الشخصية، وتضعها فوق المصالح الوطنية. ويمكن أن أطلع القارئ على صورة أخرى -بالإضافة إلى ما سبق الحديث عنه- لما تعرضتُ له من مناورات كيدية لخدش صفتي الوزارية.

قبل تعييني وزيراً للسياحة، كانت الشركة الأمريكية «هولداي إين Holiday Inn» قد أبرمت اتفاقية مع الدولة المغربية لتشييد فنادق في بعض المدن المغربية (الدار البيضاء، فاس، مراكش، طنجة). وتضمنت هذه الاتفاقية بنداً يلزم الشركة بجلب مبلغ معين من العملة الصعبة كجزء من المشروع المقرر إنجازه.

منحت للشركة الأراضي المطلوبة مُجهّزة لإقامة الفنادق، وتسلمتها مجاناً، وشرعت في البناء. ولما اكتمل المشروع، اتضح أن هذه الشركة لم تَفِ بالتزاماتها فيما يتعلق بجلب العملة الصعبة كجزء من رأس مال المشروع، بل لجأت إلى أخذ قروض من الأبنك المغربية، ليس غير! أي عمّدت إلى تطبيق المثل المغربي الدارج «من زيتو تقليه»، بل أكثر من ذلك، فقد وجدّت الإدارة المغربية نفسها

تخسر ما كانت تطمح في ربحه ! أي أن الشركة الأمريكية عوض أن تساهم في جلب العملة الصعبة، رفعت رصيدها من هذه العملة، عن طريق ما كانت تحوله من أرباح خارج أرض الوطن، وبالدولار!؟

أمام هذه الوضعية، وجدت الإدارة المغربية نفسها مضطرة إلى رفع دعوى قضائية ضد شركة «هولداي إين». كل الخطوات السابقة تمت قبل تسلي مهام وزارة السياحة، وجدت الحكم قد صدر منذ فترة على الشركة الأمريكية، وكان في صالح الإدارة المغربية، لكن التجميد أدرك هذا الملف. وبمجرد تعييني على رأس هذه الوزارة، كان عليّ أن أتحمّل مسؤوليتي كاملة، بيد أنّي رغبت في اختيار مسلك آخر في تدبير هذا الملف، حفاظاً على طبيعة العلاقة المغربية الأمريكية، والمصالح المتبادلة بين بلدين، تربطهما علاقة تاريخية طويلة وعريقة. فاتخذت التفاوض سبيلاً، واستدعيت مسؤولي الشركة لهذا الغرض. بسطنا على طاولة المفاوضات كل الأوراق، وتوصلت معهم إلى حلّ، تتخلى فيه الشركة عن 50% من الفنادق التي بنتها في المغرب، وكانت في ملكيتها لصالح الدولة المغربية، مقابل أن تتنازل الإدارة المغربية عن تنفيذ الحكم بما فيه من تعويضات. فتمّ قبول هذا الحلّ، مع طلب منهم، أن تؤدّي الإدارة المغربية أتعاب محامي الشركة، التي كانت محددة في مبلغ حوالي مائتي ألف دولار (200.000\$)، وهو الأمر الذي قبلت به، مراعيّاً في كل ذلك المصالح المغربية، وتجنب ما يمكن أن يعكّر صفو العلاقات بين بلدي والولايات المتحدة الأمريكية.

بعد توصلي إلى هذا الحلّ مع مسؤولي الشركة الأمريكية، كان عليّ إبلاغ السيد الوزير الأول بما انتهت إليه مفاوضاتي معهم. وعند استقباله لي، أخبرته بما توصلت إليه من نتائج. كنت أتوقّع تنويهاً بما انتهت إليه المفاوضات، وحرصاً على الحفاظ على صورة غير مخدوشة لعلاقتنا مع بلد كبير وصديق قديم!

لكن الرياح جرت في اتجاه معاكس!

ما كدتُ أنتهي من سرد سير المفاوضات، وما وصلنا إليه من نتائج مع مسؤولي الشركة الأمريكية، حتى وجدت السيد الوزير الأول يبسط أمامي وجهاً آخر لحلّ المشكل المطروح ! أخبرني بأنه أعطى موافقته لمستثمر مغربي لشراء حصة 50% من الشركة الأمريكية، وسلّمه في نفس الآن وعداً بالبيع كتابة، لكي تحوّل له الإدارة المغربية بموجبه حصتها المتمثلة في 50% المتبقية، بحيث ستصبح حصة المستثمر 100%، وذلك يعني أن كل الفنادق ستصبح في ملكيته.

أصبّت بحيرة ! لقد عانيتُ الكثير في معالجة هذا الملف، بكل ما يحيط به من مزلق، وسعيّتُ إلى طيّه بأقل ما يمكن من الخسائر، سواء المالية أو الدبلوماسية، ثم أجد نفسي في نهاية المطاف أمام سيناريو آخر...؟!

أحسستُ بأن الأمر تشوبه شائبة...! لم يُرضني ما اقترحه السيد الوزير الأول. ومن باب الإحساس بالمسؤولية الملقاة على عاتقي، قررتُ توجيه مذكرة إلى الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه. وبعد اطلاع جلالته على ما دوّنته في تلك المذكرة، استدعانا -تعمده الله بوسع رحمته- أنا والوزير الأول، وتمّ الاجتماع في القصر الملكي، بحضور مستشار جلاله الملك السيد ادريس السلاوي، رحمة الله عليه.

خاطبني الملك الحسن الثاني فقال: لقد بعثت لي مذكرة تبيّن لي من خلالها وجود خلاف بينك وبين الوزير الأول ! اشرح لي ما الأمر؟

قدمتُ لجلالته شرحاً وافياً في الموضوع، وبسطتُ أمامه الحلّ الذي توصلتُ إليه مع الشركة الأمريكية، في حرص على تجنب ما يمكن أن يوترّ علاقتنا مع الولايات المتحدة الأمريكية، وقدمتُ اقتراحي لجلالته، بأن تأخذ الدولة المغربية 50% حصة الشركة الأمريكية، لكي تصبح جميع الفنادق في ملكية الدولة ؛ وحين تصبح الحصة 100% للدولة المغربية، فلها الحق في التصرف. وختمت كلامي بقولي: «ولجلالة الملك واسع النظر».

فتدخّل الوزير الأول قائلاً: لقد أعطيتُ موافقتي لمستثمر مغربي لشراء 50% من الشركة الأمريكية، ووقّعتُ له وعداً بالبيع لـ 50% التي في ملكية الدولة.

مرّت لحظات هيمن فيها صمت، ليرفع جلالة الملك رأسه، متوجّهاً بالكلام إلى الوزير الأول، قال رحمه الله: «خَلِّي السّي المنصوري يديّر الخُدْمَة دِيَالُو».

بهذه العبارة، وباللسان المغربي الدارج خاطبه جلالة الملك. وقد ظلت هذه الجملة محفورة في ذاكرتي، بنصّها، إلى اليوم!

ولأول مرة -فيما أعلم- يتخذ جلالة الملك قراراً في صالح وزير، وليس في صالح الوزير الأول. انتهت جلستنا مع جلالة الملك، وانصرف كل منا إلى حال سبيله. وقد لمست أن القرار الذي اتخذه جلالاته لم يكن ليرضي الطرف الآخر. ومن ثم، تحسّبت ما يمكن أن يعترض سبيلي، وأنا أسعى إلى تطبيق ما تم الاتفاق عليه مع الشركة الأمريكية. فكاتبتُ وزير المالية، وأخبرتهُ بالاتفاق، وطلبت منه تحويل مبلغ مائتي ألف دولار (200.000\$) إلى حساب الشركة المذكورة، تغطية لأتعاب المحامين، كما ورد في الاتفاق. انتظرتُ أسبوعاً بعد كتابة الرسالة، للتوصل بجواب، لم أتوصل بأي ردّ! وبعد أسبوعين، اتصلتُ بالسيد وزير المالية هاتفياً، وسألته: هل توصلت برسالتي في موضوع شركة «هولداي إين»؟

- جاء جواب السيد الوزير بالإيجاب: ... نعم لقد توصلت.

- هل حوّلت المبلغ المطلوب إلى الشركة؟

- ما زلتُ أفكّر...؟! (ونطقها بالدارجة كالاتي: أنا كَنَحَمَم).

شكرتُ السيد الوزير، وودعته. انتظرتُ أسبوعاً آخر، لم يحرك السيد الوزير ساكناً. بدأتُ أشعرُ بالإحراج تجاه الوفاء بما التزمتُ به مع الشركة، وما

وافق عليه الملك الحسن الثاني. ذات يوم، وعلى الساعة التاسعة صباحاً، اتصلتُ بالسيد وزير المالية، قلت له: أنا قادم إلى مكتبك لزيارتك. رحّب السيد الوزير بالزيارة. بعد وصولي إلى مكتبه، تبادلنا أطراف الحديث حول هذا الملف، وقلت له: منذ شهر تقريباً، وأنا أنتظرُ منكم إكمال ما يتعلق بالشركة الأمريكية، بتحويل المبلغ المالي المتفق عليه لصالحها، وإلى الآن لم يتمّ هذا الأمر؟

لاحظتُ من خلال حديثنا أن السيد وزير المالية يوجد في وضع مُحرَج، لا سيما وأنه من أصدقاء الوزير الأول، حينئذ خاطبته بقولي: لقد زرتك هذا الصباح لأخبرك بأنّ جلالة الملك قد أعطى أوامره في هذا الموضوع، وحُسم الأمر. وأنا ليس من أخلاقي أن أُبلِّغ شكاية إلى جلالته بأي شخص، كان وزيراً أو غير وزير، إلّا إذا تعلّق الأمر بالمصالح العليا لوطني، فإذا لم يتم هذا التحويل إلى الشركة خلال الأيام القادمة، سأكون مضطراً لإبلاغ هذا الأمر إلى جلالة الملك!

إيقاع كلماتي دفعتُ السيد وزير المالية إلى الوقوف، واتجه صوب نافذة مكتبه، وأدار لي ظهره، وخاطبني، وهو يمدّ بصره من النافذة خارج المكتب، قال: «أَسِي الْمَنْصُورِي غَدِي تَكُون عِنْدَكَ مَشَاكِلُ كَبِيرَة» !!

انتصبتُ واقفاً، وقلت مخاطباً الوزير: إنّ ما أقوم به، وأحرص على تنفيذه هو أمر في مصلحة وطني، وليس لي فيه أية مصلحة شخصية...!

ختمتُ حديثي مع الوزير بهذه العبارة وانصرفت. لم تمر سوى أيام على هذا اللقاء حتى تمّ تحويل المبلغ المقرر إلى حساب الشركة الأمريكية، وأغلق الملف.

وإذا رغب القاريء الكريم في معرفة صورة أخرى مما عانيته أثناء تسييري لوزارة السياحة، فيمكن أن يصحبني، وأنا أسردُ له قصة شركة «الضيافة» ! وليسأحني مُصاحبي إذا كانت «الضيافة» على إيقاع المعاناة !

لفظ «الضيافة» في هذا السياق يُحيل على شركة تحمل هذا الاسم. كانت في ملك الدولة، وتسيّر مجموعة من الفنادق، بلغت أكثر من عشرين فندقاً، تتوزع على مدن مغربية مختلفة. لكن مع مرور الزمن، تبين أن إمكانيات هذه الشركة لا تمكّنها من تسيير تلك الفنادق بالشكل المطلوب، لا سيما الإصلاحات وترميم البنايات وتجديد التجهيزات المختلفة... إلى آخره. هذا الملف كان من بين ما ورثته من مخلفات الفترة السابقة على تسلمي مهام وزارة السياحة. ولعدم توفر الوزارة على الميزانية المطلوبة، ظهر مستثمرون مغاربة كوّنوا شركة، أطلقوا عليها اسم «دنيا ميرديان».

كانت هذه الشركة ترغب في تسلّم الفنادق التي تشرف «الضيافة» على تسييرها، وأبرموا عقداً بأن تقوم الدولة بإصلاح تلك الفنادق، وهو الإصلاح الذي سيكلف ميزانية ضخمة، ثم تتكف الشركة بتسييرها مقابل دفع مبلغ مليون درهم في السنة! مبلغ تفوح منه رائحة التلاعب! أكثر من عشرين فندقاً من الفنادق الفخمة في البلد، يُقدّم للدولة -من أجل تسييرها- هذا المبلغ الزهيد!؟

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن هذا العقد أبرم قبل تسلمي المهامي الوزارية، وكان على وشك التنفيذ، فقمّت بإيقاف تنفيذه.

غير أن مؤسسي الشركة سيتمادون في خطتهم، وساعدهم مَنْ ساعدهم، لتصل مذكرة إلى الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. لم تُقدّم لجلالة الملك كل المعطيات، وأخفيت عن جلالته الكثير من الحقائق! وعلى ضوء ما توصل به جلالة الملك، سيتصل بي هاتفياً ليخاطبني بقوله: هذه الشركة سيكون الإشراف على تسييرها من طرف سلسلة «ميرديان»، التابعة للخطوط الجوية الفرنسية (Air France)، ما يساهم في ازدهار سياحتنا بجلب السياح للمغرب؛ وأكثر من هذا، فقد علمت أنها شركة في ملكية عائلة روتشيلد Rothschild، وأنت تعلم الخدمات التي يقدمها بعض أفراد هذه العائلة، في إطار اللوبي اليهودي...

وأضاف جلالته: حاول أن تجد حلًا لهذا الملف.

كان جوابي: الله أيبَارِكُ في عمر جلالتكم، إذا أمكن إمهالي بعض الوقت لفحص الملف بعناية، ثم أقدم الجواب لجلالتكم.

وبالفعل، قمتُ بقراءة أخرى للملف، وبتمعن أكبر وفحص دقيق، وتتبع لكل العناصر التي تبدو حاملة لشبهة إلى أن جمعتُ كل العناصر المطلوبة، والتي نسجتُ من خلالها الصورة الحقيقية لهذه الواقعة!

فما هي الصورة التي سأعمد إلى تقديمها إلى جلالة الملك؟

لقد تبين لي أن هذه الشركة تتكون من مستثمرين مغاربة، وأنها اشترت اسم «ميريديان Le Méridien» لتصبح في صيغتها المغربية «دنيا ميريديان». وليست لها علاقة مع شركة ميريديان الفرنسية، وخاصة بعد إفلاس هذه الأخيرة، وكذلك لم تبق لها علاقة لا مع الخطوط الجوية الفرنسية (Air France) ولا بعائلة روتشيلد.

صُغتُ مذكرة في الموضوع بالأدلة والحُجج التي توصلت إليها، وضممتها ما تم إخفاؤه على جلالة الملك. اطلع جلالته على المذكرة، ولم تكن هناك متابعة وأغلق الملف.

ولما كانت قراراتي لا تتماشى مع مصالح بعض اللوبيات، فقد تحيّنوا الفرصة لإزاحتي عن وزارة السياحة ليخلو لهم الجوّ. فالسياحة ميدان يغري بالاستثمار المجدي، غير أن هناك -مع الأسف الكبير- من يسعى إلى الثراء، ولو على حساب المصالح العامة.

متى حانت الفرصة المنتظرة؟

في أواخر سنة 1978، حيث كانت خزينة الدولة المغربية تعاني عجزاً، ولا سيما في جلب العملة الصعبة، طلب الملك الحسن الثاني من الرئيس الفرنسي

«فاليري جيسكار ديستان Valéry Giscard d'Estaing» خلال زيارته للمغرب، أن يبعث له بعض الخبراء في مجال المالية والاقتصاد. فجاءت استجابة الرئيس الفرنسي لطلب جلالة الملك سريعاً، لتحل ببلادنا لجنة من هؤلاء، وعلى رأسهم السيد «أبرير Abrir» مدير الميزانية في وزارة المالية الفرنسية، وذلك لمساعدة المغرب في البحث عن حلول، وتحديد القطاعات التي يمكن أن تكون الوسيلة الناجعة لسدّ العجز في الخزينة وجلب العملة الصعبة للبلاد.

حين وصول اللجنة الفرنسية برئاسة السيد «أبرير Abrir» إلى المغرب، تكوّنت لجنة مغربية من عدة وزراء ومديرين. عقد الطرفان عدة اجتماعات ضمت أطراً من مختلف الوزارات والمؤسسات العمومية، وأسفرت عن خلاصة صيغت في تقرير ليقدم إلى جلالة الملك.

كان جلالتة في تلك الآونة مقيماً في مدينة فاس، وفيها استقبل السيد «أبرير Abrir» بحضور الوزير الأول ووزير الداخلية وصديقي الدكتور بنهيمه، وبعض الوزراء، ليعرض الخبير الفرنسي النتائج المتوصل إليها. ومن بين الأمور التي ركز عليها هذا الأخير، ضرورة الاهتمام بالقطاع السياحي، باعتباره من القنوات الأساسية لجلب العملة الصعبة، وكذا إصلاح الإدارة والمؤسسات العمومية. وفي هذا اللقاء الذي تمّ مع جلالة الملك، أشار بعض الحاضرين إلى أهمية السياحة في هذا الباب، وأردفوا قولهم: «نعم سيدي، يلزمنا شخص ديناميكي في السياحة؟!»

حينما استمع جلالة الملك إلى هذه الأقوال، لفتت انتباهه تلك العبارة التي تطالب بالبحث عن وزير ديناميكي للسياحة؟! فسألهم: لماذا سنغير الوزير الحالي؟

لم يكن صعباً على هؤلاء الحاضرين البحث عن المبررات، فتّم تقديم ذرائع لها خلفيتها المسكوت عنها...!

ومن بين ما جاء على ألسنة بعضهم، قولهم بأن الوزير الحالي، سيدي،
«خُدودي»... لا يسهر، ولا يشارك ولا ينظم الحفلات الخاصة...!!

هذه تلميحات إلى بعض العبارات التي جاءت في اللقاء الذي دار بين
بعض الوزراء الحاضرين في لقائهم مع جلالة الملك الحسن الثاني.

لم أكن حاضراً في هذا الاجتماع، لكن صديقي الدكتور محمد بنهيمه
كان هناك. ونظراً لطبيعة العلاقة الودية التي تجمعنا، فقد حكى لي بعض ما دار
في تلك الجلسة، وأبدى استغرابه مما جرى، وخاطبني بقوله: أنا لا أفهم «هاذ
الناس»؟! من «يسهر» يُعَيَّرُونَهُ، ومن لا «يسهر» ينتقدونه لترك ذلك...؟!!

وبعد مدة، اتصل بي السيد ادريس البصري، وزير الداخلية آنذاك،
هاتفياً، وقال لي: لقد كلفني جلالة الملك بعقد جلسة خاصة معك. ودعاني
السيد الوزير إلى عشاء بمنزله. تمت الجلسة، وخلال الحديث الذي دار بيننا،
خاطبني قائلاً: لقد كلفني جلالة الملك بأن أخبرك أنه سيعيّنك وزيراً للوظيفة
العمومية والشؤون الإدارية. وهذه الوزارة مكاتبها داخل القصر، ومن بين
الوزراء الذين عُيّنوا فيها السيد أحمد عصمان، والأستاذ محمد باحني، وهما
من المقربين لجلالته، وليس أي شخص يتقلد هذه الوزارة. وأضاف بالدارجة:
«جلالته راضي عليك».

فكان جوابي: «الله أيبارك في غمّر ملكنا، وكل ما يأمر به جلالة الملك
سنعمل به».

أتمنا جلستنا، لأغادر بعدها منزل وزير الداخلية السيد إدريس
البصري، وأنا متقلدٌ لمهام أخرى، نقلتني من مجال السياحة إلى الوظيفة
العمومية والشؤون الإدارية. وكلّ هذا لم يكن في علم السيد أحرسان رئيس
الحزب الذي تقلدت الوزارة باسمه !



خلال استقبال السيد مراندا رئيس مجلس النواب الإسباني بمدينة الرباط. دعوته لزيارة المغرب وأنا أشغل منصب وزير السياحة. وفي الصورة عن يساري الوزير الأول السيد المعطي بوعبيد.



خلال استقبالي في مدينة مدريد بإسبانيا من طرف رئيس مجلس النواب الإسباني السيد توركوانو ميراندا سنة 1978. وفي الصورة السيدة بيوديس فلورين.



أحد التدشينات في مكناس، في الصورة: عز الدين العراقي، رحالي رحال،
المحجوبي أحرضان، المنصوري بنعلي.



المنصوري بنعلي وزير السياحة مع عبد اللطيف الغساسبي وزير المالية، المحجوبي
أحرضان وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، رحالي رحال وزير الصحة.



مع الدكتور عبد الكريم الخطيب، ومولاي مصطفى العلوي وأحمد بنسودة
في إحدى المناسبات.



مع الطيب الصديقي في مراكش على هامش مهرجان الفنون الشعبية
سنة 1977، وفي الصورة السيد طارق عامل إقليم مراكش

في وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري:



صورة لتعييني لأول مرة على رأس وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية بحكومة
الأستاذ أحمد عصمان سنة 1978.

حضر هذا التعيين السيد الوزير الأول الأستاذ أحمد عصمان والجنرال مولاي حفيظ العلوي
مدير التشريعات الملكية.

في الصورة من اليسار: صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، و
المستشار الأستاذ أحمد رضى الكديرة، والمستشار إدريس السلاوي، والمستشار الأستاذ أحمد
بنسودة، ووزير الداخلية الدكتور محمد بنهيمه، والمستشار الدكتور عبد الهادي بوطالب،
والسيد المنصوري بنعلي وزير الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية.

في إطار تعديل جزئي للحكومة التي يترأسها السيد أحمد عصمان، تمّ تعييني وزيراً للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية. تمّ الاستقبال من طرف الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، داخل قاعة العرش، بالقصر الملكي بالرباط. جرى هذا الاستقبال بحضور الوزير الأول، ومستشاري صاحب الجلالة، ووزير الداخلية، ومدير التشريفات الملكية. وفي نفس الاستقبال الذي تسلّمْتُ فيه مهامّي الجديدة، تمّ تعيين السيد عبد اللطيف الجواهري وزيراً منتدباً لدى الوزير الأول، مكلفاً بإصلاح المؤسسات العمومية، والسيد عز الدين جسّوس وزيراً للسياحة.

بعد انتهاء مراسيم التعيين، توجه الجميع إلى قاعة مجاورة، كانت مهيّأة لتقديم المشروبات والحلويات. كان المغفور له الملك الحسن الثاني، في تلك اللحظة منشرحاً، يتبادل الحديث مع بعض الحاضرين. وفي لحظة، وجدته متجهاً نحوي مبتسماً، وخاطبني قائلاً: أسّي المنصوري، الآن وقد تركت وزارة السياحة، ماذا يمكن أن تقول لي عن هذا القطاع؟

كانت المناسبة مواتية لأطلع جلالته الملك على نظرتي عن مستقبل السياحة في المغرب، ولا سيما بعض البرامج المسطرة التي لم تتح لي الفرصة لتنفيذها. أفسح لي جلالته الملك مجال القول، مدة من الزمن ليست بالقصيرة، أصغى إليّ باهتمام كبير، حتى إذا أنهيتُ كلامي، خاطبني بقوله: أسّي المنصوري، بهذه الأشياء التي قدّمت لي، فأنت تعرف عن السياحة أكثر من أي شخص آخر. وقال: «علاشْ تَنحَيِدْكَ من هذه الوزارة؟»

نظرتُ إلى جلالته الملك وقلت: «الله ائبارك في عمّر جلالتم». ثم وجدته يرفع بصره صوب الوزير الأول، ومن يقف بجانبه من المستشارين؛ كانت تلك النظرة حاملة لأكثر من معنى، أحسستُ وكأنه يقول لهؤلاء: ليست هذه هي الصورة التي قدّمت لي عن السيد المنصوري بنعلي كوزير للسياحة!؟

في هذا اللقاء -وكما سبقت الإشارة- تمّ تعيين السيد عبد اللطيف الجواهري. والحق أن من الأشياء الجميلة التي رجحناها في هذا الاستقبال هي صداقة هذا الرجل الطيب، والتي ستتطور علاقتي به، بل إنه من الشخصيات التي ما أزال مرتبطا معها بعلاقة صداقة عميقة وحميمية، لما يتمتع به من أخلاق عالية وجدية كبيرة. ولما كان تعيينه وزيراً في نفس اليوم الذي تسلّمت فيه مهامى الجديدة، فقد استمع إلى شهادة الملك الحسن الثاني التي فاه بها في حقي. وسيكون مكنتي الجديد داخل القصر الملكي، حيث كان -في فترة سابقة- مكتب السيد أحمد عصمان، ووزير الدولة الحاج محمد باحيني.

بعد فترة قصيرة في حكومة السيد أحمد عصمان، سيتمّ تعييني في نفس حكومة السيد أحمد عصمان وزيراً للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية، أي أضيفت إلى مهمتي مسؤوليتين أخريين تتعلقان بالإصلاح الإداري والخدمة المدنية. ولإعطاء العناية اللازمة لما أضيف إليّ، قمتُ بإنشاء مديرية تكون مهمتها الأساس، ما يتعلق بالإصلاح الإداري. غير أنّي حينما بدأت العمل في تفعيل ما أراه ضرورياً لإصلاح ما يمكن إصلاحه في دواليب الإدارة المغربية، اصطدمتُ بالأمر الواقع، ويتمثل في تحكّم وزارة أخرى فيما نقترحه من حلول.

لقد اتضح أنّ أيّ إصلاح إداري له عواقب مالية، ولا يمكن أن يتحقق إلاّ بموافقة وزارة المالية ! ترتّب على هذا الأمر تعدد اجتماعات أطر وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية، والوزارات الأخرى مع مسؤولي وزارة المالية. وصادقتُ هذه المرحلة ظروفًا تمثلت في الأزمة المالية والاقتصادية التي مرّ بها المغرب، مع تصاعد حركة الإضرابات، لهذا تعددت اجتماعاتنا بالمنظمات النقابية، وخاصة الكنفدرالية

في وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية:



مع صاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني بعد تشكيل الحكومة برئاسة
الأستاذ المعطي بوعبيد سنة 1979 شغلت فيها منصب وزير الشؤون الإدارية
والوظيفة العمومية والإصلاح الإداري، ثم وزير النقل بعد التعديل الحكومي.



الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد يستقبل بحضور كوزير للتوظيف العمومية
مارسولانغ (SGG) الكاتب العام للحكومة الاشتراكية الفرنسية سنة 1981.



في حديث مع الوزير الأول السابق الفرنسي ميشيل دوبري، وأنا أشغل يومئذ منصب
وزير للتوظيف العمومية والإصلاح الإداري.



مع وزير الخارجية الفرنسي السابق ميشيل جوبيير لدى استقباله من طرف الوزير الأول
الأستاذ أحمد عصمان بمقر الوزارة الأولى بالرباط.



في حديث مع الوزير الأول الفرنسي السابق ميشيل دوبري أثناء توديعه في مطار
فاس - سايس وقد ارتدى سلهاما مغربيا، قدم له هدية من جلالة الملك الحسن
الثاني أثناء استقباله بالقصر الملكي بفاس.



في حفل توزيع الشهادات على أحد أفواج المتخرجين من المدرسة الوطنية للإدارة العمومية. وفي الصورة، على يميني: الشيخ محمد المكي الناصري، محمد الفاسي، وعلى يساري عبد اللطيف الغساسي وزير المالية، سفير المملكة العربية السعودية



حفل توزيع الشهادات في نهاية السنة الدراسية بالمدرسة الوطنية للإدارة العمومية . في الصورة من اليمين إلى اليسار: أرسلان الجديدي، وزير الشغل، حدو الشيكو وزير الداخلية، عز الدين العراقي وزير التربية الوطنية، المنصوري بنعلي وزير الوظيفة العمومية والإصلاح الإداري

الديمقراطية للشغل (CDT) التي كان يرأسها المرحوم السيد محمد نوبير الأموي. ولما كان الحوار مع الهيئات النقابية متشعباً، فقد كوّن رئيس الحكومة لجنة وزارية تتألف من وزير الداخلية السيد ادريس البصري، ووزير المالية السيد عبد الكامل الرغاي، ووزير التخطيط السيد الطيب بن الشيخ (مقرر اللجنة)، وأنا بصفتي وزير الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية، ومديرين من بعض الوزارات المختصة.

سنجد أن اجتماعات هذه اللجنة انتهت في حوارها مع الهيئات النقابية، إلى تفهم هذه الأخيرة لوضعية المغرب الذي كان يمر بأزمة مالية، لا تسعف الحكومة في تلبية كل المطالب، ولكن دون أن تغفل تحقيق بعضها، مما لا يعمق الأزمة المالية للبلد.

أودّ أن أشير هنا، وقبل الحديث عن مهام كوزير للنقل، إلى ما بدأ يخامرني في هذه المرحلة، من ميل إلى العمل الجمعي، حيث عمدتُ إلى تكوين جمعية حملت اسم «جمعية حوض البحر الأبيض المتوسط»، إيماناً منّي بأنها ستكون أداة فاعلة للعمل التنموي لبلادي، بدءاً من الاهتمام بمنطقتي الريفية التي نشأت فيها. وقد عرفت نشاطاً كبيراً وأنا وزير للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية.

بعد حكومة السيد عصمان، تشكلت حكومة جديدة يترأسها الأستاذ المعطي بوعبيد، وأسندت لي نفس الوزارة أي وزارة للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية.

في وزارة النقل:



مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بمدينة إيفران بعد تشكيل الحكومة التي ترأسها السيد المعطي بوعبيد للمرة الثانية سنة 1981، شغلت فيها منصب وزير النقل.

في الصورة: من اليمين إلى اليسار السيد المنصوري بنعلي، السيد إدريس البصري، السيد المحجوبي أحرسان، الأستاذ المعطي بوعبيد، جلالته الملك الحسن الثاني، ولي العهد الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس نصره الله) السيد مولاي أحمد العلوي

وبعد هذه المرحلة، جاءت الحكومة الثانية برئاسة الأستاذ المعطي بوعبيد، عينني الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وزيراً للنقل في حكومة الأستاذ المعطي بوعبيد الثانية. كان ذلك سنة 1981. وعلاقتي بالأستاذ المعطي بوعبيد، على درجة عالية من الودّ والاحترام، وقد رافقته في مهمات عديدة، خارج أرض الوطن. كما صحبته في زيارات رسمية إلى الصين، وتونس، والبرازيل.

حينما تمّ تعييني وزيراً للنقل، كان أول مشكل صادفته هو غياب المرسوم الذي ينظم اختصاصات وزارة النقل، التي كانت في مرحلة سابقة، مدججة في وزارة الأشغال العمومية، في عهد الوزير محمد الدويري. وعند انفصال وزارة النقل عن هذه الأخيرة، ظلت بعض اختصاصاتها بيد وزارة التجهيز، منها بعض المصالح التقنية والاجتماعية، التي احتفظت بها وزارة السيد محمد الدويري. ظل النزاع قائماً، ولم تصدر المراسيم المنظمة لاختصاصات كل وزارة على حدة، بحيث لم يستطع الوزير، الذي كان قبلي، أن يتفق مع وزير التجهيز لوضع المراسيم لتحديد اختصاصات كل وزارة، وبقي كل وزير يسيّر مصالح وزارته، مع تضارب الاختصاصات. وعند تعييني في وزارة النقل، وجدتُ هذا الوضع قائماً، ولم أجد له حلاً مع الوزير محمد الدويري إلى أن غادر وزارة التجهيز، وتمّ تعيين السيد محمد القباج وزيراً مكانه، والذي شغل في فترة ما، منصب الكاتب العام لهذه الوزارة.

استبشرتُ خيراً بتعيين السيد محمد القباج وزيراً للتجهيز، خاصة وقد ربطتني به علاقة طيبة قبل هذه المرحلة. اعتبرتُ تعيينه على رأس هذه الوزارة بداية لحلّ المشكل القائم بين وزارة التجهيز، ووزارة النقل. عند تسميته في هذا المنصب الوزاري، هتأتهُ بالثقة المولوية التي وضعها فيه جلالة الملك. وعندما استتبّ له الأمر داخل وزارته، أبديتُ له رغبتني في البحث عن حلّ لذلك المشكل الذي ظلّ معلقاً بين الوزارتين. فاقترحتُ عليه تكوين لجنة ثنائية، تتألف ممن لهم دراية بالموضوع من الطرفين معاً. وحصل الاتفاق على هذا الأمر. فتمّ تعيين السيد مزيان بلفقيه، الذي كان يشغل يومئذ، منصب الكاتب العام لوزارة التجهيز، وكلفتُ بدوري، السيد عبد القادر النويني، الكاتب العام لوزارة النقل، ليكون على رأس اللجنة التي تمثل هذه الوزارة، وانضافت إليهما مجموعة من الأطر، من الوزارتين معاً.

اجتمعت اللجنة، وقدمت اقتراحات لحلّ ما كان عالقاً من مشاكل. وبعد أن اطلعتُ على ما توصلت إليه اللجنة، أخبرتُ السيد وزير التجهيز محمد القباج بموافقتي على تلك المقترحات، التي اطلع عليها بدوره.



في حديث مع وزير النقل الفرنسي شارل فتيorman، ممثل الحزب الشيوعي في الحكومة الاشتراكية 1981، يوم استقبلني في مكتبه بباريس باعتباري وزير النقل.

كان من المفروض أن يُعقد اجتماع يجمعني مع السيد القباج، للمصادقة على ما توصلت إليه اللجنة، بشكل رسمي، ونتفق على صيغة معينة لطرح المرشومين معاً، دفعة واحدة، أمام مجلس حكومي محدد في الزمان.

طال انتظاري لعقد هذا اللقاء، لكن الأمر لم يتم.

بدأ يخامرني بعض الشك، وأحسستُ، وكأنّ أمراً ما يُحاك في الخفاء. وصدق حدسي، حيث علمتُ أن السيد محمد القباج، وزير التجهيز، قد تراجع عما وعد به، وتم الاتفاق عليه ! بمعنى آخر، لقد احتفظ بنفس المصالح والاختصاصات، التي هي من حق وزارة النقل، لتبقى تابعة لوزارته. لقد وجدتُ نفسي أمام صورة مكررة لما عانيتُه مع وزير التجهيز السابق، السيد محمد الدويري ! علماً أن السيد محمد القباج -وهو الكاتب العام السابق لتلك الوزارة- كان يصارحني، عندما كان يزورني في مكنتي، بمشروعية مطالب وزارة النقل عندما تمّ إعفاؤه من منصب الكاتب العام من طرف الوزير الدويري ؛ حتى إذا نُصّب وزيراً للتجهيز، تنكّر لما كان يُساندني فيه !



مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بعد تشكيل الحكومة برئاسة السيد
كريم العمراني سنة 1983 ، شغلت فيها منصب وزير النقل.

في الصورة: ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد، كريم العمراني،
أحمد عصمان وزير الدولة، عبد الرحيم بوعبيد وزير الدولة، محمد بوسته وزير
الدولة، المعطي بوعبيد وزير الدولة، المحجوبي أحرسان وزير الدولة، الحاج
محمد باحنيبي وزير الثقافة.

ولم يقف سلوك السيد وزير التجهيز عند هذا الحدّ، بل سعى عبر المناورة
إلى تمرير المرسوم، بالشكل الذي يحقق به ما أراد ! كيف ؟

مرّ التحايل عبر خطوات، فقد اتصل السيد محمد القباج بالسيد محمد
التوگاني، كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالشؤون الإدارية، وكانت
بينهما علاقة مصاهرة. الهدف من هذا الاتصال بالسيد التوگاني واضح ! فهو
المكلف بالشؤون الإدارية، وبالتالي يمكن أن يدرج المرسوم المتعلق بوزارة
التجهيز، في جدول أعمال المجلس الحكومي للمصادقة عليه !

كانت الخطة تمرير هذا المرسوم، وتغيب الآخر، المتعلق بوزارة النقل !

ولتحقيق هذا الهدف، لم يكتف السيد القباج بالضغط على السيد التوگاني، كاتب الدولة في الشؤون الإدارية، بل سيلتجئ إلى السيد أحرسان وزير الدولة في التعاون يومئذ، ليلبغه أنني أشكّل عرقلة في سبيل خروج المرسوم الذي ينظم اختصاصات وزارته. كان يعلم أنني أشغل منصب وزير النقل، باسم حزب الحركة الشعبية، وأن اللجوء إلى السيد أحرسان، سيشكل ضغطاً عليّ، أما السيد التوگاني، فبالإضافة إلى انتمائه إلى حزب الحركة الشعبية، فإن علاقة المصاهرة التي تجمع أخ التوگاني مع الوزير القباج، تشكل ورقة ضغط ثانية! وهو ما تحقق. فقد خضع السيد التوگاني لرغبة وزير التجهيز، واقترح إدراج المرسوم المنظم لاختصاصات وزارة التجهيز - بعد الاطلاع عليه ودراسته - منفرداً، في مجلس الحكومة، للمصادقة عليه.

فاجأني هذا السلوك، ولم أكن أنتظر أن يصدر مثله عن السيد محمد القباج، خاصة وأن الاتفاق بين الوزارتين قد تمّ عبّر ما توصل إليه رئيسا اللجنة، وهما الكاتبان العامان للوزارتين، لكي يُقدّم مرسومان اثنان، يتعلق الأول بوزارة التجهيز، والثاني بوزارة النقل، لتتم دراستهما من طرف وزارة الوظيفة العمومية وتقديمهما معاً في المجلس الحكومي.

لكن، خاب ظنيّ...!

تجددت المفاجأة، حينما اجتمع المجلس الحكومي، وتلا علينا الأستاذ المعطي بوعبيد، الوزير الأول، مشاريع القوانين التي سيصادق عليها المجلس. وكان ممّا طرق أذني، مرسوم يتعلق بوزارة التجهيز! رفعتُ أصبعي، أطلبُ الكلمة. أعطيت لي فقلت: لقد اتفقنا - أنا والسيد وزير التجهيز - على تكوين لجنة، أسفرت اجتماعاتها على إعداد مرسومين، يتمّ تقديمهما معاً، في مجلس حكومي واحد! ثم يفاجئني السيد القباج اليوم، بمرسوم واحد، يتعلق بوزارته فقط! ثم أضفت: وهذا الذي يقدمه اليوم، هو المرسوم الذي أعده الوزير السابق، السيد محمد الدويري، وليس المرسوم الذي تم الاتفاق عليه، ضمن اللجنة المشتركة؟! لذلك، أنا لست متفقاً على إخراج هذا المرسوم، بالشكل الذي قُدّم لنا اليوم!

لم تقف المفاجأة عند هذا الحدّ، بل ستزداد حيرتي، وأنا في هذا المجلس الحكومي، حينما تناول الكلمة السيد المحجوبي أحرضان، وزير الدولة في التعاون، ورئيس الحزب الذي أنتمي إليه. كانت كلمته دفاعاً عن وزير التجهيز، السيد محمد القباج. ومما قاله في هذه الكلمة: «لا يمكن للمنصوري أن يوقف مرسوماً لوزارة كبيرة، كوزارة التجهيز»!

لم يتكلم وزير التجهيز، ولم ينبس السيد محمد التوگاني بكلمة! فقد وجدا في السيد المحجوبي أحرضان خير مدافع عن موقفهما لإخراج ذلك المرسوم!

بدا لي خلال تلك الأجواء، أن خيوط مؤامرة قد نسجت حولي! واعتقد المعنيان، أن دفاع السيد المحجوبي أحرضان، وهو رئيس الحزب الذي أنتمي إليه، سيمنعني من التعقيب على تدخله. ولاحظتُ في نفس الآن، أن الأستاذ المعطي بوعبيد الوزير الأول، قد وقع في حيرة من أمره، ولم يطلب تفسيراً لما يدور في ذلك الاجتماع، في شأن المرسوم المقدم للمجلس الحكومي!؟

في تلك اللحظة، قمتُ واقفاً، ومخاطبا السيد الوزير الأول، وقلت: إذا تمت الموافقة على هذا المرسوم، فإنني سأغادرُ هذا المجلس! عندئذ خاطبني الأستاذ المعطي بوعبيد قائلاً: اجلس أسّي المنصوري، هذا المرسوم لن يصادق عليه في هذا الاجتماع، وسيؤجل النظر فيه.

بعد خروجنا من اجتماع المجلس الحكومي، اتصلتُ هاتفياً بالسيد المحجوبي أحرضان، وطلبتُ منه عقد اجتماع، يجمع وزراء الحركة الشعبية، المعيّنين في الحكومة. رغب السيد المحجوبي أحرضان، في عقد الاجتماع في مكتبه بوزارة التعاون. أقنعتُهُ بأن يتم الاجتماع في مكنتي بوزارة النقل، تجنباً لأي إزعاج أثناء انعقاده، ذلك أن مكتب السيد أحرضان، يعرف حركة كبيرة، من خلال تردد الكثيرين عليه، فهو شبيه بملحقة لمقر الحزب!

تمّ الاجتماع في مكنتي بحضور وزراء الحركة، ودار خلاله حوار ساخن، ومما جرى أثناءه، بيني والسيد أحرضان ما يلي:

بدأتُ مخاطبا رئيس حزب الحركة الشعبية: السّي أحرسان، هل أنا عضو
في هذا الحزب أم لا...؟

-أجاب: طبعا!

-هل أنا عضو في المكتب السياسي؟

-نعم!

-إذاً، لماذا قمتَ بذلك الدفاع الشرس لصالح السيد محمد القباج، وزير
التجهيز، وهو ليس من حزبك؟ لما اتخذتَ هذا الموقف ضدي...!؟

كانت أسئلتى التي انسابت تباعا، بمثابة الشرارة التي أوقدت ناراً تأجج
لهيها في أعماق الرجل، فتدفقت طيِّ عباراته التي كشفت عما كان يطويه
داخله، من غضب نحوي. لقد شحنه المغرضون ضدي، من خلال ما كانوا
ينقلونه إليه من أخبار كاذبة، وما ينسجونه من أراجيف، يخلقونها لزرع
الشكوك في علاقاتنا؛ ومع الأسف، فإن السيد أحرسان كان يقع ضحية ما
ينقل إليه، مصدّقاً -في الأغلب الأعم- تلك الوشائيات المغرضة.

لذلك، حينما واجهته بتساؤلاتي عن الموقف الذي اتخذته ضدي في مجلس
الحكومة، اعتبر الاجتماع فرصة مواتية، للكشف عن توجّساته نحوي، فحوّل
الحديث من الموضوع الذي اجتمعنا من أجله، إلى قضية أخرى، لم تكن سوى
شؤون جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»! قال سامحه الله: إن جمعيتك
أصبحت أهم وأكبر من الحزب! لقد استقطبت الأطر، ونظمت تظاهرات
كبيرة، وتعددت أنشطة هذه الجمعية! إلى أين أنت ذاهب بهذه الجمعية!؟

ثم أضاف: عليك بجلّ هذه الجمعية!

حرّز في نفسي ما سمعته من السيد المحجوبي أحرسان، وتأكد لي أنه كان
مصدّقاً لما كان ينقل إليه من وشائيات، وللصورة التي قدموها له عن جمعيتنا.
لم أشأ أن يمر خطابه، دون أن أبسط أمامه بعض الحقائق، التي تغاضى

عنها. حين سمعتُ ما قاله عن الجمعية، وعن استقطابها للأطر، قلت له:
- هؤلاء الأطر الذين انضموا إلى الجمعية، أليسوا هم أولئك الذين
استصَفْتُهُمْ في منزلك، وجئتُ بهم ليجتمعوا معك؟

-قال: بلى!

-قلت: هؤلاء الأطر، يحضرون الأنشطة التي يترأسها السيد أحرضان
في الأقاليم المختلفة، ويخبروك أن السيد المنصوري، هو الذي أرسلهم لحضور
أنشطة الحزب!

وأضفتُ: بل إن أعضاء هذه الجمعية خارج الوطن، لا يتأخرون عن
الحضور في الاجتماعات والأنشطة التي تقوم بها باسم الحزب، في فرنسا وبلجيكا!
-قال: هذا شيء صحيح؛ ثم زاد قائلاً: لكن البعض يقول لي: إن هذه
الجمعية أصبحت أقوى وأكبر من الحزب!؟

إن مطالبة السيد المحجوبي أحرضان بجلّ جمعية «حوض البحر الأبيض
المتوسط» التي رأسها، لم يكن طلباً منطقياً، فالجمعية لها مكتبها المنتخب،
ولها أعضاؤها وهياكلها، فكيف لي أن أقوم بشكل فردي، لأقدم على حلّها؟! هذا
أمر غير ممكن.

بهذا الموقف واجهتُ السيد المحجوبي أحرضان حينما صدع بما قاله
عن الجمعية.

وانفض الاجتماع الذي جمعي بأحرضان ووزراء الحركة الشعبية
في الحكومة، وانصرف كلٌّ إلى حال سبيله، وكان آخر اجتماع لي مع السيد
أحرضان ووزراء الحركة. كنتُ أعلمُ أن ما جرى في هذا الاجتماع، سينقله
السيد أحرضان إلى المقربين منه، وأن هؤلاء، بمجرد ما سيطلعون على ما
جرى في اجتماعنا، ورفضوا لاقتراح حلّ الجمعية، سيقترحون عليه العمل على
إخراجه من الحزب.

واستباقاً لما أتوقَّعه، وبعد خروجهم من مكنتي، حررتُ رسالة استقالتي من حزب الحركة الشعبية، توصل بها رئيس الحزب السيد المحجوبي أحرسان، بمجرد وصوله إلى مكنته، بعد مغادرة الاجتماع الذي انعقد في مكنتي بوزارة النقل، وسُلِّمت له تلك الرسالة يداً بيده، من طرف أحد أعضاء ديواني، كلفته بهذا الأمر.

ومما قلته في تلك الرسالة: «ابتداء من اليوم، أقدمُ استقالتي، ولم أعد عضواً في أية هيئة من هيئات الحزب، وأن هذا الأمر، لا يمس بعلاقتنا الشخصية والعائلية».

كان عليّ أن أضع الملك الحسن الثاني، في الصورة الجديدة التي أصبحت عليها علاقتي بحزب الحركة الشعبية. تقدمتُ بطلب للقاء جلالته، فحدّد لي موعد في اليوم الموالي لتقديم الطلب.

كان الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يقيم في تلك الفترة، بمدينة مراكش. انتقلتُ إلى هناك، وأخبرت بأن اللقاء سيتم في ملعب الكولف. حينما حضر جلالة الملك، تقدمتُ للسلام عليه. شرع في مزاولة حصته الرياضية وأنا أتابع خطواته، إلى أن أنهى حصته. غادر الجميع، وانصرف كلُّ إلى حال سبيله. طُلب منِّي والجنرال مولاي حفيظ العلوي مدير التشريفات الملكية، عدم المغادرة، والانتظار لمقابلة جلالة الملك.

ركب جلالة الملك سيارته، وصرف السائق. رغب جلالته أن يسوق سيارته بنفسه، وأمرني بالجلوس إلى جانبه، وركب مولاي حفيظ العلوي بالمقعد الخلفي. تحركت السيارة، ليخاطبني جلالته قائلاً: لقد طلبت مقابلي، «ياك لا باس أسي المنصوري»!؟

حكيتُ لجلالته ما جرى لي مع السيد المحجوبي أحرسان، وقرأتُ رسالة الاستقالة التي أرسلتها إليه. ثم قلتُ لجلالة الملك: إنني أطلبُ من جلالتم، أن يعفيني من الوزارة! سألني جلالته: لماذا؟

Monsieur Mahjoubi Aherdan,
Secrétaire Général
du Mouvement Populaire

J'ai l'honneur de vous informer, que pour me permettre d'animer plus activement et de réorganiser l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen, aussi bien au Maroc qu'à l'étranger, j'ai décidé de cesser toute activité au sein du Mouvement Populaire.

Cette décision ne change en rien le respect et l'amitié que je vous témoigne.

Mansouri Ben Ali



Rabat, 21/01/1983

نص الرسالة التي بعثت بها إلى السيد المحجوبي أحرسان، الأمين العام لحزب الحركة الشعبية، أعلن من خلالها قراري بإنهاء كل أنشطتي المرتبطة بهذا الحزب، وتشير رسالتي في أدب ولباقة، إلى الاحتفاظ بالاحترام الواجب للصدقة التي تجمعني بالأمين العام، والعديد من أطر الحزب.

MOUVEMENT POPULAIRE
SECRETARIAT GENERAL
64, Zankat Patrice Lumumba
RABAT

الحركة الشعبية
الكتابة العامة
64 زنقة باتريس لومومبا
الرباط

الرباط في 10 من الخير 404 Rabat
موافق 16 نوفمبر 1983

من السيد محجوبي أحرسان الأمين العام للحركة
الشعبية

//

السيد المنصوري بن علي

الموضوع : إعفاءكم من مسؤولياتكم داخل الحركة الشعبية
المرجع : رسالتكم بتاريخ 17 يناير 1983

سلام تام بوجود مولانا الإمام

وبعد ، فجوابا على رسالتكم المشار إليها في المرجع والتي
أعلنتكم بواسطتها عن تجميد نشاطكم داخل صفوف الحركة الشعبية لأسباب
تتعلق بكم ، يشرفني أن أخبركم بأن الأمانة العامة للحركة الشعبية
لا ترى مانعا في استجابة رغبتكم لكن نظرا لتواجدكم في منصب حكومي
لم يكن لاشقا اتخاذ قرار رسمي بشأنكم فور ورود رسالتكم .

واليوم فإني أبلغكم قرار الأمانة العامة بإعفاءكم من
مهامكم داخل صفوف الحركة الشعبية نزولا عند رغبتكم .

وبناء على ما تقدم فإني أحفظ على العلاقات التي تربط
بين الحركيين أطلب منكم أن لا تسمحوا لانفسكم بالتحدث باسم الحركة
الشعبية التي أصبحت لا تمثلونها على أي مستوى كان من الآن فصاعدا .

وتقبلوا تحياتي والسلام

الأمين العام للحركة الشعبية

امضاء : محجوبي أحرسان



جواب السيد المحجوبي أحرسان الأمين العام لحزب الحركة الشعبية، على رسالتي
التي قررت من خلالها، إنهاء كل أنشطتي المرتبطة بهذا الحزب، ويلاحظ أن جواب
السيد الأمين العام، صيغ بأسلوب انفعالي، لا يخلو من حدة !

قلت: لقد عيّني جلالة الملك وزيراً باسم حزب الحركة الشعبية، وأنا الآن، لم تعد تربطني بهذا الحزب أية رابطة...؟! ولا مع المحجوبي أحرضان! ولا أريد أن أتسبب في أي مشكل!

نظر إليّ رحمه الله، بعد فترة صمت وتأمل، وكم كانت نظراته معبرة! وقال بلسان عربيّ دارج، وبإيقاع دالّ: «رَجَعُ دَابَا أَحْرَضَانُ هُوَ الْيِّ كَيْعِينُ لُوزْرَا، وَكَيْزُولُ لُوزْرَا!» ثم أمرني جلالته بالرجوع إلى الرباط وأن أتابع القيام بمهامي. إن استقالتني من حزب الحركة الشعبية لم تكن لتمرّ بدون ردود الفعل. وما توقعته من السيد أحرضان، بعد النقاش الذي دار بيننا، قد حصل.

ما الذي حدث؟

بعد أن أطلع السيد أحرضان بعض الأعضاء، ومنهم المكتب السياسي للحزب، على رسالة استقالتي، اقترح عليه بعض المناوئين لي، أن يجمع برلمانيّ إقليم الناظور، ليستنكروا ما أقدمتُ عليه! بل حرّضوا على تشويه صورتي بشكل عام!

كان على رأس الذين تجنّدوا لقيادة هذه الحملة ضدّي، شخص اسمه الرحماني، الكاتب العام لوزارة أحرضان.

هذا الاسم ليس غريباً عليّ، أعرفه جيّداً. كان الرجل موظفاً في أحد الأبنك بمدينة الناظور، وكانت له علاقات مع تجارها. وعندما أصبحتُ وزيراً للسياسة، طلب منّي بعض أعيان الناظور، إلحاقه بهذه الوزارة، فاستقبلته وعيّنته بعد فترة، مديراً لشركة «الضيافة»، التي كانت تسير أكثر من عشرين فندقاً. وعندما عُيّن السيد المحجوبي أحرضان وزيراً للتعاون، وكانت وزارة جديدة يومئذ، اقترحتُ عليه تعيين السيد الرحماني كاتباً عاماً لهذه الوزارة! علماً أن الرحماني لم يكن منخرطاً في حزب الحركة ولم تكن له أية علاقة بهذا الحزب من قبل. جزائي من كل هذه المبادرات، أن أجد هذا الرجل على

رأس أولئك الذين سعوا إلى الإساءة إليّ؛ لكن هيهات.

فرغم كل الجهود التي بذلها الجاحد/الرحماني، لم يستطع تحقيق ما كان يسعى إليه.

لقد حاول استقطاب بعض الأعيان وبعض تجار الناضور، ليعثوا بقرقيات إلى الديوان الملكي، ليكيدوا لي كيداً. باءت محاولته بالفشل، وتصدّى أهل الناضور لهذا الجاحد، وطرده حين جاء يحرضهم على هذا العمل المشين. لم تنحصر هذه الحملة فيما قام به الرحماني، بل إن المحجوبي أحرضان، الأمين العام للحزب، عمد إلى عقد اجتماع مع برلمانيّ الناضور، وخطب فيهم، محرّضاً بدوره، وطالبا منهم أن يبعثوا بقرقيات إلى الديوان الملكي، القصد منها المسّ بصورة بنعلي المنصوري الذي «تجرّأ» وقدّم استقالته من حزب الحركة الشعبية! ما إن أنهى المحجوبي أحرضان كلمته، حتى قام البرلماني مولود بوزيان بوطناش، وتوجه بالكلام إلى السيد الأمين العام قائلاً: أنت تعلم أن الفضل كل الفضل في التحاقنا بحزب الحركة الشعبية يعود إلى السي المنصوري، الذي جاء بنا إلى حزبكم، وشجّعنا على الانخراط فيه، وأضاف: إذا كان بينك وبين السي المنصوري أيّ مشكل، فيجب حلّه بينكما.

كان السيد مولود يتحدث باسم برلمانيّ الناضور، وكانوا يومئذ أربعة. وبعد أن أنهى البرلماني مولود بوزيان كلمته، قام الجميع، وانصرفوا إلى حال سبيلهم. بعد كل هذه المناورات، طلب السيد أحرضان من الوزير الأول تعيين وزير من الحركة، ليحلّ مكاني، نظراً لأنني قدّمتُ استقالتي من الحزب! ورغم إلحاحه، فلم يتوصّل بأي جواب! وسيقوم بعد ذلك، بجملة في الصحف لنفس الغرض.

ولمّا يمكن أن تفوح به هذه الفقرة من نكران الجميل، ممثلة صورته في سلوك الرحماني، فلا بأس أن أقدم للقاريء الكريم، صورة أخرى لهذا السلوك،

مما تعرضتُ له من مضايقات أثناء مزاولة مهامي في مستوياتها المختلفة، وبالتالى الوقوف على نماذج بشرية مما صادفتُه في مجتمعنا، ومن فئات اجتماعية متنوعة.

أعرضُ في هذا السياق لنموذج يتمثل في السيد محمد التوگاني، الذي أشرتُ إليه من خلال حديثي عن الخداع الذي حيك حولي، وأنا يومئذ أشغل منصب وزير النقل.

ترجع علاقتي بالسيد محمد التوگاني إلى الفترة التي كنتُ فيها وزيراً للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري. وحينما تقرر تعييني وزيراً للنقل، طُلب من السيد الأمين العام لحزب الحركة الشعبية، اقتراح اسم الشخص الذي سيعوضني في الوزارة التي سأغادرها، فهي إحدى الوزارات التي أسندتسييرها إلى حزب الحركة الشعبية. حدّد السيد المحجوبي أحرضان مجموعة من الأسماء، ثم طلب رأيي فيما اختاره، نظراً لطبيعة العلاقة التي تجمعنا نحن الاثنين، وباعتباري الرجل الثاني في الحزب. وبعد اطلاعي على الأسماء المقترحة، قلتُ للسيد المحجوبي أحرضان: لديّ اقتراحٌ آخر، وطرحْتُ أمامه اسم السيد محمد التوگاني، الذي لم يكن مُدرجاً مع الأسماء التي أعدّها.

كان السيد التوگاني برلمانياً، ورئيس المجلس الإقليمي لأزيلال، فضلاً عن تكوينه القانوني باعتبار انتمائه إلى هيئة المحامين. لكل ذلك، كنتُ أراه الرجل المناسب الذي يمكن أن يخلفني على رأس وزارة الوظيفة العمومية. بدا بعض الاستغراب على ملامح الأمين العام للحزب السيد أحرضان، وسألني: لماذا التوگاني؟ إنه ليس عضواً في المكتب السياسي! كان عليّ توضيح الخلفية الكامنة وراء اقتراحي للسيد التوگاني. فبالإضافة إلى مؤهلاته المهنية، وتجربته البرلمانية، قلتُ للسيد أحرضان: أنت في هذه الانتخابات التشريعية الأخيرة قدمت ترشيحك في منطقة أزيلال عوض أولماس، وفُزت بمقعدك، ونجح إلى جانبك ثلاثة برلمانيين آخرين من نفس المنطقة، ومنهم السيد محمد التوگاني، لقد

قدّمت أزيلال لحزب الحركة الشعبية أربعة برلمانيين، ومن ثم، ستكون أحسن هدية تقدمها لسكان أزيلال، تعيين وزير من تلك المنطقة. اقتنع المحجوبي أحرسان برأيي، وأبدى موافقته على اقتراح السيد التوگاني لمنصب وزير الوظيفة العمومية.

اقتراحي للسيد محمد التوگاني لمنصب وزير، لم يكن ليمرّ دون أن أكتوي بنار الخصوم! لقد عمّق هذا الموقف عداوة خصومي في الحزب، لم أعر اهتماماً لمضايقاتهم، كنت أرمي إلى المصلحة العامة، والدفاع عن الأسماء التي تضع مصلحة البلاد في مقدمة مهامها، إلى جانب المحافظة على صورة مشرفة لحزب الحركة الشعبية.

بعد الموافقة على اسم الوزير الجديد، قلتُ في نفسي: لأحمل هذه البشارة إلى السيد التوگاني! فاتصلتُ به هاتفياً، وطلبتُ منه زيارتي. دار بيننا حديث طويل، وخلال له خاطبته بقولي: هيّء جلياباً وسلهماً! تفاجأ! بدت الدهشة على محيّا، ثم قال: ما الأمر؟

قلتُ: لكي لا تتفاجأ، لقد اقترحتُ اسمك على السيد المحجوبي أحرسان، ممكن أن تعوّضني في وزارة الوظيفة العمومية! أي أنك قد تصبح وزيراً.

قدمتُ له الأمر في صيغة احتمال، لأن تأكيده مرتبطٌ بموافقة السلطات العليا في البلاد. وفعلاً سيُعين السيد التوگاني كاتباً للدولة، لدى الوزير الأول، مكلف بالوظيفة العمومية.

لم يدُر بجُلد السيد التوگاني يوماً، أن يكون له موقع داخل الحكومة المغربية بهذه الدرجة، ولولا اقتراحي له، ودفاعي عنه، وتحملي -من أجله- ما لقيته من الخصوم، ما حصل على هذه المكانة التي كان يتطلّع إليها الكثيرون، من الذين كانوا قبله داخل حزب الحركة.

هذا الذي ساندته، سيتحول إلى شريك في تلك المؤامرة التي دُبّرت ضدي،

وأنا وزير النقل، وبصطفٍ إلى جانب خصومي، ويتواطأ في قضية «المرسوم» التي تحدثت عنها قبلاً. مثل هذه النماذج البشرية، اعترضت سبيلي، في مراحل شتى من حياتي. وهي نماذج تُؤكِّد القولة المشهورة: «اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِ».

بقي أمرٌ فيما يتعلق بعلاقتي بالسيد المحجوبي أحرضان، وهو الذي جمعتني به صداقة حميمية، وأسجلُ هذا الأمر للتاريخ، وهو أنني لم أكن أضمر أيَّ سوء للسيد أحرضان، ولم يكن لي أيَّ طمع في حزبه، والله على ما أقول شهيد؛ غير أن الواشين سعوا لإفساد الودِّ بيننا، وكان، رحمه الله، يصدِّق كل ما يُنقل إليه من أراجيف، (أي بُؤذينة)، تغمده الله بواسع رحمته.

وأعودُ إلى سرد بعض المحطات، وأنا أتقلِّد مهمة وزارة النقل، التي أمرني جلالة الملك بالاستمرار على رأسها، رغم رغبتني في الاستقالة التي أقدمتُ عليها، تجنباً لأية تعقيدات لهذا الطرف أو ذاك.

لقد وقفتُ في وزارة النقل على العديد من الشغرات، حاولتُ جهد الإمكان سدّها، بل سعيْتُ إلى تطوير أشياء كثيرة، وتحقيق إنجازات، أعتبرها إنجازات نوعية، كان لها الأثر الكبير في تطوير مجال النقل في بلدي، بمساعدة الأكفاء من الأطر التي كانت تتوفر عليها الوزارة.

- حول مطار العروي:

عندما كنتُ وزيراً للسياحة، وقفتُ على محدودية الطاقة الاستيعابية لمطارات المغرب، خاصة وبلدي يعتبر قبلة للسياحة، وتوافد السياح تزايد مع مرّ الأيام. من ثمّ فكرتُ -بعد تسلمي وزارة النقل- في خلق مؤسسة تتكلف بتسيير مطاراتنا. ذلك أن جميع مطارات المملكة كانت تسيّر من طرف مديرية الحجو التابعة لوزارة النقل. فعملتُ على تأسيس المكتب الوطني للمطارات (O.N.D.A)، رغم عدم رضا العديد من الأطر، الذين لا شك أن عدم رضاهم مرتببٌ بما كانوا يحصلون عليه من امتيازات. وعيّنْتُ على رأسه السيد أحمد البيّاز مديراً، وللإسراع بالأمر، عملتُ على إصدار مذكرة أعطت بعض

الصلاحيات للمكتب، والتي كانت من اختصاصات مديرية الجو، ومديرية القواعد الجوية بوزارة النقل، في انتظار أن تتم موافقة الحكومة والبرلمان على مشروع القانون المنظم للمكتب الوطني للمطارات.

ومن أول الملفات التي قام هذا المكتب الجديد بتسويتها، ما يتعلق برسوم عبور الأجواء المغربية. كانت أغلبية الشركات العالمية لا تؤدي هذه الرسوم، بسبب تراخي مديرية الجو في تتبع اختصاصاتها. لذلك حينما شرع المكتب الوطني للمطارات في أداء مهامه، قام بمطالبة الشركات العالمية بأداء ما تراكم عليها من رسوم، بل سينتقل في مرحلة موائية، إلى رفع قيمة هذه الرسوم التي كانت ضعيفة، مقارنة مع ما يجب أدائه، حسب المعايير المعمول بها دولياً.

ومن الصلاحيات التي أُسندت إلى المكتب الوطني للمطارات، وكانت من اختصاص مديرية القواعد الجوية، القيام بمشاريع، منها إصلاح وتوسيع وتجهيز المطارات الموجودة، وبناء مطارات جديدة. ولم يتمكن هذا المكتب من القيام بها إلا بمساهمة الرسوم الجوية التي حصل عليها.

في نفس الآن، شرعت في القيام بزيارات تفقدية للمطارات، للاطلاع على وضعيتها عن كثب، فتبين أن العديد منها يحتاج إلى توسيع محطاتها، وبعضها يحتاج إلى إصلاح المدرجات. لذلك تقرر توسيع مطار النواصر، الذي أصبح يحمل فيما بعد اسم مطار محمد الخامس بالدار البيضاء، نظراً للأهمية التي يلعبها بالنسبة لحركة الطيران العالمية؛ ثم توالى عمليات توسيع المحطات والإصلاح والصيانة، في مطارات: طنجة، الحسيمة، وجدة-أنجاد، فاس-سائيس، مراكش، أكادير. وأسندت إنجاز كل ذلك إلى المكتب الوطني للمطارات، تحت مراقبة وزارة النقل.

وحينما كنتُ أنظر في خريطة توزيع المطارات داخل التراب الوطني، لاحظتُ أن مدينة الناظور لا تتوفر على مطار، ولاحظت كذلك أن مطار وجدة-

أنجاد يعرف صعوبات في استخدامه بسبب قربه من الحدود الجزائرية بأقل من عشرة كيلومترات، ونظراً لمنع السلطات الجزائرية عبور الطائرات المغربية المجال الجوي للجزائر، فإن استخدامه يسبب متاعب كبيرة لساكنة المنطقة، ويضاعف من مشاق الجالية المغربية، وكذا الحجاج، خاصة حينما تكون الأحوال الجوية غير مناسبة، مما يجعل الطائرات مضطرة إلى تغيير اتجاهها، وإنزال الركاب في مطار مدينة فاس.

هذه الوضعية، دفعتني إلى إنشاء مطار في مدينة الناظور. كان أول عمل قمتُ به في هذا الصدد، حيازة الأرض التي ستخصص لهذا المشروع. واغتنمتُ فرصة زيارة رسمية قمتُ بها إلى اليابان، لتوقيع اتفاقيات بين وزارة النقل المغربية ومثيلتها اليابانية، فطلبتُ من الحكومة اليابانية إنجاز دراسة تقنية واقتصادية ترتبط بمشروع إنشاء مطار في مدينة الناظور. وصلت البعثة اليابانية، المكونة من فريق من المهندسين والتقنيين، وأقاموا بمدينة الناظور، مدة ستة أشهر، تمّ خلالها إنجاز الدراسة المطلوبة.

أسفرت دراسة الخبراء اليابانيين عن تحديد مكان جديد لإنشاء المطار. فقد تبين أن الموقع الجغرافي الذي تمّ اختياره من طرف الوزارة، لن يكون صالحاً لإنجاز المشروع، كما أبانت عنه الدراسة، من حيث طبيعة التضاريس، والمؤثرات الجوية...

كان الموقع المقترح يقع بأرض في ملكية الخواص، فأول ما كان عليّ القيام به، الشروع في الإجراءات القانونية المتبعة في مثل هذه الحالات، لنزع الملكية لفائدة المصلحة العامة؛ وهو السبيل الذي سلكته مبتدئاً بتكوين لجنة محلية، مكونة من وزارة النقل والسلطات المحلية. وقد عملت تلك اللجنة على التثبت من وجود أوراق ملكية تلك الأرض عند ساكنيها، حيث تبين أنهم لا يتوفرون على ما يثبت تلك الملكية من رسوم عقارية، ليتم الانتقال إلى تقويم

قيمة العقار، وتحديد ثمنه. وفور توصلي بالتقويم المالي لتلك الأرض، قمتُ بتحويل المبلغ المطلوب، من ميزانية وزارة النقل، إلى صندوق الإيداع والتدبير، في انتظار إجراء الترتيبات الضرورية، لتسليم المستحقات المالية لسكان تلك الأرض. وتجدر الإشارة في هذا الصدد، أنه بطلب مني، أبدت اللجنة نوعاً من المرونة في هذا الباب، وذلك بقبول أية وثيقة يدلي بها السكان، تتعلق بسكناهم في المكان الذي طبقت عليه اللجنة مسطرة نزع الملكية، تسهيلاً للعملية، وهو ما وجد تجاوباً مع السلطات المحلية في عين المكان. وأول عمل قمتُ به، تقديم تعويض عن البناء للساكنة، وتسييج الأرض.

لقد كلفني هذا الأمر جهوداً مضنية، بدءاً من الحصول على الوعاء العقاري، إلى إنجاز الدراسات، وغير ذلك مما صادفتُه من صعاب، في سبيل تحقيق هذا المشروع. ولولا كل هذه الجهود، لما حظي إقليم الناظور بمطاره، في تلك الحقبة الزمنية.

بعد كل هذه الخطوات، أصبحتُ أمام البحث عن ميزانية تشييد المطار. فقررتُ إدماج المشروع، ضمن الميزانية القادمة للوزارة. وحينما حان موعد عرض ميزانية وزارة النقل، ومناقشتها مع مسؤولي وزارة المالية، تمّ رفض المشروع! بدعوى أنه ليس من الأسبقيات! لم يكن الأمر كذلك، بل الكامن وراء هذا الرفض، هو ما حاكه اللوبي الوجودي داخل دواليب الإدارة المغربية وخارجها، حتى لا يرى هذا المشروع النور، ويظلّ إقليم الناظور محروماً من المطار.

أمام هذه العراقيل، كان عليّ أن أبحث عن وسيلة لتوفير الميزانية المطلوبة لبناء المطار. كنتُ على علم بوجود مطار قديم في إقليم الناظور، استعمله الإسبان زمن الحماية، وأصبح عبارة عن مطار شبه مهجور، ويقع وسط البنايات التي صاحبت توسع الإقليم. فكرتُ في أن يبيع المكتب الوطني للمطارات أرض المطار القديم، لأوظف ثمن بيعه في بناء المطار الجديد، بعيداً عن عراقيل وزارة المالية. لكن قبل ذلك، لا بدّ من توفير أسباب نجاح هذه الفكرة. فرفعتُ

مذكرة إلى الملك الحسن الثاني طيّب الله ثراه، شرحتُ فيها اقتراحي، وكيفية تنزيله على أرض الواقع. وجدت فكري صدى طيباً لدى جلالة الملك، بل رأى فيها حلاً يمكن تعميمه داخل المدن المغربية، التي توجد بها أراضي في ملك الدولة، لإنجاز بعض المشاريع الكبرى كالمستشفيات.

حين توصل جلالة الملك بمذكرتي، قام باستدعائي، وفي نفس الآن، تمّ استدعاء كل من وزير التخطيط ووزير المالية.

في اجتماع جلالة الملك بنا، نحن الثلاثة، خاطب وزير المالية ووزير التخطيط قائلاً: لقد جاء المنصوري بفكرة أن يبيع المكتب الوطني للمطارات المطار القديم في إقليم الناظور، ليبنى بئمنه مطار جديد في نفس الإقليم، وهذه الفكرة إذا نجحت في الناظور سنطبقها في المغرب بكامله. وأعطى جلالتة موافقته على هذا المشروع. بعد فترة سأغادر وزارة النقل، وسيغتنم اللوي الذي يعرقل مشروع مطار الناظور هذه المغادرة، ويحاول إيقافه مرة أخرى.

ما هو المبرر الذي استندوا إليه هذه المرة؟

قالوا: إن ذلك المطار الإسباني القديم مشيد على أرض في ملكية الجيش، وبالتالي فإنها لا تدخل في ملكية الأملاك المخزنية المدنية! والأرض يجب أن تعود إلى الجيش!

تولى مدير مكتب السكن العسكري هذا الملف، والحقيقة أن الطرف الذي تبني هذه المسألة، يتكون من الجنرال الكامي، مدير الهندسة العسكرية، والجنرال أشهب، المكلف بإدارة الدفاع الوطني. رفعوا مذكرة إلى الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يدعون فيها أن أرض ذلك المطار هي أرض تعود ملكيتها إلى الجيش. بعد اطلاع جلالتة على المذكرة، أمر بتوقيف المشروع. سيتصل بي هاتفياً وزير المالية السيد إدريس جطو، ليخبرني أنه سيزورني في منزلي، وعند زيارته، أبلغني بأن جلالة الملك أوقف مشروع المطار، لأن أرضه تعود ملكيتها للجيش. وقد فسرتُ لوزير المالية أن المطار مطار مدني

وليس عسكرياً. أمام هذا الاختلاف حول طبيعة هذا المطار، كلف جلالة الملك طيب الله ثراه، الجنرال حسني بنسليمان بتتبع هذا الملف، والتحقق من طبيعة ملكية الأرض التي بُني عليها. ونظراً للعلاقة الخاصة التي تجمعني بالجنرال بنسليمان، اتصل بي للحصول على بعض التوضيحات بخصوص هذا الملف، فزوّدته بكل ما تجمّع لديّ من معلومات، ولا سيما وثائق التفويت التي تمّت بين مديرية الجو المدنية الإسبانية ومديرية الجو المغربية. لم يكتف الجنرال بنسليمان بما قدّمته له، فقام بتحرياته الخاصة، وذلك بالاتصال بكل المصالح المعنية. واقتنع بأن المطار القديم مطار مدني، ولم يشيّد على أرض تابعة للجيش، وحينما تم تسليمه إلى المغرب، فقد سلمته مديرية الجو المدنية الإسبانية إلى مديرية الجو المدنية المغربية. وتأكّد له أن أرض المطار القديم في ملك الأملاك المخزنية، وهو مطار مدني وليس عسكرياً، وأن المطار العسكري المقصود هو مطار على البحر (Hydro avions)، ويوجد بعيداً عن المطار القديم موضوع الخلاف. وتمّ إخبار جلالة الملك بأن المطار مطار مدني وأرضه تابعة للأملاك المخزنية.

لقد كان إنشاء مطار في إقليم الناظور مطلباً أساسياً، أصررتُ على تحقيقه. ورغم مغادرتي لوزارة النقل، بقيتُ متتبعة لهذا الملف، متصدية لكل الذين رغبوا في إعاقة تحقيق هذا المشروع، مغتمنة كل الفرص التي تتاح لي للتذكير به والحثّ على إنجازه. وفي هذا السياق، أتاحت لي فرصة مصاحبة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، في زيارة رسمية إلى جمهورية مصر العربية، في الشهور الأولى من سنة 1999. وكانت آخر زيارة رسمية لجلالة الملك لمصر، خلال فترة حكومة التناوب التي ترأسها الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي. ومن الوزراء الذين ضمتهم هذه الزيارة، السيد فتح الله ولعلو، الذي كان يشغل منصب وزير المالية، وهو أول سفر له مع جلالة الملك، في زيارة رسمية.

وبالصدفة، جلس السيد ولعلو إلى جانبي داخل الطائرة. ودار بيننا

حديث طويل، وخلالها قلتُ للسيد ولعلو: يمكن أن ينادي جلالة الملك على البعض منّا، وقد تكون من بينهم. وبسطتُ أمامه «البروتوكول» المتبع في مثل هذه الحالات. ثم زدتُ فقلتُ: قد يسألك جلالته عن بعض المشاريع الكبرى التي يتضمنها برنامجك، أو المتوقفة، كما قد يسألك عن الحالة الاقتصادية والمالية للبلد. وكانت الفرصة مواتية لأخبره بأن من المشاريع الكبرى التي توقف إنجازها، مطار الناضور، وأضفتُ بأن جلالة الملك له اطلاع كامل على هذا الملف.

وكما توقعتُ، تمّت المناذاة علينا نحن الاثنين، وعلى بعض مستشاري الملك، للجلوس مع جلالته، في صالونه الخاص. وحينما سأل جلالة الملك عن الوضعية المالية وبعض المشاريع قيد الإنجاز، كان موضوع توقيف مطار الناضور من ضمن ما قدمه الوزير من إجابات. وبمجرد ما انتهى السيد وزير المالية من حديثه عن المطار، أعطى جلالة الملك أمره لإنجاز هذا المشروع، الذي كان جلالته قد أمر بتوقيفه، وهو على علم بكلّ جزئياته.

انتهت الزيارة الرسمية إلى مصر، وعدنا إلى أرض الوطن. وكما جرت العادة، عند وصولنا إلى مطار الرباط/سلا، وجد جلالة الملك في استقباله أعضاء الحكومة، وكبار الضباط، ومن بين هؤلاء الضباط، الجنرال الكاملي، مدير الهندسة العسكرية. حينما وصل دوره للسلام على جلالة الملك، خاطبه جلالته بقوله: لقد أمرتُ وزير المالية بالشروع في بناء مطار الناضور. هذا المنطوق الملكي يعني: ابتعد أيها الجنرال عن هذا الملف.

وفي يوم الغد، أعطى جلالة الملك أوامره للجنرال القادري بأن يعقد اجتماعا بمنزله، بحضور المنصوري بن علي عن الديوان الملكي، مع السيد ولعلو وزير المالية، والجنرالين بوشعيب عروب، ومحفوظ الكاملي، ومدير مكتب المطارات، وكذا مدير وكالة السكنى العسكرية. في هذا الاجتماع، أطلع الجنرال القادري الحاضرين أوامر جلالة الملك للشروع في بناء مطار الناضور،

وتتم تدارس النقط التالية، وهي كالآتي:

أولاً: أن تقوم أملاك الدولة ببيع أرض المطار القديم في تويمة (بلدية الناضور) إلى مكتب المطارات، بثمن 100 درهم للمتر المربع.

ثانياً: يخصص ثمن الأرض بنسبة 2/3 لوكالة السكنى العسكرية، و1/3 لأملاك الدولة.

ثالثاً: منح مساحة 50 ألف متر مربع للجيش، لإنجاز ساحة والسكن للجيش.

رابعاً: تمويل مكتب المطارات المطار الجديد للعروي، وتشديد حظيرتين، للحفاظ على سلامة الطائرات العسكرية (en gares) وثلاث يلات للضباط السامين، و20 سكن للضباط.

بعد الاتفاق على هذه النقط الأربعة، أصدر الوزير الأول مرسوماً لتحقيق هذا المشروع. بعدها، فُتحت كل الأبواب أمام بناء مطار العروي، الذي طال الصراع حول تحقيقه، فقد بدأ المسلسل سنة 1982 ليمتد إلى سنة 1999، يوم أعطى الملك الحسن الثاني موافقته النهائية، قبل وفاته بفترة قليلة، تغمده الله بوسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

وحين تمّ بناء المطار، قام جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، بتدشينه، وكنّ من بين الحاضرين لافتتاح مطار العروي، الذي عانيت الكثير من أجل إخراجه إلى الوجود. ولم أدخر جهداً من أجل تحقيقه، رغم كل ما وضع في طريقه من عوائق من طرف الخصوم. والحق أن مطار العروي كان عاملاً حاسماً في فكّ العزلة عن المنطقة، وساهم في توسيع انفتاحها، فضلاً عما قدّمه ويقدمه من خدمات للحجاج وللجالية المغربية، وللسياحة الوطنية؛ دون أن يغيب عن بالي السند الكبير، الذي وجدته من الملك الحسن الثاني، طيب الله

ثراه، في هذا الباب، مما يعكس العطف المولوي على المنطقة وأبنائها.

منذ ذلك اليوم، فُتحت كل الأبواب أمام تحقيق مشروع هذا المطار، الذي طال الصراع حول تحقيقه. فقد بدأ المسلسل سنة 1982 ليتمد إلى سنة 1999، يوم أعطى الملك الحسن الثاني موافقته النهائية، قبل وفاته بفترة قليلة، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته. وحين تمّ بناء المطار، قام جلاله الملك محمد السادس حفظه الله، بتدشينه، وكنّ من بين الحاضرين لافتتاح مطار العروي، الذي عانيت الكثير من أجل إخراجه إلى الوجود. ولم أدر جهداً من أجل تحقيقه، رغم كل ما وضع في طريقه من عوائق من طرف الخصوم. والحق أن مطار العروي كان عاملاً حاسماً في فكّ العزلة عن المنطقة، وساهم في توسيع انفتاحها، فضلاً عما قدّمه ويقدمه من خدمات للحجاج وللجالية المغربية، وللسياحة الوطنية؛ دون أن يغيب عن بالي السند الكبير، الذي وجدته من الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، في هذا الباب، مما يعكس العطف المولوي على المنطقة وأبنائها.

واليوم، وقد مرت سنوات على تحقيق المشروع، يحقّ للمغرب أن يفتخر بهذا الإنجاز، حيث أصبح مطار العروي في إقليم الناظور يحتل المرتبة الخامسة على المستوى الوطني، والمرتبة الأولى على المستوى الجهوي. لكن مع توالي الأعوام، واتساع انفتاح المنطقة على العالم، بدأت محطة مطار العروي تضيق بالمسافرين الذين ارتفع عددهم بشكل كبير، وحيث أنّ الطاقة الاستيعابية المخصصة لاستقبال المسافرين لا تتجاوز 200 ألف مسافر، أصبح الالتفات إلى توسيع المحطة أمراً ضرورياً، بل ضرورة إعادة بناء المحطة، وتطوير الوسائل اللوجستكية التي ترفع من مستوى مطار العروي. لقد ظلّ اهتمامي بهذا المنجز قائماً، من ثم كنتُ أعتنمُ كل الفرص التي تتاح لي لفتح هذا الملف. وهو ما تأتّى لي مع الحكومة الثانية للسيد سعد الدين العثماني، والتي شغل فيها السيد عبد القادر اعمارة، منصب وزير التجهيز والنقل واللوجستيك والماء.

كنتُ قبل هذا، اقترحتُ على مدير المكتب الوطني للمطارات، السيد

العوفير، إعادة بناء محطة مطار العروي، كان مقتنعاً بالفكرة وأنجز دراسة حول توسيع المطار. وفعلاً شرع في إنجاز العمل، لكن ستتوقف الأشغال! مرة أخرى تظهر العراقيل في الطريق!

اتصل مدير الشركة المكلفة ببناء وتوسعة المحطة الجديدة لمطار العروي بأخي مصطفى، بصفته آنذاك رئيس المجلس البلدي للعروي، باسماً أمامه ما ترتب عن هذا التوقيف من خسائر لشركته، وطلب منه مساعدته على حلّ هذا المشكل. اتصل بي أخي مصطفى، وأخبرني بموضوع توقيف توسعة مطار العروي. وفي مناسبة توديع جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، في رحلة خارج أرض الوطن، التقيتُ بالسيد العوفير، مدير المطارات في مطار الرباط/سلا. وحين سألتُه عن سبب توقيف بناء المحطة الجديدة لمطار العروي، أجابني بأن توقيف الأشغال كان من طرف وزارة التجهيز التي أضيفت إليها مهام وزارة النقل، مرة أخرى.

اتصلتُ بالسيد عبد القادر اعمارة، وزير التجهيز والنقل واللوجستيك والماء، لأضعه في الصورة، وأخبرته بتوقيف بناء المحطة الجديدة لمطار العروي، من طرف مديرية الدراسات المكلفة بالمكتب الوطني للمطارات (ONDA)، والتي من المفروض أن تقوم بتتبع الأشغال. طلب مهلة للاستفسار. وحينما عاود الاتصال بي، أخبرني بأن مصالحة الإدارية قدمت له من المعلومات، ما يفيد أن مسؤولية توقيف الأشغال تُلقى على عاتق المكتب الوطني للمطارات؟! اقترحتُ عليه عقد اجتماع بين مديرية الدراسات في وزارته، ومدير المكتب الوطني للمطارات، للوقوف على حقيقة الأمر.

انعقد هذا الاجتماع، وطُرحت كل الآراء، وقدّم مدير المكتب الوطني للمطارات، السيد العوفير، كل المعطيات المتعلقة بسير الأعمال، إلى حدود تاريخ توقيفها من طرف مديرية الدراسات بوزارة التجهيز. وتبيّن من خلال ذلك العرض، أن أشغال البناء قد قطعت أشواطاً كبيرة. حينما اطّلع السيد

عبد القادر اعمارة على التقرير الذي رُفِعَ إليه، أعطى أوامره للمكتب الوطني للمطارات -وهو المكلف بتمويل المشروع- لإكمال أشغال بناء المحطة الجديدة لمطار العروي؛ وهو ما تمّ الشروع فيه، بعد أسبوع من إحاطة الوزير اعمارة بكل معطيات هذا الملف.

والحقيقة أن الهيئة التي أصبح عليها مطار العروي بعد إكمال تلك الأشغال، يدعو إلى الإعجاب. لقد أصبح إقليم الناظور يتوفر على مطار دولي، ورُوعِيَ في بناء المحطة الجديدة استلهام الفن المعماري المغربي، بمقوماته الأصيلة، من زليج وجبص وخشب، وكلها موادّ لم تغب عنها مسات الصانع التقليدي المغربي، مما يوحي للمسافر، بمجرد أن تطأ قدماه أرض المطار، بخصوصية الفضاء، ومن ثمّ بأصالة البلد. أضف إلى ذلك، بناء برج للمراقبة، في المستوى الدولي، ومدرج أصبح معهما نزول طائرة البوينغ 747 أمراً عادياً، وهو ما لم يكن متاحاً من قبل. وبهذه الإصلاحات، أصبحت محطة مطار الناظور-العروي، قادرة على استقبال مليوني (2.000.000) مسافر سنوياً، وتمّ تدشينها في شهر يوليوز 2021.

ومن بعض الملفات التي انكببت على معالجتها، وأنا وزير للنقل، ذلك الملف الذي يرتبط بالمشاكل التي تعرفها الشاحنات التي لا يسمح في حمولتها بتجاوز خمسة أطنان ونصف، ويسمح لها هذا الوضع بالتنقل، دون الحصول على رخصة من وزارة النقل. لكن أصحاب هذه الشاحنات لا يتقيّدون- في الأغلب الأعم -باحترام ما هو مسموح به قانونياً.

ولما كانت تلك الشاحنات -من الناحية التقنية- قادرة على حمل وزن أكثر من خمسة أطنان، فإن أصحابها يتجاوزون الوزن القانوني، مما يعرّضهم للعقوبات عندما تضبطهم المراقبة القانونية، خلال تنقلهم بين المدن.

وجدتُ أمامي، عندما عُيِّنتُ وزيراً للنقل، العديد من الشكايات في هذا الموضوع، فكان عليّ أن أنبri لحل هذا المشكل. فشكّلتُ لجنة وضعتُ على رأسها

مهندسا، كان رئيسا لإحدى المصالح بالوزارة، والقصد الأساس من عمل هذه اللجنة، إنجاز دراسة في الموضوع المطروح، تتضمن رأي صانعي الشاحنات، للتأكد من قدرتها على حمل وزن يتجاوز خمسة أطنان ونصف.

أنجزت الدراسة المطلوبة، واطلعتُ على التقرير العام المتعلق بهذا الموضوع، فدعوتُ إلى اجتماع مع المديرية المكلفة بإعطاء الرُّخص. لقد كان المجتمعون - وهم من أطر الوزارة وتقنييها - على علم بتفاصيل الملف المطروح أمامنا. لذلك بادرتُ إلى طرح السؤال التالي: ما الحلُّ لهذا المشكل؟ جاءت إجابتهم في الاتجاه الذي يميل إلى السّماح لهذا الصّنف من الشاحنات، بنقل حمولة تتجاوز خمسة أطنان ونصف الطن، وتمكينهم من الرّخص من طرف وزارة النقل، والتي تسمح بذلك، لرفع المعاناة عنهم.

بدأت آفاق الانفراج لهذا المشكل تلوح في الأفق، لكن طفا على السطح مشكل آخر، قد يُبْطِئ من إيقاع تنزيل الحل على أرض الواقع!

لقد كنتُ أعلمُ أن عدد هذه الشاحنات يُعد بالآلاف، وأن اللجنة الوطنية المكلفة بتسليم هذه الرخص، لن يتأتى لها إنجاز كل المطلوب في مدة زمنية قصيرة. فهي لجنة تتكون من وزارات متعددة، يترأسها وزير النقل (كنتُ أفوضُ للكاتب العام ترأسها)، وأقصى ما يمكن أن تمنحه هذه اللجنة لن يتجاوز عشر رخص أو يزيد قليلا، في مدة قد تمتد إلى ثلاثة أشهر! إذاً، متى سيتم تمكين آلاف الشاحنات من هذا الحجم، من رخصهم؟! قد يتطلب الأمر سنوات!

لم أتخذ قراراً متسرّعاً في هذه المسألة. أمهلتُ نفسي بعض الوقت، لأعيد التأمل في هذا المشكل، من زوايا مختلفة. وبدا لي أن الحلّ الوحيد يمر عبر مخاطبة جلالته الملك في الموضوع. فكتبتُ مذكرة أشرح فيها للملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، طبيعة الإشكال المطروح، واخترتُ مدخل المسيرة الخضراء، لإبراز الدور الكبير الذي قام به أرباب تلك الشاحنات، وتجنّدهم

لنقل متطوعي المسيرة، والسلع والتموين... وغير ذلك. وأبنتُ في هذه المذكرة مطالب هؤلاء، وما يعانونه من صعاب خلال ممارسة عملهم. بعثتُ بمذكري إلى جلالة الملك، وانتظرت.

بعد أيام قليلة، وأنا في اجتماع بمدينة طنجة، هاتَّفني الحاج محمد المديوري، رئيس الأمن الخاص لجلالة الملك الحسن الثاني، خاطبني:

-أين أنت؟

-أنا في طنجة.

-لقد كلفني جلالة الملك بأن أبعث إليك طائرة، لتلتحق بجلالته في مراكش.

وصلتُ إلى مطار مراكش، لتنقلني سيارة تابعة لإدارة السيد المديوري، إلى فندق المامونية، حوالي الساعة السابعة مساء. حينما تتمّ المناداة عليك، لمقابلة ملك البلاد، فإن شريطاً طويلاً يمرّ أمامك، مصحوباً بعدة تساؤلات؟؟

يمر الزمن ببطيئاً وأنت في حالة انتظار! تدق الساعة معلنة العاشرة ليلاً. نزلتُ إلى مطعم الفندق لتناول العشاء. ما إن بدأتُ، حتى وجدتُ «القايد مرجان» يناديني للذهاب إلى القصر الملكي. وصلتُ إلى القصر، لأجد بعض مستشاري جلالة الملك. جلستُ منتظراً، وأنا يومئذ لا علم لي بتفاصيل البروتوكول المتبع في مثل هذه الجلسات، التي تجمع جلالة الملك مع ثلة قليلة من المقرّبين. بعد فترة قصيرة من الانتظار، تمّت المناداة علينا للذهاب إلى القاعة التي يوجد فيها الملك، وتناول الجميع وجبة العشاء. وستكون هذه أول مرة أتناولُ فيها العشاء مع جلالة الملك. انتهت الجلسة، انصرف كلُّ إلى حال سبيله، لم يكلمني جلالة الملك! في اليوم الموالي، ستتمّ المناداة عليّ، لأتّهيأ للقاء الملك، وسيكون المكان هذه المرة «ملعب الغولف» بمراكش. التحقْتُ بالـغولف، وتناولتُ وجبة الغداء مع جلالته، ليتم إخباري بالحضور ليلاً، لتناول العشاء مع جلالته.

مرت خمسة أيام على هذا المنوال ! حضور مع جلالة الملك، ثم انصراف، ولا كلام في أي ملف ! حالة الانتظار في مثل هذا الموقف، تحرك في أعماقك الكثير من الظنون، وتستعرض في خيالك احتمالات شتى؟! كانت حيرتي تزداد ساعة بعد أخرى...! لذا وطّدتُ عزمي على مخاطبة جلالته، فاغتنمتُ وجودي بجانبه في ملعب الغولف بمراكش، لأخاطبه: نعم سيدي... لقد بعثتُ ورائي... هل أبقى أم أعود؟

جاء جواب جلالته: لقد توصلتُ بمذكرتك حول الشاحنات، وفعلاً، لقد قاموا بدور كبير في «المسيرة»، أنا موافق على الترخيص لهم بما طلبت.

منذ ذلك التاريخ، أي أواخر سنة 1981، أصبحتُ ضمن الدائرة القريبة من الملك الحسن الثاني، إلى يوم وفاته، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

بعد الموافقة الملكية على ما دونته في المذكرة التي رفعتها إلى جلالته، أخبرتُ المرافق الإدارية بتطبيق ما أمر به جلالة الملك. حرّرتُ في هذا الشأن مذكرة، تمّ توزيعها على مختلف المصالح في وزارة النقل، ووزارة الداخلية، والوزارات الأخرى المعنية بالمراقبة، ومنهم الدرك الملكي والأمن الوطني. وتضمّنت هذه المذكرة -طبقاً لأوامر جلالة الملك- السماح للشاحنات التي تنقل ما وزنه خمسة أطنان ونصف، برفع حمولتها إلى حدود ثمانية أطنان، دون الحاجة إلى رخصة من وزارة النقل. وهذا القرار الذي طُبّق في تلك المرحلة، ما زال ساري المفعول إلى اليوم. وكنتُ بهذا العمل، قد أغلقتُ ملفاً من أصعب الملفات التي واجهتها، يوم تمّ تعييني وزيراً للنقل، وتجنّبت الوزارة تسليم رخصة لكل شاحنة، والتي كان عددها أكثر من عشرة آلاف شاحنة.

لكن ملف «الشاحنات» لم يكن الوحيد فيما تراكم من مشاكل داخل تلك الوزارة، فقد كان عليّ كذلك، أن ألتفت إلى ملف آخر، يتعلق بشركة النقل المغربية (CTM).

وجدتُ هذه الشركة في حالة عجز مالي كبير قد يؤدي إلى إفلاسها، وأسطول النقل فيها، في حالة متدهورة جدًّا. كان مدير الشركة في تلك الفترة السيد الصبيحي، الذي شغل هذا المنصب مدة أكثر من عشرين سنة، بحيث أصبح عمله روتينياً، وكان متساهلاً، مما جعل الموظفين والنقابين يتصرفون في تسيير الشركة، وخاصة نقابة الاتحاد المغربي للشغل (UMT).

كانت الخطوة الأولى التي قمتُ بها لإصلاح أوضاع هذه الشركة، تعيين مدير جديد على رأسها، بعد أن أحيل السابق، السيد الصبيحي، على التقاعد. كان اختياري للسيد محمد لعليج مديراً للشركة، باعتباره أحد المهندسين الأكفاء، وإطاراً خبر دوليب وزارة النقل، وشغل منصب رئيس مصلحة بها. (ونظراً لكفاءته سيعين فيما بعد مديراً للمكتب الوطني للسكك الحديدية، ثم مديراً للبنك العقاري والسياسي (CIH)). طلبتُ من المدير الجديد أن يبدأ -في إطار عملية الإصلاح- بإلغاء كل الخطوط التي تسبب خسارة للشركة. لقيتُ هذه الخطوة بعض المعارضة من طرف بعض السلطات، لكنني بقيتُ مُصرّاً على إلغاء تلك الخطوط التي تسبب خسارة للشركة، وعززتُ موقفي أمام المُعترضين، بخلق وسائل أخرى للنقل عبارة عن نقل مزدوج ينقل عدداً محدوداً من المسافرين والبضائع، يُخصّص للمناطق الجبلية والقروية، وهذا النقل يمكنه تعويض ما كانت تغطيه الخطوط التي كانت سبباً في خسائر للشركة (CTM).

وبعد تحقيق هذه الخطوة الأولى، انتقلتُ إلى الثانية، فعملتُ على تجديد الحافلات فاشترينا ما يقارب مائة حافلة جديدة، وبمواصفات توفرت لأول مرة، لأسطول شركة النقل المغربية (CTM)، من تكييف وتجهيزات في المستوى اللائق بشركة وطنية. ولا بدّ من الإشارة هنا، أن شراء هذه الحافلات تمّ بمساعدة صديقي، وزير المالية آنذاك، السيد عبد اللطيف الجواهري،

الذي يَسِّر لنا سبيل الحصول على قرض من البنك الوطني للإنماء الاقتصادي (BNDE). وبالموازاة مع تجديد حظيرة الحافلات، نَبَّهْتُ السيد المدير إلى ضرورة تشديد إجراءات المراقبة، فيما يتعلق بإصلاح أعطاب الحافلات، وتركيب قطع الغيار، إلى غير ذلك من الأمور التي يمكن أن يتسرب إليها التلاعب. إلى جانب ذلك، عمدنا إلى تنظيم وتسيير الإدارة المركزية بموظفين أكفاء، مع تشديد المراقبة.

بهذه الإجراءات وغيرها، استطعنا خلال ثلاث سنوات، أن نعيد لشركة النقل المغربية (CTM) توازنها المالي، ووضعتها الاعتبارية كشركة وطنية في مجال النقل، بل إنها حققت في هذه الفترة القصيرة أرباحاً مهمة، مما جعلها مهياًة كمؤسسة يمكن استثمارها بشكل جيد، وهو الأمر الذي تحقق، حينما نَحَّت الدولة نحو الخوصصة، فقامت ببيعها إلى مستثمرين خواص، مما عاد على خزينة الدولة بموارد مالية مهمة.

مرفق آخر من المرافق التابعة لوزارة النقل، تطلّب الالتفات إليه، لمعالجة ما كان يعانيه من اختلالات. إنه المكتب الوطني للنقل (ONT).

كان السيد بنعمر قد شغل منصب مدير لهذا المكتب، مدة طويلة من الزمن، إلى أن أُحيل على التقاعد، وكان رجلاً طيباً. فقمْتُ بتعيين السيد إدريس أرجوج خلفاً له، وقد استقدمته من وزارة المالية، حيث كان مفتشاً بإدارتها. كانت المهمة الأساسية التي كلفتُ بها هذا المدير، هي إصلاح الاختلالات التي وجدتها داخل هذا المكتب. وبعد المجهودات والإصلاحات التي قام بها في تسيير هذا المكتب، سَيُعَيِّن السيد أرجوج -بعد عقد من الزمن- عاملاً على إقليم طانطان.

ومن أهم المكاتب التي كانت تحظى باهتمامي وأنا وزير للنقل، المكتب الوطني للسكك الحديدية (ONCF)، وكان مديره يومئذ، هو السيد الموساوي، أحد المهندسين المغاربة، الذين ينتمون إلى الأفواج الأولى من المتخرجين في هذا الباب.

بعدما أطلعني السيد المدير على برامج هذا المكتب، واجهتني ملفات شائكة، وكان عليّ أن أتصدى لها بحزم، لما يُحقِّقه إنجاز مشاريعها من فائدة لوطني.

فمن بين أهم المشاريع التي حققها المغرب، وأنا على رأس وزارة النقل، إنجاز خط ثانٍ للسكك الحديدية يربط بين الرباط والدار البيضاء. كان المكتب الوطني للسكك الحديدية قد أنجز دراسة لإنشاء هذا الخط للقطار السريع، وفي نفس الآن، كان العمل في بناء الطريق السيار بين الرباط والدار البيضاء قد انطلق. لكن ستظهر اعتراضات من البنك الدولي، الذي رأى أن من الملائم إنجاز أحد المشروعين: إما الخط الحديدي الثاني أو الطريق السيار!

لم أستسغ هذا الموقف، فسعيْتُ إلى عقد اجتماع مع ممثلي البنك الدولي، ودخلتُ في حوار معهم، أقنعتُهُم من خلاله بإنجاز المشروعين معاً، مع تمويل الخط الثاني للسكك الحديدية. وكان الخط الثاني بين الرباط والدار البيضاء، أول خط مكّن من إطلاق القطار السريع في المغرب، والذي أطلق عليه الشارع المغربي اسم «عويطة». وبالموازاة مع هذا العمل، قام المكتب الوطني للسكك الحديدية بإنجاز برنامج لترميم جميع محطات القطار، فتمّت إعادة بناء محطة الدار البيضاء/الميناء (Casa Port) بالدار البيضاء. وقد قام بتدشينها موازاة مع انطلاق العمل بالقطار السريع، وليّ العهد آنذاك الأمير سيدي محمد (صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله).

ومن بين ما وجدته مُدرجاً للإنجاز في المكتب الوطني للسكك الحديدية، خط للسكة الحديدية يربط بين مدينتي تاويريرت والناصور. كانت أشغاله قد بدأت، قبل أن أتسلم مقاليد وزارة النقل، ثم توقفت. بحثت في الموضوع، سعياً إلى الوقوف على الأسباب التي أدت إلى تجميد هذا المشروع، لأصل إلى أن الصعوبات المالية وعدم تمويل الخط من طرف وزارة المالية من بين أسباب توقفه، بالإضافة إلى اللوبي الوجودي الذي عارضه، وهو من كان وراء اختلاق العراقيل حتى لا يتم تنفيذ هذا المشروع الحيوي، وليبقى خط السكة الحديدية بين وجدة والرباط هو الخط المباشر، واعتقاداً من هذا اللوبي أن الخط الجديد بين تاويريرت والناصور، سيشكل -على المستوى الاقتصادي- خسارة لمدينة وجدة.

بقي هذا المشروع متوقفاً، بعد مغادرتي لوزارة النقل لسنوات عديدة. لكنني أصرت على تتبع هذا الملف وأنا في الديوان الملكي، حتى أصبح خط السكة الحديدية بين تاويريرت والناصور موجوداً على أرض الواقع.

وإذا كانت الملفات الكبرى في وزارة النقل قد أخذت من طاقتي الشيء الكثير، فإن ذلك لم يثنيني عن الاهتمام بمشاريع أخرى، أذكر منها إنشاء بعض المحطات الطرقية، على رأسها محطة «القامرة» بمدينة الرباط، والتي أنجزتها وزارة النقل، بتعاون مع جمعية أرباب النقل، التي كان يرأسها يومئذ المرحوم الحاج محمد حَكَم. وقد أشرفت على تدشين هذه المحطة، صحبة السيد إدريس البصري، وزير الداخلية، والحاج محمد حَكَم، ممثلاً لجمعية أرباب النقل. وقد أتبعْتُ هذه المحطة ببناء أخرى بإقليم الناصور.



أول زيارة رسمية للمغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه لإقليم العيون،
حيث وقف جلالته بالعركوب لأداء ركعتين شكرا لله.



بعد تدشين مطار العيون، تم توشیحی بوسام، كوزير للنقل،
من طرف جلالة الملك الحسن الثاني.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، أثناء تدشين مطار العيون.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، وحضور ولي العهد الأمير سيدي محمد
(الملك محمد السادس حفظه الله)، أثناء تدشين مطار العيون.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، وحضور ولي العهد الأمير سيدي محمد
(الملك محمد السادس حفظه الله)، وهو يرفع الستارة على اللوحة الرخامية،
تدشيننا لمطار مدينة العيون.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، وحضور ولي العهد الأمير سيدي محمد (الملك
محمد السادس حفظه الله)، وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، أثناء تدشين
مطار العيون، في أقاليمنا الجنوبية المسترجعة.



مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (صاحب الجلالة الملك محمد السادس،
وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي مولاي رشيد، بمدينة العيون في أول زيارة لجلالة الملك
الحسن الثاني لهذه المدينة من أقاليمنا الجنوبية المسترجعة.



في مدينة العيون بأقاليمنا الجنوبية، مع مولاي الحسن بن ادريس، في لحظة مرح. ويظهر في
الصورة: مولاي أحمد العلوي وزير الدولة، بنسالم الصميل وزير الصيد البحري والملاحة التجارية،
محمد العنصر وزير البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، بنعلي المنصوري وزير النقل.



في مدينة الداخلة، في أول زيارة رسمية لجلالة الملك الحسن الثاني إلى إقليم وادي الذهب.



خلال حفل تنصيب السيد عامل صاحب الجلالة على مدينة بوجدور بأقاليمنا الجنوبية في الصورة : ادريس البصري، الجنرال عبد العزيز بناني، عبد الواحد بلقزيز، المنصوري بنعلي وزير النقل.



صورة التقطت بعد خروجنا مباشرة من اجتماع لمجلس وزاري



اجتماع مع الوزير الأول كريم العمراني. في الصورة من اليمين إلى اليسار: عبد الحق التازي
كاتب الدولة بوزارة الخارجية، عبد اللطيف الجواهري وزير المالية، كريم العمراني، ادريس
البصري وزير الداخلية، المنصوري بنعلي وزير النقل.



مع الوزير الأول السيد المعطي بوعبيد، محمد بوستة، المحجوبي أحرسان، أحمد بنسودة.



تدشين المحطة الطرقية (القامرة) بالرباط، في الصورة إدريس البصري، عمر بنشمسي،
الحاج محمد حكم رئيس جمعية أرباب النقل.



في مدينة مرسية (اسبانيا) احتفالا بالأسبوع الثقافي لهذه المدينة.
والصورة تؤرخ ليوم المغرب بالمناسبة. في الصورة: المنصوري بنعلي وزير النقل عز الدين
جسوس وزير السياحة، محمد بنعيسى وزير الثقافة، موسى السعدي وزير الطاقة والمعادن.

2da. Edición **Tempo** ARGENTINO 29.05.84

Misión marroquí en busca de tratados

Dos temas: trigo y transporte

El reino de Marruecos está interesado en la compra de trigo argentino, según se anunció en la embajada de ese país, en momentos en que cumplía gestiones oficiales el ministro Mansouri Benali, huésped oficial del gobierno.

Acompañado por el embajador Mohamed Boucetta, visitó la Junta Nacional de Granos para interiorizarse —se reveló— sobre la posibilidad de provisión de granos, precios, calidad y otros detalles para concretar una serie de operaciones.

Benali, que se desempeña como ministro de Transportes de su país, inició también ges-

tionen para que Buenos Aires y Casablanca sean unidas por avión.

En un encuentro producido en el día de ayer en el despacho del ministro de Obras y Servicios Públicos, Roque Carranza, el director general de la aviación marroquí, Jaoud Daoudi, informó que la empresa aérea real de su país está llegando en la actualidad hasta la ciudad de Río de Janeiro.

El ministro de Transporte visitante señaló que podría buscarse una combinación al respecto con la empresa Aerolíneas Argentinas para concretar vuelos a Ezeiza.



في زيارتي للأرجنتين وأنا وزير النقل، في الصورة مع بعض الوزراء والبرلمانيين الأرجنتينيين



M. FUKUDA,
Président du Parlement japonais

زيارتي لليابان واستقبالي من طرف رئيس البرلمان الياباني في مدينة طوكيو.



زيارتي لليابان كوزير للنقل
لقاء مع وزير النقل الياباني، أثناء استقبالي بمكتبه بالعاصمة اليابانية طوكيو



خلال زيارتي لليابان كوزير للنقل وجلسة عمل مع وزير النقل الياباني في طوكيو.



مع وزير الخارجية الياباني خلال زيارتي لليابان.

في الصين:



صورة أمام سور الصين العظيم، خلال زيارة رسمية
لجمهورية الصين الشعبية، مع الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد



مع الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد، في زيارة رسمية لجمهورية الصين الشعبية



إحدى الجلسات مع المسؤولين الصينيين في إطار زيارة رسمية
مع الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد.



مع الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد عند خروجنا من أحد المساجد بعد أداء الصلاة، وثلة من مسلمي جمهورية الصين الشعبية



استقبال الوفد الرسمي برئاسة الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعيبد، من طرف الرئيس الصيني دينغ شياو بينغ Deng Xiaoping في زيارة رسمية إلى جمهورية الصين الشعبية



مع الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعيبد، في زيارة رسمية إلى جمهورية الصين الشعبية.

في بلجيكا:



إلى جانبي وزير النقل البلجيكي أثناء التوقيع على اتفاقية تمويل الخط السككي الثاني
الرابط بين الرباط والدارالبيضاء



في زيارة رسمية إلى بلجيكا كوزير للنقل، حيث تم التوقيع مع الحكومة البلجيكية على
تمويل إنشاء الخط السككي الثاني الرابط بين الرباط والدارالبيضاء

المناصب الوزارية التي تقلدها السيد المنصوري بنعلي:

✓ سنة 1977: منصب وزير السياحة، في حكومة السيد أحمد عصمان.

✓ سنة 1978: منصب وزير الشؤون الإدارية والوظيفة العمومية بعد التعديل لحكومة السيد أحمد عصمان.

✓ سنة 1979: منصب وزير الشؤون الإدارية والوظيفة العمومية والإصلاح الإداري والخدمة المدنية في الحكومة الأستاذ المعطي بوعبيد.

✓ سنة 1981: منصب وزير النقل بعد التعديل الحكومي لحكومة الأستاذ المعطي بوعبيد.

✓ سنة 1983: منصب وزير النقل في حكومة السيد كريم العمراني.

ما بعد وزارة النقل:

قبل التعديل الحكومي الذي حدث سنة 1985، كان الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، مقيماً في مدينة مراكش. وفي إحدى الجلسات الخاصة، داخل القصر الملكي، كانت مجموعة من الشخصيات السياسية في حديث مع جلالة الملك في أحد الصالونات. وممن كان حاضراً في هذه الجلسة، المستشارون: أحمد رضا آكديرة، أحمد بنسودة، عبد الهادي بوطالب، محمد عواد، وبعض الوزراء ورؤساء الأحزاب، أذكر منهم السيد محمد بوسته والأستاذ المعطي بوعبيد.

كنتُ من الحاضرين في هذه الجلسة، وفي لحظة، سمعتُ جلالة الملك يقول لي: «اتبعني...». كان لجلالة الملك مكتب بجوار الصالون الذي كنا نجلس فيه. وبمجرد جلوسنا رأساً لرأس، خاطبني جلالته بقوله: إنني على وشك إجراء تعديل حكومي، لذا يجب أن تلتحق بأحد الأحزاب لتبقى في الحكومة. كنتُ يومئذ برلمانيا ضمن لائحة اللامنتمين. لذا جاء جوابي للملك كالآتي: لقد قدمتُ استقالتي من حزب الحركة الشعبية، ومنذ أن غادرتُ هذا الحزب لا أجد أية رغبة في الالتحاق بأي حزب آخر!

فخاطبني جلالته: إذا لم يكن لك انتماء حزبي، فسيكون في ذلك تعارض مع ما نطقته به في خطابي أمام البرلمان، حيث قلت بأن كل برلماني لا بد أن يكون منخرطاً ومنتسباً للحزب معين.

- قلتُ: ليس ضرورياً، يا جلالة الملك، أن أكون في الحكومة!
- أجابني رحمه الله: وجودك في البرلمان يجب أن يكون عبر قناة حزبية...
ثم أردف قائلاً: أليست لك علاقة مع أي حزب سياسي، أو مع رؤساء هذه الأحزاب؟

أجبتُ: لي، يا جلالة الملك، علاقة طيبة مع كل رؤساء الأحزاب، وذكرتُ له اسم السيد أحمد عصمان، والأستاذ المعطي بوعبيد، والسيد محمد بوسته.

ثم ختمتُ كلامي قائلاً: و لجلالة الملك واسع النظر.

خرجنا من المكتب، وقصد جلالة الملك الصالون حيث تجلس تلك المجموعة من الشخصيات، وحينما استوى في جلسته، توجه بالكلام إلى الجميع وقال: سيلتحق المنصوري بالتجمع الوطني للأحرار، لمساعدة أحمد عصمان.

حينما طرق سمعي هذا الخبر، اعتبرته أمراً في صيغة إخبارية. كان الأمر بالنسبة لي مفاجئاً. قلتُ في نفسي: منذ لحظة وأنا مع جلالة الملك في مكتبه، ودار بيننا حوار استغرق فترة من الزمن، ومع ذلك لم يبح لي جلالته بهذا القرار الذي أسمعُه الآن!؟

وبدا لي أن ما قرره جلالة الملك ينبني على ما كان يلاحظه من تقارب بيني وبين السيد أحمد عصمان. ففي كل الأسفار والزيارات التي نصاحب فيها جلالة الملك، سواء داخل المغرب أو خارجه، كان السيد أحمد عصمان، يجد راحته في رُفقتي، وكذا الأمر في الجلسات التي تجتمعنا في المناسبات المختلفة، هذا بالإضافة إلى انتمائنا، نحن الاثنين، إلى جهة جغرافية تتقارب في الكثير من الأشياء. وربما، على هذا الأساس، ظهر لجلالة الملك أن حزب التجمع الوطني للأحرار سيكون الموقع المناسب لي للانتماء الحزبي، والذي سيوفّر لي سلاسة الاندماج، دون عراقيل أو صراعات!

في اليوم الموالي، وفي نفس الصالون، وحضور نفس الأشخاص، توجه إليّ الملك الحسن الثاني بالكلام، سألني: هل اتصلت بأحمد عصمان؟

- لا... يا سيدي! (السيد عصمان كان موجوداً في مدينة الرباط بصفته رئيساً للبرلمان).

- هل تريد أن أتصل به أنا!؟

- الله يبارك في عمر سيدي.

هكذا كان جوابي، ولم أضف كلمة.

هذا جزء من الترتيبات التي كانت تُهيأ، لإجراء التعديل الحكومي المشار إليه. وحينما اقترب أوانه، استدعى السيد أحمد رضا أگدير، مستشار صاحب

الجلالة، رؤساء الأحزاب السياسية التي ستشكل الأغلبية، وكان من بينهم السيد أحمد عصمان رئيس حزب التجمع الوطني للأحرار. تمّ هذا الاجتماع في مدينة مراكش، حيث تسلم هؤلاء لوائح أسماء الوزراء الذين تمت الموافقة عليهم، ليشغلوا مناصب داخل الحكومة الجديدة. كان اسم المنصوري بنعلي ضمن الأسماء المقبولة في لائحة حزب التجمع الوطني للأحرار.

ما أن اطلع السيد أحمد عصمان على اللائحة، ولاحظ وجود اسمي، حتى توجه بالخطاب إلى مستشار صاحب الجلالة السيد أحمد رضا أگديره قائلاً:
السّي المنصوري ليس معي في الحزب!؟

هذا جواب يحمل رفضاً قاطعاً من طرف السيد أحمد عصمان، علماً أن اقتراحي للتحاق بحزب التجمع كان بأمر ملكي!

في هذا السياق يمكن استحضار ما قلته عن العلاقة التي كانت تربطني بالسيد أحمد عصمان، الذي كان يُشركني أحياناً في مسائل عائلية حميمة خاصة به، وهو الذي يميل إلى مرافقتي في الأسفار وفي بعض الجلسات، مما يوحي بصداقة قوية، كل هذا لم يشفع لي في الحضور ضمن لائحة الوزراء التجمعيين المقترحين للاستوزار!

بعض المواقف تكون بمثابة المحك الحقيقي الذي يكشف لك زيف الصورة الظاهرة، ليطفو الخبيء على السطح!

وأودّ أن أشير في هذا الإطار إلى رد فعل السيد المحجوبي أحرسان، الأمين العام لحزب الحركة الشعبية، حينما تسلم لائحته من السيد أحمد رضا أگديره، واطلع على الأسماء الواردة فيها، والمرشحة لشغل مناصب وزارية باسم هذا الحزب، فما أن قرأ ما فيها حتى توجه بالكلام إلى مستشار صاحب الجلالة وخاطبه بقوله: هذه اللائحة تضم بعض الأسماء لم أقترحها، بل تمّ وضعها من طرف وزارة الداخلية.

فإذا كان السيد عصمان قد اعترض على اسم واحد، فإن السيد أحرسان
رفض اللائحة التي قُدمت له برمتها !

سيبلغ المستشار أحمد رضا أگديرة جلالة الملك بما وقع، وترتب على
هذا الأمر أن خاطب جلالته مستشاره بقوله: ورَّع الوزارات التي تتضمنها
لائحة حزب الحركة الشعبية على باقي الأحزاب الأخرى التي ستشكل الأغلبية.

في اليوم السابق على استقبال الحكومة الجديدة من طرف الملك، اتصل
بي وزير الدولة مولاي أحمد العلوي، ليُبلغني أن جلالة الملك قرر أن تُسند إليَّ
وزارة البريد والمواصلات. غير أن الأمر لم يتم كما كان متوقعا !

فقد جرى ما جرى ليلة وضع الصيغة النهائية للتعديل الحكومي ! ذلك
أن الوزير الأول السيد كريم العمراني، ووزير الداخلية السيد إدريس البصري،
قدما اقتراحا إلى جلالة الملك، أن يبقى السيد مُحمد العنصر وزيراً للبريد
والمواصلات (لغرض ما)، رغم خروج حزبه (الحركة الشعبية) إلى المعارضة،
مُعلِّين ذلك بالغموض الذي يلف موقف المحجوبي أحرسان بعد أن تم
إخراجه إلى صف المعارضة !؟

والحق أن فكرة تهيين بديل للسيد المحجوبي أحرسان لقيادة الحركة
الشعبية، بدأت ملامحها تطل على الساحة السياسية المغربية. في هذا السياق،
وافق جلالة الملك على بقاء السيد مُحمد العنصر في وزارة البريد والمواصلات.

تجري هذه الوقائع، ولا علم لي بالخفايا. لذلك ذهبتُ في الغد إلى مكنتي
في مقر الوزارة، في انتظار المناداة عليَّ لأتسلم مهام الجديدة في إطار التعديل
الحكومي. وحوالي الساعة الواحدة ظهرا، وأنا في مكنتي، أُخبرتُ بأن جلالة
الملك قد قام باستقبال أعضاء الحكومة الجديدة، وتمَّ تعيينها. دارت بخاطري
أسئلة عدة: ما الذي حدث؟ وكيف حدث؟ وبعد أن تأكد الخبر، خرجتُ من
مكنتي وركبتُ سيارتي عائداً إلى منزلي ! بقيتُ في حيرة من أمري، تطاردني

أسئلة كثيرة، وأبحثُ عن تفسير لما حدث؟! وبينما أنا سابحٌ في هذه الدوامة، إذا بي أفاجأً بزيارة صديقين هما: عبد اللطيف الجواهري وزير المالية، ومولاي مصطفى العلوي وزير العدل.

جلسنا نتبادل الحديث حول ما جرى، وأخبراني بأنهما بحثا عني داخل قاعة الانتظار في القصر الملكي قبيل الاستقبال الملكي، وكان غيابي مفاجأة لهما، لعلمهما بأنني كنتُ ضمن أعضاء الحكومة الجديدة، فكانت زيارتهما لي للاستفسار والسؤال عني. كانت زيارة هذين الوزيرين الصديقين مشاركة وجدانية، على درجة كبيرة من الثُّبل، وهما الوزيران الوحيدان اللذان قاما بزيارتي في تلك الظروف. لم يلتفت إليَّ غيرهما من أقرب المقربين والأصدقاء وبعض الوزراء الذين جمعني بهم ظروف العمل داخل حكومة واحدة!

بقيتُ أسبوعاً كاملاً منعزلاً في بيتي، تحت ظروف نفسية مشوبة بالقلق؛ الشيء الوحيد الذي استفاد من الراحة، وكان في عيشة راضية خلال هذه المدة، هو هاتفي...! وكأن رقمي ضاع من مذكرات أولئك الذين كانوا على اتصال بي يومياً، بل وقد يكون هذا الاتصال عدة مرات في اليوم الواحد! غاب كل هؤلاء...؟!!

غريب أمر بعض المغاربة...! حينما تكون في موقع المسؤولية، وصاحب قرار، و«خردشة» بقلمك تفتح الأبواب، وتيسر العسير، يتهافت القوم على بابك حتى لا مَنَاص! أما هاتفك ثابتاً أو محمولاً، فدرجة حرارته مرتفعة على الدوام، ورناته لا تنقطع إلا لتعود!

الآن، وقد تمّ تعيين الحكومة الجديدة، سيتم بعدها افتتاح السنة التشريعية من طرف الملك الحسن الثاني. وهنا أُسجلُ بأنني، ولأول مرة في مساري البرلماني، لم أحضر افتتاح الدورة البرلمانية. لقد كنتُ في حالة نفسية لا تسمح لي بحضور مريح.

وبعد أن افتتح جلالة الملك السنة التشريعية الجديدة، عاد إلى مدينة مراكش، حيث كان مقامه في تلك الفترة. أما أنا، فقد ظل ذهني منشغلاً حول

ما جرى، باحثاً عن الأسباب، مقلِّباً الأمور على وجوهها المختلفة، علّني أصل
إلى تفسير منطقي لما حدث !

قادتني تأملاتي في الوضعية إلى ضرورة الاتصال المباشر بالملك الحسن
الثاني. اتخذتُ هذا القرار بعد مرور أسبوعين على الواقعة. اتصلتُ ب «القايد
مرجان»، أستفسرُ إن كان بالإمكان «السلام» على جلالة الملك ؟ طلب منّي
إمهاله قصد التشاور. جاء الجواب ليلاً من نفس اليوم، حيث اتصل بي
«القايد مرجان» ليخبرني بإمكانية تحقيق المطلوب، لذا عليّ أن أحضر إلى ملعب
الـگولف في مدينة مراكش، في اليوم الموالي على الساعة الحادية عشرة صباحاً.
وصلتُ إلى مراكش في الساعة التاسعة صباحاً، والتحقّتُ بأخي العزيز
الجنرال ميمون في الفندق الذي كان يقيم فيه. كان وصولي مفاجأة له. سألتني:
يَاكَ لَا بَأْسَ؟ (ما الأمر؟).

قلت: جئتُ لأتناول معك فطور هذا الصباح !

شرحتُ له أسباب النزول، وأن لي موعداً للسلام على جلالة الملك، ما
أدخل عليه نوعاً من الارتياح.

حللتُ بمقر الـگولف في الساعة الحادية عشرة، وهو الموعد الذي حُدّد
لي. وجدتُ هناك بعض مستشاري جلالة الملك، وبعض الوزراء وثلة من
المقرّبين والشخصيات ممن يرافقون الملك في مثل هذه الأماكن.

حضر جلالة الملك إلى ملعب الـگولف في مراكش، على الساعة الثانية
عشرة زوالاً. اصطف الحاضرون للسلام على جلالتة. اتخذتُ لنفسني موقعا في
آخر الصف. قام الجميع بالسلام على الملك، وكنتُ آخر من سلّم. ظل الجميع
على مقربة منه، فالتفت إليّ -طيب الله ثراه- وخاطبني بقوله، وباللسان الدارج:
«مَرْيَانُ الْمَنْصُورِي، دَبَا نُنَّا تَطْلَبُ الْإِذْنَ بَأَشْ تَسَلَّمْ عَلَيَّا؟!». تمّ النطق بهذه
العبارة، أمام كل المتحلّقين حول جلالة الملك، كان الأمر مقصوداً، والهدف أن
يسمع الجميع ما قاله جلالة الملك في حقّي.

هذا النطق الملكي أمام تلك الشخصيات الوازنة في المحيط الأقرب إلى الملك، وعلى البساط الأخضر في گولف المدينة الحمراء، مهَّد لي السبيل للعبور إلى رحاب الديوان الملكي.

ذهبتُ إلى مراکش بدون حقيبة ملابسي، على أساس أن عودتي إلى منزلي في الرباط ستكون في نفس اليوم. فإذا بالزيارة القصيرة تتحول إلى إقامة طويلة إلى جانب الملك الحسن الثاني، وسيضاف اسمي إلى اللائحة التي يحددها جلالة الملك، ويسجَّل أفرادها «القايد مرجان» -بتكليف من جلالته- حيث ينادي على الأشخاص الذين يصاحبون جلالته، حسب التزاماته، إلى مكان محدد، قد يكون داخل القصر أو في ملعب الگولف، أو في أي مكان آخر.

لقد كان لقائي بجلالة الملك في گولف مراکش، بعد طلب الإذن. وكان طلب الإذن هذا، الأول والأخير، وسيخبرني «القايد مرجان» بالحضور في اليوم الموالي إلى نفس المكان وفي نفس التوقيت.

لقد كانت هذه الرحلة المراكشية منعطفا كبيرا في حياتي برمتها. ومنذ ذلك التاريخ، أكتوبر 1985، عُيِّنْتُ بظهير ملكي، في ديوان جلالة الملك الحسن الثاني، برتبة وزير. خرجتُ من الحكومة بتواطؤ بعض أعضائها، يوم 15 أكتوبر 1985، وتمَّ تعييني بظهير شريف بمرتبة وزير، وبأمر مولوي سام، بتاريخ 15 أكتوبر 1985. ﴿إِنْ يَخْلِمِ اللَّهُ فِي فُلُوبِكُمْ خَمْرًا يُوتِيكُمْ خَمْرًا﴾ الأنفال، الآية 70.

وابتداء من هذا التاريخ، استعاد هاتفي نشاطه، وتذكَّر بعض القوم رقمه بعد أن كان قد انزوى لديهم، ورامت عليه ظلال من النسيان والتنكر! وإذا كان جحود البعض -والبعضية هنا لا تدلُّ على القلة- قد أسقط القناع عن مدعي المودة والصداقة، فإن هذه التجربة، رفعت الحُجب عن بصري، وفتحت بصيرتي، فأصبحتُ أكثر تمييزاً بين طيب «العود» والحطب!

*** **



٧- مساهمتي داخل
المجتمع المدني



تأسيس جمعية «مركز البحر الأبيض المتوسط»

صاحبني إحساسٌ دائم -وأنا ابن الريف- أن الصورة التي تقدم للدوائر العليا في البلاد، عن الريفيين والشماليين بصفة عامة، غير صحيحة، ويكمن خلفها سوء نيّة واضح.

وستُستغلّ هذه الصورة، بعد أحداث الريف سنة 1958. فكانت الإدارة المغربية، ممثلة في السلطات المحلية، وجهاز الأمن، ورجال الدرك، والجمارك ... تتصرف في منطقة الريف كما يحلو لها، مستغلة تلك الأكذوبة التي تقدّم للدولة بأن الريفيين ضد الملكية. والحقيقة أنهم كانوا ضد هيمنة حزب الاستقلال، وضد فكرة الحزب الوحيد. أما المغفور له الملك محمد الخامس فقد كان مقدّساً عند جميع سكان المنطقة لنضاله ضد الاستعمار، وكفاحه لتحقيق استقلال المغرب.

في الوقت الذي كنتُ أعلمُ -وأنا ابن تلك المنطقة- أن الأغلبية الساحقة من أبناء الريف، يرون في الملكية صمام أمان ووحدة البلاد، والجامعة لشمل المغاربة، والحفاظة لقيمهم الدينية، برعاية إمارة المؤمنين.

صحيحٌ أنّ هناك فئة قليلة لها مواقف أخرى - كما يوجد دائماً في مشارق الأرض ومغاربها- تخرج عن الجماعة لسبب من الأسباب، فيظهر مَنْ يعمل على استغلال تلك الصورة التي تقدّم الريفيين باعتبارهم يسعون إلى نظام ضد الملكية، لتُتخذ مطيّةً للابتزاز، وهو ما كان يتم بشكلٍ فظيع.

لقد اطلعتُ على صور عديدة من الظلم الذي لحق بأهل هذه المنطقة من بلادنا، منها ما مسّ بعض الأعيان وتجار الريف في أوائل السبعينيات من القرن الماضي. فقد علمتُ أن أحد المديرين للأمن بالرباط، في فترة من الفترات التي تلت أحداث 1958، وجّه بعض سماسته إلى المنطقة، واتصلوا ببعض الأعيان

والتجار هناك، وطلبوا منهم -باسم هذا المدير- أن يقدموا مبالغ مالية طائلة تقدر بعشرات الملايين، وحُدّد لكل فرد منهم مبلغاً معيناً. كان هؤلاء الأعيان والتجار من كبار السن، وسُمعَتهم في المنطقة ذات صيت طيب ومحمود. فرأوا في هذا السلوك حيفاً وظلماً، فرفضوا دفع ما طُلب منهم! لم يستسغ مدير الأمن المعلوم هذا الرفض. فقرر الانتقام منهم!

وكان لا بدّ من خلق تهمة يُسهّل بها تحقيق ما يرغب فيه، وهو اعتقالهم. تمّ تهيين التهمة. لقد وُجّهت إلى هؤلاء الأعيان والتجار تهمة تهريب العملة! فألقي عليهم القبض، ونُقلوا إلى سجن بالدار البيضاء. وفي مخفر الشرطة ولأكثر من أسبوع، مُورست على هؤلاء الريفيين ألوان من التعذيب، و «طُيخت» لهم ملفات قُدمت لمصالح الجمارك! تمّ الأمر بإيقاع سريع، واغتتم فيه المُبتزّون غياب الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، الذي كان يقوم بزيارة إلى الجزائر.

ألني كثيراً ما حدث لهؤلاء الأعيان والتجار، بل ولما يُحكّ للمنطقة بكاملها، فقررتُ أن أبحث عن وسيلة لإبلاغ الملك الحسن الثاني بحقيقة الأمر. فأخبرتُ وزيرى الدكتور محمد بنهيمّة، وهو آنذاك وزير الدولة المكلف بالتعاون والخدمة المدنية، وشرحتُ له ما وقع، وأن ما يجري هو نوع من التآمر على الريفيين، لتشويه صحيفتهم مع الملك. وصلت الرسالة إلى جلالتة بعد عودته من الزيارة، ووقف على أن ما يطالب به الريفيون، لا يخرج عمّا يطالب به بقية أفراد شعبه في مناطق أخرى. يريد الريفيون نصيبهم في التنمية، من مدارس، ومستشفيات، وطرق ومواصلات، وتشغيل الشباب العاطل؛ وأن يحظوا بنفس الاحترام الذي يعامل به باقي المغاربة. وكل هذه المطالب تتم في إطار احترام القانون والشرعية، حتى إذا بدا بعض التنطع من أفراد محدودين، فإن تطبيق الإجراءات القانونية كفيل بردع أمثال هؤلاء، سواء في منطقة الريف أم في مناطق أخرى.

أصبحت الصورة أكثر وضوحاً أمام الملك الحسن الثاني، ولما عُرف به، رحمه الله، من بُعد نظر، وحكمة وتبصر، أصدر عفوه على أولئك الأعيان والتجار

الريفيين الذين أُلصقت بهم تُهم، زوراً وبُهتاناً؛ وتمّ رفع الظلم الذي لحق بهم.

هذه حالة واحدة مما كان يُحَاك لأبناء الريف، يمكن أن أضيف إليها معاناتهم، حين كانوا يتقدمون إلى السلطات الإدارية، للحصول على جواز السفر! هل يعلم القارئ الكريم درجة الابتزاز التي يتعرض لها المواطن المغربي في منطقة الريف حين يقدم ملفه للحصول على هذا الجواز؟

فبالإضافة إلى التماطل والتفنن في خلق العراقيل، يجد هذا المواطن نفسه أمام معادلة تقول: جواز السفر يساوي مبلغاً كبيراً من المال!؟ كان مقداره يصل، في أواخر الستينيات من القرن الماضي، إلى عشرة آلاف درهم، وعشرة آلاف درهم ذلك الزمان ليست بالشيء القليل، وهو مبلغ لا يحضر إلا بين أيدي فئة محدودة، ومن تلكأ أو حاول الاحتجاج على هذا السلوك، فالتُّهم جاهزة، ومن بينها التهريب، والاتجار بالقنب الهندي (الكيف)، ومناهضة النظام الملكي.

ومن صور الابتزاز كذلك، ما كان يتعرّض له الريفيون أثناء تنقلهم من منطقة إلى أخرى، أو من مدينة إلى أخرى، داخل وطنهم. يكفي أن تكون سيارتك حاملة لرقم تسجيلي يشير إلى مدينة من مدن منطقة الريف، حتى تصبح عرضةً للتوقيفات، عبر مختلف الطرق، وعليك أن تدفع ... أو ... حتى إذا نأءوا بأعباء هذه التصرفات، لجأ البعض منهم إلى شراء سيارات من مناطق أو مدن مغربية أخرى، أو شراء أرقامها تجنباً لهذه المعاناة.

لقد ساهم هؤلاء الذين سعوا إلى تقديم صورة غير حقيقية عن أبناء الريف، إلى الدوائر العليا، في دفع الكثير من سكان المنطقة إلى الهجرة خارج الوطن، والذين لجأوا إلى ذلك -بسبب المضايقات- بكل الوسائل، ومنها شراء جوازات السفر! وكانت ألمانيا، وبلجيكا، وهولندا، البلدان الرئيسية التي استوعبت هجرة أبناء الريف خارج وطنهم.

أمام هذه الوضعية غير السليمة، قررتُ المساهمة في رفع الحيف عن أبناء منطقتي، فوضعتُ تقريراً مفصلاً رفعتُهُ إلى الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، بسطتُ فيه ما يُحَاك ضد أبناء الريف، وزيف ما يُقدّم لجلالته عن هذا الجزء من

الوطن. وبعد أن اطّلع ملك البلاد على الصورة الحقيقية، كما قدمتها له في تقريره، شعرتُ بأن منسوب الثقة التي وضعها جلالته في شخصي المتواضع قد ارتفع، ومع هذه الثقة الكبيرة - التي أعتزُّ بها - ازداد عطف جلالته على المنطقة وأبنائها.

في هذا السياق - ولما لاحظته من عطف مولوي - قررتُ تأسيس جمعية بمدينة الناظور، باسم «قدماء طلبة الناظور»، تكون وسيلة لتجميع الكفاءات والطاقات التي تزخر بها أقاليم الشمال، وخاصة منطقة الريف، متمثلةً في أبنائها ورجالاتها، وأداةً لتحقيق التنمية، وفي الآن نفسه تشكلُ مرآةً للوجه الحقيقي لأبناء الريف، ولوائهم لملك البلاد، أمير المؤمنين، ولتكون الجمعية كذلك سدًا منيعاً أمام المغرضين الذين يحاولون الصيد في الماء العكِر...!

بعد تأسيس الجمعية، طلبتُ من جلالته بأن يتفضّل ويشرفنا باستقبال الأعضاء المؤسّسين. وتجنّباً لكل ما يمكن أن يشكل عرقلة في سبيل استقبالنا من طرف جلالة الملك، عملتُ على إبعاد هذا الملف عن مرافق وزارة الداخلية.

إن الكلمة التي ألقاها الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يوم استقبال الأعضاء المؤسّسين للجمعية، جعلتني أعيد النظر في هذه التسمية. وزاد اقتناعي بهذا الأمر، بعد الحوار الذي دار بيني ومستشار جلالة الملك السيد أحمد رضا أگدير.

فحينما كنتُ بصدد مغادرة القصر، بعد الاستقبال الملكي، جرى حديث مع السيد أحمد رضا أگدير، حول تلك الإشارة الواردة في كلمة جلالة الملك، بضرورة توسيع الدائرة، أي عدم حصر هذه الجمعية في مدينة الناظور، بل يمكن أن تشمل منطقة الشمال برمّتها. وعلى أساس هذا الحوار، تبلور في ذهني اسم جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط». لذا كان هذا الاسم هو ما قدمتُ للأستاذ عبد الحق المريني، نائب مدير التشريفات الملكية، حينما طلب منّي تقديم الاسم الرسمي للجمعية، ليضمّنه في البلاغ الذي صدر، بعد استقبالنا من طرف الملك الحسن الثاني رحمه الله. وستكون هذه التسمية مفاجأة للأعضاء الذين حضروا معي الاستقبال الملكي، لأشرح لهم فيما بعد أسباب تغيير الاسم.

استقبال استثنائي لجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني
لهيب الله ثراه للوفد المؤسس للجمعية
يوم الاثنين 12 مارس 1978 بغاعة العرش بالفصر الملكي
بالرباط، بحضور الوزير الأول السيد أحمد عصمان، السيد
رضى اكديرة مستشار صاحب الجلالة، الرئيس السلاوي
مستشار الرئيس البصري وزير الداخلية، الجنرال أحمد الكليمي
ومولاي احميخ العلوي مدير التشريعات والأوسمة.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، أثناء تقديم الأعضاء المؤسسين لجمعية حوض البحر
الأبيض المتوسط

الكلمة السامية لصاحب الجلالة المغفور له الملك الحسن الثاني رحمه الله بمناسبة استقباله ممثلي الجمعية

استقبل صاحب الجلالة الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله أعضاء مكتب الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط بالقصر الملكي بالرباط وخاطبهم بالكلمة التوجيهية السامية التالية :

«حضرات السادة والسيدات،

إن اجتماعي بقدماء تلاميذ الناظر يذكرني بسنوات الصبا وسنوات الشباب، ذلك أن الدراسة والأمورية كانت كثيراً ما تجعلني اتصل بكيفية مباشرة وغير رسمية



بالذين يكونون اليوم الأطر المسيرة لهذا الوطن كانوا أطرا رسمية أو أطرا غير رسمية وأنا لى لأعطي للقائى بكم قءماء تلامىذ الناظور قىمة خاصة، ذلك أن عمالة الناظور جاءت جغرافىا فى موقع حساس جدا، فإذا كانت جمىع أقالىمنا التى على حدودنا متحمسة وطنىا بجمىع أطرها، كنا فى غنى مطلقا عن استعمال جىشنا أو استعمال أسلحتنا علما منا أن الإرادة أكبر سلاح وأحسن سلاح.

فبمكتبكم هذا أرى منتخبىن : اثنىن من الأطباء والصىءلىلىن، وثلاثة عشر من المهندسىن، وثمانىة من مفتشى المالىة، وثلاثة أطر جامعىن، وثلاثة عشرة من التجار ورجال الأعمال، وثمانىة عشرة من الصناع، وسبعة من الممثلىن، فحقىقة إن دلت هذه الأرقام على شىء فىى تدل قبل كل شىء على روح الءىمقراطىة التى تسود مكتبكم، حىث إنكم أردتم أن تشاركوا جمىع المستوىات وجمىع الأنشطة فى جمعىتكم.. إن جمعىتكم هى فى الحقىقة لها جذور فى جمىع أنحاء المغرب وفى الخارج، فعلىها أن لا تكون إذن جمعىة عاطفىة فقط، وأن لا تكون جمعىة هدفها هو الحنىن لأىام الصبا والتذكىر بما وقع فى القسم الفلانى أو مع الأستاذ الفلانى، وأظن أن مطامحكم أعلى من هذا كله وأظن أن رجائى فىكم أكبر من هذا كله، فعلىكم جمىعا إذن كل فى دائرته وكل فى خلىته الاجتماعىة وكل فى حومته وكل فى البلد الذى يستوطنه، كلكم ىجب علىكم أن تعرفوا بالمغرب، أن تعرفوا بجهوده، إن معلوماة الإدارة أو الحكومة أو الأنشطة ىمكن أن ىعترىها خلل وىمكن أن تسىر ببطء، فكل فرس أطلق العنان للعدو لا ىمكنه أن ىتم الرحلة إلا وهو متعب فىى بعض الأوقات ربما تكون السرعة تفوق الصوت والبعض ىظن أن السرعة انعدمت، ولكن هذه مسائل ظرفىة وبشرىة لأن الإنسان بشر، ولكن الذى ىبقى والذى ىدوم للمغرب هو عموده الفقرى، أى خصاله وفضىلته وأخلاقه.

ونصيحتي الأخيرة هي الآتية :

إن المغرب معرض لخطر واحد هو أن تمسخ شخصيته، المغرب لا يخشى الفقر لأن الله سبحانه وتعالى أعطاه الخيرات وسيعطيه الخيرات ولا يخشى سيطرة، لأن الله خلق فينا روح الدفاع وروح الكفاح وعدم القبول بأي سيطرة كيفما كانت، لكن المسخ لشخصية المغرب أخشاها وأخشى المسخ أكثر من كل شيء، وذلك لأن بيوتنا انحلت ولأن الآباء سلموا مقاليد الأمور، ولأن الأسرة أصبحت إما منعدمة أو متخلية تماما عن العيش بها.

فالتربية هنا بالنسبة للبلاد أهم بكثير من الدراسة والتثقيف، فلا يمكن لأي أحد أن يقول أنا مثقف إذا لم يكن قبل كل شيء ذا تربية أصيلة، فالثقافة تسبقها التربية، والتربية ليست بيد الأساتذة وليست بيد الجامعيين ولا غير الجامعيين، إنها بيد الآباء والأمهات، بيد الأسرة بيد الأجدد بيد العم بيد العمة بيد الخالة، وأكد هذا وأقوله علنا علما مني أن الوسائل المسموعة والمرئية ستذيعه في جميع أنحاء المغرب، وأكد أنني أخشى على المغرب قبل كل شيء مسخ الشخصية، فشخصية المغرب هي أمانة لا يجوز تضييعها أبدا، وإضاعة هذه الأمانة في جسامتها وفيما سبقها من القرون هو الذي يجعلنا إما أن نكون مجرمين وأكبر مجرمين إن نحن أضعناها، ونكون أكبر فائزين وأكبر مثابين عند الله وعند الأجيال المقبلة إذا نحن حافظنا عليها وربيناها تربية موازية لشبابنا ولأبنائنا.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقكم جميعا ومن تمثلونهم والجمعيات الأخرى كلها التي هي موجودة في المغرب، حتى تكونوا كآباء وكمشدين وكإخوة وكأصدقاء من المرين لهذا الشعب ومن المحافظين على شخصيته، وحتى يبقى المغرب هو المغرب والمغربة هم المغاربة.

كلمة السيد المنصوري بن علي
رئيس الجمعية خلال استقبال جلالة الملك الحسن الثاني
بالقصر الملكي بالرباط وبدأ من سكان الريف أعضاء الجمعية
يوم الاثنين 12 مارس 1978



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني يستقبل الأعضاء المؤسسين لجمعية حوض البحر الأبيض المتوسط، ويلقي كلمة توجيهية، وتم ذلك في قاعة العرش، بالقصر الملكي العامر بمدينة الرباط، يوم 12 مارس 1978

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي صاحب الجلالة،

إنه لشرف عظيم أن نمثل بين يدي أمير المؤمنين، وأن تتبرك نخبة من سكان الريف بتقبيل الأعتاب الشريفة. وإثني أصالة عن نفسي ونيابة عن إخواني أعضاء الجمعية نعبر عن كامل شكرنا لسدتكم العالية بالله على هذا التشريف.

مولاي صاحب الجلالة،

إن هذه النخبة من سكان الريف التي أتحمم جلالتم لها المثول بين يديكم، تحمل لجلالتكم نيابة عن سكان أقاليم الريف آيات الولاء والشكر على ما تولونه

لأقاليمهم من كامل العناية والرعاية، وعلى سياستكم الرشيدة الرامية إلى تنمية متوازية بين الأقاليم وإبعاد فكرة المغرب النافع والمغرب غير النافع تحقيقاً للمساواة بين المواطنين، فلا فرق بين سكان الجبال وسكان السهول.

وإن المشاريع المخططة بفضل سياستكم الرشيدة بأقاليم الريف، وأهمّها: مرگب الصلب والحديد، والميناء، والسكة الحديدية والمطار لتعدّ ركيزة كبرى في تنميتنا الاقتصادية، وذلك بهدف فكّ العزلة عن المنطقة، التي مازالت تعرف خصوصاً في ميادين الصحة والتعليم والطرق. وإن آمال سكان الريف لمعلقة على قائد مسيرتنا المظفرة بخصوص تحقيق هذه المشاريع الهامة.

مولاي صاحب الجلالة،

إن أعضاء الجمعية وسكان الريف قاطبة ليعتبرون أنفسهم جنوداً مجندين وراء جلالتم لتأكيد الوحدة الترابية والوقوف في وجه الطامعين الحاقدين والمساهمة في بناء المغرب الجديدة.

وإن سكان الريف ليتشوقون للتبرك باستقبال جلالتم في أقاليمهم وتقديم آيات الولاء والطاعة، وتجديد الإخلاص عن قرب. كما أن شباب الريف بصفة عامة يطلبون من جلالتم تشريف جمعيتهم والتفضل بالسماح لولي عهدكم الأمير سيدي محمد بتولي رئاستها الشرفية.

أدام الله مولانا الإمام وأقرّ عينه بوليّ عهده الأمير سيدي محمد وأفراد الأسرة الملكية الرشيدة الشريفة.

والسلام على مقامكم العالي بالله.

وللإشارة فلقد تفضل المغفور له صاحب الجلالة الملك الحسن الثالث لصيب الله ثراه بقبول لصلب الجمعية بتعيين صاحب السمو الملكي ولي العهد أنذاك الرئيس الشرفي للجمعية الثقافية والاجتماعية لعوض البحر الأبيض المتوسط.

والحقيقة أن الاستقبال الذي حظينا به من طرف جلالة الملك، شكل دعماً قوياً لنا. ولهذا تشجعتُ وطلبتُ من جلالة الملك بأن يكون وليّ العهد سيدي محمد (الملك محمد السادس) رئيساً شرفياً للجمعية، وهو الطلب الذي حظي بالقبول، وتبلغتُ الخبر من السيد عبد الحق المريني.

وفي هذا الاستقبال، كنتُ أقدم الأعضاء المؤسسين، إلى جلالة الملك، بصفتهم المهنية والعلمية. وكانوا جميعاً من الأطر العليا، أطباء ومهندسين وجامعيين ورجال أعمال وأعيان، من بينهم، الدكتورة ليلي مزيان، ابنة المارشال مزيان (زوجة السيد عثمان بنجلون)، وأختها الزهراء، صيدلية، زوجة السيد الدكالي، ابن الفقيه والشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي، وأخ الشاعر عبد الرحمان الدكالي، مرشد القوات المسلحة الملكية، وكانا من المقربين لجلالة الملك. وبعدهما تقدّمت السيدتان للسلام على جلالته، نادى على أحد الموظفين من التشريفات، لكي يقدم لهما كرسيين للجلوس، تقديراً لمكانة والدهما المارشال مزيان عند جلالته، بينما بقينا -نحن- الأعضاء من الرجال واقفين أمامه. بعد تقديمي لجميع الأعضاء المؤسسين، خاطبني جلالة الملك بقوله: «من أين أتيت بكل هؤلاء الأطر؟»، أجبتُ بقولي: «نعم... سيدي، هذه فئة قليلة من الأطر تضمّهم الجمعية، أما شمال المملكة فزأخر بالكفاءات في المجالات المختلفة!».

إن هذا التساؤل الصادر عن جلالته، يمكن أن يكشف لنا، مرة أخرى، عن الصورة المزيّفة التي كان البعض يقدمها لجلالة الملك، عن منطقة الشمال، بشكل عام.

لقد أصبح الأمر جدياً، وكان عليّ أن أضع الأسس الأولى لهذه الجمعية، وأن تكون أسساً قوية وقوية، بما يسمح لها بالقيام برسالتها على الوجه المطلوب، وبما توسّمه جلالة الملك في أبناء هذه المنطقة.

المؤتمر الأول لجمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» في مدينة الرباط:

مرّت الخطوة الأولى متمثلة في التأسيس والاستقبال الملكي، وكان علينا الإقدام على خطوة ثانية، تحددت في تنظيم المؤتمر الأول للجمعية بمدينة الرباط، بمسرح محمد الخامس. دعوتُ إلى هذا المؤتمر العديد من الشخصيات والفعاليات السياسية والثقافية....

ومن بين الشخصيات السياسية التي وجهت لها الدعوة لحضور هذا المؤتمر، السيد الوزير المحجوبي أحرضان. وأودّ، قبل سرد ترتيبات المؤتمر، ووقائعه، أن أقف عند ردّ الفعل الذي صدر عن السيد المحجوبي أحرضان، حين تمت دعوته لحضور هذا المؤتمر. لقد رغبتُ أن أحمل بنفسني تلك الدعوة، فقصدتُ منزله، لأجده في استقبالي، ودار بيننا حديث حول المؤتمر وترتيباته. غير أنّي سافجاً بموقف السيد أحرضان، يطلب منّي إلغاء المؤتمر!

سألته: لماذا ألغيتُ المؤتمر؟ وما السبب؟ وشرحتُ له المراحل التي قطعها التنظيم، وأن أغلبية المؤتمرين بدأوا يصلون إلى الرباط من الأقاليم المختلفة! جاء جواب السيد أحرضان كالآتي: تريد تنظيم مؤتمر للجمعية، وابني في السجن؟! تريد حضوري وابني أوزين في السجن؟!

كان جوابي واضحاً. لقد قلتُ للسيد أحرضان: إن ابنك أوزين ليس معنا في الحزب، وموقفه (من خلال مقال كتبه) موقف شخصي، وليس موقف حزب الحركة الشعبية؟ وإذا كان الحزب يرغب في اتخاذ موقف ما، من اعتقال ابنك، فليجمع المكتب السياسي، وأنا أحد أعضائه، ونتخذ موقفاً في هذا الشأن! أما الجمعية، فهي جمعية ثقافية، ولا علاقة لها بالحزب، ولا تخوض في مجال السياسة!

التفت إليّ وقال: لك أن تختار، إما إلغاء المؤتمر، أو تقوم بالإشارة، في خطابك الافتتاحي، إلى قضية اعتقال ابني أوزين، وأن هذا الاعتقال كان تعسفياً!



انعقاد أول مؤتمر لجمعية البحر الأبيض المتوسط،
بحضور الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد بمسرح محمد الخامس
في الرباط، سنة 1982



المنصوري بنعلي في استقبال الأستاذ المعطي بوعبيد لدى حضور المؤتمر
الأول لجمعية البحر الأبيض المتوسط المنعقد بمسرح محمد الخامس
في الرباط سنة 1982



استقبال الأستاذ أحمد بنسودة، مستشار صاحب الجلالة بمسرح محمد الخامس
الذي احتضن أول مؤتمر للجمعية



في المنصة خلال انعقاد أول مؤتمر لجمعية البحر الأبيض المتوسط بمسرح محمد
الخامس، في الصورة على يميني: محمد بوزوف، الدكتور الطاهر ماركوش، مصطفى
سلامة، محمد الشياظمي وهم من أعضاء اللجنة الإدارية للجمعية.



المنصوري بنعلي الرئيس المؤسس لجمعية البحر الأبيض المتوسط،
يلقي كلمته في افتتاح أول مؤتمر للجمعية، المنعقد بمسرح محمد الخامس بالرباط
سنة 1982



جانب من المؤتمرين الذين حضروا وقائع أول مؤتمر لجمعية البحر الأبيض المتوسط،
ويمثلون جهات مختلفة من المغرب.



جانب من الحضور خلال انعقاد أول مؤتمر لجمعية البحر الأبيض المتوسط، مسرح محمد الخامس - الرباط، 1982



جانب من الحضور خلال انعقاد أول مؤتمر لجمعية البحر الأبيض المتوسط، ويظهر في الصورة من اليسار إلى اليمين عبد اللطيف السملالي وزير الشبيبة والرياضة، محمد العنصر وزير البريد، بنسالم الصميلي وزير الصيد البحري والملاحة التجارية، المفضل لعلو وزير السكني والتعمير، عز الدين العراقي وزير التربية الوطنية، الأستاذ المعطي بوعبيد الوزير الأول، الأستاذ أحمد بنسودة مستشار صاحب الجلالة، الملك الحسن الثاني، ويرى في الصورة، سعيد بلبشير وزير الشؤون الثقافية، وعمر بنشمسي والي الرباط وسلا.

أحسستُ وكأن الرجل يدفعُ بي إلى إلقاء كلمة ضد مَلِكِي، وضد نظام بلدي؟! والحقيقة أنني فوجئتُ بهذا الموقف. انتفضتُ، وخاطبته واقفاً متهيئاً للخروج: أمامي ثمانية وأربعون ساعة (48) لافتتاح المؤتمر، إذا أردتُ، احضر، وسأعطيك الكلمة، وقل ما شئت!

كان هذا آخر ما نطقتُ به، وانصرفت.

كانت هذه الواقعة، خطوة لتعميق الخلاف بيني وبين السيد المحجوبي أحرضان، ومع المحيطين به، الذين عملوا على توسيع دائرته، من خلال ما ينقلون إليه من أخبار مزيفة.

ومن جملة ما أشاعه حوارِيُّوه - والمؤتمر على الأبواب - أن المنصوري بنعلي سيلقي كلمةً في الجلسة الافتتاحية، يعلن من خلالها، ما يشكل مساً بمشروعية النظام السياسي للبلاد.

طلبتُ مقابلة جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وكان يقيم في تلك الفترة بالقصر الملكي بمدينة فاس، انتقلتُ من الرباط إلى فاس. في لقائي بجلالته، شرحتُ له كل الحثيات المحيطة بالموضوع وما يحاك ضدي من دسائس، وأخبرته بأن المؤتمر الأول لجمعيتنا، سيعقد يوم السبت، أي في اليوم الموالي لهذا الاستقبال. وأردفتُ قائلاً: «هل أنظّم المؤتمر أم أتخلى عن ذلك؟». أجابني جلالته رحمه الله: نَظّم مؤتمر.

فوجئتُ يوم افتتاح المؤتمر بحضور عدد من الوزراء، وعلى رأسهم الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد، ووزير الدولة السيد مولاي أحمد العلوي، ومستشار جلالة الملك الأستاذ أحمد بنسودة، ووالي الرباط/سلا السيد عمر بنشمسي، وبعض الوزراء والشخصيات والسفراء الأجانب.

كان مسرح محمد الخامس ممتلئاً، ووفود الأقاليم المختلفة منتظمة في أماكنها، بلوحاتها التي تشير إلى الإقليم الذي تمثله. أقيمتُ خطاب الافتتاح،



زيارة ضريح الملك محمد الخامس، مباشرة بعد الاستقبال الملكي للأعضاء
المؤسسين لجمعية البحر الأبيض المتوسط . يوم 12 - 3 - 1978



في الصورة، الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد
الخامس، في شروحات لأعضاء مكتب جمعية البحر الأبيض المتوسط، خلال زيارتهم
للترحم على روح الملك الراحل محمد الخامس، طيب الله ثراه.



بعض ممثلي المؤتمرين في زيارة ضريح محمد الخامس للترحم على روح جلالة
المغفور له الملك محمد الخامس.



المنصوري بنعلي الرئيس المؤسس لجمعية البحر الأبيض المتوسط، يدون كلمة
باسم الجمعية في الدفتر الذهبي لضريح محمد الخامس، بعد انتهاء أشغال أول مؤتمر
المنعقد بالرباط سنة 1982.



الأعضاء المؤسسون لجمعية البحر الأبيض المتوسط، يترحمون
على الروح الطاهرة، للمغفور له الملك محمد الخامس.
حسان - الرباط 12 مارس 1978



وقفة ترحم على روح المغفور له الملك محمد الخامس، في زيارة للرئيس
المؤسس لجمعية «البحر الأبيض المتوسط»، وأعضاء المكتب المؤسسين
حسان - الرباط، يوم 12 مارس 1978

وكنْتُ أقاطعُ بالتصفيق الحار، كلما نطقتُ باسم جلالة الملك. ومرّ المؤتمر في أحسن الظروف، وبنجاح باهر. وكان طبيعياً أن ننظم للحاضرين حفل عشاء، واختير فندق «هيلتون» مكاناً له، مع حفل موسيقي، تميز بحضور عدة مطربين ومطربات، كانت من بينهم مطربة من مدينة الناظور اسمها «ميمونت أن سلوان»، والتي حظيت بإعجاب كبير من طرف الحاضرين.

لقد خلف هذا المؤتمر صدى كبيراً وطيباً، في الأوساط المختلفة، وأبرز اسم جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» في الوسط المجتمعي. وكان طبيعياً أن تصل هذه الأصداء الطيبة إلى جلالة الملك، خاصة وقد حظي المؤتمر بتغطية إعلامية كبيرة، في مختلف وسائلها، وبتعدد مستوياتها.

بعد أسبوع من انعقاد المؤتمر، التقيتُ بالمستشار الملكي، الأستاذ أحمد بنسودة في مكتبه، نظراً للعلاقة الخاصة التي تجمعني به. دارت بيننا أحاديث، خلالها سألتني الأستاذ بنسودة: ما هو تفسيرك لحضور الوزير الأول وإلى جانبه مستشار صاحب الجلالة، وإلى جانبه الوزير الأول، ومجموعة من الوزراء، في افتتاح مؤتمر جمعيتكم؟

أجبته: أنا بدوري لم أفهم! وزدتُ قائلاً: الواقع أنني لم أكن أنتظر هذا الحضور، وبهذا المستوى العالي!

كان سؤال الأستاذ أحمد بنسودة هو نفس السؤال الذي خامرني بعد المؤتمر، كما دارت في ذهني أسئلة أخرى كثيرة: هل هذا الحضور إلى مؤتمر جمعيتنا، بهذا المستوى الرفيع، كان إشارة عطف الشخصيات الوزارية على أبناء الريف؟ أم كان دافع حضورهم وجود فراغ سياسي وثقافي في الساحة السياسية؟ أم حبّ استطلاع لما سيدور وسيروج في المؤتمر من أفكار...؟؟

هذه أول تظاهرة كبيرة، ينظمها أبناء الريف في عاصمة المملكة، بعد الاستقلال، فكيف تمّ الترخيص لي بذلك؟ وكيف سُمح لهذا المؤتمر بالانعقاد في مسرح محمد الخامس؟

لاحظ الأستاذ أحمد بنسودة هذا الشرود الذي أخذني لحظة، فخاطبني، وكأنه ينتشلي من شرودي، قال: لقد حاول البعض عرقلة انعقاد مؤتمركم، ونقل هؤلاء إلى جلالة الملك ما حاولوا به الإساءة إلى جمعيتكم، بل إلى أبناء المنطقة بكاملها!

سألته: وماذا قالوا عنّا؟

فجاء جواب مستشار جلالة الملك: من جملة ما نقلوه إلى جلالته، أن هذا الاجتماع للريفيين هدفه إحياء الجمهورية الريفية...!!

قلت: إلى هذا الحدّ يحقد هذا «البعض» على أبناء الريف الذين أظهروا - كما لاحظتم - ذلك التعلق الكبير بملك البلاد، أمير المؤمنين؟

تابع الأستاذ أحمد بنسودة حديثه قائلاً:

لقد كلفني جلالة الملك بأن تقوم الإذاعة الوطنية والتلفزة المغربية بتسجيل كل ما يدور في المؤتمر، ثم عليّ أن أقدم لجلالته تقريراً في الموضوع؛ وقد فعلت. وعند تقديمي لتقرير سألني جلالته: كيف مرّ المؤتمر؟ فكان جوابي: لو كل الأقاليم تحضر بهذا الشكل، ويعبرون عن ولائهم لجلالته بالشكل الذي شاهدته في هذا المؤتمر، «فجلالته يمشي ينعس مهني». وأضفت: لقد لمستُ بأن أبناء المنطقة الشمالية كانوا متعظشين لمثل هذه المناسبة، للتعبير عن ولائهم وإخلاصهم لجلالتكم، ولم أسمع نصف كلمة أو أية إشارة، لما تمت إشاعته حول هذا المؤتمر. فما نقل إليكم ليس سوى إشاعات مغرضة.

كان مستشار جلالة الملك، الأستاذ أحمد بنسودة، يسرد على مسامعي ما قاله لجلالة الملك الحسن الثاني.

بعد نجاح مؤتمرنا الأول الذي انعقد في الرباط، كان علينا الشروع في وضع البرامج، التي ستعمل الجمعية من خلالها على تحقيق أهدافها. كان تفكيري يميل إلى أن يكون نشاطنا الأول من مستوى كبير. ومن ثمّ بدا لي أن الاحتفال بذكرى معركة أنوال، سيكون حدثاً مهماً، ليس فقط بالنسبة لجمعيتنا، أو لمنطقة الشمال، بل لبلدنا وتاريخنا ككل.



تدشين مقر «جمعية البحر الأبيض المتوسط» سنة 1981 (نادي الجمعية - الدار البيضاء)
في الصورة: الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد، السيد المحجوبي أحرضان وزير البريد
والمواصلات السلكية واللاسلكية، السيد عبد اللطيف الغساسي وزير المالية، المنصوري
بنعلي وزير النقل والسيد عبد الرحمان بادو كاتب الدولة في الخارجية



مدخل مقر «جمعية البحر الأبيض المتوسط»
نادي الجمعية - الدار البيضاء) - سنة 2024



صورة لمقر «جمعية البحر الأبيض المتوسط» (نادي الجمعية - الدار البيضاء)، وهو بمثابة مركز ثقافي مفتوح للطلبة المغاربة وغير المغاربة، وقد تخرج منه العديد من الأطر في تخصصات مختلفة. من الطالبات اللائي ترددوا على هذا المركز الثقافي، السيدة فتيحة الرامي، التي أصبحت أستاذة جامعية، وفي نفس الآن نائبة للمسؤول عن تسيير فرع الجمعية بالدار البيضاء. كما شاركت الأستاذة فتيحة في ندوة بالأردن حيث التقت إحدى الأستاذاة الأردنيات، التي كانت تتردد على مقر الجمعية بالدار البيضاء.



صورة لاجتماع مكتب «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، تم انعقاده في مدينة الحسيمة. في الصورة على يساري: الدكتورة ليلي مزيان ابنة المرشال مزيان، وكرم رجل الأعمال عثمان بنجلون، علي اللوح، الدكتور عبد القادر السعديوي وعن يميني محمد بوزوف.



مع بعض الأعضاء المؤسسين لـ «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، على يميني: الدكتور الحسين بوشطروش، الدكتور عبد القادر السعديوي، الدكتور حسن الشمس، على يساري: عبد العزيز بنودي.



في مدينة الناظور صحبة السادة من اليمين إلى اليسار، الحاج عبد الرحمان الإدريسي، السيد البوعناني، مولود بوزيان بوطناش، المنصوري بنعلي، الكولونيل قدور.



على يمين الصورة : إنريكي بوزيان، المنصوري بنعلي، عبد العزيز البنودي أحد مؤسسي جمعية البحر الأبيض المتوسط، عبد القادر سلامة من مؤسسي نفس الجمعية.



مع الحاج محمد البوكيلي من الأعضاء المؤسسين وبرلماني سابق



الشيخ محمد زريوح برلماني سابق وواحد أعيان إقليم الناظور



مع السيدة مريم مزيان وهي تدشن متحف المارشال مزيان في مدينة الناظور،
وإلى جانبها أختها الدكتورة ليلى مزيان.
وفي الصورة: الجنرال القادري، الجنرال عروب، عبد الوهاب بنمنصور،
محمد الدويري.

ولا بأس في هذا السياق من الالتفات إلى بعض الأعضاء من
المؤسسين الأوائل، وهم من أصدقائي المقربين، أذكر منهم:

السيد إدريس أرجوج:



وهو العضو المؤسس الذي شاركني جميع المراحل والأنشطة الخاصة
بالجمعية، من التأسيس حتى وقتنا الحالي. وكان يشغل منصب مفتش المالية،
وقد تولى بعد ذلك منصب مدير المكتب الوطني للنقل (ONT)، وبعدها عاملاً
على إقليم طانطان (كما أشرتُ إلى ذلك سابقاً). وينتمي والده إلى قبيلة بني
بويحيي بإقليم الناظور، وقد انتقل إلى إقليم مكناس في بداية القرن الماضي،
حيث كان مسقط رأس صديقي إدريس.

الدكتور عبد السلام الخمليشي:



وهو كذلك من الذين رافقوني منذ تأسيس الجمعية إلى يومنا هذا.
وقد كنتُ طلبتُ من الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، أن يكمل الدكتور

الخمليشي تخصصه في الولايات المتحدة الأمريكية، فتكلف جلالته بكل متطلبات الدراسة في أمريكا، حيث أصبح الدكتور الخمليشي من الدكتورة الأوائل في إفريقيا، المتخصصين في جراحة الأعصاب وأمراض الدماغ. وهو أستاذ باحث بجامعة محمد الخامس بالرباط، كما تمّ تعيينه عضواً بالأكاديمية الوطنية للجراحة في فرنسا. وقد كنتُ مساعداً له في تأسيس «مؤسسة الحسن الثاني لوقاية ومكافحة أمراض الجهاز العصبي» بالرباط.

وأودّ أن أشير إلى أن البروفسور الخمليشي قد ازداد بقبيلة بني عمّارت في إقليم الحسيمة، وكان عند زيارته لمنزل والديه بتلك القبيلة، يقطع المسافة بسيارته JEEP، في طريق غير معبّد (Piste)، ثم يكمل المشي على الدواب. لقد ظهر من بين عائلة الخمليشي أساتذة، وعلماء، ودكاترة، وقضاة، وغيرهم، رغم الصعوبات التي كان يعيشها سكان قبيلة بني عمّارت، القبيلة المعزولة بين جبال الريف، بدون طرق ولا ماء ولا كهرباء، ولا بنية تحتية، وهي حالة استمرت إلى غاية السنوات الأخيرة.

الحاج بنعيسى الصباغي:



وهو أحد الأعضاء المؤسسين الأوائل للجمعية. شغل منصب مدير شركة بمدينة الدار البيضاء، أصله من إقليم الناظور. وقد هاجرت عائلته إلى الجزائر

في بداية القرن الماضي، وكان ازدياده بها. وكان من بين آلاف المغاربة الذين تمّ طردهم من الجزائر، في عهد الرئيس بومدين.
ومن بين هؤلاء الأعضاء المؤسسين الأوائل، وأصدقائي المقربين، الذين رافقوني في مسيرتي الجموعية حتى وافتهم المنية، أذكر:

المرحوم الدكتور الطاهر ماركوش:



هو من الأطباء الأوائل الذين تخرجوا في سنوات الستين من القرن الماضي، من كلية غرناطة بإسبانيا، وكان تخصصه في أمراض الجلد. ومنذ تخرجه، فتح عيادته بمدينة الدار البيضاء، واشتغل فيها حتى وفاته، رحمه الله.

وكنْتُ أعتبر المرحوم فردا من العائلة، حيث لم يكن صديقي المقرب فحسب، بل كان صديقا للعائلة وخاصة إخواني. وكان ينتمي لقبيلة بني توزير بإقليم الناظور. كان أبا لأربع بنات، وما زالت علاقتهن بي قوية، والزيارات بيننا متواصلة، وخاصة مع ابني حكيم، حيث التزاور متبادل بصفة مستمرة.

المرحوم مولود بوزيان بوطناش:



السيدة عائشة الحموي (عيشة)
حرم السيد مولود بوطناش



وإذا كان هذا الصديق الودود أحد الأعضاء المؤسسين، فإن ما يربطني به، يرفع درجة صداقتنا عالياً، إلى جانب تلك العلاقة العائلية الخاصة التي ربطتني بأسرته وأمّ أولاده السيدة الفاضلة عيشة، التي كانت لها في نفسي مكانة متميزة، ورأيتُ فيها نموذجاً مثالياً للمرأة الريفية الأصيلة.

ومولود بوزيان بوطناش، هو أحد كبار التجار الريفيين في إقليم الناظور، وانتخب رئيساً لغرفة التجارة والصناعة بهذا الإقليم، ومما أذكره من خلال صداقتي بمولود، أنه عندما رغب في الترشح للدخول إلى البرلمان، كان السيد موسى السعدي، وأصله من إقليم وجدة، يشغل منصب وزير التجارة والصناعة والطاقة، وبهذه الصفة أشرف على تنسيق إعداد اللائحة من طرف رؤساء الغرف، المتعلقة بالانتخابات التشريعية غير المباشرة الخاصة بالغرف التجارية والصناعية، وعارض هذا الوزير إدماج اسم مولود بوزيان ضمن تلك اللائحة. لم يخل هذا الموقف من محسوبة جهوية، وادعى الوزير أنه لا يمكن ترشيح رئيس غرفة من إقليم وجدة، ورئيس غرفة آخر من إقليم الناظور.

اتصل بي صديقي مولود، وأخبرني بما حدث. كنتُ مضطراً أمام هذا الحيف، للاتصال بالسيد إدريس البصري وزير الداخلية، لأطلععه على هذه

النازلة، وأضعه في الصورة. عمده السيد إدريس البصري إلى الاتصال بالوزير، لإضافة اسم مولود بوزيان إلى اللائحة. لكن يبدو أن وزير التجارة والصناعة والطاقة، لم يبد الاستعداد المطلوب للوصول إلى حلّ لهذه المسألة، معللاً ذلك بأن اللائحة تمّ إنجازها من طرف رؤساء مختلف الغرف، وحددت الأسماء المرشحة بشكل نهائي بالاتفاق معهم.

أمام هذه الوضعية، اقترح عليّ السيد إدريس البصري، الذي كان يعرف السيد مولود بوزيان حق المعرفة، ويعرف مكانته في الإقليم، أن يقدم لائحة يكون على رأسها، ويعمل على وضعها لدى الجهات الإدارية المعنية، إذا بقي السيد مولود مصمماً على الترشح.

أخبرتُ الصديق مولود بهذا الاقتراح، وما يتطلبه الأمر من سرعة الإنجاز، نظراً لأن الوقت المحدد قانونياً لوضع لوائح الترشيح بدأ يضيق، خاصة وأن الأمر يتطلب اتصالات مكثفة، وإجراءات إدارية، بعضها يتطلب التنقل من المنطقة الشمالية إلى العاصمة الرباط. فطلب مولود منّي المساعدة لتكوين اللائحة، نظراً للصعوبات التي ظهرت في هذا الباب، عدم قدرته على إقناع أعضاء مختلف الغرف، لتكوين هذه اللائحة، والتي يجب أن تتكون من منتخبي غرف بعض الأقاليم الشمالية والأقاليم المجاورة لكي تحظى بفرصة الفوز بمقعد واحد على الأقل.

قمتُ باتصالي بـبعض الأعضاء الذين أعرفهم، ودعوتهم إلى منزلي، حيث تمت الصياغة النهائية لهذه اللائحة، التي ما زلتُ أحتفظ بنسخة منها. كئنا نسارع الزمن، قبل إغلاق باب وضع الترشيحات لدى مصالح وزارة الداخلية. أنجز المطلوب، وذهب الصديق مولود ليضع اللائحة لدى الجهات المختصة سويماً قبل انتهاء الأجل القانوني. فكانت المفاجأة!

لقد أخبروه بأن زمن وضع اللوائح قد انتهى!

ولإزاحة هذه العرقلة، كنتُ مضطراً مرة أخرى إلى الاتصال بوزير الداخلية، لإطلاعه على الجهود التي بذها الصديق مولود لتحضير لائحته، رغم ضيق الوقت.

وجدتُ من السيد الوزير التفهم المطلوب، ليصدر تعليماته إلى المصالح المعنية، لقبول اللائحة التي أعدها السيد مولود، ولا سيما أن توقيت الإغلاق لم يكن بعد. بذل مولود جهوداً جبارة في حملته الانتخابية، في الأقاليم الشمالية والمجاورة، ومرت الانتخابات التي تمخضت عن نجاح مولود بوزيان بمفرده، من بين الأسماء التي تضمنتها لائحته. وهكذا أصبح صديقي عضواً داخل البرلمان.

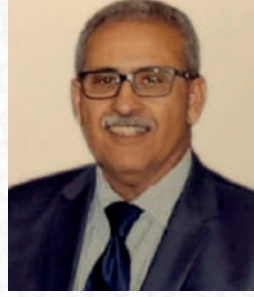
كان طبيعياً أن أقدم مساعدتي لصديق، أعتبرُ أسرته امتداداً لأسرتي، وكان منزله مقرّاً استقراري حينما أحلّ بإقليم الناصور، الذي كلما زرته، توافدت عليّ حشود من الساكنة، بطلبات وشكايات، لا تدع لي زمناً للراحة. من ثمّ كان منزل مولود بوزيان بوطناش ملجئ، ألوذُ به وأشعر في داخله، كأني بين أفراد أسرتي، لدرجة أن أبناء صديقي، وهم في مرحلة طفولتهم يومئذ، ينادوني بـ «عمّي»، وهي المناداة التي استمرت إلى اليوم، وقد شبَّ الأطفال عن الطوق.

أما زوجته الفاضلة، فقد كنتُ أشعرُ من خلال العناية التي تحيطني بها حينما أزورهم، وكأنني عمّ الأطفال على وجه الحقيقة لا المجاز، لما تشملني به من رعاية، حيث تخصص لي غرفة تسهر هذه السيدة الفاضلة على تضييها بعناية. كانت «عَيْشَتَا» -وهذا هو الاسم الذي تتم به المناداة عليها- في عيني، نموذجاً للمرأة الريفية الأصيلة. كانت بحق سيدة البيت بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وإذا كان اسم «عَيْشَتَا» تصغيراً للتمليح، فقد كانت هذه السيدة كبيرة في عيني وأعين من عرفها عن كثب. امرأة تمسك بحكمة إدارة شؤون عائلة صديقي مولود. ورغم غيابه المتعدد عن المنزل، لالتزاماته المختلفة، فإن شؤون أسرته مُحكمة التسيير في جوانبها المختلفة بيد «عَيْشَتَا»، الأم الريفية الأصيلة. إنني أكنّ احتراما وتقديرا كبيرين لهذه السيدة، التي ما زالت حاضنة أبناءها وترعاهم رغم وفاة زوجها، صديقي مولود، منذ أكثر من عشرين سنة.

بعض الأعضاء المؤسسين لجمعية البحر الأبيض المتوسط



السيدة زليخا
حرم السيد محمد بوهريز



السيد محمد بوهريز
(انظر صفحة 674)



السيد أحمد الرياني



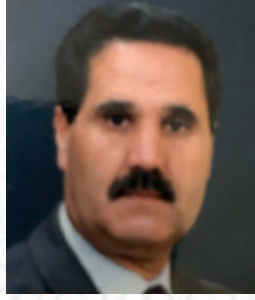
السيد أحمد الحنفي



السيد الطاهر شاكر



السيد أمزيان بن الطالب



السيد أحمد بنعمر



السيد محمد البحر



المرحوم أحمد الشياطي



المرحوم علي البوفوري



المرحوم حسن أوشن

من أنشطة جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»:

لم تقتصر أنشطة جمعيتنا على هذا النمط من الأعمال، بل انصرف بعضها الآخر، إلى مجالات تلتفت إلى فئات اجتماعية، لمست الجمعية حاجتها إلى خدمات اجتماعية وصحية. ومن ثمّ نظمنا قوافل طبية، وساهمنا في توزيع مساعدات غذائية، وأدوات مدرسية تزامنا مع الدخول المدرسي. كما سعت الجمعية إلى استيراد تجهيزات طبية من الخارج، عملنا على تقديمها هبة إلى بعض المستشفيات، ومنها ما قُدّم للأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، كالكراسي المتحركة وغيرها. ومن الأعمال ذات الطابع الاجتماعي التي ساهمت بها الجمعية، عمليات إعدار الأطفال التي كانت تُنظم من حين لآخر، مما يشكل مساعدة لبعض الفئات الاجتماعية المحتاجة، خاصة وأنها عملية تُصحب بتقديم مساعدات غذائية وغيرها.

أما في مجال محو الأمية، فقد كان لجمعيتنا مساهمات فاعلة في هذا الباب، بعضها تمّ بتعاون مع منظمة اليونسكو، ومع توالي هذه الحملات، استطعنا إخراج العديد من الأفواج من المواطنين، نساء ورجالا، من دائرة الأمية، شُفع تكوينها أحيانا باكتساب بعض المهارات المهنية، تسعف الفرد على الدخول إلى مجال التشغيل.

ومما يدخل في مساعدات الأسر المحتاجة، ما قدّمته جمعيتنا لأطفال هذه الشريحة الاجتماعية من خلال تنظيمها للمخيمات الصيفية، والمسابقات الرياضية، وهي مناسبات تسمح لهؤلاء الأطفال بالترويح عن النفس، إلى جانب خلق الأجواء المناسبة لإظهار ما لديهم من مهارات في مجالات مختلفة، تهيب ظروفها فضاءات التخيم وروح المنافسة الرياضية.

ومما يميّز جمعيتنا، تلك الروح التطوعية التي ما تزال شعلتها متوقدة، لتخرج إلى أرض الواقع، حينما يستدعي الأمر حضورنا في الميدان، كما هو الشأن فيما حدث عندما ضرب الزلزال مدينة الحسيمة في السنوات الأخيرة، وما وقع في الزلزال الأخير الذي ضرب منطقة الحوز والجوار، خلال سنة 2023. فكانت جمعيتنا -من ضمن جمعيات المجتمع المدني- حاضرة ومساهمة في التخفيف عن الساكنة وما ألمّ بها من فواجع، بتقديم مساعدات مختلفة.



إلى جانب صاحبة السمو الملكي الأميرة للامريم، وهي توزع الشقق المنزلية التي شيدها «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، على أراميل شهداء معارك الصحراء المغربية، وقد تمت هذه العملية في مدينة الناظور.

ومن الأنشطة التي تعتّزّ بها الجمعية، تلك التي عملت على الالتفات إلى بعض أعلام الفكر والثقافة في بلادنا، سعينا إلى تكريمهم اعترافا بما قدموه للثقافة المغربية في مرحلتها المعاصرة. فكرمنا في هذا الإطار الأساتذة: محمد عزيز لحبابي، ومحمد بنشريفة، والطاهر بنجلون، وعبد الله گنون.

مع الأميرة للا مريم وتروّسها لعملية توزيع الشقق المنزلية



إلى جانب صاحبة السمو الملكي للا مريم، وهي تترأس حفل توزيع مساكن على شهداء الصحراء من جنود القوات المسلحة الملكية، بمدينة الناظور، والمبادرة من الأعمال الاجتماعية لجمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط».



ضمن الأعمال الاجتماعية، التي قامت بها «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، بناء مجموعة من المساكن، وزعت على أرامل الجنود الذين استشهدوا دفاعا عن صحرائنا المغربية، وقد ترأست صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم، عملية توزيع تلك الدّور بمدينة الناظور.



مجموعة من المستفيدات من توزيع الثّور على أسر شهداء الصحراء المغربية من جنود ا لقوات المسلحة الملكية. وقد ترأست عملية التوزيع بمدينة الناظور، صاحبة السمو الملكي الأميرة للامريم.



صور لبعض المنازل التي شيّدتها «جمعية البحر الأبيض المتوسط» بمدينة الناظور، في إطار أعمالها الاجتماعية، والتي تم توزيعها على شهداء الصحراء المغربية من جنود القوات المسلحة الملكية.

والأستاذ عبد الله گنون من الشخصيات العلمية التي أُتيح لي اللقاء بها، في بعض المناسبات، وكلنا يعلم المكانة العلمية التي يحظى بها هذا العالم والفقير والأديب المبرز، والذي شغل مهام متعددة في مؤسسات علمية وطنية وعربية وإقليمية، وانتُخب أميناً عاماً لرابطة علماء المغرب، كما قدّم بعض الدروس الحسنية في شهر رمضان، في حضرة الملك الحسن الثاني، في القصر الملكي بالرباط.

وفي إطار هذا السياق، أُشير إلى مناسبتين اثنتين أُتيح لي فيهما لقاء الأستاذ عبد الله گنون. الأولى، حينما سعيْتُ إلى أن تنظم جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، بصفتي رئيسها المؤسس، ندوة تكريمية للرجل، في مدينة طنجة. وسعدتُ مرة أخرى، حينما أخبرني بعض مثقفي مدينة طنجة، بأنهم يبحثون عن مكان يكون مقرّاً لمكتبة الأستاذ عبد الله گنون، التي تبرّع بها لمدينة طنجة، بل لمثقفي المغرب كافة، فما كان مِنِّي -نظراً لمكانة الرجل في نفسي ولقامته العلمية الكبيرة- إلا أن قدّمتُ المقرّ الذي كانت تشغله جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» (فرع طنجة)، ليكون المكان الذي احتضن مكتبة هذا العالم المغربي الكبير، وهو الأمر الذي زكّاه أعضاء الجمعية وعلى رأسهم المسؤول عن فرع طنجة، المرحوم الأستاذ خالد مشبال.

أما المناسبة الثانية التي سمح بها الزمن لمجالسة الأستاذ عبد الله گنون، فقد شاء القدر أن تتم أيام مرضه الأخير. فحينما علم الملك الحسن الثاني بمرض الفقيه گنون، نادى عليّ، وسألني عن حالته الصحية، وكلفني أن أخبر الجنرال السكيرج بتهييء طائرة لتنقلني إلى طنجة لزيارته في منزله، وأن أبلغه تحيات جلالته، و متمنياته له بالشفاء العاجل؛ ومدّني جلالته الملك بمبلغ من المال، لم أطلع على قدره، لأسلمه للفقيه.

انتقلتُ إلى مدينة طنجة، بأمر ملكي، لعيادة الأستاذ عبد الله گنون، وكان يقطن بالمدينة العتيقة، بحيّ القُصبة. استقبلني بطيبوبته المعتادة، ودار بيننا حديث تشعب إلى مجالات مختلفة، وأبلغتُه الرسالة الشفوية التي حمّلي جلالته الملك إبلاغها له، والتي تضمّنت عناية جلالته، ودعائه للأستاذ گنون بالشفاء العاجل، والعودة إلى ممارسة نشاطه العلمي، وسلّمتُ للأستاذ گنون المبلغ المالي الذي كلفني

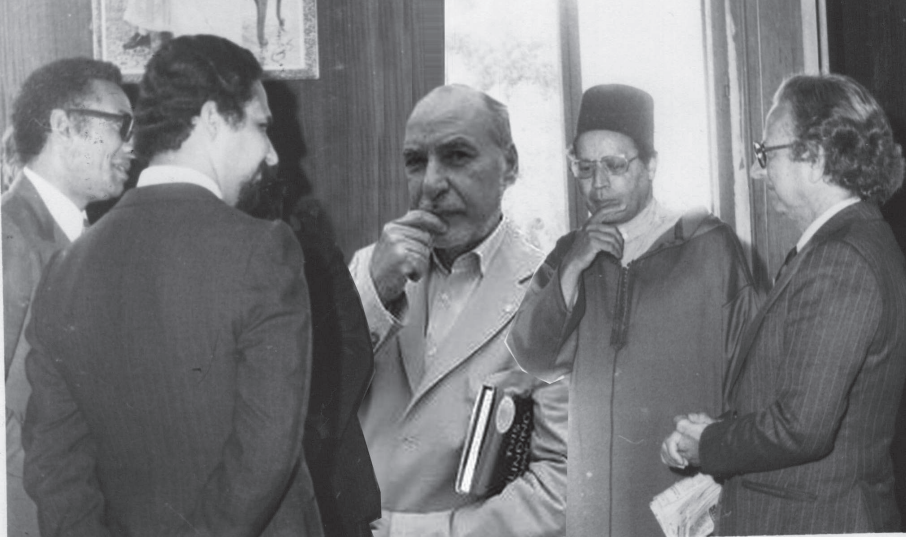
جلالته بحمله إليه، خلال عيادتي له. كان الأستاذ عبد الله گنون متأثراً لهذه الالتفاتة الملكية والعناية المولوية، فحملني هذا العالم الكبير بدوره، رسالة شفوية إلى جلالة الملك، كلها ثناء وشكر، ودعا له الفقيه بطول العمر المشفوع بالصحة والعافية والتوفيق والسدد.



في حديث مع الأستاذ الفقيه عبد الله گنون في حفل تكريمه بمدينة طنجة، وهو الحفل الذي أقامته جمعية البحر الأبيض المتوسط، في إطار أنشطتها الثقافية ومن بينها تكريم بعض أعلام الفكر المغربي.



الجمعية تقيم معرضاً تشكيميا في مدينة طنجة مع حضور العلامة الفقيه عبد الله گنون



صورة ملتقطة من حفل تكريم الكاتب المغربي الطاهر بنجلون بمدينة طنجة من طرف «جمعية البحر الأبيض المتوسط... بحضور الرئيس المؤسس المنصوري بنعلي، ومولاي أحمد العلوي وزير الدولة، وعلى يساره المهدي بنونة مؤسس وكالة المغرب العربي للأنباء، وعبد الرحمن الكوهن وزير السياحة.



حفل تكريم الأستاذ محمد عزيز الحبايي من طرف «جمعية البحر الأبيض المتوسط» بمدينة طنجة.



من الأنشطة الرياضية التي نظمتها جمعية البحر الأبيض المتوسط



على يساري، مندوب اليونسكو محمد المختار ولد باه،
يتتبع مباراة ثقافية بين الثانويات



تسليم شهادات محو الأمية



من الأنشطة الرياضية التي نظمتها جمعية البحر الأبيض المتوسط





الجمهور الخفير بمدينة شفشاون بتتبع بكل اهتمام السيد المنصوري
بن علي رئيس الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط
بمناسبة المهرجان الخطابي لمشروع اتفاقية الوحدة العربية الأفريقية



المسيد رئيس الجمعية المنصوري بن علي
يلقي خطاباً توضيحياً لمشروع اتفاقية الوحدة
بين المغرب وليبيا أثناء لقائه مع جمهور
مدينة شفشاون

من المهرجانات التي نظمتها «جمعية البحر الأبيض المتوسط»
في مناسبات مختلفة.

إحياء ذكرى معركة أنوال:

لماذا فكرتُ في إحياء ذكرى معركة أنوال؟

لقد كان الإسبان يعتبرون المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي عدوهم الأول. فقد عملوا على نفيه، وتجريده من كل ممتلكاته، وحولوا مسكنه إلى مقر إداري، وبلغ حقدُهم على هذا البطل أن منعوا الريفيين من تسمية أبنائهم الذكور باسم عبد الكريم!

وهذا الاضطهاد الذي مارسه الإسبان على منطقة الريف، خلّف في نفوس أهل هذه المنطقة نوعاً من الذعر، أدّى إلى ما يشبه الإحساس بالدونية، الشيء الذي يآباه الريفيون. ومن ثمّ كنتُ أرى أن إحياء ذكرى معركة أنوال، سيساعد على كسر ذلك المرّكب النفسي، ويُحيي في النفوس أمجاد المجاهد مُحمد بن عبد الكريم، وبالتالي، شهامة أهل الريف وعزة نفسهم، وأصالة وعمق وطنيتهم.

رددتُ في نفسي قوله تعالى: ﴿بِإِنَّمَا عَزَمْتُ بِتَوْكَلٍ عَلَى اللَّهِ﴾، وبدأتُ أجس النبض، من خلال بعض الاستشارات. كلما خاطبتُ بعض الزملاء في الحكومة أو بعض الشخصيات، في موضوع تنظيم الذكرى الأولى لمعركة أنوال، كان الجواب الذي أتلقاه: هل أنت أحمق؟ هل تريد أن تلقي بنفسك في السجن؟

ولتجربتي السابقة، وما وُضع في طريقي من معوقات وأنا أسعى لتأسيس الجمعية، فقد اتخذتُ احتياطاتي، وكانت أول خطوة قمتُ بها حينما راودتني فكرة ذكرى معركة أنوال، أن طلبتُ لقاء مع الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه.

وحين استقبلني جلالته، أبلغتهُ فكري، وبسطتُ أمامه خلفيات إحياء هذه الذكرى. ولحكّمته المعهودة، وبعد نظره، أعطاني جلالته الملك موافقته التي كانت لي خير سند فيما أرمي إليه من أهداف وطنية نبيلة.

كان بعض الوزراء لا ينظرون بعين الرضا لما سأقدم عليه، ومن هؤلاء السيد محمد الدويري وزير التجهيز يومئذ. فقد اتصل هذا الأخير بوزير الداخلية السيد إدريس البصري، ليعبر له عن اعتراضه على ما ستقوم به جمعيتنا! ومما قاله للوزير: هل تريدون إعطاء منطقة الشمال لبنعلي...؟! هل تريدون خلق محمد بن عبد الكريم الثاني؟! هذا ما نطق به في حقي السيد محمد الدويري، عضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، والرجل الثاني في هذا الحزب! وقد نقل إليّ هذا المنطوق بلفظه، وزير الداخلية بنفسه.

لم يكن في علم الذين عارضوني أنني حصلت على موافقة جلالة الملك، حتى إذا علموا بذلك تهافتوا على حضور هذا المهرجان الكبير.

حين فكرتُ في تخليد ذكرى معركة أنوال، وجدتُ نفسي وحيداً أدافع عن هذه الفكرة، خاصة في تلك الفترة، سنوات السبعين من القرن الماضي، حيث كان لا أحد يجرؤ على ذكر معركة أنوال ولا ما قام به المجاهدون الريفيون، وعلى رأسهم المجاهد عبد الكريم الخطابي، في محاربة الاستعمارين الإسباني والفرنسي.

وبصفتي وزيراً للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية، كان بعض الوزراء، وكذلك بعض أصدقائي المقربين، ينصحونني بالابتعاد عن هذه الفكرة، لتخوفهم من ردة الفعل غير المتوقعة من طرف الدولة. ونظراً لاقتناعي بشرعية القضية لصالح وطني، عزمْتُ على تنظيم أول احتفال بهذه الذكرى.

تمّ الاحتفال بذكرى معركة أنوال في منطقة العروي بالريف، وكان ذلك سنة 1979. حضر هذا الاحتفال العديد من الوزراء والشخصيات، أذكر منهم: الوزير الأول، الأستاذ المعطي بوعبيد، الذي افتتح هذا المهرجان بخطاب؛ ووزير الدولة السيد مولاي أحمد العلوي، ووزير الدولة السيد المحجوبي أحرسان، والوزير السيد محمد الدويري، الذي لم يكتف بالحضور فقط، بل رغب في

تناول الكلمة بعد الوزير الأول ! وأفسح له المجال، وخطب في المهرجان. وما زلتُ أذكرُ أن مما قاله في كلمته التي ألقاها: كلُّنا أبناء عبد الكريم الخطابي...؟!

هكذا أصبح الاحتفال بذكرى معركة أنوال جزءاً من برنامج جمعيتنا. فاحتفلنا بالذكرى الثانية سنة 1980، وتمّ الاحتفال في «أنوال»، مكان المعركة، وحضره كذلك مجموعة من الوزراء. وكنتُ أحرص دوماً على حضور الوزراء، من باب إقناع سكان منطقة الريف أن جلالة الملك يوليهم عنايته وعطفه.

نحن في سنوات السبعين من القرن الماضي، حيث كان ذكر اسم عبد الكريم الخطابي لا يمرّ دون أن يحدث وقعاً في ساحة الأحداث ! فكيف يجرؤ المرء على إحياء ذكرى معركة، كان محمد بن عبد الكريم بطلها؟ وذكر «أنوال» مقرونا باسم هذا البطل، ومشفوعاً بصفة «المجاهد»، حدث لا ينظر إليه بعين الرضا من بعض الجهات !

غير أنّ إقدامي على إحياء هذه الذكرى، وموافقة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، مهّد السبيل ليحتل هذا الحدث مكانته في تاريخ المغرب المعاصر.

ومن ثمّ توالى احتفالات جمعيتنا بهذه المناسبة في أجدير إقليم الحسيمة، وأنوال إقليم الناظور، وبحضور شخصيات رسمية سامية ووزراء، أذكرُ منهم مستشار جلالة الملك الأستاذ أحمد بنسودة، والسيد عز الدين العراقي، وزير التربية الوطنية وتكوين الأطر، والذي سيصبح فيما بعد، وزيراً أولاً على رأس الحكومة المغربية نهاية سنوات الثمانين من القرن الماضي، فضلاً عن صفته الحزبية، باعتباره عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال.

ولما أصبح الطريق سالكاً إلى إحياء معركة أنوال، ركب حزب الاستقلال على الحدث، وبدأ بدوره يعمل على إحياء مهرجان ذكرى معركة أنوال، في مدينة الحسيمة.

كلمة أنوال

1921 - 07 - 21



كدية أنوال قبل المعركة الشهيرة والتي تبين تمركز الجيوش والعتاد والأسلحة الإسبانية بقيادة الجنرال سيلفستر الذي كلف خصيصا من طرف الملك الإسباني ألفونسو 13 للقضاء على المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي وأتباعه، حيث كان الجنرال بعجرفته وعد الملك الإسباني بالانتصار قريبا وبتناول كأس شاي في مقر إقامة هذا المجاهد بأجدير بعد القضاء عليه وتصفية المجاهدين كليا، ولكن بفضل شجاعة وعزيمة وخطة المجاهد محمد ابن عبد الكريم الخطابي الحربية والعسكرية التي تجسدت في توحيد صفوف جميع القبائل الريفية حوله، تم القضاء على الجنرال سيلفستر وكل جنوده الذين قدروا بجوالي 20 ألف جندي وضابط.

أول احتفال بتخليد ذكرى معركة أنوال بجبل العروي - إقليم الناظور - 1979

شهد المغرب أول تخليد لذكرى معركة أنوال بجبل العروي إقليم الناظور بحضور الوزير الأول الأستاذ السيد المعطي بوعبيد ومولاي أحمد العلوي وزير دولة والسيد محجوبي أحرضان وزير البريد والمواصلات، والسيد محمد الدويري وزير الأشغال العمومية والسيد الطيب بن الشيخ وزير التخطيط والسيد خلي هنا ولد الرشيد وزير الشؤون الصحراوية مع حضور بارز لشخصيات مهمة مغربية وأجنبية وذلك سنة 1979.



الاحتفال لأول مرة بذكرى معركة أنوال في جبل العروي. وكان تنظيم هذا الحفل، من طرف «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، سنة 1979. وفي الصورة وصول الوفد الرسمي إلى جبل العروي، وإلى جانبي الأستاذ المعطي بوعبيد الوزير الأول، وعلى يساره مولاي أحمد العلوي وزير الدولة.



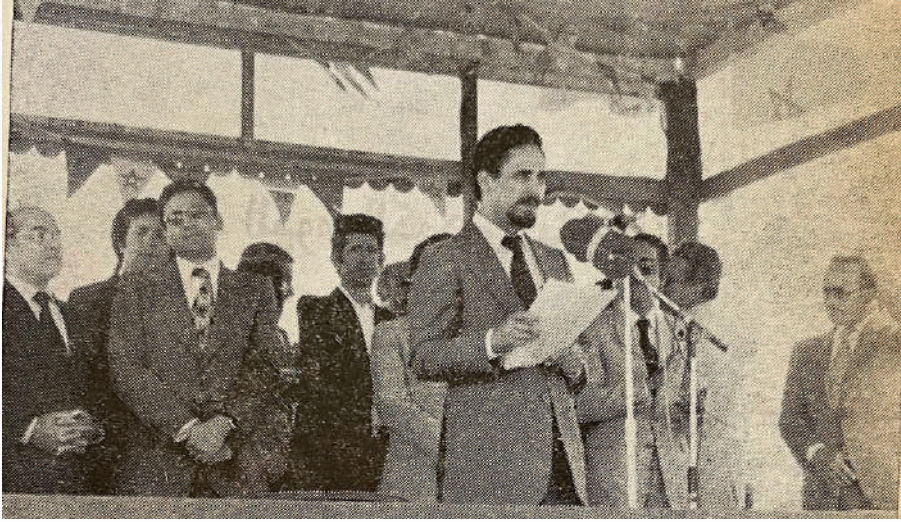
المنصوري بنعلي يلقي كلمة في مهرجان الاحتفال بذكرى معركة أنوال، المنظم من طرف «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، بجبل العروي، سنة 1979، وفي الصورة جانب من الوفد الرسمي: الأستاذ المعطي بوعبيد الوزير الأول، أحمد العلوي وزير الدولة، المحجوبي أحرضان وزير البريد، محمد الدوييري وزير الأشغال العمومية، الطيب بن الشيخ وزير التخطيط، خلي هنا ولد الرشيد وزير الشؤون الصحراوية.

الوزير الأول الأستاذ
المعطي بوعبيد، يلقي
خطاباً في مهرجان
الاحتفال بذكرى معركة
أنوال، المنظم من طرف
«جمعية البحر الأبيض
المتوسط» بجبل العروي،
سنة 1979.



صورة للسيد المنصوري بنعلي
الرئيس المؤسس للجمعية
وهو يلقي خطاباً بمناسبة
افتتاح المهرجان المقام تخليداً
لذكرى 58 معركة أنوال

ذكري معركة أنوال في عين المكان (أنوال 1980)



مهرجان الاحتفال بالذكرى الثانية تخليداً لمعركة أنوال، والمنظم من طرف جمعية البحر الأبيض المتوسط» سنة 1980. وقد تم هذا المهرجان في منطقة «أنوال».. وفي الصورة: المنصوري بنعلي يلقي خطاباً بالمناسبة مُحاطاً ببعض الوزراء من الوفد الرسمي، ويُرَى في الصورة: عن يميني عبد الواحد بلقزيز وزير الإعلام، سعيد بلبشير وزير الشؤون الثقافية، وعن يساري: عز الدين جسوس، وزير التجارة والصناعة وفي عمق الصورة السيد واصف منصور، من مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالرباط.



جانب من الجماهير التي حضرت الاحتفال بالذكرى الثانية لمعركة أنوال (1980) في عين المكان الذي وقعت فيه المعركة.



إحياء ذكرى معركة أنوال بعين المكان (أنوال)

ذكري معركة أنوال في أجدير (الحسيمة)



الاحتفال بالذكرى الثالثة لمعركة أنوال، وهو الاحتفال الذي نظّمته «جمعية البحر الأبيض المتوسط» سنة 1981، بأجدير إقليم الحسيمة وفي الصورة، وصول الوفد الوزاري الذي حضر هذا الاحتفال: على يميني: عبد اللطيف السملالي وزير الشبيبة والرياضة، عز الدين العراقي وزير التربية الوطنية؛ وعلى يساري أحمد بلحاج الوزير المكلف بالعلاقة مع البرلمان.



الوصول إلى مكان الاحتفال في أجدير، ويبدو في وسط الصورة الشريف مولاي عبد العزيز الوزاني (داخل الدائرة)



الاحتفال بالذكرى الثالثة لمعركة «أنوال» المنظم من طرف «جمعية البحر الأبيض المتوسط»، بأجدير (إقليم الحسيمة) سنة 1981، وفي الصورة جانب من الحضور الرسمي في المنصة في هذا الإحتفال : وزراء، منتخبون، بعض الأعيان، وبعض أعضاء الجمعية.

ذكري معركة أنوال بالناضور



الاحتفال بالذكرى الرابعة لمعركة «أنوال» في مدينة الناضور، ويظهر في الصورة على يساري السيد أحمد بنسودة مستشار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، على يميني عبد السلام ابن المجاهد محند بن عبد الكريم الخطابي الدكتور مصطفى بوجيبار ابن المجاهد محمد بوجيبار، محند العنصر وزير البريد، عبد اللطيف السملالي وزير الشبيبة والرياضة، عباس الفاسي وزير السكنى والتعمير، موسى السعدي وزير الطاقة والمعادن.



مهرجان الاحتفال بالذكرى الرابعة لمعركة «أنوال» في مدينة الناضور، وفي الصورة جانب من الجمهور الحاضر في المهرجان .

2021 - 1921

100

جمعية البحر الأبيض المتوسط تخلد الذكرى المئوية لمعركة «أنوال»



قصيدة

«أغنية إلى عبد الكريم»



من بين الشعراء المغاربة الذين خلقوا هذه الشخصية المعقدة الفذ الشاعر عبد الخطيب بنحيس في قصيدته «أغنية إلى عبد الكريم» التي لدناها واناها الفنان حسن كمال في اولئك الترانينات هذا مطوع منها:

عبد الكريم يا عاشق الوطن
ايها الثائر الذي عاتق الأحرار والممن

المصوري بن علي في زيارة تفهيمية إلى منطقة أنوال جماعة تاليليت

الحسن في تصديهم للمستعمر الفاشم وكان قد راكم مكاما كثيرة إذ انتخب المصوري بن علي نائبا برلمانيا عن الليم الناظور في سبعينيات القرن الماضي وعين بعد ذلك وزيرا للسياحة في حكومة احمد عصمان ووزيرا للشؤون الإدارية والوظيفة العمومية ثم وزيرا للثقل لبل الخالفة بالديوان الملكي في عهد الملك الراحل الحسن الثاني وحصل في عهده كذلك على وسام العرش من درجة ضابط سنة 1985 وتمت ترقيته بعد ذلك من طرف جلالة الملك محمد السادس ليحصل على وسام العرش من درجة قائد سنة 2009.

توصلنا بحراسة من السيد محمد المصوري بن علي رئيس جمعية «البحر الأبيض المتوسط» مرفوقة بصورالتقطت بمنطقة «أنوال» جماعة تاليليت، بإقليم الدريوش والمناسبة هي مرور 100 سنة على معركة «أنوال» الخالدة التي قادها المجاهد الكبير محمد عبد الكريم الخطابي، حيث قامت الجمعية بزيارة تفهيمية إلى المنطقة المذكورة ومناسبة هذه الذكرى ومایشهه المغرب من تدابير احترازية، بسبب وباء «كورونا»، تم الاكتفاء فقط بتنظيم حفل يبيّن يعين المكان للترحم على أرواح المجاهدين من طرف



المنصوري بنعلي مع جماعة من «الطلبة» أمام المدخل الذي يضم النصب التذكاري
لمعركة أنوال



نصب تذكاري يخلد معركة أنوال سنة 1921، بقيادة المجاهد
محمد بن عبد الكريم الخطابي

وقفه ترحم على أرواح شهداء معركة أنوال في عين المكان، بتاريخ 21 يوليوز 2021
(زمن كورونا)، وإلى جانبي ابن عمي عمر منصور الزايدي.



في الصورة مجموعة من «الطلبة» الذين تلوا ما تيسر من الذكر الحكيم
بمناسبة الترحم على أرواح الشهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

هنا يقف أبناء الريف مرة أخرى ترحم على أرواح المجاهدين الأبطال، وإجلالاً
واكباراً لإيمانهم الصادق ووطنيتهم الغزوة، في هذا الجبل الأشم الذي شهده معركة أنوال
الخالصة في يوم الجمعة 26 ذي القعدة 1340هـ الموافق لـ 21 يوليوز 1921م بين فئتين من
المجاهدين بزعامة المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي ضد الجيش الإسباني اللعين
الذي كان يضم عشرات الألوف من الجنود بقيادة الجنرال سلفستر.

هنا ظهر الحمى وزهقت الباطل، وانتصر إيمان المجاهدين بحمد الله قضيتهم على الاستعمار
القاهر، وقد هو مثلاً حياً عن الروح الخالصة للمقاومة الشعبية التي أثارت إعجاب العالم
وألهمت العديد من كبار قادة الشعوب «كعوشيين في الفتنام» تحت شعار:
• انتصار الاستعمار ولو في أقصى الأرض هزيمة لنا وانتصار الحرية في أي مكان هو انتصار لنا.
• سلاح المجاهدين هو الذي ينتزعونه من العدو لأنه ذو حدين. يقطونه به العدو ويحرقونه منه
• الاستعمار وهم وخيال يتلاشى أمام عزيمة الرجال لا أشباه الرجال.

رئيس الجمعية : المنصوري بن عاي

وضعت هذه اللوحة بمناسبة تخليد الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض
البحر الأبيض المتوسط لذكرى معركة أنوال، يوم 15 شعبان 1399هـ
الموافق 11 يوليوز 1979م

اللوحة التذكارية التي وضعتها الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط
بمناسبة تخليد ذكرى معركة أنوال

وبعد أن رسّخت جمعيتنا الاحتفال بذكرى هذه المعركة، التي قادتها قبائل الريف بزعامة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي (سنة 1921)، رغبت فيما بعد أن يدخل هذا الاحتفال بمعركة أنوال، وكذا بالمعركة التي تسمى «خندق الذيب» المعروفة ب (El Barranco Del Lobo) (1909)، والتي قادتها قبائل الريف بزعامة الشريف سيدي محمد أمزيان، في برنامج رسمي للدولة المغربية، فطلبت بإدماج هاتين المعركتين ضمن برنامج المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، التي تحتفل وتحيي ذكرى معارك أخرى، منها معركة وادي المخازن.

غير أن السيد المندوب السامي كان يتحجج بعدم توفره على الميزانية التي تتطلبها تنظيم هذه الذكرى. والحق، أنه لم يكن يمتلك الجرأة لمخاطبة وزير الداخلية، للسماح له بإقامة المهرجان. واغتنمت فرصة تعيين الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي على رأس الحكومة المغربية سنة 1998، فطلبت لقاءه، ودار بيننا حديث في قضايا مختلفة، حتى إذا انعطف الكلام إلى ذكرى معركة أنوال، أطلعتُه على الخطوات التي قمتُ بها، تجاه المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، لتُسجَل معركة أنوال ضمن برنامج المندوبية السامية، ويتم إحياء ذكرى هذه المعركة على غرار المعارك الوطنية الأخرى، التي يحتفل بها المغرب سنوياً، وأخبرته بأن كل محاولاتني لم تسفر عن النتيجة المطلوبة.

ولقد وجدتُ من الوزير الأول، الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، كل التفهم لهذا المطلب المشروع، فاتصل هاتفياً ومجسوري في مكتبه، بالسيد المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، التابع للوزارة الأولى، وأشعره بضرورة إدراج معركة أنوال ضمن الاحتفالات الرسمية التي تنظمها المندوبية السامية، وأكد له الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي بأنه سيخصص له ميزانية تفي بما يتطلبه تنظيم هذه الذكرى، منبهاً إلى ضرورة تسجيلها في البرنامج السنوي للمندوبية. ومنذ ذلك التاريخ، دأبت المندوبية السامية على الاحتفال بذكرى معركة أنوال، في الموقع الذي جرت فيه.

نبذة عن حياة

المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي

Mohand Ben Abdelkrim EL KHATTABI

ⵎⵓⵏⵃ ⵇⵏ ⵇⵓⵔⵓⵎ ⵇⵏ ⵇⵓⵔⵓⵎ ⵇⵏ ⵇⵓⵔⵓⵎ

(1882 - 06 / 02 / 1963)



من مواليد سنة 1882 بأجدير، تابع دراسته الثانوية بالقرويين بمدينة فاس، اشتغل أستاذا للغة الأمازيغية في الأكاديمية العربية بمدينة مليلية، كما عمل محرراً في جريدة «تلغرام الريف» (Telegram del Rif) شغل منصب قاضي مدينة مليلية، ليصبح في سنة 1913 رئيساً لمجلس الاستئناف. حينما تصدى محمد بن عبد الكريم الخطابي للأطماع الإسبانية المتزايدة في المغرب تم اعتقاله سنة 1915 من طرف السلطات الإسبانية التي أقالته من جميع مناصبه. وظل رهين الاعتقال، وحاول الفرار من سجنه، حيث سقط وأصيبت رجله، فسبّب له عرجاً. وسيطلق سراحه من طرف الإسبان في غشت 1916 ليعود إلى أجدير. سيتولى محمد بن عبد الكريم الخطابي، بعد وفاة والده عبد الكريم، زعامة قبيلة بني ورياغل، مسانداً من القبائل الأخرى، ليصبح منذ سنة 1921، الزعيم الرئيسي لحركة المقاومة الريفية ضد الاحتلال الأجنبي، والتي حققت انتصارات كبيرة على القوات الإسبانية بزعامته وخاصة في «أنوال» وجبل العروي سنة 1921.

نبذة عن حياة
المجاهد الشريف سيدي محمد أمزيان
(1912 - 1859)



محمد الشريف أمزيان زعيم الريف، الذي خلف والده على رأس زاوية سيدي أحمد بن عبد السلام ب«ازغنغن». عُرف بغيرته الوطنية وشهامته وكرم أخلاقه.

من صور مقاومته، تصديّه لثورة بوحمارة إبان تمرد علي السلطان مولاي عبد العزيز، ووجدت دعوته للتصدي، صدى لدى القبائل الريفية، واستطاع الشريف أمزيان أن يوقف الامتيازات التي منحها الزرهوني بوحمارة، إلى الشركات الأجنبية، لاستغلال المعادن في مناطق الشمال. فزاده هذا الأمر احتراماً، مما جعل القبائل الريفية تختاره قائداً لها، وتعلن في نفس الآن مبايعتها للسلطان المولى عبد الحفيظ.

كانت أطماع إسبانيا كبيرة في المناطق الريفية، لكنها اصطدمت بمقاومة المجاهد الشريف أمزيان، الذي رفض الإغراءات التي قدمها له الجنرال الإسباني «مارينا»، وستخوض القبائل الريفية بزعامة محمد الشريف أمزيان، مقاومة شرسة ضد الاحتلال الإسباني على مدى ثلاث سنوات، حققوا خلالها انتصارات باهرة، رغم ضخامة الجيش الإسباني الذي حُشد لتلك المعارك، وتجهيزه بأحدث الأسلحة. واندحرت الفرقة الإسبانية التي تزعمها الجنرال بنتوس Pintos، في الموقعة المشهورة عند الإسبان باسم «وادي الذئب» «El Barranco del Lobo».

وظل المجاهد محمد الشريف أمزيان مقاوماً للأطماع الاستعمارية، إلى أن سقط شهيداً في شهر يوليوز سنة 1909. والحق أن هذا المجاهد الكبير، قد غُط حقه على مستويات متعددة.

محاولة الانعطاف من جمعية إلى حزب سياسي:

كانت أنشطة جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» تتسع مع مرور الأيام، وإشاعها يزيد نطاقه، وجهود الأعضاء تتضاعف، سعياً لتحقيق الأهداف المسطرة، بل إنَّ بعض أعضاء الجمعية من المؤسسين خامرتهم فكرة إنشاء حزب سياسي؛ وللإشارة، فإنها فكرة لم تخامرني وأنا أقدمُ على تأسيس الجمعية.

ومع ازدياد إشعاع جمعيتنا، تضاعف الإلحاح في هذا الاتجاه. فقررتُ، تلبيةً لرغبة وإلحاح هؤلاء المؤسسين، أن أفتح الملك الحسن الثاني في الموضوع، بدون إخبار أي شخص، واحتفظتُ بسرية هذا اللقاء لحدِّ الآن. وحينما حانت المناسبة الملائمة، بسطتُ أمام جلالته دوافع تلك الرغبة، وأهدافها في المجالات المختلفة.

برَّرتُ هذا الانعطاف من جمعية إلى حزب سياسي بأسباب متعددة، منها ما أبرزته في حديثي مع جلالة الملك، حول النقص الذي تعاني منه المنطقة في المدارس والمستشفيات والمواصلات، ولفك العزلة والتهميش الذي تعيشه، ثم تحدثتُ عن أموال المهاجرين الريفيين التي تتدفق على الشمال وخاصة مدينة الناظور، وكانت هذه المدينة، في تلك الفترة، تحتلُّ المرتبة الثانية من حيث حجم الأموال التي تتدفق على المغرب، من طرف الجالية المغربية المقيمة خارج أرض الوطن، وتودع في الأبنك. ورغم ذلك، فإنَّ هذه الأموال، وبمجملها الكبير، لا تستفيد منها منطقة الريف ولو بنسبة 1%، بل توظف في مدن مغربية أخرى كالدار البيضاء مثلاً. هذه الأموال التي كان الأجدر أن تساهم في تنمية منطقة الريف، وتقليص الخصاص في البنيات الأساسية التي تعاني منه المنطقة!

أسهبْتُ في الحديث وفي شرح الأهداف الوطنية، والمقاصد الاجتماعية والاقتصادية، لتأسيس الحزب الذي يرغب فيه أبناء منطقة الريف، بهدف الدفاع عن مصالح المنطقة. بل يكون حزبا يفوق انتماءه المنطقة. كان جلالة الملك الحسن الثاني يصغي إلى حديثي بانتباه كبير، حتى إذا فرغتُ مما كنتُ

بصدده، انتظرتُ جواب جلالته، الذي بدا لي متأملاً لما عرضته أمامه، فجاء الجواب مختصراً في عبارته: لا تقم بأية مبادرة إلى أن أُجيبك !

ومرّت أسابيع، وأنا في انتظار جواب جلالة الملك. ورغم أنّ لقاءاتي بجلالته تعددت في مناسبات مختلفة بعد تلك الجلسة، فإن الصدع بالجواب لم يحن موعده بعد. وطال الانتظار... إلى أن التقيتُ في إحدى المناسبات الأستاذ عبد الهادي بوطالب، مستشار صاحب الجلالة، ودار بيننا حديث فأخبرني أن لقاءً جمع جلالة الملك بوزيره في الداخلية، السيد إدريس البصري، ومن جملة ما أثاره جلالة الملك في هذا اللقاء، موضوع تحوّل جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» إلى حزب سياسي. فسمعتُ -يقول الأستاذ عبد الهادي بوطالب- السيد إدريس البصري، يجيب جلالة الملك بما يفيد أن هذا الأمر قد يتحقق مستقبلاً حينما تنتهي الظروف الملائمة لذلك. هنا فهمتُ سبب غياب جواب جلالة الملك، وطويتُ هذا الملف، بعد أن سعيْتُ إلى تلبية رغبة وإلحاح بعض أصدقائي في الجمعية، ممّن حملوا معي أعباء التأسيس.

سعيي لإحداث «مؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي»:

ومن الأعمال التي سعت الجمعية إلى تحقيقها، خلق «مؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي».

سعيانا إلى تحقيق هذا الأمر، والذي كان يلبي رغبة أبناء المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي -في بداية الأمر- عبر المساطر الإدارية المعروفة، لكن تلك المسالك لم تؤد إلى تحقيق المطلوب !

كان عليّ أن أتوجّه مرة أخرى، إلى طلب لقاء مع الملك الحسن الثاني، قدس الله روحه. وحينما أذن لي بهذا اللقاء، قدمتُ لجلالته طلب أبناء المجاهد، في إنشاء مؤسسة تحمل اسم والدهم. أعطى جلالة الملك موافقته

الكريمة، بل كلفني بالاتصال بالأمانة العامة للحكومة لإدراج هذا الموضوع، في المجلس الوزاري المقبل، الذي يترأسه جلالة الملك، لتتم المصادقة على هذا القرار، بكل حيثياته القانونية. ومن واجبي أن أسجل في هذا السياق، بأن هذه الالتفاتة المولوية جعلت «مؤسسة عبد الكريم الخطابي» أول مؤسسة، التي تمرّ في مجلس وزاري. وقد جرت العادة في الحالات المماثلة، أن يتم عرض ملف تأسيس المؤسسات على الأمانة العامة للحكومة ووزارة الداخلية وبعض الوزارات الأخرى، لإبداء الرأي. كنتُ أرى في هذه الالتفاتات الملكية السامية، صورة للعطف المولوي على أبناء الريف، ومنطقة الشمال بشكل عام. لقد بدأ عمل جمعيتنا يؤتي ثماره، وكنا الوسيط الذي يقدم الصورة الحقيقية لسكان المنطقة، في خدمة وطنهم. ومن خلال ما أبدته الجمعية من روح وطنية عالية لخدمة الريف ومنطقة الشمال بشكل عام، ومن ثمّ خدمة الوطن، تصدّينا لتلك الصورة السلبية التي كانت تنقل من المغرضين إلى الدوائر العليا في البلاد.

سعيي لرفع الحيف عن أسرة المجاهد الخطابي:

ولما لمستهُ من تعاطف الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، مع جمعيتنا وأهدافها النبيلة، كنتُ أغتنمُ الفرصة كلما أُتيح لي لقاء جلالته، لالتماس ما يخدم الريفيين، ومن بينهم أسرة مُحمد بن عبد الكريم الخطابي.

فمن الأمور التي فاتحتُ فيها جلالة الملك عندما أُتيحت لي الفرصة، مسألة ممتلكات أسرة هذا المجاهد.

فقد عملت السلطات الإسبانية المحتلة على نزع ملكية كلّ أملاك الخطابي بعد نفيه. وعند حصول المغرب على استقلاله، ستعود هذه الممتلكات إلى الدولة المغربية، لكن عائلة المجاهد الخطابي، ظلت محرومة من ممتلكاتها. وحينما طرحتُ هذه المسألة على أنظار الملك الحسن الثاني، أمر بإرجاع تلك الممتلكات إلى أبناء المجاهد، بما فيها منزل والدهم، الذي حوّله الإدارة المغربية في مرحلة الاستقلال إلى سكن وظيفي، يقطنه القائد الممتاز، رئيس دائرة

أجدير. كانت هذه الالتفاتة من جلالة الملك حاملة لتقدير كبير لبطل الريف
ولهذه الأسرة الريفية المجاهدة.

والحق أن علاقة عبد الكريم الخطابي بالأسرة الملكية، كانت مؤسّسة
على الاحترام والتقدير الكبيرين للسلطة الشرعية في بلادنا. ويكفي أن أشير
في هذا السياق إلى تلك العلاقة الودية التي كانت بين المغفور له الملك محمد
الخامس، طيب الله ثراه، والمجاهد الخطابي. وتمثلت بشكل واضح حينما قام
الملك محمد الخامس بزيارة لمصر، حيث حرص جلالته على لقاء المجاهد
الخطابي في منزل هذا الأخير.

ومن باب التقدير الكبير الذي يكتنه محمد بن عبد الكريم الخطابي للملك
محمد الخامس، فقد تمّ استقباله وسط العائلة الخطّابية بنسائها. ومن عادات
الريفيين، ألاّ تجلس نساؤهم مع أي زائر، لكن من باب التشريف الأسمى لملك
البلاد، اتخذ الاستقبال هذه الصورة العائلية، المحمّلة بالعديد من الدلالات. لقد
كان هذا اللقاء بين الملك محمد الخامس، والمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي،
في القاهرة، لقاء حميميا. ومما حكّت لي السيدة «عيشة»، صغرى بنات المجاهد
الخطابي، عن هذا اللقاء، أن جلالة الملك أخذها في حضنه -وهي يومئذ طفلة-
وخطب أفراد العائلة، وهي بين ذراعيه، قائلاً: «إن المغرب بلدكم، وعليكم
جميعاً أن تلتحقوا به، وكل التسهيلات ستقدم لكم للرجوع لوطنكم».

وفي أعقاب هذه الزيارة، قرر المغفور له الملك محمد الخامس، طيب الله
ثراه، تخصيص مستحقات مالية قارّة لأسرة الخطابي بالقاهرة، والتي ستوقف
في بداية الاستقلال، من طرف حكومة حزب الاستقلال، نظراً للموقف الذي
اتخذه المجاهد الخطابي من تصرّفات هذه الحكومة في كل المغرب، وبصفة
خاصة في منطقة الريف سنة 1958؛ وكذلك من موقف الخطابي من أول
دستور، أعلن عنه الملك الحسن الثاني، بعد تولّيه عرش أسلافه الميامين. وقد
أدى هذا الموقف الأخير، إلى سوء تفاهم مع الملك الحسن الثاني، حيث لم يتم
اللقاء بينهما أبداً بعد ذلك.

أعرفُ العديد من الوزراء والشخصيات، الذين كانوا على علاقة بأُسرة المجاهد الخطابي، بعد عودة بعض أفرادها إلى المغرب، أذكر منهم: الدكتور عبد الكريم الخطيب، الذي تربطه علاقة مصاهرة بأُسرة بوجيبار، فهو زوج مَفْتاحَة ابنة المجاهد بوجيبار وأخت الدكتور مصطفى بوجيبار. وكما سبقت الإشارة، فأُسرة بوجيبار ترتبط بأُسرة الخطابي بعلاقة المصاهرة، فالمجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي متزوج من أخت المجاهد محمد بوجيبار، الذي كان من أقرب المقربين إليه، وهو أب الدكتور مصطفى بوجيبار، زوج السيدة «عيشة» ابنة الخطابي.

وما دام الحديث عن الأشخاص الذين كان بإمكانهم البحث عن وسيلة لإثارة الانتباه إلى وضعية أسرة المجاهد الخطابي فلا بدّ من الإشارة إلى أن الدكتور عبد الكريم الخطيب كان شخصية قريبة جدًّا من أسرة الخطابي. ألم يكن في إمكان الدكتور الخطيب مَفْتاحَة أولي الأمر، في شأن أوضاع الأسرة الخطابية، التي حُرمت من ممتلكاتها، بعد حرب الريف، بمرسوم خليفي من طرف السلطات الإسبانية؛ وكذا بعد توقيف المستحقات المالية، التي خصصها لها الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه؟ لقد كان الدكتور الخطيب على اتصال دائم بالعائلة الخطابية، وعلى معرفةٍ بأحوالها! وكلّنا نعلم مكانة الرجل داخل دواليب الدولة، ومكانة والدته في القصر الملكي!؟

وأذكر كذلك الدكتور مولاي أحمد العراقي، الذي شغل في فترة معينة، منصب وزير الخارجية، ثم منصب الوزير الأول، وهو الذي لم تتوقف زيارته للأسرة الخطابية، وكان الدكتور أحمد العراقي أقوى صلة بهذه الأسرة من خلال صداقته للدكتور مصطفى بوجيبار، زوج السيدة «عيشة»، صُغرى بنات المجاهد عبد الكريم الخطابي، التي ولدت بالمنفى في جزيرة لَارِيَّيُون (La Réunion). وقد جمعت بين الطبيبين: بوجيبار و العراقي، علاقة تعود إلى أيام الدراسة، في كلية الطب بفرنسا.

وأشيرُ في هذا السياق إلى أن الطبيب الجراح مصطفى بوجيبار، من الأطباء المغاربة الأوائل، المتخصصين في أمراض القلب والشرايين، هو ابن المجاهد محمد

بوجيبار، الذي أقدمت السلطات الإسبانية، زمن الحماية، على نفيه وجميع أفراد عائلته من مدينة الحسيمة، إلى مدينة الجديدة، حيث قضى بها حوالي أربعين سنة، ثمّ منعه خلالها، من طرف السلطات الفرنسية، من مغادرة هذه المدينة، ولم تُتَح له العودة إلى منطقتة بالريف، إلا بعد حصول المغرب على استقلاله.

ظل فكري منشغلاً بأحوال هذه الأسرة، ومتابعاً لوضعيتها عن كثب، خاصة بعد أن التحقت السيدة زوج مُحمد بن عبد الكريم الخطابي بالوطن مع بعض أبنائها. لم تكن تملك منزلاً للسكن، واضطرت إلى الاستقرار في بيت ابنتها «عيشة»، بمدينة الدار البيضاء، وكانت الأم في حالة صحية متدهورة. ألمني أن يكون مصير هذه العائلة المجاهدة، بهذا الشكل، وأن يظل البعض ملتزماً الصمت أمام هذه الوضعية. لذا قررتُ أن تكون المبادرة مئّي، لإيجاد الحل المناسب، دون إخبار العائلة الخطابية، لأنني لم أكن أعرف ردة الفعل كيف ستكون أمام مبادرتي.

وفي إحدى المناسبات التي التقيتُ فيها بجلالة الملك، استطعتُ مُفاتحته في موضوع أسرة المجاهد الخطابي، فأخبرتُ جلالته بأن المستحقات المالية التي كانت تُصرف لهذه العائلة، بأمر من المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، قد توقفت منذ مدة طويلة، من طرف الحكومة.

لم أكن أتوقّع ذلك التجاوب الفوري والكبير من جلالته، قدّس الله روحه، مع هذه القضية. فقد أمرني بالاتصال في أقرب وقت بالسيد عباس القيسي، الأمين العام للحكومة، لاتخاذ الترتيبات القانونية الضرورية لتسوية هذه الوضعية، وذلك بإصدار ظهير إعانة استثنائية من طرف الدولة لكلّ أبناء وبنات المجاهد مُحمد بن عبد الكريم. وأمرني جلالته كذلك بوضع اللائحة الكاملة لأسرة المجاهد الكبير. لضبط هذه الأسماء، اتصلتُ بالدكتور مصطفى بوجيبار، وزوجته «عيشة» الخطابي. حرصتُ على الضبط المحكم لهذه اللائحة حتى لا يتم نسيان كل من يستحق هذه الالفتاة الملكية، بل -وبمبادرة مئّي-

أضفتُ اسمين آخرين هما: الدكتور عمر الخطابي، وهو ابن عمِّ مُحمد بن عبد الكريم الخطابي، والسيدة للاً فطومة البنت الوحيدة من أبناء المجاهد الشريف سيدي محمد أمزيان، التي ما تزال على قيد الحياة.

بعد حصر لائحة المستحقين، كان عليّ التفكير في مبلغ هذه المستحقات الذي يضمن عيشاً كريماً لهذه الأسرة، واستشرتُ في هذا الأمر الدكتور بوجيبار وزوجته «عيشة». اقترحتُ على السيد عباس القيسي تخصيص ما يعادل مرتب وزير في تلك الفترة، لفائدة كل فرد من أبناء وبنات المجاهد الخطابي. وأريدُ أن أسجّل في هذا السياق، ذلك التجاوب الكبير الذي وجدته من السيد عباس القيسي، والإيقاع السريع في تنفيذ ما أمر به جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وللإشارة فالأستاذ القيسي كان رجلاً مستقيماً وفاضلاً، وكان له تقدير خاص للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، فلم يتدخل في أي اقتراح قدّمته، سواء فيما يتعلق بعدد الأفراد الذين ضمّتهم اللائحة، أم في المبلغ الذي حدّدته.

أمرٌ آخر، أودُّ تأكيده في هذا الباب، حرصاً على تسجيل الحقيقة للتاريخ؛ يرتبط هذا الأمر بموقف أسرة عبد الكريم الخطابي، مما سمعتُ إليه. فلم يكن ما أقدمتُ عليه من خطوات، بطلب من هذه الأسرة. لم تطلب منّي أسرة هذا المجاهد الكبير يوماً ما، أن أتدخل لدى الملك الحسن الثاني. ولقد كانت المبادرة منّي، لأنني كنت أترددُ على أفراد من هذه العائلة، وخاصة «عيشة» الخطابي، المقيمة بمدينة الدار البيضاء، بالإضافة إلى اتصالات بين الآن والآخر، مع من استقرّ من أبناء عبد الكريم، في القاهرة.

استمرت زياراتي واتصالاتي بأسرة المجاهد الخطابي، فلاحظتُ أن إقامة السيدة زوجة المجاهد مع ابنتها «عيشة» تحتاج إلى ترتيبات أخرى. فحينما يرغب الأبناء الذين يقيمون بالقاهرة في زيارة أمهم بالمغرب، يضطرون إلى الإقامة في الفندق، فالأم لا تملك سكناً خاصاً بها. فقَرَّ عزمي على إيجاد حلّ لهذه

الوضعية. ومرة أخرى، أجد ملجئي في عطف وكرم الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، حتى إذا أتيت لي فرصة لقائه، بسطت أمامه وضعية زوجة ابن عبد الكريم، وكونها لا تتوفر على سكن خاص. كانت استجابة جلالته فورية، حيث طلب منّي الاتصال بالوزير الأول يومئذ، السيد كريم العمراني، ليقطني مسكنا للزوجة، يكون عبارة عن «فيلا» بمدينة الدار البيضاء، حيث تقيم ابنتها «عيشة». وفعلاً، اتصلت بالسيد كريم العمراني لتنفيذ ما أمر به جلالته الملك.

طلب منّي الوزير الأول أن تقوم الأسرة بالبحث عن «الفيلا» التي تراها مناسبة، ليتّم اقتنائها، ويؤدّي ثمنها من طرف الدولة.

قمتُ بزيارة السيدة «عيشة» وزوجها السيد بوجيبار، وأخبرتهما بمبادرتي، وبالعطف المولوي، وما أمر به جلالته الملك، طيب الله ثراه. وقد فوجئنا بما أقدمتُ عليه، خاصة، وقد تعددت مطالبتي تجاه أسرة المجاهد. لكنني كنتُ أنظرُ إلى هذا الأمر باعتباره ردّاً للاعتبار تجاه زعيم كبير، بذل الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن وطنه، ومقاومة الاحتلال الذي تعرض له.

عمل أفراد العائلة الخطّابية على البحث في الدار البيضاء عن المسكن اللائق لإقامة أم الأبناء، وقع الاختيار على «فيلا» في حيّ أنفا، تمّ اقتنائها، وتسجيلها باسم الزوجة.

ومن خلال متابعتي لأوضاع هذه العائلة، تبين لي أن كلّ ممتلكاتهم في منطقة الريف تمّت مصادرتها، أيام الاستعمار، من طرف المستعمر الإسباني بمرسوم خليفي. فالتجأتُ مرة أخرى إلى جلالته الملك، وأوضحْتُ له الأمر، فأعطى، طيب الله ثراه، أوامره بإرجاع تلك الممتلكات إلى العائلة الخطّابية. لكن تبين من الناحية العملية أن الأمر تكثفه عدة صعوبات. فقد اتضح أن الجزء الكبير من الأراضي قد تمّ بيعه من طرف السلطات الإسبانية للخوادم، وجزءاً آخر، وهو قليل، قد تحوّل إلى أملاك الدولة، أما إقامة المجاهد بأجدير، فقد فوّتت لوزارة الداخلية. ونظراً لصعوبة استرجاع هذه الممتلكات، كلفني

جلالة الملك بالاتصال بالمصالح المختصة لإيجاد الحل المناسب لهذه المسألة.

بعد استشارتي مع بعض الوزارات المختصة في هذه القضية، اقترحتُ على جلالته استرجاع إقامة المجاهد بأجدير من وزارة الداخلية، واسترجاع جزء من الأراضي التي سلمتها السلطات الإسبانية لأملاك الدولة التابعة لوزارة المالية، وأن تعطى للعائلة ضيعة من الضيعات التي في ملك الدولة. وبعد تقديمي لهذه الاقتراحات، أمرني جلالة الملك بالاتصال بوزير الداخلية، السيد إدريس البصري، لاسترجاع الإقامة بأجدير، والاتصال بأملاك الدولة لاسترجاع باقي الأراضي، وكذلك الاتصال بوزير الفلاحة، السيد حسن أبو أيوب، بخصوص الضيعة. وفعلاً، اتصلتُ بالوزارات المعنية لإبلاغهم قرار جلالته. وبقدر التماطل الذي صادفتهُ من وزارة الداخلية، فإنِّي لقيتُ من مصالح أملاك الدولة ووزارة الفلاحة كامل الاستعداد لتحقيق المطلوب، حيث وجدتُ من السيد حسن أبو أيوب، وزير الفلاحة، كل المساعدة لتنفيذ التعليمات الملكية، وقدم لي ثلاثة اقتراحات لضيعات مختلفة. وبدوري قدمتها لابني الخطابي: السيد سعيد والسيدة «عيشة»، وتم اختيار السيد سعيد لضيعة بناحية مراكش، على الطريق المؤدية إلى مدينة بني ملال. وهي ضيعة في ملك شركة (صوديا) تابعة لوزارة الفلاحة، تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثمائة هكتار، ومغروسة بأشجار مثمرة. كان عليّ إخبار جلالة الملك بالنتيجة التي انتهى إليها البحث عن الضيعة، فأعطى جلالته أوامره للشروع في الإجراءات القانونية، وهو ما نقلتهُ إلى وزير الفلاحة، السيد حسن أبو أيوب، الذي عمل على تطبيق تلك الأوامر بالدقة والسرعة المطلوبتين، وسُجّلت الضيعة باسم ورثة مُحمد بن عبد الكريم الخطابي.

بعدما تمّت الإجراءات القانونية، أُخبرتُ العائلة الخطّابية بتسجيل الضيعة باسمهم. وكما قلتُ -سابقاً- إن العائلة الخطّابية لم تطلب منِّي يوماً أية مساعدة أو أي تدخل لدى جلالة الملك، فهذا كلّه كان مبادرة منِّي.

جوانب من علاقاتي بأبناء المجاهد مُحند بن عبد الكريم الخطابي:

لقد سمحت العلاقة التي ربطتني بعائلة المجاهد ابن عبد الكريم الخطابي، بالتعرف إلى بعض أبنائه. من هؤلاء ابنه ادريس. حينما عاد هذا الأخير إلى المغرب، عمل إلى جانب المناضل عبد الله الصنهاجي على تأسيس حزب «العمل»، الذي تشكلت أغلبية منخرطيه في البداية، من المقاومين وأعضاء من جيش التحرير، وانتخب الصنهاجي أمينه العام.

كانت لقاءاتي معه في منزله بالرباط متعددة، وأحاديثنا في جلساتنا تدور في معظمها، حول قضايا الوطن وشؤون منطقتنا الريفية، دون أن يغيب عن حديثنا كفاح والده، والمعارك التي خاضها ضد المستعمر، إلى جانب حكاياته مما تخزنه ذاكرته من ذكريات المنفى.

حينما تعرفت إلى ادريس، وجدتُ هذا الابن شبيهاً بأبيه في بعض خصاله، وخاصة تواضعه. كان ادريس ابن المجاهد الخطابي، مقرباً من والده بشكل أكبر، يرافقه في جلساته مع مختلف الشخصيات التي تزور المجاهد في منزله، ويصاحبه في ما يجريه من لقاءاته مع الإعلاميين. كنتُ أرى فيه الوريث لأفكار والده. أما غيرته على منطقة الريف وأهلها، فقد كانت على درجة عالية، ولا يتردد أبداً في تقديم أية مساعدة للريفيين، باذلاً كل ما يستطيع لتحقيقها.

وقد توفي، رحمه الله، في حادثة سير بطريق القنيطرة، حضرتُ جنازته في أجدير، رفقة الدكتور عبد الكريم الخطيب.

أما عبد السلام، فقد التحق هذا الابن بالجيش المصري، وتدرج في صفوفه إلى أن أصبح ضابطاً. وبعد استقلال المغرب، عاد إلى وطنه. وقد أتاحت لي فرصة التعرف إليه عن كثب، في منزل أخته «عيشة»، التي كانت تقيم في مدينة الدار البيضاء.



مع السيدة عائشة الخطابي في منزلها بالدار البيضاء



مع السيدة عائشة الخطابي في منزلها بالدار البيضاء

وتعددت لقاءاتنا بعد ذلك، بل سيحضر إلى جانبي في إحدى الاحتفالات التي أقامتها جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، بمناسبة إحياء ذكرى معركة أنوال.

حينما عاد عبد السلام الخطابي من مصر إلى بلده المغرب، اتسمت علاقته بالملك الحسن الثاني بطابع الطيبة، لكن المزاج الخاص لعبد السلام، لم يسعف في دوام هذه العلاقة !

أما الابن سعيد، فقد ظل مستقراً في مصر، وكان يزور المغرب بين الحين والآخر. تعرفتُ إليه في منزل أخته «عيشة»، كما أنني التقيته في القاهرة، وزرته في منزله مرتين: الأولى، في إحدى زياراتي لمصر، عندما كنتُ وزيراً للنقل، أما الثانية، فكانت يوم رافقتُ جلالة الملك في إحدى زياراته لجمهورية مصر العربية.



في منزلي بالرباط، مع السيد سعيد الخطابي، ابن المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمهما الله

سعيد مختلف عن إخوانه الآخرين. كان يعيش حياة البذخ، قريبا من دائرة الفنانين المصريين، والمقيمين في مصر: عبد الحلیم حافظ، سامية جمال، فريد الأطرش ... عُرف في الأوساط الفنية والثقافية المصرية بلقب «الأمير»، وبهذا كانت تتمّ المناداة عليه. ولسعيد الخطابي كذلك، حضور في الندوات العلمية واللقاءات الفكرية، وإسهامات في الساحة الثقافية من خلال ما كان يكتبه من مقالات في الجرائد والمجلات المصرية، وامتد هذا الحضور إلى الحقل الدبلوماسي في عاصمة الكنانة.

ولقد أتاحت لي فرصة تقديمه وأخته «عيشة» للسلام على جلالة الملك محمد السادس، أثناء زيارته لمدينة الحسيمة.

أما السيدة «عيشة»، التي قدّمتها للسلام على جلالة الملك، فقد ولدت في المنفى بجزيرة لاريونيون (La Réunion)، كانت صغرى بنات ابن عبد الكريم. وإذا كان هذا المجاهد معروفا بصرامته في تربية بناته، فإن ابنته «عيشة»، شكّلت حالة خاصة!

لقد كانت البنت المدلّلة، التي تحظى عند والدها بمعاملة متميزة، اتسمت بالليونة والتدليع. ولقد لقّبها المصريون أيام وجودها هناك بـ «الأميرة الريفية»، ونادأها آخرون بـ «ست الستات». لقد كانت بحق أميرة في طبيعتها، وتعاملها الراقي واللطيف مع الجميع.

أما أنا، فقد أطلقت عليها لقب «أختي المُختارة» (Ma sœur choisie).

كانت اتصالاتها بي دائمة، ويزداد إيقاعها، حينما تسعى إلى التوسط لرفع حيف أو معاناة تلحق الريفيين. ومن اتصالاتها الأخيرة في هذا الشأن، طلبها إبلاغي جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، مناشدتها جلالتها، النظر في العفو عن المعتقلين الريفيين الذين أودعوا السجن بسبب «حراك الريف».

منذ عرفتُ «عيشة»، ابنة المجاهد الخطابي، عرفتُ فيها حبها الكبير للريف وأهله، وهي في هذا، شبيهة أخيها ادريس. لم تكن تتردد في تقديم ما

تستطيع من مساعدات مالية أو معنوية للريفين الذين يحتاجونها، بل تمتد هذه المساعدة أحياناً، إلى أناس خارج المناطق الريفية. ولما كان زوجها الدكتور بوجييار صاحب عيادة طبية، فلم يكن هذا الأخير يبخل بتقديم المساعدة الطبية، لمن يقصده من المرضى، من أبناء منطقة الريف.

واستطاعت «عيشة» الخطابى أن تنسج داخل الدار البيضاء، حيث مقر إقامتها، وخارج هذه المدينة، شبكة من العلاقات الاجتماعية، عملت على توظيفها في توسيع دائرة المساعدات التي تقدمها إلى بعض الفئات المحتاجة.

من ثم، كان لها ذلك الحضور في العديد من المناسبات التي تقيمها العائلات المغربية، وتتم دعوة السيدة «عيشة»، لمشاركة الأسر في تلك الحفلات أو غيرها من لقاءات. وفي سياق ما نسجته «عيشة» من روابط اجتماعية، أشير إلى علاقتها بالأميرة للا عائشة، أخت الملك الحسن الثاني -تغمدهما الله بواسع رحمته- والتي كانت من بين معارفها؛ دون أن تغيب عنّا تلك الخطوة التقديرية التي حظيت بها ابنة المجاهد الخطابى، حينما أصبحت عضوة في هيئة «الإنصاف و المصالحة». ويمكن القول: إن ابنة محمد بن عبد الكريم هاته، قد حظيت بنمط من العيش قربها من الطبقة البرجوازية في مدينة الدار البيضاء، وربما كانت ممارستها لرياضة الكولف أحد تمظهرات هذا الاقتراب. وتعتبر «عيشة» الخطابى بحق، أول امرأة ريفية مارست هذه الرياضة، منذ بداية سنوات السبعين من القرن الماضي. غير أنها ظلت، مع ذلك، تلك المرأة الريفية بأصالتها وقوة شخصيتها، وعشقها الحديث باللهجة الريفية وجه من وجوه تلك الأصالة.

وتشاء الأقدار، وأنا أضع اللمسات الأخيرة على سرد سيرتي الذاتية، أن يصلني نعي «أختي المختارة» (Ma sœur choisie)، «عيشة» الخطابى، التي التحقت بالرفيق الأعلى، ونحن على مقربة من ذكرى عيد المولد النبوي الشريف، وكان ذلك يوم الأربعاء 4 ربيع الأول 1445هـ الموافق 20 شتنبر 2023م، تغمدها الله بواسع رحمته وأسكنها فسيح جناته.

لقد علمتُ بالخبر، ولم يمر علي وفاة المرحومة سوى خمس عشرة دقيقة، حيث اتصل بي ابنها منير، لينقل لي نبأ نعي والدته. نزل الخبر عليّ كالصاعقة، رغم علمي أنها كانت تعاني من صعوبات صحية، مدة تزيد عن سنة، وكنت دائم الاتصال بأبنائها، للاطمئنان عن حالتها. ومع ذلك، تماكنتُ نفسي، واستجمعتُ وعيي، فكان أول ما قمتُ به اتصالي بالجهات المعنية، لأبلغ جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، هذا النبأ.

وبعد فترة وجيزة، اتصل بي جلالة الملك، ومن بين الأسئلة التي طرحها عليّ جلالته: متى توفيت؟ وهل كانت مريضة؟ وهل ستدفن في مقبرة الشهداء بمدينة الدار البيضاء؟ وزاد جلالته، حفظه الله، يسألني: هل لها أبناء؟

فأجبتُ جلالته بأنها توفيت منذ نصف ساعة تقريباً، وأنها كانت تعاني من صعوبات صحية، مدة تزيد عن سنة، وكانت وصيتها أن تدفن في مقبرة الرحمة، إلى جانب المرحومة والدتها، وزوجها المرحوم الدكتور بوجيبار، والمرحومين أخيها عبد المحسن وأختها مريم. أما بالنسبة للأبناء، فأخبرتُ جلالته بأن لها ولدين وبناتاً: كريم، ومنير، وخدوج.

وقبل أن تنتهي المكالمة، عبّرتُ لجلالته عن امتناني وشكري الكبيرين، لهذه الالتفاتة الملكية، والعناية المولوية بأسرة الراحلة عائشة الخطابي، والتي عززها رعاها الله، بتكليف الأمير مولاي رشيد لحضور مراسم جنازة الراحلة. والحق أن مظاهر العناية الملكية بدت منذ اللحظات الأولى من صدور التعليمات الملكية السامية، للسلطات المحلية بمدينة الدار البيضاء، لإحاطة مراسم الجنازة، بما يليق بمقام ابنة المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي. وهو ما تمّ بالفعل، حيث قدم السيد والي مدينة الدار البيضاء إلى منزل المرحومة لتقديم التعازي، بمعية رجال السلطة المحلية، وكلف السيد الوالي بعض رجال السلطة، للذهاب صحبة أفراد من الأسرة، لتعيين مكان الدفن، داخل مقبرة الرحمة، سعياً لتحقيق وصية الراحلة، التي كانت ترغب أن يكون قبرها بجوار قبر والدتها. غير أن هذه المقبرة غدت ممتلئة، ولا سيما

قرب قبر المرحومة والدتها. وبعد البحث والتدقيق، عُثِرَ على مكان في مدخل المقبرة، في زاوية محدودة، اتخذ موضعا لمثاها الأخير، تغمدها الله بواسع رحمته، وأسكنها فسيح جناته.

ومن كريم عناية جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، بأسرة الراحلة عائشة الخطابي -مما أشرتُ إليه سابقا- حضور الأمير مولاي رشيد مراسيم الجنازة. وعند وصول سموه إلى مدخل المقبرة، وجد في استقباله والي مدينة الدار البيضاء، وابني المرحومة كريم ومنير، وعبد ربه المنصوري بنعلي.

وكانت رسالة التعزية التي بعث بها جلالة الملك حفظه الله إلى أسرة الراحلة، مظهرا آخر لتلك العناية المولوية. وقد حظي نبأ رحيل ابنة المجاهد الكبير، محمد بن عبد الكريم الخطابي، بتغطية إعلامية واسعة، فنشر خبر وفاتها على مواقع إلكترونية متعددة، وأذيع على أمواج الإذاعة الوطنية، والإذاعات الخاصة، والقنوات التلفزيونية المغربية بتعددتها، كما اهتمت بالحدث مختلف الجرائد الورقية المغربية، وبعض الأجنبية منها، مع تعليقات تتباين من منبر إلى آخر.

وخصصت القناة الأولى للتلفزيون المغربي تغطية متميزة لهذا الحدث، امتدت على مدى خمس وعشرين دقيقة من زمن نشرتها الرئيسة المسائية، ليوم الخميس 21 شتنبر 2023، للحديث عن مناقب الراحلة عائشة الخطابي، مع حضور أحد أساتذة التاريخ الجامعيين، الذي بسط، بهذه المناسبة، ما عرف عن هذه الأسرة، من جهاد ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، وخاصة والد الفقيده محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم ما تميزت به ابنته المرحومة من شيم إنسانية نبيلة.

لقد مرت مراسيم دفن الراحلة عائشة الخطابي، في أجواء تظللها روحانية عالية، زاد من هيبتها العناية المولوية السامية، وبما أسبغه عليها الأمير مولاي رشيد من حضور رمزي بهي، فكانت الأجواء في مستوى يليق بما تستحقه ابنة مجاهد كبير، ترك بصمته الوطنية جليلة في تاريخ المغرب المعاصر؛ وكانت مراسيم الجنازة من جهة ثانية تعكس ما تستحقه امرأة تميزت بحسبها

الاجتماعي العميق، ومساندتها للمستضعفين، وهو ما تمثل في ذلك الحضور المتميز للمجتمع المدني خلال جنازتها، وخاصة العنصر النسوي، فضلاً عن غيرتها على منطقتها الريفية، التي لم تبخل عليها بكل ما يمكن أن يسهم في تطويرها، وخدمة أهلها، مما يشهد به كل من تعرّف عليها من قريب أو بعيد.

وكان مما هدأ روعي، ومسح بعض دموعي، وخفّف آلام الفقد في أعماقي، ما حفّت به جنازة المرحومة «عيشة» من عناية ورعاية، وهو ما كنتُ أتوق إليه. فكان ما أحاط بموكبها الجنائزي من هالة ربانية، أكبر عزاء لي في فقد أخت كنتُ دائماً أقول عنها: إنها «أختي المُختارة»، فاختر لها البارئ مقعد صدق، وما يحيط به تعالى عباده الصالحين.

وأنا أتحدّث عن علاقتي بأبناء المجاهد الخطابي الذين تعرّفْتُ إليهم، أشيرُ إلى الابن عبد المحسن الخطابي، الذي استقر في مدينة الدار البيضاء، وأنشأ شركته الخاصة، وظل بعيداً عن الحياة السياسية. وكان لقائي به قد تمّ كذلك في منزل أخته «عيشة». وتميز في حياته وسلوكه بطيبوبته وبياض سيرته، بل كنتُ تشعر وأنت تجالسه بهدوء حديثه مع مُسحة من الخجل لم تكن تفارقه.

وأتيحت لي فرصة أخرى، وأنا بالديار المصرية، للقاء ابنين آخرين من أبناء المجاهد الخطابي، هما: عبد الكريم و عبد المنعم. وتمّ هذا اللقاء حول مأدبة غداء، أقامها لنا أخوهما سعيد الخطابي. وقد توفي كل من عبد الكريم و عبد المنعم في مصر، وفيها وُوري جثمانهما، تغمدهما الله بواسع رحمته.

ولما كانت علاقتي بأسرة المجاهد ابن عبد الكريم وطيدة، فقد سمحت طبيعة هذه العلاقة بالتعرف إلى بعض بناته، منهم السيدة مريم الخطابي التي فضّلت الاستقرار في بلدها المغرب إلى أن وافاها الأجل على أرضه. وكان منزل أختها «عيشة» هو الفضاء الذي أتيح لي فيه لقاء السيدة مريم، التي عُرفت بطيببتها وبشاشتها، مع تفاؤل لا يفارق طبعها الحالم والحامل للأمل، تغمدها الله بواسع رحمته.

أما رقية، فقد تعرّفَتْ إليها في إحدى زياراتي لمصر، وكانت دائمة الاتصال بي وهي مقيمة في مصر. وفي آخر زيارة لها للمغرب، استضافتُها في منزلي رفقة أختها «عيشة». وقد اختارت رقية مصر مستقرًّا لها، حيث أسست عائلتها الصغيرة بعد زواجها من مواطن مصري، وغدت بلاد الكنانة وطنها الثاني، إلى أن التحقت بالرفيق الأعلى، حيث دفنت في مصر، تغمدها الله بواسع رحمته.

ولم تكن رقية الابنة الوحيدة للمجاهد عبد الكريم الخطابي، التي اختارت البلاد المصرية مكاناً لإقامتها الدائمة، بل كانت فاطمة ومينة، بدورهما من بنات المجاهد الخطابي اللائي اخترن مصر دار إقامة واستقرار إلى وفاتهما، تغمدهما الله بواسع رحمته. والمرحومتان لم يسبق لي التعرف إليهما، ولم تتح لي الفرصة للقائهما قيد حياتهما.



السيد المنصوري بنعلي



المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي



المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي

مراسيم جنازة المرحومة عائشة الخطابي




مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد خلال حضوره مراسم جنازة المرحومة عائشة الخطابي بمقبرة الرحمة بالدار البيضاء.
في الصورة من اليمين ألى اليسار: كريم ومنير ابنا الراحلة عائشة الخطابي والدكتور مصطفى بوجيبار.




داخل المسجد أثناء صلاة الجنازة على روح الراحلة عائشة الخطابي .
في الصورة: صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد وابنا الراحلة كريم ومنير وبنعلي المنصوري.



أثناء نقل جثمان الراحلة عائشة الخطابي



٧١- في رحاب
الديوان الملكي



تصغير تعييني مكلفا بمهمة
في الديوان الملكي بمرتبة وزير.

تصغير تشریف
يعين بفتلاء السيد التصوري برهلی
مکلفا بمهمة في الديوان الملكي

الحزب الديمقراطي
والضلالة والتشاع على برهسول



يعلم من تصغيرنا التشریف بفتلاء السيد التصوري
أحمد بن فالوفا التشریف بما يأتي:

رقم 178-86-1

الفصل الأول

يعين السيد التصوري برهلی مكلفا
بمهمة في ديواننا الملكي ابتداء من 11
أبريل 1985.

الفصل الثاني

يتفادى المعنى بالأمر بهذه الصفة ابتداء
من نفس التاريخ للرتب والتعويضات والمنافع
المقرر للوزراء.

وحرر بالرباط في 26 من ربيع الآخر 1407 (29 ديسمبر 1986)

هذا الفتى القادم من قرية نائية ...

هذا الفتى القادم من قرية نائية في أعماق «الريف» المغربي، سيجد نفسه ذات يوم داخل الدائرة القريبة من ملك البلاد، وفي محيط يحمل اسم «الديوان الملكي».



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل ملعب الغولف ببوزنيقة.

والذي أحرصُ على تسجيله في هذا الباب، أنّ تعييني في هذه المهمة لم يكن اقتراحاً من أية جهة، كما لم يكن وراءه تدخل شخصية معينة، أو هيئة سياسية؛ بل كانت التفاتة ملكية سامية من الملك الحسن الثاني، ليس غير، عناية ربّانية هيأت أسبابها.

حينما التحقتُ بالديوان، كنتُ أصغر عضو فيه. وجدتُ أمامي شخصيات تجر وراءها تاريخاً من الممارسة السياسية، وعلى إمام تام بالتقاليد المخزنية. يكفي أن أشير إلى أسماء مثل: أحمد رضا أكديرة، محمد عواد، أحمد بنسودة، عبد الهادي بوطالب، إدريس السلاوي، عبد الوهاب بنمنصور.

لذلك قضيتُ أشهراً أسمع وألاحظ، ولا أتكلم إلا قليلاً. كان هدفي أن أستفيد من خبرة هؤلاء في مستويات متعددة. كان عملهم منظماً بشكل دقيق، وكنتُ أتابع تصرفاتهم بإمعان؛ كيف يتحدثون فيما بينهم؟ ثم كيف يتحدثون في لقاءاتهم مع جلالة الملك؟ ...

لم يكن اندماجي في محيط الديوان الملكي أمراً سهلاً، لقد كان يُنظر إليّ في بداية الأمر بعين الريبة. كنتُ أحس أنهم يتساءلون في أعماقهم: من أين جاء هذا الريفي، يقتحم أسوار الرباط (أكديرة) وفاس (بنسودة، بوطالب، السلاوي) وسلا (عواد)؟! هم يعرفونني وزيراً في تشكيلات حكومية مختلفة، ولكن أن أخترق هذا المحيط الضيق والقريب من الملك، فذاك شأن آخر!

وتجنباً لأي سوء فهم، أبعدتُ نفسي عن التدخل في ما يتعلق بشؤون كل هؤلاء الذين جمعني بهم العمل داخل الديوان، فكان ذلك سبيلي إلى كسب عطفهم؛ ومع ذلك عانيتُ بعض المضايقات!

لقد استغرقت هذه المرحلة التي كنتُ أتلمس فيها خطواتي نحو الاندماج في محيط الديوان الملكي، مدة من الزمن، قاربت عدة شهور، حتى تأكد الجميع من سلوكي المؤسّس على عدم حشر أنفي فيما لا يعنيني.

ومع مرور الشهور، ومن خلال الممارسة الفعلية، والاستفادة من تجربة الآخرين، بالإضافة إلى ما اكتسبته من خبرات من التجربة في الإدارة، والممارسة الوزارية، رَصَدْتُ ما سمح لي بامتلاك ما يؤهلني لإنجاز مهامي في المستوى الذي يُرضي مَلِكِي.

ومن الأشياء التي لفتت نظري في المحيط القريب من جلالة الملك، ما تقوم به قناة لعبة الـ«گولف» من دور، تسمح للممتلكين لقواعد هذه اللعبة من التقرب أكثر من الملك، وهو الأمر الذي يسهل العمل في حلّ ما يمكن أن يعترضك من صعوبات في بعض الملفات التي تعرض عليك.

لم تكن حصّة «لعبة الـ«گولف» التي يمارسها الملك الحسن الثاني، زمننا «للعب»، بل كانت فرصة للمستشارين وبعض الوزراء لعرض قضايا، وتلقّي أوامر، وحلّ مشاكل، وإيصال رسائل خاصة، وأحيانا استقبال شخصيات مغربية ودولية... كانت هذه الحصّة الرياضية لجلالة الملك زمننا للمتعة والعمل في نفس الآن!

لكل ذلك، قررتُ أن أتعلّم قواعد لعبة «الـ«گولف»». قضيتُ أكثر من سنة لاكتساب مهارات وقواعد هذه اللعبة التي ليس امتلاكها بالأمر الهين، وربما أكون أول ريفي مغربي تعلمها ومارسها! نعم! إن ملعب «الـ«گولف»» بساط أخضر، يُمتع النظر، والمشي فوقه بمُحسبان، بساط وإن بدا مستويا، فقد سوّيتُ به حُفْر، هي للفوز والحذر...!!

أتاحت لي لعبة الـ«گولف» التقرب أكثر إلى جلالة الملك، بل أصبحتُ أشاركه هذه اللعبة بين الحين والآخر. واعلم -عزيزي القاريء- أنني حينما أقول لك إنني أشارك جلالة الملك هذا اللعب، فلا يجب أن يدور بـمُخَدِّك أن الملك قد أصبح صديقي...! للحسن الثاني هيبة خاصة تفرض نفسها حتى وأنت تمارس اللعب معه! ولكن، وفي نفس الآن، تسمح لك هذه المصاحبة بالشعور -عن

كثب- بتلك اللمسة الإنسانية التي تظهر في مثل هذه الفضاءات، وتعكسها بعض الالتفاتات الطريفة، أرغب في إشراك القاريء في إحداها.

فمرة جرت مسابقة في «الغولف»، بين ثلاثة فرق، وكل فريق يتكون من لاعبين. فخاطبنا جلالة الملك بأن مسابقة اليوم ستكون حول عشرة (10) ثيران، تُذبح وتخلع في مدينة فاس (يصنع منها الخليج)، ثم تنقل في الخوابي إلى الرباط. وكذلك كان ... ومن كرم الحسن الثاني أنه لم يقصر توزيع «الخليج» على الفرق الفائزة فقط، بل نالت الفرق الأخرى كذلك نصيبها، وكذا بعض المقربين.

كانت مكاني في الديوان الملكي -مع مرور السنوات- تزداد رسوخا، وقرني من الملك الحسن الثاني يتعزز، وهي وضعية تحققت بعون من الله وتوفيقه، ثم من الرعاية والحماية الكبيرة التي كنت أحظى بها من طرف جلالة الملك، وما كنت أؤمنُ به دائما في حياتي، من إخلاص للملكي والتفاني في إنجاز ما يُسند إليّ من مهام. كنت أؤمنُ دائما أن رقيبي الأول هو الحق سبحانه، وهدفي تحقيق ما يخدم وطني ومليكي، دون أن تغيب عني منطقتي الريفية، التي كنت أسعى دائما لمساعدتها، ومدّها بما يمكن أن يحقق لها قسطا من التنمية، في إطار السياسة العامة التي تشمل الوطن ككل.

إن اللحظة التي نلتها بالقرب من الملك الحسن الثاني، لم يكن ينظر إليها بعض المقرّبين بعين الرضى، ومما كان يزيد الطين بلة، ما كان يخصني به جلالة الملك أحيانا من التفاتات خاصة، أعرض للقاريء الكريم بعضها، تجلية للصورة، وإظهاراً لما يمور في نفوس البعض، داخل دائرة تُلزمك اليقظة الدائمة!

هذه صورة من الوقائع التي خلقت لي بعض المضايقات، داخل المحيط الملكي القريب. وقد تعددت هذه الصور، من خلال مواقف أخرى، يمكن لي أن أشرك القاريء في ثانية، كان قصر الصخيرات مسرحها.

في هذا القصر، وبعد أن أنهينا حصة لعبة الكولف، اتجهنا إلى خيمة لتناول طعام الغداء. كان الحضور يضم بعض المستشارين وبعض الوزراء وعدد محدود من الشخصيات. وقبل تناول الغداء، وجدتُ «القايد مسعود» يناديني للالتحاق بـ «سيدنا».

ورأيتُ جلالة الملك راكباً سيارة فخمة، كانت عبارة عن هدية تلقاها بمناسبة عيد ميلاده، ويُشير إليّ بأن أركب. مرّ هذا الحدث أمام الحضور. انطلقت السيارة يقودها الملك وأنا إلى جانبه. كانت الغاية جولة قصيرة للتجريب، قادتنا من قصر الصخيرات إلى شاطئ تمارة، ثم العودة إلى الصخيرات. هذه المرافقة للملك الحسن الثاني في سيارته الجديدة لم تُرق بعض المنتسبين إلى المحيط الملكي القريب.

ذات مرة، كنّا مع جلالة الملك في ملعب الكولف بالصخيرات، وتناولنا طعام الغداء صحبة مجموعة من المقربين، من مستشارين وبعض الشخصيات، ومن بين هؤلاء الحاضرين المستشار الملكي إدريس السلاوي.

بعد الغداء، جاءنا «القايد مسعود»، ليلبغنا بأن جلالة الملك يأذن لنا بالانصراف، ثم التفت إليّ وخاطبني قائلاً: أنت، السّي المنصوري ابق مكانك، لا تذهب!

تمّ هذا الأمر أمام جميع الحضور!

بقيتُ جالسا داخل الخيمة التي تناولنا داخلها غداءنا، مدة ساعة من الزمن، كنتُ خلالها أدير أمام عينيّ أشرطة متعددة، وتطرق أعماقي أسئلة عدة: لماذا قيل لي ابق هنا؟ ولماذا أنا بالضبط وليس غيري؟ هل قمتُ بشيء لا يروق دون أن أنتبه...؟

وبينما أنا مستغرقٌ في هذه الدوامة، إذا بي أسمع صوت «القايد مسعود»، وهو يهرول نحوي: إنهض، سيدنا في السيارة ينتظرك!

وأتركُ لك أيها القارئ اللبيب رسم مقياس إيقاع السرعة التي أوصلتني
إلى سيارة الملك...!؟

حينما وقفتُ بجانب سيارة الملك، أمرني جلالته بالركوب إلى جانبه.

بدأ الحديث بيننا. قال لي جلالته: تُجرى اليوم في الدار البيضاء مباراة
في كرة القدم، تجمع بين فريق الجيش الملكي وفريق أجنبي، وأريد تغيير الجو،
لذلك سأذهب بشكل غير رسمي، لمتابعة هذه المباراة.

استمر الحديث بيننا على مدى المسافة بين الصخيرات والدار البيضاء،
حتى إذا وصلنا إلى مدخل البيضاء، أمر الملك السائق بالوقوف ! لم أعرف
سبب هذا الوقوف في هذا المكان بالضبط !؟

وفي لحظة لمحتُ مستشار صاحب الجلالة، السيد إدريس السلاوي،
قادمًا نحونا. أمره الملك بالركوب. قلتُ في نفسي: إن السيد إدريس السلاوي
كان معنا في جولف الصخيرات، وتناولنا الغداء جميعًا...!؟

وأول ما لاحظته في هذه اللقطة، علامات الاندهاش التي ارتسمت على
ملامح السيد إدريس السلاوي حينما رأني جالسًا بجانب جلالة الملك، وأنني
صاحبته انطلاقًا من الصخيرات !

وصلنا إلى ملعب مركب محمد الخامس، والتحقنا بالصالون الخاص، ومنه
تابعنا -نحن الثلاثة- مباراة الجيش الملكي. انتهت المباراة، ونزل جلالة الملك
إلى سيارته للمغادرة، وقد التفتُ حوله عدد من المنظمين، بعد أن انكشف
وجوده داخل الملعب. ركب جلالة الملك سيارته، وأمرني بالركوب إلى جانبه،
وكان إدريس السلاوي واقفًا بجانب السيارة، فخاطبه الملك قائلاً: إدريس، أنت
تسكن في مدينة الدار البيضاء، إذًا إبق هنا !؟ وانطلقت السيارة وعلى متنها
جلالة الملك وأنا بجانبه. هذه الصورة تمت أمام حضور العديد من الناس، ولا
شك أن السيد إدريس السلاوي سيشعر بنوع من الإحراج ! بل إن الحدث في

كُلِّيته سيُحوَّلني في عينيه إلى شخص مزعج !

وستحدث لي معه واقعة أخرى، يوم كنا في مدينة فاس، وكان الملك الحسن الثاني يمارس حصته الرياضية في ملعب الكولف. التحق بنا مستشار جلالتة السيد إدريس السلاوي، ليطلب من الملك أن يضع تحت تصرفه طائرة، تحمله من فاس إلى الدار البيضاء، ذهاباً وإياباً، في إطار مهمة معينة.

هذا النوع من الطائرات التابعة للقصر الملكي، كانت برمجتها تحت إمرة الجنرال بوبكر السكيرج. لم يكن الجنرال في تلك اللحظة حاضراً معنا.

أعطيت التعليمات لتدبير الذهاب بالطائرة الخاصة، ثم أردف جلالة الملك موجّهاً كلامه إلى السيد إدريس السلاوي: حينما تريد العودة من الدار البيضاء إلى فاس، اتصل بالمنصوري ليرسل إليك الطائرة...!!

هذا أمرٌ لم يستسغه مستشار صاحب الجلالة، ولم يتقبل أن تتم هذه الخطوة على يدي، وهو أمر لا يمكن إلا أن يعمق ما يشعر به هذا المستشار من تضايق، مما يُسندُه إليّ ملك البلاد من مهام. وبشكل عام كانت تجمعني بالسيد إدريس السلاوي علاقة طيبة، بحيث كان يزورني في منزلي حين يكون في الرباط، وكنت أزوره في منزله حينما أكون في الدار البيضاء. غير أنه بعد ما حدث في مركب محمد الخامس بالدار البيضاء قاطعني، وامتنع عن السلام والكلام معي! واستمر على هذه الحالة أكثر من سنة، إلى أن مرض. وخلال إقامة جلالة الملك بمدينة في منزله بمراكش، وقبل دخول السيد إدريس السلاوي للمستشفى العسكري بالرباط، أقام هذا الأخير مأدبة عشاء في مراكش، في إطار محدود جدّاً، دعا لها السادة: أحمد رضا أگدير، إدريس البصري والدكتور ميثال (طبيب جلالة الملك)، والدكتور بنعمر، وعبد ربه.

بعد مرور أسبوع على هذا اللقاء، استفحلت وضعيته الصحية، فنقل إلى المستشفى العسكري بالرباط. وخلال وجوده بهذا المستشفى، قمتُ بعيادته عدة مرات كلما أتيتُ إلى الرباط. وطيلة أيام مرضه، وذات يوم كلمني بالهاتف من المستشفى العسكري بالرباط، وأنا في مراكش حيث يقيم جلالة الملك،

وطلب مني أن أبلغ جلالته بأنه يتشوّف للسلام عليه، ويريد التنقل من الرباط إلى مراكش للقاءه.

كان جوابي: هل حالتك الصحية تسمح لك بذلك؟ ثم أضفت: إذا كان رأي الأطباء يؤكد إمكانية سفرك إلى مراكش حيث يقيم الملك، فإن جلالته سيبعث إليك بطائرة تنقلك إلى مراكش للقاءه. جوابي كان مبنياً على علمي بتأزم وضعيته الصحية.

لم تكن الحالة الصحية للسيد إدريس السلوي تسمح بهذا السفر. بعد مرور أيام على هذه المكالمة، انتقل إلى عفو الله، ودفن بمدينة الدار البيضاء، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

كان إحساسي من خلال دعوته لمأدبة عشاء، لأشخاص محدودين -نحن الخمسة الذين ذكرت سابقاً- بمثابة توديع لنا قبل دخوله إلى المستشفى العسكري بالرباط؛ ثم جاءت مكالمته الهاتفية، التي اعتبرها تعبيراً عن ندم، وطلب سماح مما بدر منه حين قاطعني لأكثر من سنة.

ودعني أيها القاريء اللبيب أرسمُ لك جانبا آخر، مما تمور به دائرة الديوان الملكي من صراعات، تكون أحيانا خفية، وأنا آخر -حينما تحتد- تطفو على السطح. فبعد وفاة مستشار الملك أحمد رضا أگديرة، دار صراع حول مَنْ سيحل مكانه؟ ليس في الاستشارية، ولكن في درجتها ورتبة صاحبها.

وفي خضم ما كان يدور حول هذا الموضوع في دواليب المحيط الملكي، سينادي عليّ جلالته الملك، وكنّا يومئذ في مدينة فاس، وستكون هذه المنادة على أرضية الكولف الملكي بهذه المدينة.

توجه إليّ جلالته قائلاً: ماذا يحدث في الديوان؟

- ليس هناك أي أمر يمكنني إخبارك به!

- سمعتُ عن تجاذب الكلام بين بوطالب وسيناصر ؟ (يقصد عبد الهادي بوطالب ومحمد علال سيناصر من مستشاري صاحب الجلالة).
- ذاك أمر بسيط، هناك ملف، ربما كان موجها للأستاذ بوطالب، واحتفظ به الأستاذ سيناصر؟! وحينما علم الأستاذ بوطالب بهذا الأمر، لم يرِّقه هذا التصرف، فدخل في بعض الجدل مع الأستاذ سيناصر!
كان الملفّ المتنازع حوله يتعلق بالقضية الفلسطينية. وأمام هذه الصورة التي بسطتها أمام جلالة الملك، لم يكن رد الفعل فورياً. سينتظر الملك إلى يوم الغد، ونحن في نفس المكان، أي ملعب الكولف بفاس، حين جاءني «القايد مرجان» يقول لي: «تَكَلَّمْ لِسَيِّدِنَا». حينما وقفتُ أمام جلالته، وجدتُ معه المستشار إدريس السلاوي.

خاطبني الملك الحسن الثاني بلهجة تحمل في طيّها نوعاً من اللوم. قال موجِّهاً إليّ الكلام: أَلْمَنْصُورِي ... ألم تفهموا بعد، أنكم عندي جميعاً سواسية؟! أنا مَنْ يُكَلِّفُ بهذه المهمة أو تلك! وأنّ منصب مدير الديوان لم يعد موجوداً!
اعترتني حالة من الاندهاش لطبيعة النبوة التي خاطبني بها الملك! لم أفهم سبب هذا الغضب!؟

سأقُف على حقيقة الأمر فيما بعد، حينما تجمعت لديّ عناصر أخرى، فقد كان المراد من كل ذلك، بعث رسالة إلى السيد إدريس السلاوي، وكان واقفاً معنا خلال هذا الحديث الذي دار بيني والملك، والذي كان يطمح إلى منصب مدير الديوان الذي كان يشغله في مرحلة سابقة، ومن خلاله بعث رسالة إلى المستشارين الآخرين. خلاصتها، كفى من هذا الصراع حول التراتبية الاستشارية، وعبارة جلالة الملك بأنه هو «مَنْ يُكَلِّفُ بهذه المهمة أو غيرها»، هي فصل الخطاب!
وصلتُ الرسالة، وأصبح الأمر جليّاً، فتوقف الصراع في هذا الباب.

إن ظاهرة الصراعات التي تدور في المحيط القريب من مركز القرار، في أعلى درجاته، ليست قصراً على المجال الذي عايشت فيه هذا الأمر. إنها ظاهرة نصادفها في دُول متعددة، وفي ثقافات مختلفة، وتكشف عن جانب من الطبيعة البشرية. قد يكون الاختلاف في الدرجة، وفي نوعية تلك الصراعات، ولكن تبقى هذه الظاهرة حاضرة هنا وهناك.

لعلّي بسرّد هذه المواقف، أكون قد رسمتُ بعض الملامح، التي تبرز ذلك الصراع الذي يدور بين المقربين من مراكز القرار، وأنا الذي التحقتُ بهذا المحيط، لأجد نفسي محاطاً بقوم صناديد! وما كان لمسيرتي أن تطول في الديوان الملكي، لولا ما وجدته من مساندة من الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، الذي كان يحوطني برعايته، ويشدّ أزرعي، ويقوّي إرادتي. وكنتُ أحسُّ من خلال تلك المعاملة ما يكتّنه من عطف ورعاية لجميع أبناء المملكة ومنهم أبناء المنطقة التي أنتمي إليها، الريف المغربي الأصيل، كما هي رعاية لأبناء الوطن ككل، رغم ما حدث في الماضي بين جلالته وسكان المنطقة، لقد كانت معاملته لي نوعاً من ردّ الاعتبار لهذه المنطقة في شخصي.

ملامح لبرنامج يومي للملك الحسن الثاني:

حينما كنتُ أخطو خطواتي داخل الإدارة المغربية، وقد تمّ ذلك في بداية سنوات السبعين من القرن العشرين، ومع وزير صاحب خبرة وتمرس، هو الدكتور محمد بنهيمه؛ في تلك المرحلة سأحظى باستقبال من طرف الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وهو الاستقبال الذي خصّ به جلالته وفداً من إقليمي الحسيمة والناضور، يضم برلمانيين وأعضاء مجالس وأعياناً.

وقد اغتنمتُ فرصة لقاء ملك البلاد، فقدمتُ لجلالته رسالة تضمنت بعض المطالب التي تحتاجها منطقة الريف في تلك الفترة، وسلّمتها للملك يداً بيد، وهي المطالب التي تحقق الكثير منها لتلك المنطقة التي أنتمي إليها.

ولقد سمحت لي المهام التي تقلدتها من خلال تحملي لمسؤوليات وزارية متعددة، أن أكون قريباً من الملك الحسن الثاني، في مناسبات مختلفة، منها ما يرتبط بمهامي الوزارية، وأحياناً من خلال ما يُسند إليه إليّ، طيب الله ثراه، من مهام خاصة.

مثل هذه اللقاءات المرتبطة بالمهام الوزارية، وبعض الملفات، تُبقي العلاقة مع جلالة الملك في إطار محدود. لذلك كان التحاق بالديوان الملكي منعظاً كبيراً خوّل لي الاقتراب أكثر من الملك الحسن الثاني، بل سمح لي هذا الفضاء، بخصوصيته وطبيعة العمل فيه، بالتعرف على بعض الجوانب من شخصية جلالته، لا تتاح خارج هذا الإطار، بل لا تتاح لكل أعضاء الديوان. لقد أمضيتُ عقداً ونصف العقد من الزمان، في الديوان الملكي، زمن الملك الحسن الثاني، رصدتُ خلاله ما يُسعفني في تقديم ملامح عن جانب من حياة الملك الحسن الثاني، أرسمه في هذا السياق، من خلال الحديث عن برنامج ليوم من أيام ملك البلاد، في خطوته الكبرى، علماً أن إيقاع برنامج جلالته يتخذ منحنيات بيانية، تتغير بتغير طبيعة الأنشطة الملكية، دون أن يغيب الثابت من انشغالات جلالته، عما سأسرّه في هذا الباب.

وجودي في الديوان الملكي، وبعد فترة من الزمن، مكّنتني من لمس بعض الانشغالات الكبرى لجلالة الملك، والتي تمثلت في تلك القضايا الجوهرية التي تشغل حيزاً كبيراً من تفكيره ووقته، سواء تعلق الأمر بقضايا وطنية أم دولية، التي لها ارتباط وثيق بمصالح المملكة، أم تلك التي تؤثر في تلك المصالح إقليمياً أم دولياً.

وفي هذا الإطار، تكون اتصالات جلالة الملك بملوك ورؤساء الدول، لتدارس ما يتعلق بالقضايا الدولية في علاقتها أولاً، بما يسعى جلالته لتحقيقه لصالح شعبه ووطنه، وثانياً، في ارتباط تلك القضايا بالدور السياسي الذي يلعبه جلالة الملك لخدمة ما فيه مصلحة الشعوب، إقليمياً وقارياً.

وعلى المستوى الوطني، تتعدد لقاءات الملك الحسن الثاني مع مستشاريه ووزرائه، للنظر في الملفات الكبرى، وتلقي التعليمات من جلالته، مع حرصه الكبير على تتبع تلك الملفات بما يتطلبه الأمر، من دقة ومثابرة وحرص على التنفيذ الدقيق والسليم.

يتم كل هذا بشكل يومي، ويشكل جزءاً من برنامج جلالته. ومن الأمور التي كان الملك الحسن الثاني حريصاً عليها، اطلاعه على ما يقدم له من تقارير يومية، من طرف مختلف المصالح الأمنية، الشيء الذي يمكّنه من تشكيل صورة عامة ودقيقة عما يجري في البلاد، حتى إذا استدعى مستشاراً أو وزيراً في الحكومة، يكون النظر في الملفات الوطنية، مسنوداً إلى خلفية واقع الحال؛ وكذا الأمر فيما يتعلق بمعالجة القضايا المتعلقة بالشأن الدولي. فالتقارير التي ترفع إلى جلالته تسمح بتشكيل صورة عما يجري في العالم من تطورات، وبما يطرأ من جديد في الساحة الدولية.

ومما رصدته في هذا الباب المرتبط بنمط اشتغال الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، أن انشغاله بقضايا وطنه لم تكن محصورة في تلك الاجتماعات الرسمية، أو اللقاءات التي يعقدها مع مستشاريه أو وزرائه، أو مع بعض الشخصيات ممن لهم مسؤولية في ملف ما، بل كنت أجده -حتى في الأوقات التي يمكن اعتبارها أوقاتاً خاصة- منشغلاً بهذا الملف أو ذاك، سائلاً عن هذه القضية، ومُصدراً تعليماته في أخرى، ومُستدعياً وزيراً في فضاء خارج مكتبه، إلى غير ذلك مما يُشعر مُرافقيه -وأنا ممن أسعدني الزمن بهذه المرافقة- بأن اشتغال الملك الحسن الثاني يأخذ طابع الاستمرارية ولا ينحصر في مكتب محدد، بل تتحول مختلف الفضاءات التي يتردد عليها جلالته إلى مكتب عمل.

ولأقرب القاريء مما حاولتُ رسمه عن طبيعة اشتغال الملك الحسن الثاني، سأسعى إلى دخول بعض الفضاءات المختلفة، والأزمنة المتباينة، على مدى برنامج يوم كامل لجلالته، يشكل في جوهره هوامش على البرنامج الأساس، ليلمس

مُصاحبي من خلال ما أسطره، كيف تتحول جلسة خاصة، أو حصة رياضية، إلى زمن يُستأنف فيه النظر في ملفات وقضايا، أو تُفتح فيه ملفات أخرى.

ولتكن البداية بجلسة فطور الصباح التي تبتدئ حوالي الساعة العاشرة صباحاً. تضم هذه الجلسة عدداً محدوداً من الأشخاص، وبشكل أساسي: مدير التشريعات الملكية، مدير الكتابة الخاصة لجلالته، الحاجب الملكي، محافظو القصور الملكية.

وطبيعي أن يتساءل القاريء، ما الذي يجري في هذه الجلسة التي تجمع نخبة من الشخصيات كل صباح مع ملك البلاد؟

إن تسمية هذه الجلسة في هذا السياق، بجلسة فطور الصباح، تستدعي إلى خيال المتلقي ما لذ وطاب من مأكولات وأشربة، مما يستحسن تناوله صباحاً!

مما لا شكّ فيه، أن فطور الصباح في حضرة الملك الحسن الثاني لا يخلو مما ذُكر. وتجدر الإشارة في هذا السياق، أن طبيعة التغذية عند الملك الحسن الثاني، تتسم، بشكل عام، بنوع من الاقتصاد في الأكل، وينسحب هذا الأمر على مختلف أوقات الوجبات. والذي يجب ألا يغيب عن ذهن القاريء، أن جلسة الفطور تشكّل انطلاق العمل اليومي لجلالة الملك. فالحاضرون، إلى جانب جلالته في تلك الفترة، يحملون بعض الملفات، أو تساؤلات واستفسارات، وينتظرون التعليمات من المَلِك للقيام بما يجب القيام به. وتتعدد المواضيع المطروحة بتنوع طبيعة الملفات، وكثيراً ما تجد بعض القضايا حلاً لها، بين ما يُتداول من آراء في فطور ذلك الصباح. فالجلسة إذن، وإن بدت جلسة أكل وشراب، فإنها في حقيقتها جلسة عمل، وبها يبدأ ملك البلاد أشغاله اليومية.

ها قد انتهت جلسة فطور الصباح، وانصرف كلٌّ إلى مزاولة مهامه على ضوء ما تلقاه من تعليمات. فما الذي يلي ذلك في البرنامج اليومي للملك الحسن الثاني؟

بعد الفطور، وانتهاء جلالته من أشغاله الرسمية كمجلس وزاري أو استقبالات أو جلسة عمل، تأتي حصة ممارسة رياضة الغولف، إذا أسعفته الظروف.

ومرة أخرى، سيرد على خاطر القاريء أن هذه الفترة الزمنية لممارسة رياضة الغولف، ستكون لعباً ومتابعة للكرة البيضاء على بساط أخضر، تتدحرج نحو حفرة ما!

صحيح ... ولكن التفكير في تسجيل ضربات إيجابية يكون مشفوعاً بالتفكير في أسئلة أخرى، والبحث عن سبل تحقيق الإيجابيات فيما ينشغل به جلالة الملك من قضايا؟! كيف؟

إن مرافقتي المستمرة لجلالة الملك في ملاعب الغولف، بمدن مغربية مختلفة، جعلتني شاهداً على ما تمور به هذه الملاعب من أعمال، وما يتم في هذه الحصة من انشغال بملفات تمس الحياة السياسية للبلاد، من جوانبها المختلفة.

في ملاعب الغولف، حيث يوجد الملك، تتحوّل الحصة الرياضية كذلك إلى ما يشبه جلسة عمل. كان بعض الوزراء يطلبون مقابلة جلالة الملك، فتُعطى لهم الأوامر للحضور إلى ملعب الغولف داخل القصر الملكي بالرباط، أو بالصخيرات أو ببوزنيقة، أو بدار السلام بالرباط؛ وقد يكون ذلك الحضور خارج عاصمة المملكة، في المحمدية، أو في الدار البيضاء أو الجديدة، أو في مراكش أو أكادير، أو في فاس أو مكناس. فيأتي الوزير حاملاً ملفاً أو أكثر للاستفسار أو تلقي تعليمات، أو لحلّ ما يمكن أن يعترضه من عراقيل... وكنتُ حاضراً في العديد من المرات التي تتم فيها دعوة وزير من الوزراء، ليحضر إلى ملعب الغولف، في شأن ملف من الملفات، أو قضية من القضايا التي تدخل تحت مسؤوليته. لذلك لا أستغربُ حينما أدخل إلى ملعب الغولف، وأجدُ بعض الأشخاص من المسؤولين أو الوزراء، أو غيرهم، ممن لم نألف حضورهم في هذه الحصة، لعلمي باستدعائهم لغرض ما. وفي هذه

الحصة من البرنامج اليومي للملك الحسن الثاني، هناك ثلة من الأفراد يكون حضورهم بشكل دائم تقريبا، وهم: الأمير مولاي علي، عبد الكريم لعلو، والمستشاران أحمد رضا أگديرة، وعبد ربه المنصوري بنعلي، وأحمد عصمان، ووزير الداخلية إدريس البصري، والجنرال حسني بنسليمان، والجنرال عبد الحق القادري. أما الذين يكون حضورهم من حين لآخر، أو يتم استدعاؤهم للقاء الملك داخل ملعب الغولف لسبب من الأسباب، فإما أن يكونوا من هيئة مستشاري جلالة الملك كالسادة: محمد عواد، وأحمد بنسودة، وعبد الهادي بوطالب، ومؤرخ المملكة عبد الوهاب بنمنصور، وكذا إدريس السلاوي، وأحمد السنوسي، ومولاي إدريس العلوي، عندما انتهت مهامهم الدبلوماسية؛ وقد يكون بعضهم من أعضاء الديوان الملكي، أو من الوزراء، كما تحضر أحيانا إلى جانب جلالته بعض الشخصيات الوطنية، مدنية وعسكرية، وكذا بعض الشخصيات الأجنبية، دون أن ننسى أولئك اللاعبين الذين يشاركون الملك لعبته على البساط الأخضر.

بهذا المعنى، يغدو ملعب الغولف فضاء للاشتغال، وكأنه امتداد لما دار من أعمال في جلسة الفطور الصباحية. كثير من الحلول لقضايا وملفات معينة انبثقت من أرضية ملاعب الغولف، وبين حُفرة وأخرى على البساط الأخضر، قد يطفو على السطح ما يزيح عقبات، وضربة تضع الكرة البيضاء في المسلك المطلوب، قد يصاحبها ما يفتح بارقة أمل. وأشهد أن العديد من القضايا التي كانت بين يديّ، وأبحث لها عن حلول، قد وجدت طريق الخلاص عبر مسالك الغولف!

وماذا بعد إنهاء جلالته لحصة الغولف؟

يحين وقت الغداء، وعدد الذين يتحلقون حول هذه المائدة صحبة جلالته، ينحصر فيما يقارب عشرة أفراد، ممن رافقوا جلالته في حصة الغولف ذلك الصباح. وأحيانا قد يحضر معنا بعض الوزراء وكذا بعض الشخصيات، مدنية أو

عسكرية، وقد تكون أحيانا شخصيات أجنبية. أما عبد ربه، فقد حَظني زمني لكي أكون على هذه المائدة بشكل مستمر، وكذلك كان الأمر في ملاعب الكولف.

ودعني أيها القاريء، أصفُ لك ذلك المكان الذي نتناول فيه طعام الغداء. يتنوع هذا المكان بتنوع الفضاء الذي نوجد فيه، فإذا كنا داخل القصر في الصخيرات مثلا، فإن جلوسنا صحبة جلالته لا يتم في صالونات القصر، بل نقصد خيمة منتصبة في أحد أرجائه، ويكون قُعودنا على أرض بُسُطت عليها زرابي، وأحيانا يتم إجلاسنا في ممر من ممرات القصر، أما الصالونات المرتبة فجلوسنا فيها قليل. ولا تحسبن أن الحضور ينهمك في ما وضع أمامه من أكل، بل قد تتحول مائدة الغداء إلى ما يشبه مكتب عمل، قد يُتدارك فيه الحديث عن قضية من القضايا أو ملف من الملفات التي بدأ الحديث عنها في ملعب الكولف، أو لم يتح لصاحب الملف فرصة مفاتحة جلالة الملك في الموضوع.

تمتد الجلسة حول مائدة الغداء -بأحاديثها التي لا تبتعد عن مشاغل ملك البلاد- إلى حوالي الساعة الخامسة عشية، لينصرف بعد ذلك كل إلى حال سبيله، ويلتحق جلالة الملك بقصره. لا ينتهي عمل جلالته في هذه الجلسة، ما زال في النهار بقية، قد يلتحق جلالته بمكتبه، وقد يأخذ قسطا من الراحة، حتى إذا فرغ من برنامجه العملي المليء، فقد يخصص بعضا من وقته لجلسة ليلية تتميز بطابعها الخاص.

هذه الجلسة الليلية، تتميز بطبيعة الأشخاص الذين يجالسون جلالة الملك، ومن بينهم مؤنسه، أحدهم لَفْقِيَهُ محمد بنين، والذي يكون حضوره بشكل دائم، كلما عقدت هذه الجلسة التي تبتدئ بعد وجبة العشاء. ولما كان الحضور يتسم بطبيعة متنوعة، فإن ما يجري من أحاديث يكتسي هو الآخر طابع التنوع. ومما يُتداول في هذه الجلسة الليلية، ما يتم تناقله من أخبار، مما يروج بين فئات المجتمع المختلفة، خاصة وأن بعض الحاضرين ممن يخالطون مختلف الشرائح الاجتماعية، ومن ثمَّ تجد من الحكايات والقضايا، ما يمس

صميم المجتمع المغربي، مما يسمح لجلالة الملك، وهو يستمع لما يُحكى أو يُنقل إليه في هذا الباب، بالتعرف على النبض الدقيق لما يمور في المجتمع، بما في ذلك هموم الشرائح الاجتماعية البسيطة.

وقد تتحوّل جلسة من هذه الجلسات الليلية، بناء على ما يثار فيها من أحاديث إلى شبه جلسة عمل. فقد تصدر بعض التعليمات في قضية ما، بل قد تحل بعض المسائل العالقة من شؤون الدولة، كلّ هذا يرسم صورة لملك تظل هموم الوطن ترافقه، مهما اختلف المكان والزمان. وقد تنفتح الجلسة على مناقشات حول قضايا ثقافية، أو مسائل فقهية، أو ما يمس شؤون الأدب، ويكون إنشاد الشعر أحيانا جزءاً من طقوس هذه الجلسة، خاصة وأن لُقَيْه محمد بنين، الذي يتمتع بحافظة قوية، لا يتأخر في إنشاد ما يتناسب وسياق المناسبة. وقد حظني الزمن بحضور بعض الجلسات الليلية مع بعض المقربين من جلالته.

ومهما تنوعت الأحاديث ومواضيعها، هناك شيء ثابت في هذه الجلسة، إنّه القرآن الكريم، فلا تغمض عين لجلالة الملك، إلا بعد قراءة ما تيسّر من الذكر الحكيم، ذكراً يُرخي بظلال السكينة على هذا المجلس، ويكون حِرْزاً لمن أوكل الله إليه أمر بلادنا.

*** **

مع جلالة الملكة الملكة داخل القصر الملكي



مع جلالة الملك الحسن الثاني في إحدى الحفلات، المنظمة داخل القصر الملكي في مراكش.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في إحدى الحفلات، داخل القصر الملكي بالرباط.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في إحدى الحفلات، داخل القصر الملكي بالرباط، إلى جانب
جلالته في الصورة: المنصوري بنعلي، ادريس البصري، المعطي بوعبيد، عبد الحق المريني



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في حفل عشاء رسمي بحضور محدود في القصر الملكي
بمدينة إيفران



مع جلالة الملك الحسن الثاني في القصر الملكي بالرباط، بحضور مجموعة من المقربين والوزراء.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني بضواحي مدينة إيفران.



في استقبال قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في مطار محمد الخامس بالدار البيضاء، خلال زيارته للمغرب واستقباله من طرف جلالة الملك الحسن الثاني.

مع جلالة الملكا في ملاعب الكولف



مع جلالة الملك الحسن الثاني، وولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد (محمد السادس حفظه الله) في ملعب الكولف، دار السلام بالرباط.



مع جلالة الملك الحسن الثاني بملعب الكولف، داخل القصر الملكي بالرباط.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل ملعب الكولف،
دار السلام بالرباط.



مع جلالة الملك الحسن الثاني داخل ملعب الكولف، ويُرى في الصورة إدريس البصري.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل ملعب الكولف،
دار السلام بالرباط.



مع صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وملك بلغاريا السابق سيميون الثاني
في مدينة فاس.



في حديث مع جلالة الملك الحسن الثاني، بحضور أخي العزيز الجنرال ميمون،
داخل ملعب الكولف، بالقصر الملكي بالرباط.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل ملعب الكولف، وهو يتابع إحدى مباريات الفريق الوطني لكرة القدم في نهائيات كأس العالم التي جرت بمكسيكو سنة 1986.



جلالة الملك الحسن الثاني، وهو في ملعب الكولف، يتابع مباراة في كرة القدم، بين المغرب والبرتغال، خلال نهائيات كأس العالم التي جرت في المكسيك سنة 1986.



السلام على جلالة الملك الحسن الثاني داخل ملعب الكولف، بدار السلام في الرباط،
ويظهر في الصورة الوزير الأول الدكتور عز الدين العراقي.



أثناء مشاركتي في إحدى حصص لعبة الكولف، إلى جانب جلالة الملك الحسن الثاني،
بمدينة أكادير.



أثناء مشاركتي في إحدى حصص لعبة الكولف، إلى جانب جلالة الملك الحسن الثاني،
بدار السلام في الرباط.



أثناء مشاركتي في إحدى حصص لعبة الكولف، إلى جانب جلالة الملك الحسن الثاني.

بعض الجولات البحرية مع جلالة الملك



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في جولة بحرية
بمضور الأمير مولاي رشيد ونوفل ابن الأميرة للا نزهة والسيد أحمد عصمان



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في جولة بحرية بين شاطئ
الرباط والصخيرات.



مع جلالة الملك في رحلات الصيد



في رحلة صيد مع جلالة الملك الحسن الثاني



مع جلالة الملك الحسن الثاني في رحلة صيد.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في رحلة صيد.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في رحلة صيد.



مع أخي العزيز الجنرال ميمون المنصوري والكولونيل حمو حسن أمهروق الزياتي
في رحلة صيد مع جلالة الملك الحسن الثاني



مع جلالة الملك الحسن الثاني في رحلة صيد بمدينة إيفران.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في مدينة إيفران، حصيلة فسحة لصيد السمك.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في فسحة لصيد السمك، في مدينة إيفران.



مع جلالة الملك الحسن الثاني بمدينة إيفران، خلال فسحة لصيد السمك.



٧١١- مع الملأ العسن الثانی
آارآ أرض الوطن



صاحبُ الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، في عدة زيارات خارج أرض الوطن، سواء كانت زيارات رسمية أم خاصة.

في المملكة العربية السعودية:

من بين الزيارات التي أتيح لي أن أصاحب الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، إلى المملكة العربية السعودية، تلك التي جرى فيها حدث لم يتكرر إلى اليوم. فقد صادفت هذه الزيارة، ذكرى عيد المولد النبوي.

وحينما وصل جلالة الملك إلى الديار السعودية، قام رحمه الله، بزيارة الحرم المكي، وفتحت أبواب الكعبة ليدخلها جلالته وبعض المقربين، وكنتُ أحد هؤلاء، ممن يسّر الله لهم ولوج ذلك المقام، حيث صلينا ركعتين في ذلك المكان المهيب، تحت تأثير روحاني فريد.

ونحن في مكة، والملك الحسن الثاني يستعد للانتقال إلى المدينة المنورة، اتصل جلالته بأخيه الملك فهد، وعبر له عن رغبته في إحياء ذكرى عيد المولد النبوي، بالمسجد النبوي، بالمدينة المنورة.

حكى لنا الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، فيما بعد، أنه عندما أبدى هذه الرغبة، أجابه الملك فهد بما معناه: نحن يا صاحب الجلالة، لا نحتفل بهذه الذكرى كما تعلم، وأن فقهاء الوهابية في ديارنا، متشددون في هذا الجانب!

فكان جواب الملك الحسن الثاني بما معناه: هذا احتفال بجدي المصطفى صلوات الله عليه. اقتنع الملك فهد بن عبد العزيز، ولبي الطلب لأخيه الملك الحسن الثاني، قائلاً له: إن المسجد النبوي رهن إشارتك، بعد صلاة العشاء. وقد ساعد في تحقيق هذا الأمر، تلك العلاقة الأخوية الخاصة والتميزة التي ربطت بين هذين المليكين، طيب الله ثراهما.



على الحدود المغربية الجزائرية، جلالة الملك في حديث مع أخيه خادم الحرمين
جلالة الملك فهد بن عبد العزيز، والمناسبة، اللقاء الذي تم بين جلالة الملك الحسن الثاني
والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، بوساطة جلالة الملك فهد.

فُتحت للملك الحسن الثاني أبواب المسجد النبوي، لإقامة هذا الحفل
الديني الخاص. ولم تمر سوى ثماني وأربعين ساعة، بعد ذلك الحديث، حتى
حطّت طائرة مغربية في مطار المدينة المنورة، وقد حملت على متنها كلّ ما يلزم
لإقامة حفل ذكرى المولد النبوي، بكل ترتيباته وعاداته المغربية. ومما ميّز هذا
الحفل الديني، ذلك الدخول إلى المقام الذي يضم قبر الرسول صلى الله عليه
وسلم، وهو المكان في الروضة الشريفة، الذي لا يدخله إلا من هياً الله له أسباب
ذلك. فُتحت باب الحجرة النبوية للملك الحسن الثاني، ودخلها ليترحم على جدّه
المصطفى في ذكرى مولده، عليه أفضل الصلوات وأزكى السلام، وكنت مرة
أخرى محظوظاً لولوج هذه الحجرة النبوية الشريفة.

ومن خلال ما حُفّ بهذا الحفل الديني، يشعر المرء وكأن هذه الذكرى
تقام في المملكة المغربية كما جرت العادة، لأن كلّ ما يحيط بنا في المسجد
النبوي بالمدينة المنورة، يكتسي طابعا مغربيا. المادحون الذين يردّدون



في الحرم المكي مع جلالة الملك الحسن الثاني



مع سفير المملكة العربية السعودية عبد الله سعد الغرايري، وأخي مصطفى المنصوري،
داخل سفارة المملكة العربية السعودية بالرباط يوم الاحتفال بعيدها الوطني.

بالطريقة المغربية، تلك الأمداح النبوية المختارة وبنصوصها المعروفة، علماء مغاربة ضمن هذا المجلس، الزي المغربي التقليدي الأبيض المتمثل في القميص والجلباب، ويحيم على المكان ما تُلي من الذكر الحكيم من قراء مغاربة وبالطريقة المغربية، المكثفون بنشر أطايب «العود» يتحركون جيئة وذهابا، حاملين مباحرا، يغيرون الخامد منها بالمتوهج، مما ألفناه في مثل هذه المجالس الدينية، التي يقيمها جلالة الملك في مناسبات مشابهة.

لقد ترك هذا الحدث صدى في أوساط مختلفة فيما بعد، وعلم أمره، فكان أحمد زكي يماني، الوزير السعودي السابق للبترول والثروة المعدنية، من الذين علموا بذلك، فاتصل بالملك الحسن الثاني، شاكرا جلالاته على إقامة ذلك الحفل الديني البهي، في المملكة العربية السعودية. ويبدو أن إقامة هذا الحفل قد أبهج أحمد زكي يماني.

في الولايات المتحدة الأمريكية:

حينما كنتُ وزيراً للنقل، صاحبُ جلالة الملك في زيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. كانت زيارة طويلة في مدتها. خلال هذه الزيارة لم تتجاوز إقامتي هناك سوى أسبوعين اثنين، في حين امتدت إقامة جلالة الملك لأيام أخر، تمت خلالها أنشطة متعددة، منها استقباله لمثلي الجالية اليهودية المغربية، الذي تم في مدينة نيويورك. ومن الأشياء التي لفتت نظري في هذا اللقاء، صورة يهودية مغربية، أجهشت بالبكاء وهي تستمع إلى كلمة جلالة الملك التي ألقاها في هذا المجمع، والتي تضمنت الحض على إبقاء تلك الروابط التي تجمع بين هذه الجالية ووطنهم المغرب.

استقبل خلالها بعض رؤساء الدول الذين حضروا اجتماع الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة، وسفراء بعض الدول العربية، وكذا مجموعة من رجال الأعمال الأمريكيين، كان من بينهم «دونالد ترامب (Donald TRUMP)» الذي سيصبح فيما بعد رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية، خلال الفترة الممتدة من 2017 إلى 2021.



أثناء السلام على الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب داخل البيت الأبيض،
خلال زيارة رسمية لجلالة الملك الحسن الثاني إلى الولايات المتحدة الأمريكية.



مع الرئيس الأمريكي بيل كلنتون، خلال زيارة رسمية لجلالة الملك الحسن الثاني
إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما كان الملك الحسن الثاني معتزاً بأصالته المغربية، فإن مظاهرها تصاحبه أينما حلّ وارتحل. من ذلك، ما تبدّى لي في هذه الزيارة إلى الديار الأمريكية، حيث كانت إقامتنا في أحد فنادق مدينة نيويورك. لكن داخل هذا الفندق وفي الجناح المخصص لجلالة الملك، تشعر وكأنك في وطنك، بما يحيط بهذا الجناح من طقوس مغربية صرف، بدءاً من نظام التغذية المتبع. فالطباخون مغاربة ويشكلون أحد عناصر الوفد المرافق للملك، ويُخصّص الفندق جانبا داخل مطبخه للطباخين المغاربة، الذين يتفنّنون في تهييء أطعمة مغربية للملك وللوفد المرافق له.

صورة أخرى في الجناح الملكي في الفندق تشعرك بالتقاليد المغربية في البلاط الملكي، تتجلى في وجود المخازنية، الذين يتحركون داخل هذا الجناح، فتحس بإيقاع حياة «المشور السعيد» تدب في الفندق، وأنت في قلب مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية. وهناك ما يشعرك بالطقوس المغربية، حتى في غياب هؤلاء الرجال الذين يتحركون بأزيائهم المتميزة داخل هذا الجناح. فإذا خلا من حضور هؤلاء، أذكرتكَ رائحة «العُود» المتصاعدة من هذا البخور أتكَ في حضرة ملك المغرب، داخل مدينة أمريكية، تجلّل أحد فنادقها بالطابع المغربي الأصيل. كان الملك الحسن الثاني عاشقاً لـ «العُود» وما يفوح منه من رائحة عطّرة، وما يُشيعه في الفضاء من نَفَس، له في النَّفَس ديب، دون أن يغيب عنّا ما يضيفه هذا البخور من أجواء روحانية على الفضاء الذي ينتشر فيه.

ودعني أحكي طريفة ذات علاقة بهذا «العُود» الزكيّ.

ذات ليلة حوالي الساعة الواحدة صباحاً، ونحن في الصالون مع الملك الحسن الثاني، عمل المكلفون من «المخازنية» على إطلاق بخور «العُود»، وطبيعي أن سحابة من الدخان ستتصاعد بطيها إلى الأعلى. فإذا بأجهزة الإنذار في الفندق تطلق صفيرها. تحرّكت إدارة الفندق بسرعة على أساس أن هناك حريق شبّ في أحد الأجنحة...!

هرع رجال المطافئء إلى المكان، كل هذه الجلبّة، ونحن في جناحنا، حتى إذا تصاعد الضجيج انتبهنا إلى ما يجري...!

لقد تبين أن سحابة «العود»، وما تصاعد من دخان كان سبباً في إطلاق جهاز الإنذار ضد الحرائق، ذلك السفير الذي استنفر إدارة الفندق، وتم استدعاء رجال الوقاية المكلفة بإطفاء الحرائق! وأدت هذه الحركة إلى خروج من كان بداخل غرف الفندق للاستطلاع.

ما كانت حرائق! إنما هو عطر «عود» تعالى في جناح ملكي، بأحد فنادق نيويورك!



مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل الطائرة، في رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، في الصورة: جلالة الملك الحسن الثاني، المنصوري بنعلي (واقفاً)، أحمد عصمان، محمد عواد.

ولما علم جلالة الملك بما حصل، أمر بأن تكون كمية «العود» في اليوم الموالي بقدر أقل...! لكن عطره لا بد أن يفوح...!

وخلال وجودي إلى جانب جلالة الملك في هذه الزيارة، كلفني بإعداد تقرير عن زيارة جلالاته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وتقديمه -عند عودتي إلى المغرب- أمام مجلس الحكومة في اجتماعها الأسبوعي، الذي يترأسه الوزير الأول. وفعلاً أعددتُ هذا التقرير، وأخبرتُ الوزير الأول الأستاذ المعطي



مع جلالة الملك الحسن الثاني، داخل الطائرة، في رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية



بوعبيد - بعد عودتي - بأنّ جلالة الملك أمرني بتقديم عرض عن أنشطته في نيويورك، وهو الأمر الذي تمّ بالفعل.

بعد هذه الزيارة، رافقتُ صاحب الجلالة مرة ثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أيام رئاسة جورج بوش الأب. كانت علاقة الملك بهذا الرئيس الأمريكي علاقة جيّدة، وترجع إلى الفترة التي كان فيها بوش الأب مديراً للمخابرات الأمريكية، ثم نائباً للرئيس الأمريكي رونالد ريغن. وقد مرت هذه الزيارة الرسمية في أجواء تعكس عمق العلاقة التي تجمع بين الدولتين، والتي يمتد زمنها عبر فترة تاريخية لأكثر من مائتي سنة، حين كانت المملكة المغربية أول دولة اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية. وتجلت مظاهر الحفاوة التي استقبل بها الملك الحسن الثاني، في حفل عشاء رسمي كبير، نظم على شرف جلالتة، واستُدعي له كبار الشخصيات السياسية والهيئات الدبلوماسية والوفد الرسمي المغربي الذي كنتُ أحد أعضائه.

وسمح الزمن بمصاحبة ثالثة للملك الحسن الثاني، خلال زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أيام رئاسة بيل كلينتون. كانت العلاقة بين الرئيس كلينتون والملك الحسن الثاني في بداية الأمر، علاقة عادية بين رئيسي الدولتين. لكن هذه العلاقة ستتطور مع مرور الأيام، لتتخذ طابعاً عائلياً، تجلّي أحد مظاهرها في حضور السيد بيل كلينتون وزوجته هيلاري كلينتون (حتى بعد انتهاء رئاسته)، حفل زفاف صاحب الجلالة الملك محمد السادس، حفظه الله.

لقد كانت الاستشارة بين الملك الحسن الثاني والرئيس الأمريكي بيل كلينتون تتخذ طابع الاستمرارية، وفي إطار هذا التشاور، قام جلالة الملك بزيارة الولايات المتحدة الأمريكية، وتميزت هذه الزيارة الرسمية بمباحثات خاصة، جرت رأساً لرأس، بين الحسن الثاني وبيل كلينتون. كما تميزت بذلك العرض العميق الذي قدمه الملك الحسن الثاني، بطلب من الرئيس كلينتون، حول قضايا الشرق الأوسط، كما يراها جلالة الملك حالياً (أي زمن الزيارة) ومستقبلاً.

لقد اتسم عرض جلالة الملك في هذا الباب بعمق النظر، والبعد الاستراتيجي، والإحاطة بكل العناصر الفاعلة في هذا الملف، وكل ذلك كان معززاً بالصور والخرائط والبيانات، وهو الأمر الذي أثار إعجاب الرئيس كلينتون، ما دفعه إلى طلب تقديم هذا التصور أمام المساعدين المقربين له، والأجهزة المؤثرة في سياسة البيت الأبيض، ومن بينها أجهزة المخابرات الأمريكية. وستتم تلبية طلب الرئيس الأمريكي، حيث كلف الملك الحسن الثاني صديقي الجنرال عبد الحق القادري، المدير العام للدراسات والمستندات، بالقيام بهذه المهمة.



Fr Mansour BEHAR
A SUPERSTAR!

Josyf Kasper Rees
Ambassadeur

مع سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالرباط السيد جوزيف كاسبر ريد ووزير الدفاع الأمريكي السيد كاسير واينبرغر سنة 1984، وفي الصورة مولاي مصطفى العلوي وزير العدل، وأحمد بلحاج الوزير المكلف بالعلاقة مع البرلمان. تم هذا اللقاء وأنا أتولى وزارة النقل.

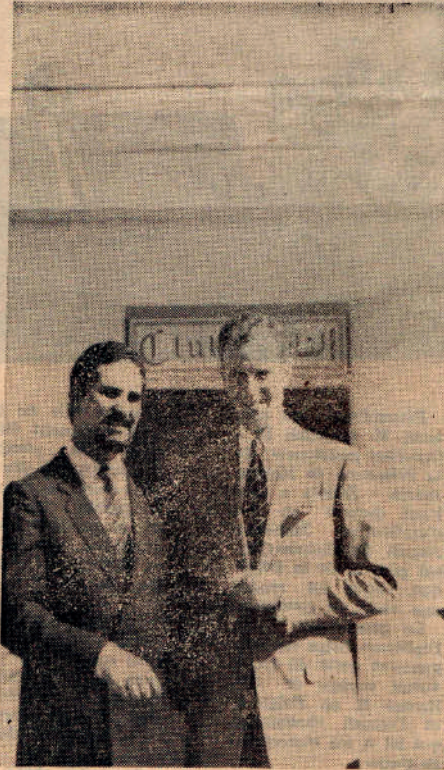


For the SUPERSTAR
a Honor Ben Ali Mansour!
From his friend, Joseph Verner Reed
1983
VILLA AMERICA

مع سفير الولايات المتحدة الأمريكية السيد جوزيف فرني ريد سنة 1984

**L'Ambassadeur des Etats - Unis
a visité le siège de l'Association
du Bassin méditerranéen**

**et rencontré son président
M. Mansouri Benali**



L'ambassadeur des Etats-Unis, M. Joseph Verner Reed, a fait une visite de courtoisie à M. Mansouri Benali, ministre des Transports et président de l'Association socio-culturelle du

Bassin méditerranéen.

Le diplomate américain a effectué par la même occasion, une brève visite au siège de l'Association du Bassin méditerranéen.

لقاء جمعي بالسيد جوزيف ثرني ريد سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالمغرب،
خلال زيارته لمقر جمعية حوض البحر الأبيض المتوسط.

Joseph Verner Reed
Ambassador of the United States of America

Rabat, le 12 avril 1985

Monsieur le Ministre et Cher Ami,

Alors que vous quittez vos hautes fonctions de Ministre des Transports, permettez-moi d'exprimer mon admiration pour les brillantes qualités avec lesquelles vous avez assumé vos responsabilités sous la direction éclairée de Sa Majesté le Roi, ainsi que mes remerciements pour l'extraordinaire coopération que vous avez apportée à cette Ambassade. Au cours de cette période de plus de quatre ans durant laquelle j'ai eu le privilège de représenter le Président Reagan auprès de ce grand Royaume, certains de mes plus grands plaisirs m'ont été offerts par l'occasion de coopérer avec des dirigeants de votre dimension.

Je vous adresse mes souhaits de succès dans vos responsabilités à venir, et j'espère avoir à présent l'occasion de vous rencontrer plus fréquemment, pour continuer d'explorer ensemble les voies par lesquelles nous pourrions rapprocher davantage encore nos peuples unis par des liens de plus de deux siècles.

Avec mes souhaits les meilleurs,

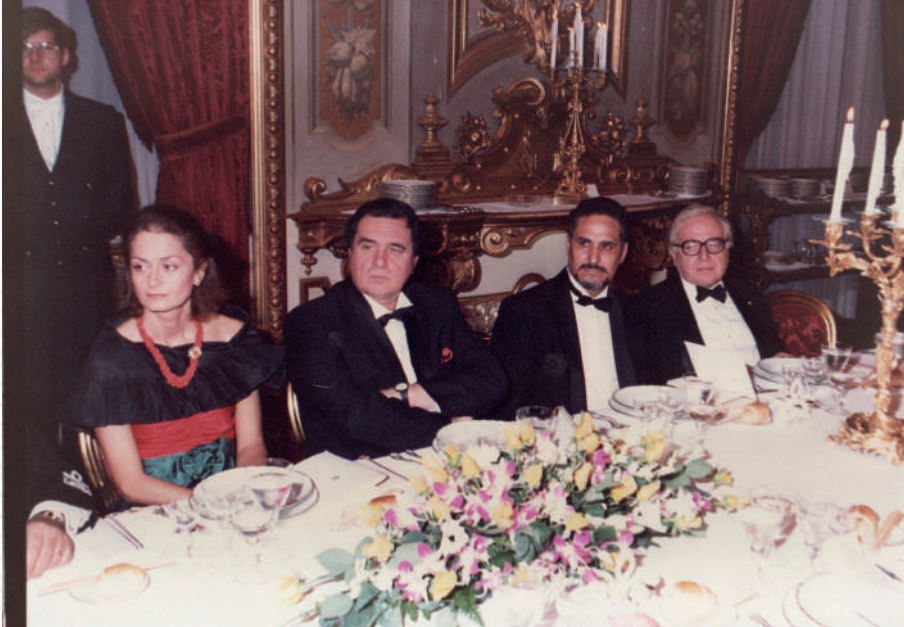
Son Excellence
Monsieur Benali Mansouri

رسالة سفير الولايات المتحدة الأمريكية جوزيف فرني ريد

في بريطانيا:

لقد رافقتُ الملك الحسن الثاني في زيارات رسمية إلى بعض دول أوروبا. كانت من بينها زيارة جلالته الرسمية إلى بريطانيا. وقد كان وصولنا لمدينة «برَايْتُنْ» (Brighton) قبل يوم الاستقبال، وقضينا فيها ليلة. وفي الصباح، انتقلنا إلى مدينة لندن العاصمة.

وقد خُصص للملك الحسن الثاني استقبال رسمي على درجة عالية من البهاء، إحدى صوره حفل عشاء رسمي في إهاب مَلْكي، وبحضور وزراء الحكومة البريطانية، وأعضاء الهيئة الدبلوماسية، والعديد من الشخصيات البريطانية، تنتمي إلى هيئات مختلفة. وكان لي شرف حضور هذا العشاء الرسمي، وما تزال عالقة بذهني بعض سمات تلك الفخامة التي أحاطت بها الملكة الراحلة إليزابيث الثانية زيارة ملك المغرب الحسن الثاني، طيب الله ثراه.



في حفل عشاء رسمي أقامته الملكة إليزابيث الثانية، ملكة المملكة المتحدة البريطانية، على شرف جلالته الملك الحسن الثاني، خلال زيارته لأنجلترا.

في البرتغال:

كانت بلاد البرتغال إحدى الدول الأوروبية التي صاحبتُ فيها الملك الحسن الثاني، خلال زيارة رسمية، قام بها إلى هذه الدولة الجارة.

تمّ ذلك زمن الرئيس البرتغالي ماريو ألبيرتو سواريز، الذي شغل منصب الرئاسة مدة عشر سنوات، من 1986 إلى 1996، والذي ربطته بجلالة الملك علاقة صداقة معتبرة، تعود إلى ما قبل تولّيه رئاسة البرتغال.



مع جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس البرتغالي ماريو ألبيرتو سواريز خلال زيارة رسمية لجلالة الملك إلى البرتغال.

بالإضافة إلى ما ميّز هذه الزيارة الرسمية من محادثات سياسية بين الملك الحسن الثاني والرئيس البرتغالي ماريو سواريز، كان لحفل العشاء المنظم على شرف ملك المغرب والوفد المرافق له طابع متميّز، رسّخت كثير من معالمه في ذاكرتي، وخاصة تلك اللحظات التي قام فيها الرئيس البرتغالي بتوشيح جلالة الملك بوسام، كما وشح في نفس الحفل بعض الشخصيات المرافقة للملك، أسعدني الحظ أن أكون أحد هؤلاء الموشّحين.



صورة لحفل استقبال الرئيس البرتغالي للوفد المغربي الرسمي.

ومما شدَّ انتباهي في هذه الزيارة، ذلك الطابع المغربي والعربي الذي تبدو ملامحه في العديد من مظاهر الحياة في بلاد البرتغال، فضلا عما تبرزه هندسة البنايات، وتخطيط الشوارع والأزقة، بما يحيلك على مرحلة من وجود الحضارة الإسلامية بهذه الديار؛ كما لمستُ في هذه الزيارة، وما أتاحتُه لي من اقتراب من فئات مجتمعية، ما يتمتع به هذا الشعب من طيبة وبساطة.

في إسبانيا:

جمعت بين الملك الحسن الثاني وملك إسبانيا خوان كارلوس علاقة صداقة كبيرة، وتبادلا الزيارات في مناسبات عديدة. من ثمَّ سنحت لي الفرصة أن أرافق جلالة الملك في إحدى زيارته الرسمية إلى الديار الإسبانية أواخر سنوات الثمانين من القرن العشرين.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في زيارة رسمية إلى إسبانيا
الصورة: أثناء السلام على ملك إسبانيا خوان كارلوس.



استقبالي من طرف الملك خوان كارلوس ملك اسبانيا في العاصمة الإسبانية مدريد،
سنة 1978

وخلال هذا السفر، رغب الملك الحسن الثاني في زيارة مدينة إشبيلية، قبل التوجه إلى العاصمة مدريد. كان جلالتة حريصا على زيارة المآثر التاريخية بهذه المدينة التي تحتفظ بالكثير من ملامح الحضارة الإسلامية، وخاصة المغربية منها كصومعة الخير الدا، وهي نسخة من صومعة الكتبية بمراكش بهندستها المعمارية، والمسجد الذي حُوّل إلى كاتدرائية، وقصر الكآزار Alcazar (القصر الملكي)، بالإضافة إلى ما يمكن أن يسترجعه زائر هذه المدينة من لحظات تاريخية مشرقة، مع المعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين زمن المرابطين. لقد احتفت السلطات المحلية لهذه المدينة بوجود الملك الحسن الثاني بها، وأقامت على شرفه حفل عشاء مصاحباً بالموسيقى الإسبانية التقليدية (الفلامينكو Flamenco).

وبعد هذه الوقفة في إشبيلية، استقبل الملك الحسن الثاني في مدريد استقبالا رسميا، مع برنامج مضبوط لهذه الزيارة، ضمنه حفل عشاء رسمي ليلة وصول جلالتة إلى العاصمة الإسبانية. وهو الحفل الذي نظمه الملك خوان كارلوس، وحضره أعضاء الحكومة الإسبانية، والهيئة الدبلوماسية، وبعض الشخصيات

السياسية الإسبانية، وكنتُ من الحاضرين ضمن الوفد الرسمي المغربي.

وتميز اليوم الثاني لهذه الزيارة بذلك اللقاء الذي جمع بين ملوك ثلاثة: الحسن الثاني وخوان كارلوس وسيميون الثاني ملك بلغاريا الذي كان يقيم في منفاه بإسبانيا، وتربطه علاقة وطيدة بالملك الإسباني، وقد سبق أن أشرتُ إلى تلك العلاقة الوطيدة التي كانت تجمع هذا الملك البلغاري المنفي بالملك الحسن الثاني. وبالنسبة لي، لم يكن سيميون الثاني شخصاً غريباً عنيّ، لقد كنتُ أصاحبه في زيارته للمغرب، حينما يكون في ضيافة الملك الحسن الثاني، وكان حديثه باللغة الإسبانية يُقرّبه منّي، ويسهل التواصل بيننا.

سيقيم سيميون الثاني حفل عشاء في إقامته الخاصة. صاحبتُ جلالة الملك إلى هذا الحفل، ضمن مجموعة محدودة جداً من المقربين (أحمد رضا أگديرة، وعبد الكريم لولو، وطيبيا جلالته: الدكتور ميثقال والدكتور بنعمر). كانت البساطة سمة هذا العشاء. حينما التحقنا بإقامة الملك البلغاري، انزوى الملوك الثلاثة في مكان خاص وانهمكوا في الحديث، ولمّا كان (الحديث ذو شجون)، فقد طال زمنه بين الملوك في تلك الليلة، ومعه طال انتظار تناول وجبة العشاء!

أزف زمن التحلّق حول المائدة، فتُودي علينا لتناول ما هُييء لنا من طعام. ولما كان الوقت متأخراً لتناول العشاء، فقد التهمنا كل ما وُضع على المائدة! قد يعتقد القاريء اللبيب أن ما قُدّم لنا كان متنوعاً وكثيراً كما قد يخطر بالبال حينما نتحدث عن حفل عشاء ينظمه الملك الحسن الثاني؟!

ليس الأمر كذلك. لقد كانت مائدة الملك البلغاري بسيطة جداً فيما احتوت عليه! بل أكثر من ذلك، لقد اعتقدنا -أنا والمصاحبون للملك الحسن الثاني- حينما وقّفنا أمام مائدة طويلة Buffet، أنّها المائدة التي أعدت لنا، وأنّ أخرى مهيئة للملوك الثلاثة! وكانت المفاجأة أنه، بعد أن أتينا على ما وجدناه أمامنا من أكل، التحق الملوك يسعون إلى المائدة لتناول عشاءهم، فوجدوها قاعاً صَفْصَفاً...!! كُنّا جازمين أن لهم خِوانهم ولنا خِواننا، لكن واقع الحال تجسّد في واحد...؟!



في استقبال السيد فيلي غونزاليس بمطار الرباط - سلا، عند أول زيارة له إلى المغرب،
بعد انتخابه وتعيينه رئيسا للحكومة الإسبانية.



استقبال جلالة الملك الحسن II لوزير خارجية إسبانيا موران
بمضور السيد محمد بوسته وزير الخارجية



مع مولاي الحسن بن المهدي ولي بنك المغرب في مدريد بإسبانيا، سنة 1982، وهو يترأس ندوة حول الربط القاري بين إسبانيا والمغرب



مع ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد (صاحب الجلالة الملك محمد السادس) في زيارة رسمية إلى مدريد (إسبانيا)

في إيطاليا:



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في زيارة رسمية لإيطاليا،
والصورة أثناء الاستقبال في روما من طرف الرئيس الإيطالي.

من الدول الأوروبية التي استقبلت الملك الحسن الثاني الجمهورية الإيطالية. فقد تمت دعوة جلالتة للقيام بزيارة رسمية إلى إيطاليا، أسعفني الحظ أن أكون أحد أعضاء الوفد المرافق لجلالتة خلال هذه الزيارة، وكان وجودي ضمن المرافقين، باعتباري عضواً في الديوان الملكي.

وقد أُحييت هذه الزيارة بكل ما يليق بمكانة جلالة الملك، ومستوى العلاقات التي تربط المملكة المغربية بإيطاليا. وقد تمّ الاستقبال الملكي في القصر الرئاسي بروما، ثم نُظّم حفل عشاء على شرف جلالة الملك والوفد الرسمي المصاحب له. وفي اليوم الموالي، استُقبل جلالتة من طرف بابا الفاتيكان.

في جمهورية مصر العربية:

تمت هذه الزيارة لجمهورية مصر العربية، قبل وفاة الملك الحسن الثاني بأشهر قليلة، وقد سبق لجلالة الملك أن زار هذا البلد العربي الشقيق، زمن الرئيس المصري حسني مبارك، الذي كانت تجمعهم علاقة خاصة وقوية بجلالته. ورغم الوضعية الصحية للملك، فقد قام بهذه الزيارة وفاءً للوعد الذي قدمه للرئيس المصري خلال زيارته الرسمية للمملكة المغربية.

لقد كانت زيارة على درجة عالية من حيث البروتوكول الذي حُصِّص لجلالة الملك، حيث قام الرئيس المصري باستقبال جلالته -قبل وصوله إلى مقر الرئاسة- بمختلف الفرق العسكرية، وأقام حفل عشاء رسمي على شرفه. وخلال هذه الزيارة، دارت مباحثات رأساً لرأس بين الملك الحسن الثاني والرئيس المصري حسني مبارك. وما تجدر الإشارة إليه بالنسبة لهذه الزيارة أن أفراد الوفد الرسمي المغربي كان محدود العدد، ومدتها قصيرة.



في حفل استقبال نظمه جلالته الملك الحسن الثاني في مدينة مراكش، على شرف الرئيس المصري حسني مبارك خلال زيارته الرسمية للمغرب.



مع السيدة أم كلثوم في زيارتها للمغرب سنة 1968، حفل استقبال.



خلال زيارة إلى جمهورية مصر العربية في مهمة باعتباري وزيراً للنقل.
جولة للوقوف على بعض المآثر نظمها لنا مسؤولون من الدوائر المصرية

في فرنسا:

من المعلوم أن زيارات الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه إلى الديار الفرنسية كانت متعددة، منها الرسمي وغير الرسمي. وهذا التردد الكثير على البلاد الفرنسية يعكس طبيعة العلاقة التي تجمع بين البلدين، ثم لتلك الروابط المتشعبة التي كانت للملك الحسن الثاني مع شرائح مختلفة من المجتمع الفرنسي، منها ما له ارتباط بعالم السياسة، أو الاقتصاد، أو الإعلام، أو الثقافة.... إلى غير ذلك؛ دون أن ننسى تلك العلاقات المتميزة والخاصة التي كانت تجمع بين جلالة الملك وبعض رؤساء الجمهورية الفرنسية، ومنهم الرئيس جاك شيراك منذ كان عمدة باريس. ومما يعكس خصوصية هذه العلاقة المغربية-الفرنسية، أن آخر زيارة لملك المغرب الحسن الثاني، قبل وفاته بأيام قليلة، طيب الله ثراه، كانت إلى باريس.

وقد أتاحت لي مهامي في الديوان الملكي مرافقة جلالة الملك إلى فرنسا، في مناسبات عديدة، سواء تلك التي تمت في إطار الزيارات الرسمية لهذا البلد، أم تلك التي اكتست طابعا خاصا، وهذه الأخيرة كانت أحيانا تمتد في الزمن لمدة قد تستغرق شهراً كاملاً.

وإذا كانت الزيارات الرسمية تخضع لبرنامج مضبوط، وتشغل فيه مصالح الدولتين الحيز الأكبر، من خلال ما يتم من لقاءات أو ما يوقع بين المسؤولين من اتفاقيات، فإن الزيارات الخاصة لجلالته لم تكن تخلو من أنشطة ذات طابع سياسي أو ثقافي أو اجتماعي. وفي هذا الباب، يمكن أن أشير إلى تحقيق أمنية الكاتب الفرنسي ألان ديكو Alain DUCAUX، عضو الأكاديمية الفرنسية، ورئيس جمعية أصدقاء الكاتب الفرنسي ألكسندر دوما Alexandre DUMAS، وتمّ تبليغ هذه الأمنية لجلالة الملك، بوساطة من السيد موريس دريون Maurice DRUON، أمين السر الدائم للأكاديمية الفرنسية Secrétaire Perpétuel de l'Académie Française، الذي ربطته علاقة صداقة بالملك الحسن الثاني، وتمثلت رغبة ديكو DUCAUX في ترميم منزل هذا الكاتب الشهير، وهو القصر

المعروف باسم Château Monte Cristo، الذي غدا مهجوراً ويحتاج إلى إصلاحات لإحيائه. تقدم ديكو DUCAUX بطلب الترميم إلى الملك الحسن الثاني، الذي استجاب لهذا الطلب، لتم الإصلاحات على نفقته الخاصة. ومن الجميل في عملية الترميم هاته، إدخال لمسات ذات طابع مغربي، مؤسّسة على الأصيل من صناعاتنا التقليدية المغربية، باستخدام الخشب المنقوش، والجص، والزليج...

وبعد انتهاء الأشغال، قام الملك الحسن الثاني بزيارة استطلاعية للقصر، رفقة السيد دريون DRUON والكاتب الفرنسي ديكو DUCAUX -وكنْتُ من بين الحاضرين في هذه الزيارة- فخامرنا شعور، ونحن ندلف داخل المكان، بأننا نجول في فضاء مغربي أصيل.

وإن شئت أن أعرض نموذجاً مما قدّمه جلالة الملك في المجال الاجتماعي، ضمن أنشطته التي يقوم بها في هذه الزيارات الخاصة لفرنسا، فإنّي أسوق مثلاً مما عايشته في مدينة بيتز Betz؛ هذه المدينة الفرنسية الصغيرة، كان منتخبوها ينتظرون بشوق زيارة الملك الحسن الثاني، لما يجدون من أريحية جلالته، تساعدهم على إنجاز بعض الإصلاحات لمرفق من المرافق الاجتماعية لمدينتهم.

ومما يتصل بأنشطة جلالته خلال وجوده بفرنسا، تلك التي لها ارتباط قوي بأوضاع الجالية المغربية المقيمة في فرنسا. وإني لأذكر أن الملك الحسن الثاني، في إحدى زيارته الخاصة إلى باريس، قد استقبل ممثلي الجالية المغربية، ولفت نظري خطاب جلالته لهؤلاء، والذي كان محمّلاً بالحض على المحافظة على ثوابت الشخصية المغربية. كنتُ أستمع إلى الحسن الثاني وهو يؤكد على ضرورة تمسك المغاربة المقيمين بفرنسا بدينهم ولغتهم وتقاليدهم، التي تشكل دعائم لهويتهم المغربية الأصيلة، كما كان يلح على ضرورة احترام قوانين وتقاليدهم الدول المستقبلية لهذه الجالية. لقد كانت السلطات الفرنسية تسعى إلى تذويب المهاجرين داخل المجتمع الفرنسي، وفي إحدى المناسبات التي جمعت الملك الحسن الثاني والرئيس الفرنسي جاك شيراك -وهو صديق حميم لجلالته- تحدث الملك عن هذا الجانب، موضحاً لصديقه شيراك، أن الدول الأوروبية لن تستطيع

صَهْر المغاربة في بوتقة مجتمعاتها، مؤكِّداً أن المغاربة سيظلون مغاربة، وأن ما وُضع من إجراءات لتحقيق ذلك الهدف، لن يجد إلى نفوس المغاربة سييلاً.

ولما كانت الصداقة التي تجمع بين الملك الحسن الثاني، والرئيس الفرنسي جاك شيراك تتميز بعمقها وامتدادها في الزمن، فقد كانت اللقاءات بينهما متعددة. وحينما يكون جلاله الملك في زيارته الخاصة لباريس، يتردد كل منهما على إقامة الآخر، بل كثيراً ما جمعتهما جلسات عشاء، يقيمها هذا الطرف أو الآخر، وتكتسي طابعا من الحميمية التي تعكس صورة صداقة متينة بين الرجلين. وكان الرئيس الفرنسي جاك شيراك من الشخصيات السياسية التي التقاها الملك الحسن الثاني قبل وفاته بمدة قصيرة. تمّ ذلك من خلال حضور جلاله الملك حفلات العيد الوطني الفرنسي في مدينة باريس، يوم 14 يوليوز 1999.

*** **



في مطار مراكش أثناء استقبال الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران،
خلال زيارة رسمية للمملكة المغربية.



٧٨٨ - حديث عن بعض
المفاهيم التي كلّفنا بها
الملا الحسن الثاني



حينما كان الملك الراحل الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يُعيّني في مناصب وزارية، لم تكن مهامي مقصورة على ما يرتبط بشؤون الوزارة التي تُسند إليّ، بل كان رحمه الله، يكلفني بين الحين والآخر، ببعض المهام الخاصة لدى بعض ملوك ورؤساء الدول، في قضايا يرغب، طيب الله ثراه، أن أكون حاملاً رسائلها، التي تتخذ في الأغلب الأعم، صيغة الشفوية، لما تتسم به مواضيعها من سرية ومحدودية دائرة الاطلاع. ولقد كنتُ شديد الاعتزاز بهذه الثقة المولوية السامية، التي كنتُ أحظى بها من طرف جلالته.

سمحت لي هذه الخطوة، بلقاء بعض ملوك وأمراء ورؤساء دول مختلفة، أدّيتُ خلالها ما أسند إليّ من مهام، كانت تُكلّل دوماً -بعون من الله وتوفيقه- بما يرضي ملكنا، ويحقق المأمول لخدمة وطني.

وأودُّ أن أشرك معي القاريء المفترض في الاطلاع على تلك المهام، وما كان يحيط بها من أجواء، وأحياناً بعض ما لم يكن في الحسبان !

أ- مهام في الدول العربية والإسلامية:

في الجمهورية الجزائرية:

من الدول التي زرتها في إطار مهامي الوزارية، الجمهورية الجزائرية. فقد كلفني الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، بترأس الوفد المغربي -وأنا يومئذ وزير للنقل- لحضور اجتماع وزراء النقل والمواصلات العرب. كان ذلك في بداية سنوات الثمانين من القرن الماضي. حضرتُ هذا الاجتماع والعلاقة المغربية الجزائرية متوترة. وقد حظيتُ باستقبال من طرف الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، ضمن حفل الاستقبال الذي خصّصه لكل رؤساء الوفود المشاركة، وكذا حضوري في حفل العشاء الذي نظمه الرئيس بالمناسبة.



مع جلالة الملك الحسن الثاني في لقائه مع الرئيس الجزائري على الحدود المغربية الجزائرية، بوساطة خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز.

أما الزيارة الثانية لهذا البلد، فقد تمت في إطار زيارة رسمية للملك الحسن الثاني لحضور القمة العربية في زرّالدة بالجزائر، على عهد الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، وكانت في شهر يونيو 1988.

وعلى هامش هذا المؤتمر، جاء اجتماع قادة دول المغرب العربي الكبير لوضع اللبنة الأولى لتأسيس «اتحاد المغرب العربي». كان الملك الحسن الثاني قد سافر على متن الباخرة «مراكش»، واتخذ منها مقراً له طيلة إقامته هناك. أما الوفد المرافق لجلالته، فقد تمت استضافته في الفندق، وهو فندق يعتبره المنظمون للمؤتمر من أفضل الفنادق التي تتوفر في البلاد...!! لكن سُنْجَاجاً بالمستوى المتواضع لإقامتنا! ويكفي أن أشير إلى أمر واحد للدلالة على ذلك. لم يكن الفندق الذي أعدّ لنا، يتوفر على الماء !!

وفدٌ رسمي يحضر مع جلالة الملك مؤتمر قمة عربية، يجد نفسه في عُرف يُتكرّم عليهم بسطل - أقول بسطل - مِيء ماء، وهو كل ما لدينا من هذه المادة الحيوية، وعليك تدبير الأمر بما تراه مناسباً...!!



جلالة الملك الحسن الثاني مع الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد،
بمدينة إيفران بعد رحلة الصيد.



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في رحلة صيد بغابات مدينة إيفران،
صحبة الرئيس الجزائري الشادلي بن جديد.

في تونس:

كُلفني الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، بتبليغ رسالة شفوية إلى الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة. استقبلني فخامة الرئيس في قصر الرئاسة، وكان يصحبني في هذا الاستقبال سفير المملكة المغربية في تونس. أبلغتُ الرئيس الحبيب بورقيبة الرسالة الشفوية التي كُلفتُ بحملها، وكانت مشفوعة بالثناء على مكانة الرئيس التونسي لدى أخيه جلالة الملك. وقد سمعتُ من الرئيس الحبيب بورقيبة تنويهاً كبيراً بشخصية الحسن الثاني، ودوره في الحقل السياسي العربي والإسلامي والدولي، وهو ما طلب منِّي الرئيس التونسي نقله إلى جلالة الملك.



استقبالي من طرف الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة، وكنت مكلفاً بمهمة من طرف جلالة الملك الحسن الثاني لدى فخامة الرئيس.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن علاقة الزعيم الحبيب بورقيبة بالمغرب وحياته السياسية تعود إلى زمن مكافحة الاستعمار، ومعلوم لدى الأوساط السياسية المغربية خاصة، والعربية عامة، تلك العلاقة الخاصة التي كانت تربط بين الزعيم الحبيب بورقيبة، والمجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي، زمن المنفى ووجودهما معاً في القاهرة.



في استقبال الرئيس التونسي زين العابدين بنعلي، خلال زيارة للمغرب، ويظهر في الصورة صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (صاحب الجلالة الملك محمد السادس).



مع الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري في أحد اللقاءات بتونس

في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى:

هكذا كان الاسم الرسمي للقطر الليبي يوم زرته مكلفاً بمهمة من طرف الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. كان معمر القذافي يومئذ رئيس الدولة. كانت مهمتي إيصال رسالة شفوية إلى السيد الرئيس. حينما وصلت إلى ليبيا، لم يستقبلني الرئيس معمر القذافي مباشرة، بل لم يتم الاستقبال إلا بعد وصولي بيومين، كنتُ خلاهما مقيماً في أحد فنادق طرابلس العاصمة. وقبل يوم من ذلك اللقاء، زارني السيد أحمد قذاف الدم، وهو ابن عم الرئيس معمر القذافي، وأحد أهم «رجال الخيمة» كما تتم تسميتهم هناك، أي من المقربين داخل الدائرة الضيقة للرئيس، بالإضافة إلى مسؤوليته الكبيرة في جهاز المخابرات الليبي، وكان كثير الزيارات للمغرب. جلسنا نتجاذب أطراف الحديث داخل الفندق، حيث أقيم، بحضور سفيرنا بليبيا، مولاي إدريس العلوي. وكان مما حدثني به، ما يكُنُّه من كراهية للولايات المتحدة الأمريكية، منصرفاً إلى تعداد ما يمكن لبلاده أن تُلحقه بأمريكا من أضرار، وما يمكن أن تخلق لتلك الدولة من مشاكل...!

كنتُ أنصت للسيد قذاف الدم بكل اهتمام، لما كان يستعرضه من مواقف وآراء تُجاه أمريكا، عبر سرد لم يُخلُ من انفعال، حتى إذا انتهى من كلامه، خاطبته بقولي: هل يعلم السيد قذاف الدم أنه يتحدث عن دولة عظمى اسمها الولايات المتحدة الأمريكية، ثم أضفت: إنك تتحدث عن أمريكا...؟! ثم زدتُ قائلاً: إن الضغط من واشنطن على زرٍّ واحد من ترسانة الأسلحة الأمريكية كافٍ لمحو «الجماهيرية» من الخريطة!؟

كان جوابي صادمًا للسيد قذاف الدم، الذي انعكست آثار الصدمة على ملاحظته.



ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد (صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله) في جلسة مع الرئيس الليبي معمر القذافي في زيارة رسمية للمغرب، وفي الصورة السيد المنصوري بنعلي والسيد المحجوبي أحرسان.

في اليوم الذي تقرر فيه استقبالي من طرف الرئيس معمر القذافي، جاءني مدير التشريفات ليأخذني بسيارته إلى حيث اللقاء. كان المكان المقرر لاستقبالي عبارة عن مزرعة كبيرة تقع في ضواحي العاصمة. عند وصولنا، ظلّ مدير التشريفات يذرع المزرعة طولاً وعرضاً، لم يعرف المكان بالضبط المخصص للاستقبال، حتى لاحظت له خيمة منتصبة في إحدى الزوايا، فخاطبني: قد يكون السيد الرئيس في تلك الخيمة!؟

قصدنا الخيمة، وكانت خيمة كبيرة، وفي مدخلها وُضع مجُمر وعليه بُقْراج (مُقْراج). كان الرئيس معمر القذافي واقفاً بمفرده داخل تلك الخيمة، بلباس يثير الانتباه، عبارة عن «سترة من الجلد (Veste)». لم يكن في الخيمة أحد سواه!

تبادلنا اللام مرحّباً، ثم التفت إلى مدير التشريفات الذي رافقني، وسأله: من أنت؟



مع المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله،
في رحلة ملكية على ظهر الباخرة «مراكش» أثناء الزيارة الرسمية لليبيا

بدأت معالم الدهشة واضحة على مرافقي، أجب: أنا مدير التشريفات !
ردَّ الرئيس: ولكن ... أين الآخر؟
كان يسأل عن مدير التشريفات السابق، وكان الرئيس معمر قد نَحَاه
وعَيَّن مكانه هذا الذي رافقني بسيارته !
فجاء الجواب: لقد عَيَّنْتَنِي مكانه !

بعد ذلك سينصرف مدير التشريفات ليتركني على انفراد في لقائي
بالرئيس معمر القذافي. كنتُ رأساً لرأس مع السيد الرئيس، في فضاء مزرعة
لا توجد بها أية بناية، خيمة كبيرة ليس غير !

لم يصاحبني في هذا اللقاء سفيرنا في ليبيا. أما مدير التشريفات، فقد
عاد إلى سيارته، ظل ينتظر إلى أن انتهى زمن استقبالي، لأعود صحبته إلى
الفندق حيث أُقيم.

أبلغتُ الرئيس معمر القذافي فحوى الرسالة الشفوية التي حملتها إليه من الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وبعد حديث دار بيننا، سيختم السيد الرئيس حديثه بقوله: إن جميع الشؤون في «الجماهيرية» بيد اللجن الشعبية، فهي التي تحكم، وكان يرغب في إشعاري، وكأن لا دخل له في تسيير دفة الحكم في البلاد!

وقد طلب مني الرئيس معمر القذافي أن أبلغ جلالة الملك التقدير الكبير الذي يُكَنُّه لجلالته. ويأتي هذا الإفصاح عن التقدير للملك الحسن الثاني من طرف الرئيس معمر القذافي، بعد أن كان هذا الأخير قد خلق للمغرب مشاكل عديدة، من بينها تَبَنِّيهِ للانفصاليين «البوليساريو»، الذين احتضنهم، وموَّلهم بالمال وزوَّدهم بالسلاح، إلى جانب الدعم السياسي في المحافل الدولية، قبل «عودة الوعي»، والتخلي عن هؤلاء المرتزقة، لتحتضنهم الجزائر، في انتظار عودة وعي ثانية...!

وما دام الحديث مرتبطاً بالجماهيرية العربية الليبية، فإني أودّ أن أشير إلى زيارة ثانية لهذا البلد العربي، رافقتُ فيها الملك الحسن الثاني، أثناء قيامه بزيارة رسمية لليبيا.

كان السفر عبر البحر، على متن الباخرة المغربية «مراكش». وقد صاحب جلالة الملك في هذه الرحلة بعض رؤساء الأحزاب السياسية المغربية (محمد بوستة، أحمد عصمان، علي يعقبة)، ومن المستشارين: أحمد رضى أكديرة، محمد عوَّاد، إدريس السلاوي، وعبد ربه. ومما ظلَّ عالماً بذهني من هذه الرحلة، أننا صادفنا في الذهاب أحوالاً جوية متقلبة، جعلت الباخرة تترنح بين أمواج البحر بشكل أدّى إلى انقلاب الطاولات داخل القاعات التي كنّا نجلس فيها، ثم شيوع حالات القيء بيننا، وهذه وضعية لم أعشها قط، عبر كل رحلاتي البحرية.

في جمهورية مصر العربية:

في مرحلة حكم الرئيس المصري حسني مبارك، كلفني الملك الحسن الثاني بتبليغ رسالة شفوية إلى فخامة الرئيس. وحينما وصلت إلى القاهرة، حُدِّد لي موعد اللقاء على الساعة التاسعة صباحاً. وقبل الموعد المحدد بربع ساعة، كنتُ داخل قصر الرئاسة، وهو نفس التوقيت الذي وصل فيه الرئيس حسني مبارك، على متن طائرة الهيلوكوبتر، التي نزلت داخل ساحة القصر الذي لم يكن الرئيس يسكنه.

تمَّ استقبالي من طرف الرئيس حسني مبارك، وأبلغتُه تلك الرسالة الشفوية التي كُفِّتُ بها، وتبادلنا الحديث حول العلاقات الوطيدة التي تجمع بين مصر والمغرب، وأحسستُ من خلال ذلك الحديث، مدى التقدير الكبير الذي يُكِنُّه الرئيس المصري لجلالة الملك الحسن الثاني، كما أنَّي خَلَلْتُ حديثي بمشاعر الودِّ والتقدير، اللذين كُفِّني جلالته الملك بنقلهما إلى فخامة الرئيس وعبره إلى الشعب المصري.

كانت لي زيارة أخرى لجمهورية مصر العربية، سبقت الإشارة إليها، تمت كذلك في عهد الرئيس حسني مبارك، حينما رافقتُ الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وكانت آخر زيارة رسمية لجلالته لمصر، قبل ثلاثة أشهر من وفاته، قدَّس الله روحه، سنة 1999، وكان الوفد المرافق محدود العدد.

في الجمهورية العربية السورية:

من المهام الخاصة التي كُفِّني بها الملك الحسن الثاني، طيَّب الله ثراه، تبليغ رسالة شفوية إلى الرئيس السوري حافظ الأسد. وحينما حللتُ بالعاصمة السورية دمشق، أُخبرتُ أن السيد الرئيس يقضي فترة نقاهة، بعد خروجه من المستشفى، حيث كان يعالج من وعكة صحية ألمَّت به.

ترتَّب على هذا الأمر تأجيل استقبالي من طرف الرئيس حافظ الأسد، لم يكن المشرفون على مثل هذه المهام، على يقين من أن استقبالي سيكون من

طرف السيد الرئيس، أو من سينوب عنه، وكذا موعد هذا الاستقبال ؟

انتظرتُ مدة ثلاثة أيام قبل أن يحسم في أمر هذا الاستقبال وطبيعته. حيث استقبلني السيد عبد الحلیم خدام، وزير الخارجية، وأحد المقربين جدًا من الرئيس حافظ الأسد. دار بيننا حديث متشعب، بيد أن ما علق بذاكرتي إلى اليوم، وأثار استغرابي لحظة حدوثه، هو ذلك السؤال الذي وجهه لي، والحديث يدور حول القضية الفلسطينية، ليفاجئني بقوله: لماذا هذه المساندة الكبيرة التي يقدمها الملك الحسن الثاني لياسر عرفات؟! سؤال له دلالتة، وطبّيه مواقف سياسية، تكشف عما كان يحيط بالقضية الفلسطينية من صراعات بين الأجنحة المختلفة.



استقبالي من طرف الرئيس السوري حافظ الأسد في دمشق حاملا إليه رسالة من جلالة الملك الحسن الثاني.

وخلال هذه المدة من حالة الانتظار، استقبلني كذلك السيد رفعت الأسد، أخ رئيس الجمهورية ونائبه في نفس الآن، إلى جانب عضويته في القيادة القطرية لحزب البعث. تمّ استقبالي في قصره، وتحت بروتوكول أكبر بكثير مما وجدته عند رئيس الدولة نفسه!

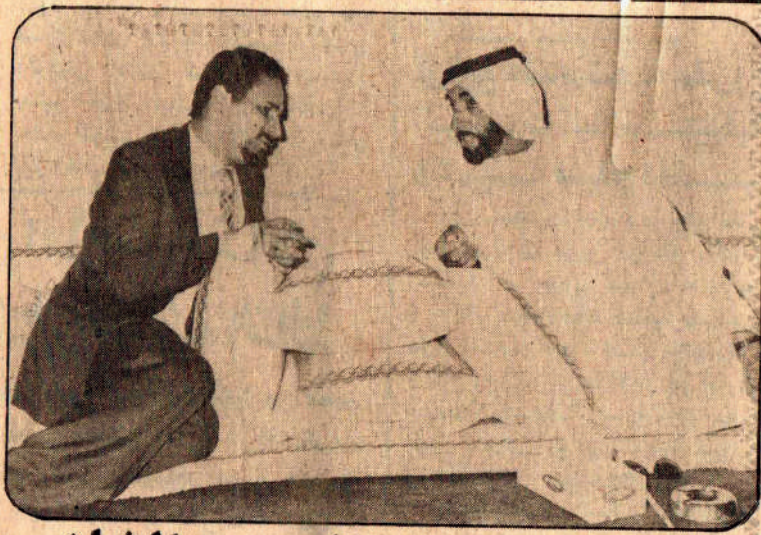
والذي لفت انتباهي في هذا البروتوكول أن أغلبية حرس الأمن القريب من نائب الرئيس، تتشكل من النساء. وفي هذا السياق، أشيرُ إلى أن السيد رفعت الأسد من الشخصيات السياسية السورية، التي ربطت علاقة خاصة بالملك الحسن الثاني.

وبعد مرور ثلاثة أيام، وتعافي رئيس الدولة، سأكون أول من استقبله السيد الرئيس حافظ الأسد، بعد قيامه من وعكته الصحية. أبلغته الرسالة الشفوية التي جئتُ أحملها من الملك الحسن الثاني، ودار بيننا حديث حول العلاقة الأخوية التي تربط بين البلدين، وأسهب الرئيس حافظ الأسد في الإشادة بمساهمة الجيش المغربي في التصدي للعدوان الإسرائيلي، في حرب أكتوبر 1973، منوهاً ببسالة الجنود المغاربة في معركة الجولان، وحمّلي رسالة شفوية إلى جلالة الملك، كلها تقدير وثناء على الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه.



حديث مع الرئيس السوري حافظ الأسد، خلال زيارتي لدمشق مكلفاً بمهمة من طرف جلالة الملك الحسن الثاني.

في دولة الإمارات العربية المتحدة:



رسالة إلى زايد من الحسن الثاني حول التطورات العربية والإسلامية وتعزيز العلاقات بين البلدين

تسلم صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة . رسالة خطية من جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية الشقيقة ، تتعلق بتعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين في مختلف المجالات ، إضافة إلى التطورات الراهنة على الساحتين العربية والإسلامية والقضايا الدولية ذات الأهمية المشتركة .

استقبال صاحب السمو رئيس الدولة له قبل ظهر أمس باستراحة الخزنة ، وحضر المقابلة معالي محمد سعيد الملا وزير المواصلات ، وسعادة محمد فهد الدحيم سفير دولة

الإمارات في الرباط ، وسعادة عبد العزيز

(البقية ص - ٦)

كما تضمنت الرسالة دعوة صاحب السمو رئيس الدولة لزيارة المملكة المغربية ، وقد قبلها سموه شاكراً ووعده بتبليتها في الوقت المناسب .

وقام بتسليم الرسالة معالي المنصور بن على وزير المواصلات والنقل المغربي . خلال

زيادة مرتبات العاملين بحكومة الفجيرة

بأثر رجعي اعتباراً من مارس

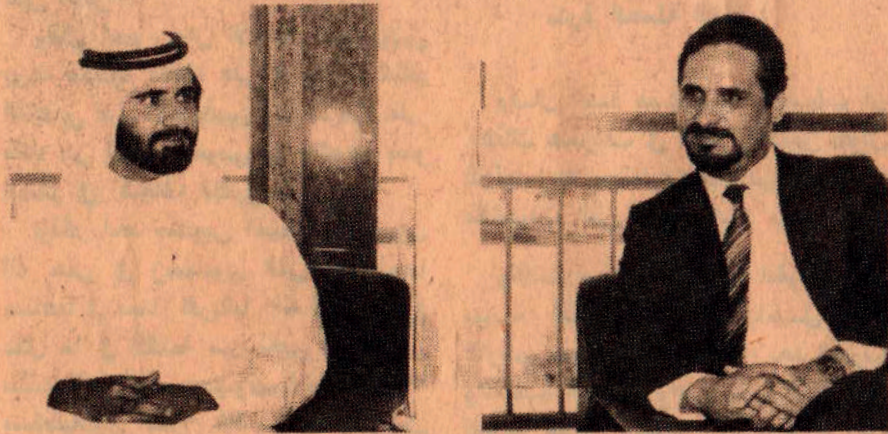
حديث مع صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، في مهمة كلفني بها جلالة الملك الحسن الثاني لدى صاحب السمو.

كلنا يعلم عمق العلاقة التي تجمع بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات العربية المتحدة، في مستويات متعددة، وزاد من رسوخ هذه العلاقة ما كان يجمع بين جلالة الملك الحسن الثاني وصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان، من تقدير واحترام متبادلين، بين زعيمين عربيين، تميزت علاقتهما بطابع خاص.

صادفتُ زيارتي إلى دولة الإمارات، لإبلاغ الرسالة الشفوية الخاصة من الملك الحسن الثاني إلى صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان، فتح أول خط جوي مباشر بين الدار البيضاء وأبو ظبي.

حظيتُ باستقبال من طرف رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، الذي تمّ في مدينة «العين»، في مزرعة هناك. لقد سمعتُ من السمو الشيخ زايد بن سلطان، ثناء كثيراً على الملك الحسن الثاني، يشي بالتقدير الكبير لجلالته.

محمد بن راشد يستقبل وزير النقل المغربي



استقبل الشيخ محمد بن راشد وزير الدفاع بمكتبه صباح امس المنصور بن علي وزير المواصلات والنقل المغربي الذي يزور البلاد حالياً .
وحضر المقابلة محمد سعيد الملا وزير المواصلات وعبدالعزیز المتوي المشكوري السفير المغربي لدى الدولة .

مع الشيخ محمد بن راشد بن سعيد آل مكتوم، وزير الدفاع الإماراتي حاكم إمارة دبي، خلال زيارتي لدولة الإمارات العربية المتحدة.

وقد أعربتُ بدوري خلال الحديث الذي دار بيننا عن الودّ العميق الذي يحفظه جلاله الملك لأخيه صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان، وإشادته بحكمته وتبصره في إدارة شؤون العديد من القضايا داخليا وخارجيا، وكان ما أفصحتُ عنه في حديثي مع صاحب السمو، جزءاً من الرسالة الشفوية التي حملتها من ملكي إلى أخيه الشيخ زايد بن سلطان، رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة الشقيقة.

ومما كلفني به صاحب السمو لنقله إلى أخيه جلاله الملك، أن دولة الإمارات العربية المتحدة على استعداد لتقديم كل المساعدات، والاستجابة لكل الطلبات التي يرغب فيها جلاله الملك، ويراها مساهمة في خدمة رقي الشعب المغربي، وتحقيق رفاهيته، بل أكد صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان -طيّ الرسالة الشفوية التي حملني إيّاها- استعداد دولة الإمارات للمساهمة بشكل أكبر في كل المشاريع الاجتماعية التي أطلقها أو التي سيطلقها صاحب الجلالة، لتحقيق التنمية المنشودة. لم يكن الأمر بالنسبة لي مفاجئاً، لما أعرّفه من عمق الروابط الأخوية التي تجمع بين الحسن الثاني والشيخ زايد، والتي تجسدت في مستويات متعددة، تظهر جانب منها في جهاز الأمن الشخصي للشيخ زايد بن سلطان، والذي تشكّله وتؤطره عناصر مغربية. والحق أن صورة التعاون المغربي الإماراتي زمن الشيخ زايد بن سلطان تعتبر نموذجاً راقياً لما ينبغي أن يسود بين كل الدول العربية.



مع جلالة ملك الأردن عبد الله بن الحسين، خلال زيارة رسمية
لجلالة الملك الحسن الثاني إلى المملكة الأردنية الهاشمية.



مع الرئيس العراقي صدام حسين أثناء زيارته للمغرب .



مع الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات داخل الطائرة، في الطريق إلى فاس
للقاء جلالة الملك الحسن الثاني.

في جمهورية تركيا:

في إطار المهام التي كان الملك الحسن الثاني، يسندها إليّ خارج مسؤولياتي الوزارية، أرسلني، طيب الله ثراه، إلى جمهورية تركيا، حاملاً رسالة إلى الرئيس التركي كنعان إيقرن «Kenan Evren».

كان وصولي إلى العاصمة التركية عشية، وحُدّد لي موعد استقبالي من طرف رئيس الدولة، صباح اليوم الموالي. تمّ الاستقبال في العاصمة «أنقرة» بالحفاوة التي تليق بالمملكة المغربية. وقد سمعتُ من الرئيس التركي تنويهاً كبيراً بجلالة الملك الحسن الثاني، وإشادة بتاريخ المملكة المغربية، ونفس التقدير أبلغته لفخامة الرئيس التركي، طيّ الرسالة التي حملتها إليه من جلالة الملك.

وباعتباري مبعوثاً خاصاً لجلالة الملك وحاملاً رسالة إلى فخامة رئيس الجمهورية التركية، نظم لي فخامته زيارة لمدينة إسطنبول، اطلعتُ خلالها على أهم المآثر التاريخية والمزارات المشهورة، مثل آيا صوفيا وطوب كابي والبازار الكبير في هذه المدينة، وغيرها من الأماكن.

ب- مهام في الدول الإفريقية:

في الغابون:

علاقة المغرب بالغابون متميزة، رسّختها وأضفت عليها هذه الخصوصية، ما كان يربط الرئيس الغابوني الحاج عمر بانغو بجلالة الملك الحسن الثاني، من صلات أخوية عميقة، وما كان يكتُّه الرئيس الغابوني من مودة وتقدير لجلالة الملك، فضلاً عن حبه الكبير للمملكة المغربية.

لكل ذلك، كان الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يولي اهتماماً كبيراً لتطوير وتعميق الروابط بين البلدين، في مستويات متعددة، ومن خلال مهام خاصة.



مع المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس الغابوني الحاج عمر بانغو.

في هذا الإطار، كلفني جلالة الملك بتمثيله في احتفالات دولة الغابون بعيدها الوطني، وحمل رسالة شفوية خاصة إلى الرئيس الحاج عمر بانغو.

حينما وصلتُ إلى العاصمة الغابونية «ليبروفييل Libreville»، صادفتُ أمطاراً غزيرة وقوية. سألت سفيرنا هناك، السيد مولاي إدريس العلوي: كيف ستُنظَّم احتفالات العيد الوطني، تحت هذه الأمطار الغزيرة، خاصة وأن ضمن هذه الاحتفالات استعراض كبير في العاصمة؟ كانت تجربة السفير مولاي إدريس العلوي في بلاد الغابون طويلة، ربما تجاوزت عشر سنوات، ومن ثمَّ أخبرني بأن هذه الظاهرة طبيعية جداً في الغابون، وزاد شارحاً: حينما يقترب يوم الاحتفال بالعيد الوطني الغابوني، فإن السماء تمطر بشكل لافت، لكنها صباح يوم الاحتفال تتوقف الأمطار! هذه الظاهرة -يقول السيد السفير- رصدتها منذ وجودي في العاصمة الغابونية! كيف يمكن تفسيرها.... ليس لديَّ جواب! ولكن هذا واقع الحال كما رصدته.

وفعلاً... في صباح اليوم الموالي لوصولي إلى «ليبروثيل»، توقفت الأمطار، وحضرتُ الاستعراض المقرر الذي استغرق زمناً لم أضعه في الحسبان ! بدأ الاستعراض في الساعة العاشرة صباحاً، لينتهي في الساعة السادسة مساءً...؟!!

لقد مرت أمام رؤساء الدول وممثلهم والهيئات الدبلوماسية وغيرها، كل ما يمكن أن يخطر على البال، من فرق عسكرية بمختلف أصنافها، هيئات مدنية.... إلى غير ذلك !

في اليوم الموالي، سأحظى باستقبال من طرف الرئيس الحاج عمر بانغو، في قصر الرئاسة بالعاصمة، حوالي الساعة الواحدة زواياً. تمّ هذا الاستقبال في مكتب الرئيس. والذي لفت انتباهي في تلك اللحظة، هو غرابة المكان، لقد كان شكل مكتب الرئيس بتجهيزاته وطريقة تزيينه (Décoration) مثيراً ! بلغتُ الرئيس الغابوني الرسالة الشفوية، التي كلفني جلالة الملك الحسن الثاني بإيصالها.

دار بيني وبين الحاج عمر بانغو حديث طويل. لم يفاجئني ما سمعته من إطراء وتقدير لجلالة الملك، وما عبّر عنه السيد الرئيس من محبة لبلاد المغرب. فلقد كنتُ على علم بالعلاقة المتميزة بين البلدين، والصدقة الخاصة بين الرئيس الغابوني وملك المغرب، وقد تعددت زيارات الحاج عمر بانغو إلى بلادنا، وخاصة حينما شيّد إقامته الشخصية في الرباط.

انتهى هذا اللقاء الخاص، لأحضر في المساء حفل عشاء رسمي، نظمه رئيس الدولة على شرف رؤساء الدول وممثلهم، الذين شاركوا دولة الغابون احتفالها بذكرى عيدها الوطني.

ولقد كانت لي زيارة أخرى لدولة الغابون، صاحبُ خلالها الأمير مولاي المهدي العلوي، الذي كان يشغل يومئذ منصب والي بنك المغرب، والذي كلفه جلالة الملك بتمثيله ورئاسة الوفد الرسمي لهذه الزيارة، وضمنه الفقيه بَنَعْمَر، خطيب مسجد أهل فاس بالمشور السعيد بالرباط، لينضم إلينا في العاصمة الغابونية سفيرنا هناك، مولاي إدريس العلوي. كان استقبال الوفد الرسمي من طرف الرئيس الحاج عمر بانغو، وخلالها بلّغ الأمير مولاي المهدي

العلوي رسالة جلالة الملك. وفي اليوم الموالي، تمّ تدشين المسجد الذي بناه المغرب في «ليبروقيل» بهندسة مغربية أصيلة. ولما كان اليوم يوم الجمعة، أدينا صلاة الجمعة، وألقى الخطيب المغربي الفقيه بنعمّر الخطبتين، ثم أمّ بنا.

وفي هذا السياق، سأنعطف في حديثي إلى ذكر صورة، ربما ترمز إلى الطابع الأخوي العميق الذي كان يجمع بين الملك الحسن الثاني، والرئيس الغابوني الحاج عمر بانغو. الملمح الأول لهذه الصورة يرسمه رجال الأمن المكلفون بحراسة الرئيس. لقد كان الحرس الشخصي للرئيس الغابوني مكوّن من مغاربة، تمّ انتقاؤهم لهذه المهمة. أما الملمح الثاني فيتمثل في تلك الالتفاتة الملكية الخاصة تجاه الرئيس الحاج عمر بانغو، حينما يجل عيد الأضحى، فيرسل الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، طائرة عسكرية ضخمة، تحمل أكثر من مائة خروف توضع رهن إشارة الرئيس الغابوني، ليوزعها على أفراد عائلته والمقربين من حاشيته.

ومن الطرائف التي حدثت في هذا السياق، تلك التي وقعت في إحدى السنوات التي عرف فيها المغرب جفافاً حاداً. كلنا نتذكر السنة التي لم يؤد فيها المغاربة تلك السنة المرتبطة بعيد الأضحى، ولم نُقم بنحر أضحية العيد، لينوب عتاً أمير المؤمنين في ذلك، مراعاة لظروف الجفاف، وما تقتضيه مصلحة الوطن. وكما جرت العادة، حينما اقترب عيد الأضحى، كان الحاج عمر بانغو ينتظر وصول الأكباش، والتي يتم وصولها عادة قبل العيد بيوم واحد.

لم تصل الأكباش والعيد على الأبواب ! لم يتردد الرئيس الغابوني في الاتصال بالملك الحسن الثاني، مستفسراً عن تأخر وصولها كما جرت العادة بذلك !؟

جاء جواب جلالة الملك: إن ظروف الجفاف في المغرب دفعتنا إلى الحفاظ على الثروة الحيوانية، وبالتالي فلن نقدم على نحر الأضاحي ! لن نعيّد هذه السنة. فجاء جواب الحاج عمر بانغو بصيغته الأخوية التي تنم عن طبيعة العلاقة التي تربط بين القائدين: إذا لم تُعيّد أنت، فأنا سأعيّد !

ففي تلك الليلة، أُعطيت الأوامر لنقل الأكباش في طائرة عسكرية، لتحقيق تقليد دأب عليه جلالة الملك، نُجَّاه صديق حميم، يكتن للمغرب كل الاحترام والتقدير.

في غينيا الاستوائية:

ربطت المغرب بغينيا الاستوائية علاقة متينة، خاصة وأن الرئيس تيودورو أوبيانغ نكيما مباسوغو، نسج صلة ود متميزة مع الملك الحسن الثاني، تتسم بالتقدير الكبير للمغرب وملكه. وكان الرئيس تيودورو يستعين كثيرا بخبرة الحسن الثاني، خاصة وأن رئيس غينيا الاستوائية كان يرغب في الخروج من دائرة الدولة الإسبانية، لالتحاق بالدائرة الفرنكفونية. ومن ثم، كان اعتماده كبيراً على جلالة الملك لتحقيق هذا التحول، وهذا أمر تضايقت منه إسبانيا التي كانت تعتبر هذه الدولة ضمن دائرتها، وقد أبلغت إسبانيا هذا الأمر إلى الملك الحسن الثاني. وإلى جانب ذلك، قدّم المغرب لدولة غينيا الاستوائية مساعدات عديدة، في مجالات مختلفة، ربما كان من أهمها ما يرتبط بالجانب الأمني في شقه العسكري. فقد كان المغرب حاضراً في هذا البلد الإفريقي، من خلال فرقة عسكرية من الجيش المغربي، التي يُشكّل جزء منها الأمن الخاص لرئيس الدولة. وقد حلّت هذه الفرقة المغربية -بطلب من رئيس الدولة- محل الجيش الإسباني، دون أن ننسى مساعدة أخرى تمت حينما كانت غينيا الاستوائية تهيء دستورها وتكتبه.

كانت هذه الدولة الإفريقية تجد المغرب إلى جانبها وهي يومئذ دولة فقيرة، وكل ثروتها تقوم أساساً على ما يأتي من الغابات التي تنتشر في البلاد، باعتبارها خزّاناً كبيراً ورئيساً لمادة الخشب. أما الآن، فغينيا الاستوائية غدت دولة في عداد الدول البترولية، بعد اكتشاف هذه المادة في أراضيها.

كلّفتي جلالة الملك بمهمتين ترتبطان بالرئيس «تيودورو». كانت الأولى تتعلق بتمثيل جلالته في إحدى مناسبات الاحتفال بالعيد الوطني لغينيا

الاستوائية، وهي المناسبة التي صاحبني فيها -عند وصولي إلى هذا البلد- السفير المغربي، مولاي إدريس العلوي، الذي كان سفيراً للمغرب في الغابون وغينيا الاستوائية في نفس الآن. وحينما استقبلني الرئيس الغيني في اليوم الموالي لوصولي، كان سفيرنا مولاي إدريس العلوي في رفقتي خلال هذا الاستقبال.

أما المهمة الثانية التي أسندها إليّ الملك الحسن الثاني، في هذا الباب، فترتبط بزيارة الرئيس الغيني «تيودورو» التي قام بها إلى المغرب، حتى إذا حان موعد عودته إلى بلده، كلّفني جلالة الملك بمصاحبة فخامة الرئيس في سفره بطائرة مغربية خاصة، وضعها جلالته رهن إشارة الرئيس الغيني. وفعلاً، تمّت هذه الرحلة إلى غينيا الاستوائية رفقة الرئيس «تيودورو»، حتى إذا وصل فخامته بالسلامة إلى بلده، قفلتُ راجعا في نفس اليوم، على متن نفس الطائرة، دون أن أنسى تلك الهدية الفريدة التي قدّمها لي الرئيس الغيني، وأنا أودّعه عائداً إلى بلدي المغرب، وكانت عبارة عن سلحفاة كبيرة (فَكْرُون كبير) محنّطة، تسلّمْتُها من فخامة الرئيس شاكراً له التفاتته الكريمة، وهي الهدية التي ما أزال محتفظاً بها إلى اليوم، ضمن ما يؤثث إحدى زوايا منزلي، باعتبار رمزيّتها، وما تحمله هذه الرمزية من ذكريات.

في جمهورية الزاير:

تمت رحلتي إلى «الزاير» في إطار زيارة رسمية قام بها وليّ العهد سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله). وقد قام سموه بهذه الزيارة، خلال فترة حكم الرئيس موبوتوسي سي سيكو، الذي كانت تربطه علاقة متميزة بالملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وكنّت في هذه المهمة، مرافقاً لوليّ العهد. ولم تستغرق هذه الزيارة مدة طويلة، وقد استقبل الرئيس موبوتو وليّ عهد المملكة، الذي حمل رسالة خاصة من الملك الحسن الثاني، إلى رئيس دولة الزاير. وقد أقام فخامته مأدبة عشاء على شرف وليّ العهد، لتتم العودة إلى المغرب في اليوم الموالي.

في غينيا (كوناكري):

إن المهام الخاصة التي كان الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يكلفني بالاضطلاع بها، جعلتني أقرب من جملة من الأحداث الوطنية والدولية، وأتعرّف على العديد من الشخصيات من عالم السياسة ومن خارجها، بل أتاحت لي هذه المهام، أن أعيش وقائع خاصة. لكن الذي عشتُه في غينيا «كوناكري»، يوم أسند إليّ الملك الحسن الثاني، رحمه الله، إحدى المهمات، كان شيئاً مختلفاً...!

كان ذلك في 2 أبريل 1984. ما هي المهمة التي كُفِّتُ بها؟ وما الذي حدث؟ إليك البيان، أيها القاريء المتسائل، وقد أستجيبُ لأفُق انتظارك؟!

قبل وفاة الرئيس الغيني أحمد سيكُتوري، كان من المقرر أن ينعقد مؤتمر لمنظمة الوحدة الإفريقية في العاصمة الغينية «كوناكري»، في أواخر سنة 1984. وتهيئاً لهذا المؤتمر، قام الرئيس سيكُتوري بزيارة إلى المغرب، وعقد اجتماعاً مع الملك الحسن الثاني، الذي كان يقيم في تلك الفترة بمدينة فاس.

في هذه المناسبة، تعرّفْتُ على الرئيس الغيني ومرافقيه المقربين، وفي حفل عشاء نظمه جلالة الملك، زادت معرفتي أكثر بمدير ديوان السيد الرئيس، النقيب بَكْرِي سَاكُو «Capitaine SAKO».

كانت زيارة الرئيس أحمد سيكُتوري تسعى إلى وضع الترتيبات الضرورية لتنظيم المؤتمر. وقد طلب الرئيس الغيني من الملك الحسن الثاني، مدّه بالمساعدات الضرورية لإنجاح هذا المؤتمر. كانت هذه الخطوات، قد تمّ الاتفاق بشأنها، قبل سنة من حلول تاريخ انعقاد المؤتمر. وقد تكلفت الدولة المغربية ببناء قصر المؤتمرات وبناء الإقامات التي سيستقر فيها رؤساء الدول، حيث تكلفت شركات مغربية بإنجاز المطلوب.

ومن الأمور التي كان الرئيس الغيني سيقترحها في المؤتمر على رؤساء الدول الإفريقية طرد «الجمهورية الصحراوية الوهمية» من منظمة الوحدة

الإفريقية، إيماناً منه بالحق الشرعي للمغرب، والظلم الذي لحقه بسبب تصرف الجزائر، التي كان الرئيس أحمد سيكتوري يعلم أنها اشترت بأموالها البترولية، عدداً من وفود الدول المشاركة في المؤتمر بمقائب مملوءة بالدولار، وذلك لتسهيل تسرب ذلك «الوهم» داخل منظمة الوحدة الإفريقية.

تم إنجاز كل الترتيبات المطلوبة لانعقاد المؤتمر، لكن جرت الرياح بما لا تشتهي السفن ! فقبل حلول تاريخ انعقاد المؤتمر، مرض الرئيس أحمد سيكتوري. أخبر الملك الحسن الثاني بهذا الحدث الطاريء، فاتخذ جلالته كل التدابير لنقل الرئيس الغيني إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وحجز له موعد في مستشفى «كليفلاند Cleveland Clinic» الذي يُعتبر من أحسن المستشفيات في مجال جراحة القلب والأوعية الدموية. وأرسل جلالة الملك طائرة خاصة لنقل الرئيس سيكتوري إلى أمريكا، مُصاحباً في هذه الرحلة بثلة من أطباء جلالته. وبمجرد وصول الرئيس سيكتوري، الذي كان يوم 24 مارس 1984، أُجريت له عملية على القلب، ترتب عنها بعض المضاعفات، توفي على إثرها يوم 26 مارس 1984 في نفس المستشفى، لينقل جثمانه على متن طائرة خاصة، وضعها جلالة الملك رهن إشارة عائلة الرئيس الغيني، من الولايات المتحدة الأمريكية إلى «كوناكري» العاصمة الغينية.

ترك رحيل الرئيس سيكتوري أثراً كبيراً في نفس الملك الحسن الثاني، نظراً للشخصية القوية لهذا القائد المناضل، وللإحترام الذي كان يحظى به من طرف رؤساء الدول الإفريقية، باعتباره أحد الوطنيين الغينيين الذين ناضلوا من أجل بلادهم، وهو الرئيس الوحيد الذي رفض شروط دُوغُول «E GAULLE» عندما حصلت غينيا على استقلالها، والتي أرادها الرئيس الفرنسي أن تبقى تحت المظلة الفرنسية، وفي دائرة الفرنكفونية !

تكفل جلالة الملك بكل ما يتعلق بجنازة الراحل أحمد سيكتوري، ثم عين ولي العهد آنذاك (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله)، على رأس وفد لتقديم العزاء إلى الشعب الغيني، وعائلة الرئيس الراحل.

انتقلت مع هذا الوفد، طائرة خاصة تحمل كل ما يتطلبه تنظيم جنازة في مستوى رئيس دولة صديقة، ومن بين مَنْ ضمَّهم الوفد المغربي جماعة من المادحين، وأخرى من حَمَلَة كتاب الله «الطُّلْبَة»، وشُحنت طائرات أُخر بكل المواد الغذائية المطلوبة، واختير الطباخون الذين سيشفون على ما يقدم في هذه المناسبة، بعناية كبيرة.

أما أنا فقد كَلَّفني الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، برئاسة وفد آخر، سينتقل إلى العاصمة «كوناكري» في اليوم الموالي لوصول وليّ العهد، يوم ثاني أبريل 1984. كان هذا الوفد يتكوّن من ممثلي مختلف الوزارات، وعسكريين، ورجال الأمن. كان وصولنا إلى «كوناكري» على الساعة الواحدة زوالاً، وهو نفس التوقيت الذي أقلعت فيه طائرة وليّ العهد، عائدة إلى المغرب. وبمجرد وصولي، اتصلتُ برئاسة الحكومة الغينية، وطلبتُ عقد اجتماع.

وهنا تجب الإشارة إلى أن الوزير الأول الغيني في عهد الرئيس الراحل، هو الذي تسلّم السلطة بعد وفاة الرئيس، مؤقتاً لإدارة شؤون البلاد، إلى غاية تحديد تاريخ لإجراء انتخاب رئيس جديد للبلاد. ولما كان هذا الوزير الأول على اطلاع بعمق العلاقة التي تجمع المغرب بغينيا، فقد كان سَبَّاقاً للتعبير عن تعزيز هذه العلاقة بين البلدين في اتصال شخصي بالملك الحسن الثاني، بل أردف ذلك بالتأكيد على السير على نفس الخطة التي كان عليها الرئيس الراحل أحمد سيكُتوري، وطلب من جلالة الملك فرقة من الجيش المغربي وبعض رجال الأمن لتعزيز الاستقرار في البلاد، إلى أن تمر الانتخابات في ظروف حسنة، وشفع هذا الطلب بآخر، يتعلق بمساندته كرئيس مؤقت في تحقيق بعض المشاريع، تهيئاً للانتخابات التي ستُجرى في المستقبل، وسيكون بدوره أحد المُرشَّحين لهذه الانتخابات الرئاسية. كلّ هذه الحيثيات مهَّدت السبيل لعقد الاجتماع الذي طلبته.

حضر الوفد الغيني وكان على رأسه الكابتن «بَكْرِي سَاكُو» بصفته مدير الديوان للرئيس المؤقت، والذي كنتُ قد تعرّفتُ عليه في المغرب، في مدينة فاس، باعتباره مديراً لديوان الرئيس سيكتوري. دام هذا الاجتماع من الساعة الثالثة عصراً إلى السادسة مساءً، كان مداره عمّا سينجزه المغرب والبلد الغيني يستعد لاستضافة مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية، وفي ظروف وفاة رئيس الدولة، ولا سيما التعاون في المجال الأمني ووصول فرقة من الجيش المغربي طلباً من الرئيس المؤقت.

وبعد نحو ثلاث ساعات من التداول في مختلف القضايا، طلب منّي الكابتن «بَكْرِي سَاكُو»، رئيس الوفد الغيني، التوقف على أساس استكمال التطرق إلى العناصر الباقية في لقاء يتمّ في اليوم الموالي، والذي حدّدنا موعد جلسته على الساعة الحادية عشرة صباحاً.

انصرف الجميع على أمل اللقاء في الجلسة الثانية غداً. ذهبتُ إلى مقر إقامتي. كان في إحدى الفيلات التي شيّدها المغرب لإقامة رؤساء الدول. صحبتُ معي في هذا السكّن ثلاثة من عناصر الوفد الذي أُرأسه، منهم: الكولونيل التّحاس ممثل الطيران العسكري، السيد الداودي مدير مديرية الطيران المدني في وزارة النقل، وممثل الأمن الوطني، أما باقي أعضاء الوفد، فقد كانت إقامتهم في أحد فنادق العاصمة الغينية.

وكأني بالقاريء -وأنا أسردُ وقائع مهمتي في «كوناكري»- ينتظر البوح بذلك الاختلاف الذي أشرتُ إليه عند بداية حديثي عن هذه المهمة!؟

لحدّ هذه السطور، ليس في الأمر ما يوحي بأي اختلاف، أو ما يمكن أن يشكّل خصوصية لهذه المهمة. لكن ... في الساعة الرابعة صباحاً، من اليوم الثاني لوصولي إلى «كوناكري»، سيبدأ ذلك المنعطف الذي جعلني أتحدّث عن شيء اسمه «الاختلاف».

أخبرْتُك أيها القاريء أنني على موعد مع الكابتن «بَكْرِي سَاكُو»، في الساعة الحادية عشرة صباحاً...! لكن حدث ما جعل طرق باب إقامتي، يتمّ قبل إشراقة شمس اليوم الموالي! قبل الفجر، زائر يطرق باب غرفة النوم بالإقامة! فوجئتُ بهذا الطارق! وما أدراك ما الطارق؟ حينما تكون عقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحاً! وإذا كان الطارق في أحد معانيه نجماً مضيئاً، فإنه لم يكن عندي كذلك!

كان الطارق رجل أمن مغربي هو السيد الفَارِسِي، من دائرة الأمن الخاص بالقصر الملكي، دقات طَرْقِهِ تتابع بإيقاع سريع. فتحتُ الباب وأنا أسأل:

- ما الأمر؟ (ياك لا باس؟).

- لقد قام الجيش بانقلاب...!

كان ذلك يوم 3 أبريل 1984، في الساعة الرابعة صباحاً.

كان أول ما سألتُ عنه رجل الأمن المغربي، بعد سماعي هذا الخبر: هل هناك إمكانية للاتصال بالمغرب لإشعار جلالة الملك بما حدث؟

أخبرني بوجود إمكانية الاتصال ب «التَلِگَس»، من مكتب المهندس الفرنسي «پانسو PINSEAU»! كان «پانسو» هو المهندس الذي كلّفه جلالة الملك بالإشراف على بناء قصر المؤتمرات وإقامات الرؤساء في «كوناكري» استعداداً للمؤتمر.

سألتُ: أين يقع مكتب السيد «پانسو»؟

- في شارع قريب من إقامتك!

قبل خروجنا من إقامتي للذهاب إلى مكتب «پانسو»، طلب منّي السيد الفَارِسِي ترك مسدسه عندي في غرفتي، فوافقت. أسرعنا نحو مكتب «پانسو»، كنتُ بلباس النوم. دخلنا المكتب، وهيئاًنا «التَلِگَس» الذي نرغب في إرساله. لكن الأمر لم يتأتّ لنا! كيف؟ لم يمهلنا الانقلابيون، فقد تتبعوا خطواتنا.

دخل علينا -ونحن في مكتب «بانسو»- بعض العناصر من الجيش، وعلى رأسهم ضابط عسكري، وما هي إلا لحظة حتى شعرتُ برشاش يوضع على صدري، ليتمّ اقتيادي إلى مقر إقامتي مرة أخرى، وتمّ تطويق المكان بالجنود، وبالتالي انقطع كل الأمل في تحقيق الاتصال بالمغرب أو بالسفير، وكذا بباقي أعضاء الوفد الذين كانوا يقيمون في أحد فنادق العاصمة، والذين تمّ تطويق إقامتهم بعناصر من الجيش.

كان أول ما قام به الانقلابيون اعتقال الوزير الأول -الرئيس المؤقت- الذي كان يدير شؤون البلاد، وكذا معظم الوزراء، بالإضافة إلى عائلة الرئيس الراحل سيكتوري، وكل الشخصيات السامية المقربة من الرئيس، ثم اقتحموا مقرّ التلفزة والإذاعة، والمطار ومنعوا أية طائرة مدنية كانت أو عسكرية من الإقلاع أو الهبوط. لقد كان متزعمو الانقلاب على علم بأن الرئيس المؤقت قد طلب مساعدة أمنية من المغرب، تتمثل في حضور فرقة من الجيش الملكي (Bataillon) لضمان الأمن لمرور الانتخابات الغينية في ظروف ملائمة، ومن ثم جاء تطويق السفارة المغربية، والإقامة التي هي مقر سكني، وكذا الفندق الذي يقيم فيه معظم أعضاء الوفد المغربي، خوفا من الاتصال بالرباط للإرسال الفوري للجيش والأمن المغربيين إلى «كوناكري».

في إقامتي المطوّقة بالجنود، فتحتُ التلفزيون الذي كان النافذة الوحيدة التي نتابعُ من خلالها تطور الأحداث، كانت الموسيقى العسكرية هي كل برامجه، وبين الحين والآخر، أسمعُ هدير الطائرات التي تحلق في الأجواء القريبة من الإقامة. كانت المشاهد التي ينقلها التلفزيون تظهر الدبابات التي تجوب الشوارع، وانتشار الجنود في الأماكن الحساسة في العاصمة الغينية، وهي مشاهد أثارت الرعب في نفوس كل سكان البلاد، كما أثارت في نفسي، وفي نفوس من كان معي في الإقامة.

ظل الأمر على هذا الحال، إلى غاية الساعة الواحدة زوالاً، حيث سيظهر على شاشة التلفزيون، وبشكل مفاجيء، ضابط عسكري، بلباس حربي، لينطق بصوت مُجَلِّج: البلاغ رقم واحد (1) من «اللجنة الثورية»...! كان هذا البلاغ عبارة عن لائحة ضمت أسماء الأعضاء، الذين شكلوا مجلس الثورة وكان عددهم ثمانية عشر (18) وكلهم عسكريون، من بينهم الضباط الأربعة الذين يُعتبرون النواة الصُّلبة لهذا المجلس، والذين سيتقلدون مهام سامية في مستقبل الأيام، وهم:

- الكولونيل لَانْسَانَا كُونْطِي «Le colonel Lansana CONTÉ»، الذي أصبح رئيساً للجمهورية.

- الكولونيل دِيَارَا طُرَاوْرِي «Le colonel Diarra TRAORÉ»، الذي أصبح الوزير الأول.

- الكمندانر فَسَّيْنِي تُوْرِي «Le Commandant Facinet TOURÉ»، الذي أصبح وزير الخارجية.

- الضابط بَكْرِي سَاكُو «Le Capitaine Bakary SAKO»، الذي تقلد منصب وزير.

قرأ الضابط هذه اللائحة في أقل من دقيقتين لتعود الموسيقى العسكرية إلى التلفزيون.

كان الكمندانر «تُوْرِي» هو من ألقى بلاغ «اللجنة الثورية»، التي نظمت وقادت الانقلاب، والتي حملت فيما بعد اسم «اللجنة العسكرية للإصلاح الوطني (Comité Militaire de Redressement National (C.M.R.N)). أصخْتُ السمع جيِّداً للكمندانر «تُوْرِي» -الذي سيصبح فيما بعد وزير الخارجية للجمهورية الغينية- وهو يقرأ اللائحة، فإذا باسم ليس بغريب على سمعي، يسقط في أذني ! إنّه اسم «الكابتن بَكْرِي ساكو» الذي شغل منصب مدير ديوان الرئيس الراحل أحمد سيكْتوري، وتعرفتُ عليه بفاس، بل إنه الشخص

الذي ترأس اللجنة التي عقدنا معها اجتماعا، بمجرد وصولنا إلى «كوناكري» وهو الذي طلب منّي عقد الجلسة الثانية في اليوم الموالي، وحددنا موعدا في الساعة الحادية عشرة صباحاً!

ذهلتُ لما رأيْتُ وسمعتُ! قلتُ في نفسي: لقد كان «الكابتن ساكو» على علم بالانقلاب بل من أهم المدبرين له، ولم يكن اجتماعه معنا إلا للاطلاع على تفاصيل مطالب الرئيس المؤقت من المغرب، التي تتعلق بوصول فرقة من الجيش الملكي وعناصر من رجال الأمن المغربيين، وليتمّ نقل تلك المعلومات بالتفاصيل إلى «اللجنة الثورية»، كلّ ذلك ساهم في الإسراع بالقيام بالانقلاب في تلك الليلة، خوفاً من الوصول الفعلي للجيش ورجال الأمن، وتمت محاصرنا منعاً لأي اتصال بالمغرب.

بعد انتهاء الكمندار «ثوري» من قراءة البلاغ رقم (1)، بقينا مشدّوهين، ومنتظر البلاغ رقم (2) وما سيحمله من تطورات؟

وفي الساعة السادسة مساءً من نفس اليوم، ظهر الكمندار «ثوري» ثانية، ليقرأ، وبصوت ذي إيقاع عسكري، البلاغ رقم (2) ل «اللجنة الثورية» الذي لم يتعدّ إلقاؤه دقيقتين، والذي مرّر من خلاله الإعلان عن إطلاق سراح كلّ المعتقلين السياسيين، وقد أظهر التلفزيون مكان اعتقالهم، وهو السجن المشهور «كامب بوارو Camp Boiro»، وكذا بعض صورهم، التي كشفت عن بشاعة الوضعية التي كان عليها هؤلاء السّجناء في معتقلهم. وقد ظهر بعضهم وقد قيّدت أيديهم وأرجلهم بالسلاسل الحديدية، وبدت على ملاحظهم آثار ما مورس عليهم من تعذيب، وكلها علامات دالة على طبيعة القسوة التي كان يُعامل بها هؤلاء المعارضون السياسيون.

عند وصولي إلى العاصمة الغينية على رأس وفد مغربي، كان الرئيس المؤقت قد وضع رهن إشارتي سيارة مع سائقها. وقد لازمني هذا السائق في إقامتي. وفي خضم هذه الأحداث، ناديتُ عليه وسألته:

- هل تعرف مقر سُكنى الكابتين ساكو « Le Capitaine SAKO »؟

- أجب: نعم.

- هل يمكن أن تتصل به رغم هذه الأحداث؟

- ممكن.

- إذا اذهب إليه، وقل له: إن الوزير المغربي يريد أن يُبلِّغك رسالة!

انطلق السائق لإيصال الطلب، وكانت الساعة تشير إلى حوالي الثامنة

ليلاً.

جلستُ أنتظر عودة السائق، والزمن يمر أمامي متثاقلاً. تعدت عقارب الساعة منتصف الليل، ولا أثر للسائق! ودارت بخاطري أفكار عدة عن سبب التأخير، كيف سيكون رد فعل «الكابتين ساكو»... إلى غير ذلك من الهواجس التي تراوحت بين اليأس والأمل. لم أتملّ بطلعة السائق إلا في الساعة الثالثة من صباح الغد...!

- سألتُه: لماذا تأخرت عليّ؟

- كان جوابه: لم أجد «الكابتين ساكو» في منزله. فلزمتُ مكاني أمام بيته منتظراً قدومه، الذي كان حوالي الساعة الثانية ليلاً، حيث قام بزيارة خفيفة لمنزله للاطمئنان على أحوال أسرته.

- هل أبلغته ما قلتُ لك؟

- نعم!

- وماذا كان جوابه؟

- لقد أجبني بضرورة إبلاغ الأمر إلى أعضاء «اللجنة العسكرية»

(C.M.R.N)، للتداول في الأمر!

رغم هذه الإجابة، بقيتُ بعض الهواجس تراوطني، وما زال رد فعل «اللجنة

العسكرية» مبهماً! بقيتُ على هذه الحال من الحيرة، إلى غاية الساعة الحادية عشرة صباحاً، حيث طرق إقامتي «الكابتن ساكو». استقبلته بما يليق من لياقة، ودار بيننا حديث طويل، بسط من خلاله الدوافع الكامنة وراء هذا الانقلاب التي قام بها الجيش الغيني. ومما ورد في حديثه، تلك الصورة التي رسمها عن الظروف الصعبة التي يعاني منها الشعب الغيني، لذلك -يقول «الكابتن ساكو»- أخذنا الأمور بيدنا، وكل ما قمنا به لا نرmi من ورائه سوى الحفاظ على الاستقرار ووحدة البلاد وإصلاح شؤونها، بما يخدم مصالح شعب غينيا. استمعتُ إلى حديث «الكابتن ساكو» بكل اهتمام، وبدوري قدمتُ له وجهة نظري، وأسهبْتُ في سرد عمق العلاقة التي تجمع بين الشعبين المغربي والغيني.

ومن بين ما قلتُ في هذا الباب: أيها الكابتن، اعلم أن المغرب يساعد الشعب الغيني كله، وليس فئة معينة منه، فإذا اختار الشعب من يسيّر شؤونه، فما على المغرب إلا أن يقدم يد المساعدة، لتحقيق ما يرغب فيه الشعب الغيني.

بدأت على ملامح «الكابتن ساكو» علامات تشي بالارتياح لما سمعه من كلامي. لكنه عبّر عن رغبته في أن يكون ما فُهِتُ به من كلام نصّاً مكتوباً! لذلك خاطبني بقوله: هل يمكنك أن تدوّن لي هذا الكلام، الذي يوضح موقف المغرب، كتابةً لأبلغه لأعضاء «اللجنة الثورية»؟

- قلتُ: لا مانع من تحقيق ذلك!

كنتُ أجلس مع «الكابتن ساكو» في صالون بمفردنا، رأساً لرأس. ولم يكن الأفراد الذين معي في الإقامة يعلمون أي شيء عما دار بيني وبين الكابتن الذي لم يكونوا يعرفون صفته.

أخذتُ قلماً وورقة، ودوّنتُ فيها ما سمعته مني في اجتماعنا المغلق، وحملتُ تلك الورقة المخطوطة ليعرضها على أعضاء «اللجنة الثورية».

ودّعته، ودخلتُ مرة أخرى دائرة الانتظار، وتداعيات الهواجس، وتقليب الأمور على أكثر من وجه، وكيف ستتطور الأحداث!؟

ظلت عيوني وعيون أعضاء الوفد المقيمين معي في الإقامة معلقة بشاشة التلفزيون، وكان هذا حال جميع السفراء والأجانب القاطنين بغينيا، وكذا المواطنين الغينيين، حيث شكّل نافدتنا الوحيدة على الخارج، لتتبع الوقائع وتطور الأحداث، من خلالها تابعنا نفس المشاهد المرعبة لانتشار الجنود والدبابات في الشوارع، بالإضافة إلى الاستجابات الموجهة لمؤيدي الانقلاب لُظهر سخط الشعب على النظام الساقط.

وفي الساعة الواحدة زوالاً، سيطّل علينا من الشاشة الكمندار «توري»، ليقرأ البلاغ رقم (3). وكالبلاغين السابقين، لم تتجاوز مدته دقيقتين. كلنا حيرة وترقب! ما هو مضمون هذا البلاغ رقم (3)؟

ساد صمّت رهيب داخل الغرفة حيث أعناقنا مشرّبة إلى شاشة التلفزيون، ظهر «توري» بتلك الصورة المفاجئة ليقول: البلاغ رقم (3) من «اللجنة الثورية»: تصريح الوزير المغربي المنصوري بنعلي.

ومضى يقرأ، فإذا بالمقروء هو ما دوّنته في تلك الورقة التي سلمتها للكابتن «ساكو»، حتى إذا انتهى الكمندار «توري» من قراءة النص المكتوب، عاد ليؤكد في ختامه: «هذا تصريح الوزير المغربي المنصوري بنعلي».

وبمجرد ما انتهى الكمندار «توري» من قراءة البلاغ رقم (3)، عادت الموسيقى العسكرية إلى التلفزيون. وبعد ساعات، لاحظنا أن الحراسة التي كانت تُضرب حول إقامتي قد خُفّفت، وعلمتُ أن الأمر كذلك بالنسبة للسفارة المغربية في العاصمة، وللفندق الذي كان يقيم فيه أغلبية أفراد الوفد المغربي، بل أكثر من هذا، سيسمح لنا بإمكانية الاتصال فيما بيننا، حيث سينتقل السيد السفير إلى إقامتي، وكذلك أعضاء الوفد الآخرين، وكان من بينهم السيد العامل فيصل من وزارة الداخلية. وقد بدا هذا النوع من تخفيف الإجراءات التي كانت تحيط بنا، في سلوك الحارس الذي كان مكلفاً بحراسة إقامتي، حيث تغيرت معاملته، وغدا يطلب منّي إن كنتُ في حاجة إلى خدمات لتنفيذها.

وما كان هذا الأمر ليتمّ لولا التعليمات التي صدرت عن «اللجنة الثورية»، بعد توصلها بالرسالة التي عملتُ على كتابتها، ثم تمت إذاعتها في البلاغ رقم (3).

وتجب الإشارة في هذا السياق إلى أن المعاناة التي عشتُها، وقاسى منها الوفد المغربي برمته، لم تقتصر على هذه الدائرة الضيقة، بل مسّت كذلك الجالية المغربية المقيمة في الديار الغينية، وكذلك العمال الذين جلبتهم شركة المهندس الفرنسي «پانسو PINSEAU» من المغرب، لبناء قصر المؤتمرات والإقامات التي كانت مخصصة لرؤساء الدول والوفود التي كانت ستشارك في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية. ذلك أن الشعب الغيني الذي ملأ الشوارع على إثر أحداث الانقلاب، لم يصدق أن الرئيس سيكتوري قد توفي، بل شكّوا في أن يكون التابوت الذي وصل إلى «كوناكري» حاملاً لجثمان الرئيس، فكان أول ما يطالبون به هو فتح ذلك التابوت، للتأكد من وجود جثمان الرئيس الراحل داخله، لقد خامرهم شكّ كبير في هذا الأمر، وكانوا يعتقدون أن جثمان أحمد سيكتوري ظلّ في المغرب، وهذا ما جعلهم يصبّون جام غضبهم وحقدهم على المغاربة الموجودين في العاصمة الغينية !؟

وقفتُ على هذا الأمر من خلال ما كنتُ أتابعه على شاشة التلفزيون، حينما يجري الصحفيون لقاءات مع أفراد من الشعب الذين خرجوا إلى الشوارع، وتجمهروا في عدة نقط داخل العاصمة «كوناكري».

أمام هذا الضغط من الشارع، أعلنت «اللجنة الثورية» عبر التلفزيون بأنها ستلبي هذا الطلب، وأنها أمرت بفتح التابوت، حتى يتأكد الجميع من وفاة الرئيس الغيني أحمد سيكتوري، وأن جثمانه قد وصل إلى بلده غينيا ويوجد داخل التابوت، وهو ما تمّ بالفعل.

لا شكّ أن هذه الواقعة تكشف عمّا كانت تعانيه بعض فئات الشعب الغيني من خوف واضطهاد، تحت نظام الرئيس الراحل، أحمد سيكتوري. وبعد أن أصبح الاتصال بي في إقامتي أمراً ممكناً، طلب بعض السفراء لقائي، وبعضهم

اعتقد أن للمغرب يداً في هذا الانقلاب. ومن هؤلاء السفراء الذين رغبوا في لقاء: سفير إسبانيا و سفير فرنسا، وممثل منظمة التحرير الفلسطينية، واتصل بي آخرون عبر الهاتف.

لقد تمّ بعض الانفراج بعد صدور البلاغ رقم (3)، وتمّ اجتماع أعضاء الوفد المغربي في إقامتي، ليكون الحديث حول الأوضاع في غينيا بعد هذا الانقلاب، ولا سيما وضعيتنا، كوفد وكجالية. لقد انتابنا شعور بالخوف، بل بالرعب مما شاهدناه من المعاملة السيئة للمغاربة من بعض الغينيين، وكنا نتساءل عن إمكانية الرجوع، وهل سيتم السماح لنا بمغادرة غينيا؟ وهل يمكننا الوثوق بوعود منظمي الانقلاب؟ كان يخامرنا شك كبير في كل ذلك.

وقد سألتني بعض أعضاء الوفد عن الموقف الذي بادرتُ إلى اتخاذه، وهل تمت هذه المبادرة بعد الاستشارة في الأمر؟ قلتُ لهم: حينما استقبلتُ «الكابتن ساكو» هنا في إقامتي، هل كان أحد منكم حاضراً؟ وما كتبته بيميني، هل كان أحدكم شاهداً عليه؟ ثم أردفتُ قائلاً: أنا الذي اتخذتُ هذا القرار، وأنا الوحيد الذي سيتحمّل مسؤولية ما سيترتب على ذلك! اتخذتُ هذا القرار تحوفاً من تطور الأمور إلى الأسوأ، بسبب الانقلاب العسكري، وكان همّي هو حماية الوفد المغربي والجالية المغربية في هذه الظروف الصعبة، والعمل على الرجوع إلى المغرب سالمين.

ومن الطرائف التي حصلت في خضم هذه الأحداث، أن سفيرنا في «كوناكري»، قد خامرته فكرة الفرار من العاصمة! فخاطبني في الموضوع قائلاً: إن هؤلاء الانقلابيين لا يُؤمّن جانبهم، والبقاء هنا قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

قلتُ: وما العمل؟

قال: هناك حافلة يمكن أن تحملنا إلى مدينة «فري تاون Freetown» عاصمة سيراليون، البلد المجاور لغينيا!

قلتُ: إن الحافلة يمكن أن تتعرض للتفتيش في الطريق ؟ حينئذ،
كيف سيكون موقفنا !؟

ثم أردفتُ مخاطباً، السفير وجميع أعضاء الوفد: من كان يرغب في الذهاب
إلى سيراليون فليذهب، أما أنا فسأبقى هنا، متابعاً تطور الأحداث، وعلى ضوء
تلك التطورات، يمكنني التصرف حسب وقائع الأمور.

ثم انعطفت حديثي مع سفيرنا في «كوناكري» لأسأله عما تبقيّ لديه من
المواد التي حملت لإقامة جنازة الرئيس الراحل سيكتوري؟ سألتُ لأنني كنتُ
على علم بالكمّ الوفير من المواد الغذائية التي حملتها الطائرات المغربية، لذلك
سألتُ عما تبقيّ مثلاً من مواد كالزيت والسكر والأرز والبنّ... فجاء جواب
السيد السفير بالإيجاب، وأن ما يوجد يعتبر كمية لا بأس بها.

سألتُه: كم يلزم من شاحنة لحمل تلك المواد ؟

قال: لديّ من المواد ما يملأ أكثر من عشر شاحنات.

طلبتُ من السيد السفير الالتحاق بمقر السفارة، وأن يهيئ الظروف
لنقل تلك المواد، على أساس أن ينتظر اتصالي به.

بعد مغادرة السيد السفير، قمتُ بالاتصال ب «الكابتن ساكو»، قلتُ له:
أطلبُ منك أن تخبر «اللجنة الثورية» بأن لديّ مساعدة من المغرب نرغب في
تقديمها إليكم وإلى الشعب الغيني. رحّب الكابتن بهذه المبادرة، على أساس
إبلاغ الخبر إلى «اللجنة الثورية».

وبعد إخباره اللجنة المذكورة، وإبلاغي موافقتها، قلتُ له حينها: هل
يُمكنك أن ترسل عشر شاحنات إلى السفارة المغربية لحمل تلك المساعدات،
وإننا نعتبرها بمثابة أول مساعدة من المغرب إليكم.

وتمّ الأمر، وأُرسلت الشاحنات التي حملت تلك المواد الغذائية المتنوعة،
وعند وصولها إلى أعضاء «اللجنة الثورية»، اتصل بي رئيس اللجنة ليقدم لي

شكره باسم جميع الأعضاء، طالباً منّي نقل هذا الشكر إلى المغرب، على ما قدّمه ويقدمه من مساعدات إلى الشعب الغيني.

وسط هذه الأجواء المصاحبة لوضعية الانقلاب العسكري المفاجئ، كان عليّ أن أحسب تصرفاتي، وأن أقوم بمبادرات أراها في صالح بلدي، خاصة وأن الاتصال بالرباط كان أمراً متعذراً. في المغرب، لم يكن جلاله الملك يعرف شيئاً عن مصيري، وحين يسأل عن وضعي وأوضاع الوفد المرافق لي، لا يجد الخبر اليقين، لم يكن يعلم إن كنتُ حياً أم ميتاً؟! وقد سألت جلالته، بعد أن علم بالانقلاب، الجنرال عبد الحق القادري، بصفته مدير الدراسات والمستندات، عن الأخبار: (وَأشْ عندكُ شيْ أخبار على المنصوري والوفد المرافق له؟). أجابه الجنرال بأنه لم يتوصل لحد الآن بأية معلومات من غينيا، لأن كل الاتصالات بغينيا مقطوعة! لذا سيكلفه جلاله الملك بالقيام بالإجراءات الضرورية والمستعجلة، مع مصالح مديريته في مختلف السفارات المغربية المجاورة لغينيا، للبحث في مصيري ومصير المرافقين لي.

بعد يومين، سيتمّ الاتصال بالجنرال عبد الحق القادري من السفارة المغربية في «دكار»، العاصمة السنغالية، بعدما التقطوا التصريح الذي قام به الوزير المنصوري، وبعثوه للجنرال. حين توصل عبد الحق القادري بذلك النص، حمّله إلى الملك الحسن الثاني، الذي كان يومئذ في مدينة فاس، وقال: «سيدي هذا هو البلاغ الذي كتبه السي المنصوري وتلاه عضو من «اللجنة الثورية»، في التلفزيون الغيني»! هنا، وبعد اطلاع جلاله الملك على التصريح، التفت إلى الجنرال القادري، وخاطبه باللغة الفرنسية: «هذا وزير يتحمل مسؤولياته». **Voilà un ministre qui prend ses responsabilités.**

وهذه معلومة لم أقف عليها إلا فيما تلا من الأيام، حين حكاها لي الجنرال الصديق، عبد الحق القادري، تغمّده الله بوسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

بعد تخفيف الحراسة علينا بعد عدة أيام، تمكّنتُ من الاتصال بالقصر الملكي، وأخبرتُ الملك الحسن الثاني بأثني والوفد الذي معي بخير، وأن الوضعية المتأزمة التي عشناها بدأت في الانفراج. طلبتُ طائرة للعودة إلى المغرب، وأعطى جلالة الملك أوامره لإرسال طائرة خاصة لتنقلنا إلى بلدنا. في اليوم الموالي، وصلت تلك الطائرة. كنتُ قد أخبرتُ «الكابتن ساكو» بأن طائرة قادمة من المغرب لتنقلنا إلى المغرب، وعليه أن يُخبر «اللجنة الثورية» بهذا الأمر، وهو ما تمّ بالفعل.

في يوم المغادرة، بعثتُ إليّ «اللجنة الثورية» بضابط ليصاحبني إلى المطار. لقد حرصتُ على أن يركب هذه الطائرة الخاصة كل أعضاء الوفد المغربي، بمن فيهم العناصر التي سبقتني إلى «كوناكري»، والتي جاءت رفقة وليّ العهد، مكلفة بتنظيم جنازة الرئيس سيكوتوري، مرفقة بمجموعة المادحين، والطلّبة، والطباخين وغيرهم.

عند وصولنا إلى المطار، وجدناه مطوقا بفرقة عسكرية، وهذه عملية قام بها الانقلابيون، تزامناً مع الاعتقالات، وخوفاً من وصول الطائرات المغربية الحاملة للجيش والأمن المغربيين. بدأتُ في تفقد أعضاء الوفد، مع الحرص على ترتيب كل الأمور المرتبطة بمغادرتنا. في هذه الأثناء، جاء عندي مسرعاً السيد الفارسي -وهو رجل من الأمن الخاص الذي أشرتُ إليه سابقاً- ليُخبرني بأن الجنود الذين يطوقون المطار يرغبون في تفتيش أمتعتنا!

قلتُ له: لِيُقْتَشُوا!...

أجابني: إننا نحمل صناديق بها أسلحة!

كان جوابه صادماً لي، أنا لا علم لي بوجود أسلحة ضمن الأمتعة!

لذلك صرختُ في وجهه، وقد استشطتُ غضباً: لماذا لم تخبرني بهذا الأمر حتى أتخذ الإجراءات الضرورية؟!

كان عليّ أن أتصرّف بسرعة، ولكن في نفس الآن بحكمة، حتى لا تتطور الأمور إلى الأسوأ. فطلبتُ من الضابط المصاحب لي أن يبلغ «الكابتن ساكو»، أن الجنود الذين يطوقون المطار يرغبون في تفتيش أمتعتنا.

وأضفتُ قائلاً: وبلّغ «الكابتن ساكو» أن هذا الأمر غير لائق مع وفد رسمي، وإذا تمّ التفتيش، فإن ذلك سيكون بمثابة خطوة غير مشجعة لبدية علاقة طيبة مع المسؤولين الجدد.

كان الجواب الأول الذي توصلتُ به هو أنّني باعتباري رئيساً للوفد، فلن يتم تفتيشي. لم يرقني هذا الجواب، وكان جوابي أن هذه الطائرة، طائرة خاصة، وكل من سيركبها يعتبر من الوفد الرسمي، ولا يجب تفتيشه. لقد بلّغتُ «الكابتن ساكو» أنه في حالة الإصرار على تفتيشنا فإننا سنرجع إلى إقامتنا! هنا سيخبر «اللجنة الثورية» بموقفي الحازم، لتعطي الأوامر للضابط المسؤول عن أمن المطار لإفساح المجال أمامنا، وركوب طائرتنا الخاصة، دون أن يتم تفتيش أمتعتنا. لكن الضابط المسؤول عن تطويق المطار لم يعمد إلى هذا الأمر، إلّا بعد أن تأكد من أن تلك الأوامر صادرة عن الكولونيل «لأنسنا كُونْطِي»، رئيس «اللجنة الثورية».

سُمح لنا بالمرور، وركب كل أعضاء الوفد، وتنفس الجميع الصُعداء. لقد قضينا أربع ساعات في جحيم مطار مليء بالعسكر، ويخيم عليه جوّ من الرعب والحيرة. حللنا بالمطار في الساعة العاشرة صباحاً، ولم تقلع الطائرة إلا في الساعة الثانية بعد الزوال. عمت فرحة كبرى بين أعضاء الوفد المغربي، داخل الطائرة، وقد أحسّوا جميعاً بالانفراج، بعد أيام من المعاناة الأليمة. وسأعلمُ فيما بعد، أن سبب الإصرار الذي أبداه الضابط المسؤول عن أمن المطار، لتفتيش أمتعة الوفد، يعود إلى اعتقاد ذلك الضابط بأن الصناديق التي توجد ضمن الأمتعة قد ملئت بالماس، حيث تعتبر غينيا كوناكري من أهم الدول الإفريقية التي تتوفر على مناجم غنية من هذا المعدن النفيس، يقع استغلالها

بشكل كبير في تلك المرحلة التاريخية، من طرف الاتحاد السوفياتي، الذي كانت له علاقة عميقة مع نظام الرئيس الراحل أحمد سيكتوري.

أقلعت الطائرة المغربية عائدة إلى أرض الوطن، ومع إقلاعها، ارتفع إيقاع البهجة والفرح بين أفراد الوفد المغربي.

بعد وصولي إلى أرض الوطن، توجّهت مباشرة إلى مدينة فاس، حيث يقيم الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه. وفي الغد، استقبلني جلالته، وقدمت له صورة كاملة عمّا جرى. وقد عزّزت روايتي للأحداث بشرط فيديو، كنت قد حملته معي، تمكّنت من الحصول عليه من التلفزيون الغيني، بمساعدة من «الكاتبين ساكو».

لقد كان للوثيقة التي كتبتها بيدي، وقدمتها «للجنة الثورية» في «كوناكري»، والتي أذيعت على شاشة التلفزيون الغيني، في البلاغ رقم (3)، أثرها البعدي في طبيعة العلاقة بين المملكة المغربية وجمهورية غينيا. فقد قام المسؤولون الجدد من «اللجنة الثورية» بزيارة رسمية إلى المملكة المغربية، واستقبلهم الوزير الأول السيد كريم العمراني. وقد بلّغت أن أفراد الوفد سألوا هذا الأخير عن الوزير المنصوري بنعلي، الذي ارتبط في ذاكرتهم بالأيام الأولى لأحداث الانقلاب العسكري في بلادهم. وكان جواب الوزير الأول، السيد كريم العمراني، أن الوزير المنصوري بنعلي قد أصبح الآن عضواً في الديوان الملكي.

لقد تميّزت العلاقة بين المغرب وغينيا بطبيعتها الخاصة، التي عمقتها تلك الروابط التي جمعت بين المغفور له الملك الحسن الثاني والرئيس الراحل أحمد سيكتوري، وقد حافظت هذه العلاقة على سيورتها، حتى تحت ظل السلطة الجديدة، مراعاة لعمق العلاقات التاريخية بين البلدين، والمصالح المشتركة للشعبين معاً.



مع الرئيس السنغالي عبده ضيوف، في إحدى زيارته للمغرب.



مع رئيس جمهورية الكونغو الديمقراطية، السيد مويوتو سيسي سيكو
في إحدى زيارته للمغرب.

ج- مهام في دول أمريكا الجنوبية:

في البرازيل:

لم تكن المهام الخاصة التي أسندها إليّ الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، محصورة في القارة الإفريقية، بل كان تنقّلي يتعدد بين قارات مختلفة، تبعاً لطبيعة المهمة التي أكلّف بها. فإلى جانب ما قمتُ به من مهام في القارة الإفريقية، أسند إليّ جلالته مهام أخرى في القارة الأمريكية الجنوبية، بالإضافة إلى الزيارات الرسمية، في إطار العمل الحكومي. من ثم جاء تنقّلي بين عدة دول أمريكية لاتينية.

كانت بعض دول هذه القارة مرتعاً خصباً لخصوم وحدتنا الترابية. فكان البوليساريو، الحاضر في السفارة الجزائرية الداعمة له، يستغل غياب الوجود الفاعل للمغرب في هذه الدول، للترويج لمزاعمهم في سنوات الثمانين من القرن الماضي، ترتب عنه خلق مواقف مناوئة لمصالح المغرب المشروعة.

ففي زيارة رسمية للبرازيل، حللتُ بمدينة «ساو باولو» العاصمة الاقتصادية، والتي تعتبر من أكبر المدن البرازيلية، وكان يدير شؤونها الحاكم سليم معلوف، وهو من أصول عربية شامية. وخلال زيارتنا لهذه المدينة، وُقّعت عدة اتفاقيات بين الوفد المغربي ومسؤولي قطاعات مختلفة ب «ساو باولو». وانتقلنا بعد ذلك لزيارة العاصمة «برازيليا»، حيث تمّ استقبالنا من طرف رئيس الدولة «جواو باتيستا دي أوليفيرا فيغويريدو» Oliveira Figueiredo، الذي تولى رئاسة الدولة ما بين مارس 1979 ومارس 1985. وأقام فخامة الرئيس البرازيلي حفل عشاء على شرف الوفد المغربي. وفي مثل هذه المناسبات، وفي جلسات بعيدة عن الملفات، تتاح فرصة لأحاديث شخصية، تسمح بتمرير رسائل. وفي هذا الحفل، جلس بجانبي وزير العدل البرازيلي، وهو كذلك من أصول عربية شامية. كانت فرصة للحديث عن

قضايا مختلفة، وطبيعي أن يكون على رأسها قضيتنا الوطنية المشروعة. غير أن حديث المائدة، يسمح من جهة أخرى، ببعض الطرائف. ذلك أن حديثي مع وزير العدل البرازيلي انعطف إلى الكلام عن هجرة أسرته إلى البرازيل، ومن ثم عن طريقة عيشه في بلد كبير كالبرازيل، وفي مدينة مججم «برازيليا». ومما ساقه في حديثه، أن برنامج داخل هذه المدينة الكبيرة يتوقف يوم الجمعة، ليغادرها خلال نهاية الأسبوع مفضلاً قضاء عطلته الأسبوعية في ضيعة خارج المدينة. استهوتني إشارته إلى الضيعة، فسألته إن كانت ضيعة صغيرة أم كبيرة؟ قال: هي ضيعة مساحتها أكثر من 5 آلاف هكتار...؟! ثم كانت لنا زيارة أخرى لمدينة ريو دي جانيرو، حيث تمت لقاءتنا مع رجال الأعمال في هذه المدينة.

وكان لي مع البرازيل موعد آخر، لكن زيارتي هذه المرة ستأخذ طابعاً خاصاً. فهي ليست زيارة ضمن وفد حكومي رسمي، بل جاءت بتكليف مولوي، يوم قررت البرازيل تدشين ساحة في عاصمتها، تحمل اسم الملك الراحل محمد الخامس، طيب الله ثراه. كانت المهمة الخاصة التي أسندها إليّ الملك الحسن الثاني، ذات شقين: الأول، تمثيل المملكة المغربية في حفل تدشين ساحة الملك المغفور له محمد الخامس؛ والثاني، تقديم دعوة إلى فخامة رئيس جمهورية البرازيل الاتحادية السيد «جواو باتيستا دي أوليفيرا فيغيريدو» للقيام بزيارة رسمية إلى المملكة المغربية، وهي الدعوة التي قبلها فخامة الرئيس بكل سعادة، عبّر عنها من خلال الرسالة الشفوية التي حمّلتني إيّاها إلى جلالة الملك، معبراً عن تقديره الكبير للمغرب ومملكه وشعبه، مؤكداً رغبته في تلبية تلك الدعوة.

وفعلاً، سيزور الرئيس البرازيلي المملكة المغربية، وكلفني الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، بمرافقة فخامة الرئيس - وأنا يومئذ وزير للنقل - خلال وجوده في المغرب.

وأثناء مرافقتي لفخامته، عبّر الرئيس البرازيلي عن رغبته في زيارة مدينة فاس، فأبلغت الأمر لجلالة الملك، الذي أعطى أوامره لوضع الترتيبات

الضرورية لهذه الزيارة. ومن النتائج التي تحققت من زيارة الرئيس البرازيلي للمغرب، فتح خط جوي مباشر، يربط بين الدار البيضاء و«ريو دي جانيرو».

في البرازيل بتكليف من الملك الحسن الثاني:

كان الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يسند إليّ بعض المهام الخاصة. من ذلك ما كلفني به ذات مرة، لأنقل رسالة شفوية إلى الرئيس البرازيلي الجنرال جواو فيغيريدو (João Figueiredo) .

عند وصولي إلى البرازيل، استقبلني السيد رئيس الجمهورية البرازيلية، وأبلغته الرسالة الشفوية التي أحملها إليه من طرف جلالة الملك، ومن بين ما تضمّنته، دعوة كريمة من الملك الحسن الثاني للرئيس البرازيلي، للقيام بزيارة إلى المملكة المغربية.



في زيارة رسمية لدولة البرازيل، مع الوزير الأول السيد المعطي بوعبيد وأنا أشغل يؤمئذ منصب وزير النقل

وخلال وجودي في البرازيل، أتيح لي التعرف على صاحب أكبر شركة في صناعة المجوهرات في هذا البلد، علماً أن بلاد البرازيل تضم أهم المناجم التي تتوفر على المادة الخام لصناعة هذه المجوهرات النفيسة. وهذه الشركة لها فروع ومحلات للبيع في أكبر وأهم العواصم العالمية، إنها شركة ستيرن «Stern»، وصاحبها هو اليهودي الألماني هانز ستيرن «H. Stern».

نُظمت لي زيارة إلى مصنع هذه الشركة. صاحبني في جولتي داخل المصنع، السيد هانز ستيرن، ودار بيننا حديث طويل، تحدث فيه عن المواقف الشجاعة للمغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، والملك الحسن الثاني، لحماية اليهود المغاربة في سياق أحداث الحرب العالمية الثانية. وسألني إذا كان جلالة الملك الحسن الثاني يرغب في اقتناء بعض مجوهراته، فإنه في خدمة جلالته؟ وأبلغني أن شركته تتوفر على أنواع نفيسة من الجواهر، من بينها أحجار الزمرد واللازورد (Lapis Lazuli)، ويُعرف هذا الأخير بمجر الملوك والأمراء والأميرات، بلونه الأزرق الفاتن. وأبلغني أن شركته تصنع منه ما لا يمكن أن تجده في محلات أخرى، وأنها تباع لبعض أكبر محلات المجوهرات العالمية، كما أن بعض ملوك وأمراء الخليج يعتبرون من زبناء شركته.

عندما عدتُ إلى المغرب، أُخبرتُ جلالة الملك بنتائج زيارتي، وقبول الرئيس البرازيلي دعوة جلالته للقيام بزيارة إلى المغرب. ثم حدثتُ جلالته عما رأيته في مصنع شركة ستيرن، وعما أبداه السيد هانز ستيرن، صاحب الشركة، من إعجاب وتقدير لما يُعرف عن موقف المغرب تجاه اليهود المغاربة.

وفي ختام هذا الحديث، كان جلالة الملك قد ارتأى أن أعود إلى البرازيل لزيارة المصنع المتحدّث عنه، لكن، سيكون هذه المرة في مصاحبتي أحد خبراء المجوهرات من شركة «شومي Chaumet» بباريس، لمعاينة واختيار ما سيُفتنى للملك.

انتقلتُ والخبير الفرنسي في المجوهرات إلى البرازيل. واستقبلنا صاحب شركة المجوهرات، السيد هانز ستيرن H. Stern قدّم لنا أنفس ما عنده من مجوهرات.

انتقى خبير المجوهرات الذي صاحبي، ما رآه بجزبه، من أنفس الجواهر التي عرضت علينا، وقمتُ أنا بأداء المبلغ المستحق لما تمّ انتقاؤه، وكان أدائي بشيك بنكي. وهنا لا بدّ من تسجيل التفاتة أخرى قام بها صاحب الشركة، تقديراً للملك الحسن الثاني، حيث أخبرنا صاحب الشركة أن ثمن البيع تمّ بتحديد أئمة تفضيلية لما تمّ اقتناؤه لجلالته، أي الثمن الذي يبيع به للمحلات الكبرى المتخصصة في بيع المجوهرات، ثم زاد على ذلك أن قام بخصم استثنائي. وحين تسلّم الشيك البنكي، قام بتسليمي، نقداً، المبلغ المالي المتحصّل عليه من الخصم، وهو عشرة آلاف دولار.

عدتُ والخبير إلى المغرب، واستقبلنا جلالة الملك. وكان خبير المجوهرات الفرنسي قد طلب منّي أن أقدم بنفسي، تلك المجوهرات التي تم اقتناؤها لجلالة الملك. لكنني امتنعتُ عن القيام بذلك، وخاطبته قائلاً: لقد كان الاختيار من طرفك، وأنت أدري بقيمة ما انتقيت، وقد يحتاج الأمر إلى بعض الشرح، قد يطلبها الملك، لذا فأنت أولى بتقديم المجوهرات. وذلك ما تمّ بالفعل.

وبعد أن غادر الخبير المكان، وبقيتُ إلى جانب جلالة الملك رأساً لرأس، تقدمتُ نحو جلالته، وحكيْتُ له ما جرى بالنسبة للثمن المؤدى، والخصم الذي قدمه لنا صاحب الشركة، والذي تسلّمته نقداً بالدولار الأمريكي. وحينما هممتُ بتقديم ما بيدي من دولارات، خاطبني جلالة الملك بقوله: اترك المبلغ معك، ستحتاجه في مهمة قادمة.

كان اقتناء مجوهرات نفيسة من مصنع Stern بريودي جانيرو-بالنسبة لي- مهمة تكتسي طابعا خاصا جداً، لأن الأمر يتعلق بمقتنيات شخصية للملك، وذات علاقة بمجال يتحرك فيه المال بحجم كبير. لذلك حين علم البعض من الدائرة المكلفة بالمشتريات الخاصة بالملك والعائلة الملكية، بأمر

هذه المهمة، وإسناد إنجازها إليّ، بدأ نسج أحابيل المناورات. والحق أن تتبع خطواتي كان قد بدأ، منذ وضعتُ قدمي في ريو دي جانيرو. فقد اتصل بي أحدهم حيث أقيم ولم تكن لي به معرفة سابقة. قدّم نفسه كمبعوث من طرف أحد الموظفين السّامين مقيم في نيويورك، ومن المقربين من القصر الملكي، والذي كلّفه بتقديم المساعدة، إن كنتُ أحتاجُ إلى ذلك؟! كيف تعرّف هذا الشخص عليّ إسمي؟ وكيف علم بوجودي في البرازيل؟ وكيف تعرّف على المدينة التي أقيم فيها؟ وعلى الفندق الذي أنزلُ به؟! لا شك أنه توصل بمعلومات دقيقة حول المهمة التي أسندتُ إليّ، ومن ثمّ كل التفاصيل الباقية! لا شك أنها سلسلة مترابطة، مبتدأها من الرباط، ومنتهاها مدينة نيويورك!

إن «مبعوث نيويورك» لم يكن هدفه تقديم المساعدة كما ادّعى، بل لرصد خطواتي، ونقل كل ما يحيط بهذه العملية إلى مَنْ بعثه!

جُنّ جنون الذين كانوا يرون أنفسهم أحقّ من يتولى القيام بهذه المهمة، ومن بينهم هذا المغربي المقيم في مدينة نيويورك!

منذ تلك اللحظة، تجنّد هؤلاء لركوب كل الوسائل، لإبعادي عن القيام بمثل هذه المهام، باعتبار أن طبيعتها تدخل في إطار خاص، لا يحق للغير ولوجهه! إن اقتناء الأشياء الخاصة بالملك الحسن الثاني والعائلة الملكية، كان مجالاً لسيولة مالية كبيرة، تجد نفوساً ضعيفة من بعض المقربين، تسعى لتحقيق مصالح شخصية ضيقة. ويبذل هؤلاء كل الجهود للتعتيم على كيفية إدارة الأمور في هذا الباب!

تحقق ما أراه هؤلاء، ونجحت مكائدهم في إبعادي عن أداء أية مهمة تتعلق باقتناء الأشياء الخاصة بجلالة الملك، ومنذ ذلك الحين، لاحظتُ أن جلالتهم لم يُسند إليّ أية مهمة شبيهة بما قمْتُ به في البرازيل، وأنا بدوري لم أعمد أبداً إلى الإشارة إلى هذا الموضوع، في لقاءاتي مع الملك الحسن الثاني، التي تكاد تكون يومية.

وقد كانت هذه المهمة، أول وآخر ما قمْتُ به في مجال اقتناء بعض الأشياء
الخصوصية للملك الحسن الثاني والعائلة الملكية !



أمام تمثال المسيح الفادي الذي يعد من أهم معالم ريو دي جانيرو، بل من أشهر معالم
البرازيل. أخذت هذه الصورة خلال زيارة رسمية مع الوزير الأول السيد المعطي بوعبيد

في الأرجنتين:

وفي إطار التوجّه الجديد للدبلوماسية المغربية تجاه دول أمريكا الجنوبية، قمتُ، باعتباري وزيراً للنقل، بزيارة الأرجنتين. وإذا كان الهدف الظاهر من هذه الزيارة يرتبط بتحقيق أهداف ترتبط أساساً بوزارة النقل التي أترأسها، فإن الهدف العميق هو تعزيز الحضور المغربي في دول أمريكا الجنوبية، والتصديّ لمناورات خصوم وحدتنا الترابية. وفي هذا الإطار، حرصتُ عند وصولي إلى هذا البلد الأمريكي اللاتيني الكبير، على تنويع اتصالاتي، فكانت لي لقاءات مع قيادات سياسية، ووزراء، ورئيس البرلمان، وبعض أعضاء هذه الهيئة البرلمانية من أصول عربية. وقد نسقتُ مع سفيرنا في العاصمة الأرجنتينية، السيد محمد بوستة (من مدينة تطوان)، لتنظيم لقاء مع الوزراء الأرجنتينيين، وبعض سفراء الدول العربية. والحقُّ أنني وجدتُ في السيد بوستة، سفير المغرب في الأرجنتين، كل التعاون المطلوب، وكان مُرافقي في كل اتصالاتي التي قمتُ بها في هذه الزيارة، والتي تمحورت في بُعدها العميق حول خدمة قضيتنا الوطنية الأولى، قضية وحدتنا الترابية. ومن الالتفاتات الذكية والدبلوماسية للسيد السفير، إقامته لحفل عشاء، دعا إليه بعض الشخصيات السياسية والبرلمانية وسفراء ورجال أعمال، من أصل عربي.

ومن بين السفراء العرب الذين حضروا هذا الحفل، سفير المملكة العربية السعودية، الذي كانت تربطه علاقة خاصة بالسيد محمد بوستة. وقد أصرّ السفير السعودي على دعوتي إلى حفل عشاء آخر، أقامه لي، خصيصاً بمناسبة زيارتي للأرجنتين، حضره بعض السفراء ورجال الأعمال من أصل عربي.

أشير في هذا السياق، أن من الأشياء التي تم تحقيقها في هذه الزيارة -باعتباري وزيراً للنقل- ذلك الاتفاق مع المسؤولين الأرجنتينيين، على تمديد الخط الجوي الذي يربط بين الدار البيضاء و«ريودي جانيرو»، ليصل كذلك إلى العاصمة الأرجنتينية بوينس آيرس «Buenos Aires». مع الأسف ... لم يتحقق هذا المشروع، بعد أن غادرتُ وزارة النقل...!!



خلال زيارتي للأرجنتين كوزير للنقل. الصورة أثناء استقبالي من طرف وزير النقل
ورئيس البرلمان الأرجنتينيّين، وإلى جانبي سفير المغرب في الأرجنتين السيد محمد بوسته

خلاصة مهامها الخاصة وزياراتي الرسمية إلى دول أمريكا الجنوبية، أنها كانت ذات بُعد وطني، يرتبط أساساً بقضيتنا الوطنية الأولى، قضية صحرائنا المغربية. وقد لمستُ لدى المسؤولين السياسيين في تلك البلدان التي زرناها موقفاً لا يمكن وصفه بالعدائي، بل كانت الساحة السياسية في بلدان أمريكا اللاتينية مرتعاً للخصوم في غياب الحضور المغربي. لقد صرّح لي العديد من المسؤولين الذين التقيتُ بهم بتلك الدول بأنهم لم يكونوا يعرفون أشياء كثيرة عن المغرب وتاريخه. لذلك وجدتُ نفسي في كل زيارة مضطراً لبسط جانب من تاريخ المغرب، وخاصة المرحلة التي تعرض فيها بلدي إلى الاحتلال من طرف قوى متعددة، لتوضيح الصورة لاحتلال إسبانيا لجزء من المغرب في شماله وجنوبه، ومن ثمّ كان استرجاع صحرائنا جزءاً من استكمال وحدتنا الترابية.

في المكسيك:

لقد سمحت لي زيارتي إلى أمريكا الجنوبية، بالاطلاع عن كثب على بعض الثغرات في عملنا الدبلوماسي في تلك القارة. لذا رفعتُ تقريراً في الموضوع إلى الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

بعد اطلاع جلالته على هذا التقرير، كان أول ما أمر به جلالته تعيين سفراء في بعض دول أمريكا الجنوبية ومنها المكسيك. وأمرني، رحمه الله، اقتراح أسماء لهذه المناصب، تُقدّم إلى وزير الخارجية السيد عبد اللطيف الفيلاي.

وفعلاً، هيأتُ قائمة ببعض الأسماء التي بدا لي أنها أهل لتقلد تلك المسؤولية في هذه البلدان، التي ترتبط ثقافتها بشكل كبير باللغة الإسبانية. ومن بين الأسماء التي اقترحتها، السيد محمد بنعيسى، الذي كان يومئذ مديراً

لجريدة «الميثاق الوطني»، ومن بين الذين يتحدثون اللغة الإسبانية. وقد شعر السيد محمد بنعيسى بسعادة كبيرة، حينما علم بأني اقترحتُ اسمه مرشحاً لإحدى سفارات المغرب في أمريكا اللاتينية، غير أن حلمه لم يتحقق. ذلك أن السيد أحمد عصمان رئيس البرلمان، ورئيس حزب التجمع الوطني للأحرار آنذاك، طلب من جلالة الملك الاحتفاظ بالسيد محمد بنعيسى باعتباره مديراً لجريدة الحزب، وبالتالي لم يتم تعيين بنعيسى سفيراً؛ وسيشغل فيما بعد منصب وزير الثقافة ثم وزيراً للشؤون الخارجية.

في البيرو :

من ثم، اتخذت زيارتي لهذه الدول -وأنا يومئذ وزير النقل- قناة لخدمة قضيتنا الوطنية. زرتُ الأرجنتين والبرازيل، ثم المكسيك. أما زيارتي لدولة البيرو، فقد تمت حين كلفني الملك الحسن الثاني لتمثيله في تنصيب رئيس الجمهورية الجديد في تلك الفترة (1990)، السيد ألبرتو فوجيموري.

عقدتُ اتصالات عديدة مع مسؤولين سياسيين وحكوميين ورؤساء البرلمان وبرلمانيين ورجال الأعمال. وأول ما لمستُه، من خلال هذه اللقاءات، تضايقهم من مستوى الحضور الدبلوماسي المغربي في بلدهم، وهذا ما فسح المجال لمزاعم الدبلوماسية الجزائرية والبوليزاريو! كمثال، كان السفير المغربي في واشنطن هو الذي يقوم بتدبير علاقتنا الدبلوماسية مع دولة المكسيك، التي تعتبر من الدول الأمريكية الكبرى، وقد عبّر لي المسؤولون المكسيكيون، الذين التقيتُ بهم عن عدم رضاهم على هذه الوضعية، كان لا يرضيهم التمثيل الدبلوماسي المغربي من واشنطن، كانوا يشعرون وكأن الدبلوماسية المغربية تضع بلدهم في رتبة دنيا، بالنسبة للعلاقات الخارجية للمملكة المغربية. وعند لقائي بهم، تساءلوا عن سبب غياب وجهة نظر المغرب؟ وهذا الحضور المكثف للطرف الآخر، المتمثل في موقف الدبلوماسية الجزائرية وصنيعتها جبهة البوليساريو!؟

نص الرسالة الملكية التي كلفني صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني،
بحملها إلى رئيس جمهورية البيرو بعد انتخابه.



جلالة ملك المغرب المملكة المغربية

المحمد لله وحده

ولا يدوم إلا ملكه

من الحسن الثاني ملك المملكة المغربية
إلى صاحب الفخامة فيرناندو بلاوندي تيري
رئيس جمهورية البيرو

صاحب الفخامة ،

إنه ليُسعدنا ، وشعب البيرو الصديق تغمره الفرحة ،
وتعمّه البشرى بانتخابكم رئيساً لجمهوريةته ، أن نوفد
إليكم مبعوثنا الخاص ، وزيرنا في الشؤون الإدارية ،
السيد المنصوري بنعلي ، ليبلغكم أحرّ تهانينا ،
وأطيب تمنياتنا بأن يعمّ الازدهار أقطار جمهورية
البيرو ، وتشيع الرفاهية والسعادة في عهدكم ،
وتحت قيادتكم الحكيمّة .

وأملنا وطيد في أنّ روابط التعاون والتفاهم
التي تربط بين بلدينا وشعبينا لن تزداد إلاّ قوة ومتانة ،
واتساعاً لتشمل جميع الميادين .

... / ...



بسم

ولنا اليقين بأن فخامتكم ستكرمون وفادة
مبعوثنا الخاص، وزيرنا في الشؤون الإدارية السيد
المنصوري بنعلي، وتولون ماسيبلغكم عنا كامل
الرعاية والاهتمام.

وتفضلوا، فخامة الرئيس، بقبول فائق اعتبارنا.
حرر بالقصر الملكي بالرباط في 10 رمضان المعظم
عام 1400 الموافق 23 يوليوز سنة 1980.

صديقكم

لقد تحدث إليّ بعض المسؤولين السياسيين والحكوميين والبرلمانيين ورجال الأعمال اللاتينيين، الذين التقيتُ بهم، بأنهم لا يعرفون شيئاً عن قضيتنا الوطنية بصوت المملكة المغربية، وأن الرائج في ساحتهم السياسية هو ما ينشره الطرف المناويء. بدأت الدبلوماسية المغربية تتحرك في الفضاء الأمريكي اللاتيني بشكل أفضل، فكانت الزيارة الرسمية التي قام بها الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد -في بداية سنوات الثمانين من القرن الماضي- إلى البرازيل، وهي أكبر دولة في أمريكا الجنوبية، وكنْتُ ضمن الوفد الرسمي المرافق له باعتباري وزيراً للنقل.

كانت زيارة هذا الوفد المغربي تؤشر على حركية الدبلوماسية المغربية تجاه دول أمريكا الجنوبية، وطِي هذه الحركية أهداف سياسية ومصالح اقتصادية. والهدف الرئيس من كل ذلك محاصرة خصوم قضيتنا الوطنية، ودسائسهم في دول تلك القارة.

وبعد سرد هذا الجانب من مهامي في بعض دول أمريكا الجنوبية، أودُّ أن أشرك القاريء اللبيب، في وقائع إحدى المهام التي كانت الديار الإسبانية مسرحاً لها.

د- في إسبانيا:

حدث ذلك بعد الانتخابات التي تمت بإسبانيا، بعد وفاة الجنرال فرانكو، والتي أسفرت عن فوز «فيلبي غُونزَلِيسُ Felipe González»، الأمين العام للحزب الاشتراكي العمالي منذ 1974، وكان يومئذ من الشباب الاشتراكي النشط (32 سنة)، بالإضافة إلى تكوينه القانوني، باعتباره من هيئة المحاماة، فضلاً عن تجربة المنفى التي عانى منها مع أعضاء الحزب الاشتراكي العمالي في عهد الجنرال فرانكو لعدم اعتراف هذا الأخير بهذا الحزب.

لم يكن للمغرب أية علاقة بهذا الحزب الاشتراكي الإسباني، وبالتالي غياب التواصل مع هذه الهيئة السياسية الإسبانية، التي أصبحت ممسكة بزمام السلطة في هذا البلد. كانت لي صداقة بالسيد «نيكولا ريدُونْدُو (Nicolàs Redendo)»، الكاتب العام لأكبر نقابة في إسبانيا (لوخيتي)، تابعة للحزب الاشتراكي، والذي رشح فليبي غُونزَلِيسْ عوضاً عن نفسه، ليكون أميناً عاماً للحزب الاشتراكي العمالي. بعد فوز هذا الحزب في الانتخابات، كان لا بدّ من مرور شهر كامل، ليتم ترسيم السيد غُونزَلِيسْ في منصب الوزير الأول (1981)، كما ينص على ذلك الدستور الإسباني. وقبل أن يتمّ هذا الترسيم، طلبتُ من «نيكولا ريدُونْدُو» أن يحدد لي موعداً للقاء السيد فليبي غُونزَلِيسْ. وفعلاً تم ذلك، واستقبلني هذا الأخير في مقر الحزب، باعتباره الأمين العام للحزب الاشتراكي العمالي.

حملتُ معي في هذه الزيارة، خنجراً تقليدياً مصوغاً من الفضة، قدّمته هدية للسيد غُونزَلِيسْ بمناسبة نجاح حزبه في الانتخابات، وتولّيه مهام رئاسة الحكومة، وقلتُ له: هذه هدية من جلالة الملك الحسن الثاني.

كانت معنا في هذه الجلسة سيدة مكلفة بالعلاقات الخارجية داخل هيكل الحزب الاشتراكي. فلما سمعت كلامي، علّقت بقولها مازحة: هذا الخنجر رمز للحُكم!

والحق أن ما قمْتُ به، والهدية التي حملتُ، كل ذلك لم يكن في علم الملك. لقد كانت مبادرة مئّي ولم أخبر ملكي بما أقدمتُ عليه لأنني لم أكن متأكداً من نجاح مهمتي. دار بيني وبين السيد فليبي غُونزَلِيسْ حديث طويل، وخلال ذلك قلتُ له: إن جلالة الملك يدعوكم إلى زيارة المغرب. فوعدني

بأن أول زيارة رسمية له خارج إسبانيا ستكون إلى المغرب. ومرة أخرى كانت هذه الدعوة مبادرة مَنِّي ليس غير! هذه المبادرات التي أقدمتُ عليها، تمت وأنا عهدئذ أشغل منصب وزير النقل. انتهى لقائي مع الأمين العام للحزب الاشتراكي العمالي الفائز في الانتخابات، وتم تكليف السيدة المسؤولة عن العلاقات الخارجية للحزب بمرافقتي لمأدبة الغداء التي هيئت لي بالمناسبة.

عُدتُ إلى المغرب، وتقدمتُ بطلب للقاء الملك الحسن الثاني. وحين تمَّ استقبالي، أخبرتُ جلالته بما أقدمتُ عليه. كان جلالته متوجساً من صعود الاشتراكيين في إسبانيا، وحينما أخبرته بأنني وجهتُ دعوةً باسم جلالته إلى السيد غُونزَلِيس لزيارة المغرب، اندهش جلالته مما حكيتُ له، وأطلتُ من خلال حديثه بعض ظلال الشك في أن يقوم رئيس الحزب الاشتراكي العمالي بزيارة إلى المغرب، قبل فرنسا مثلاً، وهي التي كانت تحتضنهم -هو وأعضاء الحزب- في المنفى!؟

كان عليّ أن أنتظر مرور حفل ترسيم السيد فِليبي غُونزَلِيس، للتحقق مما وعدني به زعيم الاشتراكيين. والحق أن الرجل كان عند وعده. فما أن مرّت شهور بعد ترسيمه حتى بادر إلى الاتصال بي، معبراً عن رغبته في الوفاء بما وعد، وطلب مَنِّي زيارة مدريد لوضع الترتيبات اللازمة للزيارة الرسمية التي يعترم القيام بها إلى المغرب. أبلغتُ الأمر إلى الملك الحسن الثاني الذي كلّفني تبليغ وتأكيد الدعوة بشكل رسمي، لزيارة المغرب، وبمتابعة مختلف مراحل هذه المهمة واتخاذ كل التدابير التي تضمن لهذه الزيارة الرسمية نجاحها الكامل.

انتقلتُ إلى مدريد، ليستقبلني السيد فِليبي غُونزَلِيس هذه المرة، في مقر رئاسة الحكومة، وهو أمر له دلالاته. وخلال الحديث الذي دار بيني وبين الوزير الأول الإسباني، أكد لي مرة أخرى أن زيارته الأولى خارج إسبانيا، ستكون إلى المغرب، وبدوري قدمتُ للسيد فِليبي غُونزَلِيس دعوة رسمية باسم جلالته الملك الحسن الثاني لزيارة بلدنا، وقد تمت بالفعل في مارس 1982. ومنذ ذلك

التاريخ، أصبح الأمر تقليداً من طرف كل الوزراء الإسبان، الذين تقلدوا منصب الوزير الأول، فتكون زيارتهم الرسمية الأولى للمملكة المغربية.



مع رئيس الحكومة الإسبانية فيلي غونزاليس أثناء استقباله من طرف الوزير الأول المغربي السيد المعطي بوعبيد بمقر الوزارة الأولى.

وأودُّ أن أشير هنا، إلى ما انتاب سفيرنا في مدريد يومئذ، السيد عبد الحفيظ القادري، حينما علم بلقائي بالسيد فيلي غونزاليس. فقد استشاط غضباً وشكاني إلى الوزير الأول الأستاذ المعطي بوعبيد، محتجاً ومؤكداً على ضرورة حضور السفير في لقائي الذي تمّ مع الوزير الأول الإسباني. كانت رغبته التعرف على رئيس الحكومة الإسبانية الجديدة. ومما قاله السيد عبد الحفيظ القادري، وهو يعبر عن عدم رضاه لما حصل، وموجهاً الكلام للأستاذ المعطي

بوعبيد: كيف يرتّب السيد الوزير المنصوري بنعلي لقاءه مع السيد فليبي
غُونزَلَيْس، دون أن يخبرني بذلك!؟

فجاء جواب الأستاذ المعطي بوعبيد، ضاحكاً: وأنا بدوري لا علم لي بما
قام به السيد المنصوري بنعلي!

والحق أن ما أقدمتُ عليه، كان يتطلب في سياقه، نوعاً من الاحتراز
وبناء الخطوات بتؤدّة، تجنباً لأيّ رد فعل غير مناسب، وهو الأمر الذي فرض
إحاطة الموضوع بهذا النوع من التحفظ والسرية، فلم أخبر السيد السفير بهذه
الخطوات لأنني كنتُ غير متأكد من نجاح هذه المهمة.

لقد تعددت زيارات الوزير الأول الإسباني، السيد فليبي غُونزَلَيْس، إلى
المغرب، ومع مرور الأيام توطدت العلاقة بينه وبين الملك الحسن الثاني، لتأخذ
طابع «صداقة خاصة». وأصبح تداول بعض الملفات، سواء في القضايا الوطنية
أو الإقليمية أو الدولية، يتمّ أحيانا بشكل ثنائي.

ومن المواقف التي كنتُ شاهداً عليها، وأبانت لي عن طبيعة هذه
الصداقة، ما لاحظته في إحدى زيارات الملك الحسن الثاني إلى الولايات
المتحدة الأمريكية. كان هناك اجتماع للجمعية العامة للأمم المتحدة،
حضره جلالة الملك، وكان الوزير الأول الإسباني السيد فليبي غُونزَلَيْس من
الحاضرين كذلك لهذا الاجتماع. فنظم الملك مأدبة عشاء خاصة دعا إليها
السيد غُونزَلَيْس، وتمّ الأمر في جلسة ثنائية، رأساً لرأس.

ومما دار في هذه الجلسة -وسنعرّفه فيما بعد- أن الوزير الأول الإسباني
أفصح لجلالة الملك عن قراره الذي اتخذه بعدم الترشح مرة أخرى لمنصب
الوزير الأول في الانتخابات القادمة، بعد قضائه في هذا المنصب مدة امتدت
من 1982 إلى 1996، أي مدة أربع عشرة سنة. وأخبر السيد غُونزَلَيْس جلالة
الملك بأنه هو أول من يعلم بهذا الأمر، قبل إخباره المكتب التنفيذي للحزب.



مع رئيس الحكومة الإسبانية السيد فيليبي غونزاليس، أثناء زيارته
لضريح محمد الخامس بالرباط.

وفي إطار دائرة محدودة جداً، أخبرنا الملك الحسن الثاني بقرار الوزير الإسباني، وأبلغنا، جلالته، أنه حاول ثني السيد غونزاليس عن قراره، مشجعا إياه على الاستمرار في مسؤولياته، باعتباره رجلاً سياسياً محنكاً، ويتمتع بنشاط وحيوية، لكنه - كما قال جلالته الملك - كان مصمماً على ما اتخذه من قرار، شعوراً منه بضرورة التجديد على مستوى الأمانة العامة للحزب الاشتراكي العمالي، وكذا على مستوى رئاسة الحكومة.

وبعد ابتعاد السيد فيليبي غونزاليس عن تسيير شؤون الدولة الإسبانية في إطارها الرسمي، ظلت العلاقة وطيدة بينه وبين جلالته الملك الحسن الثاني، ومن



مع السيد فيليبي غونزاليس في المطار أثناء توديعه بعد انتهاء زيارته للمغرب.

صُورها ما قام به الوزير الإسباني من أدوار حينما قدّم المغرب ملف ترشيحه لتنظيم كأس العالم في كرة القدم، حيث طاف السيد غُونزَلَيْسُ على عدة دول، لحثها على مساندة المغرب لتنظيم هذه التظاهرة العالمية، موظفاً خبرته الدولية، وشبكة علاقاته مع العديد من دول العالم؛ وكلما أتاحت له الفرصة يقوم بالدفاع ومساندة المغرب في قضيته الوطنية. وبعد وفاة المغفور له الملك الحسن الثاني، امتدت هذه العلاقة المتميزة والصداقة القوية التي ربطت المملكة المغربية وهذه الشخصية السياسية الإسبانية، إلى عهد جلالة الملك محمد السادس حفظه الله؛ حيث لم يتوقف السيد غُونزَلَيْسُ عن الدفاع ومساندة المغرب في قضيته الوطنية. وإلى اليوم ما يزال السيد فيليبي غُونزَلَيْسُ وفيّاً لهذه العلاقة، وكلما أتاحت له الفرصة، يقوم بزيارة المغرب، وخاصة مدينة طنجة التي نسج معها هذا الإسباني الأصيل علاقة إعجاب وحب عميقين، وغدت مكانه المفضل لقضاء عطلته.

هـ - مهمة خاصة في مدينة مليلية:

حينما يكون الملك الحسن الثاني خارج أرض الوطن، سواء في زيارة رسمية أم خاصة، هناك مجموعة من الترتيبات التي تُتخذ وتصاحب البرنامج الملكي. من بين هذه الترتيبات، تشكيل لجنة تتكون من وليّ العهد (الملك محمد السادس) رئيساً لها، والوزير الأول، ووزير العدل، ووزير الداخلية، ف جهاز الأمن: الأمن الوطني، المديرية العامة لمراقبة التراب الوطني (DST)، والمديرية العامة للدراسات والمستندات (DGED). ومهمة هذه اللجنة أن تقدم للملك الحسن الثاني وهو خارج الوطن تقريراً يومياً عن الأوضاع في المغرب، من جوانب مختلفة، سياسية واقتصادية واجتماعية ... يرسم صورة لما يجري في البلاد من أمور عادية أو غير عادية.

وفي إحدى هذه الزيارات، وكانت لفرنسا، وأنا مُصاحب للملك الحسن الثاني، توصل جلالته بتقرير، ومما ورد فيه ذكر شخص اسمه عمر دُدُوح وما يقوم به من وساطة لتجنيس بعض سكان مليلية من أصل مغربي !

نادى عليّ جلالته الملك وسألني: من هو عمر دُدُوح الذي وردت إليه الإشارة إليه فيما وصلني من تقرير ؟

لم تكن لديّ كل العناصر المطلوبة لتقديم الجواب الشافي للملك، فطلبت من جلالته أن يمهلني بعض الوقت، وزدتُ قائلاً: سأُتصل بأصدقائي في مدينة مليلية، وأُستعلم عن هذا الشخص ؟

اتصلتُ بأصدقائي في المدينة المحتلة، فأخبروني بأن الشخص الذي أسأل عنه، أي عمر دُدُوح، من أصل مغربي مزداد في مدينة مليلية، ويحمل الجنسية الإسبانية، بل إنه موظف في وزارة الداخلية الإسبانية التي أسندت إليه ملف المغاربة المقيمين في مليلية والحاملين لبطاقة الإقامة، وكان دُدُوح يشجعهم على تكوين ملف طلب الحصول على الجنسية الإسبانية !

وقد أبلغني بعض هؤلاء الأصدقاء أن الإقبال على طلب الجنسية الإسبانية يتزايد، وخاصة بين المغاربة الذين وُلدوا في مليية !

لقد تجمعت لديّ الآن جملة من العناصر، يمكن أن أصوغ على أساسها ما يمكن أن يقرب الصورة إلى جلاله الملك، بشكل أكثر وضوحاً.

نحن الآن خارج الوطن، في الديار الفرنسية، لذلك خاطبتُ جلاله الملك -بعد أن أطلعته على الصورة العامة للموضوع المطلوب- قلدتُ:

إذا سمح جلاله الملك -وبعد أن نعود إلى أرض الوطن- سأقوم بلقاء مباشر مع عمر دُوح والوقوف على نوايا الرجل !

وافق الملك الحسن الثاني على اقتراحي، وهو الاقتراح الذي كان نابغاً من غيرتي على وطني لوقف هذا النزيف.

كان لي عدد من الأصدقاء وبعض أعضاء جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» في مدينة مليية، من بينهم الحاج محمد بن هدي، وكان يملك منزلاً في هذه المدينة، على مشارف الناظور. طلبتُ منه أن يُعد مأدبة غداء، ويستدعي لها عمر دُوح الذي كانت تربطه به صداقة. وشرحتُ للحاج ابن هدي غايقي من هذا اللقاء. وبعد أن هيأتُ كل ما يتعلق بهذا اللقاء، انتقلتُ من الرباط إلى منزل السيد ابن هدي، وحضر السيد دُوح، وحضر معه عنصران من رجال الأمن الإسباني لحمايته، وفي نفس الآن لمتابعة ما سيجري في هذا اللقاء. بسطتُ القضية أمام هذا المغربي، وكشفتُ له عن النتائج السلبية التي تترتب حالياً وستترتب مآلاً على الوطن، وأن ما يقدم عليه من تسهيل الحصول على الجنسية الإسبانية للمغاربة في مدينة مليية، سيؤدي إلى إضعاف الروح الوطنية عند هؤلاء، ومن ثم يضعف ارتباطهم بوطنهم الأم المملكة المغربية. كنتُ أحدث الرجل وأبسطُ أمامه جزئيات تغيب عنه، لأجنبه الوقوع في ورطة؛ فأنا على

معرفة جيّدة بأوضاع هذه المدينة المغربية السليبية، ودرستُ فيها زمن الطفولة، في مرحلة من مراحل تعليمي الأولي، ويوم كنتُ أجول في شوارع مليلية وأزقتها، وأحتكّ بسكانها، وأقترب من المعيش اليومي داخلها -مما أكسبني بعض الخبرة بأحوالها- يومها لم يكن دُوح بعد، قد أظَلَّ على هذا العالم !

لكئنّي وجدتُ الرجل متصلباً في رأيه، مصرّاً على الاستمرار في عمله، مبرّراً عمله هذا بأن المغاربة في مليلية سيحصلون على مجموعة من الحقوق، بعد حصولهم على الجنسية الإسبانية: (جواز السفر الإسباني والسفر بدون تأشيرة إلى جميع الدول الأوروبية، والتغطية الصحية، والتعويض عن فقدان العمل... إلى غير ذلك). وقد غاب عن دُوح، أو تجاهل ذلك، بأن ما يقوم به يدخل في باب خيانة الوطن، ويبدو أن حسّه المادّي قد أعماه عن رؤية النتائج السلبية لمغامرته.

لقد كانت لإسبانيا في هذا الباب سياسة مدروسة، لإبعاد المغاربة في سبتة ومليلية المحتلتين عن وطنهم المغرب، بل وعن دينهم الإسلامي. لذا تجد العديد من المؤسسات الإسبانية تهييء لهذا الأمر، منذ المراحل الأولى التي يولد فيها الطفل المغربي بهذه المدينة، وتتدخل الكنيسة من خلال بعض القنوات، في محاولة لتمسيح هؤلاء الأطفال المغاربة، لا سيما اليتامى منهم ومن بعض الأسر الفقيرة، ووقفتُ كذلك على ما تقوم به المؤسسة العسكرية من تجنيد الشباب العاطل. وفضلاً عن ذلك، ووقفتُ على قناة أخرى تحاول إسبانيا من خلالها، إبعاد المغاربة في مدينتي سبتة و مليلية عن هويتهم المغربية، وذلك من باب إحياء النعرة العنصرية، ومحاولة ترسيخ الشعور بأن سكان مليلية هم أمازيغ، ولا تربطهم بالمغرب أية رابطة. كل هذه الوسائل توظف من طرف السلطات الإسبانية لإضعاف الروابط التي تجمع المغاربة في مدينتي سبتة ومليلية بوطنهم المغرب، والتي تعتبر سبتة ومليلية جزءاً لا يتجزأ منه.

ومن بين التصرفات المشينة للسلطات الإسبانية أنها تبادت وطلبت من الأئمة المغاربة، في مختلف مساجد مدينتي سبته ومليلية، عدم الدعاء للملك الحسن الثاني بصفته أمير المؤمنين، في خطبة صلاة يوم الجمعة، الأمر الذي رفضه كل الأئمة والساكنة.

وبخصوص عمر دُدُوح، فقد وجدت المخابرات الإسبانية فيه أداة لتحقيق بعض أهدافها. لكن هذا اللقاء الذي سعيْتُ إليه مع هذا الرجل، كشف للإسبان عن روح الارتزاق لدى هذا المتعاون معهم الذي كان موظفاً في وزارة الداخلية الإسبانية، وتوظيف جنسيته الإسبانية التي يحملها توظيفاً تجارياً، من خلال تجنيس المغاربة في مليلية بالجنسية الإسبانية. وبعد إجراء تحقيق في الأمر من المخابرات الإسبانية، اكتشفت بأنه يقوم بتدبير ملف الجنسية بالمقابل. ولهذا، سحبت منه وزارة الداخلية الإسبانية ما أُسند إليه في هذا الباب، بل عمدت السلطات الإسبانية إلى طرده من وظيفته بوزارة الداخلية، فانبرى عمر دُدُوح إلى تحريض المغاربة في مليلية ضد تلك السلطات. فقامت عدة مظاهرات من طرف المغاربة العاطلين في هذه المدينة، وهاجموا العديد من المحلات التجارية، وأحرقوا السيارات... إلى غير ذلك. وبعد الذي قام به من تحريض على المظاهرات، أُسقطت عنه الجنسية الإسبانية وتم طرده إلى الحدود المغربية. رغم ذلك، بقي مستمرا في تحريض المغاربة، كما بقي متشبثاً بجنسيته الإسبانية، فأقام دُدُوح دعوى على الإدارة الإسبانية قصد استرجاع جنسيته الإسبانية المنزوعة منه، ونصَّبَ محامياً لهذا الغرض، لكن دون جدوى، فقد كان قرار السلطات الإسبانية حاسماً ونهائياً في هذا الموضوع.

بعد أحداث الشغب التي كان وراءها عمر دُدُوح، أخبرت السلطات المحلية في مليلية مراكز القرار في مدريد بما وقع ويقع. كان التقرير يحمل في طياته أن للمغرب يداً فيما حدث من مظاهرات في هذه المدينة المحتلة. اتصل

الملك الإسباني خوان كارلوس بالملك الحسن الثاني، يستفسر عن خلفية تلك الأحداث، وليقف على حقيقة الأمر!

كَلَّفني جلالة الملك بالسفر إلى إسبانيا، ولقاء الملك خوان كارلوس، لتوضيح ما يحيط بهذه المسألة. استقبلني الملك الإسباني في قصره، وأطلعته على كل الحثيات المرتبطة بما جرى من أحداث الشغب في مدينة مليلية، مؤكداً له أن لا يد للمغرب فيما جرى في تلك المدينة، بل إنَّ مدبّر تلك المظاهرات هو شخص يحمل الجنسية الإسبانية، ويعمل موظفاً داخل وزارة الداخلية الإسبانية، وهو عمر دُدُوح.

بعد أن استمع الملك خوان كارلوس للشروح التي قدمتها له، معززة بالعديد من المعطيات التي تثبت أن لا يد للسلطات المغربية فيما وقع، وأنَّ جلالة الملك لا يريد حرباً أهلية في سبتة ومليلية كما يقع في بيروت في تلك الأيام، كما أن استرجاع هاتين المدينتين سيكون بالتفاوض وبطريقة سلمية. ثم طلب الملك خوان كارلوس، وبحضوري، التحاق الوزير الأول الإسباني، وليخاطبه بقوله: اسمع ما قاله السيد المنصوري... لا يد للمغرب فيما جرى! كل ما حدث كان خلفه موظفكم بوزارتنا.

اتسم حديثي مع الملك خوان كارلوس بطابع ودّي، فهو يعرفني من خلال لقاءاتي معه في مناسبات سابقة ومتعددة، سواء في إسبانيا أم المغرب. لذلك حينما انتهى لقائي الرسمي معه، وانصرف الوزير الأول الإسباني، التفت إليّ وخاطبني بقوله: إن الملكة صوفيا (يقصد حرمه) توجد خارج إسبانيا، لذلك فإننا سنتناول طعام الغداء عند صديقنا المشترك، الملك سيمون الثاني Siméon II (ملك بلغاريا الذي كان يعيش منفياً في إسبانيا). رحبْتُ بهذا الاقتراح، فالصلة بيننا نحن الثلاثة يجمعها رابط قبل اليوم. فعلاقة خوان كارلوس بسيمون الثاني مؤسّسة على صداقة متينة، أما أنا فعلاقتي بالملك البلغاري ترتبط بزياراته المتعددة للملك الحسن الثاني، الذي كانت تربطه به صداقة خاصة.

بعد الرسالة التي أبلغتها للملك خوان كارلوس، حول أحداث الشغب التي وقعت في مليلية، أصبحت الصورة واضحة أمام السلطات الإسبانية، فقامت بطرد المحرّض على ذلك الشغب من التراب الإسباني، وساقوه، ليتركوه وحيداً على شريط الحدود المغربية.

ماذا سيفعل عمر دُدُوح بعد أن لقي هذا المصير؟

لقد خرج من إسبانيا مطروداً إلى المغرب لا يملك أي شيء! كل ما لديه تلك الملابس التي يرتديها! ورغم كل سوابقه مع وطنه المغرب، سيجد في بلده ذلك الحزن الدافئ الذي تلقاه بجنوّ، ومُدّت إليه اليد المغربية لمساعدته، وانتشلته من الوضعية المزرية التي آل إليها!

دخل دُدُوح إلى مدينة الناظور، مطروداً من طرف الإسبان. وأخبرني الحاج محمد بن هدّي، بصفته صديق دُدُوح، بوضعيته المزرية بحيث فقد منزله في مليلية وكل ما يملك، أما في مدينة الناظور فلا يملك أي شيء. ما كان عليّ أن أظل متفرّجاً أمام هذه الوضعية التي آل إليه الرجل.

ومن باب التعاطف مع هذا الشخص الذي احتضنه المغرب كمواطن مغربي، أبلغتُ الأمر إلى الملك الحسن الثاني، وكان مقيماً في تلك الفترة بمدينة فاس. حكيتُ لجلالته ما أصبحت عليه حال دُدُوح. كلّفني جلالته، طيب الله ثراه، بالانتقال إلى مدينة الناظور في اليوم الموالي، حاملاً معي مبلغاً من المال، أسلّمه إليه. علم السيد إدريس البصري بالخبر عشية ذلك اليوم، فطلب من جلالة الملك أن تتولى أجهزة وزارة الداخلية هذا الأمر، والتمس استقبال عمر دُدُوح من طرف جلالته. وهكذا تحول هذا الملف إلى وزارة الداخلية. فأرسل السيد إدريس البصري أحد العمال الملحقين بوزارته، للاتصال به. ووجيء به إلى فاس للقاء الملك. وبعد استقباله، تكلّف وزير الداخلية بوضعيته المادية ليتمّ توظيفه في أجهزة الداخلية، وهي الوضعية التي تستمر إلى حدود اليوم (2023).

لكن الغريب في هذه القضية، أنه رغم كل ما قدمته لعمر دُدُوح، وهو -يمر من أصعب فترات حياته- فقد كان جزائي أن بادلني خيراً بشراً. لقد قلب لي ظهر المجنّ، وناصبني العدااء. لقد أشاع بين بعض المقربين أنّ ما حصل له، وأنّ ما آلت إليه وضعيته بعد دخوله إلى المغرب، كلّ ذلك كان بسببي. كيف تسرب هذا الوهم إلى عقل دُدُوح؟ لقد كان هذا الأخير يعتقد أنه بعد دخوله إلى المغرب، سيصبح زعيماً وممثلاً لسكان مليلية، لقد غاب عن دُدُوح أنه عاد إلى المغرب في زمن مختلف، زمن انتهت فيه الزعامات، وغابت الشروط التاريخية التي تصنع رجالات يستحقون حمل هذه الصفة! وتوهمّ فيما توهم أنّي أقوم حاجزاً أمام تحقيق هذا المبتغى! وهو الشيء الذي لم يدّر بجُلدي، وليس من أخلاقي.

*** **

في استقبال ملكة الدنمارك مارغريت الثانية، خلال زيارتها الرسمية
للمملكة المغربية



في رومانيا:



استقبالي من طرف رئيس جمهورية رومانيا السيد نيكولاي تشاوشيسكو وأنا يومئذ أشغل منصب وزير النقل.



السيد أحمد عصمان الوزير الأول يستقبل بحضوري وزير السياحة الروماني، وعن يسار أحمد عصمان سفير رومانيا بالرباط.



IX- مع الملأ الحسن الثاني
في سيافات مختلفة



جوانب من شخصية الملك الحسن الثاني، كما انطبعت في وجداني و ذاكرتي:

لقد سمحت لي مهامي التي تقلدتها عبر مساري الوزاري، أن تتعدد لقاءاتي بالملك الحسن الثاني، لكن هذه اللقاءات ستتخذ صوراً أخرى، من حيث طبيعتها وعددها، بعد التحاق بالديوان الملكي، حيث كان الاقتراب من جلالة الملك تسمح به ظروف مهامي الجديدة. وهذا الأمر سيتيح لي الوقوف على أشياء كثيرة، تعرفت من خلالها على جوانب متعددة من شخصية الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه. ويمكنني أن أخلص رأيي، من خلال ما ترصد لدي من ملاحظات، وما وقفت عليه خلال السنوات التي قضيتها قريباً من المحيط الملكي، أنّ الحسن الثاني كان يعيش ملكاً أربعاً وعشرين ساعة على أربع وعشرين (24/24). كانت لجلالته هبة خاصة!

وكان المقربون منه يعرفون هذا الأمر. قد يضحك معهم، ويضحكون معه، لكن... هذا الضحك لا يُسقط تلك الهبة. يجالسك أحياناً بلباس عادي، لكن الإحساس بهيبة الملك، تبقى حاضرة، كان حريصاً على عدم الإخلال بهذا الجانب، بل سمعته مراراً وهو يسلم ظهائر تعيين في مناصب سامية، يخاطب من أسندت إليه هذه المهمة بقوله: «أنا سلّمك ظهير المنصب، أما الهبة والاحترام، فأنت الذي ستصنعهما!».

صورة أخرى بهرتني وأنا أتابع وأرصد جوانب من شخصية الملك الحسن الثاني، وهي صورة الملك الخطيب المفوّه. كانت خطبه ذات شقين: خطب مكتوبة، تُلقى في مناسبات معينة، وطنية كعيد العرش، أو موجّهة إلى شعبه أو إلى الرأي العام الدولي، مثل بعض خطبه في الأمم المتحدة. فكان جلالة الملك حينما يأمر بتهيء خطاب رسمي مكتوب، يقدم الأفكار المطلوب إدراجها في نصّ

الخطاب، لتتم عملية التحرير، وفي الأغلب الأعم تسند مهمة تحرير النص إلى الأستاذ محمد باحيني، الذي يُعرف بأسلوبه العربي، المتأثر بالمدرسة الأندلسية. تقدم الصياغة الأولى لجلالة الملك، وبعد قراءة الخطاب وإبداء الملاحظات، إما بالإضافة أو الحذف أو التعديل، تعاد الصياغة، وتستمر هذه الخطوات إلى أن يستوي الخطاب في الشكل الذي يعبر بدقة عن أفكار جلالة الملك.

أما الخطب المرتجلة، فمتعددة ومناسباتها شتى. وقوفا أو جلوسا، يبهرك الحسن الثاني هو يرتجل خطابه. تجده مستحضراً لأحداث ووقائع، مشيراً إلى تواريخ معينة، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم أو أحاديث نبوية شريفة، أو أبيات من الشعر العربي الأصيل، أو حكَم أو عبارات سارت مثلاً. وقد امتلك جلالتة قدرة عالية على التبليغ، وامتلك من المهارات الإقناعية ما يجعل المرء، وهو ينصت إلى خطبه المرتجلة، منبهراً بفصاحة لسانه، وطلاقة في التعبير، وقوة الاستحضار. والعجيب في الأمر أن هذه الصورة للملك الخطيب اللسن، تحضر أمامك، سواء خاطبك باللغة العربية الفصحى، أم ارتجل باللسان العربي الدارج.

أما إذا أسعدك الحظ، وجلست أمام الحسن الثاني وهو يخاطب المستمع باللغة الفرنسية، فإنك فائز بسماع لغة فرنسية راقية، تُذكرك بلاغة كبار الناطقين بهذا اللسان. وتبدو بعض مظاهر هذا السمو اللغوي أحيانا في تلك الحوارات الصحفية التي يعقدها جلالة الملك مع إعلاميين غربيين، وخاصة الفرنسيين منهم، لدرجة أن الحسن الثاني يستخدم أحيانا بعض الكلمات الفرنسية التي يمكن اعتبارها من الغميس اللغوي، يضطر معه هؤلاء الإعلاميون إلى البحث في معاجم اللغة الفرنسية، للوقوف على المعنى الدقيق والمقصود من استعمال لفظ معين. علو كعب الملك الحسن الثاني في حديثه باللغة الفرنسية، رصده العديدون، وأتيح للكثيرين الوقوف على هذا الأمر، من خلال حوارات جلالتة مع الصحافة. وإلى جانب هذه الميزة، أطلعتنا هذه اللقاءات على أشياء أخرى، تعكس جانبا من شخصية الملك، وقد أُتيح لي الحضور عن كثب في العديد من هذه الحوارات الصحفية، ورأيتُ وسمعتُ

كيف يفحم الحسن الثاني من توخى أو سعى إلى إحراجه من خلال سؤال قد لا يخلو من سوء نية أحيانا.

ودعني أسوق إليك أيها القاريء الكريم -وقد تكون ممن تحتزن ذاكرته هذا الحدث- مثالا لهذه الأسئلة المستفزة. كنتُ حاضراً في ندوة صحفية، قام فيها صحفي فرنسي لي طرح سؤالاً على جلالة الملك أداره حول بناء مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء، ومما ورد في هذا السؤال، أنّ بناء هذا المسجد كلف المغرب الكثير من الأموال، وهو شيء -يقول الصحفي- فوق طاقة المغرب والمغاربة!؟



مع جلالة الملك الحسن الثاني في زيارة خاصة إلى مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء خلال إنجاز أشغال البناء.

فكان جواب الملك الحسن الثاني أن آلاف المساجد في جميع أنحاء المغرب بناها المحسنون بما لهم الخاص، وأن مدينة الدار البيضاء، تستحق معلمة من مستوى مسجد الحسن الثاني، الذي ساهم في بنائه كل المغاربة، وهي معلمة تعمق البعد الروحي لهذه المدينة. ثم أضاف جلالته مخاطباً الصحفي الفرنسي، صاحب السؤال: وأنتم، كيف بنيتم كاتدرائية (كنيسة) «نُوطِرْ دَامْ دُو پارِي Notre Dame de Paris»؟ وبأي أموال بنيتموها؟! وقد استخدمتم فيها نظام «السُّخرة»! واليوم، أنتم تفتخرون بهذه الكاتدرائية؟! رغم الظروف الصعبة التي كان يعيشها الشعب الفرنسي أثناء هذا البناء الذي استغرق عدة سنوات. لقد كان جواباً مُفحماً، ينم عن معرفة ونباهة وذكاء وسرعة بديهية...
أُخِرْس الصّحفي!

وحضرتُ مرة أخرى ندوة صحفية، طرح خلالها أحد الصحفيين الفرنسيين سؤالاً حول مساندة السيدة دانيال ميران Danielle MITTERRAND، زوجة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميران François MITTERRAND، لمرزقة البوليساريو؟ جاء جواب جلالة الملك -وبعد لحظة تأمل- يقول: هذه السيدة ليست منتخبة، وليست من طبقة النبلاء Les Nobles، وما هي إلا زوجة الرئيس (Morganatique). واستعمال هذا اللفظ (Morganatique)، حير بعض الصحفيين الذين انصرفوا فيما بعد إلى المعاجم اللغوية، يبحثون عن معناه الدقيق!

لقد كان الملك الحسن الثاني يتسدد طاولة الحوار مع الإعلاميين الفرنسيين لسعة اطلاعه، وامتلاكه ناصية اللغة الفرنسية، بل لمعرفته واحتكاكه الكبير بالثقافة الفرنسية وتاريخ ذلك البلد.

وهناك أمراً آخر أثار انتباهي خلال الفترة التي قضيتها في أداء مهامي في عهد الملك الحسن الثاني، تغمده الله بواسع رحمته. فقد لفت نظري، رحمه الله، بمعرفته الدقيقة بالتركيبة الاجتماعية للمجتمع المغربي. فإلى جانب معرفته بالتُخب المدنية، وتعدد العناصر المشكّلة للشعب المغربي، كان على اطلاع

دقيق بالتنوع القَبلي في المغرب، يعرف قبائله وعاداتهم وتقاليدهم، وكان، طيب الله ثراه، يردّد كثيراً، حينما يدور الحديث عن هذا الجانب، عبارة «تَهْلأُو فِي الخيمة الكبيرة»، وكان يقصد أن تُولى العناية دائماً بكبير القبيلة، كان القصد من ذلك أنّ كبير القبيلة، ولا سيما في البادية، كان على دراية بالمشاكل التي تعانيها الساكنة، وهو الذي يمدّ لهم يد المساعدة عند الحاجة، وأن القبيلة غالباً ما تقصده لحلّ خلافاتها ومشاكلها، ولا سيما الفقراء. وكان حديثه عن طبيعة المغاربة يجعله يردّد -وكثيراً ما سمعتُ هذا في لقاءاته، وفي مجالسه الخاصة:- «الشعب المغربي كالأسد المقيّد وأنت ماسك بسلسلة ذلك القيد. وعليك ألا تُقربَه إليك بشكل كبير حتى لا يفترسك، ولا ترخي قيده كثيراً فيذهب بعيداً عنك، ويفترس الغير».

وأنا بصدد الحديث عن بعض جوانب شخصية الملك الحسن الثاني، من خلال ما عشّته بقربه، وما رصدته وأنا أوّدي مهامي التي كان يسندها إليّ، لا بدّ من الإشارة إلى تعلق جلالته الكبير بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، مما كان يدركه كلّ المغاربة.

لكتني في هذا السياق، أريدُ تدوين بعض ما عشّته وما رأيته بأَمّ عينيّ، في مجالس خاصة، أو مواقف محددة.

لقد كان الجوّ الروحاني لا يغيب عن الحياة اليومية للملك الحسن الثاني. ويتعدد هذا الحضور ليأخذ صوراً مختلفة، ربما كان من أهمها ما يوليه جلالته من عناية للقرآن الكريم، الذي يعتبر تلاوته حِرْزاً للمغرب والمغاربة. ومن ثمّ كانت أوامره بقراءة القرآن في المساجد والزوايا بشكل دائم، في كل ربوع المملكة. ويُرفق ذلك بالاهتمام الذي يوليه لهذه المؤسسات الدينية، بما يغدق عليها وعلى القائمين بشؤونها من هبات مالية. كما أن مجالسه الخاصة لم تخل من قراءة ما تيسّر من الذكر الحكيم، لذا، فإن جلالته لا ينام إلا بعد قراءة حزب من القرآن الكريم. وتكون قراءته قراءة تدبّر وتأمل، ومن ثم، كنت

ترى إلى جانبه مذكرة، يدوّن فيها بعض ما يرغب في تدوينه، كالإشارة إلى آية محددة، يرغب في توظيفها داخل خطاب ما، أو يسجل ما يرغب في السؤال عنه، أو الرجوع فيه إلى كتب التفسير للوقوف على بعض الشروح، إلى غير ذلك.

وهناك أمرٌ كان المقربون من جلالته يترقبونه، وهو «الختمة»، أي حينما يُخرج الحسن الثاني «السَّلَكَة». كنا ننتظر هذه اللحظة بكل شوق! لماذا؟

أولاً، مَنْ كان ينقل خبر «الختمة»؟ إنه لَفَقِيه محمد بن بنين، الذي كان أحد مؤسسي الملك الحسن الثاني في جلسته الليلية، ثمَّ يصلنا الخبر عن طريق الأستاذ أحمد بنسودة، مستشار صاحب الجلالة. إِنَّ تَسَقُّطَنَا خبر «الختمة» يكون بسبب ما يتبعه!

فمن التقاليد التي يتبعها جلالة الملك بعد ختمه القرآن، تهية قَصْعَة كبيرة من الخشب، مليئة بالكسكس، يوضع فوقه رأس عجل، ويقدم للمقربين. لذلك تجدنا دائماً نسأل: متى ستحين «الختمة»؟

يشكّل هذا التقليد مظهراً من مظاهر احتفاء الملك الحسن الثاني بالقرآن الكريم، حفظاً وقراءة وتلاوة، وحرصاً على إقامة المناسبات الدينية التي يحظى فيها الكتاب العزيز بما يليق بعظمته. كان جلالته يرى في ذلك -إلى جانب أشياء أخرى- ما يحيط بلاد المغرب بالعناية الربانية، ويقيه من الشرور. وفي هذا المنحى سعى، رحمه الله، إلى أن ترفع الدعوات لحفظ المغرب من كلّ شرٍّ، من قلب مكة المكرمة. فكان الأمر يتم بحرص من المسؤول عن الكعبة المشرفة، الذي حظي بإكراميات الملك الحسن الثاني، ولتبقى الدعوات تثرى من أول بيت وُضع للنّاس، ومن دخله كان آمناً.

إشارات إلى بعض الاهتمامات الكبرى للملك الحسن الثاني:

الاهتمامات الكبرى للملك الحسن الثاني متعددة. فمنذ تولّيه العرش بعد وفاة والده المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، سيجد بين يديه ملفات لقضايا تشكّل أسساً رئيساً في مسار تنمية بلاد لم يمر على استقلالها، سوى زمن قصير. ورغم أن الملك الحسن الثاني تحمل مسؤوليات عديدة ومهمة، وهو وليّ العهد، فإن ثقل المسؤولية سيزيد بعد أن أصبح مليكاً للبلاد. كلّ الميادين كانت تتطلب عملاً دؤوباً، وتخطيطاً محكماً، وإرادة قوية.

ومن خلال مهامي الوزارية التي مارسناها على مدى سنوات، ثم ما أسند إليّ إلى اليوم داخل الديوان الملكي، جعلني أقترّب أكثر من طبيعة الاهتمامات الكبرى التي استحوذت على فكر الملك الحسن الثاني، سعياً من جلالته إلى بناء دولة مغربية عصرية، تحتفظ بأصالتها، وتفتح في نفس الآن على التطورات التي تعرفها المجتمعات الحديثة.



مع المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني بكولف أنفا الدار البيضاء

- في المجال الفلاحي :

كان مجال الفلاحة من أهمّ المجالات التي حظيت بعناية الملك الحسن الثاني، ومع هذا الاهتمام برزت جهود جلالته في بناء السدود، وهي السياسة التي أثبتت مع مرور الزمن بُعد نظره، رحمه الله، في الوقت الذي كانت فيه بلاد الجزائر ومن على رأسها يقولون: اتركوا المغاربة يزرعون الطماطم، وعلينا نحن، تحويل بلدنا إلى بلد صناعي !

وقد أثبتت الأيام أن حلم بلد صناعي في الجزائر ذهب مع الريح، وأن سياسة السدود والفلاحة أثمرت، ووقّرت للمغرب ما يحتاجه وأكثر، وأصبح مُصدّراً للعديد من المواد الفلاحية الجالبة للعملة الصعبة، بالإضافة إلى الدور الذي لعبته وتلقبه السدود، مع التطورات المناخية التي بدأ العالم يعاني منها في السنوات الأخيرة.

ومما كنتُ ألاحظُه من صور عناية الملك الحسن الثاني بكلّ ما له علاقة بالفلاحة، ذلك الاهتمام بأحوال الطقس. كان جلالته يستفسر باستمرار عن هذا الجانب، ويغدو الاستفسار يوميا مع بداية شهر أكتوبر. وهذه مهمة كان ينجزها الجنرال بوبكر السكيرج، الذي يقدم تقريرا لجلالة الملك عن الحالة الجوية، صباح كل يوم.

- مسألة التشغيل:

هاجس آخر، كان نصب عينيّ لجلالة الملك، شغل باله واستحوذ على جزء من تفكيره، وتمثل هذا الأمر في مشكلة التشغيل، وخاصة تشغيل خريجي الجامعات، الذي بدأ عددهم يتكاثر، في موازاة مع تعدد الجامعات، وانتشارها عبر جهات المملكة، بعد أن كانت مركزة في جامعة واحدة بالعاصمة، مدينة الرباط.

كانت مختلف الكليات والمعاهد والمدارس العليا، تخرّج عدد لا يستهان به من حاملي الشهادات، في مختلف التخصصات. من ثم أصبح أمر إيجاد منافذ للشغل لهؤلاء، موضوعاً رئيساً في اجتماعات الملك الحسن الثاني مع مختلف الهيئات، حكومية وغير حكومية، بل إنني لاحظتُ أن جلالة الملك أصبح يتقبل أية فكرة يمكن أن تكون مخرجا لهذا المشكل.

وذات مرة كُتِّب في الإقامة الملكية ببوزنيقة، فجاء وزير التجارة والصناعة في تلك الفترة، ودار حديث بينه وبين جلالة الملك حول مسألة التشغيل، فقال الوزير مخاطباً جلالة الملك: هناك أراضٍ مجهزة داخل المطار الدولي محمد الخامس، وهي تابعة لمديرية المطارات، إذا سلمتني هذه المديرية تلك الأراضٍ، فإنني أستطيع -يقول السيد الوزير- أن أقيم عليها مشاريع تشغل خمسين ألف، في ظرف سنتين !!

ونظراً لتعلق جلالة الملك بالبحث عن حلّ لهذه الأزمة، وما كان يحسّ به من معاناة هذه الفئة من شباب المملكة، فقد بدا لجلالته أن وزيره في التجارة والصناعة، قد جاءه بالمفتاح السحري لهذه المعضلة ! والحق أن كل الحاضرين استغربوا هذا الأمر، وكان من بينهم بعض مستشاري صاحب الجلالة وبعض الوزراء.

كيف آلت الأمور؟ تتبعتُ عن بعد مصير هذا الاقتراح، لأرى إلى أي حد يستطيع هذا المقترح أن يتحقق على أرض الواقع؟

لقد تبين أن ما قدّمه السيد الوزير لم يكن واقعياً ! وأن الاقتراح المقدم لم يحقق الهدف الذي نسجه خيال الوزير !!

بعد مدة قصيرة من هذه النازلة، كُتِّب مع جلالة الملك، مرة أخرى، في إقامته ببوزنيقة. وكان موضوع التشغيل من المواضيع التي دار حولها الحديث،

خاصة وأن تلك الفترة عرفت تعدد الوقفات الاحتجاجية للمعطلين، التي كانت تنظم يوميا أمام مقر البرلمان بمدينة الرباط.

وخلال هذه الجلسة، تقدّم وزير آخر إلى جلالة الملك باقتراح يراه الأنسب لحلّ مشكلة المعطلين من حملة الشهادات! أفسح الملك مجال الحديث لوزيره ليبسط أمامه المقترح الذي جاء به حلًّا لتلك المشكلة.

نطق الوزير فقال: لديّ اقتراح يا صاحب الجلالة، يمكن من خلاله تشغيل مائة ألف من العاطلين، خريجي الجامعات؟! بدت معالم الاهتمام ممزوجة بنوع من الدهشة على ملامح جلالته، فالتفت إلى وزيره سائلا: وكيف سيتمّ ذلك؟؟

جاء جواب السيد الوزير يقول: سنعمل، يا مولاي، على توزيع الخريجين على الكليات القرآنية (ونطق الوزير لفظة «المسيد» عوض الكليات)، وفي كافة أنحاء المغرب!! وأضاف: وسيدرّس هؤلاء الخريجون مواد أخرى للأطفال، إلى جانب تحفيظهم القرآن الكريم! بْهتنا كُننا عند سماع هذا الاقتراح، ولاحظنا نفس الاندهاش يُرسم على وجوه من كان من الشخصيات الحاضرة، ومن بينهم بعض مستشاري جلالة الملك، وبعض الوزراء!

بعد تقديم الوزير لاقتراحه، التفت جلالة الملك إلى السيد إدريس البصري، وسأله: ما رأيك فيما قاله الوزير؟ فجاء جواب إدريس البصري يقول: نعم سيدي، نبدأ بتطبيق هذه الفكرة في «الجماعة» التي يترأسها السيد الوزير (وكان قد انتخب رئيسا لها)، فإذا نجحت، نعمّمها على باقي أنحاء المغرب!

كان جواب وزير الداخلية يحمل في طيّه مصير هذا الاقتراح، الذي لم ير التورقظ، ولم تُطبّق الفكرة، ولو في كُتّاب واحد...!!

كان الملك الحسن الثاني يتحمّس لأية فكرة تحمل بصيصاً من الأمل، لحلّ مشكلة التشغيل. ومثل النموذجين المشار إليهما، قدّمت لجلالته العديد من الاقتراحات، لأن أصحابها كانوا يعرفون تلهّف الملك وتعطّشه لإيجاد حلّ لهذه المسألة. فتهاقّت العديد من المتملّقين -والمتملّقون كُثر في هذا الموضوع وغيره- يُدّلون بدلوهم في هذا الباب، بآراء فطيرة لا تقبل التحقّق على أرض الواقع. لقد اكتفيتُ بالحديث عن نموذجين في هذا الباب، عاينتُهما عن كثب، وقد حضرتُ أخرى، بيد أنّي أقتصرُ على ما ذكرت.



مع جلالة الملك الحسن الثاني، في رحلة صيد برّي.

بعض المواقف و الوقائع الخاصة مع جلالته:

خلال ممارسة مهامي في الديوان الملكي، كان الملك الحسن الثاني يُسند إليّ بعض المهام الخاصة، قد لا يطلع عليها الغير. كما سمح لي هذا الوضع بحضور وقائع محدّدة، أو محادثات بشكل منفرد، وأخرى بحضور شخصيات معينة من المقرّبين، في إطار محدود جدًّا. وهذا الأمر جعلني أقف على أشياء لا يعرفها إلا القلة، وبعضها ظل سرًّا بيني وبين الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه.

- حكاية النشيد الوطني:

وسأعمدُ في هذا الباب إلى سرد بعضها، مبتدئاً بمسألة تتعلق بالنشيد الوطني المغربي. كلُّنا يعلم أننا كنّا نستمع إلى هذا النشيد، في صيغته الموسيقية، دون أن يكون مُرفقا بكلمات. وستتاح لي فرصة، جعلتني أنتبه إلى هذا الأمر، وأتساءل: لماذا تغيب الكلمات عن نشيدنا الوطني؟ فكيف تمّ ذلك؟

ذات مرة، كلّفني الملك الحسن الثاني بمهمة لدى ملك إسبانيا خوان كارلوس. كنتُ مقيماً في أحد فنادق العاصمة الإسبانية. في الليل فتحتُ القناة الإسبانية الأولى لمتابعة برامجها، وشاء الحظ أن أسهر تلك الليلة، إلى أن انتهت برامج تلك القناة، والتي خُتمت بالنشيد الوطني الإسباني، ولفت انتباهي أن ذلك النشيد كان مصحوباً بالكلمات، ممّا جعلني أتساءل: لِمَ لا يكون نشيدنا الوطني كذلك، توضع له كلمات، تعمّق رمزية نشيد وطني، وتزيده تلك الكلمات حماسة، وتساعد المتلقي على تشرب القيم والمعاني والدلالات التي يمثلها ذلك النشيد؟

قررتُ في أعماق نفسي أن أفتح جلالته الملك في هذا الموضوع، بمجرد إكمال مهمتي، وعودتي إلى أرض الوطن. عدتُ إلى المغرب، وكان عليّ أن أخبر جلالته بما أنجزته عن المهمة التي كلّفني بها. كان لقاءي بجلالة الملك في ملعب الكولف بالصخيرات، حيث أبلغته بكل ما يتعلق بتلك المهمة، ثم انعطفتُ إلى الحديث عما شاهدته في القناة الإسبانية وعمّا ساورني من شعور، وما دار في خلدي عن نشيدنا الوطني وضرورة وضع كلمات لهذا النشيد. ورامت على جلالته الملك لحظة من التأمل، وكأنه ينتبه إلى هذا الأمر لأول مرة!

حبذ جلالته هذه الفكرة، والتفت إلى السيد إدريس البصري -وهو يومئذ وزير للداخلية والإعلام- وكان يسير خلف جلالة الملك، ليخبره بما نقلته إلى جلالته، وكلفه بالعمل على إخراج هذه الفكرة إلى أرض الواقع، وبأسرع ما يمكن.

سيتحرك السيد إدريس البصري، بصفته وزيراً للإعلام، سعياً إلى تشكيل لجنة لهذه الغاية. تشكلت اللجنة، وترشح عدد من الشعراء، وقدموا نصوصهم التي يقترحونها كلمات للنشيد الوطني، ليفوز الشاعر علي الصقلي من بين أولئك المرشحين، ويحظى قَصِيدُهُ «منبت الأحرار» بالقبول من طرف اللجنة التي ستعرض هذا المقترح على الملك الحسن الثاني، وينال رضاه، ليصبح هذا النص الشعري يصدح في مختلف المحافل والمناسبات الوطنية والدولية، ويقول:

مَنْبَتِ الْأَحْرَارِ مَشْرِقَ الْأَنْوَارِ
مَنْتَدَى السُّؤْدِدِ وَجِمَاهُ
دُمْتَ مُنْتَدَاهُ
وَجِمَاهُ
عِشْتَ فِي الْأَوْطَانِ لِلْعَلَى عُنْوَانِ
مِلءَ كُلِّ جَنَانِ ذِكْرِي كُلِّ لِسَانِ
بِالرُّوحِ بِالْجَسَدِ
هَبَّ فَتَاكَ
لَتِي نِدَاكَ
فِي فَمِي وَفِي دَمِي
هَوَاكَ ثَارَ نَوْرٍ وَنَارِ
أَخَوْتِي هَيَّا لِلْعَلَى سَعِيَا
نَشْهَدُ الدُّنْيَا أَنَا هُنَا نَحْيَا
بِشَعَارِ
اللَّهِ
الْمَلِكِ الْوَطَنِ

لقد ظللتُ متتبعا مختلف المراحل التي مرّ منها هذا الموضوع، منذ قدّمتُ اقتراحي إلى جلالة الملك، ثم بعد تكوين اللجنة، أسأل دائما السيد إدريس البصري، وزير الداخلية والإعلام، عن الخطوات التي قطعها تهيهء كلمات النشيد الوطني، إلى أن استوى الملف، وحاز على موافقة جلالة الملك. لقد كان شعوري بالاعتزاز كبيرا عندما استمعتُ لأول مرة لنشيدنا الوطني، يُنشد مُفتتحاً بعبارة «مَنْبِتَ الْأَحْرَارِ»، التي تُحيلني على رصيدٍ تاريخي من الأجداد والتضحيات، وعلى روح الحرية التي يشكّل التطلع إليها جزءاً من الشخصية المغربية، ومن القيم التي تَمَسَّكُ ويتمسَّكُ بها الإنسان المغربي منذ أقدم العصور.

-أحداث 1984:

في سنة 1984، انعقد في المغرب مؤتمر الدول الإسلامية، بمدينة الدار البيضاء. وفي خضم انعقاد هذا المؤتمر عرف المغرب فيها أحداثاً مؤلمة، تمثلت في الاحتجاجات التي قامت على إثر الزيادات التي مسّت المواد الغذائية الأساسية.

وفي خضم الترتيبات المصاحبة للمؤتمر الإسلامي، كنتُ مصاحبا لجلالة الملك الحسن الثاني، وهو يستقبل رؤساء الدول، في مطار النواصر بالدار البيضاء. صاحبْتُ أحد الرؤساء إلى مقر إقامته، ثم عدتُ أدراجي إلى المطار، حين وجدتُ السيد إدريس البصري وزير الداخلية، متجهاً نحو، ويخاطبني بلهجة عكّتها نبرة انفعالية، متحدثاً عمّا جرى ويجري من مظاهرات في مدينة الناظور. ثم أخبرني بأن طائرة خاصة قد هيّئت للسفر إلى هناك، وبإمكاني مصاحبة مسؤولين يستعدون للالتحاق بتلك المدينة. أمام هذه الأوضاع، كان عليّ أن أتصرف بسرعة، لذا قررتُ ركوب الطائرة والالتحاق بمدينة الناظور، لمتابعة الأوضاع عن كثب، والوقوف على حقيقة الأمر في عين المكان. اتخذتُ هذه المبادرة، دون أن أخبر جلالة الملك وعائلتي. داخل الطائرة، وجدتُ رجال من أجهزة الأمن، وعلى رأسهم كولونيل من الدرك الملكي.

المقال الذي نشرته جريدة «حسيمة سيتي - أرشيف الريف»



عندما وضع وزير ريفي استقالته على مكتب الملك بعد خطاب الأوباش

حسيمة سيتي « أرشيف الريف » عندما وضع وزير ريفي استقالته على مكتب الملك بعد خطاب الأوباش بواسطة : حسيمة سيتي بتاريخ : 17/03/08 عدد التعليقات : 40

بنعلي المنصوري يضع استقالته على مكتب الملك

بعد انتفاضة 84 وعلى إثر خطاب الأوباش الشهير قام بنعلي المنصوري بخطوة جريئة بوضع استقالته من منصب وزير النقل الذي كان يشغله سنة 1984 على مكتب الملك الحسن الثاني رافضا بذلك وصف الملك لناس الشمال والريف بلفظ الأوباش، لكون المنصوري ينحدر من الريف.

لكن الملك رفض استقالته وجعله أكثر قربا من دائرة الحكم بتكليفه بمهمة بالديوان الملكي حيث لا يزال يشغل هذا المنصب حتى الآن.

عند وصولنا إلى الناظور، صدمتنا مظاهر الشغب، حيث لحق التخريب عدة مرافق ومؤسسات، كواجهات الأبنك، والمحلات التجارية، وملئت بعض الطرقات بمتارس حجرية ...

قصدتُ مباشرة مقر العمالة، حيث كان يوجد عامل الإقليم ووجدته متأثراً بشكل كبير، بسبب تلك الأحداث. جرت بيننا محادثات فيما حدث ويحدث. شرعتُ في إجراء اتصالاتي بأطراف مختلفة داخل مدينة الناظور، من أعيان ومنتخبين، وجهات أخرى، سعياً لإخماد التوتر، وإعادة الهدوء إلى المدينة.

بقيتُ في مقر العمالة، ليس معي سوى الملابس التي حضرتُ بها من مطار النواصر. لم يغمض لي جفن تلك الليلة، حتى إذا بزغ فجر اليوم الموالي، خرجتُ أتفقدُ الأوضاع، فإذا بالشوارع فارغة، ومحلات مغلقة، وبدأت علامات استتباب الأمن تبدو، خاصة بعد الترتيبات الأمنية المصاحبة.

كان عليّ بعد هذه الإجراءات التي قمتُ بها، إبلاغ جلالة الملك بما آلت إليه الأوضاع بهذه المدينة. بعد أيام، وبعودة الهدوء إلى الإقليم، اتصلتُ بجلالته، الذي سألني عن مكان وجودي، لأخبره بأنني في إقليم الناظور، متابِعاً لتطور الأحداث التي عرفها الإقليم، مشيراً في نفس الآن، إلى عودة الأمور إلى نصابها، وعمّ الهدوء بالإقليم، ثم أردفتُ موضّحاً أن غلاء المعيشة، وإغلاق الحدود بين الناظور والمدينة المحتلة مليلية، كانا السبب في المظاهرات، وأن أغلبية الذين شاركوا فيها ليسوا من سكان إقليم الناظور بل أتوا من بعض الأقاليم، وهم من الذين يمارسون التهريب بين الناظور ومليلية.

عدتُ إلى الرباط بعد أن هدأت الأوضاع وساد الأمن، واسترجعت المدينة إيقاع حياتها العادية. وبعد انتهاء المؤتمر شعر الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه بأن صورة المغرب تأثرت سلباً أمام رؤساء الدول الإسلامية لذلك جاء خطابه بعد هذه الأحداث بنبرته ولهجته الانفعالية تمثلت بذلك النعت

الذي وُصم به سكان شمال المملكة، وخاصة سكان الريف. طَيَّ هذا الخطاب،
نعت ملك البلاد أهل الشمال بـ «الأوباش»!!

لقد حفرت هذه اللفظة جُرحاً عميقاً في وجدان الشماليين وبصفة
خاصة سكان الريف...!

أما أنا، وقد كنتُ حاضراً مع جلالة الملك وهو يلقي هذا الخطاب، فلا
تسل عن فعل تلك الكلمة في نفسي...! لقد أحسستُ بدوار كاد يسقطني أرضاً...!
وبعد أن أتمَّ الملك خطابه، انزويتُ في ركن، وانهمرت دموعي
انهياراً، ما كان لمنعها سبيلاً! لقد بكيتُ بحرقة كبيرة، فقد شعرتُ بإهانة،
وإحساس بظلم!

انتبه إلى حالي وما انتابني، بعض من حضروا هذا الخطاب، فوجدتُ
السيد كريم العمراني الوزير الأول، والجنرال حسني بنسليمان، يقفان بجانبني،
مواسين بكلمات سعيًا إلى تهدئي مما حلَّ بي. علم جلالة الملك بالأمر،
بعدما أخبراه بالحالة التي كنتُ عليها بعد سماعي للخطاب. نادى عليَّ جلالتَه
ليخاطبني بقوله: «ياك لأباس ألسي المنصوري؟» كانت عبارته، وكأنها تقول: ما
ورد في الخطاب لا يعينك...؟!

قلتُ لجلالته، والكلمات تخرج على لساني متعثرة تحكي تأثري بما سمعتُ،
ونظقتُ باللسان الدارج قائلا: «مَا بَقَا عندي وجه» لأستمر في الحكومة، وها أنا
أقدِّم استقالتي لجلالتهكم! رفع الملك بصره إليَّ، وتأمل وجهي وملامحي لحظة،
وانصرف...! لم تمر سوى ساعات لأجد القايد «مرجان» ينادي عليَّ، صحبة
الوزير الأول وبعض مستشاري جلالة الملك، للالتحاق بجلسته جلالتَه حول
مائدة الغداء. تناولنا طعام الغداء في حضور جلالة الملك، ثم انصرف الجميع،
ولم يفتحنِي جلالتَه في ما دار بيننا قبل حضور مائدة الغداء! علمتُ فيما
بعد أن جلالة الملك رفض هذه الاستقالة.

بعد هذا الخطاب، مرّت أيام عصيبة، كنتُ متوسّجاً مما يمكن أن يلحق بأهل الشمال، وبصفة خاصة سكان الريف، من تعسفات إدارية، أو تصرفات انتقامية من بعض رجال السلطة، قد تكون نتيجة سوء فهم أو تأويل مبالغ فيه، إثر الغضبة الملكية !

وتحاشياً للأسوأ، طلبتُ من جلالة الملك استقبال وفد من الشمال، لتوضيح الأمور، والوقوف على حقيقة مشاعر سكان هذه المنطقة من المملكة المغربية، حتى لا تقع في سوء الفهم، تجنباً لتكرار ما حدث خلال أحداث 1958.

تقدمتُ بهذا الطلب، وانتظرتُ أسبوعاً كاملاً، بدا لي وكأنّه الدهر ! لم أتلُق أي جواب ! أقدمتُ على خطوة أخرى، طلبتُ موعداً مع مدير التشريرات الملكية، الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي، الذي استقبلني، وفي جلستي معه شرحتُ له سبب طلب لقائي مع جلالة الملك، وألححتُ على تبليغ هذا الطلب إلى جلالته.

بعد أيام، أخبرني مدير التشريرات بأن جلالة الملك سيستقبلني في قصره بدار السلام بالرباط. فكانت حديقة القصر الملكي فضاء لذلك الاستقبال، مَشِينا زمنا غير قصير، وتحدثنا طويلاً، وفي مواضيع مختلفة. ومن جملة ما جاء في حديثي عما وقع في شمال المملكة، قلتُ لجلالة الملك: إن هؤلاء رعاياك، وإذا أخطأ بعض الشباب من العاطلين، فإن لذلك أسبابه، فضيق العيش، وما تسبب فيه إغلاق العبور إلى مدينة مليلية، قد ضاعف من معاناة السكان، ثم زدْتُ قائلاً: «وقبل كل هذا وبعده، فأنتم يا جلالة الملك، عُرف عنكم سماحتكم التي تشمل كل رعاياكم، فإن رجائي، أن يرفع هذا اللبس والغموض، في علاقة جلالتم بسكان المنطقة الشمالية»؛ واغتمنتُ هذا اللقاء، والألفة التي خيَّمت على حديثنا، ونحن نمشي الهويني داخل حديقة القصر الملكي، لأقدم مُلتمسي ليستقبل جلالته وفداً من الأعيان والمنتخبين بأقاليم شمال المملكة؛ وهو ما تمّ بالفعل، حيث استقبل الملك وفداً من ممثلي تلك الأقاليم، وكانت خطوة أعادت الأمور إلى طبيعتها.

- أزمة داخل حزب الحركة الشعبية:

وأبسط مرة أخرى، قضية ترتبط بالسيد محمود عرشان، الذي كان تعرّفني عليه نتيجة ما كان يجمعني بأخيه الدكتور الجنرال مولاي إدريس عرشان، المشرف يومئذ على تفتيش المصالح الطبية للقوات المسلحة الملكية، وكانت زيارته للقصر الملكي، في مناسبات مختلفة، فرصاً تتاح لنا للقاء مما وطد العلاقة بيننا، بالإضافة إلى إشرافه - إلى جانب أطباء آخرين - على تتبع الحالة الصحية لوالدتي، مما سمح بتعدد الزيارات لمنزلها، تعمّدها الله بواسع رحمته.

ومما ساهم في ربط الصلة بالسيد محمود عرشان حين أصبح برلمانيا باسم حزب الحركة الشعبية، تلك الصداقة الوطيدة التي جمعتني برئيسه السيد المحجوبي أحرضان، والتي امتدت عبر زمن غير قصير.

وفي إطار ما كان يحدث داخل حزب الحركة الشعبية من نقاش، ومن تدافع سياسي، قام السيد المحجوبي أحرضان بطرد حوالي عشرة برلمانيين من حزبه، أغلبهم من المؤسسين، بمبرر عدم انضباطهم للتنظيم الحزبي الذي ينتمون إليه. ومن بين هؤلاء السيد محمود عرشان، الذي سيتصل بي ليخبرني بأنه لم يعد منتماً لحزب الحركة الشعبية، ولا لفريقها البرلماني الذي يُعتبر من مكونات الأغلبية في مجلس النواب.

ذات يوم، ونحن مع جلالة الملك الحسن الثاني في ملعب الغولف بالصخيرات، حضر السيد أحمد عصمان، ليخبر جلالته، بما أقدم عليه المحجوبي أحرضان، بطرده حوالي عشرة نواب من فريقه، مما سيخلق مشكلاً للأغلبية داخل البرلمان.

وبعد الحصة الرياضية لجلالة الملك، وانتهائنا من وجبة الغداء، هممتُ وبعض المقربين بالانصراف، حين نادى عليّ «القايد مسعود»، بعدم المغادرة، وبعد انتظار، نادى عليّ مرة أخرى «القايد مسعود»، لألتحق بجلالة الملك داخل سيارته، ولم يكن أحد معنا، أثناء عودته إلى القصر الملكي بالرباط.

سألني جلالته: هل أنت على علم بما يجري داخل حزب الحركة؟

أجبتُه، طيب الله ثراه، بأنني على علم بما جرى ويجري، وبأنني تسلمت رسالة من السيد أحرضان، قدّمتها لجلالته. عقّب رحمه الله، حينها بقوله: ألم تخبرني بأن أحرضان لن يخلق أي مشكل؟ ثم أضاف جلالته يخاطبني: سيعقد أحرضان آخر الأسبوع اجتماعا للحركيين، وسيكون ذلك عند القايدي أمهروق في مدينة خنيفرة، ثم أمرني بالذهاب إلى خنيفرة، لأبلغ المجتمعين هناك، بأن ما يقوم به أحرضان ليس في مصلحة حزب الحركة، مما سيؤدي إلى إخراجه من الأغلبية الحكومية.

جاء جوابي لجلالة الملك، بأن علاقتي بحزب الحركة، انقطعت منذ زمن بعيد، ولم يعد لي أي اتصال به! جاء رد جلالته الملك حاسماً: ستذهب بصفتك عضواً في الديوان الملكي.

انتهى لقائي بجلالة الملك، وقد وصلنا إلى الرباط. قصدتُ منزلي وأنا في حيرة كبيرة. لم يغمض لي جفن، وأنا أبحث عن وسيلة للخروج من هذا المأزق، وكيف أدبر أمر تبليغ ما طلبه مني جلالته الملك، مع وضع طبيعة العلاقة التي تربطني بأحرضان وأسرته، في عين الاعتبار؟ قلبتُ الأمر على وجوه مختلفة ليلة كاملة. وفي الغد، حضرتُ إلى ملعب الغولف بالصخوريات إلى جانب جلالته الملك. وهناك التقيتُ بالكولونيل حمّو حسن أمهروق، وهو أخ القايدي أمهروق، المشرف على الاجتماع المزمع عقده للحركيين في خنيفرة.

فاتحته بالحديث، وأخبرته بأن السيد أحرضان سيعقد اجتماعاً مع الحركيين في مدينة خنيفرة، بالتنسيق مع أخيه القايدي أمهروق، كنتُ أحدثُه، وكأنّ ما دار بيني وجلالة الملك لم يقع، وجدتُ هذا الأخير على علم بهذا الأمر، بل أضاف معلقاً على كلامي: إن أخي برلماني، وعضو المكتب السياسي في حزب الحركة الشعبية، وعقد اجتماع من هذه الطبيعة، بالتنسيق معه في مدينة خنيفرة، أمر معتاد.

بعد سماعي لهذا الرد، سألتُه: هل أخبرت جلالة الملك بهذا الاجتماع الذي سينعقد عند أخيك؟ جاء جوابه بالنفي! أطرقتُ رأسي لحظة، ثم قلتُ: إذا رغبت في نصيحة مني، عليك بإخبار جلالة الملك بهذا الأمر!

بدا لي مقتنعا بما قلت. وفعلا سيعمل الكولونيل حمّو حسن أمهروق على إبلاغ جلالة الملك، ونحن داخل الحصّة الرياضية بـكولف الصخيرات، بذلك الاجتماع المزمع عقده عند أخيه في مدينة خنيفرة. وبعد أن تمّ هذا الإخبار، أبلغني حمّو حسن أمهروق بأنه عند إخبار الملك، ووجهه بغضب من جلالتة الذي خاطبه بقوله، كما حكى لي الكولونيل حمّو حسن: أنتم محسوبون عليّ، والآن، يقوم أحرضان بطرد برلمانيين حركيين من ضمن الأغلبية المعتمد عليها، ليسبّب مشاكل داخل الأغلبية البرلمانية؟! لقد وقع الكولونيل حمّو حسن في حيرة من أمره!

لذا توجّه إليّ سائلا: كيف يمكن لي الوصول إلى حلّ لهذا المشكل؟

جاء جوابي كالآتي: الحل الوحيد، هو مخاطبة أخيك القايدي، لإلغاء ذلك الاجتماع! بدت حيرة مضاعفة على محيّا الرجل، فسألته: ما الأمر؟ أجاب: إن أخي القايدي قد لا يعير اهتماما لما سأقوله، وفي كثير من الأحيان لا يعمل بما أشير به عليه! بل طلب مني مخاطبة أخيه، لإبلاغه المطلوب وإقناعه بذلك، نظرا للصدّاقة التي تجمعني بأخيه القايدي عندما كنّا عضوين في البرلمان.

وجدتُ، من باب التدبير المتزن لهذا الأمر، أن أُلبي طلبه وفي نفس الآن فُتح أمامي باب ومخرج لهذا المشكل، فقصدنا منزل الكولونيل حمّو حسن بالرباط.

عندما تم الاتصال هاتفيا بالقايدي أمهروق، أخبرته أن الاجتماع الذي يتمّ الإعداد له من طرف السيد أحرضان، بتنسيق معه، يكتسي صبغة سياسية، وأنه في حالة انعقاده، في سياق طرد برلمانيين حركيين، سيترتب على ذلك مشكل رئيس، خلال الدخول البرلماني في الدورة القادمة.

كان القايدي أمهروق ينصت إلى مكلمتي باهتمام، حتى إذا انتهيتُ جاء ردهُ عبر الهاتف يقول: هذا هو الوقت الذي تذكّرنا فيه جلالة الملك ! عندما كُنّا نطلب لقاءه، لا يعير اهتماماً لطلبنا ! فاجأتني طبيعة هذا الردّ من القايدي، والنبرة التي تحدّث بها، وكأنها تحمل نوعاً من العتاب. ثم تابع كلامه قائلاً: لقد هيئنا لهذا الاجتماع كل شيء، وبدأ المدعوون يصلون إلى خنيفرة ! ثم أردف كل ذلك بسؤاله: ما هو الحل ؟ قلت له: الحل الوحيد، أن يتم الاتصال بالسيد أحرضان والبرلمانيين المدعوين وإبلاغهم بأنه يتعذر عليك استقبالهم إلى هذا الاجتماع، ثم انتقلُ إلى مدينة الرباط، حتى إذا سأل الناس عنك، قيل لهم: لقد توجه القايدي إلى الرباط في مهمة ما !!

بهذه الصيغة تم إلغاء ذلك الاجتماع، وحينما أصبح ذلك في حكم المؤكد، أخبرتُ الملك الحسن الثاني بأنّ الاجتماع الذي كان عقده مقررًا من طرف السيد أحرضان بمدينة خنيفرة، قد تم إلغاؤه. وهكذا أنهيتُ المهمة التي كلّفني جلالة الملك بإنجازها، وفي نفس الآن استطعتُ من خلال هذا التدبير المحافظة على علاقتي بالسيد المحجوبي أحرضان.

وفي إطار الأزمة الحاصلة داخل حزب الحركة الشعبية، اتصل بي السيد محمود عرشان، نظراً للعلاقة التي كانت تجمعني بأخيه الدكتور الجنرال مولاي إدريس عرشان، المشرف يومئذ على تفتيش المصالح الطبية للقوات المسلحة الملكية، وكانت زيارته للقصر الملكي، في مناسبات مختلفة، فرصاً تتاح لنا اللقاء ممّا وطد العلاقة بيننا، بالإضافة إلى إشرافه - إلى جانب أطباء آخرين - على تتبع الحالة الصحية لوالدتي، مما سمح بتعدد الزيارات لمنزلها، تغمدها الله بواسع رحمته. فطلب منّي السيد محمود عرشان أن أبلغ الملك الحسن الثاني بأنّ البرلمانين المطرودين من الحركة الشعبية، ينوون تكوين فريق داخل البرلمان، سيبقى مؤيداً للأغلبية الحكومية، ولكن بعيداً عن الفريق البرلماني الحركي !

حينما حانت الفرصة المناسبة لمخاطبة جلالة الملك، أبلغته ما عبّر عنه السيد محمود عرشان. وأنا أسردُ على جلالته تفاصيل هذا الموضوع، ظل منصتاً، متتبعا باهتمام مجرى حديثي حتى أنهيتُ كلامي، وانتظرتُ جواباً أو تعقيباً! نظر إليّ جلالته، وبدا متأملاً، لكنّه لم ينبس بكلمة!

بعد مرور بضعة أيام، كنّا في ملعبِ جُولف الصخيرات، نسير وراء جلالة الملك، فإذا بوزير الداخلية السيد إدريس البصري يلتفت إليّ سائلاً: ماذا يريد محمود؟ (يقصد محمود عرشان).

أجبتُه على الفور: محمود يريد أن يصبح وزيراً!!

ومن خلال السؤال الذي طرحه وزير الداخلية إدريس البصري، فهمتُ أن ملف محمود عرشان قد وصل إلى يده! وإلاّ من أين له أن يعرف موضوعاً دار بيني وبين الملك دون حضور أي طرف آخر؟

والحق أنّني كنتُ أنتظرُ جواباً من جلالة الملك، لكن من خلال سؤال وزير الداخلية، فهمتُ أن الملف سلك مسلكاً آخر! كانت تلك إشارة من وزير الداخلية بأن أبتعد عن هذا الملف!

ثم كنتُ أنتظرُ من الطرف الآخر، وهو السيد محمود عرشان، بعد أسبوع أو أسبوعين، أن يسألني عن مصير ما طلب منّي إيصاله إلى جلالة الملك؟! لم يسألني رغم لقاءاتنا بعد ذلك! فهمتُ أن الجواب الذي كان ينتظره منّي قد توصل به من طرف وزير الداخلية. وتبيّن بعد ذلك أن وزير الداخلية ساعده في تكوين فريق برلماني، ثم تأسيس الحزب الذي ما زال يترأسه. وبدوري، وإلى اليوم، لم أثمر معه هذا الموضوع، كأنّ شيئاً لم يكن!

- ما جرى لإدريس باموس:

ودعني أيها القاريء الكريم، أبسطُ لك قضية أخرى ترتبط بمجال مغاير، والتي كان أمرها قد دار بيني وبين جلالة الملك، وانتهت بما كنتُ أسعى إليه من خير.

كنتُ مع الملك الحسن الثاني في مدينة مراكش، حيث أقام فترة من الزمن، قبل أن يحلّ شهر رمضان. وقبل يومين من حلول هذا الشهر المبارك، كان الانتقال من مراكش إلى الرباط. وقد جرت العادة حينما يكون جلالة الملك عائداً من مدينة مراكش، عبر الطريق البرّي، فإن جلالته يتوقف في مدينة سطات، حيث يقيم له السيد إدريس البصري مأدبة غداء.

كانت هذه المأدبة تقليداً رسّخه جلالة الملك. في عودتنا المتحدث عنها، وصلنا إلى سطات، وكان السيد إدريس البصري قد هياً -كالعادة- مأدبة الغداء لجلالة الملك. صادف هذا الوصول، يوم الأحد، حيث كان من المقرر إجراء مقابلة في كرة القدم، بمدينة سطات، بين النهضة السطّاتية وفريق آخر. فطلب السيد إدريس البصري -في هذا اليوم- من الكولونيل إدريس باموس، وهو ضابط من الدرك الملكي -وكان يومئذ رئيساً للجامعة الملكية لكرة القدم (ما بين 1986-1992)- أن يؤجّل المباراة المقرّرة إلى تاريخ لاحق!

اعتذر رئيس الجامعة الملكية، مبرراً الأمر بوجود الفريق الذي سيقابل النهضة السطّاتية بمدينة سطات، وحجز الجمهور الرياضي تذاكر الدخول إلى الملعب، فأبّي تأجيلٍ قد يسبّب بعض الفوضى بين صفوف الجماهير المنتظرة للمباراة! لم يستسغ السيد إدريس البصري هذا الرفض من طرف الكولونيل باموس، فعمد إلى إبلاغ الأمر إلى جلالة الملك (ويعلم الله كيف تمّ إبلاغ ذلك إلى جلالته؟!).

نادى جلالة الملك على الجنرال حسني بنسليمان، قائد الدرك الملكي، وأمره بأن يبلغ الكولونيل إدريس باموس، رئيس الجامعة الملكية لكرة القدم، بأن «يجلس في الشكّنة»!!



في الصورة: على يمين جلالة الحسن الثاني : أحمد عصمان، عبد الحق القادري، إدريس البصري، عبد الكريم لولو، بنعلي المنصوري، في طريق العودة من مراكش إلى الرباط، والتوقف في مدينة سطات، ومائدة غداء في الإقامة الملكية بهذه المدينة.

هذه العبارة تعني أن يقيم الكولونيل باموس في غرفة لا خروج منها، إلى أن تأتي أوامر بذلك؛ فأقام الكولونيل باموس في تلك الغرفة داخل الثكنة، خلال شهر رمضان. لا شك أن الجنرال حسني بنسليمان، قد بقي في نفسه شيء مما لحق إدريس باموس، خاصة وأنهما معاً، كانا من اللاعبين المتميزين في فريق الجيش الملكي لكرة القدم، وتجمع بينهما ذكريات عديدة في هذا الباب.

ما موقعي من كل ما أسرده في هذه النازلة؟ قد يكون القاريء قد لمس، فيما سبق أن سردته قبلاً، تلك العلاقة الشخصية والصدقة الطيبة التي تجمعني بالجنرال حسني بنسليمان.

كان الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، يمارس لعبة الغولف، خلال شهر رمضان ليلاً، في الملعب الذي يوجد بالقصر الملكي، داخل المشور السعيد

بالرباط، وهو ملعب الكولف الوحيد، الذي يتوفر على الإنارة التي تسمح بممارسة هذه اللعبة ليلاً.

كنتُ مع جلالة الملك، إلى جانب بعض المقربين، في إحدى ليالي رمضان، داخل هذا الملعب، ونحن على بُعد أربعة أيام أو خمسة من عيد الفطر. كنتُ نسير وراء جلالتِه، وهو يمارس لعبة الكولف، ليلتحق بي الجنرال حسني بنسليمان، وبدأنا نتحدث في مواضيع مختلفة. ونظراً للصدقة الطيبة التي تجمعي به، فقد طلب منِّي مفاتحة جلالة الملك في شأن الكولونيل باموس، ليسمح له جلالتِه بقضاء عيد الفطر مع أسرته داخل بيته.

ونظراً لطبيعة الصداقة بيننا، والتي أشرتُ إليها قبلاً، لم أتردد في قبول هذا الطلب.

كان عليّ - ونحن نسير وراء جلالة الملك - أن أتحيّن الفرصة المناسبة لأفاتحه في الموضوع المطلوب. من حسن الحظ أن مزاج جلالتِه كان رائقاً تلك الليلة، فلما لاحظتُ لي سمات الفرصة السانحة، تقدمتُ نحوه، وخاطبته في شأن الكولونيل باموس، ملتتمساً من جلالتِه السماح له بالخروج، والعيد على الأبواب، ليقضي هذه المناسبة بين أفراد أسرته، وداخل بيته.

نظر إليّ جلالة الملك ملياً، ثم خاطبني: وما الذي يربطك بباموس؟! كان عليّ أن أجد الجواب المناسب والمقنع عن سؤال جلالتِه دون أن أحشر الجنرال بنسليمان في الحديث!

قلتُ مخاطباً جلالتِه: إنّه من أمهر اللاعبين في فريق الجيش الملكي، وكنتُ معجباً به، وبطريقة لعبه وسلوكه، وهو ما جعلني دائماً متابعا للمباريات التي يشارك فيها.

سجّل الملك هذا الأمر في ذاكرته، ومضى يتم ضربات كرة الكولف، وملاحظه تبشّر بتحقيق رجاء الجنرال بنسليمان، وأنّ مسعاي لن يخيب. وكذلك

كان. ففي اليوم الموالي، توصل الجنرال بأوامر إطلاق سراح الكولونيل باموس، ليُتاح له قضاء عيد الفطر مع أسرته في بيته، ثم العودة إلى مهامه على رأس الجامعة الملكية لكرة القدم.

وما إن علم الجنرال حسني بنسليمان بالخبر، حتى قام بالاتصال بي لإبلاغني بتحقق المرغوب، معبراً لي عن شكره لما قُمتُ به لصالح إدريس باموس، وكنتُ أحسُّ من خلال نبرات صوته القادمة عبر الهاتف، بنوع من الارتياح الكبير.

- التفاتة «حَسَنِيَّة» إلى الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد:

مناسبة أخرى، جرت في جوّ خاص، لم يتجاوز الحاضرون فيها عشرة أفراد، كنتُ واحداً منهم. تمّ هذا الأمر في مدينة إفران، حيث استقبل الملك الحسن الثاني الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد. وبعد انتهاء المحادثات الرسمية التي دارت بين الإثنين رأساً لرأس، نظم الملك الحسن الثاني للرئيس الجزائري رحلة صيد في غابات مدينة إفران، لصيد الخنزير البرّي. كانت رحلة صيد ممتعة، تجنّد فيها عدد كبير من «الحيّاحة»، مما ساعد على وجود كمّ وافر من الخنازير في مرمى القناصين، فكنتُ أرى ملامح انشراح كبير على وجه الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، مستمتعاً بما يصيبه من صيد، وسط صياح «الحيّاحة»؛ كان في منتهى النشاط.

لكن المفاجأة الأكبر، ستكون مساءً!

فحوالي الساعة الحادية عشرة ليلاً، نُودي عليّ للالتحاق بالقصر الملكي، فالتحقتُ، ووجدتُ أشخاصاً آخرين من المقربين، تمت المنادة عليهم بدورهم، لكن عدداً لم يتجاوز العشرة، كان من بينهم: المستشار الملكي أحمد رضا أگديرة، ووزير الداخلية السيد إدريس البصري، والجنرال عبد الحق القادري،

وأخرين. جلسنا جميعاً في قاعة من قاعات القصر في إفران، وانتظرنا بعض الوقت، فإذا بالرئيس الجزائري يدخل وصحبته بعض الأشخاص، لا يتجاوزون الأربعة، ليستقبل جلالة الملك الجميع، ندخل قاعة أخرى، لنجد جلالته قد هياً لضيفه الرئيس الشاذلي بن جديد مأدبة عشاء. إلى هنا، بدلنا الأمر عادياً، لكن الطريف في هذه الجلسة الخاصة، هو التفاتة «حسنية» إلى الرئيس الشاذلي بن جديد !

على مسافة الطاولتين -وهما كل ما يشكل هذه المأدبة الخاصة- بدت لي طاولة أخرى وضعت فوقها حلوى كبيرة الحجم، مهيأة بشكل جميل وذوق رفيع. لمن هذه الحلوى؟ هل هي مما يدخل في ترتيبات المأدبة؟ سيُخرجني من حيرتي كلام جلالة الملك، وهو يتوجه إلى الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، مهنئاً ضيفه بذكرى عيد ميلاده، متمنياً له موفور الصحة وتمام العافية، ولشعبه كل الرفاه والرفي...!!

مثل هذه الالتفاتة لا تكون إلا من ملك عظيم، وسياسي حكيم، لدولة عريقة أصيلة. إنها من الالتفاتات الذكية للملك الحسن الثاني !

ولا تسَل عن الشعور الذي انتاب الجميع، وهو شعور اختلط عليّ شخصياً، وتراوح بين الاندهاش والإعجاب، وتساءلت: كيف يرتسم تاريخ ميلاد الرئيس الجزائري في ذاكرة جلالة الملك؟ ثم كيف ينبري إلى الاحتفال معه بهذه الذكرى، داخل القصر الملكي، على أرض المملكة المغربية؟ إنها الأخلاق الأصيلة للإنسان المغربي.

أما أثر هذه المفاجأة في نفس الرئيس الجزائري ومرافقيه، فقد كانت ملاحظتها بادية على محيّاهم، الذي ارتسمت عليه سمات الانشراح والارتياح، المشفوعة بعبارات الثناء على هذه المشاركة الوجدانية لذكرى عزيزة على كل إنسان، لارتباطها بيوم خروجه إلى هذا الوجود.

هذه من المناسبات الطريفة التي حضرْتُها إلى جانب الملك الحسن الثاني، والتي دارت في إطار محدود جدّاً، حطّني زمني أن أعيشها مع ملكي.

- حول الطائرة الليبية الغامضة:

حدثت هذه الواقعة، وأنا يومئذ أتحمل مسؤولية وزارة النقل. ذات يوم، تلقت مصالح هذه الوزارة طلبا من السلطات الليبية، يخص توقف طائرة تابعة لها، تحط بمطار الدار البيضاء للتزود بالوقود.

في مثل هذه الحالات، لا بد أن تتوفر المصالح الإدارية المعنية في وزارة النقل على معلومات محددة. فطلب من المسؤولين الليبيين تحديد نوع الطائرة، ووجهتها، ونوعية الحمولة.

توصلنا بما يفيد أن الطائرة عسكرية، متوجهة إلى دولة نيكاراغوا (Nicaragua) في أمريكا الوسطى، لكن دون أن تفصح السلطات الليبية عن طبيعة حمولة الطائرة.

كان لا بد أن أطلع الملك الحسن الثاني على هذا الأمر، اتصلتُ بجلالته، الذي استقبلني في القصر الملكي بالرباط.

بسطتُ الواقعة أمام جلالته، بكل الحثيات التي توفرت لديّ، فكلفني بالاتصال بالجنرال عبد الحق القادري، المسؤول عن المديرية العامة للدراسات والمستندات (DGED). بعد اتصالي بالجنرال القادري، طلب منّي أن يكون لقاءنا بمنزله، محددًا الساعة السادسة مساءً، موعداً لذلك اللقاء.

وصلتُ إلى منزل الجنرال في الموعد المحدد. دار حديث بيننا حول السلطات الليبية الترخيص لنزول طائرتهم، وتزويدها بالوقود، لتتجه إلى نيكاراغوا، عبر مطار الدار البيضاء، وكذا حول المسألة المرتبطة بحمولة الطائرة، إلى فرضية أن الطائرة الليبية المعنية، ربما تكون محملة بالسلاح الموجه إلى دولة نيكاراغوا، التي كان نظاما شيوعيا وحكامها من الثوريين.

اتضحت الأمور لنا، ليتم التنسيق بين المصالح الإدارية التابعة للجنرال القادري ووزارة فكان الإلحاح على السلطات الليبية لتحديد نوعية الحمولة. أمام هذا الإلحاح صرف المسؤولون الليبيون النظر عن الموضوع، وانتهى الأمر.

- حول سعبي لخلق جهة الحسيمة/الناصور:

الصورة الرابعة التي انتقيتها مما كان يدور بيني وبين الملك الحسن الثاني، في إطار خاص، ترتبط بسعيي إلى خلق جهة الحسيمة/الناصور، حينما بدأ التقسيم الإداري للمملكة إلى جهات.

كانت لديّ رغبة كبيرة لتكون الحسيمة والناصور جهة موحّدة، تجمع منطقة الريف. تقدمتُ بهذه الرغبة إلى جلالة الملك في جلسة خاصة، ثم أردفتُ هذا الطلب بمذكرة رفعتها إلى البرلمانين الذين يمثلون منطقة الريف، ليتمّ التوقيع عليها من طرف هؤلاء.

وتابعتُ الخطوات الموائية الكفيلة بتحقيق هذه المبتغى. وهو ما تمّ حينما صدرت تعليمات من جلالة الملك إلى وزير الداخلية لخلق جهة الحسيمة-الناصور، ولتكون الحسيمة مركز هذه الجهة. كان سعيي حثيثا في هذا الباب، بعد الموافقة الملكية السامية لتحقيق هذه الرغبة، وكنتُ أشعرُ بالوقوع الإيجابي الكبير الذي سيخلفه خلق هذه الجهة، وخاصة من الناحية التّفسيّة، حينما تشعر ساكنة تلك المنطقة بتحريرهم من التبعية الإدارية لمدينتين آخرين؛ حيث كانت الحسيمة تابعة لفاس، والناصور تابعة لوجدة.

وتحققت البُغية، وكان لها نتائج إيجابية جدًّا على مستويات متعددة.

لكن الذين يصطادون في الماء العكر، لم يُرضهم ما حدث، فكانوا يتحسّنون الفرصة لهدم ما تمّ بناؤه، سعيا لتحقيق مآرب شخصية دنيئة.

فلما فكّرت الدولة في إعادة تقسيم الجهات للمملكة، في السنوات الأخيرة، رأى فيها أصحاب الضمائر الخبيثة، فرصة لطمس المكتسب الذي حقّقته جهة الحسيمة-الناصور. وانبرى لهذا العمل الدنيء أشخاص كثير، ومن بينهم شخص خسيس، محسوب على الشّمم الريفي، والريفيون منه براء!

هذا الحقير، سمح له الزمن في غفلة من التاريخ باكتساب قدر من

النفوذ، مكّنه من تحقيق هذا الأرب، فأعاد الأمور سيرتها الأولى، وسعى إلى تقسيم جهة الحسيمة-الناصور، فعدت الحسيمة تابعة لجهة طنجة، وألحقت الناصور بجهة الشرق.

ولما كان الباري تعالى يُمهّل ولا يُهمل، فقد أصاب هذا الحقير من عوادي الزّمن، ما جعله يفقد ما كان بين يديه من سلطة ونفوذ، وفُضح أمره، وغدا مُشاراً إليه بالبنان، ولكن ضمن زُمرة من ألقبي بهم في مزبلة التاريخ !!

- حكاية فندق «الريف» بطنجة:

مواقف ووقائع خاصة ومتعددة، جرت لي مع الملك الحسن الثاني، طيّب الله ثراه، بعضها يرتبط بشؤون الدولة، إن على المستوى الدولي أو على مستوى الشأن الداخلي لبلدي؛ كما أن بعضها الآخر كان بهدف رفع حيف، أو إسداء معروف، أو تقديم خدمة أرى فيها مصلحة وطني، وضمنها منطقتي الريفية وساكنتها. منها ما سأسطّنه بين يدي القاريء، ويتعلق بمرفق سياحي في مدينة طنجة.

كان فندق «الريف» من أهم وأجمل الفنادق في مدينة طنجة، في سنوات السبعين من القرن الماضي. وكان في ملكية امرأة سويسرية، ويتمّ تسييره من طرف أحد اليهود المغاربة، اسمه «إيمي السرفاتي». قررت المالكة السويسرية بعد وفاة زوجها، بيع الفندق.

فتقدّم لشرائه أحد أبناء الحسيمة، السيد حميدوش، ومعه كذلك السيد إيمي السرفاتي، المسير لهذه المؤسسة السياحية. ظل الفندق يشتغل بعد انتقال ملكيته إلى المالكين الجديدين، بتسيير من السرفاتي نفسه. غير أن التسيير في هذه المرحلة الجديدة لم يكن شفافاً ومُحكماً، مما أدّى إلى تدهور وضعية الفندق، نظراً لما طاله من إهمال.

قرّر المالكان الجديدان، السيد حميدوش و السيد السرفاتي، إعادة تهيين

فندق «الرّيف»، ليسترجع مكانته المتميزة من بين الفنادق الكبرى في مدينة طنجة. تمّ الاتفاق على هذا الأمر بين المالكين، وسُلم ملف الإصلاحات المطلوبة إلى مصمّم للديكور «Décorateur»، لتقديم تقويم مالي لهذا العمل. حُدّد المبلغ المطلوب لإنجاز الإصلاحات، فقام السيد حميدوش بتسليم حصته إلى مُحاسب الفندق السيد أبراهام أرنكوط. لكن الطرف الثاني، المتمثل في السيد السرفاتي، سيعمد إلى التماطل، ولم يسلم نصيبه المخصّص للإصلاحات!

هذه الوضعية ستتصادف مع زيارة، كان سيقوم بها الملك الحسن الثاني إلى مدينة طنجة. وكما جرت العادة لتهيء أية زيارة ملكية لمدينة من مدن المملكة، تقوم لجنة بزيارة تلك المدينة لحجز الأماكن التي سيقوم فيها الوفد الرسمي المرافق لجلالة الملك. انتقلت لجنة برئاسة السيد عبد الفتاح فرج، رئيس الكتابة الخاصة لجلالة الملك، إلى مدينة طنجة، وكان فندق «الرّيف» أحد الأماكن المرشحة لإقامة الوفد المرافق. غير أن حالته كما وقفت عليها اللجنة، لم تشجع على اختياره. وفي لقاء السيد عبد الفتاح فرج بمسيّر الفندق السيد السرفاتي، اقترح هذا الأخير بيع فندق «الرّيف» للدولة! متحجّجاً بعدم الإقبال عليه، مما أدى إلى ضعف المداخيل، وأضاف بأن شريكه الريفي السيد حميدوش -حسب زعمه- لا علاقة له بالمجال السياحي وتسيير الفنادق! وبالتالي أصبح الفندق على الحالة التي آل إليها.

نُقل الخبر إلى الملك الحسن الثاني، وحينما طرق سمعه اسم «إيمي السرفاتي»، أخبر من أبلغه أنه يعرف إيمي السرفاتي، لأن جدّ هذا الأخير كان أحد حاخامات اليهود في المغرب، خلال إحدى الفترات. ولما علم جلالته الملك أن شريك السرفاتي رجل ريغي، نادى عليّ ليسألني: هل تعرف السيد حميدوش من الحسيمة، مالك فندق «الرّيف»؟ وقد أخبروني بأن الفندق في وضعية مزرية ومهمل، وأن حميدوش لا علاقة له بالسياحة؟! لم يكن هذا الاسم يعني لي أي شيء في اللحظة التي سألتني فيها جلالته الملك. طلبت من جلالته أن يُمهلي بعض الوقت لأتبيّن الأمر.

قمتُ باتصالاتي مع أصدقائي في مدينة الحسيمة، أسألهم: هل تعرفون حميدوش؟ كان جوابهم مفاجئاً لي! حميدوش هو شعيب جُوغُو! لم أكن أعرف أن الاسم العائلي لشعيب جُوغُو هو حميدوش! أما شعيب جُوغُو، وهنا المفاجأة، فهو من الأعضاء المؤسسين لفرع جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» في مدينة الحسيمة، وإلى جانب هذا، يشغل منصب رئيس غرفة الصناعة والتجارة في الحسيمة، وصاحب معمل الآجر الوحيد فيها.

تساءلتُ في أعماق نفسي وقلتُ: يسألني جلالة الملك عن أحد أصدقائي، ثم لا أجد جواباً لذلك في حينه؟! ثم استدركتُ وقلتُ: ولكن من أين لي أن أعرف أن شعيب جُوغُو يحمل اسماً آخر هو حميدوش، وهو اسمه العائلي، ربما يتداول بين فئة قليلة ودائرة ضيقة في مدينة الحسيمة!؟

بمجرد ما وقفتُ على هذه الحقيقة، قمتُ بالاتصال بشعيب هاتفياً، ودار بيننا حوار حول اللبس الذي أحاط باسمه، ثم انعطفتُ إلى سؤاله: ما الذي جرى بينك وبين السرفاتي في فندق «الريف»؟ فانبسط لي الحكي لي الواقعة بالتفصيل، وليخبرني بأن شريكه السرفاتي الذي تولى تسيير الفندق، لم يقدم له الحسابات المطلوبة والمتعلقة بالفندق، على مدى عدة سنوات، إلى أن أصبح فندق «الريف» في تلك الحالة التي لا تُرضي! وللوقوف على صحة أقواله، طلب منّي الاتصال بالمحاسب السيد أزنكوط، المكلف بحسابات الفندق.

وبعد أن استمعتُ إلى ما حكاه لي حميدوش شعيب، رغبتُ في الإنصات إلى ما سيقوله السرفاتي في الموضوع. لقد كنتُ أعرف الرجل حق المعرفة، من خلال إقامتي في فندق «الريف» حينما أزرُ مدينة طنجة. اتصلتُ به، وحسب أقواله، فإن وضعية التردّي التي آل إليها فندق «الريف» ترتبط بوجود شريك - وكان يقصد السيد حميدوش - لا يفهم شيئاً في مجال الاستثمار السياحي، وبعيد عن امتلاك الخبرة المطلوبة لتسيير مرفق سياحي في حجم فندق «الريف»، في مدينة تعتبر قُطباً سياحياً مهماً كمدينة طنجة!؟

لم أكن متسرعاً في القطع برأيي محدد، بل سعيْتُ إلى استكمال المعطيات، لتكون الصورة أُمَامِي أَوْضَح، والذهاب إلى استنتاج حُكْم موضوعي حول هذا الملف.

فعمدْتُ إلى الاتصال بالسيد أبراهام أَرْنُكُوط، محاسب فندق «الرَّيف»، وهو من اليهود المغاربة الذين يشهد لهم بالكفاءة والخبرة العاليتين، في مجال ضبط حسابات الشركات، ويحظى بالثقة والاحترام من طرف المغاربة المسلمين واليهود، وكان رئيس الجالية اليهودية بمدينة طنجة.

وبصفته مكلفاً بضبط حسابات فندق «الرَّيف»، سألتُه عن هذا الملف، وسيره في مرحلة مالِكتِه السويسرية، ثم في مرحلة انتقال تلك الملكية إلى حميدوش شعيب وإيمي السرفاتي؟

حكى لي السيد أَرْنُكُوط عن مختلف الخطوات التي سار فيها ملف فندق «الرَّيف»، وأثنى على سلوك السيد حميدوش شعيب من حيث تعامله، ووصفَهُ بالرجل الجدِّي، وأبلغني أنه تسلَّم شيكاً يتضمن المبلغ الذي يمثل نصيب حميدوش المقرَّر لإصلاح الفندق، وأن السيد السرفاتي تماطل في تقديم حصَّته، ويشهد أنه هو المسير للفندق قبل شرائه من مالِكتِه السويسرية وبعد شرائه، وأن حميدوش لا علاقة له بالتسيير.

ومن خلال ما دار بيني وبين السيد أَرْنُكُوط، اتضح لي أن السيد السرفاتي قام باستغلال الفندق مدة طويلة بشكل انفرادي، وأنه لم يكن يُطلع السيد حميدوش على الحسابات المتعلقة بسير هذا المرفق السياحي، بل تبين أن السيد السرفاتي قد تجمع لديه من المداخل ما مكَّنه من شراء فندق آخر، يقع قبالة فندق «الرَّيف»، هو فندق «طارق»! وانصرف السرفاتي إلى الاهتمام بفندقه الجديد، وتمَّ إهمال السابق، ليصل إلى وضعية مزرية.

لقد تجمّعت لديّ الآن مجموعة من العناصر، ساعدتني في توضيح الصورة التي سار فيها ملف فندق «الريف» بطنجة. فسارعتُ إلى تقديم الجواب المطلوب إلى الملك الحسن الثاني، وبسطتُ أمامه الموضوع بالموضوعية المطلوبة، والوضوح الكامل، الذي كشف عن التحايل الذي ركبه السيد السرفاتي، وخدم شريكه، السيد حميدوش شعيب، وأبنتُ لجلالة الملك أن الهدف المقصود من كل ذلك هو إبعاد السيد حميدوش، ليستولي السيد السرفاتي على الفندق، ويتم استغلاله بشكل انفرادي وبصفة قانونية، ولهذا اقترح بيع الفندق للدولة شريطة أن يتولى بنفسه إدارته العامة.

وطيّي حوارني مع جلالة الملك، أبلغته أن حميدوش هو الاسم العائلي لشعيب جُوغُو، وهو رجل أعمال وتاجر نشيط يحظى بالاحترام في المنطقة، إلى جانب تحمّله لمسؤوليات ومهام، عَدَدَتْها لجلالته من حيث طبيعتها، مما أشرتُ إليه قبلاً.

ما مصير هذه النازلة؟ وما مصير الاقتراح الذي تقدّم به السيد السرفاتي للسيد عبد الفتاح فرج، لكي تشتري الدولة هذا الفندق؟

منذ أن قدّمتُ لجلالة الملك ما تجمّع لديّ عن هذا الملف، لم يعد يُذكر أمر هذا الفندق، وطُوي اقتراح شرائه من طرف الدولة المغربية. إذًا، كيف حلّت أزمة هذا المرفق السياحي؟ ستدخل على الخط فيما بعد، شركة «الخطوط الملكية المغربية (RAM)»، واكترت الفندق، وقامت بإصلاحه، وهي التي تقوم بتسييره إلى اليوم، بينما ظلّ الشريكان محتفظين بالملكية المشتركة للفندق.

- سعبي لإنشاء إقامة ملكية في الناظور:

ومن المواضيع التي كانت مثار أحاديث خاصة مع الملك الحسن الثاني، تلك الرغبة التي سعيتُ إلى تحقّقها، والمتمثلة في إحداث قصر يكون مقرّاً لإقامة جلالته، كما أتاحت له فرصة زيارة منطقة الريف.

كان الملك الحسن الثاني في بداية سنوات الستين من القرن الماضي، يتخذ من مدينة طنجة مقراً لقضاء عطلته الصيفية، وكان يُطلق عليها «العاصمة الصيفية». ودار في خلدي هذا السؤال: ولم لا تكون لجلالته إقامة أخرى في مدينة الناظور؟

وحيثما حانت الفرصة المناسبة، فاتحْتُ جلالة الملك وقلتُ: إن جلالة الملك لا يتوفر على قصر في إقليم الناظور، يمكن أن يكون مستقراً لكم، خلال زيارتكم لمنطقة الريف؟

التفت إليّ جلالته وقال: إن زيارتي لمنطقة الريف ليست منتظمة، ولذلك لم أحرص على بناء قصر هناك!

وخلال الحوار الذي دار بيننا، قلتُ لجلالته: إن وجود قصر ملكي في منطقة الريف له دلالاته الرمزية العميقة! ثم أردفتُ قائلاً: وقد سبق، يا صاحب الجلالة، أن بنى أحد أجدادكم من الملوك العلويين قصراً بالمنطقة في إقليم الناظور، فلماذا لا يكون لجلالة الملك قصرٌ في نفس المنطقة؟ بدا نوع من الاهتمام بالموضوع من طرف جلالته.

كنتُ على علم بوجود منطقة في مدينة الناظور على درجة عالية من الجمال الطبيعي، بإطلالتها على البحر من جهات ثلاث، وهي شبه جزيرة، يطلق عليها سكان المدينة «الكُدّية»، وتقع داخل بحيرة الناظور المسماة «مارتشيكا». اتصلتُ بصديقي الجنرال حسني بنسليمان، وطلبتُ منه أن يزودني بصورة ملتقطة من الجوّ لذلك الموقع. وبمجرد توصّلي بالصورة المطلوبة، عرضتها على جلالة الملك، فأمرني بأن أصحب معي المهندس المعماري الفرنسي ميشال پانسو (Michel PINSEAU)، للوقوف على ذلك الموقع في عين المكان. رافقني المهندس الفرنسي إلى إقليم الناظور. دُهش لجمال المكان المطلّ على البحر، وتُرى منه مدينة مليلية عن اليسار، ومدينة الناظور عن اليمين، وبينهما البحر الأبيض المتوسط والبحيرة «مارتشيكا».

عُدنا إلى الرباط، وقدّم السيد «پانسو» رأيه حول الموقع، مُبدياً إعجابه بما رأى! فأمره جلاله الملك بأن يشرع في التفكير لوضع اقتراحات للتصاميم التي تصلح للبناء في تلك المنطقة.

هناك أمرٌ حصل في ذلك الموقع، حينما كان المهندس «پانسو» يصحبني لزيارته.

ماذا حصل؟ حينما كنّا داخل ذلك المكان، وكان خالياً لا يرتاده أحد، فإذا بي أرى شخصاً في زاوية بعيدة، وحينما تقدمنا في سيرنا، ناديتُ عليه، وسألته إن كان ساكناً في هذا الموقع؟ فبسط أمامي سبب وجوده هناك.

لقد أخبرني بوجود ضريح قديم لوليّ صالح، في إحدى زوايا المكان الذي نوجد فيه، وأنه يقوم بما تتطلبه شؤون ضريح هذا الولي، من حراسة وعناية إلخ... ثم سألتُهُ إن كان التردد على زيارة هذا الضريح القديم كبيراً؟ فجاء جوابه بأن تلك الزيارات، لا تتم إلا في حدود ضيقة جداً. أخذتُ الأمر في الاعتبار، حتى إذا انتهى حديث جلاله الملك مع المهندس «پانسو»، وإخباره بالشروع في وضع تصاميم القصر المزمع بناؤه، تقدمتُ إلى جلالته وخاطبته بقولي: إذا سمح جلاله الملك، فإنني أرغب في إضافة شيء ما إلى هذا الموضوع. أفسح لي الملك مجال القول، فأطلعته على ما اكتشفته من وجود ضريح قديم لوليّ صالح في المكان المقترح لبناء القصر الملكي، وأنه يوجد على حدود «الكُدّية» بحيث لا يسبب أي مانع لبناء القصر!

ما أن سمع جلاله الملك بوجود ضريح وليّ صالح، حتى أمرني -رحمه الله- بصرف النظر عن بناء القصر في ذلك المكان، الذي ارتأى جلالته أن يبقى محتفظاً بإهابه الروحي، مُجَلِّلاً بذلك النَّفْسَ الدِّينِيَّ الذي يُحَيِّم على المكان.

لم يكن ما صدر عن الملك الحسن الثاني في هذا الموقف أمراً مفاجئاً لي، لما أعرف عن جلالته ويعرفه المغاربة كذلك، من تشبّعه بتلك الروحانية العميقة التي نلمسها جميعاً في مظاهر عديدة من حياة أمير المؤمنين. وحينما

لاحظ جلالة الملك تشبّي بأن يقام له قصر في إقليم الناصور، يكون له إقامة ملكية، حينما يزور منطقة الريف، خاطبني بقوله، رحمه الله: اجث لي عن مكان آخر في الإقليم لبناء ذلك القصر! أما الموقع «الكؤدية» الذي صرف جلالة الملك النظر عنه، فقد أصبح فيما بعد فضاء للمشروع السياحي «مارتشيكا».

وحيثما أمرني جلالته بالبحث عن مكان آخر ليكون بديلاً عن السابق، شعرت بأن رغبة الملك الحسن الثاني في بناء قصر ملكي في الناصور ما تزال قائمة. ولم يطل بجثي عن المكان البديل، فقد وجدت أرضاً خالية قبالة الموقع السالف، ويطل كذلك على البحر. صحبت معي المهندس المعماري «پانسو»، ليري ما وقع عليه اختياري. أعجب كذلك بالموقع الجديد. وبعد موافقة جلالة الملك، أعطيت الأوامر لوضع التصاميم، والشروع في بناء القصر الملكي. وسارت الأشغال بإيقاع سريع، وقطع التشييد أشواطاً كبيرة... وشاءت الأقدار أن يتوقف البناء حيث أدركت الوفاة الملك الحسن الثاني، وانتقل إلى جوار ربّه، تغمّده الله بواسع رحمته.

وبعد أن اعتلى جلالة الملك محمد السادس العرش، كان تردّده على إقليم الناصور ومناطقها المجاورة متعدداً. اغتمت إحدى المناسبات لأذكر جلالة الملك بأن القصر الملكي في هذه المدينة لم يكتمل بناؤه، وأن ما تبقى لا يشكل إلا قسطاً بسيطاً من البناء الكلي. فأعطى، حفظه الله، تعليماته لإكمال التجهيز. وهكذا أصبح إقليم الناصور يتوفر على قصر ملكي.

لماذا كان إالحاحي على وجود قصر ملكي للملك الحسن الثاني في منطقة الريف، وفي إقليم الناصور بالضبط؟ فبالإضافة إلى جمالية الموقع المختار-موقع مارتشيكا الحالي- وتهييء فضاء للعطلة الصيفية للملك، كنت أعلم أن هذه الإقامة الملكية ستخلق حركة دائبة في المنطقة على مستويات متعددة. فبمجرد الشروع في بناء القصر الملكي، ستتحرك مختلف مصالح الوزارات، فيمس الإصلاح بنيات أساسية، كالطرق، وشبكة توزيع الماء والكهرباء، والمؤسسات التعليمية والصحية، ومشاريع سياحية وغيرها، كما أن مجال التشغيل سيعرف حركة كبيرة، فضلاً عما سيجلبه هذا المشروع من استثمارات إلى المنطقة.

- سعبي لإنشاء إقامة ملكية في «المضيق»:-

كان بمدينة تطوان قصر ملكي، في عهد خليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي. وقد عرف هذا القصر أشغالاً كبرى همّت توسعته، مما أدى إلى تمديد البناء ليشمل ساحة «الفدان» المعروفة، كما ضمت التوسعة مقر القنصلية الإسبانية، التي تم نقلها إلى مكان آخر.

بيد أن هناك أمراً يخالجي، وأنا أتحدث عن مدينة تطوان، تلك المدينة التي ارتبطت بها في مرحلة من عمري، وأنا تلميذ في إحدى مدارسها، وأواخر سنوات الخمسين من القرن الماضي.

لا أستطيع إخفاء ما أحسست به من شعور الألم، حين تمّ اكتساح ساحة «الفدان»! ذلك الفضاء الذي يرتبط عندي بذكرات جميلة، من أيام التلمذة، حيث درستُ بهذه المدينة في مرحلتي الثانوية، وشكّلت ساحة «الفدان» جزءاً من وجداني، وارتسمت في ذاكرتي مجموعة من اللحظات التي أسترجعها، كلما زرتُ هذه المدينة!

وخلال زيارتي، لا تفوتني جلسة «الفدان»، مع خلان الوفاء، من الذين لهم في نفسي مكانة، نسجتها ذكريات من زمن جميل، نتحلّق حول كأس شاي أصيل، مُضمخّ بعبير تاريخ المكان، في أجواء موسيقية تُحييها فرق موسيقية للطرب الأندلسي، والطقوقة الجبلية الخاصة بالمنطقة!

حرّ في نفسي كثيراً، كما حرّ في نفس أهل تطوان ممن لهم ارتباط جوّاني بهذا المكان، أن يمس المحو، عتاقة وأصالة ذلك الفضاء الجميل!

ونظراً لبعده القصر الملكي عن شاطئ البحر، ولما كنتُ أعلمه عن حبّ جلالة الملك للبحر، وعشقه للأماكن التي تكون لها إطلالة على الشواطئ، جاءت مبادرتي لمخاطبة جلالته في بناء إقامة في شاطئ «المضيق». ولكن ما هي أسباب النزول؟

في بداية الاستقلال، كانت مدينة طنجة قبله الملك المفضلة لقضاء العطلة الصيفية. من هنا تولدت لدي فكرة شاطئ «المضيق».

وقبل أن أتقدم باقتراحي إلى جلالة الملك، قمتُ بزيارة ذلك الشاطئ. ورغم معرفتي بالمنطقة، وكثرة ترددي عليها، فقد رغبتُ في المزيد من الإطلاع والتأكد من المعلومات المتوفرة، وجمع المزيد من المعطيات. فاتضح لي أن المنطقة التي أنوي اقتراحها على جلالة الملك، والممتدة على شاطئ «المضيق»، لا توجد فيها -خلال تلك الفترة- سوى ثلاث قبيلات: واحدة في ملكية الأميرة للا عائشة، وأخرى في ملكية الأميرة للا فاطمة الزهراء، أُختي الملك الحسن الثاني، والثالثة في ملكية المارشال محمد أمزيان، وهي بناية قديمة تعود إلى زمن الحماية، اتخذها المارشال إقامة صيفية، حيث يمارس صيد السمك، رياضته المفضلة. أما المساحة الباقية، والممتدة على مسافة حوالي خمسة كيلومترات، فهي فارغة. وفي هذا الامتداد، وقع بصري على موقع جميل، بدا لي الأنسب لإقامة ملكية. وفي لقاءي بجلالة الملك، قدمتُ له اقتراحي، وحدثته عن الموقع الذي بدا لي ملائماً لبناء الإقامة. أمرني جلالته أن يصحبي المهندس الفرنسي «بانسو PINSEAU» إلى عين المكان. انتقلنا معاً، وطفنا بالموقع الذي اقترحتُه، فأعجب به وارتأى حيازة حوالي عشرة هكتارات من تلك المساحة، وبعيداً عن القبيلات الثلاث الموجودة هناك. نقلنا الاقتراح إلى جلالة الملك، الذي أمر «بانسو» ببناء إقامته الملكية على شكل أجنحة متباعدة.

هكذا تحقق اقتراحي الذي قدمته للملك الحسن الثاني، لتكون له إقامة ملكية على البحر في شمال المغرب، وقريبا من مدينة تطوان حيث القصر الملكي.

- حول تنظيم الألعاب الرياضية للدول الإسلامية:

بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي بمدينة الدار البيضاء سنة 1994، لاحت للملك الحسن الثاني، فكرة تنظيم الألعاب الرياضية للدول الإسلامية. استشار جلالة الملك بعض المقربين، ثم كلفني بالاتصال برئيس اللجنة الأولمبية،

السيد أنطونيو خوان شَمْرُونش، لاستفساره حول إمكانية تنظيم هذه الألعاب،
تحت رعاية اللجنة الأولمبية.

اتصلتُ بسفير المغرب بسويسرا، ليحدد لي موعداً مع السيد شَمْرُونش.
حُدِّد الموعد، وانتقلتُ إلى مدينة «لوزان» بسويسرا، حيث المقر الرئيسي للجنة
الأولمبية، وتمَّ استقبالي من طرف رئيس هذه اللجنة السيد شَمْرُونش. تمحور
حديثنا حول رغبة المغرب في تنظيم الألعاب الرياضية للدول الإسلامية. أصغى
رئيس اللجنة الأولمبية بكل اهتمام لما بسطتُ أمامه من الأهداف المتوخاة
من تنظيم هذه التظاهرة الرياضية ؛ فجاء جوابه مُثَمِّناً نُبل ما يسعى إليه الملك
الحسن الثاني، من وراء رغبته في تحقيق هذه الفكرة ؛ غير أن اللجنة الأولمبية
-يضيف السيد شَمْرُونش وهو يخطبني- لا تشرف على ألعاب ذات صبغة دينية،
ولا يسمح قانونها الأساسي بمثل هذه التظاهرات، وأبدى السيد الرئيس، نظراً
لتقديره لجلالة الملك، استعداده لوضع خبرته وتجربته في الميدان الرياضي، رهن
إشارة المغرب لمساعدته بشكل غير مباشر.

وفي ختام هذه الجلسة، شكرتُ السيد شَمْرُونش على حسن الاستقبال
وما أبداه من استعداد للاستفادة من خبرته.

عدتُ إلى المغرب، ليتم استقبالي من طرف الملك الحسن الثاني، وبسطتُ
أمامه كل العناصر والحديثات التي تمت خلال لقائي برئيس اللجنة الأولمبية.
أدرك جلالة الملك مغزى ابتعاد اللجنة الأولمبية عن تنظيم مثل هذه التظاهرات
التي تكتسي طابعاً دينياً ؛ وصرف جلالته النظر عن هذا الموضوع.

علاقة الملك الحسن الثاني بأهل الفن:

كان الحسن الثاني ملكاً يمتلك ثقافة فنية عالية، وفي مجالات مختلفة،
كالموسيقى، والمسرح، وفنون الصناعة التقليدية إلى غير ذلك. لذلك تراه إذا
جلس أمامه أوركسترا، أصغى باهتمام كبير وحسّ مرهف، وقد يتدخل إذا

لاحظ هفوة أو ما يخل بالإيقاع الموسيقي والانسجام بين الآلات المختلفة. كما قد يتوقف مع صتاع تقليديين للسؤال أو إبداء ملاحظة حول عمل معين، كمنقش على الخشب أو جص، أو تزويق معين على الزليج التقليدي، مما يكشف عن خبرة دقيقة، مؤسّسة على تشبث قوي بالأصالة المغربية.

لكل ذلك، كانت الموسيقى مثلا، تحضر في أرجاء القصر الملكي، بفنونها المختلفة، المغربية الأصيلة، والعالمية المتنوعة، وتتعدد المناسبات التي تسمح بذلك، منها ما يقيمه جلالة الملك في مناسبة عيد ميلاده، ومناسبات أخرى ك: شعبانة، وحفل رأس السنة الميلادية، وبعض الأعياد الوطنية، أو بمناسبة سهرة يقيمها جلالته على شرف ضيف، أو حين يُنظّم حفل خاص بالأسرة المالكة، إلى غير ذلك.

وكان الجوق الوطني والمطربون المغاربة من العناصر التي تمثل حضورا قويا في هذه المناسبات، بل إن الفنانين المغاربة بمختلف فئاتهم، كانوا يتطلعون إلى حلول مثل هذه المناسبات، ليتاح لهم اللقاء بجلالة الملك. وقد أتيت لي الحضور في العديد من هذه الحفلات، وكنتُ شاهدا على وجود العديد من الأسماء، أذكر منهم:

عبد القادر الراشدي، العربي الكواكبي، محمد بنعبد السلام، عبد الله عصامي، عبد الوهاب الدكالي، عبد الهادي بلخياط، محمد الحياتي، نعيمة سميح، حياة الإدريسي، سميرة بنسعيد، محمود الإدريسي، الحاج يونس، الحاجة الحمداوية، نجاتا اعتابو، الحاجة حليلة؛ دون أن ننسى تلك الفرق الفنية بألوانها الشعبية المختلفة، أذكر منهم: «ناس الغيوان»، و «جيل جيلالة»، وفرقة «عيساوة»، وغيرهم.

إنني أذكرُ في هذا السياق، ما حضرته وشاهدته، وإلا، فهناك بعض الحفلات الخاصة التي تنظّم في إطار خاص، عائلي أو غيره، لم أكن حاضرا. لكنني أودُّ أن

أشير، وأنا أتحدث عن حضور بعض الفنانين في حفلات ومناسبات ينظمها جلالة الملك، إلى أن التنوع كان سمة بارزة في هذه المناسبات، والأسماء المشار إليها، تعكس ذلك التنوع، كما أنّ وجود فنانين أجانب كان شيئاً مألوفاً في بعض تلك الحفلات.

وأذكر من تلك الأسماء المغنية الفرنسية ميراى ماثيو Mireille MATHIEU، التي أدّت جملة من أغانيها داخل القصر الملكي، وهي ترتدي القفطان المغربي. كما أنّي حضرتُ حفلاً خاصاً داخل القصر الملكي، كان من ضيوفه المطربة الجزائرية وردة، التي أدّت خلاله مجموعة من أغانيها الناجحة، مرفوقة بالمطربة المغربية رجاء بلمليح. وقبل هذا الحفل، أتيح لي التعرف إلى المطربتين وردة ورجاء، في منزل أخي العزيز الجنرال ميمون، ويرجع الفضل إلى أخي العزيز والجنرال عبد الحق القادري في تهييء ظروف حضور هاتين المطربتين في ذلك الحفل الخاص، المنظم بمناسبة ترقيةتهما.

وأنا أتحدث عن علاقة أهل الفن بالملك الحسن الثاني، لا بدّ أن أشير إلى أن أهل الفن المسرحي بدورهم، أتيحت لهم العديد من المناسبات لتقديم بعض مسرحياتهم داخل القصر الملكي، بحضور جلالة الملك، ومن الذين قدموا مسرحياتهم في هذا الإطار، الطيب الصديقي وأحمد الطيب لعلج. والحق أن العناية الملكية بأهل الفن شيء ملحوظ في حياة الحسن الثاني، ومن ثمّ كانت تلك المناسبات التي يتاح لهم فيها لقاء ملك البلاد، فرصة تتحقق فيها لهم عدة مطالب، تكون مرتبطة بأوضاعهم بشكل عام. قد تكون تسوية وضعية إدارية، أو التفاتة إلى حالة صحية تتطلب علاجاً بتكلفة عالية، أو طلباً للحصول على رخصة نقل... إلى غير ذلك، وهو الأمر الذي كان جلالة الملك يتلقاه بكل رضى وأريحية.

قصتي مع الفكاهيين «باز» و «باز»

ودعني أيها القاريء الكريم، أحكي لك عن صورة، كنموذج، كنتُ في صلب أحداثها، وتتعلق بالفكاهيين «باز» و «باز». ذات مرة، أتيت لهذين الممثلين تقديم بعض عروضهم الساخرة أمام الملك الحسن الثاني. ولما كان الجو مناسباً وطابع الانشراح يسود هذا الحفل، تقدم الفكاهيان «باز» و «باز» بطلب إلى جلالة الملك، للحصول على رخصة نقل بين المدن بواسطة الحافلة. أعطيت التعليمات الملكية للوزير المعني لتمكين المعنيين من تلك الرخصة. غير أن هذا الطلب لم يتحقق على أرض الواقع، وطال انتظار «باز» و «باز»، دون أن يحصلوا على المطلوب. حاولا الاتصال بالوزارة، وفي كل مرة يكون الجواب بالانتظار. كما حاولا الحصول على موعد مع الوزير ولم يفلحا في الأمر. وبعد حوالي سنة من الانتظار، أخبر الفكاهيان مولاي عبد الله المكلف، وطلباً منه رفع الأمر إلى جلالة الملك بعدم توصلهما بالرخصة التي وُعدوا بها.

وفي أول شهر بعد تعييني وزيراً للنقل، ستكون أول مكالمة هاتفية أتلقاها من ملك البلاد، تتعلق برخصة النقل الخاصة بالفكاهيين «باز» و «باز»! حدثني جلالة الملك في هذا الموضوع، وأخبرني بأنه تحدث مع الوزير السابق بخصوص هذه الرخصة. ووعدتُ جلالة الملك باتخاذ اللازم في أقرب وقت، وطلبتُ منه أن يرسل لي المعنيين بالأمر بعد يومين. قمتُ بالتحريات اللازمة، فوجدتُ أن ملف رخصة «باز» و «باز» مجمد داخل دواليب الوزارة!

تابعتُ الأمر بالسرعة التي تسمح بتمكين المعنيين من رخصتهما في الوقت الذي حدّته لجلالته! كانت لجنة النقل لتسليم الرخص تتكوّن من ممثلي عدة وزارات، ولا تجتمع إلا بعد التوصل بعدد معيّن من الملفات! أي أن الأمر قد يطول مرة أخرى، وهذا الملف عرف تأخراً، ووراءه تعليمات ملكية! لذلك طلبتُ من الكاتب العام لوزارة النقل، الذي كان يترأس لجنة النقل لتسليم الرخص، نيابة عني، أن يوقع رخصة النقل المسجلة في اسم

«بزيز» و «باز»، في انتظار تقديم الملف للجنة النقل للموافقة عليه خلال اجتماعها المقبل.


أصبحت رخصة النقل جاهزة في أربعة وعشرين ساعة (24 ساعة)، وهي رخصة لحافلة نقل عمومي، بين مدينتي طنجة ومراكش. فاتصلتُ بالسيد مولاي عبد الله المكلف، وهو من العائلة الملكية ومن المقربين من الملك الحسن الثاني، وكان هو المُشرف على دعوة الفنانين إلى القصر الملكي في المناسبات المختلفة، وهو من يلجأ إليه بعض الفنانين لحلّ مشاكلهم الخاصة. وطلبتُ منه أن يبعث لي الفكاهيين إلى الوزارة، في يوم الغد، على الساعة الحادية عشرة صباحاً.

وخلال استقبالي لهما، سألتهما بطريقة ودية عن سبب زيارتهما، وهل لديهما مشكل ما، له علاقة بهذه الوزارة؟ كنتُ أُلقي هذه الأسئلة، متظاهراً بعدم علمي بملف رخصتهما! فأخبراني بأنه لأول مرة، يحظيان باستقبال من طرف وزير، في مدة لم تتجاوز أربعاً وعشرين ساعة، وأن هذا الاستقبال، طال انتظاره مدة قاربت سنة! وازداد اندهاشهما حينما فاجأتها بتسليمهما الرخصة المنتظرة. لم يُصدّق ما حصل! وفي غمرة حديثنا، انهالت عليّ أسئلتهما: متى سنعود لأخذ الرخصة الأصلية؟! اعتقاداً منهما أن ما تسلمناه، ليس سوى نسخة أولى، أو ما يشبهه وصلاً! وأضاف أحدهما: هل سيطول الانتظار مرة أخرى قبل الحصول على الأصل؟ وبطريقتهما الفكاهية الساخرة أخبراني بأنهما لم يتوقّعا الحصول على رخصتهما بهذه السرعة، وأن المدة قد تطول، مع تسويق يُدخل ملفهما في متاهة جديدة، كما حصل في السابق!


فجاء جوابي واضحاً، بأن ما بين أيديهما الآن، هي رخصة أصلية، يمكن استغلالها حالياً، فور خروجها من مكنتي.

وعلى أساس هذا الحدث، ألف الفكاهيان «بزيز» و «باز» مؤنولوجياً (اسكيتش بعنوان «المكتب 13») يحكي عن واقعة في الإدارة المغربية، يوم ذهب أحد المواطنين إلى مكتب في إحدى الإدارات، وصادف أن الموظف المسؤول كان حديث التعيين، فمكّن المواطن من الحصول على الوثيقة المطلوبة بسرعة. لكن ذلك المواطن لم يصدّق، وساوره الشكّ في صدقية الوثيقة، بل أبدى استعداده للرجوع بعد أيام حتى يتسنى للإدارة تهيين المطلوب، فهو لم يتعود هذا السلوك من الإدارة المغربية، وبطابع ساخر وفكاهي في نفس الوقت، قام المواطن بتقديم النصائح للموظف، وأخبره كيف يتعامل مع طلبات المواطنين بالتماطل والتسويق (وسير واجي)، وكلّ ذلك في مواقف تكشف عن مفارقات، وطبّها نقد للإدارة المغربية، وسيرها البيروقراطي البطيء.

*** **



X- مع الأُمراء والأُميرات
وبعض «الشُّرَباء» من العائلة
الملكية





مع صاحب السمو الملكي، ولي العهد الأمير سيدي محمد
(جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله).

سمح لي وجودي بالديوان الملي بالاقتراب أكثر من الأسرة الملكية. فإلى جانب لقاءاتي المتعددة والمستمرة مع الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، باعتبار طبيعة عملي، فقد أُتيح لي التعرف عن قرب إلى بعض الأمراء والأميرات، وعلى رأسهم وليّ العهد آنذاك الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس).

فقد تعرفت إلى أصحاب وصاحبات سمو الملكي الأمراء والأميرات، أبناء الملك الحسن الثاني، إلى جانب أفراد آخرين من العائلة الملكية الكبرى في عدة مناسبات. وارتبطت علاقتي بأنجال الملك بمناسبات خاصة، تشرفتُ فيها بلقائهم.

ومن تلك المناسبات التي لا تمّحي من ذاكرتي، ذلك الحضور الذي تشرفتُ به، من خلال بعض الزيارات التي كان وليّ العهد الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس حفظه الله)، يقوم بها إلى منزلي لتناول وجبة الفطور خلال شهر رمضان.

كنتُ -أنا وأسرتي الصغيرة- نشعر باعتزاز كبير، حينما يأذن جلالة الملك الحسن الثاني لابنه الأمير سيدي محمد، بالحضور بيننا في شهر رمضان، مع ثلة من أصدقائه.

هذه الخطوة التي شرفني بها جلالته، سمحت لي بالاقتراب أكثر إلى وليّ العهد الأمير سيدي محمد، مما سيمهد لاستمرارية هذه العلاقة، وتعميقها مع مرور الأيام. والحق أنّني كنتُ أشعرُ أن وليّ العهد (الملك محمد السادس)، يغمرنني دوماً بعطفه. ولهذا الأمر تجليات تبدو في العديد من المناسبات، يتبدّى أحد وجوهها، في زيارتي لسموّه، في إقامته الخاصة بـ «سابلون Sabelon»، الواقعة في طريق مطار الرباط/سلا. وهي الزيارات التي تتم إما بدعوة منه -حفظه الله- أو بمبادرة مّيّ للسلام عليه، ليس غير.

ولما كنتُ أشعر به من عطف يشملني به وليّ العهد، فقد التمسْتُ من الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه -يوم عملتُ على تأسيس الجمعية الثقافية

والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط- أن يتولى ولي العهد الأمير سيدي محمد الرئاسة الشرفية لجمعيتنا، وهو الأمر الذي حظي بموافقة جلالة الملك. ولأول مرة تحظى جمعية ثقافية واجتماعية بهذا التشريف. وسيكون هذا التشريف قناة أخرى عززت العلاقة بولي العهد، ومن ثم، عطفه وتشجيعه لما قامت وتقوم به جمعيتنا من أعمال اجتماعية وأنشطة ثقافية، خدمة للوطن، ولا سيما في المنطقة الشمالية، وأقاليم الريف بشكل خاص.



مع صاحب السمو الملكي، ولي العهد الأمير سيدي محمد
(جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله) في مدينة إفران.

وأنا بصدد الحديث عن علاقتي بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، يحضرني ذلك السؤال الذي وجهه إليّ الملك الحسن الثاني، وأنا يومئذ وزير النقل؛ سألني رحمه الله قائلاً: هل يتوفر وليّ العهد على رخصة السياقة؟ جاء هذا السؤال، بعد حادثة سير تعرّض لها وليّ العهد.

طلبتُ مهلة من جلالته للتأكد من الأمر، وكنتُ أعلمُ أن الأميرين، وليّ العهد ومولاي رشيد، لا يتوفران على تلك الرخصة. وما إن عدتُ إلى مكنتي بالوزارة، حتّى أمرتُ بإحضار الرخصتين الخاصتين بالأميرين، للتوقيع عليهما وتسليمهما للأميرين. وبعد فترة، شفعتُ ذلك بتوقيعي على رخصة السياقة الخاصة بالأمير مولاي هشام. وكانت هذه الرخص الثلاث هي الرخص الوحيدة التي وقعتها منذ تولّي مهامي في وزارة النقل.



مع صاحب السمو الملكي، ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله) وصنوه السعيد، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، في مدينة الرباط.



مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس،
حفظه الله) بالقصر الملكي بالرباط.



مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس،
حفظه الله) بملعب الكولف بالرباط.



في منزلي بالرباط، مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله) وبنوه السعيد، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد رعاه الله.

وفي إطار علاقتي مع الأمراء والأميرات، لم أكن بعيداً كذلك عن الأمير مولاي رشيد، صنو الأمير سيدي محمد ولي العهد. فقد تعددت المناسبات التي جمعتني بهذا الأمير الذي لفت نظري بذلك الفضول الذي يتمتع به، كان وهو في ريعان شبابه، كثير السؤال عن جوانب معرفية مختلفة، وكانت قضايا الساعة من الناحية السياسية تشكل انشغاله الكبير.

وإذا كانت المناسبات التي جمعتني بالأمير مولاي رشيد متعددة ومختلفة، فإن هناك أمراً ظل عالقا بوجداني وذاكرتي. يرتبط الحدث بزلزال ضرب إقليم الحسيمة سنة 2004، وكانت الهزة قوية، نتجت عنها خسائر كبيرة، ولا سيما الهدم التي تعرضت له أغلبية مباني سكنية كثيرة. وكلنا يذكر تلك الجهود الكبيرة التي قام بها جلالة الملك محمد السادس لصالح سكان الإقليم، دون إغفال الإمكانيات الكبيرة التي جندتها الدولة بتعليمات جلالته السامية،



في منزلي بالرباط، مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله) وبنوه السعيد، صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد رعاه الله، وأخي العزيز الجنرال ميمون.

تخفيفاً عن الساكنة، علماً أن جلالة الملك انتقل إلى إقليم الحسيمة للإقامة هناك تحت خيمة، متابعاً للجهود المبذولة، رغم الهزات الارتدادية خلال إقامته حفظه الله. كما ساهمت جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» بتبرعات مختلفة شملت ما يمكن أن يخفف من معاناة السكان. وكانت للأمير مولاي رشيد التفاتة نبيلة في هذا الباب، حيث كلفني سموه بالبحث إن كان الهدم قد مسّ مسجداً من مساجد قبائل الإقليم؟

وبعد البحث الذي قمتُ به من خلال اتصالاتي مع أبناء المنطقة، أُخبرتُ أن مسجداً يقع في جماعة «بني عبد الله» قد أصبح حطاماً! أبلغتُ الأمر إلى الأمير مولاي رشيد، وشفعتُ ذلك بمجموعة من الصور التي تظهر حالة المسجد الذي أصبح أثراً بعد عين، وحلّت مكانه خيمة كبيرة، غدت المكان الذي يؤدي فيه سكان الجماعة صلواتهم.



السيد المنصوري بنعلي مع صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله) والشريف مولاي عبد الله ابن الأمير مولاي علي والأميرة للا فاطمة الزهراء بالكولف الملكي بمراكش.



مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظه الله.

بعد أن اطلع سمو الأمير مولاي رشيد على الملف الذي قدمته له، كلفني، حفظه الله، بالإشراف الكامل على إعادة بناء ذلك المسجد، وأخبرني سموه أن كل تكاليف البناء والتجهيز سيؤديها من ماله الخاص، وأن السيد المهدي الجواهري، كاتبه الخاص، سيتكلف بتتبع كل ما يتطلبه هذا العمل.

أما أنا، فقد أسند إليّ سموه متابعة كل الخطوات المتعلقة ببناء المسجد، من وضع أول لبنة إلى آخر مرحلة في تجهيزاته، لا سيما من الأشغال الكبرى إلى التجهيزات المطلوبة بما فيها الزليج، والخشب، والجص، والمنبر، والأبسطة، والمعدات الصوتية (Sonorisation). كان حرصي شديداً على متابعة هذا الورش، بكل العناية المطلوبة، وهذا الأمر يتطلب الحضور في عين المكان والمراقبة المستمرة لسير الأشغال.

ولهذا الأمر، كلفت المهندس أحمد بنعمّر -الكاتب العام لجمعيتنا بإقليم الحسيمة يومئذ- بتتبع الأشغال من أولها إلى آخرها، كما وجدت في أحد أصدقائي ما يحقق المأمول فيما أسند إليّ من إشراف على بناء هذا المسجد.



مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظه الله.

كان الحاج محمد البوكيلي من إقليم الناظور، أحد أقربائي من العائلة. وهو مقاول ومن تجار إقليم الناظور الذي عُرف باستقامته، ومنافحته القوية عن مصالح قبيلته «لَمَطَالْسَة»، خاصة وأن الرجل كان قد مارس الحياة البرلمانية، باعتباره عضواً في هذه المؤسسة الدستورية، والتي قضى داخلها عدة دورات. فكرتُ في الحاج محمد البوكيلي لأُسند إليه عملية البناء، نظراً لاقترانها بمجديته ونزاهته. فهو نفسه بنى مسجداً في مدينة الدَّرِيوش، فضلاً عما كان يقوم به من عمليات الإحسان، التي يقدمها لمن يستحقها من المحتاجين أو الجمعيات الخيرية. وقد لمستُ منه هذه الصفات عن كثب، حينما كنتُ نشتغل جميعاً في إطار جمعيتنا «حوض البحر الأبيض المتوسط»، الذي يُعتبر الحاج محمد البوكيلي أحد الأعضاء المؤسسين لها. ومما شجعني أكثر للاعتماد على هذا الرجل

-بالإضافة إلى العلاقة العائلية بيننا- هو تلك الصلة التي كانت تجمع بين أخيه الأكبر الشيخ عبد الرزاق -والذي كان شيخاً لقبيلة «لَمَطَالَسَة» بالدرّيوش، في بداية الاستقلال- ووالدي الحاج المختار رحمهما الله. وحتى ينجز هذا العمل المرتبط ببناء المسجد الذي هدمه الزلزال، بالمواصفات المطلوبة التي حرص الأمير مولاي رشيد على توفرها في عملية البناء والتجهيز، فقد أسندت عملية البناء والتجهيز إلى الحاج محمد البوكيلي الذي لم يتأخر أبداً في تقديم المساعدة التي أطلبها منه. ومن شهامة الرجل أنه بذل كل مجهوداته للحرص على أن يتم المشروع كما حُطّط له، لتحقيق المأمول الذي رغب فيه سمو الأمير.

وظل إشرافي الكامل على هذا الورش مستمراً، أتوصل من المهندس أحمد بنعمر والحاج محمد البوكيلي بالتفاصيل الدقيقة لسير الأعمال، فأوفي الأمير مولاي رشيد بالمراحل المالية، والذي كان يسأل عنها بين الحين والآخر، حتى استوى البناء، وتم تجهيز المسجد بكل المتطلبات اللازمة والضرورية، التي توفر لساكنة «جماعة بني عبد الله» أداء صلواتهم في ظروف ملائمة، من الراحة والسلامة والطمأنينة.



صورة لجانب من «مسجد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد» بجماعة بني عبد الله، وكان سموه، قد تكفل بإعادة بنائه على نفقته الخاصة، بعد أن تهدم بنيانه، على إثر الزلزال الذي ضرب إقليم الحسيمة سنة 2004.



في منزلي مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظه الله.



يوم شرفنا صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظه الله، بزيارته لنا في منزلنا بالرباط.
في الصورة، زوجتي السيدة ياسمينة، تستقبل صاحب السمو الملكي، وإلى جانبها ابننا حكيم.

وعندما اكتمل البناء وأصبح المسجد جاهزاً، سيغتنم الأمير مولاي رشيد زيارة جلالة الملك محمد السادس إلى إقليم الحسيمة، فيُخبره بما حدث لمسجد «جماعة بني عبد الله» من هدم بسبب الزلزال، والذي تمّ إحياءه عن طريق إعادة بنائه، ليقرر جلالة الملك القيام بتدشينه، وأطلق عليه اسم «مسجد مولاي رشيد».

عمدْتُ إلى سرد هذا الحدث، في سياق إبراز جانب من العلاقة التي تربطني بسمو الأمير مولاي رشيد، والتي تميّزت بالتجاوب الكبير الذي يجمع بيننا حتى اليوم، والذي تعددت مظاهره، وكان بالإمكان -لو اتسع المجال- أن أبرز الكثير منها، مما شملني به هذا الأمير، وبعضها انطبع في وجداني بشكل يأبى قلبي إلا أن يسجله في هذه الصفحات، منها أنه -حفظه الله- كان يدعوني لحضور حفلات ذكرى عيد ميلاده السعيد، وهي مناسبة يحضرها المقربون من سموه، وتخيّم عليها أجواء عائلية. ثم شرفني، حفظه الله، بأن دعاني إلى حضور



السيد المنصوري بنعلي مع صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد حفظه الله والشريف مولاي يوسف ابن الأمير مولاي علي والأميرة للا فاطمة الزهراء بالرباط.



في منزلي بالرباط، مع صاحبة السمو الملكي الأميرة للأسماء،
وصاحبة السمو الملكي الأميرة للاحسنا، وخالد بوشنتوف



مع للا سكينه ابنة الأميرة للا مريم وحفيده الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه
في الملعب الملكي للكولف بالصخيرات

حفل زفافه، وكذا حضور حفل عقيقة ابنه، الأمير مولاي أحمد. وإن أنس لا أنسى أن صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، قد شرفني بحضوره البهيم في حفل زفاف ابني «حكيم»، وهي حظوة أعتز بها أيما اعتزاز.

أما الأميرات الجليلات، فقد كان التعرف إليهن كذلك، في إطار تعرّفي على الأمراء في مناسبات مختلفة. وكانت كبرى بنات الملك الحسن الثاني، الأميرة للا مريم، من الأميرات الأوليات التي تشرفتُ بمعرفتها. وهناك مناسبات اكتسى حضورني فيها طابعاً خاصاً، جعل من تلك المناسبة حدثاً راسخاً في ذاكرتي. أذكرُ من ذلك، تشريفي بحضور حفل زفاف الأميرة للا مريم، بل سيربو هذا التشريف حين كلفني الملك الحسن الثاني، مع السيد عبد الكريم لخلو -وهو من المقربين في حاشية الملك- للذهاب في صباح اليوم الموالي لزفاف الأميرة، للسلام عليها وعلى زوجها، أي فيما يُعرف في تقاليدنا المغربية بـ «التّصبيحة». والحق أن هذه الحظوة ظلت موشومة في ذاكرتي، حيث التشريف المزدوج من الملك والد العروس، ومن الأميرة العروس.

مناسبة أخرى، من اللقاءات التي أعتزُّ بها، حيث شرفّنتني صاحبة السمو الأميرة للا مريم بحضورها في أحد أنشطة جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، التي أترأسها.

كانت جمعيتنا هاته، قد قامت -في إطار عملها الاجتماعي- ببناء مجموعة من الدور في إقليم الناظور لصالح أرامل شهداء الوطن، من الجنود الذين قضاوا دفاعاً عن الصحراء المغربية. وحينما تمّ هذا المشروع، وأصبحت المنازل جاهزة، أخبرتُ الملك الحسن الثاني بما قامت به جمعيتنا، فقرّر، طيب الله ثراه، أن تترأس صاحبة السمو الملكي الأميرة للا مريم عملية التوزيع التي تمت في مدينة زُغَنَغَن القريبة من الناظور، فكان تجدد اللقاء بسموها، وتشريف لجمعيتنا وللمنطقة بكاملها.

وقد سمحت لي بعض المناسبات بالتعرف إلى سمو الأميرة للا أسماء، بل إنني تشرفتُ في بعض تلك المناسبات بمرافقة سموها، أذكر منها، يوم كلفها

الملك الحسن الثاني، بالذهاب إلى إقليم الحسيمة، حين تعرض لزلزال. وكان الشريف عبد العزيز الوزاني، نقيب الزاوية الوزانية بقبيلة بني سادّان في إقليم الحسيمة، وأحد البرلمانيين الذين يمثلون الإقليم، قد أبلغني بحالة المنطقة بعد الزلزال، مشيراً إلى أن تجاوب أجهزة الإدارة المغربية في المنطقة كان ضعيفاً.

حينما أُبلغتُ بهذا الأمر، أخبرتُ الملك الحسن الثاني، الذي كلّفني ووزير الداخلية السيد إدريس البصري بمرافقة صاحبة السمو الملكي الأميرة للا أسماء، لتفقد أحوال الساكنة. والحقّ أن زيارة الأميرة للمنطقة، كان لها وقعٌ نفسي إيجابي على السكان، الذين رأوا في زيارة سموها التفاتة ملكية سامية. وبعد هذه الزيارة التفقدية لصاحبة السمو الملكي الأميرة للا أسماء للدواوير التي تأثرت بذلك الزلزال، عُقد اجتماع في عمالة الحسيمة ترأسته سموها، بحضور وزير الداخلية السيد إدريس البصري، وعامل المدينة، والمنتخبين والأعيان، وممثلي مختلف الوزارات المعنية، ورؤساء المصالح الإقليمية. وبعد هذا الاجتماع، نظم عامل إقليم الحسيمة مأدبة غداء على شرف الأميرة، حضرتها شخصياً ووزير الداخلية، ولم يتجاوز الحضور هؤلاء الثلاثة.

لكن هناك صورة بصمت على صلتي بالأميرة للا أسماء، ظلّت وستظل راسخة في ذاكرتي من خلال حدث سعيد، كان منزلي مكان تحقّقه. تمّ ذلك يوم أخبرني الملك الحسن الثاني قائلاً: سيحضر الشرفا والشريفات إلى منزلك، للتعرف على الشاب الذي سيصبح زوجاً للأميرة للا أسماء.

سعدتُ بهذا الخبر، وبالتشريف الذي خصّني به جلالة الملك، وعلى ثقته الغالية في شخصي وعائلي، ليكون منزلي مكان لقاء مناسبة سعيدة للأسرة الملكية.

وقد هيأتُ كل ما يتناسب مع هذه المناسبة، وما يجعل من تلك الجلسة فأل خير لصاحبة السمو الملكي الأميرة للا أسماء، وزوج الأميرة استقبالا، والذي لم يكن سوى السيد خالد بوشنتوف، الذي سيتعرّف على صاحبة

السمو، لأول مرة في منزلي. تمّ هذا اللقاء المبارك حول مائدة غداء، حضرها: وليّ العهد الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس)، والأمير مولاي رشيد، والأميرات للا مريم، وللا أسماء، وللا حسناء، والسيد خالد بوشنتوف. وفي هذا السياق أشير إلى أن الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، قد شرفني فدعاني لحضور حفل زفاف هذه الأميرة.

أما الأميرة للا حسناء التي تعرّفْتُ إليها كذلك في بعض المناسبات، فإن الصورة التي ارتسمت لها في ذهني، هي تلك البشاشة التي كانت تملأ ملامحها. كانت بحق أميرة بشوشة. فكلما التقيتُها في مناسبة من المناسبات، إلا ولففت انتباهي بتلك الإشراق المصحوبة بابتسامة، تضيء عليها نوعاً من البهجة والارتياح، دون أن أنسى التشريف الذي حظيتُ به، حينما دعاني لجلالة الملك لحضور حفل زفافها.

لم تنحصر علاقتي بالأسرة الملكية في الأميرين والأميرات، أبناء الملك الحسن الثاني، بل اتسعت لتشمل أفراد آخرين من شُرفاء العائلة الملكية.

ومن هؤلاء الذين تربطني بهم صلوات محبة وتقدير متبادلين، أبناء الأميرة للا فاطمة الزهراء، وزوجها الأمير مولاي علي، وأبنائهم الشريف مولاي عبد الله، والشريف مولاي يوسف، والشريفة للا مجانة.

لقد تعرّفْتُ على الشرفاء مولاي عبد الله ومولاي يوسف وللا مجانة عن طريق والديهم: الأميرة الشريفة للا فاطمة الزهراء، ابنة الملك محمد الخامس، وأخت الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراهما، وزوجها الأمير مولاي علي. وقد جمعتني بالأمير علاقة ودّ وتقدير، على مدى السنوات التي كُنّا نلتقي فيها، إلى أن لقي ربه، تغمده الله بواسع رحمته. وأكثر الفرص والمناسبات التي كانت تجمعنا نحن الاثنين، تمت من خلال الأسفار التي كُنّا نصطحبُ فيها الملك الحسن الثاني، سواء داخل الوطن أم خارجه، إلى جانب تلك اللقاءات المتعددة التي كانت تجمعنا على أرضية ملاعب الغولف.



مع الشريف مولاي يوسف ابن الأمير مولاي علي والأميرة للا فاطمة الزهراء
أخت جلالة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه.

ومن خلال هذه العلاقة التي جمعتني بالأمير مولاي علي، نسجتُ
علاقتي بأبنائه الشريف مولاي عبد الله، والشريف مولاي يوسف، والشريفة
للا جمانة. وهي العلاقة التي ستتوثق مع مرّ الأيام، وتوطدت من خلال زياراتي
لهم، وحضور المناسبات العائلية التي تتم فيها دعوتي من طرفهم. وفي هذا
الإطار، سأحضرُ خطوبة الشريف مولاي عبد الله، وكذا حفل زفافه. ومن
الصدف الجميلة في هذا القران، أن الشريف مولاي عبد الله سيقترن بابنة

أحد أصدقائي، وهو الحاج شعيب الذي ترجع أصوله إلى إقليم الناظور. وهذا الأخير من الأعضاء الأولين الذين أسسوا فرعاً لجمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، في مدينة الدار البيضاء. والحاج شُعَيْب رجل يمارس التجارة في الدار البيضاء، وهو من المغاربة الذين كانوا يقيمون في الجزائر، وطُرد منها، ضمن من طردهم الرئيس هواري بومدين في الظروف المعروفة. وفي الدار البيضاء، تعرّف الشريف مولاي عبد الله على ابنة الحاج شُعَيْب، التي سيقترن بها زوجة له.

وفي إطار هذه العلاقة التي تجمعني بالشريف مولاي عبد الله، فقد شرفني بحضوره مع زوجته في حفل زفاف ابني حكيم.

وتجمعني كذلك صداقة أخرى، مع الشريف مولاي يوسف، الابن الثاني للأميرة للا فاطمة الزهراء والأمير مولاي علي. فاتصلاقي بالشريف مولاي يوسف كانت وما تزال مستمرة إلى اليوم، من خلال زياراتي له، وكذا عبر الاتصالات الهاتفية بيننا.

أما الشريفة للا جُمّانة، فإن معرفتي بها قد تمت بدورها داخل وسطها العائلي، مع أخويها الشريفين. وقد جمعتني بالشريفة للا جُمّانة بعض المناسبات الخاصة، منها حضوري حفل زفافها، ثم دعوتها لي يوم احتفاء أسرتها بعقيقة أحد أبنائها، أو مناسبات رسمية بالقصر الملكي، خاصة في حفلات العشاء الرسمي التي يقيمها جلالة الملك محمد السادس، على شرف رئيس دولة ما.

ومن خلال ما أُتيح لي من اقتراب من الشريفة للا جُمّانة، فقد استطعتُ أن أتعرّف عن كثب، على ما يطبع شخصية هذه الشريفة، التي تتصف بطيبوبة عالية، وتواضع كبير.

أما مجالستي للشريفين مولاي عبد الله ومولاي يوسف، فقد كانت تشعرني وكأنني لا أجالس ابني أميرة وأمير، لما يحطاني به من معاملة نبيلة، تتسم بالبساطة والسماحة، وما يشعرك به من تواضع مشفوع بطيبوبة أصيلة. من ثم، تأخذ زياراتي لهما طابعا عائلياً حميمياً. وأذكر في هذا السياق،



في منزلي بالرباط، مع أخي العزيز الجنرال ميمون، والسيد خالد بوشتنوف

أن الشريفين مولاي عبد الله ومولاي يوسف قد شرفاني بحضورهما حفل زفاف ابني حكيم.

ونظرا لما اتسمت به علاقتي بابني الأميرة للا فاطمة الزهراء وزوجها الأمير مولاي علي، من صدق وصفاء وحميمية، فإنه حين يسألني أحد عن الشريف مولاي يوسف، أقول: مولاي يوسف شريف بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

لقد تميّزت علاقاتي بأمراء الأسرة الملكية بتنوعها، من حيث طبيعة أعمارهم. فعلاقتي بأصحاب السمو الملكي أبناء الملك الحسن الثاني، وابني أخيه الأمير مولاي عبد الله، تربطني بالتاريخ الراهن، في حين يرتد هذا التاريخ إلى زمن سابق من خلال العلاقة مع أمراء آخرين، هم: الأمير مولاي الحسن بن المهدي، والأمير مولاي الحسن بن إدريس، والأمير مولاي علي السالف الذكر.

وإذا كان الأمير مولاي الحسن بن إدريس لا يحضر بشكل علني وقوي على المستوى الوطني، فإن الأمير مولاي الحسن بن المهدي، كان صاحب حضور قوي في التاريخ المعاصر للمملكة المغربية. فهو الخليفة السلطاني للمنطقة الشمالية للمملكة المغربية زمن الحماية. وقد سعت السلطات الإسبانية إلى تعيينه ملكاً على تلك المنطقة وعلى الصحراء المغربية في بداية الاستقلال، وهي المناطق التي كانت السلطات الاستعمارية الإسبانية تحتلها. غير أن روح الوطنية التي يتمتع بها مولاي الحسن بن المهدي، جعلته يرفض هذا المنحى الذي كانت سلطات الحماية الإسبانية ترغب في فرضه داخل المناطق التي تحتلها في شمال المغرب وجنوبه.

لقد كان الأمير مولاي الحسن بن المهدي رجلاً وطنياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وبموقفه الراض لمساندة سياسة الحماية الإسبانية، ساهم في المحافظة على وحدة المغرب. وبدا تشبثه بالعرش العلوي في مواقف متعددة، منها استقباله للمغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، في مدينة أصيلة، حيث كان جلالته في طريقه إلى طنجة في الزيارة التاريخية التي تمت سنة 1947. وفي أصيلة، أعلن الخليفة السلطاني الأمير مولاي الحسن بن المهدي أن سلطان المغرب هو محمد الخامس الذي توجد قاعدة ملكه في الرباط. ثم تأكد هذا الموقف الوطني للخليفة السلطاني، حينما أقدمت سلطات الحماية الفرنسية على نفي السلطان حيث عمد مولاي الحسن بن المهدي إلى إدانة هذا العمل الذي أقدمت عليه فرنسا، بنفيها للملك الشرعي للبلاد.

وإذا كانت المواقف الوطنية للأمير مولاي الحسن بن المهدي قد دونتها بعض الكتابات التاريخية، فإن هناك خصالاً حميدة كان الرجل يتمتع بها، ولا

يقف عليها إلا من اقترب منه، وهو ما لمستُّه من خلال العلاقة التي جمعتني بهذا الأمير. فقد سمحت الظروف بالتعرف إليه، حين كنتُ أشغلُ منصب وزير النقل، وكان الأمير يومئذ والياً لبنك المغرب.

وقد أتاحت لي علاقتي بمولاي الحسن، والتي امتدت عبر سنوات، أن أقف على ما كان يتمتع به الرجل من تواضع وطيبة وأخلاق، ونبل في التعامل. وحينما كنتُ أزوره في مكتبه ببنيك المغرب، أو في منزله، كانت مجالسته لا تخلو من متعة وفائدة. ولم يكن الأمر غريباً، فالأمير صاحب تجربة غنية، تخترق مجالات متعددة، لم تكن الحياة السياسية في المغرب والعالم سوى واجهة من واجهات تلك التجربة.

وقد سعدتُ كثيراً بتلك اللقاءات التي جمعتني بهذا الأمير وبجرمه، الأميرة للا فاطمة الزهراء «العزيزية». وقد عُرفت هذه الأميرة، ابنة السلطان مولاي عبد العزيز، بتواضعها الكبير، وبثقافتها المتفتحة، وبصفتها رئيسة ل «منظمة الاتحاد النسوي الوطني» كرّست حياتها للعمل الجماعي، ولا سيما في مجال النهوض بالحياة الاجتماعية للمرأة المغربية في أوساط الأسر القروية والهشة.

وبقيت علاقتي بالأمير مولاي الحسن متصلة، إلى أن وافاه الأجل في شهر نونبر سنة 1984، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

وإلى جانب علاقتي بالأمير مولاي الحسن بن المهدي، أُتيح لي أن أتعرّف إلى أمير آخر من أمراء الأسرة الملكية الشريفة، وهو الأمير مولاي الحسن بن إدريس، الذي كان مقر إقامته بمدينة مكناس، وهو أمير قليل الظهور في الواجهة الوطنية، وقد يكون اسمه غائباً عن الكثير.

ومولاي الحسن بن إدريس، هو زوج الأميرة للا أمينة، أخت الملك محمد الخامس طيب الله ثراه. وهذه الأميرة هي المعروفة داخل الأسرة الملكية

ب «لا أمينة الباريسية La Parisienne»، لأن مولدها كان في مدينة باريس.

كانت هذه الأميرة تحظى بعطف كبير من أخيها الملك الراحل محمد الخامس، ويشملها بمحبة مضاعفة. فكان طيب الله ثراه، كلما انتقل إلى مدينة فاس، يكون مقر إقامة الأميرة للا أمينة في مدينة مكناس محطة توقف أساسية، في الذهاب والإياب، حيث يتم تناول الغداء على مائدتها. وقد حافظ الملك الحسن الثاني رحمه الله، على هذا التقليد. فكنا حينما نصحبه خلال إقامته في مدينة فاس، نعلم حرص جلالته على زيارة عمته للا أمينة، وتناول طعام الغداء في إقامتها. وما زلتُ أذكرُ أن جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، عند رجوعه من زيارته الأولى لأقاليم الشمال، عمد إلى التوقف بمدينة مكناس، لتناول طعام الغداء على مائدة الشريف مولاي إدريس، ابن الأميرة المرحومة للا أمينة والمرحوم زوجها الأمير مولاي الحسن؛ وكان جلالتة بهذا التوقف في إقامة عمّة والده في مكناس، يُحيي تقليداً عائلياً، رسمه الأب والجدّ.

في هذا الإطار تعرّفتُ إلى الأميرة للا أمينة وزوجها الأمير مولاي الحسن بن إدريس. ومع مرور الأيام، تطورت علاقتي بهذا الأمير، وسنحت لنا أسفارنا التي كنا نرافق فيها الملك الحسن الثاني، سواء داخل المغرب أم خارجه، بتوطيد هذه العلاقة، وربما كانت مدينة باريس -وهي المدينة التي افتتن بها الأمير مولاي الحسن- من أهم المدن التي تعددت فيها لقاءاتنا.

أما داخل المغرب، فحين تكون إقامته في الرباط، فلقاؤنا يكاد يكون يومياً، وخاصة في ملاعب الكولف، حيث مرافقتنا للملك الحسن الثاني خلال ممارسة حصته الرياضية.

ولا أرى بأساً، وأنا بصدد سرد جانب من علاقتي بالأمير مولاي الحسن بن إدريس، أن أطلع القارئ، على واقعة ترتبط بالفترة الأولى من حصول المغرب على استقلاله، وهي ذات صلة بهذا الأمير. ففي إطار بناء أجهزة الدولة

ومغربتها، كانت رغبة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، أن يسند إلى الأمير مولاي الحسن بن إدريس منصب عامل على إقليم مكناس، لكن هذه الرغبة ستصدم بمعارضة حزب الاستقلال، الذي كان يرأس حكومة، أغلبية وزرائها ينتمون إلى ذلك الحزب !!

قد يبدو الأمر غريبا بالنسبة للقاريء المنتمي لجيل اليوم، وفي إطار الحثيات المحيطة بزمنه ! لكن هذا ما وقع ! ويظهر هذا الموقف جبروت هذا الحزب في السنوات الأولى لحصول المغرب على استقلاله، ورغبته في التفرد بالسلطة، وميله لفرض الحزب الوحيد في المغرب.

حزب الاستقلال يعترض على رغبة محمد الخامس ملك البلاد الذي ضحى بمملكته، وعانى ما عاناه مع سلطة الاحتلال، ثم في منفاه، والملك الذي من فرط حبّ الشعب له، تراءى له في القمر...!!

لقد استمرت علاقتي بالأمير مولاي الحسن بن إدريس إلى أن وافاه الأجل، رحمه الله. ومن باب الوفاء لهذه الصداقة، ما زلتُ أحافظُ على علاقتي بهذه الأسرة الشريفة، من خلال امتداداتها مع الشريف مولاي إدريس، الابن الوحيد للأميرة للا أمينة والأمير مولاي الحسن بن إدريس.

*** **



XI - خصوصاتي الأولى
في العهد الجديد:
مع جلالة الملك
محمد السادس بحمد الله.





السلام على جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، بمناسبة عيد العرش المجيد
وبحضور صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن.

تعودُ صلتي بجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إلى سنوات طفولته، وهو يومئذ ولي للعهد. كانت لقاءاتي بسموه، في تلك المرحلة، تتعدد بتعدد المناسبات المختلفة التي تجمعني به، سواء في حفلات نهاية السنة الدراسية بالمعهد المولوي، أم في غيرها، مما له طابع خاص ويقام في القصر الملكي، أو في بعض المناسبات الرسمية، بل إنني حظيتُ في ظروف محدّدة باستقبال وليّ العهد في منزلي مما سبقت الإشارة إليه، فكان الأمر تشریفاً لي ولأسرتي.

لذا كان وجودي، وأنا أخطو خطواتي الأولى في دائرة العهد الجديد، أمراً طبيعياً. وحينما تمّت البيعة لجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، انتابني شعوراً عميقاً بتجدّد ثقل المسؤولية التي على عاتقي، تجاه وطني ومليكي.

صاحبني في تلك اللحظات الانتقالية من مرحلة إلى أخرى، إحساس هو مزيج من الحزن العميق على رحيل ملك عظيم هو الحسن الثاني، والتفاؤل الكبير بعهد يقوده ملك شاب، متشرب بجرعة عالية من الروح الوطني، وطموح راجح للسير بالبلاد إلى الأسمى والأفضل. وتستدرجني المناسبة لأخط ما عشته في اللحظات الأولى من تلقي نبأ وفاة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وما تلاها من وقائع.

كيف عشتُ اللحظات الأولى بعد إعلان وفاة الملك الحسن الثاني ؟

لقد كنتُ على علم بمرض الملك الحسن الثاني، بل كنتُ أتابعُ تطور حالته الصحية، حتى ذلك اليوم الذي تدهورت فيه تلك الحالة بشكل كبير. كنتُ في مكنتي بالديوان الملكي، وانتابني إحساس بأن أمراً ما سيقع !

فطال بقائي في المكتب على غير عادتي، ليصلي ذلك النبأ الذي هزّ كياني!
سيخبرني أخي العزيز الجنرال ميمون، قائد الحرس الملكي، بوفاة الملك الحسن
الثاني ! صُدمتُ من هول ما سمعت، ورغم علمي بتدهور الحالة الصحية
للملك، إلا أن نبأ وفاته كان صادماً !

خرجتُ من مكنتي متوجهاً إلى مكتب الحاجب الملكي إبراهيم فرج،
داخل القصر بالمشور، والذي لا يبعد عن مكنتي إلا بأمطار قليلة. دخلتُ
فوجدتُ معه مدير الكتابة الخاصة للملك، السيد عبد الفتاح فرج، وعلامات
الحزن مرسومة على وجه الاثنين، كان أثر الصدمة مخيماً على الجميع.

مرّت حوالي ساعة من الزمن، ونحن الثلاثة جُلوس، لا نتكلم، ينظر
الواحد منّا إلى الآخر، في وجوم كامل. وفي لحظة انتهى إلى سمعنا صوت جلبة،
استطلعنا الأمر، فإذا هي خطوات من بدأ يفد على القصر الملكي بالرباط.

التحق بنا الجنرال محمد الشرقاوي، رئيس الحرس الملكي سابقاً، ثم جاء
بعده الدكتور عبد الكريم الخطيب. من كل هذا، لفت نظري ما نطق به الدكتور
عبد الكريم الخطيب وهو يتجه بالكلام إلينا نحن الثلاثة (الحاجب الملكي،
مدير الكتابة الخاصة، عبد ربه). مرّكزاً نظره صوب الحاجب الملكي، كانت
عبارته التي رددتها أمامنا هي: هل كُتبت البيعة؟

بقي الجميع مشدوهاً ! لم نكن نعرف ماذا نفعل؟! صدمة نبأ الوفاة
ذهبت بالكثير من تركيزنا !

في هذه اللحظة خرجتُ من مكتب الحاجب الملكي، ودخلتُ مَمراً يؤدي
إلى ساحة واسعة في القصر. فصادفتُ الشريف مولاي عبد الله ابن لآ فاطمة
الزهراء، أخت الحسن الثاني. ونظراً للعلاقة التي تجمعني بالشريف مولاي
عبد الله، تقدمتُ نحوه وبعدهما قدّمتُ له التعازي، خاطبته بقولي: أسأل جلالة
الملك إن كانت البيعة قد كُتبت؟ بيعة جلالة الملك محمد السادس؟ انصرف

الشريف مولاي عبد الله، وبعد نحو ربع ساعة ظهر جلالة الملك في تلك الساحة، وتبادلنا التحية بالإيماء من بعيد. وبعد فترة قصيرة، بدا لي المرحوم عبد الكبير المدغري وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو يُسرع الحُطى. أحضروا له طاولة صغيرة وكرسیاً، داخل ساحة القصر. خلع الوزير سُترته ورفع كُمِّي قميصه، ثم جلس وأمسك بالقلم، وشرع في كتابة نص البيعة. لم يكن بين يديه أيّ كتاب أو وثيقة، أو ما يمكن أن يستعين به في كتابة ذلك النص. كل ما تمّ تدوينه اعتمد فيه الوزير على ذاكرته ومحفوظه وخبرته. لكُمِّي لاحظتُ أثناء هذا التدوين، أن مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور ينتصب واقفاً بجانب الأستاذ عبد الكبير المدغري وهو يصوغ نصّ البيعة. وما أن انتهى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية من تدوينه، حتى امتلأت أرجاء ساحة القصر بالشخصيات ورجالات الدولة، مدنيين وعسكريين. بعدها توجهوا إلى قاعة العرش، حيث يوجد صاحب الجلالة، وبدأت مراسم البيعة وتقديم التعازي لجلالته والتي استمرت إلى الساعات الأولى من صباح اليوم الموالي.

لقد كان للملك الحسن الثاني، على المستوى الدولي، مكانة مرموقة، ومن ثم كان حضور الوفود التي قدمت العزاء مائزاً. تشكلت هذه الوفود من رؤساء دول كبيرة، وأصدقاء للراحل من رجالات الدولة من قارات مختلفة. رصدتُ هذا في محطتين: الأولى داخل القصر الملكي، حينما سبّج جثمان الحسن الثاني رحمه الله، داخل إحدى قاعات القصر الملكي في الرباط؛ والثانية أثناء مصاحبتي لموكب الجنازة مشياً على الأقدام من القصر الملكي إلى ضريح محمد الخامس بمنطقة «حسان». داخل القصر، كان رؤساء الوفود التي وصلت إلى عاصمة المملكة تلقي النظرة الأخيرة على جثمان الملك وهو مُسجّى، وخلال موكب الجنازة لاحظ الجميع كل المظاهر التي تعكس مكانة الراحل وطنياً ودولياً.

رصدي لملامح التغيير القادم داخل المحيط الملكي:

لكن الذي أبغي تسجيله في هذا السياق، ما رصدته في الساعات الأولى من هذا الانتقال، الذي عرفته بلادي؛ رحيل ملك، وبيعة ملك جديد. ولما كنتُ من القلائل الذين عاشوا تلك اللحظات، ومن الذين خبروا تسيير شؤون الدولة، قريبا من مراكز القرار، ملما بتقاليد القصر الملكي، فإن ما أدونُه نابع من معايشة عن كثب، وحضور فعلي، وليس رواية عن أحد، أو نقل خبر مما تناقله الألسن!

في اليوم الثاني لوفاة الملك الحسن الثاني، أقيمت مراسيم الجنازة داخل القصر الملكي بالرباط. كان رؤساء الوفود يلقون النظرة الأخيرة على جثمان الملك الراحل. كنتُ أقفُ على مقربة من كل ذلك. بجاني، وقف مدير التشريفات الملكية السيد عبد الحق الميريني، ومدير أمن القصور الملكية، الحاج محمد المديوري.

أحسستُ، بحكم تجربتي، وأنا في هذا الموقف أن هناك أشياء تغيرتُ، منذ هذه اللحظات الأولى في الانتقال من حال إلى حال. فقد لاحظتُ أن المقربين من جلالة الملك محمد السادس قد أخذوا زمام الأمور بأيديهم، يتحكمون ويتصرفون في تدبير كل الترتيبات المرتبطة بالحدث! كان حضورهم قويا ولافتاً!

التفتُ إلى الحاج المديوري وخاطبته: ما الذي وقع؟ طرحتُ هذا السؤال، لأنني أعرفُ بأن الحاج المديوري، في مثل هذه المناسبات، يكون ماسكا بالأمور، متحركا بشكل فاعل، ومشرفا على العديد من الأشياء؟! جاء جواب المديوري يقول: ها أنت ترى! لقد أخذوا كل شيء بين أيديهم...! كان قصده، الفريق الجديد المقرب من جلالة الملك محمد السادس.

هنا ترسخ لديّ ما أحسستُ به ذلك اليوم. لقد تأكد لي أن الأمير سيدي محمد وليّ العهد، قد تخلّص من إهاب ولاية العهد، وأمسك بزمام الدولة مَلِكًا ببيعة شرعية محكمة.

بعد انتهاء هذه المراسيم داخل القصر الملكي، سرتُ في موكب الجنازة الذي قصد ضريح محمد الخامس في منطقة «حسان»، حيث وُوري جثمان الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه. عدتُ إلى منزلي وأنا في حالة من التأثر الشديد، بكل ما دار أمامي، وما شاهدته في موكب الجنازة. كنتُ في حالة من الدَّهول، وكأني لا أصدّق رحيل الحسن الثاني الذي لم تمض على لقائي الأخير به، سوى ثلاثة أيام!

تحت هذا الضغط النفسي، لزمْتُ منزلي عدة أيام، لا أغادرُه ولا ألتقي أحداً.

ومع مرّ الأيام، بدأ هذا الضغط يخف، فالتحقتُ بمكتبي بالديوان الملكي، وشرعتُ في ممارسة مهامي العادية. لم أعمد إلى الاتصال بأي أحد من أولئك الذين أصبحوا يشكّلون الفريق الجديد، المسك بزمام الأمور إلى جانب جلالة الملك محمد السادس، وهم بدورهم، لم يبادر أي واحد منهم إلى الاتصال بي! جميعهم يعرفونني، بل منهم من كان -وهو صغير السن- يتردّد على منزلي، صحبة وليّ العهد الأمير سيدي محمد (الملك محمد السادس)، في مناسبات معينة. دار في أعماقي مونولوج داخلي يقول: إن طبيعة التحركات والتصرفات التي رصدتها، وأشعرتك بأن رياح التغيير قادمة لا محالة، قد لا تكون بعيدة عنك أنت كذلك! والحق، هو أمرٌ لم أستبعده.

الاتصال الهاتفي الأول بيني وبين جلالة الملك محمد السادس:

ظلّ عملي يسير بشكل طبيعي، بضعة أسابيع. ذات صباح، سألتني اتصالاً هاتفياً من جلالة الملك محمد السادس حفظه الله. كان جلالته قد انتقل إلى مدينة مراكش، في أول سفر له خارج عاصمة المملكة. وجدته يسألني: أين أنت يا المنصوري؟ أجبتُ جلالته: أنا في الديوان بالرباط ...!

- لماذا لم تأت معنا إلى مراكش ؟
- لم أبلِّغ بأي شيء في هذا الصدد !
- التحق بنا غدا، ستكون طائفة رهن إشارتك لتحملك إلى مراكش.

يسجل هذا الحوار أوّل اتصال هاتفي بيني وبين جلالة الملك محمد السادس، بعد تولّيه مقاليد الحكم.

بعد مرور حوالي ساعة من الزمن على هذه المكالمة، سيتصل بي السيد فؤاد عالي الهمة، العضو في الديوان الملكي، لأول مرة. كان خطابه عبر الهاتف يتسم باللباقة، مبدئياً انشراحه بالاتصال الذي تمّ مع جلالة الملك، وأضاف: لقد كنتُ مع جلالة الملك حين كلمك هاتفياً، وأنا سعيد جداً بحضورك معنا، وسيكون بيننا تعاون وطيد في جميع الأمور.

بادلتُ السيد عالي الهمة نفس الإحساس، وأبديتُ استعدادي للتعاون، وأن أضع تجربتي المتواضعة في خدمة بلدي ومليكي، وأضفتُ: لن أبخل بأي شيء في هذا الباب.



السيد المنصوري بنعلي والسيد حسن أوريد والسيد فؤاد علي الهمة والسيد رشدي الشرايبي

في اليوم الموالي للاتصال الملكي، التحقُ بمدينة مراكش. كان مقررا انعقاد اجتماع مصغّر، بعدد محدود من الوزراء، في القصر الملكي بمراكش. وكان حضوري لهذا الاجتماع، أول جلسة عمل شكّلت الانطلاقة لعملي إلى جانب جلالة الملك محمد السادس. بعد انتهاء هذا الاجتماع المصغّر، وانصراف الوزراء الذين حضروا، بقينا نحن الثلاثة إلى جانب الملك. رشدي الشرايبي، عالي المهمة، وعبد ربه. خرجنا من قاعة الاجتماع، هنا خاطبني جلالة الملك، وهو يشير إلى جناح ضمّ مكاتب، وقال: هنا توجد مكاتب المستشارين، اختر أي مكتب منها ليكون مقر عملك.

بعد عودتنا إلى الرباط، استمرت مرافقتي لجلالة الملك حين يلتحق بمكتبه الذي كان موجوداً في مقرّ القيادة العليا للقوات المسلحة الملكية، وقد اتخذته مقرّاً لعمله في الشهور الأولى بعد تولّيه مقاليد الحكم، وهو المكتب الذي كان يشغله حينما كان وليّاً للعهد. حضرتُ مع جلالة الملك محمد السادس وهو يستقبل في مكتبه عدة شخصيات وطنية ودولية، أذكرُ منهم الأمير السعودي بندر بن سلطان، والمحجوبي أحرسان، وغير هؤلاء. وإذا كنتُ قد حضرتُ اجتماعات مع جلالة الملك في أيامه الأولى، فإنّني أرغبُ في تسجيل حدث وقع في هذه البدايات تطلّب عقد اجتماع لتدارس حيثياته وما ترتب عليه. كنتُ أحد الحاضرين في هذا الاجتماع. كان الحدث يتعلق باعتصام للمعاقين في مدينة العيون. تدخلت قوات محاربة الشغب لتفريقهم بطريقة سلمية. ويبدو أن عناصر لا تمتّ للمعاقين بصلة تسربت إلى صفوف المعتصمين، فتطور الوضع ليتمّ تفريقهم بنوع من العنف، أدّى إلى حدوث بعض الأضرار. أمام هذا الوضع، تمت المناذاة على عامل مدينة العيون، وحملته إلى الرباط طائرة خاصة بدون علم وزير الداخلية إدريس البصري. تمّ استقبال السيد العامل في مكتب الملك بالقيادة العليا، كُنّا ثلاثة أفراد في هذا الاستقبال: محمد رشدي الشرايبي، وفؤاد عالي المهمة، وعبد ربه. ولما كان جلالة الملك محمد السادس يخصّ فئة المعاقين بعطف ورعاية خاصتين، فقد تلقى عامل العيون توبيخاً قويا من جلالته. ثم خاطبه: لماذا مورس هذا العنف على المعاقين؟ فجاء جواب العامل موضحاً ما اتخذ من إجراءات، مشيراً أنه أخبر وزارة الداخلية بما

حدث، وأنه طلب من مسؤوليه إخباره بما يجب القيام به، وانتظر التوصل بالتعليمات، لكن لم يحصل على أي جواب !

كان ردّ جلالة الملك صارماً وحازماً، فقال موجهاً خطابه لعامل العيون: إنني أعرف من صنع هذا، ومن وراءه! ومن دسّ المشاغبين من الذين لا علاقة لهم بمطالب المعاقين ! كان كلام جلالة الملك مليئاً بنبرة الغضب مما وقع، ومسّ فئة من المواطنين تحظى بعطف كبير من جلالتهم. وبانفعال حادّ، ختم جلالة الملك خطابه الموجّه للعامل بقوله: قضية الصحراء قضيتي الشخصية، إذا حدث أمرٌ في هذا الباب، فليكن الاتصال بي مباشرة، أو برشدي أو فؤاد أو المنصوري، ثم أمره بالانصراف، لتنقله إلى العيون الطائرة الخاصة التي حملته إلى الرباط، في نفس اليوم.

كنتُ في هذا اللقاء أتابعُ بتدقيق كل ما نطق به جلالة الملك، وما صاحبه من انفعالات وما حمل كلامه من إشارات ! بدا لي مما رأيتُ وسمعتُ، أننا مقبلون على حركة من التغيير لن تكون بسيطة.

صعوبات البداية:

حينما بدأتُ عملي بالقرب من جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، لم يكن طريقي خالياً من الصعوبات، بل اعترضتني في هذا المسار وقائع نسجها مَنْ لم يكن يرغب في وجودي حيث أرادني ملك البلاد. وسأقتصرُ في هذا المضمار على سرد قضيتين يُستشفُّ منهما ما زُرِع في طريقي من أشواك.

القضية الأولى، ترتبط بواقعة لها صلة بأحد البرلمانين يسمّى طارق يحيى، كان يشغل منصب رئيس المجلس البلدي لمدينة الناظور، وفي نفس الآن انتُخب برلمانياً، ممثلاً لإقليم الناظور. لكن السيد طارق لم يكن على وفاق مع عامل الإقليم في تلك الفترة، والذي لم يكن سوى صالح علّابوش، أخ عبد العزيز علّابوش الذي كان على رأس مديرية مراقبة التراب الوطني (DST). مضى طارق يحيى يكتب في الصحافة، مُشنعاً على عامل الإقليم،

متهماً إيّاه بارتكاب ما هو محرّم قانونياً كالارتشاء وغير ذلك، بل تهادى هذا البرلماني المحصّن، من خلال صفته البرلمانية، في الإساءة إلى عامل إقليم الناظور، إلى درجة أنه كان يطلب من كل من يتوفر على معلومة أو تعرّض إلى ما يسيئه من طرف العامل، أن يمده بذلك لتوسيع دائرة الخصوم، ورفع درجة تسويد صفحة السيد العامل.

كان طارق يحيى مدفوعاً من طرف بعض المتربّصين الذين كانوا يخططون لإزاحة البصري من وزارة الداخلية، ولهذا لم يكن القصد من تلك الحملة الصحفية، في حقيقة الأمر، السيد العامل، بل كان الهدفان الرئيسان للإساءة إلى مدير مديرية مراقبة التراب الوطني وهو أخ السيد العامل، والكيد من جانب آخر للسيد وزير الداخلية.

بلغ الخبر إلى صاحب الجلالة الملك محمد السادس، لم يتقبل الأمر، وبلغ غضب جلّالته على ما حدث، لدرجة أنه فكّر في إزاحة الاثنين من منصبهما، واعتبر ما صدر عن رئيس المجلس البلدي ومطالبته الناس بتزويده بمعلومات عن سلوك السيد العامل، نوعاً من التجاوز، بل التحدي لمسؤوليات أجهزة الأمن! مضى بعض المقربين في دعم موقف جلالة الملك، لا سيما أن طارق يحيى يحمل الجنسية الإسبانية وهو عضو في البرلمان.

أمام سرعة تطور الحدث، كان عليّ أن أتدخل لتوضيح بعض الأمور.

قلتُ لجلالة الملك: إن هذا الرجل يتمتع بالحصانة البرلمانية، ويحمل الجنسية الإسبانية إلى جانب جنسيته المغربية! ثم إن إسقاط الحصانة البرلمانية يجب أن تسلك فيه مسطرة قانونية بمختلف مراحلها في البرلمان!

ساند بعض المقربين من جلالة الملك هذا التوجه، وخلال النقاش الذي دار حول شروط الترشح للانتخابات، اقترحوا إصدار قانون يمنع ترشح أي مغربي يحمل جنسيتين ولا يقيم في بلده المغرب.

هنا تدخلتُ، لأقول: إذا سمح لي جلالة الملك، فإن الجالية المغربية في الخارج تحظى من طرف جلالته بعطف وعناية خاصتين، وإذا وُضع ما

يمنع ترشّح مزدوجي الجنسية من هذه الجالية، والقاطنين في بلاد المُهاجر، فإن صورة العطف المولوي على هذه الشريحة من مغاربة العالم ستُمسّ !

وأضفتُ لجلالة الملك: إنّ الأمر لا يحتاج إلى إصدار ظهير خاصّ بهذه النازلة، هناك حلّ آخر يتمثل في ما يسمح به قانون شروط الانتخابات الذي تصدره وزارة الداخلية، كلما حلت آجال تنظيم الانتخابات التشريعية، حينها يمكن إدراج الشروط المطلوبة للترشح طيّ هذا القانون، وهو ما يتمثل في منع ترشح أيّ مواطن مغربي، قاطن بالخارج، إذا لم يكن مقيماً في المغرب مدة لا تقل عن ستة أشهر، قبل حلول الانتخابات.

وهنا تقدّمتُ باقتراح إلى جلالة الملك، يتمثل في طلب استشارة قانونية من الأمانة العامة للحكومة، التي كان على رأسها الأمين العام، الأستاذ عبد الصادق ربيع، لتبحث في الموضوع، وتقدّم لجلالته مذكرة في الشأن، بعد أن ينظر إلى المسألة من جوانبها المختلفة، دستورياً وقانونياً، دون إغفال تبعات أيّ مقترح من الناحية السياسية والاجتماعية وغيرهما.

وافق جلالة الملك على الاقتراح الذي قدّمته، وأمر بعرض المسألة على الأمانة العامة للحكومة. هنا سيتدخل أحد المقربين من الحاضرين ليقول: سأتصل بالسيد ربيع لأبلغه الأمر. فقاطعه الملك قائلاً: اترك الأمر للمنصوري، فهو الذي سيتصل به !

لقد رأيتُ في الطريقة التي اقترحها بعض المقربين من جلالة الملك لتغيير السيد العامل على إقليم الناظور، أو إزاحة رئيس المجلس البلدي لهذا الإقليم، وسيلة غير ملائمة، وقد تتكرر النازلة. فهل كلما انتقدت الصحافة منتخبا أو عاملاً أو مسؤولاً في الدولة نعهد إلى إزاحته؟ علماً أن مثل هذه الانتقادات والاتهامات، لا تكون دائماً سليمة وصائبة، بل قد لا تخلو من حسابات أحياناً، وبخلفيات غير بريئة ! لذلك ملتُ إلى أن يتم التغيير أو التنحية بالنسبة لعامل إقليم الناظور في إطار حركة عادية لتعيين ولاة وعمال صاحب الجلالة. وهذا ما تمّ بالفعل.

وكما قرّر جلاله الملك، اتصلتُ بالأمين العام للحكومة، السيد عبد الصادق ربيع، وشرحتُ له بالتفصيل الكامل، جوانب المسألة المطروحة. ولم تمر فترة طويلة حتى بعث الأمين العام للحكومة بمذكرة تتضمن مقترحات للحل الملائم، والتي لم تباعد عما قدّمته إلى جلاله الملك.

أما القضية الثانية التي سأسرّدها في هذا الباب، فترتبط بالأستاذ محمد اليازغي، وهو يومئذ وزير مكلف بإعداد التراب الوطني والسكنى والتعمير والبيئة، في عهد جلاله الملك محمد السادس.

ففي اجتماع المجلس الوزاري الذي انعقد تحت رئاسة جلاله الملك، بالقصر الملكي بمراكش، وبعد طرح مجموعة من القوانين للمصادقة عليها، تمّ الانتقال إلى النظر في لائحة التعيينات في مختلف الوزارات، ومن بينها ما اقترحه الوزير محمد اليازغي من ترشيحات، في مراكز المسؤولية بوزارته. ولما كانت أسماء المسؤولين الجدد كثيرة، خاطب جلاله الملك الوزير اليازغي قائلاً: أتمنى ألا يكون كل هؤلاء من حزبكم! لم ينبس اليازغي بكلمة واحدة.

تأجّل النظر في المصادقة على تعيين المسؤولين المقترحين!

لكن ... بمجرد انتهاء أشغال هذا المجلس الوزاري، والخروج من القصر الملكي، طلب الوزير اليازغي من الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، الوزير الأول، وبصفته الكاتب العام لحزب الاتحاد الاشتراكي، مقابلة هذا الأخير في مكتبه بالرباط، كان الأستاذ اليازغي متوتر الأعصاب. وحين التقى، في اليوم الموالي، بالأستاذ اليوسفي، في مكتبه برئاسة الحكومة، وجد معه السيد محمد بوزبع وزير العدل. بدأ الوزير اليازغي يمتجّ على ما جرى، وهو في حالة شبيهة بالصورة التي كان عليها بعد المجلس الوزاري! وشرع في الحديث عن وطنية وكفاءة أطر الحزب الاشتراكي، وطلب عقد اجتماع المكتب السياسي للحزب، للنظر في الأمر، واتخاذ القرارات الملائمة بالنسبة للاقتراحات المتعلقة بتعيينات أطر الحزب في مناصب سامية، لأنه يعتبر هؤلاء الأطر مغاربة ويمكنهم خدمة وطنهم، وحتى لا يشكّل هذا الأمر سابقة، ولا يتكرر في تعيينات أطر الحزب في وزارات أخرى.

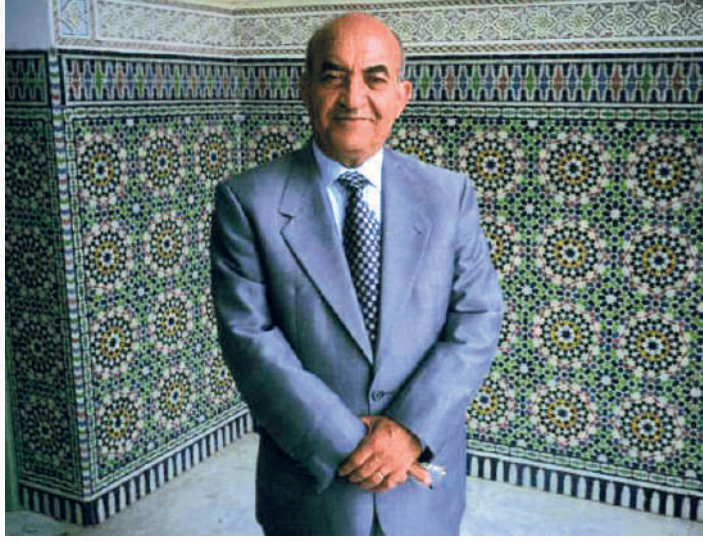
عمد السيدان اليوسفي وبوزبع إلى تهدة الرجل، حيث طلب الأستاذ اليوسفي مهلة للتفكير لإيجاد حل لهذه المسألة.

ولما كان السيد بوزبع صديقاً لأخي مصطفى، ووزيراً معه في نفس الحكومة، فقد عمد إلى إخباره بما جرى من حديث بين اليوسفي واليازغي. وأضاف السيد بوزبع بأنه إذا تمّ اجتماع المكتب السياسي، يمكن أن تكون له انعكاسات سلبية داخل الحكومة، وقد يؤدي إلى أزمة ! وطلب من أخي إبلاغي بما جرى.

سيتصل بي أخي مصطفى ليطلعني على الأمر، وأخبرني بتفاصيل ما رواه له صديقنا محمد بوزبع وزير العدل. كان عليّ أن أتصرف مرة أخرى، حتى لا تأخذ الأمور مجرى قد يفضي إلى تداعيات غير مرغوب فيها. فأخبرتُ جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، بكل حيثيات ما وقع. في نفس اليوم، سألتني مكالمة من الوزير الأول الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، يبلغني من خلالها رغبته في لقاء معي. أعدتُ الاتصال بجلالة الملك أخبره برغبة الوزير الأول في اللقاء بي، وأستفسرُ جلالتة إن كان يوافق على عقد هذا اللقاء ؟ وبسطتُ أمامه طبيعة العلاقة التي تجمعني بالأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، وأنها علاقة تمتد في الزمن إلى عهد الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه، وتميزت بالصدقة والاحترام المتبادلين بيننا.

أذن لي جلالة الملك في اللقاء مع الأستاذ اليوسفي. واتفقنا -أنا والأستاذ اليوسفي- على موعد محدد، كان مكانه في إقامته الرسمية، التابعة للوزارة الأولى بالرباط.

كان اللقاء بيننا ودياً، ودار الحوار في جوّ من المسؤولية والتفاهم الكاملين، تطرقنا فيه إلى عدة مواضيع. ومما حدثني به الأستاذ اليوسفي أن خدمة الوطن هي الهدف الأسمى قبل كل شيء آخر. وأضاف: إن أطر حزب الاتحاد الاشتراكي هي في خدمة الوطن أولاً، قبل خدمة الحزب ؛ وإن التوجيهات التي أقدمها للوزراء بالنسبة لاختيار الأطر، تنبني أساساً على الكفاءة وخدمة الصالح العام، إلى جانب ما يجب أن يتمتع به المرشّح من روح وطنية عالية.



المرحوم عبد الرحمان اليوسفي

ثم أخبرني الأستاذ اليوسفي بأنه أقنع الأستاذ محمد اليازغي بعدم الدعوة إلى عقد اجتماع المكتب السياسي للحزب. وقد أوضحتُ للأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، من خلال الحديث الذي دار بيننا، بأن ما حدث في ذلك المجلس الوزاري لم يكن موقفاً ضد أطر الحزب، بل كان حرصاً من جلالته على أن تتمّ التعيينات على أساس الكفاءة وخدمة المصلحة العامة، وربما يكون التأويل قد انزاح عن المقصود، وفُهم الكلام على أنه موقف من الحزب، والأمر ليس كذلك.

دام لقاؤي بالوزير الأول الأستاذ اليوسفي حوالي ثلاث ساعات. بعد انتهاء هذا اللقاء، اتصلتُ هاتفياً بجلالة الملك، وأبلغتهُ بخلاصة ما دار بيني وبين الوزير الأول. أشار عليّ، حفظه الله، للالتحاق به صباح اليوم الموالي، إلى مقر إقامته «سابلون Sablon»، قرب مطار الرباط/سلا، في الساعة الحادية عشرة صباحاً، بهدف إبلاغه بالتفاصيل، وأنا أصاحبُ جلالته وهو يقود سيارته بنفسه، متّجهاً من إقامته إلى مكتبه بالقيادة العليا للقوات المسلحة الملكية بالرباط. كانت هذه عادة جلالته الملك، في أغلب الأوقات، يرافقه السيد عالي المهمة، عضو الديوان الملكي، في سيارته. سيعاد الاتصال بي مرة أخرى، لأبْلغُ بأن لقاؤي بجلالته سيتمّ في مكتبه بالقيادة العليا، عوض إقامته الخاصة. وهنا فهمتُ أنّ المناوئين لي لم يُرَقهم هذا الأمر، فغيّروا الموعد من الإقامة إلى المكتب في القيادة العليا. وفعلاً، ذهبْتُ

مباشرة إلى القيادة العليا، حيث التقيتُ جلالة الملك، وقدمتُ له بالتفصيل ما دار من حديث مع الوزير الأول الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي.

وجاء جواب جلالته بأن الحرص على توفر الكفاءة وخدمة الصالح العام، شرطان حاسمان في التعيينات. وحينما تمّ التأكد من أن الأطر التي رشّحها الوزير محمد اليازغي، ممّن تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، وافق جلالته الملك محمد السادس في المجلس الوزاري الموالي على كل الأسماء المقترحة.

وأودُّ أن أشير هنا، أن مما ساهم في خلق ذلك الجوّ الودّي في لقائي مع الوزير الأول، هي المعرفة السابقة بيننا، ومن ثمّ فإنّ حديثنا في ذلك اللقاء لم ينحصر في الموضوع المقصود، بل أفسح لنا المجال للخوض في مواضيع أخرى، أذكرُ منها ما دار حول المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي يحظى بتقدير كبير من طرف الأستاذ اليوسفي، بل لعائلته ككل، لدرجة أنه لما علِم بوفاة سعيد الخطابي، ابن المجاهد الكبير، طلب منّي مصاحبته إلى مدينة الدار البيضاء، لتقديم التعازي إلى أخته السيدة «عيشة» الخطابي، وهو ما تمّ بالفعل، حيث حدّدنا موعداً لذلك، وصاحبني في سيارتي رفقة أخي مصطفى.

ومن المستملحات التي دارت بيننا في ذلك اللقاء، أن الراحل عبد الرحمان اليوسفي، قال لي وهو يُمازحني: ربما يشعر (الطنجويون) اليوم بنوع من الفخر، «نأفخين صدْرهم» كون الذي يترأس الحكومة المغربية (طنجاوي)...

مرافقاتي الأولى لجلالة الملك:

صاحبتُ جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، في أول جولة قام بها إلى منطقة الشمال، مروراً بمدن أخرى، في بداية تولّيه مقاليد الحكم. انطلقت هذه الرحلة الملكية من مدينة الدار البيضاء، لتنتهي في مدينة الرباط، وقد زار جلالته المدن التالية: العرائش، طنجة، الشاون، الحسيمة، الناظور، وجدة، تاوريرت، تازة، فاس، مكناس، الخميسات، ثم العودة إلى العاصمة الرباط.

لقد شعرتُ منذ البداية، أن هذه الجولة الملكية قد تمّ تنظيمها، بعيداً عن ترتيبات وزير الداخلية السيد إدريس البصري، وكل ما يرتبط بهذه الجولة يُدار من أطراف أخرى. كنتُ قد أبلغتُ جلالته الملك، أنّ العادة جرت أن يُسند تنظيم الزيارات الرسمية للمدن والأقاليم، عبر المملكة، إلى وزارة الداخلية، التي تعتمد إلى تكوين لجنة تضمّ مصالح من وزارات مختلفة، والتي لها ارتباط بالزيارات الملكية، لتهيء المشاريع المقرّرة تشينها من طرف جلالته الملك. جاءني جواب جلالته الملك يقول: لقد كلفْتُ من يسهر على تنظيم هذه الجولة !

وسأستعرضُ أمام القاريء، بعض ما لاحظته خلال هذه الرحلة الملكية، مما سيؤكد يقيني فيما كنتُ أُحْمِنُهُ من تهميش، بدأ يزحف نحو وزير الداخلية.

وأبدأُ بالدخول الرسمي لجلالة الملك إلى مدينة العرائش، حيث نُظمت لجلالته مأدبة غداء في هذه المدينة. وفي البروتوكول المصاحب لمثل هذه الجلسة، كان من العادة أن يجلس وزير الداخلية على المائدة الرسمية المخصّصة لجلالة الملك، صحبة بعض الوزراء والشخصيات. في مدينة العرائش، كنتُ أحد الذين تشرفوا بالجلوس إلى جانب جلالته الملك، على مائدة الغداء. استغربتُ لغياب السيّد إدريس البصري عن المائدة الملكية ووجوده على مائدة أخرى. إنه أمر لم نتعوده، وبالتالي كان غياباً يثير العديد من الأسئلة؟! لكن الذي سيقع في مدينة طنجة، نَقَل ظنوني إلى دائرة ما يشبه اليقين !

ماذا وقع في طنجة ؟

حينما حلّ جلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، بمدينة طنجة، ودخلها دخولا رسميا وبحفاوة شعبية عالية، توجه الموكب الملكي إلى الإقامة الملكية، والتحق المرافقون بالأماكن المخصصة لهم. اتجه السيد إدريس البصري إلى الفندق الذي سيقوم فيه. وسأعلمُ فيما بعد، أن مظاهرة نظمت أمام الفندق الذي يوجد فيه السيّد إدريس، وحملت خلالها شعارات تطالب بابتعاد البصري عن منطقة الشمال، وهو المعنى الذي ردّده المتظاهرون في صيغته الشعبية «الْبَصْرِي سِيرْ فْحَالِكْ أَشْمَالْ مَاثِي دِيَالِكْ» !!

إن هذه المظاهرة كانت الأولى من نوعها، بحيث لم نعهد أبداً خلال أية زيارة ملكية، أن تقام مظاهرات خلال إقامة جلالة الملك في مدينة ما. شيء آخر، قبل هذا التاريخ، من كان يجروء على تنظيم احتجاج ضد وزير الداخلية؟! صورة أخرى للتمهيش، بدت في مدينة «الشاون»، التي كان دخول جلالة الملك إليها دخولا رسميا، ونُظمت على شرفه مأدبة غداء.

ومرة أخرى، كنتُ شاهداً على غياب السيِّ ادريس البصري عن المائدة الملكية في هذا الغداء. وفي هذه المدينة أُخبرتُ جلالة الملك بوصول السيد سعيد الخطابي، أحد أبناء المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي، إلى مدينة الحسيمة، قادما من القاهرة. حينها سألتُ جلالة الملك عن الزمان والمكان اللذين يرغب أن يتم فيهما الاستقبال؟ فأخبرني جلالته أن الاستقبال سيتم في الحسيمة وأمرني، حفظه الله، أن يكون تقديم السيد سعيد الخطابي من طرفي، بعد أن يتم سلام المنتخبين وأعيان الإقليم على جلالته. وهذه الزيارة الملكية الأولى لجلالة الملك إلى منطقة الريف، واستقباله لسعيد الخطابي، اعتبرتُها الصحافة الوطنية والدولية إشارة قوية للمصالحة، «مصالحة الدولة مع الريف».

ولتوضيح هذا التخصيص، أشيرُ إلى أن المنتخبين وأعيان الإقليم الذين يكونون في استقبال جلالة الملك، حينما يصل إلى مدينة من المدن التي شملتها هذه الجولة الملكية، هو أمر يُسند إلى وزارة الداخلية لاقتراح المنتخبين والشخصيات، والبروتوكول يُسند إلى وزارة التشريعات الملكية، بحيث يكون تقديم المنتخبين والشخصيات من طرف عامل الإقليم ومدير التشريعات الملكية. وهنا أودّ أن أشير إلى الاستثناء الذي خصّني، وحدث في مدينة الحسيمة، وهو التكليف الذي أَسَنَدَهُ إِلَيَّ جلالة الملك لتقديم السيد سعيد الخطابي، وهو الأمر الذي تمّ، عندما دخل جلالته إلى مدينة الحسيمة دخولا رسميا، وكان بعد غروب الشمس، حيث ظلت الجماهير في انتظار الموكب الملكي، وفي اشتياق لاستقبال جلالة الملك. وبعد أن تقدم المنتخبون وأعيان الإقليم للسلام على

جلالته، قمتُ بتقديم السيد سعيد الخطابي، الذي رحّب به جلالة الملك، ودار بينهما حديث مقتضب. ولا شك أن حضور السيد سعيد وأخته السيدة «عيشة» إلى مدينة الحسيمة، وفي حضرة جلالة الملك، هو حدث لا يخلو من دلالة.



مع جلالة الملك محمد السادس، وهو يستقبل السيد سعيد الخطابي ابن المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في مدينة الحسيمة، خلال أول زيارة لجلالة الملك إلى منطقة الشمال سنة 2001.

ولتوسيع دائرة لقاءات السيد سعيد الخطابي بالوفد الرسمي وبعض شخصيات مدينة الحسيمة، سعيْتُ إلى تنظيم حفل عشاء أقامه أحد أصدقائي، السيد محمد لَبْحَر، وهو من الأسرة الخطّابية. وهذا الصديق من الأشخاص الذين عملوا إلى جانبي ضمن جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، وكان يشغل منصب رئيس المجلس البلدي لمدينة الحسيمة. ومن الذين حضروا مأدبة العشاء: سعيد الخطابي، «عيشة» الخطابي، وأحمد السنوسي (الذي كان يشغل منصب ممثل المغرب لدى هيئة الأمم المتحدة)، إلى جانب بعض الوزراء من الوفد الرسمي وبعض الشخصيات من إقليم الحسيمة.

وأنا أتحدّث عن المواقف التي رصدتها خلال الجولة الملكية، والتي كانت تُنبئ بالتغيير المشار إليه، أقفُ مع صورة أخرى تعزّز ما غدا عندي شبه مؤكد!

التقطتُ هذا المشهد في اليوم الثاني لإقامة جلالة الملك في مدينة الحسينية، حيث يلتحق بعض المقربين بداخل الإقامة الملكية للسلام على جلالته، قبل مغادرته. كنتُ واحداً من هؤلاء. حينما وصلتُ إلى الإقامة الملكية، لمحتُ سيارة متوقفة قريبة من الإقامة، وبداخلها وزير الداخلية إدريس البصري بمفرده. توجهتُ نحوه وألقيتُ السلام، طلب منِّي الجلوس إلى جانبه في سيارته، تبادلنا الحديث في مدة لم تتجاوز عشر دقائق. كان عليَّ أن ألتحق بداخل الإقامة الملكية. ودعته، وجالت في خاطري أسئلة، وانسابت أمني صور من زمن كان السّي ادريس البصري من الأوائل الذين أجدهم داخل القصر الملكي أو داخل الإقامة الملكية في كل المناسبات...؟! واليوم يجلس وحيداً في سيارته خارج الإقامة الملكية!

شيءٌ لم أعتد رؤيته. فتقوى توقعي بأن وزير الداخلية بدأ يدخل شيئاً فشيئاً إلى دائرة الكسوف !!

ونحن في الحسينية، بدا لي أن دائرة التهميش بدأت تتسع ليدخلها آخرون !
متى انتابني هذا الشعور؟

كان ذلك حينما التحقتُ بالفندق الذي سأقيم فيه، وهو فندق صغير، ويقع بجانب الإقامة الملكية. وجزت العادة في مثل هذه المناسبات، أن تتكلف الكتابة الخاصة لجلالة الملك، بتعيين وحجز الأماكن التي يقيم فيها المقربون من جلالته. كانت المرحومة السيدة زليخة نصري، عضوة بالديوان الملكي، من المرافقين في هذه الجولة، وحُجز لها غرفة في ذلك الفندق القريب من الإقامة الملكية. حينما وصلتُ إلى الفندق، وجدتُ السيدة زليخة نصري في حالة قصوى من الغضب، المصاحب بالصراخ والاحتجاج الحادّ !! هالني ما رأيت، فسألته: ماذا حدث؟ ما الأمر؟!

أجابني وهي في حالة انفعال...: لقد أخذ المديوري غرفتي! كانت تقصد الحاج محمد المديوري، مدير الأمن الخاص للملك.

جنحتُ إلى تهدئة السيدة زليخة نصري، وعرضتُ عليها أخذ غرفتي، سعياً إلى عدم إثارة ما يمكن أن يعكّر صفو أجواء البهجة المصاحبة للرحلة

الملكية ؛ لكنها رفضت، وأصرت على إفراغ غرفتها، وهو ما تمّ بالفعل،
والتحقت السيدة زليخة بغرفتها، وهي التي لم تكن تجرأ على رفع صوتها أمام
الحاج المديوري، لصولته !

هذه الواقعة وما صاحبها من حيثيات، دفعتني إلى ربط الأحداث بعضها
ببعض، لأحدس ما يسير إليه مدير الأمن الملكي، الحاج محمد المديوري واقتراه
من الدخول إلى دائرة التهميش !! وهو الذي كان يُعتبر أيام الملك الراحل الحسن
الثاني، شخصية قوية بما حققه له موقعه داخل القصر الملكي.

كانت المحطة الموالية في هذه الرحلة مع جلالة الملك، إقليم الناظور.
لكن قبل أن أتابع سرد ما رصدته خلال هذه الجولة الملكية، سأعمدُ إلى
استرجاع ما اختزنته ذاكرتي، في ارتباطه بهذه الزيارة إلى إقليم، هو مسقط رأسي.

عندما كان جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، يهيئ رحلته عبر
عدد من أقاليم المملكة ومدنها، ومنها مدينة الناظور، خاطبني في أحد لقاءاتي
معه فقال: حينما أصل إلى الناظور، فأنتني سأقيم خلال تلك المدة، في منزلكم.

راقني كثيراً هذا التشريف الملكي، لي ولمنزل عائلتي ؛ لكنني في نفس
الآن، كنتُ مُخرجاً، فمزلنا منزل متواضع، لذلك جاء جوابي يقول: إن منزل
والدي، يا جلالة الملك، ليس في المستوى المطلوب لإقامة جلالته ! ثم زدتُ
الأمر توضيحاً وقلتُ: هناك منزل السيد عامل الإقليم، وقد يكون المكان
الأنسب لإقامة جلالة الملك.

ردّ عليّ بقوله: إنني لا أرغب في الإقامة بمنزل العامل ! ثم تابع يقول:
أليس هناك سكن آخر؟ ولما كان جوابي بالنفي، أشار عليّ، حفظه الله، بالبحث
عن فندق مناسب في الناظور. جاء جوابي مرة أخرى، بأن هذه المدينة لا تتوفر
على فندق في المستوى الذي يمكن أن يكون مقرّاً لإقامة جلالة الملك !
لكن ... رغم ذلك ألحّ جلالته عليّ للبحث عن أي فندق، ثم أضاف: حينما
تجد هذا الفندق، سأبعث محافظ القصور الملكية لتهيئ المكان بالشكل اللائم.

كان الفندق الوحيد في الناظور آنذاك، الذي بدا لي فضاء يمكن أن
يستجيب نسبياً لإقامة الملك، يقع في وسط المدينة، ويحمل اسم «فندق رياض».

أبلغتُ جلالة الملك باسم الفندق الذي وقع عليه اختياري، فأعطى،
حفظه الله، تعليماته لمحافظ القصور الملكية لتهيئته ليكون مقر إقامة.

شرع المحافظ في أشغال التهييء، وحوّل الطابق العلوي من الفندق
بكامله إلى جناح ملكي، بتزيين (Décor) وتجهيزات جديدة، بل سيمس
التغيير غرف الطابقين الآخرين، (الفندق برمته يتكون من ثلاثة طوابق)،
ليكون المكان جاهزاً لهذا الاستقبال.

بعد انتهاء محافظ القصور الملكية من عملية تهيئة الفندق، اتصل بي
ليؤكد لي عدم صلاحية ذلك المكان -رغم الإصلاحات- لإقامة الملك.

أشعرته بضرورة إبلاغ هذا الأمر إلى جلالة الملك، لكنه تحقّق من الأمر!

كان عليّ أن أعود إلى جلالة الملك، لأؤكد له عدم صلاحية ذلك الفندق
لإقامة جلالته، حتى بعد الإصلاحات التي تمت، خاصة وأن موقعه لا يُسعف
في تطبيق بعض الإجراءات التنظيمية والأمنية. وأمام هذا الأمر، وجدّني أُعيد
على جلالته اقتراحي، بأن يتخذ من منزل عامل الإقليم مقراً لإقامته حينما يحل
بالناضور. ورغبة منّي في إقناعه حفظه الله، أضفتُ بأن هذا المنزل تابع لأُملاك
الدولة، هو سكن وظيفي وليس في ملك العامل، بل أبلغتُ جلالة الملك أن
هذه الإقامة تتوفر على جناح خاص مستقل، كان قد شُيّد ليكون مقر إقامة
الملك الراحل الحسن الثاني، طيب الله ثراه، حين يزور مدينة الناضور.

اقتنع جلالة الملك بهذا الاقتراح، فاتخذ من ذلك الجناح، داخل إقامة
عامل الإقليم مستقراً له خلال زيارته لإقليم الناضور، بل ظل هذا الجناح
المكان المفضل لإقامة جلالته، كلما زار هذا الإقليم، أما الفندق فقد اتخذ إقامة
للوفاة المرافقة.

مرت زيارة جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، إلى الناضور، في
صورة بهية وحفاوة بالغة، كان لهما الأثر الطيب في نفوس الساكنة، ورضى
وعناية من جلالة الملك. لكن ... بالنسبة لي، بقي في نفسي شيء...!!!

حينما انتهت زيارة الملك لمدينة الناظور، وهدأ خَلدي، جلستُ أعيد شريط ما جرى، وحزّ في أعماقي ألاّ أحقق أمنية جلالته الملك، وكانت رغبته أن يكون منزل عائلي مقر إقامته في الناظور! فقرّر عزمي على التهيؤ لهذا الأمر مستقبلاً. فكيف تمّ الأمر؟

كان لديّ رصيد من المال وفّرته مما كنتُ أتقاضاه من وظيفتي، يوم كنتُ إطاراً في المكتب الشريف للفوسفاط، في بداية مسيرتي المهنية، وأواخر سنوات الستين من القرن الماضي. اشتريتُ بهذا المبلغ أرضاً بُوريّة/رعوية، تقع بين العروي وتيزنطوين، مساحتها عشرون هكتاراً، ولم يتجاوز ثمنها عشرة آلاف درهم. في بداية سنوات التسعين من القرن الماضي، حصلت تغييرات في تلك المنطقة، في إطار التنمية البشرية التي شهدتها العديد من مناطق المغرب. أصبحت الأرض البورية/الرعوية منطقة سقوية، ليرتفع ثمن الهكتار الواحد، وغداً ثمنه اليوم (سنة 2023) ما بين أربعمئة ألف درهم (400.000 د) وخمسمئة ألف درهم (500.000 د).

بعد عودة جلالته الملك من رحلته، أصبح هاجسي بناء إقامة تصلح مقراً يستقر فيه ملك البلاد، كلما زار إقليم الناظور.

عمدتُ إلى وضع تلك الهكتارات التي أمتلكها للبيع، أسندتُ لأخي البشير، رحمه الله، -وكان يشغل منصب قائد في الناظور- أمر متابعة عملية البيع، حتى إذا تمّ، فوّضتُ إليه أمر شراء أرض أخرى، تقع قرب مطار العروي، مساحتها خمسة هكتارات، وهي أرض بُوريّة كذلك، ثم شرعتُ في تشييد الإقامة التي تطلّعتُ إلى أن تتحقق فيها تلك الرغبة التي عبّر عنها جلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، بأن يكون منزل عائلي مستقرّه، عند زيارته لإقليم الناظور. واستوى البناء بمساعدة أخي العزيز الجنرال ميمون، وحُقّ المنزل بالأشجار المثمرة، وتمّ تهيئته بكل ما يجعله مناسباً لاستضافة جلالته الملك، حفظه الله.

وأنا أدوّنُ هذا الحدث، أرغبُ في إطلاع القاريء الكريم، على جزئية تشكّل أحد العناصر التي حفزتني على التفكير في إنشاء ذلك المنزل. يرتبط ذلك

بمناسبة، كان إقليم الناظور مسرحاً لها، يوم عزم الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، القيام بزيارة رسمية إلى الجماهيرية العربية الليبية، وكان السفر على متن الباخرة «مراكش»، وقرر أن تكون المغادرة من ميناء الناظور، بدل طنجة. وقبل يوم المغادرة، وفي حديث مع جلالته، خاطبني طيب الله ثراه، قال: إن وليّ العهد سيدي محمد (الملك محمد السادس) سيتناول طعام الغداء، بعد سفرنا، في منزلكم. ولما كنتُ أحد المرافقين لجلالة الملك في سفره إلى الجماهيرية العربية الليبية، فقد تولى أخي العزيز الجنرال ميمون تنظيم المأدبة في بيت العائلة، حيث تمّ استقبال وليّ العهد والشخصيات التي رافقته. وظل أخي العزيز إلى جانب وليّ العهد، إلى أن غادر إقليم الناظور عائداً إلى الرباط. وكانت العادة في مثل هذه المناسبة، أن تعهد وزارة الداخلية إلى عامل المدينة تنظيم المأدبة.

أسرّد هذه الواقعة للربط بين الماضي والحاضر، فحينما رغب جلالة الملك محمد السادس في الإقامة بمنزلنا، عند زيارته لإقليم الناظور، فقد كان حفظه الله، يصل السابق باللاحق، وهو تشریف أعتزُّ به، وتعتزُّ به أسرتي اعترازاً كبيراً، كما تعتزُّ به ساكنة الإقليم بصفة عامة.

ومتابعة لوصف مراحل الجولة الملكية، أشيرُ إلى ما تميزت به هذه الجولة، ممثلاً في تلك الزيارة التي خص بها جلالة الملك، حفظه الله، «جبل العروي»، حيث التمسْتُ من جلالته أن يخص هذه البلدية بتوقف ملكي، لما تحمله هذه الالتفاتة من دلالات.

وهو ما تمّ بالفعل، ليُستقبل، حفظه الله، استقبالا رسميا في «العروي»، رغم رفض عامل الإقليم، وهو الرفض الذي أدّى إلى تهميش هذا الأخير.

كان أخي مصطفى، باعتباره رئيس المجلس البلدي للعروي، قد هياً، بتنسيق مع التشريفات الملكية، لائحة المنتخبين وأعيان قبيلة المنطقة، للسلام على جلالة الملك، وهي اللائحة التي من المفروض أن يهيئها السيد العامل.

لقد اعترض عامل الناظور على توقف الموكب الملكي في «العروي»، واعتبر التوقف في تلك المنطقة غير ضروري! وقد غاب عن السيد العامل أن

توقف جلالة الملك في بلدية «العروي» له رمزيته. فعلى أرض «العروي» حقق مجاهدو الريف وأبطال قبائل تلك المنطقة، نصراً كبيراً على الجيش الإسباني بقيادة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، وسجلت معركة «العروي» صفحة خالدة لمقاومة المحتل الإسباني، والدفاع عن الوطن. من ثم، كانت زيارة الملك محمد السادس، حفظه الله، حدثاً، لرمزيته في تعميق اهتمامه بمنطقة الريف، فضلاً عما تحمله هذه الزيارة من عطف مولوي على أسرة المنصوري.

وبعد الزيارة الملكية لـ «العروي»، سيتم الانتقال إلى إقليم الناظور الذي دخله جلالة الملك دخولاً رسمياً. وهناك، ستحدث واقعة أخرى، أسردها للقارئ كالآتي:

من التقاليد المصاحبة للزيارات الرسمية، لأية مدينة مغربية يزورها جلالة الملك، تقديم طبق التمر والحليب عند الاستقبال، ويتقدم المنتخبون وأعيان المدينة، وبعض الشخصيات والهيئات للسلام على جلالته.

في إقليم الناظور، علمت التشريعات الملكية أن رئيس المجلس البلدي للإقليم آنذاك السيد طارق يحيى، حاول الخروج عن التقاليد المرسومة في مثل هذه المناسبة، فتخلى الرجل عن ارتداء اللباس التقليدي (الجلباب والسّلهام)، وارتدى بذلة سوداء بصفته رئيساً للمجلس البلدي، ثم بدا له أن يُقدّم لجلالة الملك عند السلام عليه «مفتاح المدينة»، عوض أن يُقدّم له طبق التمر والحليب، كما جرت العادة في تقاليدنا!

إن تقديم «مفتاح المدينة» لجلالة الملك وهو يقوم بزيارة إحدى مدن المملكة، تقليد مُجتَلَب، ولا شك أن رئيس المجلس البلدي لإقليم الناظور، الذي كان يحمل في نفس الآن الجنسية الإسبانية، حينما خطرت بباله هذه الفكرة، كان ينظر إلى ما يجري في الجارة إسبانيا!

لولم تنفلت الأمور من وزارة الداخلية، لما رأينا رئيس المجلس يصطف لاستقبال الملك، وفي يده «مفتاح المدينة»، وقد ارتدى بدلة أوروبية سوداء، عوض جلباب وسلهام أبيضين! هنا بدا لي مرة أخرى، ملمح من ملامح تهميش السّي ادريس البصري.



Monte Aroui

قرية جبل العروي



باب السوق (يعرف بسوق الأحد الأسبوعي) سنة 1912
الصورة بعد معركة جبل العروي ضد الاحتلال الإسباني



وحيثما أُبلغ مدير التشريعات الملكية بأن رئيس المجلس البلدي لإقليم الناظور، يقف بين منتخبي الإقليم الذين سيستقبلون جلالة الملك، وهو على تلك الهيئة المذكورة، تم إخراجهم من صف المستقبليين لجلالته.

وحيثما همَّ جلالة الملك بمغادرة إقليم الناظور، هيئاً سكان الإقليم هدية لجلالته، كانت عبارة عن سيارة من نوع مرسيدس. وقد كُلف السيد الطاهر التانوتي، رئيس ودادية العمال المغاربة في ألمانيا، بشراء هذه السيارة/الهدية. لقد جرت العادة أن تقدم هدية لجلالة الملك من طرف سكان المدينة التي تحظى بالزيارة الملكية، ووفق البروتوكول الساري في مثل هذه المناسبات، تتكلف وزارة الداخلية بتقديم الهدية إلى الملك. شعر السيد وزير الداخلية بنوع من التشويش على هذه العملية، فاتصل بي ليخبرني بطبيعة الهدية التي ستقدم إلى جلالة الملك، وفي نفس الآن، باسم من أسندت إليه مهمة شرائها. وحيثما طرق سمعي اسم السيد الطاهر التانوتي، نوّهت بهذا الرجل، وأخبرت الوزير بأنني أعرفه حق المعرفة فهو من الأعضاء المؤسسين في جمعيتي، وأحد رجالات المنطقة المشهود لهم بطيبة المعشر، والأخلاق العالية، وقد أثبتت عليه بما هو أهل له.



مسجد العروي

ولما كان وزير الداخلية، السيد إدريس البصري، مستهدفاً في هذه الرحلة، فقد تدخل البعض من العناصر المتربصة لإفشال هذه العملية. وستكون هذه المبادرة آخر ما تمّ في هذا الباب، حيث ألغى جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، هذا التقليد خلال زيارته لأقاليم المملكة.

ذلك أنّي بدأتُ أمس، قبل هذا اليوم، أن خيوط السلطة، بدأت تنفلت من بين يديّ السيّ ادريس البصري شيئاً فشيئاً.

وأودّ أن أشير في هذا السياق، إلى أن إقامة جلالة الملك في مدينة الناظور، سمحت لي بتعدّد لقاءاتي بجلالته. وفي إحدى الزيارات لإقليم الناظور، أطلعتُ جلالته على أن مدينة العروي لا تتوفر على مسجد كبير، في مدينة تطور عدد سكانها ليصل إلى نحو خمسين ألف نسمة (50 ألف)، ويزيد هذا العدد خلال فصل الصيف بعودة الجالية المغربية المقيمة في الخارج.

وجدتُ تجاوبا كبيرا من جلالة الملك حفظه الله، حين أعطى تعليماته السامية إلى وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، لبناء مسجد في مدينة العروي بالمواسفات المطلوبة، والتي تتماشى مع النمو الذي تعرفه هذه المدينة.

ولتحقيق هذا الأمر، اتصل بي الأستاذ أحمد التوفيق، وزير الأوقاف، وتبادلنا الحديث في هذا الموضوع، ليطلب منّي السيد الوزير البحث عن الأرض المناسبة لبناء هذا المسجد، وتعيين مهندس معماري، يكون رهن إشارة الوزارة، لتتبع كل الخطوات المتعلقة بسير الأشغال.

استعنتُ في هذا الباب بأخي مصطفى المنصوري، الذي كان يشغل يومئذ منصب رئيس المجلس البلدي للعروي، لاختيار البقعة الأرضية المناسبة لبناء المسجد. تمّ الاختيار، واقترحتُ مهندسا معماريا، هو السيد فاضل الظاهري، لوضع التصاميم المطلوبة وتتبع أشغال البناء، التي تمّت في مدة لم تتجاوز سنتين.

وبهذه المبادرة وتجاوب جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، مع طلبي هذا، أصبحت مدينة العروي تتوفر على أكبر مسجد، يعتبر بحق معلمة لهذه المدينة، محاطة بمحديقة ومتوفرة على مرافق حيوية ومهمة.

بعد مغادرة جلالة الملك لإقليم الناظور، كانت وجهته، حفظه الله، مدينة وجدة. كان الدخول إليها دخولا رسميا. لكن الذي لفت انتباهي في هذه المرحلة من رحلة جلالة الملك، هو ما لاحظته أثناء مغادرته لهذه المدينة. ما الذي حدث؟ رصدت ذلك التغيير الذي مس العادة المتبعة حينما يغادر الملك المدينة التي زارها! كان التقليد الساري في هذا الباب، أن يتقدم للسلام عليه داخل إقامته بعض المقربين، قبل أن يتقدم خارجها. وبعد أن نقوم بالسلام على جلالة الملك، نسير خلفه مصاحبين له إلى خارج إقامته، ليجد المودعين الآخرين. في مدينة وجدة، كان في وداع جلالته بعض المنتخبين، وبعض أعيان الإقليم. اصطفوا جميعا، وبجانبهم الفرق العسكرية التي تقدم التحية. ومن المألوف المتبع، كان على المقرّبين وبعض الضباط السامين، السير وراء جلالة الملك إلى أن تنتهي ترتيبات المغادرة، ويركب سيارته مودّعا الجميع.

في مدينة وجدة، لم يتم هذا الأمر كما ألفنا، فبمجرد سلامنا -نحن المقرّبين- على جلالة الملك داخل إقامته، تقدم إلينا مدير التشريفات الملكية، ليخبرنا بأن الملك لا يرغب أن يتبعه أحد، وهو يغادر إقامته الملكية! ومنذ ذلك الذي تمّ في وجدة، ألغيت هذه العادة في المناسبات المماثلة.



صورة لتوسيع مدخل مطار العروي الذي دشنه جلالة الملك محمد السادس سنة 2023

وتابعت الرحلة الملكية المسير إلى تاويريرت التي لم تكن يومئذ إقليمًا، بل كانت بلدية، ومع ذلك قرّر جلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، المبيت بها. والحق أن هذا الأمر كان يحمل التفاتة سامية من جلالته إلى مستشاره، السيد مزيان بلفقيه، الذي تعتبر هذه المدينة مسقط رأسه.

في الغد، توجه جلالته الملك إلى مدينة تازة، التي خرج سكانها لاستقباله بكل حفاوة؛ ليتابع الموكب الملكي مسيره إلى مدينة فاس، التي تقرّر المبيت بها، وسيغادرها جلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، في اليوم الموالي، متوجها إلى مدينة مكناس.

كنتُ أعرفُ أن التوقف في مدينة مكناس يكتسي طابعا خاصا، مما أشرتُ إليه قبلاً. كان تقليداً منذ زمن المغفور له الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، ثم اقتفى أثره ابنه الملك الحسن الثاني، تغمده الله بواسع رحمته. كان الهدف من التوقف في العاصمة الإسماعيلية، زمن الملكين الراحلين، تناول الغداء في إقامة الأميرة للا أمينة، أخت الملك محمد الخامس، في الذهاب والإياب.

عشتُ هذا التقليد مع الملك الحسن الثاني، والذي استمر مع ابنه جلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، محافظا على هذه العادة، مع ابن الأميرة للا أمينة، الشريف مولاي ادريس العلوي، لذلك توجّه جلالته الملك من فاس إلى مكناس، لتكون مأدبة الغداء التقليدية، وأسعدني الزمن بحضورها مع الملك محمد السادس كما حضرتها، عدة مرات، مع والده طيب الله ثراه.

غادر جلالته الملك مدينة مكناس بعد الغداء، متجها إلى عاصمة مملكة الرباط، وفي الطريق مرّ الموكب الملكي بمدينة الخميسات، حيث حُصص لجلالته استقبال جماهيري كبير، وكانت الخميسات آخر محطة في هذه الرحلة، قبل الوصول إلى الرباط.

هكذا كانت مصاحبتي لجلالته الملك محمد السادس، حفظه الله، في هذه الجولة عبر العديد من أقاليم ومدن المملكة، من بدايتها إلى نهايتها. وقد عمدتُ إلى تدوين جانب من هذه الرحلة، لما أتاحت لي من رصد لملامح

التغيير التي بدت مؤشراتنا تظهر في مستويات مختلفة ؛ في البروتوكول، وفي نمط التسيير، وفي طريقة التعامل مع بعض الشخصيات، إلى غير ذلك من المواقف التي أشعرتني بالاختلاف بين جيلين، جيل الملك الأب، وجيل الابن الذي غدا ملكاً، برؤية مغايرة تواكب مرحلة جديدة ومسيرة للعصر، دون التفريط في الأصيل من تقاليدنا المغربية الأثيلة.

*** **



السيد المنصوري بنعلي



XII - ملا مع من جفود
الملأ عمء الساءس



في سبيل تنمية منطقة الشمال:

حظيت منطقة الشمال بعطف كبير من طرف جلالة الملك محمد السادس، منذ أن كان ولياً للعهد، كانت المكان المفضل لقضاء عطلة الصيفية، وخاصة تلك المنطقة الواقعة بين شاطئ المضيق والمركب السياحي «قبيلة KABILA»، وازداد هذا الاهتمام بعد أن تولّى جلالته مقاليد الحكم. وكل مغربي أو أجنبي يزور اليوم منطقة الشمال، يلاحظ ذلك التغيير الكبير الذي عرفته العديد من الأماكن في هذه الجهة، وخاصة على مستوى البنية التحتية والتجهيزات الأساسية. وربما كان الميناء المتوسطي في طنجة أكبر دليل على التحول العميق الذي مس منطقة الشمال.



مع صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، أثناء أداء صلاة الجمعة

ولا بدّ من الإشارة في هذا الباب إلى أن هذا الميناء الدولي الكبير، كان مقرراً إنشاؤه أيام الملك الراحل الحسن الثاني، على ضفاف المحيط الأطلسي، ما بين طنجة وأصيلة. وقُطعت الخطوات الأولى لهذا المشروع بإعلان طلبات العروض، وفازت إحدى الشركات الفرنسية بالصفقة، غير أن وفاة الملك الحسن الثاني، أوقف إكمال المراحل الموالية. فلما اعتلى جلالته الملك محمد السادس عرش أسلافه المنعمين، وشرع في إنزال المشاريع الكبرى للتنمية، ألغى التصور الأول للميناء، وحوّل موقعه إلى حيث يوجد الآن، على الجهة المتوسطة لمدينة طنجة وقرب مدينة سبتة المحتلة.

لقد كان هذا الاختيار استراتيجياً، حيث أصبح ميناء طنجة المتوسطي قطباً مهماً في الحركة التجارية الدولية، لارتباطه بموانئ عالمية متعددة، ومركزاً لاستقطاب أنشطة صناعية لشركات عالمية، بالإضافة إلى حركة النقل في مستوياتها المتعددة. وبذلك أصبح ميناء منافساً لموانئ أخرى، وخاصة لميناء سبتة المحتلة والجزيرة الخضراء.

وقد أسعدني حظي بالحضور إلى جانب جلالته يوم وضع الحجر الأساس لانطلاقة أشغال الميناء، ويوم تدشين الميناء بعد انتهاء الأشغال.

وارتباطاً بهذا المشروع الكبير، تمّ الالتفات إلى تطوير شبكة النقل البرية والسككية، فأُنشئت طريق ساحلية تربط بين السعيدية وطنجة، عبر مدن الناظور والحسيمة وتطوان، وربط الخط السكة الحديدية من الميناء المتوسطي بالخط السككي الوطني. ثم كان الخط السككي السريع «البُراق» بين مدينتي طنجة والدار البيضاء، الذي قوّى شبكة المواصلات بين منطقة الشمال والجهات المختلفة للمملكة، بما انعكس إيجابياً على مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية في شمال البلاد بشكل خاص.

وتكفي الإشارة في هذا الإطار إلى مشروع «مارتشيكا» في مدينة الناظور، وما خلفه من حركية على المستوى السياحي والاجتماعي والثقافي

والتجاري، ومشروع الميناء الكبير، ميناء الناظور-غرب المتوسط، الذي حضرت يوم وضع جلالة الملك الحجر الأساس لانطلاقته أشغاله. وسيكون لهذا الميناء الاستراتيجي، في السنوات المقبلة، دور كبير في الدورة الاقتصادية للمغرب، كما ستكون للأشطة التي سيخلقها في مجالات مختلفة، انعكاسات إيجابية على المنطقة، مما يساهم في تسريع إيقاع التنمية في تلك الجهة بصفة خاصة، وعلى المغرب ككل، بشكل عام.

في إطار هذه العناية التي صرفها جلالة الملك محمد السادس لمنطقة الشمال، ستعرف بعض المدن في الجهة تطورات ملموسة في مستويات متعددة. ففي الجانب المرتبط بالتعليم الجامعي، ستشهد مدن إنشاء نوى جامعية، كان لها الأثر الكبير في الحركية الثقافية للمنطقة، فضلاً عن تخفيف معاناة الطلبة الذين كانوا مضطرين للتنقل إلى مدن بعيدة، مع ما يسببه ذلك من مشاكل اجتماعية ومادية.

إن الحديث عن منجزات جلالة الملك محمد السادس في منطقة الشمال قد يطول، لكنني أستطيع أن أقول: إن الجهود التي بُذلت والمشاريع الكبيرة التي أنجزت في هذه المدّة القصيرة، منذ تولّى جلالتهم مقاليد الحكم، لم يسبق لها نظير. وهو أمر أصبح واضحاً للعيان، بل إنك تلمس آثاره عند فئات الشعب البسيطة، الذين إذا جمعتك بهم الصدفة، تجدهم يرددون ويلهجون بما تحقق، وبالصورة التي أصبحت عليها العديد من الأماكن في المنطقة، وانعكاساتها الإيجابية على حياتهم؛ بل إنني لمستُ هذا الأمر بنفسني، حينما وقفتُ على ما أثارته هذه العناية الملكية بالشمال، في نفوس بعض رؤساء الأحزاب السياسية، لدرجة أنني حينما ألتقي ببعضهم، لا يترددون في الإشارة إلى هذا الأمر، بعبارات كقولهم: أليس في المغرب سوى منطقة الشمال؟ كانوا يرددون ذلك في صيغة مُزاح!

إن الالتفاتة التي خصّ بها جلالة الملك محمد السادس منطقة الشمال، لم تكن اعتباطية. كان جلالتهم على علم بالخصائص الكبيرة لهذه الجهة، التي غابت عنها العناية منذ عهد الاستعمار. فالاحتلال الإسباني لتلك المناطق لم

تصاحبه أية إصلاحات، فوضعية الاقتصاد الإسباني عهدئذ لم تكن تسمح له بإنجاز مشاريع، ولو كانت بسيطة، في المنطقة، تسهم في تحسين وضعية الساكنة. لذلك شرحتُ في مذكرتي، وهي أوّل مذكرة رفعتها إلى جلالة الملك محمد السادس، في رحلته الأولى إلى المناطق الشمالية، ما تعانيه المنطقة من خصائص في جوانب عديدة، وخاصة التعليم، والصحة، والبنية التحتية، وما يتعلق بالمؤسسات المرتبة بشكل قوي بالحياة الاجتماعية للسكان.

وقد أُنبتُ في مذكرتي عن أهمية إحداث طريق ساحلي لإبراز أهمية الشواطئ المغربية في الجهة، وخاصة ما بين الناظور والحسيمة، وبين الحسيمة وتطوان، والدور الذي يمكن أن تجنيه السياحة المغربية في هذا الباب، بما يعود على ساكنة المنطقة بصفة خاصة، وعلى المغرب بصفة عامة، بما هو إيجابي.

موضوع الأراضي المسترجعة:

ومن المذكرات التي رفعتُ إلى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، في شأن اهتمامي بمنطقة الريف، تلك التي بسطتُ فيها لجلالته، معاناة سكان شمال المملكة، من وضعية الأراضي المسترجعة، التي كان الاستعمار الإسباني قد سلبها من مالكيها المغاربة زمن الحماية. كان الموضوع من الملفات الشائكة التي عرفها المغرب منذ استرجاع استقلاله، والتي سعيْتُ إلى إيجاد حلول لها.

فيما يخص إقليم الناظور والحسيمة، وبعد معركتي أنوال وجبل العروي، وانتقاماً من القبائل الريفية، قام المستعمر الإسباني بالاستيلاء على آلاف الهكتارات، بمراسيم خليفية، وتحويلها إلى الخواص وبعض الشركات الإسبانية، ولا سيما الشركة الإسبانية «فورمينطو آغريكولا (Forminto Agricola)»، التي استولت بمراسيم خليفية ولا سيما المرسوم رقم 71، وما تفرع عنه من مراسيم

إلى جانب أخرى، على ما يزيد على 20 ألف هكتار، مجانا، سترتب على هذه الوضعية مشاكل عديدة، بعد حصول المغرب على استقلاله، من بينها أن بعض هذه الأراضي الفلاحية بُنيت عليها مدن ك: العروي، زاو، تزنطوين وغيرها، بحيث أصبحت هذه الأراضي مناطق حضرية، شيد عليها السكان مساكنهم، منذ الاستقلال إلى وقتنا الحاضر. أما في ما يخص الأراضي الفلاحية، فقد استولى عليه سكان القبائل باعتبارها من أراضيهم التي سلبها منهم الاستعمار الإسباني، أو تمّ شراؤها من الإسبان سواء كانوا شركات أو خواص.

وفي سنة 1973، أصدرت الدولة المغربية ظهير 2 مارس 1973، الذي تقرر بموجبه استرجاع الأراضي الفلاحية التي كانت في ملكية الأجانب عبر كل الأقاليم المغربية. أحسست بالحيف الذي طال سكان الأقاليم الشمالية بسبب السياسة التي اتبعها المحتل الإسباني، فقررت أن أسعى لرفع هذه المعاناة التي كنت ألمسها كلما اجتمعت في مناسبات متعددة، مع شرائح مختلفة من سكان الأقاليم الشمالية، أو حينما أزور مسقط رأسي في إقليم الناظور، رغم أنني التفتت إلى هذا الملف زمن الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، الذي أعطى - قيد حياته - تعليماته السامية لحلّ هذا المشكل، بتكوين لجنة من مختلف الوزارات المعنية. بيد أن اللجنة التي تكونت لمتابعة هذه القضية، لم تتابع الأمر بالجدية المطلوبة، مما أدى إلى نوع من التراخي، ليدخل الموضوع دائرة النسيان.

بعد إمام جلالة الملك محمد السادس بطبيعة هذا الملف، أعطى حفظه الله، تعليماته إلى وزير المالية وهو يومئذ، السيد صلاح الدين مزوار. وبعد توصل الوزير بتلك التعليمات الملكية عبر رسالة في الموضوع، عقدت اجتماعا مع السيد الوزير، في منزلي، والذي وجدت لديه كل الاستعداد لتنفيذ التعليمات الملكية. كان اجتماعي به للمزيد من توضيح الصورة لهذا الملف. ومن باب

تسريع إيجاد الحلول، وجّه الوزير صلاح الدين مزوار رسالة في الموضوع إلى مدير الأملاك المخزنية السيد فرّج، ينص فيها على تطبيق التعليمات السامية لجلالة الملك. وشرع الجميع في تطبيق ما يحقق المطلوب. كنتُ أتابعُ هذا الملف خطوة خطوة، وحينما كنتُ أسأل، يأتيني الجواب بأن الملف يسير بسلاسة بين مختلف المصالح الوزارية والإدارات المعنية. استمرت متابعتي إلى أن أُعلن عن تغيير وزير المالية السيد صلاح الدين مزوار، وتعيين السيد نزار بركة مكانه. انتظرتُ بعض الوقت إلى أن يستقر الوزير الجديد في مهامه، فجددتُ الاتصال بوزير المالية الجديد لمتابعة المراحل التي قطعها الملف المذكور. وجدتُ نفسي مضطراً مرة أخرى، خلال الاجتماع الذي عقده مع السيد نزار بركة، لبسط الموضوع من جديد، بكل جزئياته. والحق أنّي وجدتُ في هذا الأخير كل التفهم لهذا المشكل، خاصة وهو على علم بأن إقليم تطوان -الذي لأسرته ارتباط قوي به- يعاني من نفس المشكل. لذا كان يرى أن إيجاد حلول لهذا الملف على مستوى إقليم الناظور، ستستفيد منه الأقاليم الشمالية برمتها. أعطى السيد نزار بركة، بوصفه وزيراً للمالية، أوامره لمدير الأملاك المخزنية، للاستمرار في تطبيق التعليمات الملكية المرتبطة بهذا الملف. وخلال متابعتي لخطوات هذه المرحلة، سيتقاعد مدير الأملاك المخزنية السيد فرّج، والذي كان من المواكبين للملف عن كثب. أصبح لزاماً عليّ شرح الموضوع من جديد لمدير الأملاك المخزنية المكلف حديثاً. بعد فترة، سيلحق التغيير مرة أخرى وزارة المالية، رحل السيد نزار بركة، وحل محله وزير مالية جديد، وهو السيد محمد بوسعيد، الذي سأعقدُ معه اجتماعاً، في منزله، لبسط المراحل التي قطعها ملف، صدرت في شأنه تعليمات ملكية.

ولما أحسستُ بأن أمر هذا المشكل قد طال، اقترحتُ على وزير المالية الجديد، السيد بوسعيد، عقد اجتماع في مكنتي بالديوان الملكي. مهّدتُ لهذا

الأمر بمخاطبة وزير الداخلية السيد عبد الوافي لفتيت، وأطلعته على خلفية هذا الملف، وعلى التعليمات الملكية الصادرة في شأنه، مشيراً إلى أهمية وجود وحضور وزارة الداخلية في الاجتماع الذي اقترحه. وفعلاً، تم الاجتماع في مكنتي، وبعث الوزير لفتيت السيد نور الدين بوطيب، الوزير المنتدب لدى وزير الداخلية، ومعه الكاتب العام لتمثيل الوزارة في هذا الاجتماع، وتتبع الملف، وحضر وزير المالية السيد محمد بوسعيد، والسيد أبو بكر الحيمر المكلف بتسيير مديرية الأملاك المخزنية، بعد تقاعد مديرها العام، والسيد كريم تاجموتي المدير العام الجديد للمحافظة العقارية.

استعرضت في هذا الاجتماع تاريخ هذا الملف، وذكّرت بالتعليمات الملكية الصادرة في شأنه، ثم تحدثت عن التعثرات التي عرفها بسبب التغييرات التي مسّت مواقع المسؤوليات، سواء على المستوى الوزاري أو بعض المصالح الإدارية الأخرى، بالإضافة إلى تماطل بعض المصالح. وخلال هذا الاجتماع، أبدى السيد بوسعيد وزير المالية استعداده لتسريع الخطوات في سبيل حلّ هذا المشكل، وقد عبّر لنا عن رغبته الأكيدة في هذا الباب، مشيراً إلى أن الأهم في هذا الشأن هو العمل على تطبيق التعليمات الملكية، والإسراع لإرضاء الساكنة باسترجاع أراضيهم، بغض النظر عما يمكن أن تكسبه الدولة مالياً من وراء هذا الملف.

ونفس التجاوب جاءني من الوزير المنتدب لدى وزير الداخلية، السيد نور الدين بوطيب، الذي التزم بإعطاء التعليمات الضرورية إلى عامل إقليم الناظور، لتكوين لجنة إقليمية، برئاسته، تضم ممثلين عن الأملاك المخزنية، والمحافظة العقارية، ووزارة الفلاحة، والسلطة المحلية، قصد الاستمرار في متابعة تطبيق تعليمات جلالة الملك في الموضوع، وإيجاد الحلول لتسوية

مطالب مالكي الأراضي. ومن أهم ما تمّ الاتفاق بشأنه في هذا الاجتماع، تحديد الأثمنة التي سترضي السكان لتسوية وضعية أراضيهم ومبانيهم. فتمّ تحديد مبلغ عشرة دراهم (10 د) للمتر المربع بالنسبة للأراضي الحضرية، ومبلغ عشرة آلاف درهم (10.000 د) للهكتار الواحد بالنسبة للأراضي الفلاحية السقوية، أما الأراضي البورية والرعوية، فقد تمّ تحديد مبلغ ألف درهم (1000 د) للهكتار الواحد. وهذه الأراضي برمتها هي التي كانت معنية بالرسوم الخلفي رقم 71، والمراسيم الخلفية المتفرعة عنه، والأخرى المرتبطة بها، مما تمت الإشارة إليه قبلاً.

وقد أسفر هذا الاجتماع المنعقد بمكتبي بالديوان الملكي، اقتراح النقط

التالية:

- 1 - تكوين خليتين مستقلتين عن المصالح المركزية: إحداها في المصالح الإقليمية للأموال المخزنية، والثانية في المصالح الإقليمية للمحافظة العقارية، ويتمّ تسييرهما بموظفين، على رأسهم مسؤول مكلف خصيصاً بهذا الملف، ومن بين مهامه استقبال الساكنة المعنية بالأمر، لمساعدتهم في تحضير الوثائق المطلوبة.
- 2 - إعطاء الصلاحية للخليتين ومدّهما بالإمكانات البشرية والمادية للقيام بهذه المهام، تطبيقاً للتعليمات الملكية.
- 3 - توجيه رسالة من وزير المالية إلى رئيس الحكومة، يطلب فيها توفير ميزانية استثنائية، ووضع مساطر خاصة لتمكين الخليتين من القيام بمهامهما على أكمل وجه، تطبيقاً للتعليمات الملكية.
- 4 - لقد تقرر عقد اجتماع بوزارة الداخلية، برئاسة الوزير المنتدب السيد بوطيب، بحضور مدير الأملاك المخزنية، والمدير العام للمحافظة العقارية.

بعد رسالة وزير المالية، قمتُ باتصال برئيس الحكومة، السيد عبد الإله بنكيران، أطلعته من خلاله على التعليمات الملكية الصادرة في شأن هذا الملف. لقد وجدتُ منه كل التفهم والاستعداد لتسوية وضعية هذه الأراضي. وفي نفس اليوم، وجّه رئيس الحكومة رسالة في الموضوع لوزيره في المالية، بخصوص موافقته على تخصيص ميزانية استثنائية، واتخاذ كل الإجراءات الضرورية لتطبيق التعليمات الملكية.

وعندما تمّ عقد هذا الاجتماع بوزارة الداخلية، وُجّهت رسالة لعامل إقليم الناظور من الوزير المنتدب، تتعلق بالتدابير المتخذة بخصوص هذا الملف، كما وجّهها، كل من مدير الأملاك المخزنية والمدير العام للمحافظة العقارية، رسالة إلى عامل الإقليم بصفته رئيساً للجنة الإقليمية، ثم وجّهها كذلك رسالة إلى مصالحها الإقليمية، لإطلاعها على ما تقرّر في الاجتماعين المنعقدين بالديوان الملكي ووزارة الداخلية، ولا سيما إعادة النظر في الأثمنة، التي كانت مطبّقة سابقاً لتفويت الأراضي المسترجعة، وتحديد أئمنة مناسبة تُرضي مالكي الأراضي لتحفيظها.

وإلى اليوم ما زلتُ متابعاً لهذا الملف، الذي لا يخلو من الصعوبات البيروقراطية. فإذا كان قانون استرجاع الأراضي الفلاحية من يد المعمرين، والصادر سنة 1973، قد سمح بتحديد هذه الأراضي وتحفيظها في كل الأقاليم المغربية الأخرى، فإن الأمر قد عرف صعوبات في الأقاليم الشمالية، ولا سيما أقاليم الناظور والحسيمة وتطوان.

لماذا؟ حينما حاولت الإدارة المغربية استرجاع الأراضي التي كانت بيد السلطات الإسبانية زمن الحماية، وجدت السكان قد عادوا إلى تلك الأراضي، باعتبارها أراضيهم في الأصل وتمّ اغتصابها من طرف الاستعمار، بل إن

بعضهم عمد إلى شرائها من المعمرين الإسبان. وحينما شرعت الإدارة المغربية في تحديد تلك الأراضي في أقاليم الناظور والحسيمة وتطوان، اصطدمت برفض القبائل لذلك، فأغلب هذه الأراضي المعنية في هذه الأقاليم لم تحفظ بعد، لأن السلطات المحلية أوقفت عملية تحديد الأراضي المعنية وهو العمل الذي تقوم به مديرية الأملاك المخزنية، وما زال التوقيف سارياً إلى اليوم!

لهذا، قامت الأملاك المخزنية بالتسجيل غير القانوني في المحافظة العقارية لكل هذه الأراضي، ولا سيما غير المحددة. وكلما أراد سكان القبائل القيام بتحفيظ أراضيهم، ووجهوا بتعرض الدولة. ويأتي تعرض آخر من طرف السكان، حينما ترغب الدولة في استغلال هذه الأراضي. والأمر الصائب يتمثل في رفض المحافظة العقارية تعرض الأملاك المخزنية على هذه الأراضي المعنية، بحجة أنها غير محدّدة من طرف الدولة.

والحق أنني وجدتُ من المدير الجديد للأملاك المخزنية السيد عبد اللطيف العمراني، وكذا المدير العام الجديد للمحافظة العقارية السيد كريم تاجموتي، كل التفهم والمساندة في هذا الملف. وقد وجَّهاً معاً رسالة إلى السيد عامل إقليم الناظور، بتاريخ 21 يناير 2019، ليطلعاه على مستجدات عملية التسوية التي تقوم بها اللجنة الإقليمية، وعلى الإحصائيات التي تتوفر عليها، وكذا الاقتراحات الإدارية لتسهيل جميع الإجراءات، ومعالجة جميع الملفات على صعيد الخليتين الخاصتين السالف ذكرهما. كما نصّت الرسالة على حثّ جميع المسؤولين عن هذه العملية، على بحث السبل الكفيلة بتجاوز جميع المعوقات التي تعترض تسوية هذه الأراضي، وتبسيط الإجراءات الإدارية لتمكين السكان من تحفيظ أراضيهم ومبانيهم.

وقد تبين لي، من خلال المدة الطويلة في متابعة هذا الملف، أن المشكل ليس فقط في بيروقراطية المصالح الإدارية، ولكنه مرتبط كذلك بأصحاب

الأراضي بإقليم الناظور، الذين رفضوا الأثمنة المحددة من طرف الدولة، على أساس أن تلك الأراضي في ملكيتهم أصلاً، فكيف تطالبهم الدولة بشراء أراضي من أملاكهم؟؟ ولا سيما أن عملية التحفيظ في إقليم الحسيمة، بعد رفع تعرّض الأملاك المخزنية من المحافظة العقارية، قد تمت مجاناً. لكن رغم كل هذه الصعوبات، ما زال الملف ضمن اهتماماتي، أجمع مع مدير الأملاك المخزنية، ومع المدير العام للمحافظة العقارية، كما استدعت الضرورة ذلك، وإذا تعذر الاجتماع حضورياً، يتم الاتصال هاتفياً، للنظر فيما يمكن أن يظهر من عوائق.

ورغم كل الجهود التي بذلها جلالة الملك محمد السادس، لتدارك النقص الذي عانت منه مناطق الشمال، فإن الوضع ما يزال في حاجة إلى مضاعفة الجهود، وخاصة على مستوى البوادي. ذلك أن إهمال تلك المناطق امتد على فترة زمنية غير قصيرة، منذ عهد الاستعمار الإسباني إلى السنوات الأولى من الاستقلال، مما أدّى إلى تراكم النقص الذي تجسّد في مستويات متعددة ومختلفة، الشيء الذي يتطلب جهوداً كبيرة ومستمرة، وإلى زمن أطول، لتحقيق المبتغى، علماً أن هناك أقاليم مغربية أخرى تحتاج بدورها إلى الكثير. ومما يضاعف من حاجات المناطق الشمالية، أنها كانت في فترات سابقة تنتعش بشكل كبير من الهجرة إلى خارج الوطن. فالكثير من العائلات لها مُعيل مقيم بديار الغرب، ويشكل ما يحوِّله من مساعدات مالية للأسرة، عوناً لتحسين أوضاعها. لكن الحال تغير، وغدت الهجرة أمراً صعباً، بل قد يكون غير مُجدٍ بالشكل الذي كان عليه مع الجيلين الأول والثاني. ومن ثمّ تغدو التنمية المحلية ضرورة قصوى في المرحلة الحالية، وهو ما يسعى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إلى تحقيقه من خلال ما يراه من مشاريع. ورغم المجهودات التي قامت بها الدولة خلال السنوات الأخيرة، فإن هناك فئة من الناس لا يهتمّوا إلا بمصلحتها الخاصة، ولا تنظر بعين الرضا إلى المجهودات المبذولة والمشاريع الكبرى المنجزة من طرف الدولة.

عن وضعية المساجد في مدينة مليلية المحتلة:

وضمن اهتماماتي بأقاليمنا الشمالية، لم تكن مدينة مليلية المحتلة بعيدة عن مشاغلي. وفي هذا الإطار، انشغلتُ بأحد الملفات الذي يرتبط بشجون المغاربة في تلك المدينة مما له علاقة بشؤونهم الدينية.

كانت وضعية السكان والمساجد في مدينة مليلية المحتلة من المواضيع التي صرفتُ لها اهتماماً امتدَّ عدة سنوات، ورفعتُ في شأن وضعية المساجد مذكرةً إلى جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، بتاريخ 20 يناير 2020.

ضمَّنتُ هذه المذكرة جملة من الحقائق المتعلقة بتلك المساجد، وعددها، والحالة التي توجد عليها، وما يتطلبه الأمر من إجراءات في هذا الباب. أخبرتُ جلالة الملك أن هذه المدينة المغربية المحتلة تتوفر على حوالي خمس عشرة مسجداً، تمَّ بناؤها من طرف محسنين مغاربة، يحمل بعضهم الجنسية الإسبانية. وأبنتُ في هذه المذكرة أن أحدها تمَّ بناؤه سنة 1910، والأرض التي شُيِّد عليها قُدِّمت من طرف الملك الإسباني ألفونسو الثالث عشر (Alfonso XIII).

ثم انعطفتُ إلى إبراز الصعوبات التي كانت تعترض الدولة المغربية من طرف السلطات الإسبانية، فتمنعها من بناء المساجد، سواء في مدينة مليلية أم مدينة سبتة. فقد كانت السلطات الإسبانية في المدينتين المحتلتين تتصدى لمثل هذه المبادرة، لما لها من دلالات تاريخية وسياسية. أمام هذه الوضعية، عمدت الدولة المغربية، بصفة غير مباشرة، إلى مساعدة وتشجيع أولئك المحسنين الذين يشرفون على بناء تلك المساجد.

وفي المذكرة التي رفعتها إلى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، أبلغتُ جلالتَه بالحالة المزرية التي يوجد عليها أقدم مسجد في مدينة مليلية، والذي أصبحت بنايته تشكّل خطراً على السكان المجاورين، مما دفع السلطات

الإسبانية إلى إغلاقه، بعد إشراك وزارة الأوقاف المغربية في معاينة الحالة التي آل إليها، وذلك بتعيين خبير لإجراء الخبرة بخصوص حالته، وبناء على نتائج التقرير، تمّ الإغلاق. ورغم هذا القرار من طرف السلطات الإسبانية، ظلّ المصلون يتسلّلون إليه من منفذ خاص، ويؤدون صلواتهم داخله.

لماذا لجأ هؤلاء إلى هذا السلوك؟

لقد تناهى إلى علم مسلمي مدينة مليلية، أن السلطات الإسبانية عازمة على هدم هذا المسجد، بل تحويل أرضه إلى حديقة باعتباره أرضاً إسبانية! وسيترتب على هذا الأمر صعوبة العثور على أرض بديلة، في مدينة تعتبر الأراضي الفارغة داخلها شيئاً نادراً. أمام هذه الوضعية، قامت الجمعية الإسلامية في مدينة مليلية بالتنقيب عن الملف الأصيل للأرض التي بُني عليها المسجد المغلق. وانصرف البحث إلى الأرشيف الوطني الإسباني في مدريد، والذي انتهى إلى حقيقة تثبتتها الوثائق، والتي تؤكد أن وزارة الأوقاف المغربية تؤدي كل الضرائب والرسوم المرتبطة بالأرض التي بُني عليها هذا المسجد منذ سنة 1940، وبالتالي، فإن الأرض - كما تثبت الوثائق الإسبانية - في ملك وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

كان عليّ، وأنا أحررُ المذكرة التي رفعتها إلى جلالة الملك أن أشير إلى طبيعة تكوين المجلس البلدي لمدينة مليلية، لإيضاح خلفيات بعض المواقف. دوّنتُ في هذه المذكرة بأن هذا المجلس البلدي إلى غاية سنة 2019، كان يُسيّر من طرف أعضاء أحزاب اليمين واليمين المتطرف، وبالتالي كانت مواقفهم ضدّ كل مبادرة تسعى لبناء أي مسجد في مدينة مليلية، لذا، حينما طُرحت فكرة إعادة بناء أقدم مسجد في هذه المدينة، كان التصدي قوياً لهذا المشروع.

لكن بعد سنة 2019، صعدت أغلبية جديدة، تنتمي إلى «الائتلاف من أجل مليلية» الذي يعتبر فرعاً تابعاً للحزب الاشتراكي الإسباني. وكانت أغلبية أعضاء المجلس البلدي لمدينة مليلية من أصل مغربي، حاملي الجنسية الإسبانية، وبفضلها تمّ انتخاب الدكتور مصطفى أبرشان رئيساً لهذا المجلس. وقد أتاح هذا التغيير في المجلس البلدي، للجمعية الإسلامية في هذه المدينة المحتلة، الحصول على رخصة لإعادة بناء ذلك المسجد الآيل للسقوط، وعلى نفس البقعة الأرضية للبناء القديم. وشرحتُ طيّ هذه المذكرة، ما تتيحه هذه الفرصة للدولة المغربية، بعون من الله وإرادة جلالته الملك، من احتضان لهذا العمل الذي لا يخلو من دلالة تشير إلى موصول الاهتمام بمدينة مغربية محتلة، هي جزء لا يتجزأ من الوطن.

ومنذ سنوات، وأنا أتابع هذا الملف، بتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الرباط، والجمعية الإسلامية في مدينة مليلية. كانت هذه الأخيرة دائمة الاتصال بناظر الأوقاف والشؤون الإسلامية في إقليم الناظور - وكان مسانداً للجمعية في هذا الموضوع - فقامت بإخباره بما توصلت إليه من الوثائق، التي تثبت أن الأرض في ملك وزارة الأوقاف المغربية، مما سيدعم موقفها في التعاون مع الجمعية لبناء هذا المسجد. كلفت الجمعية مهندساً معمارياً لوضع تصميم للمسجد الجديد، ومعه مركز ثقافي. وُضع الملف لدى مصالح المجلس البلدي لمدينة مليلية، معزّزاً بالوثائق المذكورة، مصحوباً بالتصميم، وأسندت مهمة متابعة المشروع إلى محامٍ، سعياً للحصول على الرخصة.

كان التصميم الأول لهذا المسجد، لا يستجيب بشكل دقيق للطابع المغربي في بناء المساجد، وخاصة هندسة صومعته. عمدت وزارة الأوقاف المغربية إلى وضع تصميم آخر، يستجيب لمعايير الهندسة المعمارية بطابعها المغربي، ليتم إرساله إلى نظارة الأوقاف بالناظور، التي قامت بإطلاع الجمعية الإسلامية

عليه، ومن ثم وضعه لدى المجلس البلدي لمليية في انتظار المصادقة. وقد تمت بالفعل، وأُخبرْتُ بتحققها من طرف رئيس الجمعية الإسلامية السيد محمد أوريش وناظر الأوقاف بالناصور.

حينها بادرتُ إلى الاتصال بوزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، الأستاذ أحمد التوفيق. وفي لقائي به، بسطتُ أمامه بشكل عام، الوضعية التي توجد عليها حالة مساجد مدينة مليية، وأفضتُ في الحديث عن المسجد القديم الذي تعزم السلطات الإسبانية هدمه وتحويل أرضه إلى حديقة، مبيّنا أن مساهمة وزارة الأوقاف في بناء هذا المسجد هو فرصة ثمينة للمغرب لدعم هذا المشروع، ولا سيما أنه سيكون في ملكية وزارة الأوقاف، وإمامه موظف من طرف الوزارة، وأضفتُ بأنه هذا المشروع يتضمن، إلى جانب بناء المسجد، إحداث مركز ثقافي، سيكون ذا فائدة كبيرة للمسلمين من أصل مغربي، في هذه المدينة المحتلة. شفعتُ كل هذا بتذكيري إياه، بأن أغلبية أئمة المساجد هناك، تتقاضى أجورها من وزارة الأوقاف. ونظرا للدور المهم الذي يلعبه هؤلاء الأئمة، في تأطير الساكنة روحياً، وتوعيتهم بأصالة وثقافة بلدهم، طلبتُ من السيد الوزير تحسين الوضعية المادية لهؤلاء، وكذا العناية بمساجد مدينة مليية، لا سيما توفير أبسطة جديدة، نظراً للحالة غير الملائمة التي آلت إليها القديمة. والحق أنني وجدتُ من الأستاذ أحمد التوفيق، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، كل التفهم لمساندة هذا المشروع، وخصص ميزانية استثنائية لشراء البُسْط هي عبارة عن زرابي، تمّ توزيعها على مساجد مدينة مليية، عن طريق نظارة الأوقاف بإقليم الناصور.

كلّ هذه الخطوات شكلت لي حافزاً لمتابعة هذا الملف، وهي المتابعة التي ما تزال قائمة إلى اليوم. لهذا، وبتوافق مع وزير الأوقاف، عقدتُ اجتماعاً بمنزلي للنظر في الخطوات المقبلة. وقد كلّف السيد الوزير رئيس مصلحة

المساجد بالوزارة، السيد عبد العزيز الدريوش، واستدعى مندوب الوزارة بإقليم الناظور، السيد أحمد بلحاج، للقدوم إلى الرباط، وبدعوة مّي، حضر السيد محمد أوريش، رئيس الجمعية الإسلامية بمدينة مليلية. مع كل هؤلاء، عقدت هذا الاجتماع لتتبع المراحل المختلفة لسير الملف. وتمخض عنه الإقرار بأهمية مساهمة الدولة المغربية، في تحقيق هذا المشروع ذي البعد الديني الإسلامي، على أرض مغربية محتلة، واغتنام فرصة موافقة المجلس البلدي لمدينة مليلية على إنجازها.

بعد كل هذه الجهود، طفا على السطح حادثان عملا على تبطيء خطوات السير قدما في إنجاز المطلوب. يتمثل الأول في وباء كورونا، الذي نزل بكله على الحياة العامة في شموليتها، كما لمسها الجميع، والثاني، جاء في ركاب ما عرفته العلاقة المغربية-الإسبانية من تشنجات، في فترة معينة، ترتب عليها إغلاق الحدود بين البلدين. وبعد ارتفاع هذين المعوقين، عدت مرة أخرى إلى تحريك الملف، مع إصرار يرمي إلى تحقيق الأمل المنشود.

وأذكرُ في هذا السياق، وأنا منشغل بهذا المشروع في مدينة مليلية، أن أختها سبته، لم تغب عني، وهي المدينة المغربية المحتلة، التي يعيش سكانها المسلمون من أصل مغربي، نفس المشاكل. لقد كان لي تواصل سابق مع رئيس الجمعية الإسلامية بهذه المدينة، المرحوم محمد علي البهلولي، وهو رجل لم يرض بجهوده، قيد حياته، في سبيل خدمة السّاكنة المسلمة من أصل مغربي بسبته السلبية. وتقديراً مّي لما كان يبذله من جهود في هذا الباب، تقدمتُ بطلب إلى الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، لينعم عليه بأداء مناسك الحج، وشفعتُ ذلك بإبراز مناقب الرجل، والثناء عليه وعلى غيرته الوطنية، وتكثلت خطوتي بالنجاح، وتحقق المطلوب، وأدى السيد محمد علي البهلولي مناسك الحج بالفتاة ملكية نبيلة، بإضافته ضمن الوفد الرسمي.

خطوة «هيئة الإنصاف والمصالحة»:

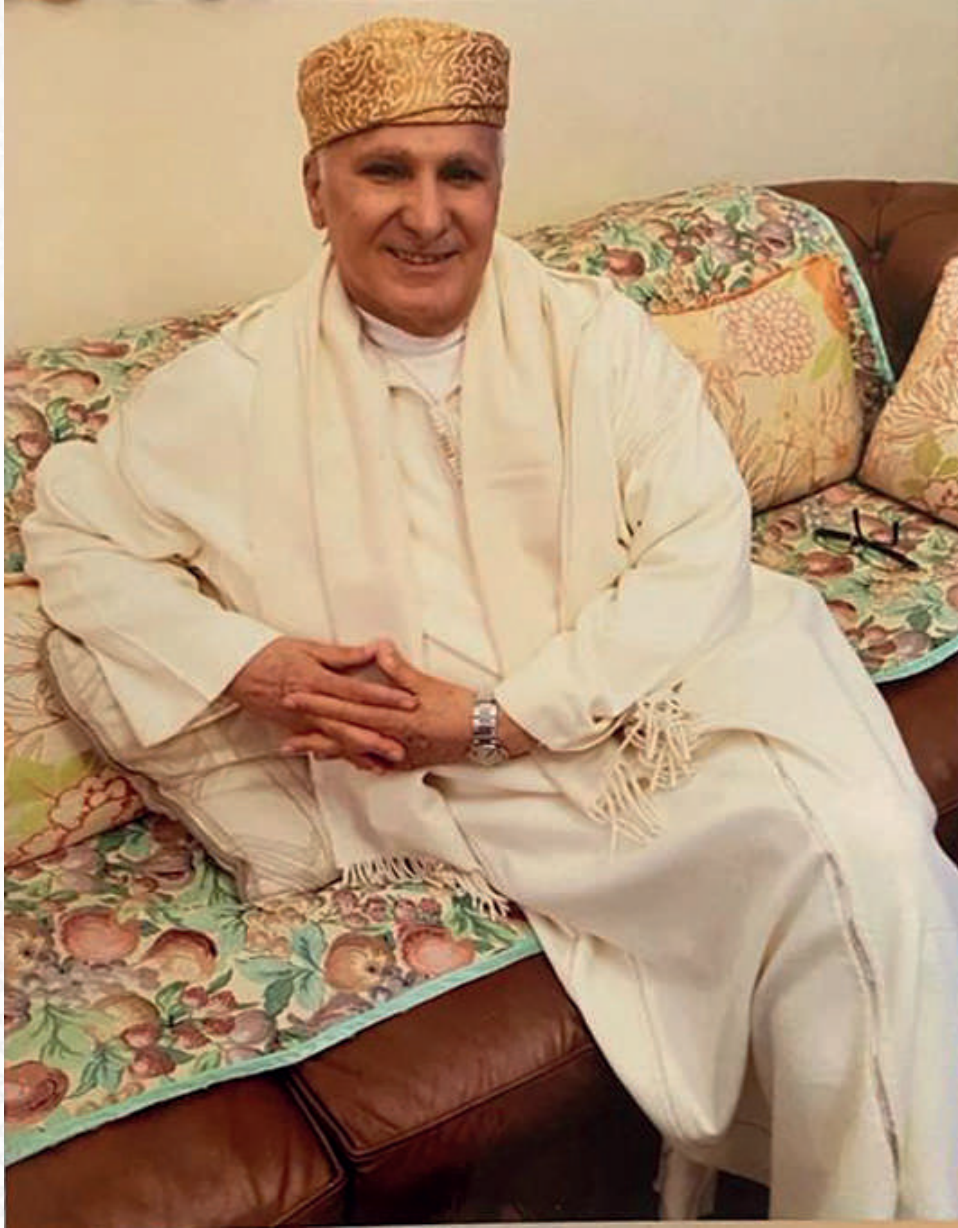
يسجل التاريخ المغربي في زمنه الراهن، الخطوة التي أقدم عليها جلالة الملك محمد السادس لفتح ملف «الإنصاف والمصالحة»، باعتبارها منعطفًا حاسمًا، ساهم إلى حدّ بعيد في الحفاظ على استقرار البلاد، ودعم الانتقال السلس للحكم من ملك إلى ملك.

كانت تلك الخطوة التي أقرّها وشجع على إنجازها، ملك البلاد، فرصة لفئة من الضحايا، للتعبير عن معاناتهم، الشيء الذي تمّ بشكل علني، ونُقلت حكايات هؤلاء على أمواج الإذاعة الوطنية وشاشة التلفزيون. وقد تمّ كل ذلك بحضور الصحافة الوطنية وأخرى دولية، إلى جانب ممثلين للحركات والمنظمات التي تهتم بحقوق الإنسان على المستوى الوطني والدولي.

وتشكّلت هيئة «الإنصاف والمصالحة»، من أعضاء ينتمون إلى حركة اليسار، بل منهم من عانى تجربة الاعتقال والسجن، إلى جانب أعضاء من المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، دون إغفال عضوية السيدة «عيشة»، ابنة المجاهد مُحمد بن عبد الكريم الخطابي، وهذا التركيب أعطى مصداقية كبيرة لهذه الهيئة.

ولما كنتُ من المتابعين عن قرب لما جريات وقائع تلك الجلسات، وملاحظًا للحيثيات المصاحبة، فقد لمستُ الحرية الكبيرة التي تمتعت بها هيئة «الإنصاف والمصالحة»، في اتخاذ قراراتها، دون تدخل أية سلطة أو غيرها. وقد لاحظتُ - كما لاحظ المتابعون لجلسات البوح- تلك الصراحة والشجاعة اللتين تكلم بهما مَنْ أُعطيت لهم فرصة حيّي ما قاسوه من محن، في ظروف سياسة معينة.

وهنا أودُّ أن أسجل ما لمستُه في السيد إدريس بنزكري، وهو على رأس هيئة «الإنصاف و المصالحة» من روح وطنية عالية، وتفانٍ في تغليب المصلحة



السيد المنصوري بنعلي

العليا للبلاد. وقد جمعتني بالرجل مناسبات مختلفة جعلتني أقف على ما كان يتمتع به -رحمه الله- من خصال حميدة. لقد لعبت هيئة «الإنصاف والمصالحة» دوراً حاسماً في تجنب البلاد أحد المزالق الذي كان بالإمكان -لا قدر الله- أن يدفع البلاد إلى المجهول ؛ لكن الله سلّم، بفضل إرادة جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وما توافر في أعضاء هيئة «الإنصاف والمصالحة» من رغبة صادقة في تغليب المصلحة الوطنية على أيّ شيء آخر، إلى جانب ما اتصف به أعضاء هذه الهيئة، من سماحة وتناسي جراح الماضي، في سبيل تعزيز حُمة شعب، أبانت مختلف طبقاته عن نضج ووعي، جنبّ البلاد ما سقطت فيه بعض الدول العربية من فوضى، وُلدت من رَجْم ما سُمي ب «الربيع العربي» ! فقدّم المغرب بذلك صورة حضارية راقية، في التعامل مع فترة قاسية من تاريخه المعاصر، بحكمة أثارت إعجاب العالم، تعززت بمبادرة جلالة الملك حفظه الله، بإصدار تعليماته السامية، لإعادة النظر في الدستور المغربي، بما يتلاءم وتطلعات الشعب المغربي في العهد الجديد. فكان خطاب يونيو 2011، الذي تولدت عنه التعديلات الطموحة لدستور المملكة.

العناية الملكية باللغة والثقافة الأمازيغيتين:

مما يسجّل بفخر للعهد الجديد، في ظل حكم جلالة الملك محمد السادس، ما أولاه، حفظه الله، من عناية كبيرة باللغة والثقافة الأمازيغيتين، باعتبار أن هذا المكوّن عمدة في تجسيد الهوية المغربية.

لقد كان خطاب أجدير يوم 17 أكتوبر 2001، الذي انطلق من عمق الأطلس الشامخ، حدثاً تاريخياً، سعى إلى تأكيد وحدة الوطن في تنوع روافد هويته، وتجذر المكوّن الأمازيغي لهذه الهوية. ومما ورد في هذا الخطاب السامي

قول جلالته: «إننا نريد التأكيد على أن الأمازيغية التي تمتد جذورها في أعماق تاريخ الشعب المغربي، هي ملك لكل المغاربة بدون استثناء... ولأن الأمازيغية مكوّن أساسي للثقافة الوطنية، وتراث ثقافي زاخر، شاهد على حضورها في كل معالم التاريخ والحضارة المغربية؛ فإننا نولي النهوض بها عناية خاصة في إنجاز مشروعنا المجتمعي الديمقراطي الحداثي، القائم على تأكيد الاعتبار للشخصية الوطنية ورموزها اللغوية والثقافية والحضارية».

لقد اتسمت خطوة جلالة الملك بالحكمة وبعد النظر، خطوة تجنب البلاد التفرقة والنصرة العنصرية اللتين سعى الاستعمار في زمن مضى، إلى زرعهما داخل الوطن. وإذا كان خطاب أجدير يشكل المنطلق، فإن خطوات تنزيل جوهر الخطاب الملكي على أرض الواقع أخذت منحى تدرّجيا ضمّانا للتطبيق السليم والناجح. فغدت اللغة الأمازيغية دستوريا لغة وطنية، تمّ العمل على تمكين المواطنين من امتلاك مهارات كتابتها وقراءتها، بدءاً من مسالك التعليم المختلفة، إلى امتداداتها في الحياة العامة بمختلف مستوياتها. وقد توجت هذه الخطوات في الأيام الأخيرة (شهر ماي 2023) بالقرار الملكي السامي، القاضي بإقرار رأس السنة الأمازيغية، الذي يوافق 14 يناير من كل عام، عطلة وطنية رسمية، على غرار فاتح محرم من السنة الهجرية، ورأس السنة الميلادية؛ وهو الأمر الذي يجسد العناية المولوية بالأمازيغية، باعتبارها رصييداً مشتركاً لكل المغاربة.

ليس الأمر غريباً حينما يلتفت جلالة الملك إلى البعد الأمازيغي في بناء الهوية المغربية، فهو الملك الذي تجري في عروقه دماء أمازيغية أصيلة، وليس من الصدف أن يكون منطلق خطاب أجدير دياراً أمازيغية، ترتبط بنسب وقربي، بوالدة ملك البلاد حفظه الله.

الاحتفال برأس السنة الأمازيغية (2974) يوم 14 يناير 2024.



مع الوزير الأول السيد عزيز أخنوش في مسرح محمد الخامس بالرباط، بمناسبة الاحتفال برأس السنة الأمازيغية 2974 ، يوم 14 يناير 2024.



البعد الإفريقي في سياسة الملك محمد السادس:

كنتُ أشعر دائماً أنّ جلالة الملك محمد السادس، يكنّ لإفريقيا عطفاً خاصاً. سيتبيّن هذا الأمر بشكل واضح للعموم، عندما تولى جلالتة عرش أسلافه الميامين، من خلال تلك الزيارات التي قادته إلى العديد من الدول الإفريقية. ولا شك أن هذه الخطوة كان القصد منها أساساً، عودة المغرب إلى حضنه الإفريقي، بعد أن تمّ انسحابه من منظمة الوحدة الإفريقية، في ظروف خاصة ترتبط بقضية وحدتنا الترابية.

لم تكن هذه العودة إلى إفريقيا عودة عادية، بل كانت مؤسّسة على رؤية سياسية بعيدة المدى، قطبها الأساس مدّ يد التعاون إلى دول القارة، في إطار رابح رابح. وسيجد هذا المنحى في التعاون، كل القبول من طرف الدول الإفريقية التي سعت إلى الاستفادة مما راكمه المغرب من خبرات، في مستويات متعددة.

أضف إلى ذلك، ما وجدته الأفارقة في المغرب من صدق النوايا والتعامل القائم على مشاعر إنسانية صادقة، بعيداً عن التعالي أو الاستغلال لخيرات القارة، بالشكل الذي يُفقر الدول، دون أن تحصل هذه الأخيرة على ما يمكن أن يساعدها على نمو حقيقي ملموس.

لذلك، كانت التعليمات التي أعطيت للإدارة وللمقاولات والأبنك والشركات المغربية، تنبني على أساس التعامل مع الأفارقة كإخوة. وهو ما لمسّه هؤلاء حينما انتقلت الخبرة المغربية إلى البلدان الإفريقية، من خلال الأبنك المغربية وشركات البناء، وغيرها من المؤسسات الاقتصادية، إلى جانب خبرات أُخر.

وقد جسدت العديد من المشاريع، التي انخرط المغرب في تنزيلها على الأرض الإفريقية، هذا الاهتمام الكبير الذي أولاه جلالة الملك محمد السادس للقارة. وليس المقصود في هذا السياق، سرد كل تلك المشاريع المتنوعة، بل يمكن الإشارة إلى نماذج منها، ترسم طبيعة ما تساهم به المملكة المغربية في إطار التعاون

الإفريقي، وتشكل اليد المغربية الممدودة إلى دولة الغابون، نموذجاً لهذا التعاون.

وقد اتسمت الصداقة المغربية/الغابونية، بالعمق والمصداقية والتطور، منذ ربط العلاقة مع دولة الغابون، في عهد الملك الحسن الثاني والرئيس الحاج عمر بانغو، تغمدهما الله بواسع رحمته. وبتزايد هذه الروابط متانة في عهد جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، من خلال حفاظه على هذه العلاقة، بل وتطويرها مع الرئيس السيد علي بانغو، ابن الرئيس السابق. ومن العوامل التي ساعدت في هذه المرحلة على تمتين العلاقة بين البلدين، تلك الصداقة التي جمعت بين جلالة الملك محمد السادس، وهو يومئذ ولي للعهد، وبين علي بانغو الذي كان يصاحب والده في زيارته المتعددة إلى المغرب. وكان الوالد/الرئيس يهييء ابنه لخلافته. فكانت فترات الإقامة بالمغرب، فرصة للاقتراب ومعاينة أشياء ساهمت في هذا التهييء. وغدت تلك المرافقة لولي العهد الأمير سيدي محمد (جلالة الملك محمد السادس)، عاملاً مساعداً في تمتين العلاقة بين الرئيس علي بانغو والملك محمد السادس. وهكذا أصبحت العلاقة المغربية/الغابونية نموذجاً ناجحاً للتعاون بين الدول الإفريقية، بل يمكن أن تكون نموذجاً للتعاون جنوب/جنوب. وقد سمحت لي مناسبات عديدة، للتعرف إلى الرئيس علي بانغو، بعضها تمّ يوم كان يتردد على المغرب للإقامة بعض الفترات، وأخرى أتاحت لي خلال زيارتي لدولة الغابون.

وقد تعددت المجالات التي تحقق فيها تعاون ملموس، وظهرت نتائجها الإيجابية بجملاء، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي والمالي أو الاجتماعي، إلى غير ذلك. ففي المجال الأمني والعسكري، كلنا يعلم أن الأمن الخاص لرئيس جمهورية الغابون، الحاج عمر بانغو، كان متكوناً من المغاربة، وهو أمر ما كان ليكون بهذا الشكل، لولا الثقة الكاملة التي وضعها الرئيس في هؤلاء، ولولا الكفاءة العالية التي أثبتتها الخبرة المغربية في هذا الباب. أما في المجال العسكري، فقد وجد الغابونيون في المدارس العسكرية المغربية، ما يُليي متطلباتهم في هذا المجال. وقد فتح المغرب مختلف مراكز التكوين أمام دولة

الغابون، فساهمت الخبرة المغربية في تكوين أطر غابونية في الإدارة والصحة والصيد البحري والجمارك والبيئة والسياحة، وغيرها من المجالات، فضلاً عن المنح المقدمة لطلبة هذا البلد الصديق. وفي المجال الفلاحي، قدّم المغرب لدولة الغابون عدة مساعدات، فبالإضافة إلى تكوين أطر غابونية في الفلاحة، شملت هذه المساعدات مادة الفوسفات ومشتقاته، مما ساهم في تحسين إنتاجية هذا القطاع، فانعكس إيجابياً على الفلاحين، محصولاً ومداخيل.

أما في المجال الاقتصادي والمالي، فقد شمل التعاون المغربي-الغابوني فروعاً مختلفة، وساهمت المقاولات المغربية باستثمارات مهمة من خلال الأبنك، ومؤسسات حيوية أخرى كاتصالات المغرب، ومجموعة «مناجم»، وغيرها من الشركات التي دعمت الاقتصاد الغابوني، وخلقت فرص تشغيل اليد العاملة في هذا البلد الإفريقي الصديق.

ولما كان العمل الاجتماعي الموجه إلى الفئات الضعيفة من الأسس التي انبنت عليها سياسة جلالته الملك محمد السادس حفظه الله، لم يغيب عن جلالته هذا التوجه في علاقتنا مع دولة الغابون. فأعطى تعليماته حفظه الله، لبناء مساكن للأسر ذات الدخل المحدود، وهو ما كان له الوقع الطيب في نفوس فئة عريضة من الساكنة المحتاجة، وخاصة في ضواحي العاصمة «ليبروفيل» (Libreville).

وامتد التعاون بين المغرب والغابون إلى الحقل الديني، حيث يساهم المغرب إلى اليوم في العناية بالمسلمين في هذه الدولة الإفريقية، من خلال الدعوة إلى التسامح والتآخي، عبر إسلام وسطي، ينبذ العنف والتطرف؛ وهو الأمر الذي يتم من خلال علماء ووعاظ مغاربة، بتنسيق وتعاون مع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الغابون؛ أما مسجد الحسن الثاني، الذي بناه المغرب في العاصمة الغابونية -وكنت حاضراً يوم تدشينه- فإنه يقوم شاهداً على هذا التعاون في المجال الديني، وهو المسجد الذي بني على الطراز المغربي الأصيل، ويعدّ من أكبر مساجد الغابون.

ومن مظاهر عمق العلاقة بين المغرب والغابون، تلك الصداقة التي تجمع بين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، والرئيس الغابوني الحالي، السيد علي بانغو.

لقد عمّق الابن ما كان من صلات بين الراحلين الحسن الثاني والحاج عمر بانغو، بل لقد عملاً معاً على تطويرها بشكل كبير، خاصة في بُعدها الإنساني الذي تجلّى أولاً، في حفل زفاف علي بانغو، الذي أقيم في عهد الملك الحسن الثاني، حيث كلّف جلالتة السفير المغربي بالغابون، مولاي إدريس العلوي، بالإشراف وتنظيم حفل الزفاف على الطريقة المغربية الأصيلة. وثانياً، حينما أصيب الرئيس الغابوني علي بانغو بوعكة صحية، وهو في الديار السعودية، وهو الحدث الذي ترك أثراً كبيراً في نفس صديقه جلالة الملك محمد السادس، الذي كلّف سفير المغرب بالمملكة العربية السعودية (أخي الأستاذ مصطفى المنصوري) بتتبع الحالة الصحية للرئيس الغابوني، وإطلاع جلالتة على تطورها، وقد تتبّع حفظه الله كلّ مراحل العلاج، بل بادر إلى إرسال فريق من الأطباء المغاربة إلى الديار السعودية. بعد تأزم الحالة الصحية للرئيس، قرّر جلالتة أن ينقل صديقه إلى المغرب، ليكون تحت الرعاية الكاملة لجلالتة. أمام هذه الوضعية، كانت زوجة الرئيس الغابوني وابنه قد قاموا بجميع الترتيبات لنقله إلى أحد مستشفيات لندن لمتابعة العلاج، وهو ما كانا يرغبان فيه. لكن جلالة الملك ألح أن يتمّ العلاج في المغرب بدل لندن، امتنعاً في البداية، لكن أمام إلحاح جلالتة، اقتنع الابن وحده، في حين ظلت الزوجة مصرةً على نقل زوجها إلى لندن، حينئذ تدخل جلالة الملك لدى الوزير الأول ووزير الخارجية الغابونيين، وبعض أفراد عائلة الرئيس، وأقنعوا الزوجة والابن بنقله إلى المغرب، وهو ما تمّ بالفعل.

أدخل علي بانغو إلى الجناح الخاص في المستشفى العسكري بالرباط، الذي جُهّز بأحدث الآلات الطبية التي تستلزمها حالته الصحية، وأحيط بفريق من الأطباء المختصين، المشهود لهم بالكفاءة العالية، مع متابعة حثيثة يومية من جلالة الملك للاطمئنان على الوضع الصحي لصديقه. وظل الرئيس

الغابوني علي بانغو تحت هذه الرعاية إلى أن تماثل إلى الشفاء، ليعود إلى بلاده.

هذه إشارات، سُقناها في هذا المضمار لإبراز طبيعة الروابط التي جمعت وتجمع بين المملكة المغربية ودولة الغابون، باعتبارها نموذجاً لذلك البُعد الإفريقي لسياسة جلالة الملك محمد السادس، في تدبير السياسة الخارجية للبلاد.

وصورة أخرى لهذا التعاون الإفريقي تتجلى في تلك المشاريع الاجتماعية، والثقافية، والدينية، التي انخرط المغرب في إنجازها بدولة الكوت ديفوار، وفي مقدمتها تهيئة خليج كوكودي (COCODY)، الذي سيحدث تغييراً عميقاً، عند إنجازها، في المحيط العام لمدينة «أبيدجان». وقد وضع المغرب كل خبرته التي اعتمدها واكتسبها في تهيئة بحيرة «مارتشيكا» بمدينة الناضور، لتحقيق الغاية في المستوى المطلوب. وينطوي مشروع خليج كوكودي على بُعد اجتماعي، واقتصادي، وسياحي كبير، يستهدف في غايته البعيدة تحسين الإطار العام الذي يعيش داخله ساكنة العاصمة أبيدجان، التي تعتبر مركزاً اقتصادياً حيوياً في هذا البلد الإفريقي. ويشمل هذا المشروع إزالة التلوث، وحماية المدينة من الفيضانات التي تهددها، من خلال منشآت مائية تجمع بين الدور الوقائي واللمسة الجمالية التي تضفي على المكان طابعاً ترفيهياً، تحوّل الفضاء في عمومها إلى وجهة سياحية، يعززها بناء جسر «Pont COCODY»، يبلغ طوله كيلومتر و600 متر، بطريق مزدوج، وعلوه 100 متر. تمّ إنجازها بواسطة أطر مغربية، تكلفت بجميع مراحلها، من انطلاقة الأشغال حتى تدشينه من طرف رئيس دولة الكوت ديفوار، السيد الأنسا واطارا، بتاريخ غشت 2023. ويعد أكبر جسر في دولة الكوت ديفوار.

ومن بين المشاريع الكبيرة التي أُنجزت في دولة الكوت ديفوار، بناء مسجد من طرف المملكة المغربية، أطلق عليه اسم «مسجد محمد السادس». كانت هندسته على الطريقة المغربية الأصيلة، بكل معالمها، ويتسع لأكثر من 5000 مصلي.

وكما تعددت زيارات جلالة الملك محمد السادس، حفظه الله، إلى إفريقيا،

كان تنوع المساعدات التي قدمت لها في مختلف المجالات الدينية والاقتصادية، وبصفة خاصة في المجال الفلاحي، متمثلة في الفوسفات المغربي، وما يستخرج منه من أسمدة، بالإضافة إلى خبرة المهندسين المغاربة في هذا المجال؛ دون أن ننسى ما قدمه جلالة الملك للسينغال، وخاصة للمشتغلين من أهل البلد في مجال الصيد البحري التقليدي، حيث تمّ تزويدهم بقوارب الصيد، مدعماً ذلك بالخبرة المغربية، ونفس الخطوة، تمت تجاه الكوت ديفوار، الشيء الذي سيعمل على تطوير عمل هذه الفئات ورفع مداخيلها المالية. وموازية مع هذه المشاريع، سطر المغرب برنامجاً لتكوين أطراف إفريقية، مسّت مجالات مختلفة، سعياً لتأهيل العنصر البشري الذي يعتبر أساساً رئيساً لتحقيق النمو المطلوب.

وفي إطار توظيف خبرة وكالة «مارتشيكا»، قدم المغرب لدولة مدغشقر كل المساعدات الضرورية لإنجاز الدراسات المختلفة: التقنية والقانونية والمالية، لتحقيق مشروع كبير في هذا البلد الإفريقي، يتعلق ب «قناة بانغالانيس» (Canal des Pangalanes) التي تعدّ أطول قناة بحرية إفريقية. والهدف من هذا المشروع المحافظة على المنظومة الإيكولوجية، وتحويل المنطقة إلى رافعة اقتصادية واجتماعية، باستغلال طبيعتها المتكونة من بحيرات وأنهار، ومصبات مياه، لإنشاء مشاريع سياحية، تساهم في تحسين الدخل الفردي لسكان المنطقة، وفك العزلة عن القرى البعيدة، وتعمل في نفس الآن على دعم اقتصاد البلاد.

ولا يمكن الحديث عن مشاريع المغرب في إفريقيا، ومساهمته في تنمية بعض بلدان هذه القارة، دون الإشارة إلى ذلك المشروع الكبير، المتمثل في المساهمة في إنجاز خط الأنابيب، الذي سيحمل الغاز من أراضي دولة نيجريا إلى أوروبا، عبر أراضي عدة دول إفريقية. يتبين من هذه الإشارات، أن كلّ دولة إفريقية زارها جلالة الملك محمد السادس، استفادت من إمكانيات المغرب المالية والتقنية وموارده الطبيعية...

ونحن نتحدث عن العلاقة المغربية الإفريقية، لم يغيب عن فلسفة هذا

التوجه، ذلك البعد الروحي، متمثلاً في تعميق تلك العلاقة الروحية التي تربط بين فئات كبيرة من شعوب إفريقيا والدين الإسلامي. وتتقوى هذه العلاقة من خلال المذهب المالكي الذي له عدة أتباع داخل القارة، فضلاً عن الصلات التاريخية بين المملكة المغربية وبعض الزوايا وشيوخها الأفارقة. لذلك سنجد جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، يولي عناية معتبرة لهذا الجانب الديني، من خلال بناء عدة مساجد في القارة، وتكوين الأئمة، ومساعدة الزوايا الدينية، والاهتمام بشيوخها وعلمائها ومريديها، وخاصة تلك العلاقة المتميزة التي تربط الأفارقة بالزاوية التيجانية في المغرب، بل وسيطور هذا الاهتمام إلى مستوى إنشاء «مؤسسة رابطة العلماء الأفارقة».

وما كان هذا الأمر ليتخذ هذا العمق، لولا ما وجدته مختلف الفئات الاجتماعية في تلك الدول الإفريقية من صدق في التعامل، وإخراج الموعود، من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، ليلمس الإنسان الإفريقي ذلك التعاون المنشود، مجسداً على أرض الواقع، من خلال مشاريع حقيقية، وذات فائدة ملموسة، تنعكس إيجابياً على الحياة اليومية للفرد، ولا سيما في الميدان الاجتماعي والديني من خلال مؤسسات مغربية.

لقد لمستُ من خلال تتبّعي ومعايشتي لخطوات جلالة الملك تجاه إفريقيا، ذلك البعد الإنساني الذي شكّل جوهر هذه الرؤية الملكية في بناء التعاون الإفريقي الحق. وربما كان من التجليات الكبرى لذلك البعد، استقبال المملكة المغربية للمهاجرين الأفارقة وتسوية أوضاعهم القانونية، وفتح المجال أمامهم للاندماج داخل المجتمع المغربي. لقد كان الكثير من الأفارقة، الذين يغامرون بحياتهم في سبيل تحسين أوضاعهم الإنسانية، يتخذون من المغرب معبراً إلى أوروبا، ليتحول فيما بعد إلى مكان استقرار لهم. وما كان الأمر ليتّم بهذه الصورة، لو لم يجدوا في هذا البلد ما يدعوهم إلى اتخاذه وطناً ثانياً لهم، من خلال ما توفّر لهم من مساعدات من السلطات المغربية، التي عملت على تطبيق تعليمات الملك محمد السادس بكل أبعادها الإنسانية العميقة.

هذا النمط من التعاون الذي جسده جلاله الملك، لم يُنظر إليه بعين الرضا من طرف الغير، وخاصة من بعض الدول الأوروبية، مما خلق للمغرب جملة من الصعوبات ؛ لكن هذا، لم يثن جلاله الملك عن المضي في تطبيق سياسته الحكيمة، وتمتين الروابط التي تجمع المغرب بعمقه الإفريقي.

*** **



السيد المنصوري بنعلي



XIII - شخصيات عرفتهم
في مساري





السيد المنصوري بنعلي

خلال مساري الذي يمتد على مدى عقود من الزمن، رافقت نماذج بشرية، تتباين طباعها وأمزجتها، ومن ثم شخصياتها. وبعض هؤلاء ممن تتاح لنا فرصة مصاحبتهم، يتسللون إلى قلوبنا وعقولنا، من خلال ما يتمسكون به من مبادئ، أو تتسم به أخلاقهم، أو ما تكشف عنه مواقفهم واقتناعاتهم. ولا شك أن بعضهم ترك بصماته على جانب من جوانب حياتي، التي تبلورت من خلال تداخل عناصر عديدة ومختلفة.

لقد تنقلتُ بين بيئة بدوية في قرية ريفية صغيرة من بلاد المغرب، إلى حاضرة في شماله بطابعها الأندلسي (تطوان)، ثم كانت الرحلة إلى ديار الغرب، والاحتكاك بنموذج من حضارتها (النموذج الفرنسي)، ثم ما سمح به الزمن من اكتساب خبرات وتجارب، بدءاً من التجربة الجموعية إلى التجربة الحزبية/السياسية، فتحمل المسؤولية في مستوياتها المتعددة، إلى أن التحقتُ بالدائرة الملكية داخل الديوان الملكي، فوجدتُ نفسي في رحاب عالم له تقاليد وضوابطه وخصوصيته. وإذا كان مساري قد سمح بوجود أسماء كثيرة في حياتي، فإن تدوين سيرتي لا يسمح بذكر كل هؤلاء، وفي نفس الآن، لا يمكن لهذه السيرة أن تغفل آخرين، لهم في ذاكرتي وشم، وفي وجداني أثر، مع اختلاف دواعي حضورهم هنا أو هناك؛ وأبسُط الحديث عنهم كالآتي:

السيد المحجوبي أحرضان:



خلال مساري السياسي، نسجتُ العديد من العلاقات، مع شخصيات مختلفة ومع بعض قادة الأحزاب السياسية. واتخذت هذه العلاقات مستويات مختلفة، اتسم بعضها بدرجة عالية من التواشج، على منوال ما ربطني بالسيد المحجوبي أحرضان.

هذه الشخصية السياسية التي تتمتع بمسار سياسي حافل، تشكل على امتداد عقود من الزمن، وعبر مرحلتين تاريخيتين: الأولى تمتد خلال عهد الحماية، والثانية تبلورت في مرحلة الاستقلال.

كيف تم تعرّفي بهذه الشخصية السياسية؟

بدأت علاقتي بالسيد المحجوبي أحرضان، في سنوات السبعين من القرن الماضي، وتم هذا التعرف عن طريق أحد أصدقائي، المرحوم الدكتور الطاهر ماركوش، وهو طبيب متخصص في علاج الأمراض الجلدية، ومقيم بمدينة الدار البيضاء. وذات يوم، نظم هذا الطبيب الصديق مأدبة عشاء للسيد المحجوبي أحرضان، واستدعاني للحضور. كانت جلسة ذلك المساء، بداية علاقتي بالسيد أحرضان، وهي العلاقة التي ستتطور مع مرور الزمن، لتصبح فيما بعد علاقة عائلية، تتبادل العائلتان من خلالها الزيارات المتعددة. ورغم أن السيد المحجوبي أحرضان مرتبط بسيدة فرنسية منذ كان ضابطاً في الجيش

الفرنسي، فإن هذه الزوجة استطاعت أن تحقق اندماجاً كبيراً داخل المجتمع المغربي. فكانت السيدة مريم -وهذا اسم حرم السيد أحرضان- صاحبة أنشطة اجتماعية وثقافية كثيرة، ولا سيما في بداية الاستقلال، واستطاعت أن تربط علاقة مع أمّ الملك الحسن الثاني، مما فتح أمامها أبواب القصر الملكي. وكان من ملامح هذا الاندماج ما قامت به من تنسيق وتنظيم للرقصة الفلكلورية المشهورة في الأطلس المعروفة بـ «تزويت» (النحلة)، وكانت المشرفة الأولى على تنظيم الرحلات لهذه الفرقة داخل المغرب وخارجه.

وإذا كان السيد المحجوبي أحرضان قد اشتغل ضابطاً في الجيش الفرنسي، فإن مرحلة استقلال المغرب، خولت له تحمل العديد من المسؤوليات الوزارية، تميزت بتنوعها وأهميتها داخل مرافق الدولة المغربية، بدءاً بتعيينه عاملاً على مدينة الرباط ونواحيها، فوزارة الدفاع الوطني، إلى وزارة الفلاحة، مروراً بوزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، ليرتقي بعد ذلك إلى منصب وزير الدولة مكلفاً بالتعاون، ليضيف إلى هذه المسؤوليات تجربته الحزبية من خلال تأسيس الحركة الشعبية، التي أصبح أمينها العام في مرحلة من المراحل، وما خاضه من صراعات في هذا الإطار.

وإلى جانب هذا، فإن الحديث عن السيد المحجوبي أحرضان، الرجل السياسي، ليس سوى وجه واحد لهذه الشخصية التي عُرفت كذلك بمساهماتها في الحركة الثقافية المغربية، باعتبار أن السيد أحرضان أحد التشكيليين المغاربة، الذين يتمتعون بموهبة ودراية في هذا الباب، جعلت من الرجل أحد الأسماء التي بصمت الفن التشكيلي المغربي في مرحلته المعاصرة. وقد تجسد حضور أحرضان في هذا المجال، من خلال العديد من المعارض التي كان يقيمها في مناسبات مختلفة، داخل المغرب وخارجه.

وإذا كان الفن التشكيلي علامة بارزة في مسار السيد أحرضان، فإنه إلى جانب ذلك كان صاحب ممارسة للكتابة الأدبية، من خلال ما دوّنه من أشعار

وما دَبَّجَه من مقالات، وربما كانت مذكراته من كتاباته الأخيرة التي ساهم بها في إرفاد المكتبة المغربية.

ولا يمكن الحديث عن الميولات الفنية والأدبية للمحجوبي أحرضان، دون الانعطاف إلى ذكر عشقه الكبير للموسيقى الأمازيغية. لقد كانت له علاقات متعددة مع الشعراء، والموسيقيين، وأهل الغناء من الأمازيغيين، وخاصة أولئك الذين ينتمون إلى منطقة الأطلس المتوسط. وحينما كنتُ أرافقه في سيارته، تكون الموسيقى الأمازيغية حاضرة باستمرار، كما في مجالسه الخاصة، وفي اللقاءات والحفلات التي يكون بيته فضاء لتنظيمها، وتراه خلال استماعه إلى الأغاني الأمازيغية، قد اعترته نشوة كبرى، وعلت ملامح الارتياح محيّا.

ولما كانت أسرة السيد أحرضان تتردد كثيراً على منزلها في «أولماس»، فإن هذا الأخير كان يطلبني لمصاحبتة، وكثيراً ما كنتُ ألبّي هذا الطلب، نظراً لطبيعة علاقة الصداقة التي أصبحت بيننا، والتي استمرت في صفائها على مدى فترة ليست بالقصيرة، إلى أن حدث سوء التفاهم، بعد تأسيس جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، حينما بدأت أنشطتها الثقافية والاجتماعية تأخذ منحها، حيث صُدمتُ بذلك الموقف المتصلب والرافض، الذي قابلني به السيد المحجوبي أحرضان.

ورغم ما حدث بيننا في هذا الصدد -مما أشرتُ إليه في سياق سابق- فإنني بقيتُ محافظاً على علاقة ودّ كبير مع هذا الرجل، بل ومع أفراد أسرته، وظلت بناته وأولاده مرتبطين بأسرتي. ويكفي أن أشير هنا، إلى مصاحبتني للسيد المحجوبي أحرضان إلى مدينة مكناس نحن الاثنين فقط، لنخطب لابنه المرحوم «سليم» تلك الفتاة التي ستصبح زوجة لهذا الابن، للدلالة على طبيعة العلاقة التي كانت تربط بين أسرتهما. لذلك، حينما حدث سوء التفاهم المشار إليه، لم يؤثر بشكل كبير في طبيعة العلاقة بين الأسرتين.

كان منزل المحجوبي أحرضان، سواء في الرباط أم في «أولماس»، مقراً تجتمع فيه نخب مختلفة، من سياسيين ومثقفين وفنانين وأعيان القبائل، وغير هؤلاء. وهو أمر أتاح لي الالتقاء بشرائح مجتمعية مختلفة، ومن مشارب سياسية متباينة.

في هذا الإطار، سأتعرف في إحدى زيارتي لمنزل المحجوبي أحرضان، في مدينة الرباط، على أحد كبار الضباط الجزائريين، هو العقيد الطاهر ازبيري «Colonel ZBIRI»، الذي شغل منصب رئيس أركان الجيش سنة 1963، وكان من القادة الذين شاركوا في الانقلاب على الرئيس أحمد بن بلة، وكانت علاقته متينة بهواري بومدين الذي أسند إليه مهمة إلقاء القبض على الرئيس المطاح به، حيث دخل على أحمد بن بلة في غرفته ليلاً، واعتقله.

وحيثما أخذ هواري بومدين بزمام الأمور، شرع في تعيين أصدقائه والمقربين منه في مناصب المسؤولية، بدون استشارة أعضاء مكتب مجلس الثورة، الأمر الذي لم يرق العقيد الطاهر ازبيري، الذي قرر القيام بانقلاب ضد بومدين، لكن محاولته باءت بالفشل، وفرّ إلى سويسرا. لكن تدخل الرئيس بومدين لدى السلطات السويسرية، دفعت هذه الأخيرة إلى مطالبة ازبيري بمغادرة أراضيها. حاول الضابط الجزائري اللجوء إلى عدة دول أوروبية، لكنه لم يوفق، وسيجد في المملكة المغربية ملاذ الأخير، والبلاد التي احتضنته بعد تطواف طويل. كان منزل المحجوبي أحرضان بالرباط مستقره، حيث أقام عنده مدة من الزمن، وفي هذا المنزل كانت لي عدة لقاءات بالكولونيل الطاهر ازبيري.

لماذا استطردت للحديث عن هذا الضابط الجزائري؟

أبغى من وراء ذلك أولاً، تسجيل حدث معين يرتبط بحرب الرمال التي دارت بين المغرب والجزائر، وثانياً لأكشف عن اليد المغربية الطيبة، الممدودة

للبلد الجار منذ القديم، سواء تعلق الأمر بأفراد، أم بأعضاء جيش التحرير
زمن المقاومة، أم بالدولة، وقد كان عودها طرياً في البدايات !

هذا الضابط الجزائري الذي تولى رئاسة أركان الجيش الجزائري، كان أول
ما قام به، إرسال فيالق هذا الجيش إلى تيندوف وحاسي بيضاء، لشنّ هجومه على
المغرب وقتل مجموعة من أفراد القوات المساعدة الموجودة بحاسي بيضاء، وكان
الهدف من هذه العملية العسكرية، توجيه ضربة قاسية لما كان قد تمّ الاتفاق
عليه بين الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، ورئيس الحكومة
الجزائرية المؤقتة السيد فرحات عباس، والمتعلق باسترجاع الأراضي المغربية
التي اقتطعها الاستعمار الفرنسي لصالح الجزائر.

ومع هذه السابقة، سيجد الطاهر ازبيري في المغرب ذلك الحزن الدافئ
الذي أحسن وفادته، حينما ضاقت به أرجاء المعمور.

وبعد أن استضافه المحجوبي أحرضان في منزله زمنا، سينتقل رئيس
أركان الجيش الجزائري إلى شقة في مدينة الرباط، بعد أن التحق به أفراد أسرته.

وأنا بصدد الحديث عن ظروف تعريفي ولقائي بالعقيد الطاهر ازبيري،
أذكرُ أنه اتصل بي في إحدى المرات، طالبا لقائي، وأنا يومئذ أشغل منصب
رئيس ديوان الدكتور محمد بنهيمّة، وزير الدولة المكلف بالتعاون والخدمة
المدنية. رحبتُ بزيارته، واستقبلته بكل ما يتطلبه الأمر من لياقة. دار بيننا
حديث متشعب، لأجده في الأخير، يطلب منّي مساعدته في البحث عن منحة
دراسية لأحد أبنائه، فوعده خيراً.

وفي سياق الحديث عن علاقتي بالسيد المحجوبي أحرضان، لا بدّ أن
أشير إلى أن الكثير من أصدقائه قد انصرفوا عنه، بعد الأحداث المأساوية التي
عرفها المغرب سنة 1972، يوم حامت حوله بعض الشكوك، نظرا للعلاقة التي
كانت تربطه بالجنرال أوفقيير. أما أنا، فقد ظلت علاقتي قائمة مع هذا الرجل.
لماذا؟ سؤالٌ قد يرد على خاطر القاريء !

احتفظتُ بعلاقتي بالسيد المحجوبي أحرضان، وهو يمر بتلك الفترة العصبية، لأنني كنتُ أعرف مدى إخلاصه لمليكه ووطنه، وتشبثه الكبير بالملكية نظاما أساسيا لهذا الوطن. ونظرا لوفائي لتلك العلاقة التي ربطتني بالسيد أحرضان، وجدتُ من يلومني على هذا الأمر، وعلى زيارتي المتعددة له في تلك الظروف الصعبة.

لقد كان المتبعون للحياة السياسية في المغرب، يعلمون أن العلاقة بين الملك الحسن الثاني والسيد المحجوبي أحرضان قد شابها ما عكّر صفوها بين الطرفين، فجلب لهذا الزعيم السياسي غضبا من ملك البلاد. فغدت العلاقة بين الملك والزعيم السياسي تعرف تأرجحاً.

وقد تعددت محاولات المحجوبي أحرضان، في سبيل إعادة العلاقة مع الملك الحسن الثاني إلى طبيعتها. من تلك المحاولات، مبادرته التي قام بها، في إطار قضيتنا الوطنية، قضية الصحراء المغربية.

فقبل الإعلان عن المسيرة الخضراء، اتصل السيد المحجوبي أحرضان بالسيد أحمد السنوسي-الذي كان من المقربين للملك الحسن الثاني والسياسي الذي تقلب في عدّة مناصب وزارية ودبلوماسية- لإبلاغ فكرة هذه المبادرة إلى ملك البلاد.

كانت مبادرة السيد أحرضان تنبني على أساس تشكيل وفد مغربي، يتكوّن من أبناء الشمال، ويضم مجموعة من الشخصيات المعروفة في المنطقة الشمالية. وكان القصد الاتصال ببعض الأحزاب السياسية الإسبانية، وبعض وسائل الإعلام، وكذا بعض أرباب الشركات الإسبانية التي لها مصالح داخل المغرب.

أبلغ السيد السنوسي الفكرة إلى الملك الحسن الثاني، الذي أبدى موافقته على القيام بهذه الخطوة.

بعد الموافقة الملكية، اتصل بي السيد أحرضان، طالبا منِّي مرافقته في هذه المهمة، وفي نفس الآن، مد يد المساعدة، من خلال الاتصال ببعض الشخصيات التي تربطني بهم علاقات مختلفة. لم أتأخر في تقديم المساعدة المطلوبة، خاصة وأن المسألة تتعلق بقضيتنا الوطنية الأولى. قمتُ باختيار بعض الشخصيات التي ستصاحبنا ضمن الوفد، واعتمدتُ في هذه الاختيارات على ما لهؤلاء من علاقات مع الإسبانيين في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، بالإضافة إلى مراعاة إتقان هؤلاء للغة الإسبانية. وتشكل الوفد في نهاية المطاف، من عناصر تمّ اختيارها من طرفي، وأخرى كان اختيارها من طرف السيد المحجوبي أحرضان. شيء آخر تجب الإشارة إليه هنا، وهو أن المبادرة التي أقدم عليها هذا الأخير، تمّت قبل أسابيع من الإعلان عن المسيرة الخضراء، دون أن يكون له أو لغيره أي علم بتنظيم المسيرة الخضراء التي هيئت في سرية بالغة.

انتقل الوفد إلى إسبانيا، وأجرينا الاتصالات المقررة مع نخب من المجتمع الإسباني في مجالات مختلفة، وقدمنا وجهة النظر المغربية فيما يخص استرجاع الأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية وتحسيسهم بأهمية هذه القضية؛ وقد لمسنا تفهماً من الجانب الإسباني لوجهة النظر المغربية.

وخلال إقامتنا في إسبانيا، اغتنمتُ تلك الفرصة وقمتُ، صحبة السيد المحجوبي أحرضان، بزيارة المارشال أمزيان في بيته الإسباني، وكان يومئذ قد أحيل على التقاعد. وقد انحصرت هذه الزيارة في هذين العضوين من الوفد، ليس غير.

هنا ... وفي ظل ما آلت إليه وضعية السيد أحرضان، ظل هذا الأخير يلتجئ إليّ للتوسط، سعياً إلى تحقيق انفراج تعود من خلاله العلاقة مع جلالة الملك إلى مستواها المعهود. ولما كنتُ أعرفه من حب أحرضان لمليكه ووطنه، سعيتُ إلى القيام بما يمكن أن يرأب الصدع، فتوسّطتُ لحلّ أي مشكل قد

يعمق الخلاف بين الطرفين، وأبلغت رسائل خاصة إلى الملك الحسن الثاني، كان السيد أحرضان يرغب في إيصالها إلى ملكه. ومرةً يرغب أحرضان في القيام بزيارتي ليحدثني في موضوع يتعلق بجلالة الملك، أخبرتُ جلالته بذلك، واقترحتُ أن يحضر هذا اللقاء الأمير مولاي علي إذا سمحت الظروف بذلك. تقدّمتُ بهذا الاقتراح، لأنني أعلمُ طبيعة العلاقة التي كانت تربط أحرضان بالأميرة للا فاطمة الزهراء (أخت الملك الحسن الثاني)، حرم الأمير مولاي علي، وكانا يحيطان السيد أحرضان بعطف كبير.

زارني أحرضان في منزلي بحضور الأمير مولاي علي، واستمعنا لما يرغب في قوله، مما يمكن تلخيصه في تأكيديه لإخلاصه لجلالة الملك، وأن إبعاده عن لقاء الحسن الثاني هو نتيجة سوء تفاهم. لكل ذلك عبّر السيد أحرضان عن رغبته في لقاء يجمعه بملكه، لتعود العلاقة إلى سابق عهدها.

كان سعيي هذا ينطلق من اقتناعاتي المؤسّسة على عدم التقاعس في إنجاز ما يخدم مصلحة وطني، وفي نفس الآن، وفاء لصداقة عميقة ربطتني بهذا الزعيم السياسي. نقلنا، أنا ومولاي علي، رغبة السيد أحرضان في لقاء الملك. فتمّ استقباله بالقصر الملكي بمراكش. بعد هذا الاستقبال، مرض السيد أحرضان، وعندما علم الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، بمرضه، أرسله إلى فرنسا للعلاج على نفقة جلالته.

حينما مرض السيد المحجوبي أحرضان في الشهور الأخيرة من حياته، دام قعوده في بيته بالرباط حوالي سنة. لم تنقطع زيارتي له في هذه الفترة. وفي إحداها، وهو على فراش المرض، حملتُ إليه عسلاً ريفياً نادراً، يُستجلب من جبال الريف، وأخذتُ معي، في نفس الآن، قرصاً (CD) سُجلت عليه الأغنية المشهورة للفنان رويشة «إيناس إيناس». فلما دخلتُ عليه، قدمتُ له العسل، وسلّمته قرص الأغنية، وقلتُ له: هذه أغنية رويشة «إيناس إيناس». أحسستُ وكأن انتعاشة تسرّبت إلى جسد الرجل، فبدت علي ملامحه علامات الانبساط، عكست حبه

لهذه الموسيقى الأمازيغية. لقد كان المحجوبي أحرضان صاحب حساسية فنية عالية، بدت تجلياتها في ممارساته الإبداعية وأشكاله التعبيرية المتنوعة. وفي آخر عيادته له، صحبتُ معي زوجتي وابني «حكيم»، وكان دائم السؤال عنهما.

كانت ابنته «مايا» هي الأكثر عناية بوالدها في هذه المرحلة من مرضه الأخير، ذلك أن زوجة السيد أحرضان، السيدة «مريم»، قد توفيت قبله.

في إحدى المرات، اتصلت بي «مايا»، بعد أن تأزمت الحالة الصحية لوالدها، وكانت ترغب في نقله إلى المستشفى العسكري بالرباط. اتصلتُ بمدير هذا المستشفى، الجنرال «حدّاء»، وأخبرته بالوضعية الصحية للسيد أحرضان، والتي تتطلب تدخلا طبيا مستعجلا. تمّ نقل السيد أحرضان إلى المستشفى العسكري بواسطة سيارة إسعاف أرسلت إليه. وهناك أحيط بالعناية اللازمة إلى أن تحسنت حالته ليعود إلى منزله. غير أن حالته ما لبثت أن ساءت مرة أخرى، في الفترة التي كانت البلاد تعيش ظروف جائحة «كورونا» التي اجتاحت العالم. حاولت أسرته إيجاد مكان له في مصحات الرباط، فتعذر عليهم ذلك، نظرا لامتلاء المصحات وانشغالها بمجالات «كورونا». اتصلت بي ابنته الكبرى «مايا»، تطلبُ منّي نقله إلى المستشفى العسكري. ونظرا لظروف «الوباء»، نصحتني مدير المستشفى العسكري بنقل السيد أحرضان إلى إحدى المصحات بالرباط.

اتصلتُ في البداية ب «مصحة السويدي»، فوجدتها مملوءة، وبعد البحث استطعتُ الحصول على غرفة في «مصحة حسان»، فأدخل السيد أحرضان، ليظل في هذه المصحة مدة تقارب أسبوعين، غير أن حالته الصحية لم تتحسن. وتوفي رحمه الله يوم 15 نونبر 2020، لينقل جثمانه إلى «أولماس»، حيث دفن في منزله هناك، إلى جانب زوجته.

كنتُ من الأوائل الذين علموا نبأ وفاة المحجوبي أحرضان، قمتُ على الفور بإخبار جلالته الملك محمد السادس حفظه الله، وحين أبلغته النبأ، طلب منّي رعاه الله، رقم هاتف ابن الراحل السيد أوزّين، فزودته به، ثم انتقلتُ

إلى «أولماس» لحضور مراسيم الجنازة بصفتي الشخصية، رغم الإجراءات الاحتياطية التي كانت تُفرض بسبب وباء كورونا.

وقد أخبرني السيد أوزّين فيما بعد، أن جلاله الملك محمد السادس قد اتصل به، وتحدث معه - كما أكد لي ذلك - مدّة من الزمن ليست بالقصيرة.

ولا أريد أن ينتهي ما دوّنته حول هذه الشخصية السياسية، دون أن أرسم صورة لطبيعة العلاقة التي كانت تربط المحجوبي أحرسان بالحركة الشعبية، والتي كانت علاقة تتميز بخصوصية لافتة.

يمكنني القول، وبتعبير قريب من الحس الشعبي المغربي، إن «الحركة الشعبية كانت في دم الرجل». فهو من أسّس حزب الحركة الشعبية، مع ثلة من أصدقائه هم: عبد الكريم الخطيب، لحسن اليوسي، حدّو أبرقاش، وعبد الله اللّكوتي.

ومما هو معروف في الحياة السياسية المغربية، أن تأسيس حزب الحركة الشعبية، كسر ديكتاتورية الحزب الوحيد، التي كان حزب الاستقلال يرغب في تكريسها. وفي سبيل تحقيق تلك التعددية، سيكون السجن مصير أحرسان وعبد الكريم الخطيب، ومناضلين آخرين، والمنفى للحسن اليوسي وحدّو أبرقاش في إسبانيا. وقد ظل حزب الحركة الشعبية مرتبطاً باسم المحجوبي أحرسان، على مدى عقود من الزمن. كان إمساكه بدواليب الحزب، ومختلف تنظيماته، أمراً ميسراً للرجل، بل يمكنني القول - وأنا الذي خبرتُ أحرسان عن كثب - بأن هيكله تنظيم حزب الحركة الشعبية كان موشوماً في ذاكرته، بل إن امتدادات الحزب في مختلف مناطق المغرب كانت خيوطها ملّك يمينه. كيف؟

كان للسيد أحرسان شبكة من العلاقات الخاصة، بشخصيات معينة في كل إقليم. وحينما يتعلق أمر ما بذلك الإقليم، فهناك شخص واحد، هو المخاطب ! وسأسوق أمثلة لما أقول. ففي مراكش، كان المخاطب الرئيس في

ذلك الإقليم، هو السيد الهاشمي العيادي، ابن القايد العيادي، وأما في بني ملال، فالمخاطب هو أمبارش الزمراگ، رئيس الغرفة الفلاحية ببني ملال، وحينما يتجه أحرضان إلى منطقة الرحامنة، في شأن من الشؤون، فمخاطبه هو الحاج كبور، أما في إقليم خنيفرة، فإن القايدي أمهروق وأسرته، هما مركز اللقاء وركن التشاور، حتى إذا اتجهنا إلى جهة الراشيدية، وجدنا البرلماني السيد أحساين ولد عددي أوبيهي، قطب التحاور مع زعيم الحركة الشعبية، ومعه أيضا السيد عسو الرذكي، رئيس الفيدرالية للغرف الفلاحية بالمغرب. أما في المنطقة الشرقية، فالمخاطب الرئيس هو السيد عبد اللطيف اللگوتي، في الوقت الذي يشكّل حدو أبرقاش في منطقة الريف المركزية الأساس لأحرضان، والذي كان يشغل في نفس الآن، منصب رئيس المجلس الوطني للحركة الشعبية، حتى إذا ملنا إلى قبيلة بني وراين، فلا صوت يعلو على أوبنحدو أبرشان.

أشرتُ إلى بعض هذه الأسماء لأنني تعرفتُ عليها جميعا، وزرئهم في مناطقهم، واستضافوني في منازلهم، واطلعتُ على طبيعة العلاقة التي كانت تجمعهم بالسيد المحجوبي أحرضان، باعتباره الأمين العام لحزب الحركة الشعبية. هؤلاء وآخرون، كانوا يعتبرون الحركة الشعبية هي أحرضان، وأحرضان هو الحركة الشعبية ! ومن ثم، لا اتصال في الشؤون الحزبية إلا بالمحجوبي أحرضان! هذه الدائرة كانت بمثابة «مليكية» خاصة بالزعيم ! بل يمكن القول إنها الدائرة التي تشكّل المكتب السياسي الفعلي !

وما دمتُ أتحدثُ عن هذه الخصوصية في علاقات الأمين العام لحزب الحركة الشعبية بهذه الشبكة، فلا بأس من سرد طريفة تعكس طبيعة تلك الخصوصية.

أقدمُ هنا صورة لما حدث لأحرضان مع الحاج كبور، مُمثله في الرحامنة، وهو من التجار والفلاحين الكبار في تلك المنطقة. ذات ليلة، والسيد أحرضان يغط في نوم عميق، رنّ الهاتف عدة مرات. الساعة تشير إلى نحو الواحدة

صباحا، ومن العادات الراسخة في حياة السيد أحرضان أن ينام باكرا. عندما أخذ السماعه، جاء صوت السيد كَبُور عبر الهاتف، انزعج أحرضان وقال مخاطبا صاحبه: الساعة الآن تشير إلى الواحدة صباحا ! يك لاباس الحاج كَبُور؟ (ما الأمر؟) لقد كنتُ مستغرقا في نومي! فماذا كان جواب الحاج كَبُور؟ ألقى في أذن أحرضان هذه العبارة: كيف تنام ورجال الدرك قد حجزوا إحدى شاحناتي؟!!

واضح ما الذي كان مطلوبا من وراء هذه المكالمة...! والصورة تقدم ملمحاً عن طبيعة العلاقة بين الرجلين !

ولمّا كان أبرّشان ممثلاً لأحرضان في قبيلة بني وراين، فإنّي أودُّ في هذا السياق، أن أشير إلى حدث طريف مرتبط بهذا الاسم الذي كان له رنين في منطقة الريف. فأبرّشان من رجالات قبيلة بني وراين الذين طلّعوا إلى الجبل، خلال أحداث سنة 1958. كان القبض عليه أمراً مستعصيا. تمت مخاطبته بوسطاء للنزول، أحد هؤلاء كان مبعوثا من طرف المحجوبي أحرضان، لكن محاولة هذا الأخير باءت بالفشل. من ثمّ كان تدخل ملك البلاد محمد الخامس، طيب الله ثراه، ضروريا.

كان مبعوث الملك الراحل، هو الجنرال إدريس بن عمر (لم يكن برتبة جنرال في تلك الفترة)، الذي حمل إلى أبرّشان ضمانات، أو ما يمكن أن نسميه بمصطلحنا المغربي «الأمان»، وطمأنه على سلامته، وأنه لن يلحقه سوء بعد نزوله من الجبل، وأن مصلحة الوطن تتطلب الإقدام على هذه الخطوة. ولما كان السيد أبرّشان صاحب خبرة في مجال المقاومة، وصاحب تكوين يعتبر الاحتراز والحيلة أمرين ضروريين في مثل هذه الوقائع، فقد طلب من رجاله الاحتفاظ بالجنرال إدريس بن عمر في حمايتهم، إلى أن يعود من مقابلته مع الملك محمد الخامس ! وهكذا أصبح الجنرال رهينة بين أيدي رجال أبرّشان، إلى حين عودة قائدهم سالما ! كانت خطوة ملك البلاد في هذا الباب مثمرة، فبعد اللقاء الذي تمّ مع الملك الراحل محمد الخامس، طيب الله ثراه، تمت الاستجابة من طرف

السيد أبرشان، وكان النزول من الجبل بمعية رجاله، وهي خطوة ترمز إلى الروح التي تضع مصلحة الوطن فوق أي اعتبار، وستأكد بانضمام ابنين لأبرشان إلى المدرسة العسكرية، ليصبحا، بعد تدرجهما في أسلاك القوات المسلحة الملكية، من الضباط السامين في الجيش الملكي.

وأنا أتحدث عن السيد المحجوبي أحرضان، الذي بصم الحياة السياسية المغربية، على مدى عقود من الزمن، أودّ أن أشير إلى ما كان يقع بيننا أحياناً من اختلاف الرؤى إلى بعض القضايا، مما أدّى في النهاية إلى سوء تفاهم دفعني إلى تقديم استقالتي من حزب الحركة الشعبية، كما أشرتُ إلى ذلك قبلاً. لكن الذي أرغبُ في استدراكه هنا، هو أن علاقتي الشخصية والأسرية مع السيد أحرضان، لم تنقطع وخاصة مع بناته «مايا» و «كنزة» و «فانو»؛ بل إن أغلبية شخصيات حزب الحركة الشعبية التي ذكرتها في هذا السياق، ظلت تحتفظ بعلاقة ودّ معي، وبقي التواصل بيننا مستمراً، وكلما دعت الضرورة لتقديم عون، وجدوا يدي ممدودة إليهم، وألثفتُ بشكل خاص، إلى العلاقة التي كانت تربطني بالسيد حدّو أبرقاش، رئيس المجلس الوطني للحركة الشعبية، وتمتد جذورها إلى صداقة جمعت بينه وبين والدي، تغمدهما الله بوسع رحمته، في مسقط الرأس بالريف، وهي العلاقة التي استمرت في مدينة الرباط، حيث كان على اتصال دائم بي؛ وحينما أقعده المرض، لم تنقطع عيادتي له، وكنتُ أزوره باستمرار في منزله إلى أن وافاه الأجل، رحمه الله.

لقد كان لمصاحبة السيد المحجوبي أحرضان، بخبرته الطويلة وتنوع مساراتها، أثر واضح في مساري، وتشكيل تجربتي السياسية.

الدكتور محمد بنهيمه:



ومن رجالات المغرب الذين طبعوا الحياة السياسية المغربية، خلال سنوات الستين والسبعين من القرن الماضي، الدكتور محمد بنهيمه.

لقد تقلب هذا الطبيب السياسي في مناصب وزارية عديدة، وتقلد منصب رئيس الحكومة ما بين 1967 و 1969. لذا، فإن لقائي بهذه الشخصية السياسية قد تمّ يوم تسلّم مهام وزارة التعاون والخدمة المدنية سنة 1973.

وحيثما التحقْتُ بهذه الوزارة، كلفني الدكتور محمد بنهيمه برئاسة الديوان، بالإضافة إلى ملف الخدمة المدنية. واستمر عملي معه بهذه الوزارة إلى أن عُيّن وزيراً للداخلية.

بدأت علاقتي بالدكتور محمد بنهيمه بشكل عادي، علاقة وظيفة بوظيفة. لكن هذه العلاقة ستتطور، لتتحول إلى صداقة بيننا. وربما كان من الأسباب التي ساهمت في تطوير علاقتنا، ذلك الاتصال المباشر الذي كان يميز تعاملنا. لم يكن بيني وبين السيد الوزير في وزارة التعاون والخدمة المدنية، أية وساطة. كنتُ أنهي عملي في الساعة السادسة مساءً (حسب النظام الإداري القديم)، لألتحق مباشرة بمكتب السيد الوزير، وأقدمُ له تقريراً كاملاً ومفصلاً عن عمل ذلك اليوم.

وبعد استئناسنا بهذا العمل، لم يعد الأمر يتوقف عند تقديمي لحصيلة اليوم ومستجداته، بل غدا الحديث يتشعب بنا إلى قضايا ومواضيع مختلفة، بعيدة عن شؤون الوزارة. وقد تميز عملي مع الدكتور محمد بنهيمه في هذه

المرحلة -وأنا في بدايات مساري المهني- بتلك العلاقة الطيبة التي ربطتني بهذا الوزير، والتي قامت على الاحترام المتبادل، والانضباط في العمل ؛ وهو سبيلٌ جَنَّبني الوقوع فيما يمكن أن يخلق لي عراقيل في عملي، وهذا المنحى في سلوكي الوظيفي سيصادف ما يرتضيه الدكتور محمد بنهيمه، ويحقق ذلك التجاوب المطلوب بيننا.

لقد عرفتُ في الدكتور محمد بنهيمه ذلك الرجل المسؤول المنضبط في عمله، والصريح في معاملاته. لم يكن هذا الوزير رجل التسويات، إذا كان بإمكانه أن ينجز شيئاً، فإنه يلتزم بذلك ويعمل على تحقيقه، وإذا لم يكن ذلك بالإمكان، أو بعيداً عن إمكانياته وقدراته، صرَّح بذلك وأعلنه لمخاطبه بكل الوضوح والجرأة المطلوبتين. ولقد أكبرتُ فيه هذا الأمر، بل إنَّني اتخذته لنفسني مبدأً وسبيلاً في مسار حياتي.

لقد كان الدكتور محمد بنهيمه صاحب شخصية قوية، وهو ما كان يسبب له بين الحين والآخر بعض الاحتكاكات غير المرغوب فيها مع الغير، ومنها ما كان يحصل من سوء تفاهم أحيانا مع السيد إدريس البصري، يوم كان هذا الأخير يشغل منصب كاتب الدولة في الداخلية، مع إشرافه على جهاز المخابرات، الذي يوظفه لتحقيق بعض أهدافه، وأحيانا دون علم الدكتور محمد بنهيمه، وهو يومئذ وزير الداخلية داخل الحكومة.

وحيثما أتحدثُ عن الدكتور محمد بنهيمه، باعتباره إحدى الشخصيات السياسية المغربية التي بصمت على مساري، فإنَّني لن أنسى ذلك الدور الكبير الذي لعبه في حياتي السياسية، وما وجدتُ فيه من دعم خلال منعظي من الوظيفة الإدارية الصرف إلى الحقل الحزبي، فغمار الانتخابات وما تمور به هذه المجالات من أحداث ووقائع. وفي هذا الصدد، أذكرُ أن الدكتور محمد بنهيمه كان وراء اقتحامي عالم الانتخابات والترشح لمختلف المناصب، بدءاً من المهام المحلية إلى البرلمانية، فالمسؤولية الوزارية. صحيح أن السيد المحجوبي أحرضان قد وضع اسمي في لائحة الأشخاص المقترحين للاستوزار باسم الحركة الشعبية،

في الفترة التي كان فيها الدكتور محمد بنهيمه يشغل منصب وزير الداخلية، لكن هذه اللائحة ضمت حوالي خمسة عشر اسماً، سيُختار منها البعض ليس غير !

أضف إلى ذلك حيثية أخرى، وهي أنني - في لائحة أحرضان - ذلك الريفي الملتحق بالحركة الشعبية، وهذا قد لا يشفع لي بأن أحظى بمنصب وزاري، ومن ثم كانت تزكية الدكتور محمد بنهيمه في هذا الباب أهم بكثير من ترشيحي من طرف السيد المحجوبي أحرضان !

ولم تكن تلك التزكية آتية من فراغ، بل من الصورة التي رسخت في ذهن السيد بنهيمه، حول طريقة إدارة ما يضعه بين يدي من ملفات، منذ اشتغالي إلى جانبه في وزارة التعاون والخدمة المدنية، خاصة بعد أن أسند إليّ عدة مهام خارج الوطن، منها تمثيل المغرب، في لقاء دولي في إطار «كتائب السلام»، الذي انعقد في مدينة فيينا بدولة النمسا، وهو اللقاء الذي شاركت فيه دول عديدة، إلى جانب إحدى المهام التي أسندها إليّ، والتي تتعلق بالعلاقات المغربية الإسبانية.

هكذا كانت مصاحبتي لهذه الشخصية السياسية، التي تكبرني بعقدين من الزمن، مصاحبة لرجل دولة يمتلك رصيذا غنيا من الحنكة السياسية، والخبرة الإدارية، لا شك أيّ أفدت منه الكثير.

وقد ظلت علاقتي بالدكتور محمد بنهيمه متصلّة، حتى بعد ابتعاده عن المهام الوزارية، حيث كان منصب وزير الداخلية آخر ما شغله في مساره السياسي. ولم تنقطع زياراتي له، وهو في مرحلة التقاعد، كانت لقاءاتنا تتم في بيته كل يوم أحد، من الساعة الحادية عشرة إلى الواحدة بعد الزوال، حينما أكون موجودا في مدينة الرباط، وإذا فرضت ظروف العمل أن أكون خارجها، فإن الاتصال الهاتفني يكون حتما، في نفس اليوم، وفي نفس التوقيت.

بقيت حريصا على هذا التقليد في علاقتي بالدكتور محمد بنهيمه، إلى أن

انتقل إلى عفو الله، يوم 23 نونبر 1992، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

السيد أحمد عصمان:



من الشخصيات التي كانت مقربة من القصر الملكي، السيد أحمد عصمان. وقد أُتيحت لي فرصة التعرف عليه سنة 1977، عندما عُيِّنْتُ وزيراً للسياحة، في الحكومة التي ترأسها يومئذ. كنتُ أعلم القرب الكبير للسيد عصمان من دائرة الملك، فإلى جانب دراسته مع وليّ العهد الأمير مولاي الحسن (الملك الحسن الثاني) في المدرسة المولوية، تعضدت مكانته بمصاهرته للعائلة الملكية، بزواجه من الأميرة لالا نزهة أخت الملك الحسن الثاني.

كانت علاقتي بالسيد أحمد عصمان علاقة وزير أول بوزير في الحكومة. لم تكن علاقة متينة في البدايات، حتى أن اتصالاتي به، باعتباري وزيراً كانت تتم عن طريق السيد عبد السلام زينند، كاتب الدولة في الشؤون العامة لدى الوزير الأول، كان السيد زينند رجلاً طيباً، ووجدتُ فيه كل المساعدات، حينما أرغبتُ في الحصول على ما يتعلق بشؤون تسيير الوزارة التي رأسها. وستتوطد علاقتي بالسيد عصمان أكثر عندما انتهت مهمته كوزير أول، وأسس حزب التجمع الوطني للأحرار، ثم عندما أصبح رئيساً لمجلس النواب، بل تطورت في اتجاه إيجابي وبشكل كبير، حينما التحقت بالديوان الملكي، وتعددت لقاءاتنا في مناسبات مختلفة.

ومن العوامل المساعدة على تطوير علاقتنا، تلك الأسفار التي كنا نصاب فيها الملك الحسن الثاني. كان السيد أحمد عصمان من الذين يرافقون جلالتهم في معظم أسفاره، داخل المغرب وخارجه، وخاصة في الفترة التي انتهت مهمته رئيساً لمجلس النواب.

وفي هذه الأسفار، كان السيد أحمد عصمان يجد في مصاحبتي تلك الرفقة التي يطمئن إليها، رغم ما عُرف عنه من نزعة تميل إلى التعالي والانعزال، حيث كان لديه شعور بأنه صاحب حُطوة تجعله يتجاوز مستشاري الملك، ليكون الاتصال مباشراً مع جلالتهم.

وهذا الأمر يوقعه أحياناً في مزلق، قد لا تكون عواقبها حميدة. وهذا النمط من السلوك كانت له في مرحلة معينة تأثيرات على علاقتنا نحن الاثنين، بدت ملامحه بشكل واضح في موقفين: الأول، يوم كنتُ وزيراً للسياحة، وتصديتُ لصفقة حامت حولها شبهة، كما سبق وأن أشرتُ إلى ذلك؛ والثاني، يوم اعترض السيد أحمد عصمان على بقائي وزيراً باسم حزبه. لكن هذه العثرات لم تشكل حاجزاً يمنع التواصل بيننا.

لقد كان لي مع السيد أحمد عصمان مناقشات وتبادل الآراء في العديد من القضايا، سواء كانت مرتبطة بما هو سياسي أم غير ذلك. بل إن السيد أحمد عصمان، وعندما اطمئن إليّ -وهو صاحب الطبيعة الميالة إلى الانزواء- بدأ يَأتمني على شؤونه الخاصة والحميمية؛ فكان يفضي إليّ ببعضها، مما لم يكن طرحه ممكناً مع الآخرين، فيجد مني الأذن الصاغية والصديق النَّصوح، أسعى بنية صادقة إلى تقديم ما يمكن أن يسهم في صناعة لحظة الانفراج، وكان ذلك نابعا من مبدئي القائم على الابتعاد عن إقامة صداقة زائفة.

ومن خلال العلاقة التي جمعتني بالسيد أحمد عصمان، والتي سمحت لي بمجالسته في مناسبات مختلفة، استطعتُ أن أتعرف عن كثب، على بعض ما تتميز به هذه الشخصية السياسية التي تقلبت في مناصب سامية، ساعده في توليها ما كان يتمتع به هذا الرجل من كفاءة وذكاء.

وأودُّ في هذا الباب أن أشير إلى شيء، قد لا تتاح معرفته إلا للمقربين من السيد أحمد عصمان، أو الذين أتاحت لهم فرصة مصاحبته في مجالس خاصة. أريد أن أدوّن شهادتي حول مهارة أحمد عصمان وبراعته في لعبة «البريدج». وهي لعبة الورق التي تصنّف ضمن الألعاب التي تتطلب قدرة ذهنية عالية، وامتلاك مهارات حسابية وإحصائية، يصاحبها تفكير منطقي يساعد في بناء الخطط المؤسّسة لممارسة اللعب.

ومن المعروف بين المقربين من السيد أحمد عصمان أنه، في هذا الباب، يعتبر من اللاعبين المهرة، وصاحب البراعة الكبيرة، ليس على المستوى الوطني فحسب، بل العالمي كذلك. من بين اللاعبين الدوليين للبريدج الذين نافسوا أحمد عصمان، الممثل العالمي عمر الشريف، وكان هذا الأخير من أمهر اللاعبين. وحتى عندما نكون في صحبة الملك الحسن الثاني في زيارته خارج الوطن، كان أول ما يسأل عنه السيد أحمد عصمان، مكان نادي البريدج، ولا سيما خلال زيارتنا للولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان يشغل وقت فراغه في هذه الأندية.

وقد أدّى به هذا التفوق إلى اختراع لعبة جديدة تمزج بين لعبة الورق المعروفة ب «التوتي» ولعبة «البريدج»، وأشيرُ إلى أنني كنتُ مشاركا للسيد عصمان في وضع قواعدها. وهذه اللعبة المخترعة نمارسها معه نحن أصدقاء السيد أحمد عصمان، ضمن مجموعة تضمُّني والجنرال عبد الحق القادري، وعبد اللطيف الجواهري، وأخي العزيز الجنرال ميمون، وعبد الرحمان بوفتاس. ولصعوبة قواعدها ظلّت هذه اللعبة محصورة في هذه المجموعة ولا يعرفها أحد خارجها، سواء داخل المغرب أم خارجه. وبعد وفاة الجنرال عبد الحق القادري، وتعب أحمد عصمان، اقتصرت جلسات ممارسة هذه اللعبة على الأربعة الآخرين، يلتقون كلما سنحت الفرصة بذلك، في منزل أحد من هؤلاء الأفراد.

أمرٌ آخر أرغبُ في تدوينه، وأنا أتحدّث عن جانب من علاقتي مع السيد أحمد عصمان، قد يكون كاشفا عن بعض الميولات السياسية لرجل كان له

ظهر في الحياة السياسية المغربية، على مدى عقود من الزمن.

ذات مرة، نُودي عليّ لألتحق فوراً بالقصر الملكي في الرباط، حينما وصلتُ ووجدتُ الملك الحسن الثاني يستعد للذهاب إلى ملعب الغولف بدار السلام (الرباط). أمرني جلالته بالركوب معه في السيارة، ومصاحبته إلى ملعب الغولف.

في حديثنا، ونحن في الطريق، سألني جلالة الملك: ماذا جرى لأحمد عصمان؟ لقد جاء طرح هذا السؤال بعد أن علم الملك الحسن الثاني أن المعارضة، بزعامة حزب الاتحاد الاشتراكي، تعتزم تقديم ملتمس رقابة ضد الحكومة التي يترأسها السيد عز الدين العراقي، الذي فقد السند الحزبي (حزب الاستقلال)، ولا يتمتع، في نفس الآن، بأية مساندة شعبية. في هذا السياق، سنجد السيد أحمد عصمان يميل إلى مساندة المعارضة التي تفتقد للأصوات في تقديم هذا الملمس. لذا جاء سؤال جلالة الملك بهذه الصيغة: ماذا جرى لأحمد عصمان!؟

لقد كان اتصال أحمد عصمان بالمعارضة شيئاً ملحوظاً، ويتم هذا الاتصال وهو يشغل منصب رئيس مجلس النواب ورئيس الحزب التجمعي، وكان أحد مساعديه، وهو محمد بن الطالب، يده اليمنى في ترتيب الكثير من الأمور، من بينها ما يتم من اتصالات مع المعارضة.

وأنا إلى جانب جلالة الملك في سيارته متجهين إلى غولف دار السلام، سألني جلالته ثانية: لماذا هذا الميل من عصمان نحو صفّ المعارضة؟

فجاء جوابي: جلالة الملك، السيد أحمد عصمان ليس ضدّ مَلِكنا، إنه يتصل بالمعارضة في إطار ما يخدم مصلحة جلالة الملك.

حينما كنتُ أسأل السيد أحمد عصمان: لماذا هذه المعاملة التفضيلية لأطراف المعارضة في البرلمان؟ وأخاطبُه قائلاً: إن هذا الأمر -نظراً لمكانتك الاعتبارية- قد يجلب لك عدم الرضا من أطراف متعددة، وقد لا يروق هذا الأمر لجلالة الملك!؟

كان جوابه كالآتي: إنّ إدريس البصري نفسه، له نفس المعاملة مع المعارضة!

وردت هذه الإشارة منّي في حديثي مع جلالة الملك، فردّ قائلاً: «البصري يقوم بأشغاله! ثم إنه حين يريد الاتصال بالمعارضة يُخبرني بذلك، وبما يدور في ذلك اللقاء». لخصتُ موقفي من خلال هذا الحديث الذي دار بيني وبين جلالة الملك - وقد اقتربنا من الوصول إلى گولف دار السلام- في قولي: جلالة الملك... إن السيد أحمد عصمان، مخلص لجلالتكم وقد أخطأ التصرف بدون قصد.

حرصتُ ألاّ أجدش صورة السيد أحمد عصمان في سياق حديثي هذا مع جلالة الملك، رغم أن الرجل سبق له أن وضع في طريقي العديد من العراقيل، ووقف ضدي يوم كنتُ وزيراً للنقل، ساعياً إلى تحقيق مشاريع تسهم في تنمية منطقة الريف، فوجدته أمامي بالمرصاد، يوم ناضلتُ من أجل تحقيق مشروع بناء مطار الناظور (العروي حالياً)، وخط السكة الحديدية بين تاوريرت والناظور، كان يفضل مدينته وجدة على إقليم الناظور.

أمام هذا التقارب مع المعارضة الذي أبداه السيد أحمد عصمان، ما هو موقف الدولة من هذا التقارب؟ وما هي الصورة التي كان عليها موقف البرلمانيين التجمعيين؟

كانت الدولة تريد أن تعرف، هل أحزاب الأغلبية في البرلمان ما زالت متحدة وتؤيد الحكومة أو تمّ التفريق بين صفوفها وانحاز البعض إلى المعارضة؟ فملتمس الرقابة هذا كان من بين الأسباب التي ساعدت الدولة في أن تعرف من بقي في الأغلبية، ومن هو في المعارضة.

عندما انحاز أحمد عصمان إلى صفّ المعارضة، مسانداً تقديم ملتمس الرقابة، كان البرلمانيون التجمعيون يعتقدون أن ما أقدم عليه رئيسهم، هي خطوة في مصلحة البلاد؛ لكن حينما تجلّت تداعيات هذا الموقف، وتبيّن لهؤلاء البرلمانيين الرشد من الغي، استفاقوا من غفلتهم، وانتبهوا إلى ما كان

يُحِيكه مدير ديوان رئيس البرلمان، محمد بن الطالب ! لقد كان هذا الرجل حاذقا في نسج المناورات !

كانت اتصالات ابن الطالب مع المعارضة في البرلمان متعددة، وكان تنسيقه معها في تسيير شؤون البرلمان كبيراً، ولعب أدواراً أساسية في التهييء لملتصم الرقابة لإسقاط حكومة عز الدين العراقي !

كان حلمه أن يصبح أحمد عصمان الوزير الأول في الحكومة القادمة، ولا شك أنه كان يُمَيِّ النفس بأن يحظى بمنصب وزاري داخل حكومة تدخلها المعارضة، ويترأسها السيد أحمد عصمان؟! ومن ضمن لابن الطالب أن أحمد عصمان سيكون وزيراً أول؟؟ ومن السذاجة أن يغيب عن ابن الطالب ما يحوله الدستور المغربي من سلطات لجلالة الملك، ومنها تعيين الوزير الأول !!

لقد كانت خطة ابن الطالب بليدة، وسيحصد منها خيبات عديدة ! بل لم تنحصر تلك الخيبات في شخصه، بل مسّت تداعياتها أطرافاً أخرى، وكان حزب التجمع الوطني للأحرار الضحية الأولى لما خططه ابن الطالب. فحينما انتبه البرلمانيون التجمعيون إلى دسائس هذا الأخير، عبّروا عن استيائهم مما حصل، فصوتوا جميعاً إلى جانب بقية أحزاب الأغلبية ضد ملتصم الرقابة.

كانت عواقب مناورات هذا الرجل وخيمة في مستويات متعددة، بدت أولاً في التصدعات التي مسّت حزب التجمع الوطني للأحرار، بعد الخلافات التي ظهرت بين أعضائه، وانتهت بالانشقاقات المعروفة، التي أخرجت أحزاباً أخرى ولدت من رحم التجمع، ثم تبدّت ثانية في ذلك التهميش الذي لحق السيد أحمد عصمان بعد تورطه في هذه الواقعة، أما ابن الطالب، فسيكون من بين الذين أطاحت بهم حملة التطهير التي أشرفت عليها وزارة الداخلية، وكان مصيره السجن.

والحق أن خطوة السيد أحمد عصمان في مساندة المعارضة داخل البرلمان لتقديم ملتصم الرقابة، لم تكن مسألة مدروسة بالحصافة المطلوبة.

غريبٌ أن يغيب عن السيد عصمان أنّ من يكون مع المخزن لا يجب أن «يلعب»!! فالمخزن إمّا أن تكون معه أو ضده، ليس هناك بَيْنَ بَيْنٍ، فهو -أي المخزن- بمختلف أجهزته له القدرة للرفع من قدر شخص أو الحطّ من قيمته (إمّا يُطْلَعُو أو يُهَبُّطُو).

الأستاذ المعطي بوعبيد:



خلال مساري الوزاري، اشتغلتُ مع عدة شخصيات سياسية، أُسندت إليها الوزارة الأولى. أذكر من هذه الشخصيات: أحمد عصمان، المعطي بوعبيد، وكريم العمراني. وأخلص إلى الحديث عن الأستاذ المعطي بوعبيد باعتباره من الشخصيات السياسية الذي أُسندت إليه الوزارة الأولى مرتين، شغلتُ في الأولى منصب وزير الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري، وأُسندت إليّ في الحكومة الثانية وزارة النقل.

خلال عملي الحكومي إلى جانب هذا الرجل، وجدته يُحْصِنِي بعطف مائز، ولمستُ فيه مرونة عالية في تدبير الأمور، وحنكة في إدارة الاختلاف، وفي تعامله معي، قدّم لي كل ما يمكن أن يُيسّر لي أمر تسيير شؤوني الوزارية.

وإلى جانب كل هذا، كان الأستاذ المعطي بوعبيد، الوزير الأول، من الشخصيات السياسية التي تكنّ عطفًا خاصًا لمنطقة الشمال. وهذا العنصر

من العوامل التي قرّبت المسافة بيننا، وساهمت في خلق صداقة طيبة وثقة متبادلة، لدرجة أنه كان يجعلني أحد مرافقيه، كوزير في الحكومة، في العديد من الزيارات الرسمية خارج أرض الوطن. ويوم نظمت جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، التي رأسها، مؤتمرها الأول بمسرح محمد الخامس في الرباط، كان الأستاذ المعطي بوعبيد، باعتباره وزيراً أول، حاضراً في الجلسة الافتتاحية. وكذلك كان الأمر، يوم احتفلت جمعيتنا بتخليد الذكرى الأولى لمعركة أنوال، حيث انتقل الأستاذ المعطي بوعبيد، من الرباط إلى مكان إقامة الذكرى ب «العروي»، وتميز حضوره بإلقاء خطاب تاريخي في الافتتاح، أشاد فيه بتخليد هذه المناسبة التاريخية الكبيرة، وبرمزية معركة أنوال في تاريخنا الحديث، وببطولة المجاهد عبد الكريم الخطابي. لم يكن معهوداً في تلك الفترة التاريخية من أواخر سنوات السبعينات من القرن الماضي، أن يتحدث وزير أول بالروح التي تخلّلت خطاب الأستاذ المعطي بوعبيد. كان بحق خطاباً لافتاً للانتباه؛ ومن وجهة نظري، لم يكن الأمر غريباً من وزير آتٍ من ضفة اليسار!

وكان لهذا الخطاب ما بعده! كأنه حمل رسالة، لمستُ هذا الأمر في الأصدقاء التي نقلتها إليّ، من المنطقة الشمالية، بعض الأطر والأعيان، والعائلات الريفية، تجلّي ذلك في تغيير تعامل مختلف السلطات العمومية مع السكان، كان التعامل السابق متأثراً بوقائع وأحداث سنة 1958؛ بعد هذه المناسبة اتخذ سلوك الإدارة منحي أفضل. بل كانت الرسالة التي مرت طيّ ذلك الخطاب منعطفاً فتح الأبواب أمام الأطر الريفية كذلك. وقد قام الأستاذ المعطي بوعبيد، بصفته وزيراً أول، بتدشين مقرّ فرع جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» بالدار البيضاء، وهذا المقر ما زال موجوداً، منذ تدشينه في بداية سنوات الثمانين من القرن الماضي.

وحينما بدأ الأستاذ المعطي بوعبيد في التهييء لتأسيس حزب الاتحاد الدستوري، اتصل بي مستشار جلالة الملك السيد أحمد رضا أكديرة، ليطلب منّي تقديم المساعدة للأستاذ بوعبيد، الذي سيصبح فيما بعد رئيساً لهذا الحزب الجديد، الذي ظهر إلى الوجود سنة 1984. ما هي المساعدة المطلوب منّي تقديمها

إلى الأستاذ المعطي بوعبيد في هذه المرحلة؟ كان الأمر يتعلق بدعم الحزب الجديد بالأطر والمنخرطين من المنطقة الشمالية. طُلب مني هذا، لأن السيد مستشار الملك كان على علم بطبيعة علاقتي بتلك المنطقة، وتفرّع صداقتي فيها، باعتباري أحد أبنائها، ومسقط رأسي في ريفها. لم أتردد في تقديم تلك المساعدة، نظراً لطبيعة العلاقة التي جمعتني بالأستاذ المعطي بوعبيد، وعملي إلى جانبه، وهو وزير أول، وما وجدته في الرجل من دعم ومساعدة وأنا وزير للوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري، ثم وزير للنقل في حكومته الثانية.

لقد كان الأستاذ المعطي بوعبيد يستحق مني تقديم هذه المساعدة، وما كان عليّ أن أتأخر عن رجل وجدته إلى جانبي في مسرح محمد الخامس بالرباط، يشاركني المؤتمر الأول لجمعيتنا، ووجدته ثانية حين انتقل إلى «العروي»، بصفته وزيراً أول، ونحن نخلد أول ذكرى معركة أنوال، فضلاً عن مواقفه النبيلة في مناسبات أحر. وأذكرُ هنا أن صداقتي مع الأستاذ المعطي بوعبيد، استمرت حتى بعد ابتعاده عن المسؤوليات الوزارية، إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، تغمده الله بواسع رحمته.

والحق أن الحديث عن الأستاذ المعطي بوعبيد متشعب الجوانب، حيث كان من الأعضاء المؤسسين للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، وكان محامياً، كما شغل منصب وكيل الملك بمدينة طنجة أوائل الستينات من القرن الماضي، وقبل تعيينه وزيراً أول، شغل عدة مناصب منها وزارة الشغل ووزارة العدل. غير أن الذين رافقوا الرجل عن كثب، لا يمكن أن يذكروا الأستاذ المعطي بوعبيد دون الحديث عن تلك العلاقة الرياضية الحميمة التي جمعتهم بفريق «الرجاء» لكرة القدم. لقد كان الأستاذ المعطي بوعبيد «رَجَوِيًّا» بكل جوارحه، كان فريق «الرجاء» دماً يجري في عروقه. يفرح بانتصارات «الرجاء» ويغضب حينما تلحق الهزيمة بهذا الفريق البيضاوي! وكثيرة هي الوقائع التي تُحكى عن الأستاذ المعطي بوعبيد في هذا الباب. لكن، دعني أيها القاريء الكريم، أحكي لك ما كنتُ شاهداً عليه في إحدى المناسبات الرياضية المرتبطة بفريق «الرجاء».

في أحد المواسم، تأهل فريق «الرجاء» البيضاوي إلى نهاية كأس العرش، وهي المباراة التي قابل فيها فريق «مركز الحليب»، وهو فريق حديث التأسيس، وتأهل لأول مرة إلى هذه المباراة النهائية. وقد جرت العادة، أن يتأسس هذه المباراة النهائية الملك الحسن الثاني، بحضور الوزير الأول، وبعض أعضاء الحكومة، وكنْتُ من بينهم في هذا النهائي باعتباري وزيراً.

بدأت المباراة، واستطاع فريق «مركز الحليب» تسجيل هدف في مرعى «الرجاء»...! لا تسأل عن حالة الأستاذ المعطي بوعبيد...!!

كان يتابع المباراة بانفعال، في انتظار تحقيق هدف أو أهداف بأقدام «رَجَاوِيَّة»... لا شيء تحقق من ذلك!

لم يتبق على نهاية المباراة سوى ربع ساعة، وما يزال فريق «الرجاء» منهزماً؛ وبدت كأس العرش الغالية، في طريقها لمعانقة فريق «مركز الحليب»!

لم يطق الأستاذ المعطي بوعبيد صبراً، وازداد انفعاله، ليغادر الملعب قبل أن تعلن صفارة الحكم النهائية! ومن الناحية البروتوكولية، لا يمكن لأحد من أعضاء الحكومة أو الضيوف مغادرة الملعب، قبل أن يسلم الملك الكأس للفريق الفائز، ويغادر!

خامرني توجس من رد فعل الملك تُجاه هذا السلوك!

علمتُ فيما بعد أن جلالة الملك لم يؤاخذ وزيره الأول على مغادرته للملعب، فقد كان جلالته على علم بمدى حُبِّ الأستاذ المعطي بوعبيد لفريق «الرجاء» البيضاوي، وارتباطه الكبير بهذا النادي على مدى زمن غير قصير، بل ورثاسته له، فلم يؤاخذ على تصرفه الناتج عن انفعال رجل، يحبُّ أن يرى فريقه الرياضي دوماً على درب الانتصارات الكروية.

السيد كريم العمراني:



ترجع علاقتي بالسيد كريم العمراني، إلى المرحلة الأولى من حياتي المهنية، يوم التحقْتُ إطاراً بالمكتب الشريف للفوسفاط. وستعزز علاقتي بالرجل، عندما شغلتُ منصب وزير النقل، في إحدى الحكومات التي ترأسها السيد كريم العمراني، وهي الحكومة الخامسة التي أسندت لي فيها إحدى الحقائب الوزارية.

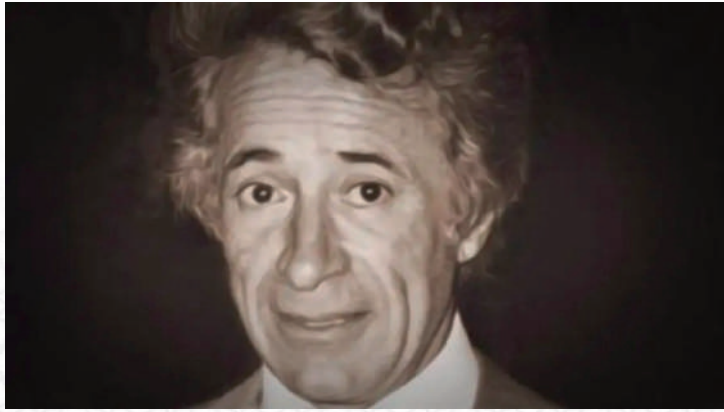
وإذا كان السيد كريم العمراني يعتبر من أكبر أغنياء المغرب، فهو كذلك الوزير الأول الوحيد، الذي عيّنه الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، ثلاث مرات، على رأس الحكومة المغربية، وتمّ ذلك في مراحل كانت البلاد تمر بظروف اقتصادية صعبة؛ وتجدر الإشارة في هذا السياق، أن السيد كريم العمراني، وهو وزير أول، ظل دائماً محتفظاً بمنصبه، مديراً للمكتب الشريف للفوسفاط، لمدة خمس وعشرين سنة.

لقد طبع الودّ والطيبة علاقتي بالسيد كريم العمراني، على مدى ممارستي لمهامي الوزارية داخل الحكومة التي ترأسها، بل إن هذه العلاقة الطيبة امتدت إلى ما بعد هذه المرحلة، حتى إذا كان حفل زفاف ابني حكيم، لم يتردد في الاستجابة للدعوة التي وجهتها له، فكان من بين الحضور في تلك المناسبة.

وإني لأذكرُ، أنه ذات يوم، قبل الاجتماع الأسبوعي للحكومة، التي يترأسها السيد كريم العمراني، وأنا يومئذ وزير للنقل. خاطبته قائلاً: هل بالإمكان أن أهيب لكم فطور الصباح في منزلي، غداً، قبل الذهاب إلى عقد اجتماع الحكومة؟ لبيّ طلبي، وحضر جميع الوزراء إلى بيتي، وتحلقوا حول مائدة فطور الصباح التي هيأتها لهم. هذه المبادرة مني، كانت فيما أعتقد، الأولى والأخيرة، حيث اجتمع الوزراء عند وزير صديق لهم داخل الحكومة، للفطور قبل الاجتماع الحكومي. بعد هذا الفطور الجماعي، كان السيد كريم العمراني -وهو وزير أول- كلما التقاني يخاطبني مازحاً: متى نتحلّق ثانية، حول مائدة فطورك الصّباحي؟

أسوقُ هذا الحديث، لتقديم صورة عن علاقتي الطيبة، مع السيد كريم العمراني، الذي ترأس عدة حكومات، في ظروف لم تكن دائماً ميسرة.

الأستاذ أحمد رضا الكديرة:



لقد سبقت الإشارة إلى أنّي أعتبرُ الديوان الملكي بمثابة مدرسة في ممارسة الشأن السياسي. وكيف لا يكون كذلك، وقد ضم بين جنباته مثقفين من طراز كبير، وخبراء أصحاب معرفة عميقة بأوضاع المغرب وإحاطة بتاريخه. وهم رجالات عُرفوا بحنكتهم في تدبير ما يوضع بين أيديهم من ملفات،

وبعضهم ممن امتلكوا ناصية المعرفة القانونية، وخبروا شعبها بشكل دقيق. ومن هؤلاء الأستاذ أحمد رضا أگديره، أحد الخبراء، والمشهود لهم بالدراية والحنكة في هذا الباب.

لذا، حينما التحقْتُ بالديوان الملكي، كنتُ أعتبرُ نفسي محظوظاً، وسأجالس رجلاً من مستوى الأستاذ أحمد رضا أگديره. كنتُ متأكداً أن خبرتي ستتعلم، وأن تجربتي ستغني بمصاحبة قامه من مستوى هذا المستشار، الذين كُنّا نعتبره، في إطار المهام الاستشارية، صاحب مكانة خاصة، بل ينظر إليه باعتباره -بعد جلاله الملك- الرجل الثاني في الدولة. فبالإضافة إلى ما يمتلكه من مؤهلات علمية وخبرات مهنية عملية، فإن قربه الكبير من الملك الحسن الثاني خوّله رتبة متميزة بين نظرائه.

حينما عيّنتُ في الديوان الملكي، كنتُ على علم بما يمتلكه المستشار أحمد رضا أگديره من خبرة وتجربة، كما كنتُ على علم بمكانته لدى الملك الحسن الثاني، لمستُ هذا الأمر في بعض الاتصالات التي كانت بيننا، وأنا يومئذ أتقلب في مناصب وزارية متعددة. فقد عرفتُ أن هذا الرجل قد دخل غمار المجال السياسي منذ سنة 1937 مع صديقه محمد الرشيد ملين، حين تأسسهم حزب «الأحرار المستقلين»، حيث شغل منصب نائب الرئيس، وكان من السياسيين المغاربة الذين شاركوا وحضروا مفاوضات «إكس لبيان - Aix-Les-Bains». وقد تقلب الأستاذ أحمد رضا أگديره في عدة مناصب، منذ عهد الملك محمد الخامس إلى عهد الملك الحسن الثاني طيب الله ثراهما. وتعود صلته بالملك الحسن الثاني إلى أواخر سنوات الأربعين من القرن الماضي، خلال الفترة التي كان فيها مولاي الحسن ولياً للعهد. وستتقوى مكانة الأستاذ أگديره بعد أن أصبح الحسن الثاني ملكاً للمغرب، من خلال تحمله لمسؤوليات متعددة، بدءاً من مدير ديوان جلاله الملك، إلى المناصب الوزارية المختلفة التي تقلدها منذ حصول المغرب على استقلاله، لتتوج هذه المسيرة بتعيينه مستشاراً للملك الحسن الثاني سنة 1977.

وكان طبيعياً أن يكتسب الأستاذ أحمد رضا أگديره، من خلال هذا المسار السياسي الخصب، تجربة تميزت برصيدها الغني والمتنوع، جعلت منه أحد أبرز رجالات السياسة في تاريخ المغرب المعاصر.

ومما لا شك فيه، أن الاشتغال بالقرب من شخصية بهذا المستوى، ستتمكنك من الاستفادة من خبرتها، وتساعدك في حل ما يمكن أن يعترض سبيلك من صعوبات، وأنت في بداية طريق مجال جديد له طابعه الخاص، كرحاب الديوان الملكي.

لقد كانت علاقتي مع الأستاذ أحمد رضا أگديره في بداية الأمر محدودة جداً، لكنها ما لبثت أن أخذت طريقها نحو التطور التدريجي، الذي سيأخذ منعطفاً جديداً يوطد علاقتنا بشكل أكبر.

كان ذلك يوم استقبلني الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي، بقاعة العرش، مع ثلة من أصدقائي، بمناسبة تأسيسنا جمعية «قدماء تلامذة الناظور» سنة 1978، حيث ألقى فينا جلالاته كلمة توجيهية، مباركا خطوتنا، ومشجعاً لنا على العمل لما فيه مصلحة الوطن. وبعد انتهاء حفل الاستقبال انصرفنا. ونحن نزل درج السلم خروجاً من قاعة العرش، التفت إليّ الأستاذ أحمد رضا أگديره - وكان بجانبي - وقال يخاطبني: هذه الجمعية يجب أن تغيّر اسمها!؟

قلت: ولِمَ؟

جاء جواب الخبير يقول: ألم تسمع ما قاله جلالة الملك؟ لقد أشار إلى أن هذه الجمعية يجب أن لا تنحصر أعمالها بمحيط إقليم الناظور فقط، بل يمكن توسيع مجال اهتماماتها الثقافية والاجتماعية ليشمل منطقة الشمال برمتها!

لفتت ملاحظة الأستاذ أحمد رضا أگديره انتباهي، إلى ضرورة قراءة ما بين السطور، في المنطوق الملكي. وبناء على تلك الملاحظة تشكل لديّ تصور آخر لما يمكن أن ينهض به أبناء الريف لخدمة منطقتهم ومحيطها الكبير، ومن ثم خدمة وطنهم بشكل عام.

ومن رَجَم ما دار بيني وبين الأستاذ اكديرة، ولدت فكرة «الجمعية الشكافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط» - وقد أشرتُ إلى ذلك في سياق سابق - فكانت جمعيتنا، البذرة الأولى للجمعيات الجهوية الكبرى، التي تعتبر تجربة مهمة في بلورة فلسفة الجهوية، وتعميق دور المجتمع المدني في بناء دولة عصرية، تسعى إلى تعميق أسس الديمقراطية وترسيخها.

فتح هذا الحوار مع الأستاذ أحمد رضا اكديرة باب توطيد العلاقة بيننا، وساهم في اطراده ما كان يجده لديّ من تجاوب، يوم كنتُ وزيراً في مختلف الوزارات، حيث يسّرتُ له العديد من الأمور التي كان يطلبها، سواء تعلقت بمعلومات، أم باتصالات، وغير ذلك مما يحتاجه في معالجة الملفات التي تكون بين يديه. لم أكن أبخلُ عليه بأي شيء يكون في مُكنتي تقديمه، ومرتبطاً بالوزارة التي أترأسها.

ولا شك أن ذاكرة الأستاذ اكديرة احتفظت بهذه الصورة من المرونة التي طبعت تصرفي معه في مرحلتي الوزارية، فوجدتُ فيه بدوري داخل الديوان الملكي، ذلك المساعد الذي يساندني حينما أحتاجُ إليه.

أذكرُ في هذا الباب، تلك المساندة التي تحققت عملياً، يوم أطلعتُه على الوضعية المالية لكلّ من فريق «هلال الناصور» برئاسة أخي مصطفى، وفريق «اتحاد طنجة» لكرة القدم الذي يترأسه السيد محمد بوهريز، أحد مؤسسي جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، وذلك حين التحقا بالقسم الوطني الأول. هذا الصعود تطلّب توفر الفريقين على دعم مالي يسمح لهما بمسيرة الوضعية الجديدة، والظهور بالمستوى المطلوب بين صفوف الكبار. فطلبتُ من الأستاذ أحمد رضا اكديرة التدخل لدى مدير مكتب المطارات، في شأن احتضان الفريقين «هلال الناصور» و «اتحاد طنجة»، الأمر الذي سيوفر للفريقين ما يلزمهما من دعم مالي. فكانت الاستجابة، حيث بعث السيد المستشار رسالتين من الديوان الملكي إلى مدير مكتب المطارات، الأولى تتعلق بفريق «هلال الناصور»، والأخرى تتعلق بفريق «اتحاد طنجة». فتكلّلت هذه

الخطوة باحتضان الفريقين من طرف هذا المكتب، ومما يسّر هذا الأمر، تلك العلاقة الخاصة التي تربطني بالسيد أحمد البيّاز، مدير مكتب المطارات، فخصص لهما مبلغاً مالياً لتسيير شؤونهما.

لم تكن هذه هي المساعدة الوحيدة التي قدمها لي هذا الرجل، بل كنتُ كلما احتجتُ أمراً يتعلق بمنطقة الريف أو الشمال بشكل عام، أجدُ الأستاذ أحمد رضا أگديرة ملبياً طلبي، ومساعدني في تيسير ما قد يعترضني أحيانا من عراقيل.

وأود أن أرسم صورة أخرى، تُبين للقاريء كيف تطورت علاقتي بهذا المستشار الخبير، لتغدو أكثر ألفة، ضمن مجموعة محدودة من الأفراد المقربين للأستاذ أگديرة. تتمثل هذه الصورة في تلك الجلسة الخاصة التي تجمعنا حينما نكون مرافقين للملك الحسن الثاني، لدى إقامته في مدينة إفران.

كان عامل صاحب الجلالة علي هذه المدينة، السيد حسن ناضر، ينظم بين الحين والآخر، عشاء خاصاً، تتحلّق حول مائدته تلك المجموعة المحدودة، التي تتكون من: الأمير مولاي علي، أحمد رضا أگديرة، عبد الكريم لحلو، المنصوري بنعلي، والسيد العامل حسن ناضر. خمسة أفراد لا أقل ولا أكثر. وأنا أعلمُ أن طبيعة الأستاذ أگديرة لم تكن تلك الطبيعة التي تميل إلى المخالطة المفتوحة. كان ينسج علاقاته بحسبان. ولا شك أن جلسات من هذه الطبيعة، وبمحدودية أفرادها، تسمح برفع درجة الحميمية، والاقتراب أكثر من بعضنا، ما يُيسّر الفهم الأعمق لطبيعة شخصية كل فرد منا.

ومن نوعية هذه اللقاءات التي جمعتني بالأستاذ أگديرة، في السنوات الأخيرة قبل مرضه، تلك الرحلات التي كُنّا نقوم بها معاً إلى مدينة تطوان، وبالضبط في منطقة «كابو نيگرو Cabo Negro». لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. كان الأستاذ أحمد رضا أگديرة يكلمني بالهاتف، ويخاطبني بروح مرحّة: المنصوري، كَلّم الجنرال السكيرج ليهيء لنا الطائرة يوم الجمعة للذهاب إلى مدينة تطوان ! حينما نصل إلى مطار تطوان، يجد الأستاذ أگديرة في

انتظاره أحد أصدقائه، السيد موحا اليوسي، الذي ينقله بسيارته إلى «فيلته» بـ «كابو نيغرو»، حيث يقيم إلى أن يحين موعد عودتنا إلى الرباط

كنا ننتقل من الرباط إلى تطوان يوم الجمعة، ونعود إلى الرباط يوم الاثنين صباحاً. تكاد تكون هذه الرحلة أسبوعياً، في فصل الصيف، يجلبها أحياناً ارتباط أحدنا بمهمة معينة، تفرض سفرًا، أو إنجاز ما تتطلبه ظروف خاصة.

لقد استمرت علاقتي الطيبة بالأستاذ أحمد رضا أگديره، إلى آخر شهر غشت من سنة 1995. وكان آخر لقاءٍ معه في هذا التاريخ، بعد عودتنا من رحلتنا المعتادة لمدينة تطوان (كابو نيغرو). وبعد يومين من ذلك اللقاء، أصيب الأستاذ أگديره بوعكة صحية، نقل على إثرها إلى باريس، قصد العلاج. غير أن حالته الصحية تدهورت بشكل كبير، أدت إلى وفاته يوم 14 دجنبر 1995، لينقل إلى الرباط حيث دفن في مسقط رأسه، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

بعد يوم واحد من مراسيم جنازة الراحل أحمد رضا أگديره، التحقت ببوزنيقة، حيث كان الملك الحسن الثاني مقيماً في تلك الفترة. حين دخولي إلى الإقامة الملكية، كنتُ وبعض الحضور، ننتظر إجراء حصة الكولف المعتادة. لكن برنامج ذلك اليوم عرف تغييراً، ليخبرنا القايد مرجان بإلغاء حصة الكولف، مخبراً الحضور بمغادرة المكان، ثم التفت إليّ طالبا البقاء صحبة السيد عبد الكريم لولو، داخل الإقامة.

غادر الجميع ذلك المكان، وبقيتُ والسيد لولو ننتظر!

وبعد فترة قصيرة، لمحتُ من بعيد صاحب الجلالة، قادماً في سيارته يسوقها بنفسه، ليتوقف قربنا، وينادي علينا لمصاحبتة في سيارته. ركبنا إلى جانب جلالته، وانطلق يَجول بنا داخل الإقامة الملكية، ونطوف بأرجاء ملعب الكولف، والحديث يدور بيننا نحن الثلاثة.

وجّه الملك الحسن الثاني سؤالاً مباشراً إلى عبد الكريم لحلو مضمونه الآتي:

هل ترك المرحوم أدديرة بعض الممتلكات؟ وجّه السؤال إلى السيد عبد الكريم لحلو، باعتبار طبيعة العلاقة الحميمة بين الرجلين، إلى درجة يمكن معها، وصف السيد لحلو بأنه علبة أسرار المرحوم أدديرة!

جاء جواب السيد عبد الكريم لحلو يقول: الذي أعرفه يا جلالة الملك، أن المرحوم أدديرة له بعض الممتلكات المشتركة مع السيد جيف مارسيانو، وربما كذلك، أشياء أخرى، مع رجل الأعمال عبد الكريم بن الشرقي من مدينة الجديدة.

هنا سيتدخل جلالة الملك ليسأل ثانية: هل هذه الممتلكات المشتركة موثقة بشكل قانوني؟ ثم أضاف جلالته: إذا لم تكن كذلك، فإن حقوق المرحوم أدديرة ستضيع!!

وفعلا، وكما توقع جلالة الملك، ستعرض تلك الممتلكات المشتركة إلى الضياع. كيف؟ سأقتصر في هذا السياق، على ذكر ما لي به علم، وقد تكون هناك أشياء أخرى مما غاب عني خبرها.

لقد كان المرحوم أحمد رضا أدديرة يمتلك أرضاً مشتركة مع صديقه جيف مارسيانو، ونقع في حيّ «أنفا» بالدار البيضاء، وقيمتها تعد بالملايير، نظراً لمساحتها وتميّز موقعها.

لقد استحوذ عليها مارسيانو. ورغم الدعوى التي أقامها ورثة المرحوم أحمد رضا أدديرة على الشريك المستحوذ، فإن الوثائق المرتبطة بهذه القضية، كانت في صالح مارسيانو. ونفس الأمر سيقع بالنسبة لشقة توجد في العاصمة الفرنسية باريس. أما ما يمكن أن يكون بين المرحوم أدديرة ورجل الأعمال عبد الكريم بن الشرقي، فلا أمتلك معلومات دقيقة عنه، ومن ثمّ أحجم عن الخوض فيه.

الأستاذ محمد عوّاد:



الديوان الملكي مدرسة سمحت لي بتعميق تجربتي ومساري من زوايا متعددة، وهي مدرسة التقيُّت في داخلها برجال الدولة، لكلِّ تاريخه السياسي والنضالي، وتجاربه الغنيّة التي رصّدها عبر مسار طويل وحافل. من هؤلاء السيد محمد عوّاد، مستشار الملك الحسن الثاني. كانت معرفتي بالرجل رقيقة وعن بُعد، حتى أتاحت لي الظروف الاقتراب منه، ومرافقته عن كثب. كان ذلك حينما التحقْتُ بالديوان الملكي. غير أن هذا لا يعني أن اسم محمد عوّاد غريب عنيّ. فهذه الشخصية لها تاريخها في الساحة السياسية المغربية، وكنتُ على علم بمسار الرجل الذي ارتبط بالمحيط الملكي القريب، منذ عهد الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، الذي رغب الأستاذ محمد عوّاد في الالتحاق به في منفاه، غير أن سلطات الاحتلال منعتة من ذلك.

وفي زمن الحماية، وبالضبط سنة 1947، ستم المنادة على الأستاذ محمد عوّاد، وهو يومئذ يدرس في فرنسا، ليُعيّن كاتباً خاصاً لوليّ العهد الأمير مولاي الحسن (الملك الحسن الثاني).

وهكذا استمرت مسيرة هذه الشخصية داخل دوايب القصر الملكي، على مدى أكثر من نصف قرن. ولا شك أن هذه العقود من الزمن، قد أغنت تجربة الرجل، نظراً لتنوع المهام التي مارسها، والمسؤوليات التي اضطلع بها، بدءاً بالمحيط الملكي القريب، إلى ما أسند إليه من مسؤوليات على رأس بعض

الوزارات، أو في مهام سفارية. فقد شغل الأستاذ محمد عوَّاد مهمة رئيس الديوان الملكي، ثم مديراً عاماً لهذا الديوان على عهد الملك الراحل محمد الخامس، طيب الله ثراه، كما شغل بعض المسؤوليات الوزارية ومهام دبلوماسية.

لقد كان قصدي من سرد محطات من مسار الأستاذ محمد عوَّاد، إبراز غنى تجربته. ولقائي بهذه الشخصية داخل الديوان الملكي هو لقاء مع خبرة تكونت عبر مرحلة تاريخية مليئة بالأحداث. فقد عايش محمد عوَّاد الأحداث التي عرفها المغرب أيام الحماية، ثم عاصر مرحلة مهمة من تاريخ المغرب المستقل. لقد تبلورت تجربة الأستاذ عوَّاد في ظل ثلاثة ملوك: محمد الخامس والحسن الثاني تغمدهما الله بوسع رحمته، وما يقارب عقداً من الزمن في ظل جلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

لذا اعتبرت وجودي إلى جانبه في الديوان الملكي فرصة سمح بها الزمان، للاستفادة من خبرة الرجل. لم يكن لقائي بالأستاذ محمد عوَّاد في الديوان الملكي هو اللقاء الأول، بل أتاحت لي فرصة أولى، حينما كنتُ وزيراً للسياحة، وكُلفتُ بتمثيل الحكومة في نشاط أميري ترأسه ولي العهد سيدي محمد (الملك محمد السادس حفظه الله) وكان مهرجاناً للشباب في مدينة إفران، صحبه خلاله الأستاذ محمد عوَّاد مدير المدرسة المولوية والمكلف بتربية ولي العهد، فكانت مناسبة للقاء، ومن ثم بدأ مسار علاقة ستتطور وتتعمق بعد التحاقني بمهمتي بالديوان الملكي.

ومنذ أيامي الأولى في الديوان، شعرتُ بانجذاب نحوه. كان الأستاذ محمد عوَّاد يعاملني بطيبة وسمو أخلاق، لا يبخل عليّ حين أستشيريه في أمر ما، وأنا الداخِل إلى مجال متشعبة جوانبه، ووعرة مسالكه! وإذا قيل «لكلّ داخل دهشة فأنسوه»، فقد وجدتُ في الأستاذ محمد عوَّاد ذلك الأنيس الذي يُشعرك بالألفة والاطمئنان وأنت بجانبه. أخذ بيدي فأحسستُ بالارتياح في مجالسته؛ وأشهد أن الرجل كان على خُلق عظيم تكشف عن أصالة محتد، فلا تجده يحشر

نفسه فيما لا يعنيه، ولا يسعى إلى التشويش على غيره، إذا كُلف بمهمة أنجزها على الوجه المطلوب، وإذا أسند إليه الملك ملفاً ما، تفانى في إعداده وتهيئته بالدقة المرغوبة والمهنية العالية. لكل ذلك، كان محل تقدير من طرف الملك الحسن الثاني، أكسبت الأستاذ محمد عوّاد، مع مرور الزمن، مكانة متميزة عند جلالته، فكان يسند إليه بعض المهام الخاصة، سواء داخل الوطن أم خارجه.

ولا شك أن ما عمّق علاقتي بالأستاذ محمد عوّاد، ما لاحظته من سلوكي، وما لمسته في طبيعته، منذ التحقّ بالديوان الملكي، حيث كنتُ دوماً منصرفاً - كما أسلفتُ قبلاً- إلى أداء مهمتي، والاهتمام بما يُسند إليّ من قضايا وملفات، بالجدية والنزاهة المطلوبتين، بعيداً عن التناول على ما يُسند للغير، والالتزام بعدم حشر أنفي فيما لا يعنيني؛ فأكسبني هذا السلوك مزيداً من القرب من زملائي داخل الديوان الملكي، خاصة مع الأستاذ محمد عوّاد الذي كنتُ ألتحق بمكتبه كل صباح، فنتحدث في مواضيع مختلفة، ثم نلتحق مع الأستاذ عبد الهادي بوطالب بالأستاذ أحمد بنسودة في مكتبه، لتتابع مناقشاتنا؛ وبالنسبة لي، فإن مجالسة هؤلاء المستشارين لا تخلو من فائدة.

ستتطور علاقتي مع الأستاذ محمد عوّاد لتصبح علاقة عائلية، نتبادل الزيارات فيما بيننا، بل كانت ابنته الدكتورة عائشة -وهي طبيبة متخصصة في علاج أمراض القلب والشرابين- تزورنا أحياناً في مكتب والدها بالديوان، فتجدني صحبته، نتبادل الحديث في ما يشغلنا من قضايا. وما تزال هذه العلاقة العائلية مستمرة ومتميزة إلى اليوم.

وكما كان الأستاذ محمد عوّاد ملجئاً حينما أريد استفساراً حول قضية محددة، أو إجراء معين مرتبط بطبيعة عملي في الديوان الملكي، فقد وجد هو الآخر في تجربتي الجمعوية السابقة ما يمكن أن يعينه حينما كان يهيئ لتأسيس جمعية «أبي رقرق». لقد سمحت لي تجربتي في تأسيس جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط» باكتساب خبرة في هذا المجال الجمعوي، لم أتردد لحظة

في بسطها أمام الأستاذ محمد عوّاد، بمجزئياتها الدقيقة، بل كنتُ أستجيب لكل الدعوات التي يوجهها إليّ لحضور الاجتماعات التحضيرية لميلاد جمعية «أبي رقرق»، بما فيها المآدب التي يقيمها، ولا يحضرها إلا عدد محدود من المقربين.

وفي الأيام الأخيرة من حياة هذا الأستاذ، انعزل في غرفته الخاصة، لا يزوره إلا القلة من أفراد عائلته الصغيرة، وفي هذه الفترة، كنتُ أحد هؤلاء الذين يجالسونه في غرفته، وإذا تأخرت زيارتي له، بعث في طلبي. وذات مرة دعاني وخاطبني قائلاً: أريد أن أستشيرك في أمر عائلي. قلت: ما الأمر؟ أجابني: أنت تعلم أن أسرتي الصغيرة تتكون من زوجتي، ولي منها أربع بنات، أي ليس لي ولد ذكر. وحتى أجنب زوجتي وبناتي ما يمكن أن يصادفهن من مشاكل، فأني أرغب في تسوية كل ما يتعلق بمسألة الميراث قيد حياتي. طلبتُ منه أن يمهلني بعض الوقت لتدبير الأمر.

اتصلتُ بأحد كبار المؤثّقين في المغرب، وصاحب خبرة كبيرة في هذا الباب، هو نقيب المؤثّقين موريس حمّو، وبسطتُ الموضوع أمامه. ولما توفرت لديّ كل المعطيات المطلوبة، أخبرتُ الأستاذ محمد عوّاد بما قمتُ به، وبما توصلتُ إليه من اقتناعات، بعد النظر في المسألة من زواياها المختلفة. وطلبتُ منه استقبال المؤثّق موريس حمّو في منزله ليشرح له الإجراءات التي يجب أن تتخذ في هذا الموضوع. فوافق على إنجاز ما كان يرغب فيه من تسوية شرعية مُحكمة وعادلة، تُشعر زوجته وبناته الأربع بالطمأنينة، وتقيهنّ مما يمكن أن ينشأ أحياناً في الأوساط العائلية، بسبب الميراث.

لقد كان الأستاذ محمد عوّاد من أقرب المستشارين إليّ، مما طبع علاقتنا بالاستمرارية على المستوى الشخصي والأسري، خاصة ابنته الدكتورة عائشة، إلى أن وافاه الأجل، يوم 22 فبراير 2007، وكنتُ من المشيّعين لجنازته، ودفن بضريح سيدي عبد الله بن حسّون في مدينة سلا، تعمدته الله بوسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

الأستاذ أحمد بنسودة:



ومن رجالات الديوان الملكي الذين حظيت بمصاحبتهم خلال مرحلة من مساري، الأستاذ أحمد بنسودة، وهو صاحب خبرة في المجال السياسي والدبلوماسي والإعلامي. فهو من الساسة الذين برزوا في الساحة المغربية زمن الحماية، وكان له نشاط ملحوظ في إطار الحركة الوطنية، باعتباره أحد أعمدة حزب الشورى والاستقلال، وتولى إدارة جريدة «الرأي العام»، الناطقة باسم هذا الحزب، وهو الأمر الذي أكسبه خبرة كبيرة في مجال الإعلام، سيستثمرها فيما بعد، عندما شغل مناصب دبلوماسية، سمحت له بخلق وتوطيد علاقات مع إعلاميين، كانت لهم مكانتهم في عالم الصحافة داخل العالم العربي، وبدا ذلك بشكل واضح خلال المرحلة التي شغل فيها الأستاذ أحمد بنسودة منصب سفير المغرب في لبنان، وهو البلد الذي عُرف بمحركته الفاعلة في المجالين الثقافي والإعلامي.

وقد أهلت التجربة الصحافية المبكرة للأستاذ بنسودة أن يشغل منذ سنة 1961 منصب مدير الإذاعة والتلفزة المغربيتين.

لقد كانت خبرة الأستاذ بنسودة متعددة في مستوياتها، فزاد غناها من خلال ما أسند إليه من مهام في تسيير شؤون الدولة، من مواقع مختلفة، أكسبته خبرة بدواليب الإدارة المغربية.

ولما كان الأستاذ أحمد بنسودة ممن يتمتعون بالذكاء وامتلاك لمهارات التواصل، مع ذلاقة اللسان، كل أولئك أكسبه حنكة في بناء جسور العلاقات

مع الآخر، مما أهله للاقتراب من الدوائر العليا، فعُيِّن مكلفاً بمهمة بالديوان الملكي سنة 1965، حتى إذا برزت كفاءته في هذا المحيط الملكي، رُقي ليشغل منصب مدير الديوان الملكي سنة 1975. ومن خلال هذا المسار الحافل، ترصّدت للأستاذ أحمد بنسودة خبرة كبيرة وغنية، جعلت الملك الحسن الثاني يعيّنهُ أول عامل على إقليم العيون، بعد استرجاع المغرب لصحرائه. وما كان جلالته الملك ليسند هذه المهمة للأستاذ بنسودة، وفي ظروف سياسية دقيقة جداً، لولا اقتناعه بكفاءته وخبرته وحسّه السياسي العالي. وقد لعب دوراً كبيراً أتمم بالذكاء والفاعلية، مما كانت تتطلبه القضية الوطنية، في تلك المرحلة التاريخية من سنوات السبعين في القرن الماضي. كل ذلك أهّل الأستاذ أحمد بنسودة ليعيّن سنة 1977 مستشاراً للملك الحسن الثاني طيب الله ثراه.

في دائرة مستشاري جلالته الملك أسندت عدة مهام للأستاذ أحمد بنسودة، لكن ملف علاقة المملكة المغربية بالدول العربية كان من أهم الملفات التي أسندها إليه الملك الحسن الثاني، وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، نظراً لخبرة الرجل بقضايا الشرق الأوسط، وللعلاقة الخاصة التي كانت تجمعها بالزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، إلى درجة أن الرئيس ياسر عرفات حينما يحل بالمغرب، تكون إقامته - في الأغلب الأعم - في جناح خاص في منزل الأستاذ أحمد بنسودة.

باستعراضه لجانب من مسار هذا الرجل، أجد نفسي محظوظاً حينما سمحت الظروف بلقاء هذه الشخصية، التي تمتلك هذا الرصيد الغني من التجربة السياسية والدبلوماسية والإعلامية، إلى جانب شبكة من العلاقات التي نسجها مع شخصيات دولية ووطنية.

ولا أخفي أنني استفدت كثيراً من تجربة هذا المستشار الملكي المحنك، وما كان ذلك ليتم لولا ما حصل من تقارب مع هذه الشخصية السياسية المغربية، هيأت له صُدف. ذلك أن الأستاذ أحمد بنسودة يرتبط بعلاقة عاطفية

قوية بمنطقة الشمال، أضف إلى ذلك إعجابه الكبير بشخصية المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي ؛ وهو جانب قرّب بيننا بشكل سريع. كان الأستاذ بنسودة يكنّ عطفاً قويا للمنطقة الشمالية ولأهل الريف، ومن ثم لم يكن غريبا أن يشاركني المستشار الملكي ترؤس أحد المهرجانات التي كانت تنظمها جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، تخليدا لذكرى معركة أنوال. كل ذلك جعل السبيل إلى توطيد علاقتنا الثنائية، داخل الديوان الملكي، أمراً ميسوراً.

ومن باب ذكر الفضل لأهله، فإنني أذكرُ بامتنان كبير، ما وجدته عند الأستاذ أحمد بنسودة من تجاوب، حينما تقتضي طبيعة عملنا نوعا من التعاون. وفي هذا الصدد، أشيرُ إلى أن من جملة المهام التي كان هذا المستشار الملكي ينهض بها، ما يتعلق بتكوين المجالس العلمية.

وجدتُ في هذا الصديق ذلك الرجل المتفهم والمطلع على طبيعة المجتمع المغربي، وتنوع طباعه وتقاليده، والعارف بخصوصية مناطقه المختلفة. وفي هذا السياق جرى بيننا حديث حول هذه المجالس العلمية، ومن خلاله أبلغتُ الأستاذ بنسودة أن المجلس العلمي لمدينة وجدة، هو المشرف على ما يتعلق بهذا الشأن في إقليم الناظور، وأوضحتُ له أن منطقة الريف بتاريخها وعلمائها وأوليائها وصلحائها، يشفع لها أن يكون لها مجلسها العلمي، مستقلا عن مدينة وجدة.

والحق أنني وجدتُ تجاوبا كبيرا من الأستاذ المستشار الملكي، وتفهما جعله يطلب مني أن أقترح عليه، من أراه أهلاً لرئاسة هذا المجلس بإقليم الناظور. وبعد تأمل، اقترحتُ عليه اسم الأستاذ محمد بوزيان، الذي سيصبح -بناء على اقتراحي- أول رئيس للمجلس العلمي بإقليم الناظور. وهكذا أصبح لهذه المنطقة مجلسها العلمي، برئاسة أحد علماء الناظور.

ولم تنحصر الأيادي البيضاء للأستاذ أحمد بنسودة في هذا الموضوع، بل كنتُ أجد فيه المساند الذي يشد عضدي بما يقدمه لي من مساعدات، لحل

بعض المشاكل التي تطفو على السطح بين الحين والآخر، سواء في إقليم الناظور أم في منطقة الشمال بشكل عام، وبشكل خاص في منطقة الريف.

حبّ هذا الرجل لمنطقة الشمال، وخاصة منطقة الريف، وخبرته ودمائه خلقه ورحابة صدره، عمّقت علاقتي به، وهي العلاقة التي استمرت إلى أيام مرضه، حيث كنتُ دائم التردد عليه لعيادته؛ نتبادل الأحاديث في شؤون البلاد، ونحوض في مواضيع تمس أوضاع العالم، مستحضرين بعض الذكريات والمواقف التي جمعتنا في زمان معين؛ ولقد حافظتُ على هذه العيادة إلى أن انتقل إلى عفو الله يوم 26 أبريل 2008 بالرباط، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

الأستاذ عبد الهادي بوطالب:



وأسعفني الزمان لأرافق في الديوان الملكي أحد نبغاء المغرب، وهو الأستاذ عبد الهادي بوطالب، أحد المثقفين المغاربة الذين برّزوا في القرن العشرين. وعرفته الساحة الثقافية المغربية مبكراً بكتاباته المتعددة.

ونظرا لنبوغه، سيتم اختياره أستاذاً بالمعهد المولوي، يدرّس الأمير مولاي الحسن (الملك الحسن الثاني) ورفقاءه.

أما في الحقل السياسي، فقد كانت للأستاذ عبد الهادي بوطالب صولات وجولات؛ يكفي أن نعرف أنه أحد أقطاب حزب الشورى والاستقلال، منذ

سنة 1950، ومن المشاركين بعد ذلك في تأسيس حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وستطور خبرة الرجل وتعمق من خلال ما تقلده من مسؤوليات، وما شغله من مناصب متعددة في الدولة المغربية، سواء على المستوى الوزاري، أم في المسؤولية الدبلوماسية، حينما كُفِّ في فترات تاريخية محددة بمهام سفارية، ممثلاً للمملكة المغربية. فإذا أضفنا إلى ذلك رئاسة مجلس النواب، وإدارة منظمة دولية حينما انتخب مديراً عاماً لمنظمة العالم الإسلامي للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، ليتوج كل ذلك بتعيينه مستشاراً للملك الحسن الثاني؛ فإننا سنجد أنفسنا أمام شخصية بتجربة غنية، تشكلت عبر فترة تاريخية غير قصيرة، وعلى امتداد زمنين مختلفين، يرجع الشق الأول منها إلى فترة كان المغرب خلالها يزرح تحت نير الاستعمار، ويرتبط الشق الثاني بمرحلة استعاد فيها المغرب حريته واستقلاله.

لكل ذلك، كنتُ سعيداً حينما أُتيح لي الاقتراب من هذه الشخصية الوطنية، يوم عيّني الملك الحسن الثاني عضواً بالديوان الملكي.

كان أول ما لفت انتباهي، حينما ازداد قربي من الرجل، هو ما لاحظته من تعاطف منه مع منطقة الريف، وإعجابه بشخصية المجاهد ابن عبد الكريم الخطابي. وربما كان هذا من الأسباب التي جعلت الأستاذ عبد الهادي بوطالب يساندني ويدعم رأبي، كلما درستُ أو هيأتُ أو قدمتُ اقتراحات تتعلق بملف من الملفات التي تهم المنطقة الشمالية من وطني.

والحق أن علاقتي بالأستاذ بوطالب تميزت بنوع من الطيبة، وإن شئتُ، قلتُ إنها نوع من الاحتضان، وربما كان يعاملني كأخيه الأصغر داخل الأسرة. وليس الأمر بغريب، فحينما التحق الأستاذ عبد الهادي بوطالب عضواً فاعلاً داخل حزب الشورى والاستقلال، لم يكن سنِّي عهدئذ يتجاوز ست سنوات!

ورغم هذا الفارق في السن، فقد حققتُ انسجاماً كبيراً مع مستشارين ثلاثة: الأستاذ محمد عواد، والأستاذ أحمد بنسودة، والأستاذ عبد الهادي بوطالب. لكل من هؤلاء ملامح شخصية متميزة، ولكن هناك ما يجمعني بهؤلاء الثلاثة،

وهو ما يشعُرني بألفة بينهم حينما نجتمع في مكتب أحدهم بالديوان الملكي.

وقد أتاحت لي مصاحبة الأستاذ عبد الهادي بوطالب، التعرف عن كثب على بعض سمات شخصيته، واقتناعاته الفكرية. فمن خلال ما يدور بيننا من أحاديث حول قضايا معينة، بل أحيانا ما يصدع به من آراء، أو يُبين عنه من مواقف خارج ما هو مهني، كنتُ أُلْسُ في الرجل صاحب التجربة الحزبية الماضية، ملامح ميولات يسارية؛ وقد لا يكون ذلك أمرا غريبا على شخصية كانت من رجالات الصف الأول في حزب الشورى والاستقلال، ذلك الحزب الذي يعتبر أول حزب معارض في عهد الاستقلال، حين رفض الانضمام إلى حكومة البكاي الثانية، في أكتوبر 1956. إلى جانب هذا، عرفتُ في الأستاذ عبد الهادي بوطالب رجلا صريحا، واضحا في مواقفه. كان يدي برأيه بموضوعية، بل إن هذه الموضوعية، قد تؤدي به أحيانا إلى مخالفة وجهة نظر الملك الحسن الثاني في قضية من القضايا؛ يصدع بذلك طي مذكرة يرفعها إلى جلالته، أو قد يكون ذلك بشكل مباشر من خلال حديث بين الملك ومستشاره؛ ولكنه في كل ذلك، كان صادقا، مخلصا لوطنه ولملكه. غير أن هذا المنحى في الصّدع بالرأي قد يؤدي أحيانا إلى عدم رضا الطرف الآخر. والمتابعون للحياة السياسية في المغرب أيام الملك الحسن الثاني يعلمون أن الأستاذ عبد الهادي بوطالب قد أعفي من منصب المستشارية، وربما كنتُ من الأوائل الذين تلقوا هذا الخبر، وجاء في السياق التالي:

كنتُ في ملعب الغولف بالصخيرات رفقة الملك الحسن الثاني، وبعض المقربين. وفي إحدى اللحظات، نادى عليّ جلالته، وأشار إليّ بالركوب إلى جانبه في تلك السيارة الصغيرة، المخصصة لملاعب الغولف. ما إن تحركت السيارة قليلا، حتى التفت إليّ جلالته الملك وخاطبني: لقد أعفيتُ بوطالب هذا الصباح!

والحق أنني فوجئتُ بما قاله جلالته الملك، وانتابني حيرة، وكان عليّ أن أتغلب على ذهولي، وأستحضر جوابا لما نطق به الملك!؟

فقلتُ: سيدي، السّي بوطالب من المخلصين لكم، والمقربين جدا من جلالتهم؟! كان جوايي صادقا لما أعرّفه عن الرجل من وطنية صادقة، وتفانٍ في خدمة بلده ومملكه.

أطرق جلالة الملك رأسه لحظة، ثم رفعه وخاطبني قائلاً: لقد أساء الأدب معي!

علمتُ فيما بعد أن ملفاً يتعلق بقضية معينة، كان من المفروض أن يتسلّمه مستشار جلالة الملك أندري أزولاي، وأرسل خطأً إلى الأستاذ عبد الهادي بوطالب. لتدارك الأمر، اتصل الملك، في ساعة متأخرة من الليل، بمستشاره بوطالب وسأله: هل توصلت اليوم بملف ما؟ جاء جواب المستشار: نعم.

فخاطبه جلالة الملك بقوله: هذا ملف لم يكن موجهاً إليك، بل هو ملف يجب أن يكون بين يدي أزولاي، ثم أضاف جلالته منبهاً: إذا ما تسرّب أي شيء من هذا الملف، فستكون أنت المسؤول عن تسريب الخبر!

فجاء جواب الأستاذ عبد الهادي بوطالب يقول: ألسْتُ محلّ ثقتك؟ على الأقلّ عاملني كوالدك!!

ربما كانت العبارة الأخيرة في هذا الحوار هي النقطة التي أفاضت الكأس، فاتخذ جلالة الملك قراره الذي لا رجعة فيه، بإعفاء الأستاذ عبد الهادي بوطالب، وهو القرار الذي وضع حدّاً لمهمته في الديوان الملكي.

قبل وفاة الأستاذ عبد الهادي بوطالب بعدة أشهر، اتصل بي هاتفياً يسأل عن أحوالي. وانعطف الحديث إلى السؤال عن أحوال الملك الحسن الثاني؛ ثم استوقفني قائلاً: أسّي المنصوري، إنني ليلة أمس، وأنا مستغرق في نومي، فإذا بصورة صاحب الجلالة تحضر أمامي، كان طيفه من أحلامي تلك الليلة!

بدا لي، بعد أن قصّ عليّ الأستاذ عبد الهادي بوطالب ما رآه في حلمه، أن الغاية من هذه المكالمات الهاتفية أن أقوم بإبلاغ جلالة الملك، ما حكاه لي محاطبي عن هذا الحلم.

الأستاذ إدريس السلاوي:



ومن الشخصيات السياسية المغربية التي تعرفت عليها، بعد أن التحقتُ بالديوان الملكي، السيد إدريس السلاوي. وهو صاحب خبرة كبيرة في مجال العمل السياسي، في مستوياته المتعددة.

والسيد إدريس السلاوي من الرعيل الأول، الذي أتاحت له الظروف متابعة دراساته العليا في فرنسا. وقد مال إلى الدراسات القانونية التي أهلته بعد عودته إلى المغرب لممارسة المحاماة في بداية مسيرته، في سنوات الخمسين من القرن الماضي.

وقد مكنت المهام التي تقلدها السيد إدريس السلاوي، والمسؤوليات التي مارسها، من اكتسابه خبرة في مجالات متعددة، تنوعت بين مهام الديوان الملكي ومسؤوليات وزارية مختلفة. وقد تَوَجَّح مسار السيد إدريس السلاوي بأن أصبح مستشاراً للملك الحسن الثاني، وهو الذي تعرف عليه منذ أن كان مولاي الحسن ولياً للعهد.

كانت علاقتي بالسيد إدريس السلاوي داخل الديوان الملكي علاقة عادية، ثم بدأت مع مرور الأيام، تأخذ منحى قَرَبنا من بعضنا أكثر. فأصبح يزورني في منزلي بالرباط، وأقوم بدوري بزيارته في منزله في الدار البيضاء، بين الحين والآخر، بل أكثر من ذلك، كُنَّا نتبادل الرأي في قضايا معينة ووقائع محددة. وسأسوقُ مثلاً على هذا الأمر، حينما كنتُ ذات يوم معه في سيارته، نقوم بجولة في مدينة الرباط. دار بيننا حديث جاب مجالات مختلفة، وأذكرُ أنه باح لي بالذي ما يزال عالقا بذهني، حينما تحدث عن المجاهد الربيفي عبد الكريم الخطابي. لقد صرَّح لي -وبنوع من التعاطف الكبير- قائلاً: إن الزعيم الوحيد الذي أعترف به زعيماً، هو ابن عبد الكريم الخطابي. وهذا الصدق في الحديث هو ما جعلني أخبره -وكنْتُ ما زلتُ برلمانيا وفترتي البرلمانية لم تكن قد انتهت- بأنني لن أتقدم للانتخابات البرلمانية المقبلة، وكان هو المستشار الملكي الذي أطلعته على هذا الأمر، بل، وقبل أن أخبر الملك الحسن الثاني بهذا القرار!

لقد جمعتني بالسيد إدريس السلاوي علاقة طيبة، لم يعكّر صفوها سوى ذلك الحدث الذي وقع -ولم تكن لي يد فيه - يوم صاحبتُ الملك الحسن الثاني إلى المركب الرياضي محمد الخامس بمدينة الدار البيضاء، لمتابعة مباراة كرة القدم يخوضها فريق الجيش الملكي مع فريق أجنبي، مما أشرتُ إلى سياقه العام قبلاً.

ويبدو أن السيد إدريس السلاوي قد راجع موقفه، وتبين أن مقاطعتي مدة أكثر من سنة، كانت نتيجة سوء فهم، وقد أشرتُ سابقاً، أنه قام بدعوتي إلى مأدبة عشاء بمراكش، ضمن مجموعة محدودة من مقربيه، وهم السادة: أحمد رضا أگدير، وإدريس البصري والدكتور ميثقال والدكتور بنعمر (الطبيبان الخاصان للملك الحسن الثاني)، وكان ذلك قبل أسبوع من دخوله المستشفى العسكري بالرباط، بعد أن ساءت حالته الصحية. وفي حالة مرضه، حافظتُ على استمرارية التواصل بيننا، فكانت عيادتي له بين الحين والآخر إلى أن وافاه الأجل، وانتقل إلى عفو الله يوم 7 فبراير 1999، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

الأستاذ محمد بوسته:



كانت علاقتي بالأستاذ محمد بوسته، على درجة عالية من الطيبة. كنتا نلتقي كثيرا في ملاعب الكولف، خلال الحصص التي يزاول فيها الملك الحسن الثاني هذه الرياضة. كنتُ أستمعُ بما يتمتع به الأستاذ بوسته، من روح مرحة، لا شك أنها تأصلت في أعماقه من الروح المراكشية المفعمة «بهجة».

لقد تعددت لقاءاتي بهذه الشخصية السياسية، خاصة خلال الأسفار التي جمعتني بالرجل، يوم تحمّل مسؤولية وزارة الخارجية، حيث سمحت هذه الرحلات بالاقتراب من بعضنا البعض بشكل أكبر، فضلا عن تلك المناسبات التي جمعتنا داخل القصر الملكي. كل ذلك، دفعنا لتبادل الزيارات، منها دعوته لي لحضور حفل زفاف ابنه، سيليه حضوره حفل زفاف ابني حكيم. وهكذا، اطردت علاقتي بالأستاذ محمد بوسته، واستمرت زياراتي له خلال مرحلة مرضه، حيث كنتُ أعوده بين الحين والآخر، إلى أن وافته المنية، تغمده الله بواسع رحمته.

السيد إدريس البصري:



إدريس البصري من رجالات المغرب المعاصر، الذين بصموا على الحياة السياسية المغربية على مدى ثلاثة عقود، خلال سنوات السبعين والثمانين والتسعين من القرن العشرين. تدرّج داخل دواليب إدارة الأمن الوطني إلى أن أصبح وزيراً للداخلية، أيام الملك الراحل الحسن الثاني، طيب الله ثراه.

لقد كان الملك الحسن الثاني، في بعض القضايا والملفات التي تتداخل فيها اختصاصات وزارات متعددة، يحتاج إلى مخاطب واحد، ومنقذ وحيد، إلى شخص كالصدر الأعظم، فكان السيد إدريس البصري الرجل المهيئاً لهذا الأمر. كان وزيراً وبيده مفتاح لكل الأبواب (Pass)، ولم يكن عمله مقصوراً على وزارته (وزارة الداخلية)، بل كان يتدخل في وزارات عديدة، وربما من هذه الزاوية، أطلق على وزارة الداخلية في زمنه، اسم «أمّ الوزارات».

كيف تعرفتُ إلى السيد إدريس البصري؟

تمّ ذلك في بداية سنوات السبعين من القرن الماضي. كنتُ يومئذ أشغلُ منصب رئيس الديوان مكلفاً بالخدمة المدنية، في وزارة التعاون والخدمة المدنية، التي كان على رأسها الدكتور محمد بنهيمة.

في هذه المرحلة، كان السيد إدريس البصري -وهو يومئذ كاتب الدولة في الداخلية- يتردد على الوزير بنهيمية في مكتبه بالوزارة، وخلال هذه الزيارات، كان السيد البصري يفضي إليه بما هو حاصل من سوء تفاهم مع وزير الداخلية في تلك الفترة، السيد حدُّو الشَّيْكَر.

ونظراً لخبرة الدكتور بنهيمية، وتمرسه بشؤون الدولة في مستوياتها المتعددة والمختلفة، فقد كان يوصي السيد البصري بضبط النفس، ومحاولة التأقلم مع طبيعة وزير الداخلية ورئيسه، موضحاً له أن الانسجام سيحدث مع مرور الزمن، واستثناس الطرفين ببعضهما.

لكن يبدو أن الأمر لم يحصل كما أمَّله الدكتور بنهيمية، بل ستثبت الأيام أن هذا التفاهم المنصوح به، لم يتم كذلك بين السيد البصري والدكتور محمد بنهيمية، يوم أصبح هذا الأخير وزيراً للداخلية.

ستتطور الظروف لصالح السيد إدريس البصري ليصبح سنة 1979 وزيراً للداخلية، في الحكومة التي ترأسها السيد أحمد عصمان، وشغلتُ فيها منصب وزير الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري. كانت علاقتي بالسيد إدريس البصري في بداية الأمر، علاقة عادية. كانت هناك بعض الأحوال التي لم تساعد على تطوير علاقتنا، وهي في مراحلها الأولى، بإيقاع سريع.

فمن الأشياء التي بطَّأت تطوير هذه العلاقة، إقداي على تأسيس جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط». لقد أنجزتُ ما أنجزتُ، دون أن أحشر وزير الداخلية السيد إدريس البصري في هذا الأمر. وهو الشيء الذي لم يرُقْه، خاصة أن الأعضاء الذين استقبلهم جلالة الملك لم يكن السيد البصري يعلم عنهم شيئاً. ومثل هذه المبادرات، يرغب السيد البصري أن تمر على يديه، وهو ما لم يتحقق معي، إلى أن وجد نفسه يُدعى في تاريخ معين، يوم استقبل الملك الحسن الثاني أعضاء مكتب الجمعية بقاعة العرش بالقصر الملكي بالرباط. ربما كان السيد البصري يتوجَّس خيفة من هذه الجمعية، لكنَّه سيُدرك فيما

بعد، أن «الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط» تسعى لخدمة الوطن، وبأطر مغربية من منطقة الريف. هذه الأطر التي كانت أبواب العديد من الوزارات مقفلة في وجوههم. وعن طريق جمعيتنا، اتسعت دائرة مساهماتهم، وقربت الكثير منهم من الدوائر العليا في البلاد.

ستنقش هذه السحابة التي لم تخيم طويلا على علاقتنا، وبدأ تواصلنا مع مرور الأيام يأخذ منحى تصاعديا في الانسجام، والاقتراب من بعضنا بشكل يسر سبل التفاهم بيننا بشكل كبير. لكن المنعطف الفاصل في علاقتي بالرجل، حصل يوم التحاق بالديوان الملكي، حيث بدأ مساراً آخر، اتسم في عمومها باتساع دائرة الثقة بيننا، والاحترام المتبادل، والمرونة المطلوبة لعلاقة طيبة، رغم بعض ما يشوش عليها بما يقع أحيانا من اختلاف وجهات النظر.

وأنا أتحدث عن علاقتي بالسيد البصري، والتي امتدت على مدى ثلاثة عقود ونيّف، لا يمكنني أن أغفل تسجيل ما قدمه لي هذا الرجل من مساندة، وأنا أسعى إلى تحقيق بعض الخدمات لمنطقتي في بلاد الريف. وأسجل في هذا السياق، أنني وجدت مساعدة من السيد إدريس البصري في مواقف متعددة، ربما من أهمها ما سأسردّه في الآتي:

لقد سعيْتُ -فيما سعيْتُ إليه من خدمة منطقتي- إلى نقل جماعة «العروي»، من جماعة قروية إلى بلدية. هدفي هو تحسين مستوى الحياة في هذه المنطقة. لكنني لقيتُ معارضة قوية من طرف عامل إقليم الناظور في تلك الفترة، مُعلِّلاً موقفه المعارض بوجود دائرتين أكبر من جماعة «العروي»، وهما «زايو» و«ميصار»، وبالتالي لا يمكن لجماعة «العروي» أن تتحول إلى بلدية قبل الدائرتين الأكبر.

يجهل المعارض أن قرية «العروي» كانت مسرحاً لمعركة عُرفت بمعركة «جبل العروي»، التي حُوصِر وُقُتِل فيها آلاف الجنود الإسبان من طرف المجاهدين والقبائل المجاورة، وأسر المئات، واستسلم فيها الجنرال «نيشارو».

ما وقع في معركة «جبل العروي»، جعل الإسبان يحقدون على هذه القرية، حتى إذا تمّ احتلالهم لشمال المغرب، عمدوا إلى تهмиشها، بل صنّفوها قرية مغضوبا عليها، فلم يُلتفت إليها، واستمر هذا التهмиش في بداية استقلال المغرب، ولم تنتبه الإدارة المغربية لهذا التهмиش الذي لحق هذه القرية. وحينما فكرت في الهيكلة الإدارية لتلك المنطقة من بلاد الريف، سنجدها تعمد إلى إنشاء «القيادة»، وتتخذ قرية «تيزطوين»، التي تحوّلت إلى جماعة، مقراً لها، وتمّ إغفال جماعة «العروي». ونفس التجاهل والتهмиش الذي طال هذه الجماعة أيام الاستعمار الإسباني سيستمر مع بداية مرحلة الاستقلال، إلى زمن خلق الجماعات، لتبقى «العروي» قرية تابعة ل «قيادة» وجماعة «تيزطوين»!

حرّاً في نفسي أن تكون تلك القرية التي خاضت أشرس المعارك ضد الجيش الإسباني، وألحقت به هزيمة نكراء، ضحية هذا الإهمال. فقّر عزمي على رد الاعتبار لهذه القرية المجاهدة. وكان من أهم الخطوات التي أقدمت عليها، باعتباري رئيساً مؤسساً ل «الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط»، إقامة أول مهرجان لذكرى «معركة أنوال»، في جبل العروي، وسميها «معركة أنوال و جبل العروي». فكانت مناسبةً للفت الانتباه إلى قرية مناضلة، محرومة من أبسط الأشياء المرتبطة بالبنية التحتية وغيرها. واستمرت جهودي في متابعة ما كنتُ أرغب في تحقيقه لهذه القرية. وهنا سأجدُ السيد إدريس البصري وزير الداخلية، مسانداً لي مرة أخرى، لإخراج «العروي» من دائرة التهмиش. كانت «العروي»، في عهد الاستعمار، وفي بداية الستينات من القرن الماضي، قرية مهمّشة، عدد سكانها لا يتجاوز مائة نسمة (100)، «هندستها» تتمثل في زنقة واحدة! بدون ماء ولا كهرباء! وكانت تتميز بسوق تجتمع فيه القبائل، مرة واحدة في الأسبوع، هو يوم الأحد. أنظر إليها اليوم ... مدينة يسكنها ما يقارب خمسين ألف نسمة (50.000)، وارتقت إدارياً إلى بلدية، ببنية تحتية لاثقة، تضمّ مدارس ومطاراً، ومستشفى ومسجداً كبيرين، وملاعب رياضية، ومرافق إدارية...

ومما سهل هذا الازدهار العمراني، وجود أخي مصطفى المنصوري رئيساً للمجلس البلدي للعروي، وما قام به من تبسيط المساطر الإدارية، وتحفيزه لمن يسعى إلى تطوير هذه البلدية، وهو الأمر الذي شجع الكثير من أفراد قبائل المنطقة على الانتقال إليها، بل لم تقتصر الهجرة على أبناء المناطق القريبة، بل استقطبت «العروي» هجرات من أصقاع أخرى من جنوب المغرب، وخاصة من أبناء مدينتي «الرشيدية» و «وارزازات».

أمر آخر أذكره لوزير الداخلية، السيد إدريس البصري، ويرتبط كذلك بتطوير المنطقة التي أنتمي إليها.

كنتُ دوماً حريصاً على اغتنام الفرص التي يمكن من خلالها تحسين الأوضاع هناك، مما يسهم في تنمية المنطقة، في إطار ما يتحقق للوطن ككل. في هذا الإطار، طلبتُ من السيد إدريس البصري، باعتباره وزيراً للداخلية، أن يُنشئ جماعة قروية في بني وُكيل، وكانت هذه الأخيرة مفرقة على بعض الجماعات. وكان غرضي هو جمع قبيلة بني وُكيل في جماعة واحدة مستقلة. وهو الأمر الذي تصدّى له عامل الناظور في تلك الفترة، و«اجتهد» لإجهاض مبادرتي! لكنني وجدتُ في وزير الداخلية المساندة القوية لتحقيق ما أمّلت. وخضع العامل لتعليمات وزيره، مع «المسة» من السيد العامل، تمثلت في إضافة قبيلة أخرى تجاور قبيلة بني وُكيل، هي قبيلة «أولاد فطومة»، لتشكلاً معاً «جماعة بني وُكيل وأولاد فطومة»، لكي لا تكون هناك جماعة بني وُكيل وحدها!

وقد حرصتُ على متابعة هذه المبادرة، إلى أن تمّ بناء مقرّ هذه الجماعة الجديدة في قبيلة بني وُكيل. واغتنمتُ فرصة زيارة الوزير الأول، السيد كريم العمراني، لإقليم الناظور، رُفقة وزير الداخلية، في إحدى المناسبات، ليقوم بالتدشين الرسمي لمقرّ تلك الجماعة. وهي الجماعة الوحيدة التي تمّ تدشينها من طرف وزير أول ووزير الداخلية.

والحق أن السيد إدريس البصري، وزير الداخلية، قد لَبَّى طلبِي هذا، اعتباراً لما صارت إليه صداقتنا من تعاون وتشاور، قائم أساساً على تحقيق ما يخدم وطننا؛ ولولا هذا الاحترام والتقدير المتبادل بيننا لما كَلَّف السيد إدريس البصري نفسه، صحبة الوزير الأول، لتدشين مقرّ جماعة صغيرة، كان بالإمكان أن يُنجز على مستوى عمالة المدينة.

مسألة أخرى وجدتُ فيها السيد إدريس البصري مسانداً لي في تحقيقها.

يتعلق الأمر بالضريبة (TVA) التي يدفعها مصنع الصُّلب والحديد، الموجود في جماعة «العروي». لكن، من كان يستفيد من مداخيل هذه الضريبة؟ المصنع يقع في جماعة «العروي»، والمنطقي أن تستفيد هذه الجماعة من تلك المداخيل، لتحسين أوضاع الجماعة! لكن هذه المداخيل كانت تحوّل إلى جماعة «سَلوان» المجاورة، لأمر ما...!

لقد تتبعتُ هذا الملف، فوقفْتُ على ما يلحق جماعة «العروي» من حيف! فهي لا تستفيد شيئاً من مصنع يوجد داخل ترابها الإداري. وقد علمتُ من خلال متابعتي لهذا الأمر، أن عامل الناضور في تلك المرحلة، يسعى بأن تستفيد جماعة «سَلوان» من مداخيل تلك الضريبة، نظراً لعلاقته مع رئيس الجماعة، وتحويل هذه المداخيل إلى جماعة «العروي» يعني حضور مراقبة لتلك المداخيل المالية.

في أحد اجتماعات المجلس الإداري للشركة الوطنية للحديد والصُّلب (SONASID)، حضرتُ بصفتي وزيراً للنقل، والسيد إدريس البصري، وبعض الوزراء الآخرين الأعضاء في هذا المجلس. وخلال هذا الاجتماع، أثرتُ مسألة الحيف الذي يلحق جماعة «العروي»، وعدم استفادتها من الضريبة على القيمة المضافة (TVA) التي تدفعها الشركة «سوناسيد»، وبسطتُ الأمر بتفاصيله.

وجدتُ السيد إدريس البصري متفهماً بشكل كبير لهذه المسألة، وقد لمس بالدليل، -من خلال تدخلي- ذلك الحيف الذي يطال جماعة «العروي». عَضَّد

وزير الداخلية موقفي، وأعطى تعليماته للمصالح المعنية لتحويل مداخل تلك الضريبة إلى جماعة «العروي».

ووجدتُ السيد إدريس البصري خير مساند لي مرة أخرى، حينما اعترضني عراقيل عديدة، عندما كنتُ وزيراً للنقل، لتحقيق فكري لإنشاء مطار إقليم الناظور، والذي أصبح اليوم يحمل اسم «مطار العروي». لقد عانيتُ عنتاً كبيراً في سبيل تحقيق هذا المشروع، وخاصة ما زرعه «اللوي الوجدي» في طريقي من أشواك، وما أقاموه من سدود لإفشال المشروع، رغم التعليمات الملكية الأمرة بإخراج المطار إلى حيز الوجود، وقد أشرتُ إلى هذا الموضوع في سياق سابق. وبقيتُ متتبعا لهذا الملف حينما عُينتُ بالديوان الملكي، ليطمّ تدشينه فيما بعد من طرف جلالة الملك محمد السادس حفظه الله.

ويمكن اليوم أن أقول: لولا مساندة وزير الداخلية، السيد إدريس البصري، لما تحقق هذا المشروع، الذي بدت نتائجه الإيجابية جلية للجميع، ولم تنحصر فوائده على منطقة الريف، بل شكّل شرياناً اقتصادياً للبلاد ككل، فضلا عما خلقه من حركية، وفّرت للمنطقة انفتاحاً أكبر في الاتجاهين الداخلي والخارجي.

وأنا أتحدثُ عما وجدته من تعاون إيجابي مع وزير الداخلية إدريس البصري، في إطار تحقيق مشاريع تخدم تنمية منطقة الريف، وفي نفس الآن تسهم في التنمية الشاملة لبلادي، لا بدّ أن أشير في هذا الصدد، إلى وقوفه إلى جانبي لإزالة العديد من العراقيل التي وُضعت في سبيل إنشاء خطّ سكة بين مدينتي الناظور وتاوريرت، عندما كنتُ وزيراً للنقل، واستمرت متابعتي لهذا الملف وأنا في الديوان الملكي، مما فصّلتُ القول فيه قبلاً.

هذه أيادي للرجل لا يمكن إغفالها، وأنا أسردُ جانباً من علاقتي بوزير داخلية بصم على الحياة السياسية المغربية في مرحلتها المعاصرة.

وإذا كانت الصورة التي ارتسمت في ذهن العموم عن وزير الداخلية، إدريس البصري، تتسم بنوع من الصرامة والحزم، فإن لهذه الشخصية وجهاً

آخر، يظهر حينما يكون في لحظات استمتاع، يلتقط فيها أنفاسه بعيداً عن الملفات الساخنة.

ومن أهم تلك اللحظات، وجوده على البساط الأخضر، وهو يمارس لعبة الكولف. وفي هذا الفضاء، وقعت بيني وبين وزير الداخلية إدريس البصري، ماجريات بعضها يعكس روح المرح التي تتخلل علاقتنا، وبعضها الآخر يشقّ عما يكدر صفو هذه العلاقة بين الحين والآخر، وباختصار، فإنّ ما سأحكيه في هذا الباب، يجسد ما كان يعتري علاقتي بوزير الداخلية من تموجات تعلق حيناً وتهداً حيناً آخر.

وأعرض الآن بين يدي القاريء ما وعدتُ بحكيه، ومسرح كل ذلك فضاءين للكولف.

ذات مرة، كنتُ أمارس لعبة الكولف مع السيد إدريس البصري، في ملعب مراکش. جولات اللعبة تسير متتابعة، حتى إذا أشرفنا على نهايتها، خاطبني السّي إدريس قائلاً: نحن الآن متعادلان ! نظرتُ إليه باستغراب وقلتُ: كيف؟ ليس الأمر كذلك! والحق أنّي كنتُ منتصراً عليه بنقطتين! ثم أضفتُ: أنّي ادريس... إذا أردت أن تكون منتصراً، فحقّق ذلك بمهارتك في اللعب! قُلْتُها باللسان الدارج هكذا: «جِبِيهَا بَدْرَاعَكَ»!

ضحك السّي ادريس من أعماقه حينما سمع تعليقي على كلامه، وأصبحتُ عبارتي التي أجبته بها «الازمة» يرددها على مسمعي ممزحاً، فكلمنا التقينا وكان مزاجه رائقاً صافياً يخاطبني «جِبِيهَا بَدْرَاعَكَ»، ثم يشفع ذلك بضحك يلفت انتباه الحاضرين معنا، دون أن يفهموا سياق ما نتبادلّه بيننا.

ومرة أخرى جمعتني بالسيد إدريس البصري لعبة الكولف، وكانت بملعب دار السلام بالرباط. كنّا ثلاثة أشخاص: أنا والبصري، وعبد الرحمان بوفتاس.

وسأسردُ جانباً من أشواط اللعب، للوقوف على بؤرة الحدث!

بدأ السي ادريس باللعب لتوجيه الكرة إلى الحفرة الأولى من أصل تسعة،
أي تحقيق ضربته الأولى. أين اتجهت الكرة؟ خرجت عن المسلك الذي يجب
أن تنزل فيه! كان سقوط الكرة في الغابة...!!

ومن باب التساهل معه، قلنا له: اضرب كرة ثانية. فسقطت بدورها في
الغابة...!!

جاء دوري، ضربتُ كرتي فسارت في المسلك الصحيح. وجاء بعدي
السيد بوفتاس، وسارت كرتة كذلك في مسلكها المطلوب.

تحركنا جميعاً نتابع كُراتنا، حتى إذا وصلنا إلى المكان الذي استقرت فيه
الكُرات، سَأفاجأ بوجود كرة السي ادريس أمام كُرتي؟؟؟!!

كيف؟ لقد رصدنا كرة السي ادريس وهي تسقط في الغابة، بعيدة عن
المكان الذي وجدناها فيه؟؟ بدأتُ أتساءل: كيف انتقلت كرة مرافقي في
اللعبة، من تراب الغابة إلى البساط الأخضر، وفي المسلك الصحيح، بل وأمام
كُرتي...!!

تبين لي أن في الأمر ما فيه...!!؟

انتبهتُ إلى أن المساعدين الذين يحملون الأدوات المخصصة للعب،
قد تسابقوا وسبقونا إلى مساقط الكُرات، وعزّ عليهم أن يروا كُرات وزير
الداخلية تسقط بعيداً عن هدفها، فعمدوا إلى حملها ووضعها في المكان الذي
يُرضي صاحبنا!

وهذا التصرف، يدخل في باب «عُطي للقائد ثريسو»...!!

لم يعجبني هذا التصرف، حملتُ كُرتي وانصرفتُ... وانصرافي احتجاج.
التحق بي البصري وبوفتاس، يطلبون مني إكمال أشواط اللّعب، لكنني رفضتُ
الأمر! وعاد الرجلان إلى إتمام اللعب فيما بينهما.

كانا يعرفان طبعي، خاصة حينما تعتريني لحظات الغضب...!

وإذا كانت الصورتان السابقتان على بساط ملعب الكولف تحملان طيَّهما ملامح من لحظات جمعتي بوزير الداخلية السيد إدريس البصري، وتميل إلى روح المرح أكثر، فإن الصورة الثالثة كانت بخلاف سابقتها.

جرت الواقعة الثالثة على بساط كولف دار السلام بالرباط. فماذا حدث؟

في ذلك اليوم، كنتُ أنهيتُ حصتي في لعبة الكولف، بمفردي كعادتي في أغلب الأوقات. وصل السيّ ادريس البصري إلى الملعب. التقينا وتبادلنا السلام. كنتُ أتهيأً للانصراف، في الوقت الذي كان فيه السيّ ادريس يستعد لبداية حصته مع السيد عبد الرحمان بوفتاس، وبوجود بعض الحاضرين.

بادرني مخاطباً: هل أصبح أخوك مصطفى هو اليد اليمنى لليوسفي (يقصد رئيس الحكومة السيد عبد الرحمان اليوسفي)؟

فوجئتُ بهذا السؤال! فقلتُ له: لم أفهم أسيّ ادريس ماذا تقصد؟

فجاء جوابه كالآتي: لقد حلّ عبد الرحمان اليوسفي بإقليم الناظور، وأقيم له حفل استقبال كبير في مطار العروي. وحينما سألت عمّن كان وراء هذا التنظيم، أخبروني بأن أخاك مصطفى المنصوري، هو الذي أشرف على هذا الأمر بصفته وزيراً ورئيس المجلس البلدي للعروي؟! وأنا أعلم العلاقة بين الاثنين وعطف اليوسفي على مصطفى! كان ناقل الخبر هو السيد العامل على إقليم الناظور.

قلتُ للسيد البصري: الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي رئيس حكومة جلالة الملك، فإذا استقبله الناس بالحفاوة، فقد استقبلوا رئيس حكومة جلالة الملك!

فجاء جواب السيد وزير الداخلية كالآتي: أنت في الديوان الملكي، وتعرف الخلفية والحيثيات...!؟

قلتُ له: إن مصطفى وزير معك في الحكومة، فاتصل به وانقل إليه هذا الكلام الذي فُهِتَ به !

وخلال هذا الحوار الذي دار بيني وبين السيد إدريس البصري، لاحظتُ أنه كان في حالة قلق تسرّبت إليه من شعور ببداية انفلات خيوط السُّلط من بين يديه، والتي بدت بعض ملامحها مع مرحلة حكومة اليوسفي ؛ وبانفعالٍ أكبر خاطبني في الأخير بقوله: إذا ما داومْتُم على هذه الحالة، فستعرّضون البلاد إلى عدم الاستقرار...!! وهذه العبارة ألقاها على مسمعي باللغة الفرنسية:

«Si vous continuez comme ça, vous allez déstabiliser le pays »

أثارت هذه العبارة الأخيرة غضبي، فصرختُ في وجه الوزير، وقلتُ بانفعالٍ حادّ بنفس اللغة التي خاطبني بها: إذا كان هناك من سيدفع البلاد إلى عدم الاستقرار، فهو أنت...!!

(S'il y a quelqu'un qui va déstabiliser le pays, c'est bien toi !)

شُده الحاضرون الذين كانوا واقفين في المكان الذي جرى فيه هذا الحدث، وتفرقوا شذّر مدّر عندما بدأتُ أصرخُ في وجه وزير الداخلية، وربما كان هُروبُهُم تخلُّصاً من صفة الشاهد على ما حدث !؟

علمتُ فيما بعد أن وكالة تنمية الشمال عقدت اجتماعها الدوري في إقليم الناظور، وترأسه رئيس الحكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، وكان أول اجتماع له كرئيس حكومة، وكذلك أول زيارة له لهذا الإقليم. فخصّص السكان في ذلك الإقليم، ذلك الاستقبال الكبير، الذي نسب عامل الناظور تنظيمه إلى أخي مصطفى المنصوري. فكانت تلك الوشاية أسّ ما أثار حفيظة وزير الداخلية.

هذه الواقعة أثّرت في علاقتي بالسي إدريس البصري، فأرجعت عقاربها إلى الوراء. واستمرت هذه البرودة مخيِّمة على الأجواء إلى وفاة الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، حيث سيتجدد لقاءنا.

كيف تمّ ذلك؟

ذهبتُ لتقديم واجب العزاء إلى سموّ الأميرة للا مريم في منزلها، فوجدتُ السيد إدريس البصري في الصالون لنفس الغاية. وعند مغادرتنا لمنزل الأميرة، طلب منّي مصاحبته في السيارة. تبادلنا الحديث، فقلتُ له: السّي ادريس، عفا الله عمّا سلف، وما وقع بيننا يجب نسيانه، نحن الآن في جوّ آخر، ورحم الله الملك الحسن الثاني.

أجابني بقوله: أنا بدوري أخطأتُ في حقك، فسأحني. ما كان عليّ أن أتفوّه بذلك الكلام الذي نطقْتُ به، ولكنني كنتُ في تلك اللحظة متوتراً بشكل كبير.

بعد هذا اللقاء، سأكون شاهداً على جانب من اللحظات الأخيرة، لصورة وزير الداخلية السيد إدريس البصري، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس، في مرحلة من مراحل الحياة السياسية في المغرب المعاصر.

سأعمدُ إلى تركيب هذه الصورة، بترتيبها الزمني، الذي بدأ بلقائنا على أرضية مطار سلا العسكري مكاناً، وأوائل شهر نونبر من سنة 1999 زماناً. كان جلاله الملك محمد السادس حفظه الله، مقيماً في تلك الفترة بمدينة مراكش. كنتُ أفضي العطلة الأسبوعية يومي السبت والأحد في منزلي بالرباط، لأعود إلى مراكش صبيحة يوم الاثنين، وكذلك الشأن بالنسبة لبعض المقربين من المحيط الملكي. حضر السيد إدريس البصري إلى المطار، مرفوقاً بالموظفين السامين في وزارة الداخلية كما جرت العادة بذلك. وعند وصولنا إلى مراكش، ذهب كلُّ منّا إلى الفندق الذي سيقم فيه. كانت إقامتي في فندق «المامونية»، وإقامة السيد البصري في فندق آخر. عند دخولي إلى «المامونية»، لمحتُ في بهوه السيد أحمد الميداوي جالسا، حتى إذا رأني، وقف متجهاً نحوي، فتبادلنا التحية وحديثاً مقتضياً، لأصعد إلى غرفتي لتغيير ملابسني استعداداً للالتحاق بالقصر الملكي، المحدد زمانه في الحادية عشرة صباحاً. والحق أن وجود السيد أحمد

الميداوي في فندق «المأمونية»، أثار في نفسي تساؤلات ؟ ورَدَدْتُ في خاطري:
ماذا يفعل السيد الميداوي هنا؟ وتتابعَت الاستفهامات...؟؟

التحقتُ بالقصر الملكي، وجلستُ مع بعض الحاضرين داخل القاعة
المخصصة لذلك. وبعد مرور فترة من الزمن، لمحتُ دخول الجنرال حسني
بنسليمان، والجنرال عبد الحق القادري، وهما يصاحبان السيد أحمد
الميداوي...؟!

دخلوا مباشرة إلى مكتب جلالة الملك محمد السادس. لم يستغرق
وجودهما داخل المكتب مدة طويلة. وبعد مغادرتهما، علمنا أن جلالة الملك
محمد السادس حفظه الله قد عيّن السيد أحمد الميداوي وزيراً للداخلية.

ظل الجميع في القاعة، ننتظر خروج جلالة الملك. ونحن على تلك الحال،
قمتُ لغسل يديّ فمررتُ بالمكان الذي يتواجد فيه «قَائدِ التَّوْبَةِ» و«لَمَحَازِنِيَّة»،
وكان قريباً من مكتب الملك. ففوجئتُ بوجود السيد إدريس البصري، جالسا في
مكان «لَمَحَازِنِيَّة»، الذي يضجّ عادة بهؤلاء الأشخاص في حركة دائبة ويقظة.
لكنني في تلك اللحظة، وجدته قاعاً صافصفاً!! لا أثر لأي «مُحَازِنِي»، وأنا الذي
كنتُ شاهداً على ذلك التهافت الكبير من طرف هؤلاء، على ذلك الرجل، بمجرد
أن تطأ قدماه باب القصر!

وجدتُ السّي ادريس وحيداً! كان ينتظر خروج الملك من مكتبه!
أفشيئتُ السلام، وجلستُ إلى جانبه على كرسي من خشب يمتد طويلاً. كان في
حالة قلق. سألني: ماذا جرى؟

قلتُ: لا علم لي بأي شيء! واللحظة أُخبرْتُ بأن وزيراً للداخلية قد تمّ
تعيينه من طرف جلالة الملك.

هكذا عشتُ جانبا من اللحظات الأخيرة من مسار هذا الرجل الذي
التقيته صباح ذلك اليوم في مطار سلا العسكري وزيراً لأم الوزارات، مرفوقاً

بجهاز متكامل من الموظفين السامين في وزارته، لأودعه من قاعة «المخازنية» بالقصر الملكي في مراكش، وقد سُحبت منه الصفة الوزارية. وكان هذا آخر لقاء لي مع السيد إدريس البصري. هذا الوزير الذي كانت كل القوى الحية للبلاد، تصطف داخل أحد صالونات منزله، صباحاً أو مساءً، من بينها بعض رؤساء الأحزاب من اليمين إلى أقصى اليسار، وبعض أعضاء مكاتبها السياسية، والنقائيين، وكذا بعض الوزراء والسفراء، وعمداء الكليات والأساتذة، وبعض البرلمانيين ورجال الأعمال، وغير هؤلاء. كلُّ يمجج إلى منزله، وبين يديه حاجات يريد قضاءها ! منهم من يبحث عن منصب وزاري، ومنهم من يبحث عن منصب سام في الدولة، وآخرون يسعون لحلّ مشاكلهم. هذا الوزير، وبهذه السطوة، غدا اليوم يجلس وحيداً، على كرسي في ممر بالقصر الملكي في مراكش.

لقد عمدتُ إلى الحديث عن هذه الواقعة في سياق رسم طبيعة علاقتي مع وزير الداخلية السيد إدريس البصري، الذي صاحبته في مواقف مختلفة، تمتد بين القصر الملكي والبساط الأخضر للگولف، والقوم ملتفون حول إدريس أمراً ناهياً، وممر «المخازنية» في قصر مراكش، والوزير وحيداً، والممر صافراً !

وعلى مرّ السنوات التي عرفتُ فيها السيد إدريس البصري، لم تكن علاقتي به تتخذ خطأً مستقيماً، بل تراوح إيقاعها صعوداً ونزولاً، حسب الظروف والحيثيات المصاحبة، لكنها حافظت -بشكل عام- على التوازن المطلوب، غير المخلّ بالاحترام المتبادل.

جماع القول في هذا الباب: هناك شيء واحد، لا يمكن لأيّ أحد من الذين عرفوا السيّد إدريس عن كثب، أو من الذين خبروه في مواقف مختلفة، أن يُسقطه من سجلّ هذا الوزير: إخلاصه غير المحدود للملك، وللعائلة الملكية، وتفانيه في خدمتهم وخدمة الوطن، إلى جانب إيمانه الراسخ بالنظام الملكي الذي يعتبر النظام الملائم لوطننا، بمختلف مكوناته، للمحافظة على وحدته الترابية واستقراره.

السيد مولاي مصطفى العلوي:



ومن الشخصيات التي سمحت لي مهامي الالتقاء بها، والتعرف إليها، مولاي مصطفى بلعربي العلوي، الذي شغل في فترة زمنية، أيام الملك الحسن الثاني، منصب سفير المغرب في روما، ثم منصب وزير العدل، إلى جانب مهام أخرى في مستويات مختلفة، بعدما كان في بداية الاستقلال، إطارا في وزارة الداخلية، ليشغل فيما بعد، منصب عامل إقليم الدار البيضاء.

والسيد مصطفى العلوي هو ابن شيخ الإسلام مولاي العربي العلوي، الذي كان على علاقة بالمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي. وهذه العلاقة كان لها تأثير في الابن مصطفى، الذي كنتُ أُلْسُ فيه نوعا من التعاطف مع منطقة الريف. وقد عُرف الرجل، وهو يتولى تلك المسؤوليات المتعددة، باستقامته وتفانيه في كل ما أسند إليه من مهام.

وكان اقترابي من السيد مصطفى العلوي، فرصةً سانحة للوقوف على هذه الخصال التي اتسم بها، والتي لمسها كلٌّ من أتيح له التعامل معه، والاطلاع عن كُتُب على ما ميّز مسيرته، من جدية وانضباط.

كنتُ أحد هؤلاء الذين لمسوا في الرجل سعيه لإحقاق الحق، ورفع الظلم عن لحقه، وبدا لي ذلك بشكل جلي، حينما تولى السيد مصطفى العلوي مسؤولية وزارة العدل.

وقد سمحت الظروف بالوقوف على هذا الأمر، من خلال مجموعة من الوقائع، أقدمُ صورتين منها في الآتي:

في إطار ما كانت تموج به الساحة السياسية المغربية في بعض الفترات، وما عرفته من صراعات، سيتعرّض عنصران من حزب التجمع الوطني للأحرار للاعتقال، بتهمة ملفّقة، هما السيدان: محمد بوهريز منسق الحزب في مدينة طنجة، والطاهر شاكر، رجل الأعمال والمتعاطف مع حزب التجمع.

في خضمّ ما وقع، اتصلت بي هاتفيا السيدة زليخا زوجة السيد بوهريز وأخت الطاهر شاكر، لثخبرني بما حدث. وقد أكّدت لي أنها اتصلت بالسيد أحمد عصمان -الذي كان صديقا للعائلة ويزورهم كلما حلّ بطنجة- لتعلمه بإلقاء القبض على زوجها، وأخيها الطاهر شاكر. وبعد انتهاء المكالمة، ظلّت تنتظر جوابا. ولما طال الانتظار لساعات -كما حكّت- عاودت الاتصال به، لتدرك من سياق الواقعة أن السيد عصمان تملّص من الموضوع، ولم يقم بأية مبادرة في هذه القضية !!

كنتُ أشعرُ من خلال كلمات السيدة زليخا، وفي نبرة صوتها عبر الهاتف، نوعا من الحسرة تنتابها، والألم يعتصرها من التطورات التي عرفتها قضية زوجها وأخيها.

كان لديّ اقتناع راسخ بسلامة طويّة الرجلين، كما أنّي أكنُّ للسيدة زليخا احتراما كبيرا لما تتمتع به من نُبل، وما تقوم به من أعمال اجتماعية لصالح الأسر الفقيرة في مدينة طنجة، فكانت بهذه السيرة، امرأة محترمة في الوسط الاجتماعي بهذه المدينة. وإلى جانب هذا الأمر، كانت سيدة محبوبة في وسطها العائلي، ويكفي أن أذكر في هذا السياق، ما عُرف عنها من حرص على جمع أفراد العائلتين، بوهريز وشاكر، كل يوم جمعة حول مائدتها الشهية، فقد شُهد لها بأنها ربّة البيت بامتياز. لكل ذلك، تحظى عندي السيدة زليخا بمعزة

عميقة، وأعتبرها فرداً من عائلتي، وهي نموذج للمرأة الريفية لامتلاكها كل المواصفات الأصيلة لتلك المرأة. لذا يجلو لي أن أناديها بأختي «المائزة».

لكل أولئك، وجدت نفسي، أخلاقياً، ملزماً بالوقوف إلى جانب هاتين العائلتين، في تلك الظروف الحرجة، فسعيْتُ إلى تبديد ما تراكم من غيوم في سماء صديقين عزيزين، مؤمناً بأن مع العسر يسرا.

كان اتصالي الأول بالسيد عامل مدينة طنجة، أستفسر عما جرى؟ كان جوابه أنّ الملف بين يدي رئيس الدرك في جهة طنجة، وهو الذي يتوفر على كلّ المعلومات حول هذه القضية. حينما سمعتُ جواب السيد العامل، قررتُ الاتصال بالجنرال حسني بنسليمان، الذي تربطني به علاقة خاصة، وجمعتنا مناسبات عديدة، علماً أن الرجل لا يحب الاختلاط كثيراً.

حينما اتصلتُ بالجنرال، أخبرته أنّني قادم إليه، لتتحلّق حول فنجان قهوة. رحّب بقدمي، وتمت الجلسة في منزله. فاتحته في الموضوع، وسردتُ له الوقائع المرتبطة بهذا الملف، فلم يتردد في الاتصال بالمسؤول الأول عن الدرك الملكي في جهة طنجة. كان الاتصال هاتفياً، وكنتُ أستمع إلى الحوار الذي دار بين الرجلين. ومن بين الأسئلة التي طرحها الجنرال، سؤاله إن كان اسم السيدين بوهريز وشاكر مدوّن لدى الدرك، في جهة طنجة، حول تهمة ما؟ فجاء جواب رئيس الدرك في تلك الجهة بالنفي، ثم سأله ثانية: هل لديك معلومات حول الرجلين؟ فأخبره أنهما يتمتعان بمركز اجتماعي محترم، ثم أضاف: إن السيد عامل مدينة طنجة قد أضافهما إلى لائحة المشبوهين في المنطقة، بناء على تعليمات!...

اتضح من خلال الحديث الذي دار بيني والجنرال حسني بنسليمان بعد انتهاء هذه المكالمة، أن هذه النازلة تدخل في إطار عملية نسجت خيوطها من طرف المخزن، لتشويه حزب التجمع الوطني للأحرار ورئيسه، من خلال تشويه سمعة منسّقه في مدينة طنجة محمد بوهريز وصديقه الطاهر شاكر، والذي تجمع بينهما المصاهرة، وانتمائهما معاً إلى منطقة الريف، وبالضبط إلى

قبيلة المظالسة؛ إلى جانب أنّ هذا الأخير - وهو رجل أعمال - لم يكن يبخل بمساعدته المالية، ومساندته لحزب التجمع. والحديث الذي دار في جلستي مع الجنرال حسني بنسليمان، أبان عن معرفة هذا الأخير بتينك العائلتين، منذ كان عاملاً على مدينة طنجة، لذلك كانت مفاجأته كبيرة حينما أعلمته بإلقاء القبض على السيدين محمد بوهريز والطاهر شاكر، لعلمه بالمكانة الاجتماعية للرجلين وللعائلتين.

هناك سؤال قد يرد في هذا السياق، يرتبط بدوافع ما حيكَ لحزب التجمع الوطني للأحرار في مدينة طنجة؟ إن المسألة من أساسها مبنية على مكيدة، نُسجت في إطار التضييق على هذا الحزب، بعد تواطئه مع المعارضة، لتقديم ملتصق الرقابة، مما أشرتُ إليه قبلاً.

أما بالنسبة لي، فقد كان الأمر واضحاً، لأنني أعرف الرجلين تمام المعرفة، فهما من الأعضاء المؤسسين لجمعيتنا، جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»، وكلُّ منهما رجل أعمال له مكانته، فضلاً عما يتحملانه من مسؤوليات في الحياة العامة. فالسيد محمد بوهريز، كان برلمانياً ورئيس جهة طنجة، وفي المجال الرياضي، كان رئيساً لفريق «اتحاد طنجة» لكرة القدم، وكذا رئيساً للمعب الكولف بنفس المدينة. أما السيد الطاهر شاكر، سلفُ السيد بوهريز وصديقه الحميم، فقد كان رئيساً لجمعية المقاولين للبناء، ورئيساً للنادي البحري في مدينة البوغاز.

لكل ذلك، كان عليّ أن أقف إلى جانب الرجلين، لرفع الحيف الذي لحقهما، فكان اتصالي مع عامل مدينة طنجة، ثم الجنرال حسني بنسليمان. وبعد جلستي مع هذا الأخير، والإمساك بخيوط الخديعة، والسبيل الماكر الذي تمّ ركوبه للإساءة إلى السيدين بوهريز وشاكر، أسرعْتُ في الاتصال هاتفياً بوزير العدل السيد مصطفى العلوي، بمجرد مغادرتي لمنزل الجنرال حسني بنسليمان، وأشعرته أنني قادم إلى مكتبه للقاءه.

استقبلني مولاي مصطفى العلوي بكل حميمية، تعكس عمق المودة التي تجمع بيننا. عرضتُ أمامه ما دار في جلستي مع الجنرال حسني بنسليمان، لأضعه في الصورة الحقيقية للموضوع، وكشفتُ له أن المسألة لها خلفية سياسية ليس غير، ثم أضفتُ قائلاً: لن أخرج من مكتبك إلا بعد تصفية هذه القضية!

وقد دامت إقامتي في مكتب وزير العدل، صديقي مولاي مصطفى العلوي، حوالي ساعتين. شرع الوزير في اتصالاته مع مصالح وزارته المركزية والجهوية، لجمع المعطيات الدقيقة، قبل اتصاله بوكيل الملك بمدينة طنجة. كان اليوم يوم الجمعة، وقد تعذر الاتصال بالوكيل في بداية الأمر، غير أن مولاي مصطفى العلوي، ظل حريصاً على مواصلة محاولاته التي دامت زمناً طويلاً، لتتم في النهاية تلك المكالمة، التي من خلالها سيأمر وكيل الملك بإطلاق سراح السيدين محمد بوهريز والطاهر شاكر، بعد أن أصبح متأكداً من براءتهما، وشرح للوكيل أن المسألة لها خلفية سياسية، وأن ما حيكَ لهما، لم يكن سوى انتقام من حزب التجمع الوطني للأحرار. أُطلق سراح الرجلين، ولم يبيتا ليلة واحدة في مركز الشرطة.

أما النازلة الثانية التي وجدتُ فيها السيد مصطفى العلوي إلى جانبي، مسانداً لردِّ الاعتبار لمن لحقه ظلم، فتتعلق بالدكتور مصطفى أجعون، وهو طبيب وصاحب عيادة معروفة في مدينة الناظور. فماذا حدث للرجل؟

للدكتور مصطفى ابنة كانت في تلك الفترة لا يتجاوز عُمرها ثلاث عشرة سنة. وذات يوم، أُخبر بأن شاباً يضايق ابنته ويتحرش بها، بل بلغه فيما بعد أن الشاب المتهور الذي يبلغ من العمر حوالي عشرين سنة، قد تناول على ابنته؛ فترصد الدكتور مصطفى لهذا المعتدي، وأشبعه ضرباً مبرحاً ترتب عنه أضرار جسدية بليغة. ألقى القبض على الطبيب، وحُكم عليه بسنتين حبساً نافذاً، وشكّل هذا الأمر محنة للأسرة تنضاف إلى ما لحق ابنتها من أذى. مرت عدة أشهر وأب الأسرة في السجن. بعد هذه المدة، اتصل بي أخ الدكتور مصطفى

طالباً مَنِّي مساعدة هذه الأسرة التي تكالبت عليها المآسي وحوّلت حياتها إلى معاناة كبيرة. تحفظتُ في بداية الأمر، لأنني لا أتوفر على المعطيات الدقيقة حول ما جرى، وليس لديّ صورة واضحة للواقعة. تعددت الاتصالات بي من أطراف مختلفة، بل إنني سأفاجأ، ذات يوم في الصباح، بزيارة زوجة الدكتور مصطفى صحبة ابنتها إلى منزلي، ما مكّني من سماع ما جرى من مصدره، والوقوف على حقيقة الأمر بشكل دقيق.

والحقّ أنّني صُدمتُ منذ الوهلة الأولى التي رأيتُ فيها ابنة الدكتور مصطفى! لقد كنتُ أعتقدُ أنها ابنة شابة، وفي مرحلة من العمر تتحمل فيها كامل المسؤولية في تصرفاتها! بيد أنّي وجدتُ نفسي أمام فتاة ما تزال ملامح الطفولة تنبعث من ملامحها، مع مُسحة من الحياء المنبثق من تقاليد تربوية أصيلة، لا تغيب عن المنطقة التي تنتسب إليها هذه العائلة. استمعتُ من الأم لكل الوقائع التي أحاطت بالقضية. فقرّرتُ عزمي أن أقف إلى جانب هذه الأسرة، مساعداً لها لانتشالها من واقع مأساوي، تسبّب فيه نوع من الحيف الذي أحاط بحيثيات ما وقع، بما فيها تدخلات عائلة الشاب المتهور، في السير العادي للملف. هنا ستأوجهُ مرة أخرى إلى السيد مصطفى العلوي وزير العدل في تلك المرحلة.

اتصلتُ به هاتفياً، وحددنا موعداً لزيارته في مكتبه. وفي الموعد المحدد، كنتُ مع السيد الوزير، ولكنني لم أكن بمفردي! وقد تفاجأ عندما صحبتُ معي البنت/الضحية ووالدتها، وقد أقدمتُ على ذلك، دون إخبار الوزير بهذا الأمر!

كنتُ أعرف أن السيد مصطفى العلوي أب لبنتين، لم يرزق غيرهما، وبالتالي توقعتُ نوعاً من التعاطف مع الضحية المعتدى عليها، ابنة الدكتور مصطفى. مهّدتُ لحكي الواقعة، ثم تركتُ الأم تحكي له تفاصيل ما جرى، والضحية بملامحها الطفولية البريئة تجلس أمام وزير العدل، الذي ذهل لما

سمع. ولا شك أن غريزة الأبوة تحركت في أعماقه، وأن مشاعر «أب البنيتين» قد هزّت وجدانه، فاستطلع الأمر من مصالحه الإدارية في الوزارة، ليقف على حقيقة سير ملف قضية الدكتور مصطفى، ومن ثمّ سعى إلى إطلاق سراحه، وهو ما تمّ بالفعل.

هذان موقفان أذكرهما لوزير العدل مولاي مصطفى، الذي جمعني به صداقة على مدى فترة زمنية ليست بالقصيرة، وقفتُ خلالها على شهامة الرجل، ونبل أخلاقه، ونزاهته وهو يتحمل مسؤوليته داخل دواليب الدولة المغربية. ولقد بقيتُ محافظاً على علاقتي بهذا الصديق، بعد أن تقاعد ولم يعد ممارساً لأية مهمة وزارية أو غيرها. كنتُ أتردد عليه في منزله، بين الحين والآخر، صحبة صديقنا عبد اللطيف الجواهري، وتدور بيننا أحاديث في أمور شتى.

وذات مرة، أخبرني برغبته في لقاء الملك الحسن الثاني، وأنه عبّر عن هذه الرغبة للسيد كريم العمراني، الذي كان يشغل منصب وزير أول في تلك الفترة. وأضاف: لقد انتظرت مدة طويلة، ولم أتلق أي جواب من السيد الوزير الأول. ثم أردف: هل يمكن أن تبلغ هذه الرغبة إلى جلالة الملك؟

سمعتُ طلب مولاي مصطفى، وراحت ذاكرتي تسترجع تلك المواقف النبيلة التي لمستُها من الرجل، كلما التجأتُ إليه، يوم كان وزيراً للعدل. فما كان منّي إلا أن أجب طلبه، ووعدته بتبليغ رغبته إلى جلالة الملك، في أول فرصة تسمح بمخاطبة جلالته في الإطار المناسب لذلك.

كنتُ حريصاً أشد الحرص، على تحقيق رغبة صديقي مولاي مصطفى. من حسن حظي أن تهيأت الفرصة الملائمة، دون أن أنتظر طويلاً. اغتنمتُ وجودي مع الملك الحسن الثاني، فأبلغته رغبة وزير العدل السابق مولاي مصطفى في السلام على جلالته، وأشرتُ في نفس السياق أن مصطفى العلوي قد طلب من السيد كريم العمراني إبلاغ هذه الرغبة إلى جلالته؛ فكان جواب جلالة الملك: لم يخبرني كريم بأي شيء من ذلك !!

ثم أردف جلالته قائلاً: ليأت معك غدا...

كان جلالة الملك في اليوم الموالي سيقضي حصته الرياضية في لعبة الكولف، بملعب المحمدية، لذا حدد جلالته هذا المكان ليكون فضاءً لتحقيق رغبة وزيره السابق مصطفى العلوي.

أخبرتُ صديقي بتحقيق رغبته، وأن موعداً حُدِّد له مع جلالة الملك. فاقترحتُ عليه أن أمرَّ به لآخذه بسيارتي من منزله، والذهاب معاً إلى ملعب الكولف في مدينة المحمدية. هناك تمَّ استقبال السيد مصطفى العلوي من طرف الملك الحسن الثاني، حيث دار حديث بين الاثنين بعيداً عن الجميع. والحق أنني شعرتُ بارتياح كبير يغمرني، بعد أن استطعتُ تحقيق هذه المساعدة لصديق أكنُّ له كل التقدير والاحترام.

صديقي العزيز السيد عبد اللطيف الجواهري:



من رجالات المغرب الذين أعتزُّ كثيراً بصدقتهم، السيد عبد اللطيف الجواهري، الذي أسعدني الزمن بالتعرف إليه سنة 1978، وهي السنة التي تعيَّننا فيها وزيرين في حكومة واحدة، أسند إليَّ فيها منصب وزير الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري، وشغل السيد الجواهري منصب وزير

منتدب مكلف بتقييم وإصلاح المؤسسات العمومية. ومنذ ذلك التاريخ، أخذت علاقتنا منحنى تطورياً استمر على مدى عقود، وتمتد إلى يومنا هذا، وقد أشرفت على إكمال ما يقارب نصف قرن من الزمن.

ويعتبر السيد عبد اللطيف الجواهري من الشخصيات التي بصمت على الحياة الاقتصادية والمالية في المغرب، من خلال المناصب التي تقلدها، سواء داخل الحكومة أم في القطاع البنكي، دون أن ننسى أنه أحد مناضلي الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (UNEM)، وخريج الجامعة المغربية (كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس بالرباط). وبعد تخرجه في هذه الكلية، كانت رغبته في الالتحاق بوزارة المالية، فتصدى له الوزير الاستقلالي محمد الدويري، الذي كان يشغل يومئذ منصب وزير الاقتصاد الوطني والمالية. شكّل هذا الأمر منعطفا في مسار صديقي عبد اللطيف الجواهري، الذي ولّى وجهه صوب بنك المغرب، والتحق بهذه المؤسسة المالية كخطوة أولى في مساره المهني. وبعد سنوات من العمل، سيشغل منصب وزير منتدب لدى الوزير الأول. ومن قلب هذه المؤسسة، عيّن في منصب وزير المالية من سنة 1981 إلى 1986، وهي من الفترات الدقيقة التي مرّ منها الاقتصاد الوطني. ونظرا لكفاءة السيد عبد اللطيف الجواهري، عُيّن رئيساً مديراً عاما للبنك المغربي للتجارة الخارجية، ثم والياً لبنك المغرب سنة 2003، وهو المنصب الذي ما زال يشغله إلى اليوم. وقد أبان من خلال إدارته لهذه المؤسسة المالية الوطنية عن حنكة عالية، تمّت الإشادة بها وطنيا ودوليا.

ولمّا كان عبد اللطيف الجواهري من أصدقائي الحميمين، فقد سمح لي هذا الموقع بالاقتراب أكثر من هذا الرجل. ولا أخفيك أيها القارئ الكريم، أن ما عمّق هذه الحميمة مع صديقي عبد اللطيف، ميولاتي اليسارية، من خلال تعاطفي مع منظمة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب (UNEM)، الذي ترسّب في وجداني منذ كنت طالبا في فرنسا.

هذا التقارب بيننا، سمح لي بالوقوف عن كثب على جملة من خصال هذا الصديق ومؤهلاته. لقد عرفتُ فيه تلك الشخصية التي تتمتع بكفاءة عالية في عالم المال والاقتصاد والسياسة، إلى جانب ما يتمتع به من استقامة، وصرامة، وجرأة في الصّدع برأيه فيما يُسند إليه من ملفات، سواء منها ما يقدّم على المستوى الوطني، أم تلك التي يطرحها أمام المؤسسات المالية الدولية.

عبد اللطيف الجواهري رجل عُرف بكفاءته، وموضوعيته، وجرأته، وغيرته الوطنية، فأكسبه كل ذلك مصداقية عند الملك الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وجمالة الملك محمد السادس، حفظه الله، واحتراما من طرف الهيئات المالية الدولية، كالبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وهو ما أهّله أكثر من مرة، ليحظى بتنويه من جهات دولية، باعتباره أحد أكفأ ولاية الأبنك في العقود الأخيرة.

ولا تحسبْ عبد اللطيف من خلال ما رسمته من ملامح لشخصيته، رجلا منعزلا أو منقبضا، بل لصديقي هذا، وجه آخر يكشف عن شخصية مَرحة، متذوقا للفن الموسيقي الرفيع، ويكفي أن أشير هنا إلى أنّ صاحبي من كبار عشاق فن الآلة والملحون، ومن المتذوقين بدرجة عالية، لأغاني كبار الفنانين العرب، وخاصة فريد الأطرش، وأمّ كلثوم، ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ.

ولَعَّ آخر ينبري إليه عبد اللطيف حينما يرغب في الترويح عن النفس، يتمثل في «لعب الورق». كانت جماعتنا تجتمع بانتظام في زمن يتحدد بالاتفاق، وفي منزل أحد أفراد الجماعة. كان عبد اللطيف يجد متعة كبيرة في ممارسة لعبة الورق، وخاصة التوتي بريدجي. ومن الطريف أنه لم يكن يقبل الخسارة في هذا اللعب! وهذا يضيفني على جلستنا نوعا من الدُّعابة، ويطلق تعاليق تعمق جوّ المرح في مجلسنا، من ذلك أننا نخاطب صاحبنا عبد اللطيف ونقول له: أنت محظوظ، وتسعفك اللعبة، فتحصل على الأوراق الجيدة التي تمكنك من الغلبة!

ودعني، أيها القاريء، أبسط أمامك تلويناً من تلوينات هذه الجلسة وما يدور فيها، وئشيع المرح بيننا.

أختارُ لك تلك اللحظة - ونحن نمارس لعبة الورق «التوتي بريدجي»- التي لا يحظى فيها عبد اللطيف بأوراق تسمح له بربح ذلك الشوط ! ماذا يحدث ؟ نسمعه - وهذا أمرٌ يثير فضولنا- ينطق بهذه العبارة: «قَبَسَ قَابِسٌ وَحَجَرَ يَابِسٌ»؟؟!

لكن الغريب أنه بمجرد أن ينطق بهذه العبارة، تتحول الأوراق الراجعة إلى يده في الشوط الموالي؟! ويعود الحظ إلى جانبه !

تتعالى أصواتنا بالضحك، والتساؤل: كيف صنعتَ هذا يا عبد اللطيف؟! إنها كلمة سحرية... ولا تفسير، إلى اليوم، لهذا الأمر؟! غير أن مجالسة هذا الرجل في جلسة لعب الورق، تكون بمثابة استرخاء نفسي، ومتعة تتجدد من خلالها حيويتنا، ونتخلص من ضغط ما يترصد داخلنا، خلال أسبوع كامل من العمل الدؤوب والملفات الشائكة.

هذه ملامح رغبتُ من وراء إبرازها إظهار الوجه الآخر لهذه الشخصية، التي تميزت في صورتها عند العموم، بالحزم والانضباط، والجرأة في الصّدع بالحقيقة مهما كانت مؤلمة؛ وكنتُ أحيانا حين أمارضه، أقول له: هذه الجرأة والموضوعية والشجاعة التي تقدّم بها الأشياء التي تبسطها أمام الغير، لا يمكن أن تكون من أهل فاس، بل أنا متأكد أنها متسرّبة إليك من ذلك العرق الريفي الذي ينبض في دمائك !

أصدعُ بهذا لأنني سعيْتُ في الحصول على شجرة النسب لعبد اللطيف الجواهري، وقدّمته له، وهي تثبت أصوله التي تعود إلى أدارسة الريف في منطقة «تَغْرُوت» في إقليم الحسيمة. وقد عرضها السيد الجواهري على نقيب الشرفاء الأدارسة بضريح مولاي إدريس بفاس، الذي أثبت له صحة نسب تلك الشجرة،

ولكن النقيب اشترط عليه أن لا يكون له نصيب من صندوق الضريح !

لقد عمدتُ إلى إسناد البحث في أصل نسب السيد الجواهري، إلى من أثقُ في مصداقيته ونزاهته، وهو الصديق الحميم الشريف السّي الغالي الجوهري. واليوم حينما يلتقي الجوهريون الريفيون بمنطقة «تَغزُوت» بصديقي عبد اللطيف الجواهري، يخاطبونه ب «الشريف ولد العم»، ويحظى لديهم بتقدير واحترام كبيرين. لقد حفزني على البحث في نسب هذا الصديق العزيز، ما أكّنه له ولأسرته من محبة وتقدير، خاصة ابنه المهدي الجواهري، الكاتب الخاص لصاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، والذي جمعه بالأمير سنوات الدراسة بالمدرسة المولوية.

السيد عبد الرحمان بوفتاس:



ترجع علاقتي بالسيد عبد الرحمان بوفتاس إلى سنة 1985. وهي السنة التي غادرتُ فيها منصبي كوزير في الحكومة، وهي نفس السنة التي سيلتحق فيها السيد بوفتاس بالحكومة الجديدة، التي سيشغل فيها منصب وزير السكنى.

لم يأت عبد الرحمان بوفتاس إلى الحكومة من خلفية سياسية. لم يكن له انتماء سياسي من خلال الانخراط في حزب معين، بل جاء وجوده داخل دواليب الحكومة المغربية، بناء على اعتبارات اجتماعية بالدرجة الأولى. فقد كان بيت عائلة بوفتاس من البيوتات التي عُرفت بمحافظتها، وكرم أهلها، وسمو أخلاقها.

كان الملك الحسن الثاني -في إطار تنويع الانتماءات الجهوية للعناصر المشكّلة للحكومة- يبحث عن شخصية سوسية لشغل أحد المناصب داخل الحكومة الجديدة التي تشكلت في سنة 1985، وبعد اقتراح بعض الشخصيات السوسية، وقع اختيار جلالته على السيد عبد الرحمان بوفتاس، من بين من تمّ ترشيحه من السوسيين. وكان هذا الأخير من رجال الأعمال الذين حققوا نجاحات في عالم التجارة، وأصبح له حضور فاعل في هذا المجال، خاصة في مدينة الدار البيضاء. كان منزل عائلة بوفتاس في العاصمة الاقتصادية، وخاصة منزل الحاج محمد بوفتاس، وهو الأخ الأكبر للسيد عبد الرحمان، فضاء لم يكن يستقطب أهل سوس من التجار فقط، بل كان مفتوحاً في وجه مختلف الطبقات الاجتماعية، التي كانت عائلة بوفتاس تقيم لهم مآدب الغداء (الكسكس)، كل جمعة بعد الصلاة، وهذا ما فتح المجال للسيد عبد الرحمان، ليحظى بذلك الحضور المؤثر بين أهل منطقته، ولم يقتصر الأمر على السوسيين بمدينة الدار البيضاء، بل سجد لهذا الحضور، امتدادات في منطقة سوس بكاملها. وكان هذا الأمر عاملاً مساعداً، أهل السيد عبد الرحمان بوفتاس للالتحاق بالحكومة.

عندما التحق السيد بوفتاس بدواليب الدولة من خلال الوزارة التي أُسندت إليه، لفت نظري تلك السرعة التي استطاع بها الرجل، نسج شبكة من العلاقات، مع الدوائر المقربة من القصر الملكي، ومن ذوي النفوذ، وهو الأمر الذي سيرى فيه أهل السياسة، ورقة يمكن توظيفها في الانتخابات القادمة.

في إحدى المناسبات، كنتُ في مدينة إفران، حيث يقيم الملك الحسن الثاني. كانت هناك جلسة حضرها وزير الداخلية، ودار حديث حول موضوع الانتخابات القادمة، وخلالها ورد الكلام عن مدينة أكادير، وما يلاحظ من

ميولات سُكَّانها إلى معسكر الاتحاديين. فجاءت إشارة على لسان وزير الداخلية، توميء إلى الدور الذي يجب أن يقوم به السيد عبد الرحمان بوفتاس، باعتباره ابن المنطقة، وملكانة أسرته وأيادها في الديار السوسية؛ فالتَّقطت الإشارة.

لما حان موعد الانتخابات، التحق السيد عبد الرحمان بوفتاس بمدينة أكادير، وقام باتصالات مع شخصيات سوسية، بمساعدة السيد عبد الله أزماي، لتشكيل اللائحة التي ستخوض الانتخابات. عند تشكيل اللائحة، تمَّ اختيار أسماء أغلبيتهم من حزب الاتحاد الدستوري وأحزاب أخرى، وتهميش الذين ينتمون إلى حزب التجمع الوطني للأحرار، الذي كان له حضور وازن في المجالس السابقة، بل وفي الهيئات الأخرى كالغرف التجارية والصناعية والخدماتية...

وكيف يمكن أن يستسيغ الناخبون التجمعيون، تهميش أحد أهم رجالات سوس، وهو السيد الحسين أشْنُگلي، منسق حزب التجمع الوطني للأحرار، ويُعتبر أحد رجال الأعمال، ورئيس غرفة التجارة والصناعة والخدمات بمنطقة سوس؟

وقد اشتكى السيد أشْنُگلي من هذا الأمر إلى السيد عصمان، وأخبره بأن اللائحة التي شكَّها السيدان عبد الرحمان بوفتاس وعبد الله أزماي، قد أقصيا منها حزب التجمع. وخلال وجودنا في ملعب الغولف بالصخيرات، وعند حديثي مع السيد عصمان، أخبرني أنه سيرفع هذا الأمر إلى جلالة الملك. قلتُ له: لا داعي لحشر الملك في هذا الموضوع، وأضفتُ: دعني أتصل بالسيد عبد الرحمان بوفتاس، وهو صديقنا، ولا شكَّ أننا سنصل إلى حلّ.

لكن السيد أحمد عصمان تغافل عن كلاي، وسعى للوصول إلى الملك، ليسيّط أمامه ما جرى بطريقته الخاصة.

صاحبتُ هذه الانتخابات دعاية قوية، تشير إلى أن السيدين عبد الرحمان بوفتاس وعبد الله أزماي، والمدعَّمين من طرفهما، عمدوا إلى توظيف اسم جلالة الملك في حملتهم الانتخابية، فنتج عن هذا الأمر أن شنت صحافة

الاتحاد الاشتراكي حملة قوية على السيدين بوفتاس وأزماني، وعلى المرشّحين من طرفهما لرئاسة مجلس مدينة أكادير، ورأت أن حشر اسم الملك الحسن الثاني في تلك الانتخابات يُعتبر تغييراً بالناخبين.

في أول فرصة أُتيحت للملك الحسن الثاني، من خلال خطاب ألقاه، فنّد هذا الادعاء، ولأول مرة، يفصح جلالته في خطاب رسمي، وبعبارة واضحة لا تقبل التأويل، أنه لم يُشر لأي أحد للتحرك في تلك الانتخابات باسمه (أي، وباللسان الدارج: أنا مَكَلَّفْتُ حَدًّا). وكان هذا بمثابة جواب على ما كانت تنشره صحافة الاتحاد الاشتراكي، في متابعتها للانتخابات المحلية في مدينة أكادير.

بعد هذا الحدث، اعتبر السيد عبد الرحمان بوفتاس أنه مَعْنِي بجانب مما جرى. وبعد مدة من غيابه، طلب مِنِّي صديقي بوفتاس أن أتحَيّن الفرصة المناسبة لأبْلَغ جلالة الملك رغبة السيد بوفتاس في السلام على جلالته.

كان عليّ الانتظار لاقتناص الظرف المناسب، لإبلاغ هذه الرغبة. فلما جاءت المناسبة، صدعتُ بما رَغِب فيه صديقي، وتقبَّلها جلالة الملك بأريحيته المولوية المعهودة. ثم كانت مناسبة أخرى سِيْتاح فيها للسيد عبد الرحمان بوفتاس تحقيق حُظوة سعى إلى الحصول عليها.

كانت من عادة الملك الحسن الثاني، إذا أقام حفل زواج لإحدى الأميرات من بناته، أن يُشرك في هذه المناسبة عدداً من بنات الشعب المغربي، يمثلن مختلف الطبقات. وحينما شاع الخبر عن زواج الأميرة للا حسناء، كانت «صَفِيَّة» إحدى بنات السيد عبد الرحمان بوفتاس مُقدمة على الزواج، فتاقت نفس صديقي إلى تحقيق أمنية عزيزة، وهي أن تكون ابنته إحدى العرائس اللاتي سيشاركن الأميرة للا حسناء حفل زفافها.

تمسك بي السيد بوفتاس لإبلاغ هذه الرغبة إلى جلالة الملك الحسن الثاني. ونظراً للصدقة التي تجمعني بهذا الرجل، لم أتردد في مساعدته على تحقيق أمنيته. ولما سنحت الفرصة المواتية، طلبتُ من جلالة الملك أن تكون ابنة السيد عبد الرحمان بوفتاس من بين العرائس اللاتي حظين بشرف مشاركة «الشريفة» في عرسها. كيف جاء ردّ جلالة الملك؟

بمجرد ما سمع طلبي، رفع نظره إليّ، وحدّق في وجهي ملياً ثم قال بنبرة لا تخلو من دلالة: أليس لبوفتاس المال الكافي لينظم عُرساً لابنته؟!

عدتُ إلى صياغة طلبي بشكل آخر، فقلتُ: سيدي ... هذه مناسبة إذا شاركت فيها عروس سوسية، ستكون حاملة لإشارة العناية المولوية بمنطقة سوس!

فهم جلالة الملك قصدي، وأعطاني -رحمه الله- موافقته السامية على أن تكون صفيّة، ابنة السيد عبد الرحمان بوفتاس، ضمن من سيشاركن الأميرة للا حسناء حفل زفافها. شعر صديقي بوفتاس بفرح كبير عندما أبلغته بتحقيق أمنيته، التي اعتبر قبولها تشرifa لأسرته، بل ولمنطقة سوس برمتها.

هذه إشارات لبعض المواقف والوقائع التي علقت بذاكرتي في المسار الذي جمعني بالسيد عبد الرحمان بوفتاس، وهي غيظ من فيض، فالعقود التي تسجل تاريخ علاقتنا مليئة بالأحداث، ولا يسمح هذا الحيز من الكتابة بسردها مفصلة، خاصة وأن هذه الصداقة مستمرة إلى اليوم، وقد ازدادت أواصرها متانة، وتعمقت أصولها لتغدو علاقة عائلية، توثقها تلك الزيارات التي نتبادلها بيننا.

السيد محمد أوجار:



سياق حديثي عن السيد أوجار يرتبط بأمرين:

الأول، معرفتي بأصول هذا الرجل، والتي تعود إلى منطقة الريف، ومن مدينة تارغيست تحديداً. انتقل والده إلى مدينة وجدة، حيث كانت نشأة أوجار الإبن. وبهذه المدينة تابع دراسته من مراحلها الأولى إلى أن تخرج من جامعتها، جامعة محمد الأول.

والأمر الثاني، يرتبط بموقفين اثنين كما سأبين عن ذلك. وأودّ أن أشير إلى أن علاقتي بالسيد محمد أوجار كانت، في بداية الأمر، علاقة رقيقة، ثم بدأت تتوطد عن طريق أخي مصطفى، باعتبار العلاقة الحزبية التي تجمع بين الاثنين، داخل إطار حزب التجمع الوطني للأحرار، ثم لعلاقتهما معاً بالسيد أحمد عصمان، رئيس الحزب.

الموقف الأول الذي أرغبُ في الحديث عنه، في إطار العلاقة مع السيد محمد أوجار، يرتبط برحلة صيد، صاحبتُ فيها الملك الحسن الثاني. كيف تمّ هذا الأمر؟

في أحد الأيام، وكان يوم الأحد، نُظمت رحلة صيد لجلالة الملك بمنطقة «عين الخلّوف»، بنواحي الرباط. انتظرنا وصول الملك في المكان الذي حدّد لنا،

حيث نُصبت لجلالته خيمة كبيرة. وعند وصوله، كان علينا أن نتحرك إلى منطقة الصيد، التي تبعد عن مكان الانتظار بجوالي خمس كيلومترات.

ونحن نهمّ بالتحرك، نادى عليّ جلاله الملك لأصعبه في سيارته التي كان يقودها بنفسه، وكان بمعيته وزير الداخلية السيد إدريس البصري، والجنرال حسني بنسليمان، والجنرال عبد الحق القادري. انطلقت سيارة جلالته، وأثناء قطع المسافة للوصول إلى منطقة الصيد، دار حديث حول المعارضة، وخاصة ما يرتبط بقضية السيد أبراهام السرفاتي المنفي خارج المغرب، بدعوى أنه يحمل الجنسية البرازيلية، ومن المؤيدين لجبهة البوليساريو الانفصالية!

فكان الحديث عن الحملة الإعلامية في بعض المنابر الدولية التي تحركها لوبيات مضادة للمصالح المغربية، والتي تنادي بعودة السرفاتي إلى المغرب. ثم ما لبث أن انعطف الحديث إلى المعارضة بشكل عام داخل المغرب وخارجه، ليتحدث في هذا الباب وزير الداخلية السيد إدريس البصري.

طيّ هذا الحديث، ورد ذكر اسم محمد أوجار! كيف قفز اسم أوجار إلى دائرة حديث دار في إطار محدود، لا يضم سوى الأسماء المذكورة، داخل السيارة الملكية؟

أنا أعرفُ أن السيد محمد أوجار عضو في حزب التجمع الوطني للأحرار، الذي يترأسه السيد أحمد عصمان، وعضو نشيط في مجال حقوق الإنسان، وكان مديراً لجريدة «الميثاق الوطني» التابعة للحزب. فما هو سياق ذكر اسمه، والحديث يتناول موضوع المعارضة؟

جاء ذلك حينما ذكر اسم الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، في إطار اهتماماته بملف حقوق الإنسان على المستوى الدولي، وداخل المنظمات العالمية المهمة بهذا الموضوع. وقد تمت الإشارة إلى أن السيد محمد أوجار، كانت له عدة لقاءات مع الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي -وهو يومئذ من وجوه

المعارضة خارج المغرب- وهي اللقاءات التي جمعت بين الطرفين في مدينة جنيد بسويسرا، خلال الاجتماعات التي تعقدها بعض المنظمات الدولية في هذه المدينة. وقد حكى لي السيد أوجار في لقاءات سابقة، عن منافحة الأستاذ اليوسفي عن مصالح المغرب، في اجتماعات هذه الهيئات وتصديّيه للدسائس التي تسعى إلى الإساءة إلى الوطن، كما حكى لي كذلك، أن الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي كان يزوّده، عند لقائهما، ببعض المعلومات الدقيقة، التي تسمح له بتجميع معطيات مفيدة، تمكّنه من مقارعة خصوم المغرب، خلال اجتماع الهيئات النشيطة في مجال حقوق الإنسان. وخلال الحديث الذي دار حول السيد أوجار، لاحظتُ أن وزير الداخلية يرسم صورة سوداوية للرجل، ويقدمه لجلالة الملك باعتباره معارضا متطرفا!؟

هنا شعرتُ بأن السيد أوجار سيُظلم، فاضطررتُ للتدخل، وحكيْتُ لجلالة الملك ما قاله لي أوجار عن لقاءاته، مع الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي في جنيد، وزدتُ قائلاً: صاحب الجلالة، إنني أعرفُ السيد أوجار، هو رجلٌ وطني حتى التّخاع، ولا يمكن أن يصدر عنه ما يسيء إلى المصالح الوطنية!

حينما صدعتُ برأيي، خيّم الصمت لحظة على الجميع، ثم استؤنف الحديث إلى أن وصلت سيارة صاحب الجلالة إلى الموقع المحدد لهذه الرحلة.

لقد كان مسار السيد محمد أوجار سيعرف منعطفا كبيرا في حياته السياسية، لو أنّني سكّتُ عما قاله في حقّه وزير الداخلية، ولصنّف في اللائحة السوداء، وعلى العكس من ذلك، سنرى فيما بعد، أن السيد أوجار سيشغل مناصب وزارية في حكومات مختلفة.

فحينما عيّن الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي رئيساً لحكومة التناوب سنة 1998، كان حزب التجمع الوطني للأحرار، من بين الأحزاب التي خوطبت في شأن المشاركة في هذه الحكومة. وطلب من السيد أحمد عصمان تقديم

الأسماء المقترحة للاستوزار. أعدّ أحمد عصمان اللائحة التي ضمت الأسماء المرشحة، لشغل مناصب وزارية في حكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي؛ لم يرد اسم محمد أوجار ضمن المقترحين لهذه المناصب!

قبل يوم من تعيين حكومة التناوب سيخبرني أخي مصطفى بهذا الأمر، وغياب اسم أوجار من لائحة الحكومة الجديدة!

حينما علم السيد محمد أوجار بإقصائه من لائحة وزراء حزب التجمع الوطني للأحرار، وأن اسمه لا يوجد ضمن حكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، أرغى وأزبد! وعبر عن غضبه محتجاً على رئيس الحزب، السيد أحمد عصمان، -وهو بداخل منزل هذا الأخير- على عدم إدراج اسمه ضمن تلك اللائحة، رغم أنه عضو في المكتب التنفيذي، ومدير جريدة الحزب! بعد حدوث هذه الواقعة، اتصل بي مباشرة السيد أحمد عصمان، لما يجعني به من صداقة قوية، وأخبرني أنه قادم لزيارتي. حينما وصل إلى منزلي، كان في حالة توتر كبير. حكى لي ما صدر عن أوجار من سلوك تميز بانفعال زائد، أخرج صاحبه عن اللياقة.

دار بيني وبين السيد أحمد عصمان حديث طويل، ومما قلته له: إن السيد أوجار عضو المكتب التنفيذي للحزب، ومدير لجريدة «الميثاق الوطني» لسان حزبكم، وهو أحد المقربين إليكم، وابن منطقتكم، كل هذا يخول له، قبل غيره، أن يكون من بين الأسماء المرشحة التي تمثل الحزب داخل حكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي.

بدا السيد عصمان غير مقتنع بما قلت له. كان في حالة انفعال، متأثراً بما صدر عن أوجار. لكنني زدت في تبيان ما يمكن أن يكسبه الحزب، إذا تم التعامل مع هذه الواقعة، بنوع من الاتزان ومراعاة مصلحة الحزب. اقترحت عليه الاتصال بالأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، ليعرض

عليه إضافة اسم محمد أوجار إلى لائحة وزراء الحكومة الجديدة، ما دامت هذه اللائحة لم تخرج إلى العلن، وما زال هناك وقت لتدارك الأمر، خاصة وأن استقبال أعضاء الحكومة الجديدة من طرف الملك الحسن الثاني لم يتم بعد. وأوضحْتُ للسيد عصمان أن هذا الاقتراح قد يجد تجاوباً من طرف رئيس الحكومة الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي، لمعرفة السيد أوجار، من خلال لقاءاتهما في اجتماعات المنظمات الدولية المهتمة بحقوق الإنسان. تردّد السيد عصمان في البداية، ثم خاطبني بقوله: لقد تم الأمر، وغدت معروفة أسماء الوزراء التجمعيين ! لكتني ألححتُ على إجراء هذا الاتصال، ليطلب من الأستاذ اليوسفي، إن كان بالإمكان إضافة اسم أوجار إلى اللائحة النهائية للأسماء المقترحة للاستوزار باسم حزب التجمع، دون أن يطرأ أيّ تغيير في الأسماء المقترحة، ليقتنع عصمان في الأخير، ويعرض الاقتراح على الأستاذ اليوسفي، الذي أبدى تفهمه للموضوع ؛ ولا شك أن المعرفة السابقة لهذا الأخير بالسيد أوجار، ولقاءاتهما في جنيف، في إطار مؤتمرات الهيئات الدولية لحقوق الإنسان، سهّلت أمر إلحاقه بلائحة وزراء الحكومة الجديدة، وليُعيّن أوجار وزيراً لحقوق الإنسان سنة 1998، نظراً لخبرته في هذا الميدان. وهكذا أصبح السيد محمد أوجار وزيراً بعد أن كان خارج اللائحة !

أما الموقف الثاني الذي سأبسّطه في سياق حديثي عن علاقتي بالسيد محمد أوجار، فيرتبط بتعيين السيد إدريس جطو رئيساً للحكومة بعد انتخابات سنة 2002.

فبعد هذا التعيين، خاطب السيد إدريس جطو حزب التجمع الوطني للأحرار، في شأن المشاركة في الحكومة الجديدة. وخلال اجتماع المكتب التنفيذي لهذا الحزب، قُصد البث في الاقتراح المقدم للحزب، ضغط بعض أعضاء المكتب على رئيس الحزب، في الاتجاه الذي يدعو إلى عدم ترشيح

الأعضاء الذين سبق لهم أن تحملوا مسؤولية وزارية في حكومات سابقة، لإتاحة الفرصة لأعضاء آخرين، وإظهار وجوه جديدة.

وفعلاً، سيميل السيد أحمد عصمان إلى ترشيح أسماء جديدة، ولكنه في نفس الآن، كان حريصاً أن تضم لائحة الأسماء المقترحة، اسم المرحوم الدكتور محمد العراقي وهو صديق لعصمان، ومنسق حزب التجمع الوطني للأحرار في فاس ! كان حماسه قوياً ليتولى هذا العضو منصب وزير الصحة في حكومة جطو، لكي يعوّض السيد نجيب الزروالي، الذي كان يشغل هذه الوزارة باسم حزب التجمع.

وإذا كانت الدعوة إلى منع وزراء التجمع القدامى من الترشح، ضمن حكومة السيد إدريس جطو، قد ساندها بعض أعضاء المكتب التنفيذي الذين كانوا يسعون للاستوزار، فإنّ المحرك الأساسي لهذا التيار والمتزعم له، هو محمد ابن الطالب، المقرب جداً من السيد أحمد عصمان، والذي سبقت الإشارة إلى مناوراته المتعددة، في مكان آخر من هذا الكتاب.

تمّ اختيار الأسماء التي رشحها المكتب التنفيذي لحزب التجمع الوطني للأحرار، وقدم السيد أحمد عصمان، رئيس الحزب، اللائحة إلى رئيس الحكومة المعين، السيد إدريس جطو، وضمنها كان اسم الدكتور محمد العراقي حاضراً !

وبعد انتهاء الخطوات المتبعة في مختلف مراحل التشاور لتشكيل الحكومة، قدّم السيد إدريس جطو إلى السيد عصمان، لائحة تضم أسماء الوزراء الذين وقع عليهم الاختيار من حزبه. لم يكن اسم الدكتور محمد العراقي وارداً فيها، مما جعل السيد عصمان غير مباليّ بعد ذلك بأمر تلك اللائحة، وخبا الحرص الذي كان يبديه في تتبع مرشحي الحزب. وهنا لا بدّ من

الإشارة إلى أن السيد إدريس جطو احتفظ بأحد وزراء حزب التجمع من الفريق القديم، وهو أخي مصطفى. لماذا؟ سؤال وارد!

السبب في ذلك ما عُرف به أخي مصطفى من جدية في العمل، واشتغاله مع السيد إدريس جطو حينما كان وزيراً للداخلية، احتفظ من خلالها هذا الأخير، بصورة إيجابية عن طبيعة العمل الذي كان يمارسه أخي، والذي اتسم بالحزم، مع المرونة المطلوبة في مواجهة ما يعترض العمل الوزاري من صعوبات وعراقيل.

كيف كانت ردود الفعل داخل حزب التجمع الوطني للأحرار، بعد ظهور أسماء الوزراء الذين تضمنتهم لائحة رئيس الحكومة إدريس جطو؟

سارت بلبله وارتباك داخل هياكل الحزب، وغضب كبير من السيدين محمد أوجار وزير حقوق الإنسان، ونجيب الزروالي وزير الصحة. اتصل بي أخي مصطفى ليُبلغني بأن ما يجري في دواليب الحزب، وداخل البرلمان بين الأعضاء الممثلين له، لا ينبئ بخير، وقد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه! وأن الوزيرين المذكورين صمما على زيارة رئيس الحزب في منزله، للاستفسار عن إقصائهما من لائحة الاستوزار، رغم مجهوداتهما المبذولة داخل الحكومة في خدمة المصالح الوطنية، وتقديم صورة مشرفة عن الحزب.

أمام هذا الوضع، اتصلتُ بالسيد أحمد عصمان لما تجمعي به من صداقة حميمة، وأخبرته بما قاله لي أخي مصطفى، وبعزم الوزيرين المحتجين القيام بزيارته في منزله.

بعد هذا الاتصال، اقترحتُ عليه الالتحاق به في منزله، وهناك دار بيننا حديث طويل، وخلالها قلت له: هناك بلبله كبيرة داخل حزب التجمع، وهذا أمر ليس في مصلحة الوطن، ولا مصلحة الحزب نفسه، وقد ينتهي هذا الصراع إلى انشقاق في حزبكم!

فأجابني: إن الأسماء التي اختارها السيد إدريس جطولا تنسجم مع قصدي.

والحق أن إسقاط اسم الدكتور محمد العراقي من لائحة الوزراء المقترحين للحكومة الجديدة، كان من الأسباب العميقة التي أثارت غضب أحمد عصمان! وتابع عصمان كلامه موجّهاً إليّ السؤال: وماذا عليّ أن أفعل الآن؟ قلتُ له: اتصل بجلالة الملك محمد السادس - وكان في تلك الفترة بمدينة أكادير- وأخبره بأن اللائحة التي قدّمها لجلالتكم السيد إدريس جطولا تتناسب، من حيث الأسماء التي ضمّتها، والدور الذي يسعى الحزب إلى القيام به داخل الحكومة الجديدة!

وأمام تردّد أحمد عصمان للاتصال بجلالة الملك، ألححتُ عليه، فاقنع أخيراً، وسألني: كيف سأتصل بجلالة الملك؟ قلتُ له: اتصل بالتشريفات الملكية لكي يخبروا جلالة الملك بطلبك! ومضى إلى تنفيذ ما اقترحتُه عليه، ليتّم الاتصال بالقصر الملكي في أكادير. وبعد إخبار جلالة الملك بطلب السيد عصمان، كلّف جلالتُه السيد الفاضل بنعيش، المكلف بمهمة في الديوان الملكي، باستطلاع الأمر، والاستفسار عن طبيعة الموضوع المتصل في شأنه؟ حينما تمّ هذا الاتصال، كنتُ ما أزال مع السيد عصمان في منزله.

سأله السيد بنعيش: لقد رغبت في الاتصال بجلالة الملك، ما هو الموضوع الذي تريد إبلاغه لجلالته؟

بسط أحمد عصمان المشكل المطروح، وأبان لمخاطبه ما يمكن أن يترتب على ذلك من تداعيات سلبية، نتيجة الأسماء التي اختارها إدريس جطولا، لتمثيل حزب التجمع الوطني للأحرار داخل الحكومة.

نقل السيد الفاضل بنعيش تفاصيل الموضوع إلى جلالة الملك. فجاء جواب جلالته في صيغة: قل للسيد جطولا أن يتصل بالسيد عصمان.

أبلغ إدريس جطو جواب جلالته الملك. فهم رئيس الحكومة الرسالة! فاتصل بالسيد أحمد عصمان رئيس حزب التجمع، وأخبره بأنه سيحتفظ بالوزراء التجمعيين القدامى، الذين سبق أن تحملوا مسؤولية وزارية في حكومات سابقة، مشيراً إلى خبرتهم وأنهم قاموا جميعاً بمختلف مسؤولياتهم على أحسن وجه!

ما موقع السيد محمد أوجار من كل هذا الكلام؟

توسعتُ في سرد هذه الواقعة للإشارة إلى أن الاقتراح، الذي قدّمته ليالحاح للسيد أحمد عصمان ليتصل بجلالة الملك محمد السادس، أثمر أمراً إيجابياً، ترتب عنه إطالة العمر الوزاري للسيد أوجار في وزارة حقوق الإنسان، داخل حكومة إدريس جطو.

وإنّي لأذكرُ للسيد محمد أوجار -من الناحية الأخلاقية- أنه رجل غير ناكر للجميل، ورجل يعترف لمن يساعده في بعض المواقف الصعبة، لذلك كنت تجده في بعض المجالس، حينما يدور الحديث حول بعض الوقائع، ومنها ما يُذكرُ باللحظات الحرجة، مُثنيّاً على مواقفي معه. والحق أنّي كنتُ إلى جانبه لرفع حيف أو التصدّي لإساءة مُحاك له!

وقبل أن أختتم كلامي عن السيد أوجار، أودّ أن أتوقف عند واقعة حدثت عبر علاقتي بالرجل، أسجلُها للتاريخ، باعتبارها نقطة تحوّل في مسيرة وزير العدل الحالي، السيد عبد اللطيف وهي.

حدث أن هاتفتني أخي المرحوم القايد البشير ذات يوم، متحدثاً إليّ من مدينة الناظور. كان موضوع هذه المكالمة يتعلق بأحد أصدقائه، الذي لم يكن سوى السيد عبد اللطيف وهي. بسط أخي أمامي حديثاً عرّفني بهذا الصديق، وبأنه ناشط في الحقل الجمعي وكذا في مجال حقوق الإنسان، ثم أضاف معرّفًا بأصول السيد وهي السوسية، بل أخبرني بأن والدته «من عنْدنا»، من أصول ريفية، ومن مدينة الدريوش.

وفي سياق هذه المكالمة، أبلغني أخي استعداد السيد وهي الانخراط في أنشطة جمعيتنا (جمعية حوض البحر الأبيض المتوسط).

كان الغرض الأساس من هذه المكالمة، طلب تحديد موعد، أستقبل فيه السيد عبد اللطيف وهي. لَبَّيْتُ رغبة أخي البشير، وحددتُ موعداً للسيد وهي الذي استقبلته في مكنتي بالديوان الملكي. خلال هذا الاستقبال، دار بيننا حديث طويل حول أنشطته الجمعوية، وفي مجال حقوق الإنسان؛ وقبل مغادرته لمكنتي سألتُه عن وضعية عمله كمحامٍ، فجاء جوابه بما يُشعر بعدم الرضا عن تلك الوضعية زمنئذ. أمام ما استشعرتُه من جواب السيد وهي، اقترحتُ عيه القيام بمبادرة، تتمثل في الاتصال بصديقي السيد محمد أوجار، الذي كان يشغل يومئذ منصب وزير حقوق الإنسان، لأسأله إن كان يتوفر على منصب شاغر في ديوانه، ليسنده إليه. رحبَّ السيد عبد اللطيف وهي باقتراحي، شاكرًا لي هذه المبادرة، وطلب مِنِّي السعي لتحديد موعد له مع الوزير السيد محمد أوجار. لم أتردد في تحقيق هذا الطلب.

وخلال مكالمتي التي أجريتها مع السيد أوجار، سألتُه إن كان يتوفر على منصب شاغر في ديوانه، وفي نفس الآن، طلبتُ منه تحديد موعد لاستقبال السيد عبد اللطيف وهي، وهو ما تمَّ بالفعل، حيث استُقبل من طرف الوزير، وهو اللقاء الذي تمَّ على إثره تعيين السيد عبد اللطيف وهي، عضواً في ديوان وزير حقوق الإنسان، السيد محمد أوجار.

هكذا كانت انطلاقة السيد وهي الذي سيتدرج في المسار السياسي والعمل الحزبي، ليصبح بعد حين من الدهر، وزيراً للعدل، وهو المنصب الذي يشغله الآن (2024)، في الحكومة التي يترأسها الوزير الأول، السيد عزيز أخنوش.

السيد فُحند العنصر:



يعرف المتبعون للحياة السياسية والحزبية في بلادنا، السيد مُحمد العنصر، وزيراً ثم أميناً عاماً لحزب الحركة الشعبية. ولكن ما هو مسار السيد العنصر مع الحركة الشعبية؟

إن علاقتي بهذا الحزب، ومهامي الوزارية التي مارستها، ثم خبرتي في مدرسة الديوان الملكي، كل ذلك سمح لي بامتلاك عدة معطيات تمكّني من الحديث بموضوعية عن مسار السيد مُحمد العنصر.

ففي بداية حياته المهنية، لم تكن للسيد العنصر أية علاقة بحزب الحركة الشعبية، بل كان صاحب ميولات تجذبه إلى جناح الاتحاد الاشتراكي! فكيف التصق اسمه بالحركة الشعبية؟

بداية هذه العلاقة ستكون بعد تعيين السيد المحجوبي أحرضان وزيراً للبريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية، في حكومة السيد أحمد عصمان سنة 1977. هنا سيجد الوزير السيد العنصر باعتباره إطاراً من أصول أمازيغية، وكذا رئيس مصلحة في مديرية الشؤون الإدارية بتلك الوزارة، وهذا الانتماء الأمازيغي، سيقرب بين الرجلين، بل سيحظى العنصر بعطف كبير من طرف أحرضان، تمثّل بشكل واضح في الترتي الذي تدرج فيه بإيقاع سريع، ليصل في فترة ليست بالطويلة، إلى مرتبة الكاتب العام لوزارة البريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية!

فكيف تمت تسمية العنصر كاتباً عاماً لهذه الوزارة؟

سياق هذا الأمر يتطلب مَنِّي وضع القاريء في الصورة الكبرى. بدايتها تنطلق بتعيين السيد رحالي رحال -وهو أحد أعضاء الحركة الشعبية- وزيراً للصحة العمومية سنة 1977. كانت المأمورية التي أسندت إلى هذا الوزير تتطلب تنظيمًا محكمًا وتسييراً منضبطاً يلعب فيه الكاتب العام للوزارة دوراً أساسياً. بعد مرور فترة من الزمن، أصبح منصب الكاتب العام بوزارة الصحة شاغراً.

كان وزير الصحة الجديد على علم بأن هناك صديقاً له في مدينة مكناس، يشغل منصب كاتب عام بوزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري، وهي الوزارة التي أتولى رئاستها.

سيتمصل بي السيد رحالي رحال طالباً مَنِّي مساعدته بالسماح للسيد جَنَّان -وهو الكاتب العام للوزارة التي أتولاها- بالانتقال إلى وزارة الصحة، ليشغل نفس المنصب الذي يتولاه عندي. وفي إطار العلاقة الطيبة التي تربطني بالسيد رحالي رحال، ومساهمة مَنِّي في تيسير مهامه الوزارية، لم أتردد في قبول طلبه، والسماح للسيد جَنَّان بالانتقال إلى وزارة الصحة، علماً أن هذا المنصب سيظل شاغراً عندي، مع ما يترتب على ذلك من صعوبات إدارية.

بعد هذا الانتقال، سينتهي إلى علم مُحمد العنصر، الإطار في وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، شغور منصب الكاتب العام في وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري، فزارني في مكنتي، طالباً مَنِّي تعيينه في المنصب الشاغر، أي كاتباً عاماً للوزارة التي أوجدُ على رأسها! وافقتُ من الناحية المبدئية، واشترطتُ لاتخاذ قراري النهائي في الموضوع، إخبار السيد المحجوبي أحرصان بهذا الأمر، وموافقته عليه.

اتصلتُ بالوزير أحرصان في هذا الشأن، وتبادلنا آراءنا في الموضوع. كانت رغبته في إبقاء السيد العنصر داخل وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، بل أخبرني بأنه في حاجة إلى هذا الإطار، خاصة وأن سوء تفاهم بدا واضحاً مع كاتبه العام في الوزارة السيد العَوْد، الذي كان من الأطر الأساسية والمعروفة في دواليب وزارة البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية. ومن ثم

جاء الإسراع بتعيين السيد محمد العنصر كاتباً عاماً بهذه الوزارة، بعد التخلّص من السيد العوّد.

لكن دعني أيها القاريء، أثبتُّ إليك بما أحسستُ به وأنا أحاورُ السيد المحجوبي أحرضان في شأن تعيين العنصر في وزارتي !

لقد شعرتُ بأن السيد أحرضان لم يكن يرغب في انتقال العنصر إلى دائرتي الإدارية في الوزارة ! لماذا ؟ ربما اعتقد أن تعييني للعنصر كاتباً عاماً في الوظيفة العمومية، سيقوّي جناحي في حزب الحركة الشعبية، أقولُ هذا، وأنا دارٌ بالحسابات السياسية للمحجوبي أحرضان، والتي خبرتها لديه عن كثب، منذ زمن بعيد.

في هذا السياق، كنتُ -بطريقة غير مباشرة- سبباً في تعيين العنصر كاتباً عاماً لوزارة البريد والمواصلات.

والحقيقة أن تعيين السيد محمد العنصر كاتباً عاماً لوزارة البريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية، لم يكن سوى خطوة هيأت له أسباب رقيٍّ آخر، حينما سيحظى بارتقاء أسمى، بتعيينه وزيراً للبريد والمواصلات ؛ فما أن غادر المحجوبي أحرضان هذه الوزارة، حين تمّ تعيينه وزير الدولة المكلف بوزارة التعاون، حتى أصبح الطريق سالكاً أمام العنصر نحو رئاسة وزارة البريد والمواصلات السلوكية واللاسلكية.

هكذا أصبح السيد محمد العنصر وزيراً، دون أن يكون برلمانياً أو عضواً في المكتب السياسي للحركة الشعبية !!

ثم تأتي خطوة أخرى، تُوسّع الآفاق أمام هذا الصاعد الجديد. فعندما بدأت مناورات المخزن لإبعاد المحجوبي أحرضان كزعيم للحركة الشعبية، كان محمد العنصر الرجل الذي بدا مُهيئاً لخلافته. ولما كانت علاقة العنصر بالحركة الشعبية غير عميقة، فقد كُلفتُ كعضو بالديوان الملكي، بإجراء اتصال بهذا الأخير لمساعدته بصفته وزيراً ينتمي إلى الحركة الشعبية، ومع أنني كنتُ غير مقتنع في أعماقي، بما يروج من مناورات ضد السيد أحرضان، فقد اتصلتُ بالسيد العنصر، وطلبتُ منه زيارتي في منزلي، لوضعه في الصورة، وتحفيزه للقيام

بالاتصالات الضرورية لإخراج حزب الحركة من الوضعية التي صار إليها، بسبب تصريحات السيد أحرضان، التي أوقعته في سوء تفاهم مع مؤسسات الدولة. بدا على السيد العنصر نوع من الإحراج ! ثم خاطبني بقوله: أسي المنصوري، أنت تعرف بأن علاقتي بالحركة الشعبية جديدة، وليست قوية، ولا أعرف الكثير من شخصيات الحزب وأعيانه والمؤثرين في قراراته، بخلافك أنت ! ثم زاد وأخبرني أن مستشار جلالة الملك الأستاذ أحمد رضا أگديرة، قد اتصل به بخصوص نفس الموضوع. هنا فهمتُ بأن مختلف أجهزة المخزن بدأت تتحرك، وما هي إلا أسابيع حتى تمّ انتخاب العنصر كاتباً عاماً للحركة الشعبية. في هذا السياق، جاءت اتصالاتي ببعض أعضاء حزب الحركة، منهم: أعضاء في المكتب السياسي، وبعض البرلمانيين، وبعض الأعيان، الذين كانت لي معهم علاقة صداقة. كان الهدف الأساس من كل ذلك، عودة حزب الحركة إلى أداء دوره الفاعل في الحياة السياسية المغربية، وهو ما تمّ تحقّقه بالشكل المطلوب.

الجنرال أحمد الدليمي:



ترجع علاقتي بالجنرال أحمد الدليمي، إلى سنوات السبعين من القرن الماضي. كان اتصالنا الأول، أيام تعييني وزيراً للسياسة. وفي لقاء بيننا، طلب منّي الجنرال الدليمي تعيين السيد عبد الرحمان القاسمي كاتباً عاماً لوزارة السياحة.

كان هذا المنصب شاغراً، والمقترح لشغله عملاً إطاراً بوزارة السياحة المغربية، ثم عُيِّن مندوباً لوزارة السياحة، في مدينة بروكسيل في بلجيكا. وهو، بالمناسبة، أخ المحامي عبد الحميد القاسمي، وهما معاً يرتبطان بصداقة مع الجنرال الدليمي، والثلاثة ينتمون إلى مدينة سيدي قاسم. زكى الجنرال الرجل المقترح للكتابة العامة، مثنيا على جديته وخبرته في مجال التدبير السياحي.

كنتُ أشعرُ بنوع من التعاطف الذي يُبديه الجنرال أحمد الدليمي نحو الريفيين، خاصة وأن العديد من الضباط الذين صاحبه إلى الصحراء المغربية، كانوا من أهل الريف. فكان هذا الأمر عنصراً ساهم في تدريج علاقتنا وتطورها، من خلال لقاءاتنا المتعددة داخل القصر الملكي، أو تبادل بعض الزيارات الخاصة، أذكر منها، مأدبة عشاء أقمْتُها في منزلي، جمعني بالسيد الدليمي، والسيد عبد القادر بن سليمان وزير المالية يومئذ، وكنا حول هذه المائدة نحن الثلاثة، ليس غير.

وأذكرُ في هذا السياق، أنني قمتُ مرة بزيارته في عيد الأضحى، بمجرد انتهاء مراسيم السلام على جلالة الملك الحسن الثاني داخل قصره العامر، حيث توجهتُ تَوّاً إلى منزل الجنرال. كنتُ الوحيد مع عائلته في تلك اللحظة، فإذا بالملك الحسن الثاني يدخل بسيارته، يقودها بنفسه. لقد التحق الملك بالجنرال مباشرة بعد انتهاء الحفل الرسمي. ولا شك أن زيارة من هذه الطبيعة تعكس نوعية العلاقة التي تجمع الجنرال الدليمي بملكه، وفهمتُ أن لقاءً بهذا الشكل يرتبط بقضايا خاصة، فما كان عليّ إلا السلام على جلالة الملك، ثم الانصراف.

ومرّة دعاني الجنرال الدليمي لحضور مأدبة عشاء في منزله. حينما التحقتُ به، وجدتُ نفسي الوزير الوحيد الذي تمت دعوته لهذه المأدبة، إلى جانب ضيف أمريكي. كنا نحن الثلاثة حول مائدة العشاء، لم يكن هذا الأمريكي سوى الجنرال فيرنون والترز «Vernon A. WALTERS» ! وهو الرجل الذي شغل منصب نائب مدير المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A)، بالإضافة إلى مناصب دبلوماسية أخرى.

كان الجنرال WALTERS، صديقاً للجنرال الدليمي، وكان يتردد على المغرب في مناسبات عديدة، وفي بعضها يحظى باستقبال من الملك الحسن الثاني. ولكن ما موقعي من هذه الدعوة على مائدة عشاء تجمعني بهذا الجنرال الأمريكي؟

قدمني الدليمي إلى ضيفه، باعتباري وزيراً للسياحة، منتمياً إلى منطقة الريف. ودار الحديث بيننا في هذه الجلسة حول مواضيع مختلفة، وأخبرني الجنرال الدليمي أن للجنرال والترز أختاً في الولايات المتحدة الأمريكية، تشتغل في مجال السياحة، ليتوجه بالخطاب إلى الضيف الأمريكي قائلاً: إذا احتجت وأختك إلى مساعدة في هذا المجال، فإنك واجد في السّي المنصوري كل العون، ولن يبخل عليكما في هذا الباب.

لقد حقق الجنرال الدليمي الكثير، مما بوّأه مكانة مرموقة عند الملك الحسن الثاني، وداخل دواليب الدولة المغربية، ولا سيما ما قام به، حينما كان قائد الجيش في الأقاليم الصحراوية، في الدفاع وحماية هذه الأقاليم المغربية المسترجعة، ودوره الفاعل في بناء الجدار الأمني، واسترجاع مدينة الداخلة إلى الوطن الأم.

ولتوضيح هذا الأمر، أسرد الآتي:

حينما قررت موريتانيا عدم الدخول إلى إقليم وادي الذهب بناء على اتفاق مع المملكة المغربية بعث جلالة الملك الحسن الثاني مستشاره الأستاذ أحمد رضا آكديرة، إلى الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان، الذي كان يعتبر صديقاً لجلالة الملك. كانت الرسالة الشفوية التي حملها المستشار، تتضمن إبلاغ الرئيس الفرنسي ما قرره موريتانيا، وما سيقدم عليه المغرب، بضم هذا الإقليم الذي يعتبر جزءاً من الصحراء المغربية. ويبدو أن الجواب

الذي تلقاه المستشار اكديرة من طرف الرئيس الفرنسي، كان يحمل في طيِّه، نوعاً من عدم التشجيع على إقدام المغرب على ضم هذا الإقليم !

وكان الجنرال أحمد الدليمي يومئذ، على رأس القيادة العسكرية لمنطقة الجنوب، وكلنا يعلم أن الجنرال الدليمي تربطه علاقة بقبيلة أولاد دليم بأقاليمنا الصحراوية، وأن أعيان وأفراد هذه القبيلة كانوا يعتبرون أنفسهم مغاربة، ويعبّرون دوماً عن رغبتهم في الالتحاق بأرض الوطن تحت لواء المملكة المغربية، ولم يستسيغوا أبداً التحاقهم بموريتانيا.

ولا شك أن هذا التعاطف والاتصال الموجودين بين الجنرال وقبيلة أولاد دليم المغربية الصحراوية، سيكون عاملاً مساعداً له، حينما تحرك بفيلقه ليلاً نحو مدينة الداخلة، بعد أن أشعر القيادة العليا بالرباط بأمر هذا التحرك. وما كادت شمس صباح يوم الغد تشرق، حتى كان الجنرال الدليمي قد استقر بفيلقه داخل مدينة الداخلة، وكان لقاءه بضباط من الحامية العسكرية الإسبانية المستقرة في أحد المراكز بالمدينة، حيث تسلم الجنرال إدارة المركز بطريقة سلمية هادئة.

بعد هذا الدخول، اتصل الجنرال الدليمي بجلالة الملك الحسن الثاني ليخبره أنه بالداخلة وأنه تسلم إدارة المركز بطريقة سلمية من طرف الحامية العسكرية الإسبانية.

لقد كانت رؤية جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله، ذات بُعد استراتيجي عميق، فلو أن المغرب أخذ برأي رئيس الجمهورية الفرنسية، وتردد في استرجاع هذا الجزء من وطننا، وتأخرت بيعة قبائل إقليم وادي الذهب، لكانت مدينة الداخلة اليوم، مستقراً لعناصر الانفصال «البوليساريو» الذين يتمتعون بالدعم المطلق من الجزائر، ولتأثرت هذه الأخيرة، ما كانت تطمح فيه دوماً، وهو إيجاد منفذ إلى المحيط الأطلسي، عبر الميناء/الحلم، وأهداف أخرى...!

رحل الجنرال أحمد الدليمي عن عالمنا سنة 1983، فما الذي يمكن أن أقوله عن وفاة هذا الرجل؟

سأحكي ما أعرفه في هذا الباب، كما رصدته، وكنت من الذين جالسوا الجنرال قبل وفاته بساعات قليلة! التقينا جميعاً -يوم وفاته- في القصر الملكي بمدينة مراكش. عند دخوله، جلس بجاني، وكنا جميعاً جُلوساً في حضرة الملك الحسن الثاني. لم يكن الحاضرون كثيراً، بعض مستشاري الملك وبعض المقربين. حينما جلس الجنرال الدليمي بجاني، لاحظتُ أنّ مزاجه لم يكن مستويّاً كما أعرفه في الحالات العادية! قلتُ في نفسي: هناك شيء ما يعكّر مزاج الرجل!؟

حان وقت الغداء، فتحلّقنا جميعاً حول مائدته، حتى إذا انتهينا حوالي الساعة الخامسة مساءً، بدأ الجميع في الانصراف. توجه الجنرال إلى سيارته ليركب، وصاحبه في سيارته الخاصة الحاج أحمد الحريزي، ولعائلة الحريزي من الدار البيضاء علاقة قديمة بالملك الحسن الثاني.

ركب الإثنان متجهان إلى منزل الدليمي، الواقع في منطقة «النخيل Palmerie»، بمدينة مراكش. أما أنا، فقد اتجهتُ إلى فندق «المأمونية» حيث أقيم.

في ليلة ذلك اليوم، حوالي الساعة التاسعة ليلاً، اتصل بي أخي العزيز الجنرال ميمون وخاطبني بقوله: هل علمتَ نبأ وفاة الجنرال أحمد الدليمي؟؟ أجبتُ بالنفي! ثم أضاف بأن الجنرال سور الله هو من أخبره نبأ الوفاة، وأنها كانت بسبب حادثة سير.

ونظراً لطبيعة العلاقة التي تربطني بالجنرال الدليمي، طلبتُ من أخي العزيز أن يمرّ بي في صباح الغد، لنذهب سوياً إلى منزله، في منطقة «النخيل Palmerie». حينما وصلنا إلى مكان الحادثة قرب المنزل، وجدنا بعض رجال الدرك. انتبه إلى وجودنا ضابط الفرقة، تقدّم إلينا، وحينما تعرّف علينا، ألقى التحية، سألتناه: هل يوجد أحد بقبلا الجنرال؟ فأخبرنا بأن لا أحد يوجد في المنزل. فرجعنا أدراجنا.

الجنرال حسني بنسليمان:



يأتي مدخل علاقتي بالجنرال حسني بنسليمان، عبر بوابة كرة القدم. ولما كنتُ من المحبين لهذه الرياضة، فقد طرق سمعي اسم حسني باعتباره ذلك الحارس البارز لمرمى فريق الجيش الملكي لكرة القدم، ثم ازداد تعرفي إليه، من خلال المناصب التي تقلدها داخل دواليب الدولة، كان من بينها تعيينه عاملاً على إقليم طنجة.

غير أن علاقتي بالرجل، ستتعمق أكثر خلال لقاءاتنا المتعددة في رحاب القصر الملكي. ومما عزّز هذه العلاقة، تلك الصداقة التي جمعت بين أخي العزيز الجنرال ميمون، والجنرال حسني بنسليمان، الذي قدّم خدمات عديدة للوطن، استحق عليها عدة ترقّيات أوصلته إلى درجة «جنرال دو كور دارمي «Général de Corps d'Armée».

حميمية العلاقة التي جمعت بيننا، تستمر إلى اليوم، وتتعزيز بحضورنا في مناسبات عائلية متبادلة، أذكر منها دعوته الكريمة لحضور حفل زفاف ابنته، كما أنّه لبّي دعوتي، فحضر حفل زفاف ابني حكيم.

وبعد تقاعد الجنرال، بقي حبل الودّ بيننا متصلًا، حتى إذا تعذر اللقاء المباشر، فإن رنة الهاتف يوم الجمعة من كل أسبوع لا تغيب، وتأتي عبارته عبر المحمول تقول: اليوم سبقتك... أي أنّه كان مُكلمي الأول، قبل أن يكون

اتصالي... فالعادة الجُمُعية، إما أن أتصل أولاً، أو يسبقني إلى ذلك...!
علماً أن طبيعة الرجل، منذ عرفته، تميزت بمحدودية علاقاته، وتجنبه
الاختلاط المتعدد. ومما أضفى الحميمية أكثر على علاقتنا، تلك الصلات التي
جمعت الجنرال حسني بنسليمان، بأسرتي عبد الكريم الخطيب والدكتور
مصطفى بوجيبار.

صديقي العزيز الجنرال عبد الحق القادري:



ومن الأصدقاء الحمييين الذين صاحبوني في مساري، الجنرال عبد
الحق القادري. وتعود معرفتي بهذا الرجل إلى أواخر سنوات الستين من
القرن العشرين، وأنا يومئذ مقيم بباريس في فرنسا، أشتغل موظفاً في أحد
الأبنك هناك، بعد تخرجي مباشرة. كان عبد الحق القادري في تلك الفترة،
يشغل منصب نائب الملحق العسكري في السفارة المغربية بباريس. ومنذ سنة
1967، وهي السنة التي تعرفت فيها إلى السيد القادري، إلى تاريخ وفاته يوم 21
شتمبر 2017، ظلت علاقتنا مستمرة دون انقطاع، بل ستتطور مع مرور الأيام،
لتتحول من علاقة محصورة بيني وبين عبد الحق، إلى علاقة عائلية تتبادل من
خلالها الزيارات فيما بيننا، ثم ستغدو صداقتي بالجنرال القادري ذات طابع

حميمي جعلتنا نترافق دوما في أسفارنا مع الملك الحسن الثاني، سواء داخل المغرب أم خارجه.

ومن المعلوم أن الجنرال عبد الحق القادري من الشخصيات التي كان لها حضور قوي داخل الدولة المغربية، من خلال تقلده لمناصب سامية، بل في مناصب حساسة، ذات علاقة بالجانب الأمني للبلاد. شغل عدة مناصب مختلفة، منها منصب مدير عام للأمن الوطني، فمدير عام لمكتب الدراسات والمستندات، ثم عُيِّن مفتشا عاما للقوات المسلحة الملكية، وهو المنصب الذي ظل يشغله إلى يوليو 2004. ونظرا للخدمات التي قدمها الجنرال عبد الحق القادري لوطنه، فقد رقي إلى درجة جنرال دوكور داري Général de Corps d'Armée، ومنح أوسمة عديدة منها الحمالة الكبرى لوسام العرش، وأخرى من عدة دول صديقة.

والحق أن علاقة السيد القادري بالمحيط الملكي تعود إلى فترات سابقة، منذ أيام الدراسة في المدرسة المولوية، وهو يومئذ تلميذ يدرس إلى جانب الأمير مولاي عبد الله، لتتحول علاقة التلمذة، مع مر الزمان، إلى صداقة متينة، قرّبتة أكثر من الملك الحسن الثاني، وجعلته محط ثقة جلالته، فكان يعهد إليه ببعض المهام الخاصة.

وبالإضافة إلى الكفاءة المهنية التي عُرف بها الجنرال عبد الحق القادري، فقد توفرت فيه مجموعة من الصفات النبيلة، جعلته مقربا، ومنزل ثقة لدى الدوائر العليا، وشخصية محبوبة بين معارفه.

وقد أتاحت لي رُفقتة الطويلة أن ألمس ما كان يتمتع به صديقي العزيز عبد الحق من خصال حميدة، وربما من أهمها تلك السمة الروحية التي كانت تطبع شخصيته. وقد لا يكون الأمر غريبا، عندما نعلم أن هذا الجنرال هو قبل كل شيء، ابن الزاوية القادرية، ومنتشع بتلك الروح التي تقربه من مسالك المتصوفة. عرفته -رحمه الله- رجلا متدينا، محافظا على صلواته، ساعيا

إلى الخيرات، صاحب يد مبسوطه لمن احتاج إلى مساعدة، وهي التي لم تكن محصورة فيما هو مادي، بل وقفتُ أحيانا على ما يقدمه من خدمة في مجالات شائكة، رغبة في رأب صدع، أو إصلاح ذات البين، أو ما يمكن أن يحصل من سوء تفاهم، خاصة مع شخصيات في علاقتها بمراكز القرار العليا.

ومن الأشياء التي أثارت انتباهي في علاقتي بالجنرال عبد الحق القادري، ما وجدتُ فيه من ميل كبير إلى القراءة، والشغف بالكتب. كان قارئاً نهماً، ولم يكن الأمر غريباً بالنسبة لي، حين أجدهُ في العديد من المرات، منزوياً في ركن داخل مكتبة «عالم الفكر»، في شارع علال بن عبد الله، بمدينة الرباط، متصفحاً لهذا الكتاب، أو واضعاً عناوين أخرى إلى جانبه، تشكل ما اقتناه في تلك الجلسة. ولما كان للجنرال عبد الحق هذا الارتباط بالمجال الثقافي، فقد عمد إلى تحويل منزلهم العائلي بمدينة الجديدة إلى مركز ثقافي، وزوّده بالكتب والتجهيزات اللازمة، ليصبح من أهم المرافق الثقافية بتلك المدينة.

في السنوات الأخيرة من حياة السيد عبد الحق القادري، كان يعاني من مشكل صحي. وكان مُتابعاً لما يتطلبه الأمر من مراقبة وإجراء الفحوصات الدورية. وذات مرة، قبل دخوله إلى مستشفى ابن سينا للمراقبة الطبية، التقيتُ به، بداية الأسبوع، أخبرني بأنه مقبل على إجراء فحوص طبية في مستشفى ابن سينا. سألتُه: كم ستستغرق؟ أجابني: يوم أو يومان. فاتفقنا على اللقاء في آخر الأسبوع كما جرت العادة.

ولما طال غيابه عني مدة أسبوع كامل، اتصلتُ بزوجته، أسأل عن الحال؟ فأخبرتني بأنه ما زال في المستشفى. فالتحقتُ بهما هناك، وانتظرتُ برفقة زوجته السيدة لبابة خروجه من غرفة أجهزة الراديو؛ التفتُ إلى زوجته وقلتُ مخاطباً: لماذا لم يذهب الجنرال إلى المستشفى العسكري؟ ثم أضفتُ: هل علم جلالة الملك محمد السادس بالأمر؟ أجابتنني بالنفي.

فقلتُ: سأخبر جلالة الملك. وبينما نحن نتبادل هذا الحوار، خرج

صديقي من قاعة أجهزة الراديو، ليلتحق بغرفته، فما رأني حتى خاطبني: «أهلاً
بأ منصور...!!».

هكذا كان يناديني رحمه الله، وهو الوحيد الذي كانت تحلوه المناداة عليّ
بهذه الصيغة التي تحمل من التحبُّب ما يعكس حميمية علاقتنا العائلية. كنّا
نتبادل كلمات الاستلطاف بيننا. ونظراً لمكانة عبد الحق في نفسي، وللصداقة
العميقة التي ربطتني بالرجل أكثر من نصف قرن، لم أتردد في إنجاز ما وعدتُ
به. أبلغتُ الخبر إلى جلالة الملك محمد السادس، وكان يقيم في تلك الفترة
بمدينة باريس. سيتم الاتصال بي لطلب رقم هاتف السيد عمر القادري ابن
الجنرال. وسيخبرني هذا الأخير فيما بعد، أن جلالة الملك محمد السادس حفظه
الله قد اتصل به للسؤال عن الحالة الصحية لوالده.

ولمّا كان يحظى به الجنرال من تقدير من طرف جلالة الملك، فإنه لم
يتأخر في إصدار تعليماته السامية لأطباء المستشفى العسكري للعناية بالسيد
القادري، وذلك بنقله من مستشفى ابن سينا إلى المستشفى العسكري، وفي
الجناح الخاص وُضع تحت إشراف أطباء مغاربة، ثم شفع جلالة الملك، حفظه
الله، هذه العناية بإرسال أطباء فرنسيين، ليكونوا إلى جانب الأطباء المغاربة،
في متابعة الحالة الصحية للجنرال.

ظللتُ أقوم بعيادة صديقي عبد الحق وهو في المستشفى العسكري،
لكن حالته الصحية تدهورت في الأيام الموالية، لينتقل إلى عفو الله يوم 21
نونبر 2017، ودفن في الزاوية القادرية بمدينة الرباط، تغمده الله بواسع رحمته
وأسكنه فسيح جناته.

*** **



السيد المنصوري بنعلي

ختاما أقول ...

ما إن انتهيتُ من سرد ما دُون طَيِّ هذا الكتاب، حتى خطر ببالي هذا السؤال: ما الذي دفعني إلى التفكير في تدوين سيرتي الذاتية؟

في الأغلب الأعم، ينصرف الاهتمام إلى سيرة أولئك الذين قد تشكّل حياتهم نموذجا لتجربة إنسانية، يمكن أن تكون حاملة لما يفيد، مما ينحصر حيناً في البيئة المحدودة محلياً، وقد يمتد حيناً آخر إلى مجتمعات ذات ثقافة مشتركة، وقد تكون السيرة الذاتية ذات بُعد أعمق، حينما تكون محمّلة بما هو إنساني مشترك.

وقد خامرني شعور بأن تجربتي الشخصية، خلال مساري الممتد على مدى سبعة عقود، قد تكون حاملة لبعض ما بدا لي أنه لا يخلو من فائدة، باعتبار أن ما دَوّنته في سيرتي الذاتية، يقدم نموذجا لذلك المغربي، المنتمي إلى أسرة، منعزلة بعيداً في منطقة الريف من بلادي، استطاع بطموحه وصبره ومثابرتة، التغلب على جملة من الصّعاب التي اعترضت مساره، منذ مراحل الطفولة الأولى، وأن يحقق بعض أمانيه، ويصل إلى ما وصل إليه، بعون من الله ممدود. إنها - في جانب منها - سيرة لذلك الطفل الريفي المغربي، الذي تسكنه روح التحدي، مع شَمَمٍ وأنفّة، ونفس تأبى الضّيم، دون أن يغيب عن هذا الطفل - وقد أصبح رجلا في مقام مسؤوليات عُليا - ذلك التواضع الذي تشربته روحه، منذ التنشئة الأولى.

كما حملتُ هذه السيرة سمات ذلك المغربي الريفي، المتشبع كذلك بالروح الوطنية، المُرتخص لكل ثمين، في سبيل الدفاع عن وحدة الوطن؛ وهي قيمٌ نشأ الطفل في بيئتها، ونهل منها داخل أسرته الصغيرة، في ديار ريفية، سجّل لها التاريخ

أمجاداً، وأخرجت من تُربتها أبطالاً، كان الشريف سيدي محمد أمزيان و مُحند بن عبد الكريم الخطابي، من مجاهديها الذين سجلوا أسماءهم خالدة في التاريخ.

لقد كنتُ دائماً وما أزال، مؤمناً بأن الإسلام يعتبر الحصن الحصين لبلدي من التصدّع والتفرقة اللذين يرغب فيهما أعداؤه، وهو الأُسّ الرئيس والرصين الذي يؤلف بين المغاربة جميعاً؛ كما أُنِّيُّ أو من بأن النظام الملكي لخدمة الصالح العام، صيغة للحكم ملائمة وصالحة لبلدي في سياق تطوره التاريخي، مع الروح التجديدي الذي يطبع مسار هذا النظام ومسايرته لروح العصر.

وإذا كانت سيرتي حاملة لصورة ذلك المغربي الذي سكن شغاف قلبه حب الوطن، فسعى إلى خدمته بكل تفانٍ، فإنه في نفس الآن، هو ذلك المغربي الذي ظلت بيئته الأولى، في تلك القرية النائبة بين جبال الريف، نُصب عينيه، فلم يتردد في خدمتها. لم أكن جاحداً لمسقط رأسي ومنطقتي، ومن ثم، لم أبخل عليهما بكل ما يمكن أن يسهم في تطويرهما، وصارعتُ من أجل ذلك صراعاً كبيراً، وتحملتُ الكثير. أسجلُ هذا الأمر، دون أن يذهب الظن إلى أن كلامي يحمل شكلاً من أشكال المن.

كانت غيرتي على قريتي ومنطقتي جزءاً من غيرتي على وطني ككل، هذا البلد الذي يفتح ذراعيه للجميع باعتباره حاضناً، داخل وطن واحد متراص، لا فرق بين منطقة وأخرى، مؤمناً أن الإحساس بحبّ الوطن يتشربّه الفتى منذ الطفولة، بدءاً بحبّ المنطقة التي أنصتت لصرخته الأولى، وسقي لبَنها من فيء بذورها وثمارها. ومن ثم أرى أن روح العمل الاجتماعي، أُسّ ركين بالنسبة لمجتمعنا المغربي، تجب المحافظة عليه بل ترسيخه، وخاصة في البادية المغربية، التي تشكل جزءاً رئيساً من المجتمع.

ومما أغراني بتدوين ما سطرته من سيرتي الذاتية، ما عشتُه من أحداث ترتبط وثيقاً بالحياة السياسية في بلدي، قد يجد فيها المهتم بهذه الحياة، ما

يلقي الضوء على ما جاء في سياق الأحداث والمناسبات التي سجّلتها، أو ما يقرأ من خلال ما كتبه عن علاقاتي ببعض رجالات السياسة أو شخصيات تركت بصمتها في مسار هذا الوطن، خلال المرحلة الراهنة من تاريخ المغرب، الذي أرغب ألاّ تتكرر خلاله بعض أخطاء الماضي. وقد تحاشيتُ أحيانا ذكر أسماء بعينها، بعداً عن إيذاء الآخر، إلاّ إذا كان إخفاؤها مما يوقع في الخلط أو التشويش على الحقيقة التاريخية.

ولمّا حظّني زمني بأن أكون قريباً من المواقع العليا للقرار، وفي خدمة ملكين، الملك العظيم الحسن الثاني، طيب الله ثراه، وجمالة الملك محمد السادس، حفظه الله ورعاه، فقد كان هذا الوضع مناسبة لتقريب جوانب من شخصية هذين الملكين، من خلال مواقف وأحداث، بعضها لم يتحّ إلاّ للقليل من المقربين معايشتها. هنا امتزجت سيرتي بأخرى غيريّة، كنتُ صادقاً في رسم ملامح من معالمها، في حدود ما عشته في حضرتها من وقائع، وما وقفتُ عليه من أحداث، كنتُ أحيانا في صلبها، وهي متعددة بشكل كبير، مع الملك الراحل الحسن الثاني طيب الله ثراه. ومن ثمّ، تكون سيرتي ذاتية، ثم لا تلبث في مواقع معينة، أن يمتزج الذاتي بالغيري، حينما ينعطف الكلام إلى الحديث عن الآخرين.

وإذا كنتُ قد أفردتُ حيّزاً من هذه السيرة الذاتية للحديث عن أسماء ممن سمح الزمان بلقائهم ومخالطتهم، وأحيانا مصادقتهم، بدرجات مختلفة، فإنك -أيها القارئ- واجد في كل ذلك شرائح اجتماعية متنوعة، ارتسمت من خلالها سجايا وأمزجة، تباينت طبيعة سلوكها بتباين الأحداث واختلاف الوقائع؛ وكلها ترسم سمات للنفس البشرية في طبائعها المتباينة.

ولا ينبغي أن يدور بحلّد القارئ أنني استطعتُ أن أسطر في هذا السّفر، كل تفاصيل ما عمدتُ إلى تدوينه. فالكثير من الأشياء لا يُسعف موقعي في مراكز الدولة، لتفصيل الكلام فيها، علماً أن مختصراتها تبقى دالة.

وحسبي أنّني دَوَّنتُ ما دَوَّنتُ، بصدق، وسَطَّرتُ ما سَطَّرتُ، مما عشتُهُ حقيقةً أو كنتُ شاهداً عليه، وهو الغالب في هذا الكتاب، معتمداً على ما خَزَّنته ذاكرتي واسترجعته، متجنباً ما خامرني فيه شك، أو اضطرب تاريخه واستعصى استحضاره. إلا أن التدوين لم يأخذ هذه الصيغة في كليته، بل استند في الكثير من الأشياء على وثائق مكتوبة، وصور ملتقطة في مناسبات مختلفة، تذكّرني بالحدث وتاريخه، ومَن شهده من أشخاص آخرين، توثق الصورة حضورهم في الزمان والمكان، بل كانت بعض الأوسمة التي منحت لي، والهدايا الشخصية التي تلقيتها في مناسبات مختلفة، داخل الوطن أو خارجه، مرجعاً يذكرني بحدث أو مناسبة معينة.

وتشكّل المكتوب المستند إليه، من كتب، ورسائل، وتقارير، ومذكرات رفعتها إلى الملكين، الحسن الثاني ومحمد السادس، وغير هذا مما تجمع لديّ من ملفات، ضمّت مادة أسعفتني كثيراً في سرد ما دَوَّنته في هذه السيرة، مشيراً في نفس الآن، أن بعض ما احتوته -وهو قليل- صيغ مما حُكي لي، ممن أتتُ في روايتهم، بعضه مرتبط بشخصي، أو بما له علاقة بمهامي، سواء في المرحلة الوزارية، أم ما قضيتُه وأقضيه من زمن إلى اليوم، في رحاب الديوان الملكي؛ أملاً أن تكون هذه السيرة مضيئة لعتمة، أو كاشفة جديداً، أو حاملة لسداد ثغرة، أو فاتحة لآفاق، أو مفندة لأمر... وقد تنشأ على كل هذا وغيره، دوائر تولد أسئلة، طيها شغف الاستزادة.

*** **



بنعلی المنصوري



ملحق يضم
بعض الوثائق



رسالة التعزية التي بعثتها إلى جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، على إثر وفاة والده الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، ثم الرسالة الجوابية لجلالة الملك محمد السادس.

رسالة التعزية التي رفعها الرئيس المؤسس السيد المنصوري بن علي إلى صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إثر وفاة جلالته المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه

ASSOCIATION SOCIO-CULTURELLE
DU BASSIN MEDITERRANEEN



الجمعية الثقافية والاجتماعية
لحوض البحر الأبيض المتوسط

نَعْمُ سَيِّدِي أَعَزَّكَ اللَّهُ

بقلب دام، وعين دامعة، يتقدم خديم الأعتاب الشريفة المنصوري بن علي الرئيس المؤسس للجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط أصالة عن نفسه ونيابة عن كافة أعضاء الجمعية ومكاتبها الإقليمية في الناظور والحسيمة وشفشاون وتطوان وطنجة والدار البيضاء والرباط بإجلال وتقدير إلى أمير المؤمنين دام له النصر والتمكين بصادق التعازي والمواساة إثر المصاب الجلل الذي أصابنا جميعا بفقدان أب الأمة والدكم المنعم جلالته المغفور له الملك الحسن الثاني قدس الله روحه.

وإن الكلمات لتعجز، يامولاي، للتعبير عما نحس به من حسرة، ولن تسعفنا العبارات، مهما أوتينا من بلاغة، لتصوير ما يعتصر قلوبنا من ألم وحزن لفراق باني المغرب الحديث.

فلقد كان النبأ بمثابة زلزال هز الأركان، وصاعقة أصابت الجميع بذهول كبير، ولولا إيماننا بالله، وتسليمنا بقضائه لانفطرت منا القلوب، وقعدنا الصواب، فملجأنا الله الدائم الباقي، ولبسنا قوله تعالي :

«وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون» لقد كان الراحل الغالي ملكا عظيما وقائدا حكيما ومفكرا كبيرا، وحد الصفوف، واستكمل الوحدة الترابية، وبنى السدود، وترك بصمات واضحة في مجال التعليم والتكوين، وقاد رحمه الله المسلسل الديموقراطي وجعله مراحل يكمل بعضها بعضا، وكانت تصفيته ملف حقوق الإنسان ببلادنا صفحة وضاعة في سفره العظيم.

واحتل كفاحه الإنساني من أجل السلام والتسامح بين الشعوب مجالا واسعا في حياته المليئة بالمنجزات، فقد كانت دعواته السلمية وأراؤه السديدة رائدة لإحلال السلام في الشرق الأوسط، وتمكين الشعب الفلسطيني من حقوقه المشروعة، وتكوين دولته المستقلة فوق أرضه، وعاصمتها القدس الشريف.

وأناط به العالم الإسلام مهمة رئاسة لجنة القدس، فحمل عبئها غير هباب، وعرف، بما أوتي من موهبة ربانية، واطلاع واسع، كيف يحاور كل الفرقاء ويكسب احترامهم وتقديرهم لأرائه السديدة، وكان نضاله هذا في تواضع، لا يبغى من ورائه سمعة ولا بهرجة، يمهد السبيل، ويزيل العراقيل للآخرين، هدفه إحلال السلام، وسعادته تفاهم الفرقاء وترسيخ التعاون لفائدة الجميع.

فلا عجب أن تتأثر شعوب العالم لفقدانه، ويسارع عظماء العالم وقادة الدول لحضور مراسم جنازته، ويسيروا على الأقدام لوداع قائد كان طوال حياته خير ناصح، ونعم المصلح، ويشاركوا الشعب المغربي بكآه وحرقة على ملك ملك القلوب، وقاد المسيرات، وأبى إلا أن يقود، وهو محمول على الأكتاف إلى مثواه الأخير، مسيرة أخرى تشارك فيها شعبه شعوب العالم ممثلة بقادتها وزعمائها، وهي مسيرة الاعتراف بجهاده من أجل شعبه الوفي ومن أجل خير الإنسانية جمعاء، فجزاه الله خيرا، وأسكنه فسيح جناته، خدّم شعبه حيا وميتا، وجاهد ليفتح النوافذ أمامنا، وهو حي بين ظهرانينا، وأبى إلا أن يفتح الأبواب على العالم من حولنا وهو يودعنا الأخير.

فإذا كان القدر المحتوم قد قضى بأن يغادرنا الحسن الثاني بجسده الطاهر، فإن روحه ستبقى معنا تظللنا، وتقود خطواتنا في دروب الحياة، وسيواصل خلفه الصالح صاحب الجلالة أمير المؤمنين سيدي محمد نصره الله إتمام مسيرات والده المنعم في مختلف المجالات، وإنه لقادر على ذلك بفضل ما يتمتع به من عقل راجح، ومعرفة واسعة، وتجربة عميقة، وتكوين راسخ في المدرسة الحسنية الفذة.

ورغم هول الكارثة، يامولاي، لامناص من أن نلم شتات عزمنا، ونبايع أمير المؤمنين محمدا معاهدين على الولاء والإخلاص لشخصه الكريم ومؤكدين تعلقنا الدائم بالعرش العلوي المجيد، ونواصل الخطى على المحجة البيضاء التي سنّها الراحل الغالي تحت قيادتكم المباركة.

والله نسأل أن يعظم أجر أمير المؤمنين، ويبارك في عمره، ويحقق على يده رجاء والده قدس الله روحه.

والسلام على المقام العالي بالله ورحمة الله تعالى وبركاته.

خديم الأعتاب الشريفة



المنصوري بن علي

رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، إلى الرئيس
المؤسس المنصوري بن علي على إثر برقية التعزية في وفاة والده المنعم
جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني قدس الله روحه.



جَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَغْرِبِيِّ
الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

خديمتنا الأَرْضِي ومُحِبَّ جنابنا الشَّرِيفِ ، السَّيِّدِ
المنصوري بن علي ، رئيس الجمعية الثقافية لحوض
البحر الأبيض المتوسط .

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ،

وبعد ، فقد تأثرنا غاية التأثير لرسالة التعزية
والمواساة التي تلقيناها منك ، باسمك ونيابة عن
أعضاء جمعيتكم الموقرة ، في وفاة والدنا العزيز
فقيه الأمة العربية والإسلامية ، صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني ، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه
فسيح جناته .

وقد كان لما ورد فيها من مشاعر طيبة كريمة في
حق الراحل العظيم وفي حقنا أطيّب الأثر في
نفسنا وأبقاه .

ونودّ أن نعبّر لك ولجميع أعضاء الجمعية عن



عن جزيل شكرنا وتقديرنا، سائلين الله تبارك وتعالى
أن يحفظكم من كل مكروه، ويديم عليكم نعمة الصحة
والعافية والمهناء، ويبقيكم جنوداً مجتهدين لخدمة
الوطن العزيز، أعواناً لخادم شعبه الأول، بكل ما
آتاكم الله من قوة وإيمان، أنه سميح مجيب، وهو نعم
المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الإثنين 22 رجب عام
1420 . الموافق لفتح نونبر سنة 1999 .

محمد السادس
ملك المغرب

كس

الترحم على روح المغفور له الملك محمد الخامس
الترحم على روح المغفور له الملك الحسن الثاني



وقفة ترحم على قبر المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وإلى جاني مؤرخ
المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور



وقفة ترحم على قبر المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، وإلى جاني مؤرخ
المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

الحمد لله وحده



والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه

صاحب الجلالة الملك سيدي محمد بن الحسن

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

- الرباط -

بوافر التقدير والاعتزاز تلقيت رسالتكم المتضمنة
لتهانيتكم الخاصة بمناسبة عقد قراني .
وإنني إذ أعرب لكم عن بالغ شكري وصادق امتناني
على ما عبرتم عنه من مشاعر طيبة وعواطف نبيلة مفعمة بالولاء
والإخلاص، لأتضع إلى الله جل وعلا أن يحفظكم ويرزقكم موفور
الصحة والعافية والهناء، وأن يجعل الصالح العام مسعاكم .
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

25 مارس 2002

محمد السادس
ملك المغرب

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه



صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

بسرور بالغ واعتزاز عميق تلقيت تهانيتكم الخالصة بمناسبة
حلول السنة الميلادية الجديدة 2008 .
وإنني إذ أتوجه إليكم بأسمى آيات الشكر والامتنان على ما
عبرتم عنه من مشاعر نبيلة مفعمة بالولاء والإخلاص، لأتضرع إلى
الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويسدل عليكم رداء الصحة
والسعادة والهناء والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

محمد السادس
ملك المغرب

الحمد لله وحده



والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه

صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

تلقيت بمزيد من البهجة والسرور تهانيكم الصادقة بمناسبة حلول
السنة الهجرية الجديدة 1430 .

واني إذ أعرب لكم عن شكري وامتناني العميقين على ما عبرتم
عنه من مشاعر نبيلة طافحة بالولاء والإخلاص، لأبتهل إلى الله سبحانه
وتعالى أن يحيطكم بدوام حفظه ورعايته، ويعيد عليكم أمثال هذه
المناسبة الجليلة بموفور الصحة والسعادة والهناء والتوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

6 نونبر 2009

محمد

محمد السادس
ملك المغرب

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه



صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

يسرني غاية السرور وقد تلقيت تهانيتكم بمناسبة حلول عيد
المولد النبوي الشريف، أن أعرب لكم عن جزيل شكري وصادق
امتثاني على ما عبرتم عنه من مشاعر نبيلة مفعمة بالولاء والإخلاص .
أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدكم بحفظه وتوفيقه، ويديم عليكم
نعمة الصحة والعافية والهناء .

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

6 0 مارس 2010

محمد السادس
ملك المغرب

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه



صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

تلقيت بمزيد من البهجة والسرور تهانئكم الخالصة بمناسبة حلول
الذكرى الحادية عشرة لترعي على عرش أسلافي المنعمين .

وإنني إذ أعرب لكم عن شكري الجزيل وامتثاني العميق على
مشاعركم الطيبة الطافحة بالولاء والوفاء، لأبتهل إلى الله سبحانه وتعالى
أن يحفظكم ويسدل عليكم رداء الصحة والسعادة والهناء والتوفيق .
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

محمد السادس

ملك المغرب

10 أكتوبر 2010

والصلاة والسلام على مولانا
رسول الله وآله وصحبه



الحمد لله وحده

صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى

السيد المنصوري بن علي
الديوان الملكي

تلقيت بوافر التقدير والابتهاج تهانئكم بمناسبة حلول عيد
الأضحى المبارك.

وإنني إذ أتوجه إليكم بتشكراتي الحارة وامتناني البالغ على ما
عبرتم عنه من مشاعر نبيلة طافحة بالولاء والإخلاص، لأطلب الله
سبحانه وتعالى أن يمدكم بدوام حفظه ورعايته، ويمتدكم بنعمة الصحة
والسعادة والهناء والتوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

محمد السادس
ملك المغرب

22 نونبر 2010.



صاحب السمو الملكي
الأمير مولاي رشيد

السيد المنصوري بن علي
مكلف بمهمة بالديوان الملكي

لقد تلقيت بكامل التقدير تهنئتك الحية بمناسبة عقد قراني،
وإنني لاذ أشكركم على نيل مشاعركم وصدق أحاسيسكم،
لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويرعاكم وأن يسدد
خطاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حرره في يوم الاثنين 24 شعبان 1435 هجرية الموافق 23 يونيو 2014 ميلادية

رشيد بن الحسن



*Son Altesse Royale
le Prince Moulay Rachid*

Rabat, le vendredi 30 juin 2000

A
Monsieur Ben Ali MANSOURI

Monsieur,

J'ai été sensible aux marques d'attention que vous m'avez
témoignées à l'occasion de mon anniversaire.

Je vous en remercie et vous prie d'agréer, Monsieur, l'expression
de mes sentiments les meilleurs.

Rachid Ben Hassan

بعض المذكرات والوثائق

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

20 شعبان 1414

2 - جمادى 1394

ب . هـ / غ

المملكة المغربية

الديوان الملكي

مستشار صاحب الجلالة

1 - 0246

من مستشار صاحب الجلالة
إلى
السيد المنصوري بن علي
مكلف بمهمة بالديوان الملكي

سلام تام بوجود مولانا الامام دام له العز والنصر .

وبعد ، يسعدني أن أوجه لسيادتكم ظهير التوقير والاحترام
الذي تفضل صاحب الجلالة ، نصره الله ، فأنعم به عليكم وعلى أفراد
عائلتكم الكريمة من الشرفاء الوكيليين .

ويطيب لي بهذه المناسبة أن أهنئكم أنتم وأحاكم الكولونيل
ماجور ميمون وباقي من حظي بهذا التكريم وهذه الالتفاتة المولوية
السامية داعياً لكم ولعائلتكم بموفقور الصحة والعافية والسعادة والهناء
في ظل سيدنا دام له العز والنصر والتمكين .

وتفضلوا بقبول كامل مودتي وتقديري ، والسلام .

مستشار صاحب الجلالة



إمضاء : أحمد ابن سودة

نص ظهير التوقير لفائدة السيد المنصوري بن علي وعائلته الذي بعثه مستشار
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه الأستاذ أحمد بنسودة.

ظهير التوقير والاحترام الذي أنعم به جلالة الملك الحسن الثاني على عائلتنا



جَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَغْرِبِيِّ الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



يَعْلَمُ مِنْ كِتَابِنَا هَذَا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَأَعَزَّ أَمْرَ أُنْسَانَا
جَدِّدِنَا لِحَدِّ يَمِينِنَا الْأَرْضِيِّينَ الْكَوْلُونِيْلَ مَا جُورِيْمِيُونِ وَأُخِيهِ
بِنْعَالِي ابْنِي الْمَرْحُومِ الْمَخْتَارِ الْمَنْصُورِيِّ الْوَكِيلِي الْإِدْرِيْسِيِّ
وَإِخْوَانِهِمَا وَأَبْنَاءَ عَمَّتِهِمُ الشَّرِيفَاءِ الْوَكِيلِيَيْنِ الْقَاطِنِيْنَ
بِإِقْلِيمِ النَّاطُورِ- حُكْمٌ مَا تَضَمَّنَتْهُ ظَهَائِرُ أَسْلَافِنَا الْكَرَامِ،
قَدَّسَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي دَارِ السَّلَامِ، مِنْ إِقْرَارِهِمْ عَلَيَّ مَا
عَهَدَ لَهُمْ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالْإِحْتِرَامِ، وَالرَّعْيِ الْجَمِيلِ الْمُسْتَدَامِ،
مُرَاعَاةَ لِنَسَبَتِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَخَيْرَتِهِمُ الظَّاهِرَةِ بِحَيْثُ
لَا تُخْرَقُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ عَادَةٌ، وَلَا يُحْدَثُ فِي أَمْرِهِمْ
نَقْصٌ وَلَا زِيَادَةٌ، تَجْدِيدًا تَامًا، شَامِلًا عَامًّا.

وَنَامِرَ الْوَاقِفِ عَلَيْهِ مِنْ عَمَّالِنَا وَوَلَاةِ أَمْرِنَا أَنْ يَعْلَمَهُ
وَيَعْمَلَ بِهِ، وَلَا يُحِيدَ عَنْ كَرِيمِ مَذْهَبِهِ، وَالسَّلَامِ.



صَدَرَ بِهِ أَمْرُنَا الْمَعْتَزُ بِاللهِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ 18 جُمَادَى الْأُولَى
عَامِ 1414 هـ الْمَوْافِقِ لـ 3 نَوْنِبْرِ سَنَةِ 1993 م





الحمد لله رب العالمين
والأيدى الأملِكُ



يُعلم من كتابنا هذا الأسماء الإلهية والعزائم النبوية التي سجلت في كتابنا
أنعمت علينا بتأليفه خديعة السيد المنصور بن علي
وزير جلالتنا في النقل
بوسام العرش من درجة مترادفا
رغبتنا إليه من أهلية وأغترار كبري جلالتنا فليكن له هدايا الوستام
مصحوبا باليمن والسعادة بفضل الله وعنايته بيمينه

وحريز بالقطر الملكي بالرباط في 24 جمادى الثانية 1405 / 17 مارس 1985 وتسجل هذا الكتاب الشريف تحت رقم 1864.303.85

وزير الشؤون الملكية والتشريفات والأوسمة
عبد الحفيظ القاعدي
عبد الحفيظ القاعدي

الحمد لله رب العالمين
والأيدى الأملِكُ



يُعلم من كتابنا هذا الأسماء الإلهية والعزائم النبوية التي سجلت في كتابنا
أنعمت علينا بتأليفه خديعة السيد بن علي بن مختار المنصور
المكلف بمهمة بديواننا الملكي
بوسام العرش من درجة قائد
رغبتنا إليه من أهلية وأغترار كبري جلالتنا فليكن له هدايا الوستام
مصحوبا باليمن والسعادة بفضل الله وعنايته بيمينه

وحريز بالقطر الملكي بالرباط في 7 صفر 1430 الموافق 30 يونيو 2009 وتسجل هذا الكتاب الشريف تحت رقم 0002.302.09

بأمر من صاحب الجلالة
عبد الحق المريني
مدير التشريفات الملكية والأوسمة، عبد الحق المريني



بعض أوسمتي :
وسام الداخلة
وسام المسيرة الخضراء
وسام من درجة ضابط
وسام من درجة قائد



وسام الاستحقاق الذي تسلمته من رئيس الجمهورية الفرنسية السيد جاك
شيراك، خلال زيارة رسمية لجلالة الملك الحسن الثاني إلى فرنسا.

FRANCE

ORDRE NATIONAL DU MERITE

- 755 -



وسام الاستحقاق المدني الذي تسلمته من الملك الإسباني خوان كارلوس في
زيارة رسمية لجلالة الملك الحسن الثاني إلى إسبانيا

MERITE CIVIL ESPANE



الوسام الملكي (فيكتوريا) الذي تسلمته من الملكة إليزابيث الثانية، خلال
زيارة رسمية لجلالة الملك إلى المملكة
البريطانية

GRANDE BRETAGNE
COMMNDEUR
ORDRE ROYAL DE VICTORIA



الوسام الوطني الذي تسلمته من رئيس الجمهورية الإيطالية فرانسيسكو
غوسيجا، خلال زيارة الرسمية لجلالة الحسن الثاني إلى إيطاليا

ITALIE

ORDRE NATIONAL DU MERITE



وسام الاستحقاق الذي تسلمته من رئيس الجمهورية البرتغالية أدلفو سواريز، خلال الزيارة الرسمية لجلالة الملك الحسن الثاني للبرتغال.

PORTUGAL
ORDRE DU MERITE



وسام الاستحقاق الفيدرالي الذي تسلمته من رئاسة الجمهورية الألمانية
الاتحادية

ALLEMAGNE

ORDRE DU MERITE FEDERAL



وسام الحمالة الكبرى الذي تسلمته من رئاسة جمهورية البرازيل الاتحادية

BRESIL

ORDRE DU RIO BRANCO



وسام الاستحقاق الذي تسلمته من رئاسة جمهورية السنغال، خلال فترة
الرئيس السنغالي ليوبولد سيدار سنغور.

REPUBLIQUE DE SENEGAL

ORDRE DU MERITE

المذكرة التي رفعتها إلى جلالة الملك محمد السادس نصره الله،
في شأن أقدم مسجد بمليلية

Royaume du Maroc

Cabinet Royal

Mansouri Benali



المملكة المغربية

الكيوان الملكي

المنصوري بنعلي

Fiche

A la Très Haute Attention de Sa Majesté le Roi

Majesté.

J'ai l'insigne honneur de faire parvenir à Votre Majesté, une lettre émanant de l'Association Musulmane de la ville occupée de Melilla, vous priant de bien vouloir donner instruction au Ministère des Habous et des Affaires Islamiques pour la construction de la nouvelle mosquée, à la place de celle construite en 1910 déclarée aujourd'hui insalubre suite à l'expertise décidée par les autorités espagnoles et marocaines.

Majesté, je me permets de porter à la Très Haute Connaissance de Votre Majesté que ce dossier que je suis personnellement avec le Ministère des Habous et l'Association, est en instance depuis plus de cinq ans suite à l'épisode du coronavirus. Les autorités espagnoles ayant voué le bâtiment à la destruction pour construire un projet immobilier, il devient opportun de reprendre ce projet d'autant plus que le terrain appartient au Ministère des Habous.

Rabat, le 03 Mai 2024

Majesté, suite aux Directives Royales de mise à niveau des mosquées à travers le Royaume, une action spécifique du Ministère des Habous a concerné l'amélioration de la situation des Imams et des Khotabas et la fourniture de tapis marocains pour les 20 mosquées de la ville occupée de Melilla sous tutelle du Ministère des Habous.

Majesté, la communauté musulman ed'origine marocaine s'est mobilisée pour défendre ce lieu contre tout projet commercial espagnol, ce qui a poussé le conseil municipal actuel à majorité musulmane à délivrer le permis de construction.

Majesté, tant que cette majorité préside le Conseil municipal, il convient de bénéficier de cette opportunité pour construire la nouvelle mosquée dès que possible.

Que Dieu Protège Votre Majesté.

Respectueusement,

Mansouki Benali



P.J :

- la lettre de l'Association Musulmane de la ville de Melilla*
- une photographie de l'ancienne mosquée*
- une image du projet du Ministère des Habous de la nouvelle mosquée*

CONSEJO RELIGIOSO MUSULMÁN DE MELILLA

AL EXCELENTISIMO SEÑOR MANSURI BEN ALI, DEL GABINETE REAL DEL REINO DE MARRUECOS.

Por el presente escrito, **DON UARIACH MOHAMED MOHAMED**, con DNI 45.284.034-R, y en calidad de Presidente del Consejo Religioso Musulmán de Melilla (CRMM), con domicilio social en C/ García Cabrelles Nº 13, de 52002 Melilla e inscrita en el Registro de Entidades Religiosas del Ministerio de la Presidencia, Relaciones con las Cortes y Memoria Democrática con el nº 016385 y nº antiguo 3265-SE/A y con CIF. Q290027-B.

Queremos comunicarle la situación en la que se encuentra, a día de hoy 16 de abril de 2024, la Mezquita El Ouiam El Hassan en Melilla, conocida como "La Mezquita del Buen Acuerdo".

Tras haber conseguido primero, la aprobación al anteproyecto por parte del Ministerio de Asuntos Islámicos del Reino de Marruecos; en segundo lugar, la aprobación de la propuesta volumétrica y de usos por parte de la Comisión de Patrimonio y Cultura de la Ciudad de Melilla; y en tercer lugar la concesión de la Licencia Urbanística por la Administración Local en enero de 2021. Nos preocupa que, tras tanto esfuerzo y trabajo desde 2015, quede en nada los derechos que se han obtenido sobre la actual Mezquita. A esto hay que sumarle dos circunstancias concretas que acentúan aún más la preocupación de la población musulmana de la ciudad.

Siendo por un lado la fase de Aprobación Inicial del nuevo Planeamiento Urbanístico de 2022, que en un principio afectaba de manera directa al solar donde se erige la Mezquita, restringiendo a una altura de planta la edificación y calificando de espacio libre casi la mitad de la finca, imposibilitando el desarrollo del proyecto de Centro Cultural y Nueva Mezquita. Que posteriormente tras alegaciones nuestras se rectificó; y que tras el cambio de gobierno local a uno conservador el pasado año, se pueda revertir lo hasta ahora conseguido y perder esa intensidad de calificación del suelo, a posteriori, anulando la Licencia Urbanística.

El segundo aspecto que nos preocupa es la declaración de la ruina económica por parte de la Administración Local de Melilla. Figura jurídica que otorga la posibilidad de cerrar y prohibir la actividad, alegando al mal estado estructural que llevan años anunciando, y que por medios propios de la comunidad musulmana se ha ido solventando para evitar daños personales a los usuarios.

Por todo lo mencionado, rogamos a su Excelencia que interceda por nosotros al Reino de Marruecos y a su Majestad el Rey y otorguen de los medios necesarios para desarrollar tan noble causa como es erigir una Mezquita ahí donde la comunidad musulmana lo necesita.

En Melilla, a 16 de abril de 2024.

CONSEJO RELIGIOSO MUSULMÁN DE MELILLA

CIF.: R2900272B

N.R. Entidades Religiosas 016385

C./ García Cabrelles, 13 - 52002 Melilla

المراسلة التي وجهتها الجمعية الإسلامية لمدينة مليلية، بتاريخ 16 أبريل 2024، إلى السيد المنصوري بنعلي، من أجل تدخله لدى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، لتسريع عملية إعادة بناء المسجد قبل أن تتدخل السلطة المحلية بمدينة مليلية لهدمه، وتخصيص مكانه لبناء مشاريع عقارية وتجارية نظرا لموقعه المتميز.

تكوين يسجل جانبا من الاهتماماتي بالمدينتين المحتلتين، مليلية وسبتة، وبعض الاقتراحات لتخفيف معاناة السكان المغاربة.

يعاني سكان مدينتي مليلية وسبتة المحتلتين، جملة من الصعوبات في مجالات متعددة، من أبرزها المعاناة الاجتماعية وتظهر في مستويات.

لكن قبل توضيحها، تجب الإشارة إلى أن ما قامت به الدولة المغربية لمحاربة ظاهرة التهريب، مما كان يمسّ بسمعة البلاد، وخاصة صور النساء اللاتي يحملن على أكتافهنّ مواد التهريب المعيشي، هو أمر لا رجعة فيه، ويجب مقاومة هذا التهريب بمختلف أشكاله، وبكل الوسائل التي تملكها الدولة.

لكن يجب التمييز بين هذا الأمر، ومعاناة العائلات المغربية التي يتواصل أفرادها المقيمون في المدينتين المحتلتين بأهلهم في المناطق المغربية الأخرى، وخاصة إقليمي الناظور وتطوان. لقد كان العبور بين هاتين المدينتين والإقليمين المشار إليهما، أمراً يسيراً في السابق، لكنه غداً عسيراً بعد وضع القيود المرتبطة بالتأشيرة، فصعب التواصل، بل قلّ. ونحن نعلم أن التواصل بين السكان المغاربة في المدينتين المحتلتين والمناطق الأخرى من وطننا، يحافظ على الروابط بين هؤلاء، ويعمل على تعميق الروح الوطني في نفوس سكان المدينتين المحتلتين، وخاصة عند زيارتهم في الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية.

وتشكل مدينتا الناظور وتطوان متنفساً لسكان مليلية وسبتة، من الناحية السياحية والاقتصادية، سواء بالنسبة للسكان المغاربة أم الإسبان، خاصة بعد

تشديد منشآت سياحية من الطراز الرفيع في الناظور، وخاصة مارتشيكا، وما شهده إقليم تطوان من تغييرات، جعلته منطقة تستقطب سياحاً كثيراً. وكل هذا يخلق حركة اقتصادية مهمة في تلك المناطق من وطننا.

لهذا يكون الالتفات إلى تسهيل العبور بين المدينتين المحتلتين مليلية وسبتة، وإقليمي الناظور وتطوان، أمراً مهماً بالنسبة للعائلات المغربية في تلك المنطقة الشمالية من بلادنا.

وعلى المستوى التعليمي، هناك في مليلية مدرسة مغربية واحدة يرفرف فوقها العلم المغربي، لكنها تحتاج إلى عناية أكبر، علماً بأن أطرها ينتسبون إلى وزارة التربية الوطنية المغربية، غير أن هذه المدرسة لم تعد كافية لاستيعاب من يرغب من المغاربة في الالتحاق بها، ثم إنها لا تتوفر على مستوى التعليم الثانوي، مما يدفع السكان المغاربة إلى تسجيل أبنائهم في المدارس الإسبانية، ويترتب على هذا الأمر سلبيات عديدة، تمس بالهوية المغربية لهؤلاء التلاميذ. لذا ترغب الساكنة المغربية، منذ أكثر من ثلاثين سنة، في توسيع الطاقة الاستيعابية لهذه المدرسة في المرحلة الابتدائية وإحداث أقسام التعليم الثانوي بها، مع العناية بالبنية، والحرص على تعيين أساتذة وموظفين أكفاء من طرف وزارة التربية الوطنية المغربية، مع تحسين وضعيتهم المادية.

وفيما يخص الجانب الديني والروحي، فالمساجد في المدينتين المحتلتين، تشكل قناة لتعميق التمسك بالديانة الإسلامية من جهة، وتعزز روح الانتماء إلى المغرب الوطن الأم، وتعزز الارتباط بإمارة المؤمنين. هذه المساجد تحتاج إلى زيادة الاهتمام بحالتها، ولا سيما أن وزارة الأوقاف تشرف عليها وعلى تعيين الأئمة بها، لذا يجب المزيد من تحسين وضعيتهم هؤلاء الأئمة. ويمكن لهذه المساجد أن تكون مقراً لتحفيظ القرآن الكريم، ومن خلاله يتشبع الأطفال باللغة العربية، بالإضافة إلى تلقين الناشئة ما يعمق انتماءهم لوطنهم المغرب.

وفي هذا الجانب الديني، يجب الالتفات إلى الزوايا بالمدينتين المحتلتين، وإدراجها ضمن الزوايا المنعم عليها بالهبات الملكية. أما ما يتعلق بمناسك الحج، فيجب إشراف وزارة الأوقاف ووزارة الداخلية، بالتنسيق مع الجمعيات الإسلامية المحلية، في عملية توزيع البطاقات المنعم بها باسم أمير المؤمنين، حتى تصل إلى مستحقيها.

هذه بعض مظاهر معاناة سكان المدينتين مليلية وسبتة، بعد أن رصدنا ما تتبعه السياسة الإسبانية في هاتين المدينتين المحتلتين، والتي تسعى بكل الوسائل إلى إضعاف الروابط التي تجمع بين السكان المغاربة بالمدينتين ووطنهم الأم، المغرب، ولا سيما الطبقة الفقيرة وأبنائهم.

وقد تعددت وسائل الاستقطاب، منها منح الجنسية وما تحوله من امتيازات منها لتأشيرة «شينغن»، والتغطية الصحية، والتعويض على البطالة، إلى غير ذلك ...

بل هناك استغلال سلبي لمسألة «الأمازيغية»، تتمثل في تمكين الأمازيغ من قناة إعلامية، تشتغل بالإسبانية والأمازيغية (تاريخية)، وتوظف هذه الوسيلة الإعلامية في إطار الانسلاخ عن الهوية المغربية.

وإذا كانت أرض المدينتين المحتلتين ذات أهمية بالنسبة لبلدنا، فإن سكانهما لا يقلون أهمية عن الأرض التي يعيشون عليها. لذا، فالاهتمام بالسكان المغاربة في مليلية وسبتة، على جانب كبير من الأهمية في الظروف الحالية، حتى تتجنب بلادنا ما وقعت فيه إسبانيا نفسها، في مسألة جبل طارق حين استفتت حكومة هذه المنطقة سكانها، فمال 90% من الإسبان الذين قطنوا جبل طارق إلى الارتباط بالمملكة البريطانية، معلنين أنفسهم إنجليزاً، منسلخين عن هويتهم الإسبانية.

من أقدم المساجد بمدينة مليلية المحتلة



مسجد بمدينة مليلية المحتلة، تم بناؤه سنة 1910
تابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.



صورة للحالة المزرية التي حلت بالمسجد، حيث أصبح مهددا بالهدم نظرا للخطر
الذي يشكله على المصلين، حسب تقرير الخبرة التي قامت بها السلطات المحلية،
بمضور وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.



مشروع إعادة بناء مسجد مدينة مليلية المحتلة

- تم بناء المسجد في سنة 1910، وكان هبة من الملك ألفونسو الثالث عشر (XIII).
- وهو أحد المساجد من حوالي خمسة عشر (15) مسجداً، التي بُنيت جميعها من طرف المحسنين، وتحت تسيير وزارة الأوقاف.
- لم تتمكن الدولة المغربية على الإطلاق من بناء المساجد في مدينة مليلية المحتلة، نظراً لعدم حصولها على تراخيص من السلطات الإسبانية.
- تم التصريح بأن المسجد غير صالح لإقامة الصلاة، ويشكل خطراً على المصلين وعلى البناءات المجاورة، بعد الخبرة المقررة من طرف السلطات الإسبانية والمغربية.
- قررت السلطات الإسبانية هدم المسجد قصد بناء مشروع عقاري وتجاري، لذا يجب الإسراع باستئناف هذا المشروع، المتوقف منذ عدة سنوات بسبب عدة عوامل، ولا سيما جائحة كورونا.
- تمكنت الجمعية الإسلامية بمدينة مليلية من تقديم وثائق للسلطات المحلية، مؤرخة في سنة 1946، من الأرشيف الوطني بمدريد، من طرف المحامي الموكّل من طرف هذه الجمعية، تؤكد أنه، منذ بناء المسجد، ووزارة الأوقاف تؤدي ما عليها من الرسوم والضرائب المتعلقة بهذا المسجد. كما أن هذه الوثائق أثبتت أن المسجد والبقعة الأرضية التي بُني عليها في ملكية وزارة الأوقاف، (انظر الوثيقة المرفقة الخاصة بأداء الضرائب والرسوم).
- تجنّد السكان من أصل مغربي، وأخذوا على عاتقهم، منذ سنوات، الدفاع عن هذا المسجد، ضدّ كل مشروع تجاري إسباني، مما دفع المجلس البلدي الحالي الذي يتكون من أغلبية حزب "التكتل من أجل مليلية" الذي يترأسه الدكتور مصطفى أبرشان من أصل مغربي، بإصدار ترخيص لإعادة بناء المسجد الجديد.
- ما دام هذا الحزب يترأس المجلس البلدي لمليلية، فمن المناسب، في أقرب وقت، استغلال هذه المناسبة لإعادة بناء المسجد الجديد.

في إطار متابعتي لهذا الملف، عقدت جلسة مع السيد أحمد التوفيق وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، بتعليمات سامية من صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وقد سلمت هذه الوثيقة للسيد الوزير، التي تضمنت مجمل النقاط التي كانت محور حديثنا في هذا الاجتماع. وقد وجدت تجاوبا كبيرا من السيد الوزير للقيام بإعادة بناء مسجد مليلية المحتلة في أقرب الآجال.

Royaume du Maroc

Cabinet Royal

Mansouri Benali



المملكة المغربية

الكيوان الملكي

المنصوري بنعلي

مشاكل العبور التي يتعرض له الأئمة والخطباء

على حدود مدينة مليلية المحتلة

* - * - *

* بسبب المشاكل وصعوبة الحصول على الفيزا، وتشديد إجراءات العبور، يتعذر على الأئمة والخطباء التوجه إلى مدينة مليلية، لأداء الصلوات والإمامة، بحيث سابقا كان الدخول إلى مليلية بجواز السفر فقط.

* حاليا، توجد خمس مساجد لا تتوفر على أئمة ولا خطباء، ثلاثة منهم وفاتهم المنية، واثنان من الخطباء تقاعدوا. بالإضافة إلى الاحتفاظ ببعض الأئمة الذين هم في سن التقاعد، نظرا لعدم تعيين من يخلفهم.

* بسبب صعوبة الحصول على الفيزا، والانتظار في مركز العبور أكثر من ثلاث ساعات، لا يستطيع الأئمة والخطباء القاطنين في مدينة الناظور من الدخول إلى مليلية.

* خصصت وزارة الأوقاف مسجدين في كل من بني نصار وفرخانة، وكلاهما يوجدان على الحدود، لتكوين الأئمة القاطنين بمدينة مليلية. لم يستطع هؤلاء الأئمة من الذهاب إلى هذين المسجدين مدة ثلاث سنوات بسبب المشاكل وصعوبة العبور إلى مليلية.

* كحل لمشكل العبور، يوجد معبر خاص في الحدود، مخصص لبعض الشخصيات الرسمية، للمرور بسهولة ودون الانتظار، حذا لو استطاع الأئمة والخطباء العبور إلى مليلية بسهولة بتقديم جواز السفر فقط، أو الحصول على فيزا طويلة الأمد. لهذا على السلطات المغربية الاتصال بالسلطات الإسبانية لإيجاد حل لمشكل عبور الأئمة والخطباء.

* نفس المشاكل يعرفها العبور إلى مدينة سبتة المحتلة.

في إطار متابعتي لهذا الملف، عقدت جلسة مع السيد ناصر بوريطة، وزير الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين في الخارج، بتعليمات سامية من صاحب الجلالة الملك محمد السادس حفظه الله، وقد سلمت هذه الوثيقة للسيد الوزير، التي تضم النقاط التي كانت محور حديثنا. وقد وجدت كل التجاوب من السيد الوزير في هذا الموضوع.



صورة للتصميم المعماري والهندسي (الصومعة)، لمشروع إعادة بناء مسجد مليلية،
من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية.

الرسالة الموجهة إلى الأستاذ المنصوري بنعلي من طرف رؤساء الجمعيات، أعيان
وأباء التلاميذ حول وضعية التعليم المغربي بمدينة مليلية المحتلة

نحن الموقعين أسفله رؤساء الجمعيات، أعيان، آباء التلاميذ
من مدينة مليلية
بسم الله الرحمن الرحيم
مليلية في: 16/6/1999

صاحب الفضيلة والسعادة:

الوزير بالديوان الملكي
المنصوري بن علي الرباط

الموضوع : حول وضعية التعليم
المغربي بمدينة مليلية

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد :

بكل فخر واعتزاز، يسرنا ويسعدنا ان نلتجئ الى فضيلتكم المحترمة لنضع بين يديكم ملتصنا هذا
حول وضعية التعليم المغربي بمؤسسة مقر الطلبة المغاربة بمدينة مليلية العزيزة. راجين منكم التدخل
لعرض ملتصنا هذا على انظار صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله. لتحسين هذه
الوضعية و العناية بها تربويا، اداريا واجتماعيا تجعلها تواكب مثيلاتها الاسبانية ، فهي الوحيدة التي
تمثل وجه المغرب بهذه المدينة السلبية. التي يرفرف عليها العلم المغربي فيها تلقن مضامين منهجية
التعليم المغربي ، و منها يستمد ابناءونا الهوية والاصالة المغربيتين، الى جانب اعتبارها المركز الوحيد
للاشعاع الديني والثقافي الاسلامي من اجل هذا كله نلتص من مولانا امير المؤمنين مساعدتنا للحفاظ
على دائرة اشعاعها وذلك بتحقيق مطالب السكان الاتي ذكرها:

1- مطلبنا الاكيد الاحتفاظ بالمدير الحالي السيد ميمون البالي المشرف على التقاعد ، الذي
استطاع ان يحييها ويرقي بها في شتى المجالات رغم قلة الامكانيات .ونسوق هنا مثالا لهذه الجهود
فرغم ظروف الاستعمار فانه استطاع احداث. التعليم الاعدادي (بكل هدوء) الذي عاد بالنفع على سكان
هذه المدينة، والذين يثنون عليه كل خير.

وتقديرا لمجهوداته الجبارة وسعيه الدؤوب لصالح المؤسسة التي ادارها بكفاءة واقتدار فقد تفضل
فأثتم عليه مولانا امير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بوسام الاستحقاق من
الدرجة الممتازة. فإحتفاظه بهذا المنصب مكسب ثمين للمؤسسة و السكان .

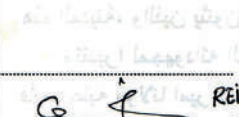
2- التذكير في احداث التعليم الثانوي (سيما و ان لجنة مهياة لذلك).

3- التعجيل بتوسيع واصلاح بناية المؤسسة و تجهيزها بأحدث المعدات.

4- العناية التربوية والاجتماعية و المادية لابنائنا للحد من هجرة المؤسسة.

5- بتحقيق هذا المطلب نقف في وجه الاغراءات و الاشارات السلبية التي تحاك ضد هذا المركز.
وفي الاخير فائنا سكان مدينة مليلية نغتتم هذه الفرصة لتجديد ولاءنا واخلاصنا لعاهل البلاد
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الامضاءات خلفه ورفقته.

رتب	الاسم والنسب	المهنة	التوقيعات
1	احمد ح ميمون	رئيس جمعية آباء التلاميذ C.I. CASTELAS N.º 2 Melilla	 جمعية آباء التلاميذ Asociación de Padres de Alumnos
2	ج ادريس عبد القادر الفكري	رئيس الجمعية الإسلامية بمليلية C.I. GABRIEL GARCIA N.º 36	
3	الخيرى محبوو جماعة	رئيس الجمعية الدينية الإسلامية C.I. MONTE MARIACRISTINA N.º 21	
4	ج مسين عمر اشق	رئيس جمعية الآمال الجوان C.I. APDO REAL SIN MELILLA	
5	Juan Molina Perangiel	رئيس الفيدرالية الإسلامية بمليلية Presidente Federación Islámica Melilla CANADA N.º 1111 - 32	
6	الموسى عبد الفتاح	مساعد مدير بلدية AV. GAL. AIRIPURU N.º 39	
7	احمد بن الفضل احمد	مساعد مدير بلدية بمليلية FALDA "REINA REGENTE" N.º 45	
8	عبد الرحمن عبد الله	مساعد مدير بلدية REINA REGENTE N.º 39 Melilla	
9	باش محمد بن هدي	عضو في المقاومة وعضو مجلس التلاميذ C. FARKHANA N.º 39 Melilla مهندس مساهم اعيان المدينة INGENIERO PUERTO RICO 16. MELILLA	
11	MOHAND M. ALLA	عضو المقاومة وعضو مجلس التلاميذ ABAD PONSAN N.º 2 MELILLA	
12	ABDELKRIM MOHAMED	مساعد مدير بلدية بمليلية C.I. BOLA Melilla	
13	الخيرى محمد عمر	رئيس جمعية BOLA Anduras N.º 79 Melilla	

Royaume du Maroc

Cabinet Royal

المملكة المغربية

الديوان الملكي

مذكرة


مرفوعة إلى حضرة صاحب الجلالة نصره الله

نعم سيدي أعزك الله

يسعد خديم الأعتاب الشريفة المنصوري بن علي أن يرفع بكل
إجلال وتقدير إلى السدة العالية بالله رسالة وردت عليه من علماء
وجمعيات وأعيان وآباء تلاميذ من مدينة مليلية المحتلة يلتمسون فيها
من الجناب الشريف أسماه الله التفضل بإعطاء تعليماته السامية قصد
إيلاء المزيد من العناية لمؤسسة مقر الطلبة المغاربة بمليلية باعتبارها
المركز الوحيد للإشعاع الديني والوطني بالمدينة المحتلة وذلك بإحداث
السلك الثانوي بها ، وإصلاح بنايتها وتجهيزها ، وبالاحتفاظ بمديرها
المشرف على التقاعد نظرا لدوره الفعال بالمؤسسة. ويجد مولاي
رفقته جذاذة عن المدرسة ، ولانحة بتوقعات بعض رعاياكم الأوفياء
القاطنين بمليلية.

ولمولاي واسع النظر.

خديم الأعتاب الشريفة


المنصوري بن علي

المذكرة المرفوعة من طرف كل من الجنرال أشهبان والكاميلي ومدير ALEM السيد المدغري العلوي حول وضعية تخصيص أرض المطار القديم لبناء المطار الجديد لمدينة العروي.

**FICHE A LA HAUTE ATTENTION
DE SA MAJESTE LE ROI**

Objet : BASE MILITAIRE DE NADOR.

Les Généraux Mohammed ACHAHBAR, Secrétaire Général de l'Administration de la Défense Nationale, El Mahfoud KAMILI, Inspecteur du Génie de l'Etat Major Général des Forces Armées Royales et Mr. Mohammed MEDAGHRI ALAOUI, Directeur Général de l'Agence de Logements et d'Equipements Militaires ont l'Insigne Honneur de soumettre à la Haute Attention de SA MAJESTE LE ROI, Chef Suprême et Chef d'Etat Major Général des Forces Armées Royales, le compte-rendu ci-après :

A la suite d'une réunion tenue chez le Général Abdelhaq KADIRI, en présence de Monsieur le Ministre des Finances, des Généraux El Mahfoud KAMILI et Bouchaïb ARROUB, de Monsieur Mansouri BEN ALI et des Directeurs de l'O.N.D.A. et l'A.L.E.M., il a été signalé :

- la réimplantation de l'aéroport de Nador à El Aroui, dont le transfert à l'A.L.E.M. avait été initialement demandé aux Domaines par l'Inspection du Génie,

- le financement de cette opération par la valorisation par l'O.N.D.A. du terrain libéré, conformément à l'accord de principe de Votre Majesté.

./..

A ce titre, il a été retenu :

- la cession à l'O.N.D.A. par les Domaines du terrain précité au prix de 100,00 Dhs le mètre carré alors qu'un terrain limitrophe, propriété de l'A.L.E.M., a été évalué à 800,00 Dhs le mètre carré, par la Commission Technique d'Expertise dûment instituée par Arrêté ministériel,

- l'affectation du produit de la vente à hauteur de 2/3 à l'A.L.E.M. et d'1/3 au fonds de réemploi domanial,

- l'octroi d'une superficie de 50.000 m² dûment équipés pour la réalisation de la Place d'Armes et de logements destinés aux officiers, sous-officiers et hommes de troupe de la garnison,

- le financement par l'O.N.D.A. des travaux de construction de l'aéroport d'El Aroui et la réalisation de deux hangars au profit des F.R.A., de 3 villas pour Officiers et de 20 logements pour sous-officiers sur le site d'El Aroui.

Dans cette optique, le 21 Juillet 1997 et à l'insu de l'Administration de la Défense Nationale, l'A.L.E.M. s'est trouvée destinataire d'un Décret de Monsieur le Premier Ministre visé par Monsieur le Ministre des Finances concrétisant cette opération et ce, sans qu'aucune précision quant aux engagements pris par l'O.N.D.A. ne soit mentionnée.

Dès lors, le Directeur de l'A.L.E.M. attirant l'attention de Monsieur le Ministre des Finances demande la tenue d'une réunion ad hoc pour clarifier cette situation.

**Au cours d'une séance de travail tenue le 17
Février 1998 au Département de Monsieur le Ministre des
Finances, il a été décidé :**

- d'informer, pour avis, l'Administration de la Défense
Nationale,**
- de préciser tous les engagements pris par l'O.N.D.A.**

**La présente fiche est soumise à la Haute Attention de
SA MAJESTE LE ROI, à titre de compte-rendu.**

Respectueusement,

DECISION DE SA MAJESTE LE ROI :

SIGNATAIRES

*** LE SECRETAIRE GENERAL DE L'ADMINISTRATION DE LA
DEFENSE NATIONALE :**

*** L'INSPECTEUR DE L'ARME DU GENIE DES FORCES
ARMEES ROYALES :**

*** LE DIRECTEUR GENERAL DE L'AGENCE DE
LOGEMENTS ET D'EQUIPEMENTS MILITAIRES :**

**Avec les compliments
du Ministre des Finances,
du Commerce, de l'Industrie
et de l'Artisanat**

المذكرة التي رفعتها إلى صاحب جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده، حول المشكل العقاري المتعلق بالأراضي التي اغتصبها الاستعمار الإسباني بأقليم الناظور بمراسيم خليفية.

Royaume du Maroc

Cabinet Royal

المملكة المغربية

الديوان الملكي

FICHE

A la Très Haute Attention de Sa Majesté le Roi

MAJESTE,

Votre fidèle serviteur a l'insigne honneur de porter à la Très Haute Connaissance de **SA MAJESTE LE ROI**, les problèmes fonciers que connaissent depuis 1973 une partie de la population de la Province de Nador.

MAJESTE, lors de l'occupation espagnole, des milliers d'hectares appartenant aux marocains, ont été confisqués par l'occupant. Au moment de l'indépendance, une grande partie de ces terres ont été récupérées par leurs anciens propriétaires. Seule exception, la société espagnole « Formento Agricola Marroqui » qui a bénéficié par les titres Khalifiens n° 71 et n°231 d'environ 20.000 hectares qu'elle a administré jusqu'en 1973.

Dans le cadre du Dahir du 2 mars 1973 relatif au transfert à l'Etat marocain des terrains agricoles appartenant à des étrangers, l'Etat a récupéré tous les terrains et bâtiments agricoles appartenant à la société espagnole. A cette époque, la plus grande partie de ces terres avait été achetée et payée à la compagnie espagnole et était exploitée par les propriétaires. De ce fait, l'Etat n'a jamais pris possession des terrains concernés. Depuis, les services des domaines de l'Etat font opposition systématique sur ces terrains litigieux pour toute tentative d'inscription au registre de la conservation foncière.

MAJESTE, permettez-moi de **Vous** signaler que plusieurs communes ont été bâties sur ces terrains litigieux ; le reste étant constitué de terres agricoles appartenant à plusieurs Douars et de très nombreuses habitations dispersées.

MAJESTE, en 1994, une commission ad-hoc provinciale, créée par les dispositions de la **lettre de Monsieur Le Premier Ministre n°449** relative au règlement du contentieux agricole, a proposé la régularisation au profit des propriétaires sur la base des prix suivants :

- Pour les terrains bours entre 1.000 et 5.000 Dhs l'hectare.
- Pour les terrains irrigués entre 10.000 et 20.000 Dhs l'hectare.

Cette proposition n'a pas aboutie du fait du prix jugé trop élevé par les propriétaires qui avaient déjà payé leur terrain à la société espagnole

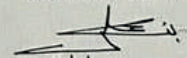
MAJESTE, cette situation qui perdure depuis 1973, empêche les propriétaires de titrer leur terrain. Cette situation constitue un frein à l'activité économique du fait qu'une large partie de la population n'a pas accès au crédit hypothécaire pour investir. D'autre part, le fait que la plupart des transactions foncières soient faites sous seing privé (Moukia), prive l'Etat d'une partie des revenus issus des droits de l'enregistrement et des impôts fonciers.

MAJESTE, comme cela a été fait auparavant dans certaines provinces et pour régler ce contentieux définitivement, il serait souhaitable que les terrains agricoles occupés d'une part soient cédés à leurs occupants à un prix symbolique et qu'il soit fixé, d'autre part, un prix raisonnable pour les terrains construits dans des zones devenues urbaines.

La présente fiche est soumise à la Très Haute Attention de Sa Majesté Le Roi à titre de compte-rendu.

Votre fidèle serviteur

Mansouri Ben Ali



Rabat, le 01.09.11

التعليمات السامية لصاحب الجلالة الملك محمد السادس من أجل حل مشكل
الأراضي التي اغتصبها المستعمر الإسباني بمراسيم خليفية

ROYAUME DU MAROC
CABINET ROYAL
Le Conseiller
de Sa Majesté Le Roi

93 SEPT 2011

MR. FRAJ
Pour l'application des Hautes Instructions Royales

Monsieur Salaheddine Mezouar
Ministre de l'Economie et des
Finances
RABAT

Monsieur le Ministre,

J'ai l'honneur de vous faire connaître que des populations de la province de Nador ont soumis à la Haute Attention de Sa Majesté Le Roi Mohammed VI que Dieu L'assiste, des doléances concernant des terrains qu'elles occupent actuellement et qui, confisqués du temps de l'occupation espagnole, avaient été attribués à la société espagnole « Formento Agricola Maroqui », en vertu des titres khalifiens n°71 et 231. Ces terrains entrent dans le champ du Dahir du 2 Mars 1973 relatif au transfert à l'Etat des immeubles agricoles ayant appartenu à des étrangers.

Sa Majesté Le Roi, que Dieu L'assiste, a bien voulu donner Ses Hautes Instructions pour la régularisation rapide de la situation foncière de ces terrains au profit de leurs occupants actuels.

Veuillez agréer, Monsieur le Ministre, l'expression de ma considération distinguée.

Conseiller de Sa Majesté Le Roi

Zoulikha NASRI



مراسلة السيد الوزير الأول إلى السيد وزير المالية من أجل الموافقة على تسريع
مسطرة تسوية الأراضي المغتصبة من طرف المستعمر الاسباني بمراسيم خليفية

الرباط في: 12 مارس 2012

الملك محمد السادس

الجمهورية المغربية
مجلس الحكومة

ع ش ع / 5 ح

السيد وزير الاقتصاد والمالية

ABJACTE DE LA DIRECTION DES DOMAINE ET
DIRECTION DES DOMAINE ET
Bureau de l'Administration des Domaines

3 - MAI 2012

N.D.I. 4651

الموضوع : تسوية وضعية عقارين كائنين بإقليم الناظور لفائدة المستغلين.

المرجع : رسالتكم رقم 1644 بتاريخ 21 مارس 2012 .


سلام تام بوجود مولانا الإمام،
وبعد، فقد أحطتموني علما، بواسطة رسالتكم المشار إليها في
المرجع، بالتعليمات الملكية السامية للإسراع في تسوية وضعية العقارين
موضوع الرسمين الخلفيين عدد 71 و 231 الكائنين بإقليم الناظور لقائدة
مستغلي الأراضي المذكورة من سكان الإقليم.
وقد أشرت إلى أن عملية التسوية العقارية لهذين المجالين
الحضريين تقتضي القيام بأشغال طبوغرافية لإنجاز تصميم تجزيئي للبقع
الأرضية المستغلة ولانحة الأشخاص المعنيين مع المساحة المستغلة من طرف كل
واحد منهم، والتمسستم، بالنظر إلى الصيغة الاستعجالية التي يكتسيها هذا
الملف، الترخيص لكم في إبرام صفقة تفاوضية مع عدة مكاتب طبوغرافية
محلية لإنجاز الأشغال المطلوبة.
وجواباً عن ذلك، واستناداً إلى التعليمات الملكية السامية التي
تقتضي بالإسراع في تسوية هذا الملف، يشرفني بإحاطتكم علماً بالموافقة على
مقتسمكم، والترخيص لوزارتكم في اللجوء إلى إبرام الصفقات التفاوضية
المطلوبة في نطاق مقتضيات المادة 72 - البند 6 من ثانياً - من المرسوم رقم

./.

2.06.388 الصادر في 16 من محرم 1428 (5 يراير 2007) بتحديد شروط وأشكال إبرام صفقات الدولة وكذا بعض القواعد المتعلقة بتدبيرها ومراقبتها.

وإنني أوجه نسخة من هذه الرسالة إلى السيد الخازن العام للمملكة.

ومع خالص التحيات والسلام.



نسخة إلى :
- السيد الخازن العام للمملكة.

الرسالة الموجهة إلى السيد عامل إقليم الناظور من أجل تسوية وضعية مستعملي الرسمين الخليفيين 72 و 231 بإقليم الناظور



الجمعية الوطنية للمقاييس العقارية والتمويل العقاري
Agence Nationale de la Cadastre, Foncier et Immobilier



السلطة المغربية
ROYAUME DU MAROC
وزارة الاقتصاد والمالية
LE MINISTRE DE L'ECONOMIE ET DES FINANCES
مديرية أملاك الدولة
DIRECTION DES DOMAINES DE L'ETAT

إلى
السيد عامل إقليم الناظور

Ministère de l'Économie et des Finances
DIRECTION DES DOMAINES DE L'ETAT
Bureau de Gestion au Courrier
21 JAN. 2019
N.O.I.D. 349.119 / DE

الموضوع: تسوية وضعية مستغلي الرسمين الخليفيين 71 و 231 بإقليم الناظور.

سلام تام بوجود مولانا الإمام

وبعد، تبعا للموضوع المشار إليه أعلاه، يشرفنا أن نخبركم أنه تنفيذا للتعليمات الملكية السامية بتاريخ 13 شتنبر 2011، تباشر عملية التسوية لفائدة المستغلين بالرسمين الخليفيين 71 و 231، بناء على المقاربة التي تم تحديدها من طرف المتدخلين المعنيين بهذا الملف على الصعيدين المركزي والمحلي. وعلى هذا الأساس، قامت مصالح مديرية أملاك الدولة، إلى حد الآن، باستصدار 49 قرارا لوزير الاقتصاد والمالية، تم بمقتضاها الترخيص بالبيع والتخلي عن 3530 قطعة أرضية داخل المجالين الحضري والقروي بمساحة إجمالية بلغت 1076 هكتارا، وقيمة مالية قدرها 82 مليون درهم. والجدير بالذكر، أن قرارات الترخيص تصدر بناء على اقتراح التسوية الذي تقوم به اللجنة التي تتعد تحت رئاسة السلطة المحلية والمكلفة بتلقي الطلبات ودراستها والبت فيها طبقا للمنهجية المعتمدة من طرف اللجنة الإقليمية.

غير أنه لوحظ أن الإقبال على أداء الثمن وإبرام العقود أو تسلم رفع اليد هم فقط 1332 مستفيدا بمساحة 462 هكتارا وقيمة 14 مليون درهم، أي ما يعادل، في المجموع، 43% من المساحة المرخص بتسويتها و 11% من الثمن المحدد.

وللتذكير، سبق لوزير الاقتصاد والمالية بتاريخ 3 غشت 2016 أن اقترح على وزير الداخلية إجراءات تهدف إلى تبسيط العملية والرفع من وتيرتها تناولت، أساسا، وضعية المستغلين داخل المجال القروي الذين لا يتوفرون على موافقة اللجنة الوزارية المشتركة المكلفة بالبت في النزاع الناشئ عن تطبيق ظهير 2 مارس 1973، وتجاوز الحد الأدنى للتقسيم داخل مناطق الضم. وفي نفس السياق، تمت مكاتبتكم من طرف مديرية أملاك الدولة بتاريخ 18 شتنبر 2017، إثر الاجتماع الذي عقد بوزارة الداخلية في 26 يوليوز 2017، من أجل دراسة إمكانية إعادة النظر في أئمنة التفويت من طرف اللجنة الإدارية للخبرة.

..//..

ومن أجل تذليل جميع الصعوبات التي قد تحول دون الإسراع بعملية التسوية أو ثني المستغلين عنها، فإننا نقترح عليكم ما يلي:

* اعتبار الرسوم الخلفية المستخرجة من الرسمين الخليفيين 71 و 231 المملوكة للدولة مشمولة بالمقاربة المعتمدة للتسوية.

* عرض الجانب المتعلق بالثمن على أنظار اللجنة الإدارية للخبرة قصد البت فيه.

* تفعيل عمل لجنة الضم من أجل البت في ملفات التسوية التي تدخل ضمن اختصاصها.

* استعداد مديرية أملاك الدولة ومصالح الوكالة الوطنية للمحافظة العقارية والمسح العقاري والخرائطية لتعبئة كافة الاحتياجات المادية والبشرية التي من شأنها الإسراع بالتسوية علما أنه لم يتم تسجيل أي تأخير بخصوص معالجة الملفات على صعيد هاتين المصلحتين.

لذا، نلتزم منكم الدعوة إلى عقد اجتماع، خلال الأسبوع المقبل، بحضور كافة المتدخلين في العملية

من أجل بحث السبل الكفيلة بتجاوز المعوقات التي تعترض التسوية.

وتفضلوا بقبول خالص التحيات والسلام.

المدير العام للوكالة الوطنية للمحافظة
العقارية والمسح العقاري والخرائطية

كريم تاجموتني

مدير أملاك الدولة

إمضاء: عبد اللطيف العمراني

الرسالة الموجهة إلى السيد عامل إقليم الناظور من أجل إعادة النظر في أئمة
التفويضية بالنسبة للعقارات الحضرية

ROYAUME DU MAROC
Ministère de l'Économie et des Finances
Direction des Domaines
de l'État



الجمهورية المغربية
ROYAUME DU MAROC
وزارة الاقتصاد والمالية
LE MINISTRE DE L'ECONOMIE ET DES FINANCES
مديرية أملاك الدولة
DIRECTION DES DOMAINES DE L'ETAT

إلى
السيد عامل إقليم الناظور

Ministère de l'Économie et des Finances
DIRECTION DES DOMAINES DE L'ÉTAT
Bureau de Gestion du Courrier
18 SEP. 2017
N.O.I. D.3682 / 17 DE

الموضوع: رسالة الديوان الملكي بتاريخ 13 شتنبر 2011

سلام تام بوجود مولانا الإمام

وبعد، تبعا للاجتماع المنعقد بمقر وزارة الداخلية بتاريخ 26 يوليوز 2017، في شأن تقييم حصيلة عملية تسوية مستغلي رسوم خلفية، ومن أجل تسريع وتيرة هذه العملية، تم الاتفاق على تدابير تتعلق بتسوية العقارات المستغلة داخل المجالين الحضري والفلاحي. هذا، ويبدو من الملائم، ما لم يكن لديكم رأي مخالف، من أجل توسيع دائرة المستفيدين وضمن إقبالهم، دراسة إمكانية إعادة النظر في أئمة التفويت من طرف اللجنة المختصة، للأخذ بعين الاعتبار المعطيات المتعلقة بالمساحة والموقع ونوع الاستغلال، بالنسبة للعقارات الحضرية، وخصائص القطع الأرضية الفلاحية ونوعيتها (سقوية أو بورية)، داخل المجال القروي.

وتفضلوا بقبول خالص التحيات والسلام.

مدير أملاك الدولة بالنيابة

امضاء: أبو بكر الحجير

الورقة التقنية للمحافظ العام بخصوص تسوية وضعية الأملاك المشمولة بالرسم الخلفي T71

الوكالة الوطنية للمحافظة العقارية و المسح العقاري و الخرائطية
المحافظ العام



في شأن تسوية وضعية الأملاك المشمولة بالرسم الخلفي T71

<p>في إطار تسوية الوضعية القانونية للأملاك المشمولة بالرسم الخلفي T71 موضوع مطلب التحفيظ رقم 11/3941، تنفيذا للتعليمات الملكية السامية لإيجاد حل لهذه الأملاك، فلقد باشرت مديرية أملاك الدولة، بصفتها طالبة للتحفيظ، مسطرة التسوية من خلال ما يلي:</p> <ul style="list-style-type: none"> - بالنسبة لمطالب التحفيظ التي تتداخل مع مطلب التحفيظ رقم 11/3941 فقد بادرت مديرية أملاك الدولة إلى رفع يدها عن تعرضها ضد مجموعة من هذه المطالب لتواصل هذه الأخيرة مسطرتها ويتم البت فيها وفقا للقانون. - بالنسبة للأملاك المشمولة بمطلب التحفيظ رقم 11/3941، والتي لم يعمد أصحابها إلى إيداع مطالب لتحفيظها، فلقد قامت مديرية أملاك الدولة بالتخلي لفائدتهم عن هذه الاملاك وذلك من خلال إبرام عقود بيع عدلية مقابل ثمن رمزي. <p>و بالرغم من هذه الإجراءات فإن عمليات التسوية ظلت محدودة ولم تشمل كافة المعنيين بها بسبب مجموعة من العوامل.</p>	<p>الموضوع</p>
<p>إن كانت عقود رفع اليد ساهمت بشكل كبير في تسوية مجموعة من الأملاك موضوع مطالب للتحفيظ، فإن عقود البيع المبرمة من طرف مديرية أملاك الدولة، بشأن الأملاك التي لم يعمد اصحابها إلى طلب تحفيظها، لم تلق الإقبال المتبغى، وذلك لكون المستفيدين المعنيين يرفضون الانخراط في هذه المسطرة بسبب ما يرتبط بها من مصاريف باهضة تتعلق بواجبات التسجيل وواجبات المحافظة العقارية.</p>	<p>العراقيل التي عثرت على عملية التسوية الشاملة</p>
<p>بالنظر إلى كون عمليات التسوية تتم تنفيذا للتعليمات الملكية السامية من أجل حل مشكل اجتماعي لساكنة العروي والدريوش بإقليم الناظور، وبالنظر إلى رفض مجموعة من المستفيدين الانخراط في عملية التسوية بسبب غلاء الواجبات المستلزمة عن تسجيل وتحفيظ عقود البيع المنجزة من طرف الدولة، فيقترح أن تدرج مادة في قانون المالية المقبل تضيف هذه العمليات إلى قائمة العمليات المنصوص عليها في المادة 129 من المدونة العامة للضرائب والتي بموجبها تعفى عقود التخلي المبرمة من طرف الدولة لفائدة المستفيدين من واجبات التسجيل وواجبات المحافظة العقارية.</p>	<p>الاقتراحات</p>

ع.ع.....خ.ب.....23/04/2019

وضعية لجزء من الأراضى المسلوبة من طرف المستعمر الإسبانى لإحدى شركاته
بالرسم الخلىفى T71

Royaume du Maroc

MINISTÈRE DE L'ÉCONOMIE ET DES FINANCES

Direction des Domaines

Immeubles agricoles récupérés par l'État
sis à Nador sur la société « Fomento Agrícola Marroqui »

Références foncières	Situation	Superficie
Titre Khalifien n° 231	Oulad Settout (environs de Zaio	2.591ha 38 a 00ca
Titre Khalifien n° 71	El Arroui, Béni Oukil, Oulad M'hand, Tiztoutine et Béni Sidal Louta	8.537ha 19a 49ca
Titre Khalifien n° 309	Tiztoutine	58ha 46a 05ca
Titre Khalifien n° 310	Tiztoutine	18ha 06a 35ca
Titre Khalifien n° 354	Tiztoutine	17ha 33a 46ca
Titre Khalifien n° 353	Tiztoutine	07ha 85a 92ca
Titre Khalifien n° 382	Tiztoutine	06ha 36a 54ca
Total		11.236ha 65a 81ca

إرسالية من وزارة الداخلية إلى المحافظة العقارية من أجل توقيف مسطرة تحديد مساحة الأراضي نظرا للخطر الذي كان سيقع بعد غضب سكان القبائل

1972 / 9 / 25

الجنرال /
القائد رئيس مصلحة بني بوعمرور

السيد المحافظ على الاملاك العقارية
تحت اشراف : بالناظير
سيادة عامل اقليم بني بوعمرور

على يد
سيادة القائد المعتز رئيس دائرة
تعليمية

ورقثة الارضيات

البلدية المغربية
وزارة الداخلية
عمالة اقليم الناظور
دائرة تعليمية

قائد بني بوعمرور

رقم 2351 / 721
3 - 2 - 4

MICROFILME
15 FEV. 1995

ملاحظات	عدد	نوع المراسلات :
تبعا لرسالك عدد 14094 . ف . بتاريخ 19 / 20 / 1972 ، سبق لنا ان اعدناه اليكم بتاريخ 17 / 19 / 72 تحت رقم 2241 ، وذلك ان هذه الارض التي تزعمون في تحفيظها هي ملك لاصحابها ولهذا فانه نسو كسؤولين على هذه الادارة اذا خرجتم الى تلك الارض وما يقع ما لاتحمد عقباة لاننا لاحظنا يوم تقريركم الخروج الى عين المكان لتقرر الغايتان تلك الارض وتمتاعها كانت مليئة بالمواطنين من ارباب تلك الارض ولهذا فاذا اردتم الخروج فاخرجوا والمسؤولية تحطونها انتم وحدكم .		اعلان عن التحديد الجديد لرقم عدد 71 824 5.10.72 سجل الواردات لدائرة لعمية تاريخ 27-9-72 رقم 484

3338

مساءة العالمة
PROVINCE DE MADR
للواردات
30 سبتمبر 1972
وجه بعد الاطلاع
VU ET TRANSMIS

الوزير
S. EL KHAYAT

البلدية المغربية

وجه بعد الاطلاع
VU ET TRANSMIS

نص الرسالة التي وجهها أبناء المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى جلالة الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه، لإحداث مؤسسة عبد الكريم الخطابي.

والحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله

مَوْلَاي صَاحِبِ الْجَلَالَةِ

يتشرف أبناء المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي أن يتقدموا بكل احترام وتقدير بخالص الشكر وعظيم الأمتنان إلى صاحب الجلالة حفظه الله على العناية الفائقة التي يشمل بها أسرتهم، والعطف الخاص الذي يوليها إياه في كل حين.

وفي إطار الرعاية الأبوية التي يحيط بها أمير المؤمنين أسرار المجاهدين والاهتمام الكبير الذي يولييه لتاريخ الجهاد الوطني بصفة عامة، نلتمس من جلالة الملك أيده الله إذنه الكريم بإنشاء مؤسسة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي آمليين أن تشملوها، بعد ذلك برضاكم وعونكم. كما يرجون من صاحب الجلالة أبقاه الله أن يتفضل بإعطاء أوامره المطاعة قصد إدراج هذه المؤسسة ضمن الجمعيات التي تتمتع بصفة المصلحة العمومية.

حفظ الله أمير المؤمنين وأقر عينه بولتي عهده صاحب السمق الملكي الأمير سيدي محمد، وصنوه السعيد الأمير مولاي رشيد، وباقي أفراد أسرته الكريمة.

والسلام على المقام العالي بالله.

سعيد بن محمد بن عبد الكريم الخطابي
عبد المحسن بن محمد بن عبد الكريم الخطابي

فاتح مارين 1996.

الرسالة التي وجهتها «جمعية البحر الأبيض المتوسط» إلى قصر
الاليزي، لشجب الحملة العدائية التي شنتها بعض وسائل الإعلام
الفرنسية على مؤسساتنا الدستورية خلال سنة 1990.

ASSOCIATION SOCIO-CULTURELLE
DU BASSIN MEDITERRANEEN

10 BIS RUE ABOU INANE RABAT



الجمعية الثقافية والاجتماعية
لحوض البحر الأبيض المتوسط

10 بكارر دباعا ابومسان -الرباط

N°.....

رقم

الرباط، في 11/05/1990. LE. 1990

فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية

لقد خلفت الحملة الاعلامية الفرنسية العدائية التي
استهدفت النيل من مقدسات المغرب ومؤسساته الدستورية ووحده
الترابية استياء عميقا في اوساط الشعب المغربي .

ونحن اذ نأسف لمثل هذا العداء السافر المنظم في وسائل
الاعلام الفرنسية الرسمية وغير الرسمية ندين بكل قوة هذه الحملة
المسعورة التي تحركها جماعات عرفت بعدائها وحقدتها على المغرب
وحنينا الى ما ض استعماري بغيض والتي نذكرها بان الشعب المغربي
متلاحم مع عرشه منذ القدم وان كل من تسول له نفسه المساس برمزالمغرب
وظا من وحدته ملكه المقدى سيدد امامه شعب المغرب باكمله سدا منيعا .

ولن تكون هذه الشرذمة الحاكمة قادرة على ان تنال من تماسك
عرش وشعب صمدا عبر القرون في وجه تيارات عدوانية واحزرا النصر في
معارك يسجلها التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز .

وان المغرب الذي يستلهم قوته من تلاحم عرشه وشعبه قادر على
مواجهة مثل هذه الاكاذيب والتغلب عليها ، وبأسف لما قد تلحقه هذه
الحملة المسعورة من اثار سيئة بعلاقات الصداقة والتعاون المغربية
الفرنسية .

وان كان من تقاليد المغرب العريقة حرصه على حسن العلاقات
مع جميع الشعوب فإنه اشد حرصا على صيانة كرامته ومقدساته .
وتفضلوا سيادة الرئيس بقبول اسمى اعتباري .

المنصوري بن علي

رئيس الجمعية الثقافية والاجتماعية
لحوض البحر الابيض المتوسط

مَذَكْرَةٌ مَرْفُوعَةٌ
إِلَى

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ

مِنْ طَرْفِ

الْجَمْعِيَّةِ الشَّقَائِفِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ
لِحَوْضِ الْبَحْرِ الْبَيْضِ الْمَتَوَسِّطِ

بِمَنَابَةِ الزِّيَارَةِ الْمَلِكِيَّةِ الَّتِي سَيَقُومُ بِهَا صَاحِبُ الْجَلَالَةِ حَفِظَهُ اللَّهُ
إِلَى الْأَقَالِيمِ الشَّمَالِيَّةِ

قامت الجمعية الثقافية والاجتماعية لمحوض البحر الابيض المتوسط ببحث في مدينتي سيدتة ومليتة تبين من خلاله أن الشخصية المغربية تكاد تنعدم لدى مواطنينا بالمدينتين، تحت وطأة استعمار ينوخ بكل كلمه عليهم منذ قرون، وتدوب القيم الاسلاميه لديهم في خضم موج النصرانية، وسيطرة ثقافة المحتل وفكره.

فقد أصبح كثير من الشباب المغربي في المدينتين يجهل اللغة الوطنية، ولا يتفاهم الا بالاسبانية، والنسخ من عادات وتقاليده اجداه، نتيجة ما يبذله المحتل من جهود، منذ عشرات السنين، لمحو الروح الوطنية، وبترو الاصره الفكرية مع الوطن الأب.

وتواصل هذه الجلود الاستعمارية إلى اليوم إذ ستود المدرسة الاسبانية من الروض إلى الجامعة، مع ما يرافقه ذلك من جهود التصيد ومخاصمة في صفوف الاطفال الفقراء واليتامى الذين ينشأون في مؤسسات خيرية مسيحية حدثت يشرع في منحهم أسماء نصرانية بدل أسماءهم الاسلاميه.

وفي آخر المطاف تأتي حملات التجنيس المشفوعة بأنواع التهديد للمصالح الفردية والجماعية، وباشكال من الإغراءات المادية والمعنوية، فقد تشكلت في المدينتين أخيرا لجنة تتوفر على صلاحيات واسعة وإمكانات كبيرة تهتم بشؤون المغاربة وتتولى مباشرة جميع مشاكلهم مستعينتا بالمغاربية، ويبدو أن هدفا الاساسي هو اتمام تجنيس المغاربة عن طريق الإغراءات

... / ...

الإدارية والمادية، فهي تمنح، على سبيل المثال، 42000 بسيطة
مساعدة لكل من يطالبها من المغاربة، كما تباشرت تحسين سكناتهم
بالإضافة إلى اهتمامها بالتعليم وتوجيه كل أبناء المغاربة نحو
المدارس الأسبانية.

وفي المقابل لا تكفي الجهود التي تبذلها السلطات
المحلية المغربية من أجل توجيه مواطنينا نحو الحفاظ على هويتهم،
فالظروف تقتضي أن تكون لدى هذه السلطات تعليمات
واضحة حتى يكون التعامل مع أبناءنا بالمدينتين، سواء على
مستوى الحدود المصطنعة أو على مستوى الأقليم، متشعباً بالحذر
والمحجج كيلا ندفع بهم، دونما قصد، نحو أحضان المستعمر...
علينا أن نوليهم مزيداً من العناية كلما احتاجوا إلى وثيقة إدارية،
وأن نمنحهم منها دون تأخير ولا تماطل لضيق وقتهم ومخاطر
تعرضهم لفقدان عملهم داخل المدينتين المحتملين حيث يربص
بهم المستعمر الدائر.

علينا أن نعامل هؤلاء المواطنين كمناضلين يواجهون في
كل يوم وفي كل لحظة أشكالا من محاربة وجودنا المغربي في
سبتة ومليلية المغربيتين والاشغال وأبداء فنعاملهم كمهاجرين
للعمل في بلد أجنبي.

يجب أن نجد مواطنونا في المدينتين السليبتين، حين يلبثون
إلى المسؤولين المغاربة، من يتولى تسوية ما يعرضونه من قضايا
في مختلف المجالات.

فقد لاحظنا، بحسرة، أن اليأس يكاد يستولي على تلكم
الجماعة التي تناضل في سبتة ومليلية ضد تيار محو الشخصية المغربية
والقضاء المنهج على الروح الوطنية والقيم الإسلامية...

وَلَمْ يَبْقِ إِلَّا الْاَلْتِجَاءُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيَّيْ الْوَطَنِ
وَالِدِينَ لِنَجْدَةِ إِخْوَانِنَا فِي الْمَدِينَتَيْنِ فِي دِينِهِمْ وَوَطَنِيَّتِهِمْ وَحَيْثُ
يَتَطَلَّبُ الْأَمْرُ الدَّخْلَ الْعَاجِلَ لِلْحِفَافِ عَلَى الْهَوِيَّةِ الْمَغْرِبِيَّةِ
لَدَى مُوَاطِنَيْهَا بِتَحْقِيقِ الْوَسَائِلِ التَّالِيَةِ تَحْتَ الرِّعَايَةِ السَّامِيَّةِ
الْمِيَاشِرَةِ لِصَاحِبِ الْكِبَالَةِ الَّذِي يَعْطِقُ عَلَيْهِ الْمَوَاطِنُونَ كُلُّ الْأَمَالِ؛

1- الِاهْتِمَامُ بِالْمَسْجِدِ لِأَنَّهُ الْمَكَانُ الَّذِي يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ
وَهُوَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَشْعُرَ مِنْهَا أَنْوَارُ الدِّينِ وَالْإِنْسِيَّةِ
الْمَغْرِبِيَّةِ .

وَكُلُّ الْمَسَاجِدِ الَّتِي تُوَجَّدُ بِالْمَدِينَتَيْنِ مِنْ إِهْتِمَاءِ الْمَوَاطِنِ
الْمَغْرِبِيَّةِ وَهُمْ الَّذِينَ يَشْرَفُونَ عَلَى صِيَّاتِهَا وَالسَّمْعُ
عَلَى شُؤْنِهَا إِلَّا أَنَّ هَذَا الصَّدْفَ مِنَ الْمَوَاطِنِ الْمُتَشَبِّثِينَ
بِالْقِيَمِ الدِّينِيَّةِ وَالرُّوحِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَضَاءَلُ مَعَ السَّنِينَ أَمَامَ
تَزَايُدِ عَدَدِ الشَّبَابِ الَّذِي لَا يَلْقَى بِالْأَلْمَسْجِدِ وَلَا يَلْبِغُهُ دَوْرَهُ
وَتَوْجُدِ هُنَا الْمَسَاجِدِ الْيَوْمَ فِي حَالَةٍ تُوَدِّي لَهَا مِنْ
جَمِيعِ النُّوَاجِحِ ، فَيَلْبِي فِي أَمْسِ الْحَاجَةِ إِلَى الْإِصْلَاحِ وَالْعِنَايَةِ
بِتَسْيِيرِهَا وَعَلَى الْحُكُومَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ أَنْ تَتَكْفَلَ بِكُلِّ شُؤْنِهَا
مِنْ تَرْمِيمِ وَتَجْهِيْزِ وَتَرْوِيْدِهَا بِأُمَّةٍ مُوظِّفِينَ أَكْفَاءَ مُكَوْنِينَ
تَكْوِينًا خَاصًّا لِلْقِيَامِ بِالذَّوْرِ الْمَطْلُوبِ .

2 - الْعِنَايَةُ بِالتَّعْلِيمِ : تَخَلُّو الْمَدِينَتَانِ مِنْ أَيِّ تَعْلِيمٍ
مَغْرِبِيٍّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَعْضِ مَحَاوِلَاتِ الْمَوَاطِنِ الْمُتَوَاضِعَةِ ..
وَعَلَى الْحُكُومَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ أَنْ تَهْتَمَّ بِهَذَا الْجَانِبِ وَأَنْ
تَشْجَعَ بُوَادِرَ الْمَوَاطِنِ ، وَلَنْ تَمْنَحَ الْإِسْبَقِيَّةَ فِي الْمَخِ التَّائِيَةِ

... / ...

وَالْجَامِعِيَّةَ لِإِبْنَاءِ سَبْتَةِ وَمَلِيلِيَّةِ.
وَيُطَالِبُ الْمُسْكَنَ بِالْحَرَجِ كَبِيرٍ بِإِشْتَاءِ مَدَارِسَ
إِبْتِدَائِيَّةٍ وَمَدَارِسَ تَأْوِيلِيَّةٍ فِي كُلِّ مِنَ الْمَدِينَتَيْنِ، وَإِذَا مَا تَعَدَّرَ
فَتْحَهَا دَاخِلَ الْمَدِينَتَيْنِ يَجِبُ وَضْعُهَا عَلَى الْحُدُودِ حَتَّى يُمْكِنَ لَهَا
اسْتِقْبَالُ أَطْفَالِنَا فِي الْمَدِينَتَيْنِ مَعَ تَجْهِيزِ هَذِهِ الْمَدَارِسِ
بِالدَّخْلِيَّاتِ وَالْمَطَارِعِ، وَتَعْطَى الْاُولُوِيَّةَ فِي التَّوْظِيْفِ
لِلْجَامِعِيَّيْنَ حَتَّى لَا يَفَادِرُوا وَطَنَهُمْ نَحَائِدِينَ إِلَى اسْبَانِيَا
بِسَبَبِ الصَّعُوبَاتِ الَّتِي قَدْ يَوجِبُهَا نَتِيجَةُ اللُّغَةِ الَّتِي
دَرَسُوهَا، وَلِتَجَاوِزَ هَذَا الْعَائِقَ يُمْكِنُ إِخْضَاعُ هَؤُلَاءِ الْجَامِعِيَّيْنَ
لِتَكْوِينِ سَرِيحٍ يَتَعَلَّمُونَ خِلَالَهَ اللُّغَةَ الْوَطَنِيَّةَ الَّتِي تَسَاعَدُهُمْ
عَلَى الْاِنْدِمَاجِ.

3- الْجَانِبُ الثَّقَافِيُّ: حَيْثُ تَدْعُو الصَّرُورَةَ إِلَى إِقَامَةِ
مَرْكَزٍ ثَقَافِيٍّ كُلِّ مِنْ سَبْتَةِ وَمَلِيلِيَّةِ وَفَتْحَ مَكْتَبَاتٍ فِيهَا
تَضُمُّ الْكُتُبَ الَّتِي تَتَنَاوَلُ حَضْرَةَ الْمَغْرِبِ وَتَارِيخَهُ.

4- الْاِتِّصَالُ الدَّائِمُ بِالسَّكَنِ وَتَوْجِيهِهِمْ، وَلَا يَتَّكُونَ
عُرْضَةً لِلْاِعْرَافَاتِ وَالِدَعَايَاتِ الْمَغْرُضَةِ..

فَقَدْ لَاحِظْنَا حَيْرَةَ مَوَاطِنِنَا فِي الْمَدِينَتَيْنِ أَمَامَ حَمَلَةِ
التَّجْنِيسِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا السُّلْطَاتُ الْاِسْتِعْمَارِيَّةُ أَيَّاحْذُونَ
الْجَنْسِيَّةَ الْاِسْبَانِيَّةَ أَمْ لَا؟ وَمَا خَطَرُ لَكُمْ عَلَى وَطَنِيَّتِهِمْ
الْمَغْرِيبِيَّةَ؟

وَإِذَا كَانَ الْكِبَارُ مِنْ مَوَاطِنِنَا يَضْطَرُّونَ إِلَى
قَبُولِ الْجَنْسِيَّةِ الْاِسْبَانِيَّةِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِلْحِفَافِ عَلَى
مَصَالِحِهِمْ وَحَقُوقِهِمْ إِذْ بَدَّ وَنَهَا لَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَتَاجَرُوا
... / ...

وَلَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَكْتَرُوا مِثْرًا، وَلَا يَحِقُّ لَهُمْ أَنْ يَصْلِحُوا دَارًا
وَرِثُوهَا عَنْ أَجْدَادِهِمْ، وَلَا حَقُّ لَهُمْ فِي الضَّمَانِ لِاجْتِمَاعِي
وَالرَّعَايَةِ الصَّحِيحَةِ، إِذَا كَانَ الْكِبَارُ يَقْبَلُونَ عَلَى الْجَنَسِيَّةِ
الْاجْتِمَاعِيَّةِ لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ فَإِنَّ الشَّبَابَ يَقْبَلُ عَلَيْهَا
بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ.

وَمِنَ الْمَلَا حِظِّ أَنْ سَيَّسَتْ إِسْبَانِيَا فِي سَبْتَةِ
وَمَلِيَّةِ فِي السَّنَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ هِيَ نَفْسُ السِّيَاسَةِ
الْإِنْجِلِيزِيَّةِ فِي جَبَلِ طَارِقِ، إِذْ تَسْمَى مَدْرِيْدَ بَخَطِي
حَدِيثًا إِلَى أَسْبِنَةِ الْمَغَارِبَةِ لِلْحَيْلُولَةِ دُونَ اسْتِفَادَةِ الْمَغَارِبِ
فِي حَالِ إِجْرَاءِ أَيِّ اسْتِفْتَاءٍ.

5. وَضَعِ إِدَارَةَ مَسْئُولَةٍ عَلَى الْكُدُودِ الْمُصْطَلَعَةِ
تَخْتَصُّ بِشُؤْنِ مَوَاطِنِنَا الْبَالِغِ عَدَدُهُمْ حَوْلِي عَشْرِينَ
أَلْفَ لِسْمَةٍ فِي سَبْتَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ لِسْمَةٍ فِي مَلِيَّةِ،
وَمُدَّهُمْ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ وَثَائِقَ بِصُورَةٍ تَلْقَائِيَّةِ
عَاجِلَةٍ مِنْ جَوَازَاتٍ وَشَهَادَاتٍ إِدَارِيَّةِ وَتَعَامَلُهُمْ بِأَسْلُوبِ
خَاصٍ مَدْرُوسٍ يَنَاسِبُ الظَّرُوفَ الْخَاصَّةِ الَّتِي يَعِيشُونَهَا.
وَلَا بُدَّ مِنْ تَخْصِيصِ مِيْزَانِيَّةِ لِسْبَتَةِ وَمَلِيَّةِ
وَاعْتِبَارِهَا كِلَيْ جَمَاعِيَّتَيْنِ تَحْتَاجُ تَنْمِيَّتَهُمَا إِلَى مَسَاعِدَةِ مَالِيَّةِ
وَاجْتِمَاعِيَّةِ.

وَعَلَى سَيِّدِنَا الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ السَّلَامِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ

كل أقاليم المملكة والتي تقعات من ظاهرة التهريب المنتشرة في المدن الشمالية على غرار باقي المدن العالمية الحدودية .

وأمام هذه الحالة تدهورت الأوضاع وعرق الاقتصاد ركوداً كبيراً وعمت البطالة وتفاقت المشاكل .

وليس الهدف ، يامولاي، أن نقدم صورة قائمة لمنطقتنا، وأن ننكر الجهود الحميدة التي بذلت في مختلف أقاليمها، فقد كانت رعايتكم شاملة لأرجائها على الدوام ، وكان عطفكم سابقاً في كل حين، وإنما الهدف أن نستدر مزيداً من عطفكم الأبوي، وأن نلتجئ مرة أخرى إلى فيض رعايتكم لتحتفظ أقاليم شمال مملكتكم بمستوى عيشها اللائق ويتوازن خطوات تنميتها الموعودة مما يحصنها ويجعلها في مأمن من كل المخاطر والتأثيرات أياً كان مصدرها، وأن نلتمس من جلالكم التفضل بإعطاء تعليماً تك السامية لحكومتم الموقرة قصد تنفيذ سياستكم الحكيمة الخاصة بتنمية الأقاليم الشمالية ومد صندوق تنمية الشمال بالاعتمادات اللازمة للقيام بدوره الذي رسمتموه له، إذ لوحظ في القانون المالي لسنتي 94 و 95 ضعف في برامج التجهيز والاستثمار لبعض الوزارات بالأقاليم الشمالية بحجة أنها ستستفيد من برامج الصندوق الخاص بتنمية هذه الأقاليم ، ولسيدنا المنصور بالله واسع النظر .

أبقى الله مولانا الإمام وأقر عينه بوليّ عهده صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة .

والسلام على المقام العالي بالله ورحمة الله .

وحرر بتاريخ: 19 رجب 1415 هـ الموافق 22 دجنبر 1994 م .

توقيعات خدام الأعتاب الشريفة
ممثلي الأقاليم الشمالية بمجلس النواب

عبد الرحمن أشن

محمد الطيبي

نجيب الوزاني

عبد القادر الرايس

عبد العزيز الوزاني

مصطفى المنصوري

محمد أرسلان

يحيى طارق

محمد التسماني

عبد الرحمن جوداني

محمد الرياحي

أحمد غالب

إسماعيل الهادي

محمد المحامي

SM Hassan II charge M. Mansouri Benali d'informer le gouvernement sur les activités Royales à New-York

RABAT, 6 octobre (MAP)

Le Conseil de gouvernement s'est tenu mercredi 27 dou el-hijja 1406, correspondant au 5 octobre 1983, de 10 heures à midi, sous la présidence du Premier ministre M. Maâti Bouabid.

Après examen, le Conseil a approuvé plusieurs projets de textes dont :

1 — Un projet de décret portant statut particulier du personnel du ministère de l'Équipement présenté par le ministre de l'Équipement M. Mohamed Kabbaj, afin de répondre à la nécessité de renforcer les ca-

dres spécialisés exerçant dans les ports en plus des conducteurs de chantiers et des adjoints techniques.

2 — Un projet de décret réglementant les encouragements de l'État en vue de l'aménagement hydro-agricole et des améliorations foncières des propriétés agricoles présentés par le ministre de l'Agriculture et de la Réforme agraire, M. Othmane Demnati, afin d'étendre le champ d'action de ces encouragements aussi bien aux terres bours qu'aux terres irriguées.

3 — Un projet de décret fixant la nature des actes individuels et familiaux

d'état-civil présenté par le ministre de l'Intérieur, M. Driss Basri, en vertu duquel les extraits d'acte de naissance seront délivrés aux citoyens hors de leurs lieux de naissance, en vue de mettre fin aux difficultés rencontrées pour l'obtention de ces actes.

Ensuite, et sur instruction de SM le Roi Hassan II, le ministre des Transports, M. Mansouri Benali, a fait un exposé détaillé sur l'intense activité de Sa Majesté à New-York.

Le Premier ministre a appelé à cette occasion le message adressé au Souverain, au nom des membres

du gouvernement, à la suite de l'important discours royal prononcé devant l'Assemblée générale des Nations Unies.

Le ministre du Commerce, de l'Industrie et du Tourisme, M. Azeddine Guessous, a enfin fait une communication sur les derniers développements des démarches pour la coordination des positions du Maroc, de la Tunisie et de l'Algérie en ce qui concerne le dossier des discussions préliminaires vis-à-vis de la Communauté économique européenne et ses perspectives d'élargissement au Portugal et à l'Espagne.

حينما كلفني جلالة الملك الحسن II بتقديم تقرير حول زيارة جلالته لأمريكا بعد عودتي من هذا البلد

ROYAUME DU MAROC

CABINET ROYAL

Le Conseiller
de Sa Majesté Le Roi

2 / 2112

5 DEC 1991

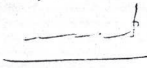
A

MONSIEUR LE MINISTRE DES TRANSPORTS

Monsieur le Ministre,

Sa Majesté le Roi a donné son accord pour que l'Office National des Aéroports parraine l'équipe de Football de Tanger.

Vous voudrez bien prendre toutes dispositions utiles pour que ce parrainage devienne effectif dans les meilleurs délais possibles.


SIGNE : AHMED REDA GUEDIRA

الرسالة التي وجهها لي السيد أحمد رضا أكديرة، مستشار جلالة الملك الحسن الثاني- بتعليمات ملكية سامية- في شأن احتضان المكتب الوطني للمطارات، لفريق اتحاد طنجة لكرة القدم.

نص ترجمة الرسالة التي حملتها إلى رئيس جمهورية البيرو، ممثلاً لجلالة
الملك الحسن الثاني خلال حفل تنصيب الرئيس.

Traduccion non oficial

EXCELENTISIMO SEÑOR FERNANDO BELAUNDI TERRY
PRESIDENTE DE LA REPUBLICA DEL PERÚ

- L I M A -

Excelencia,

En el momento en que el pueblo amigo del Perú se halla en un ambiente de alegría y felicidad por Vuestra eleccion a la presidencia de la Republica, Nos es grato despachar cerca de Vuestra Excelencia, Nuestro Enviado Especial y Ministro de los Asuntos Administrativos Señor MANSOURI BENALI, para haceros llegar Nuestras sinceras felicitaciones y Nuestros mejores deseos para que cubra la prosperidad todas las regiones de la Republica del Perú y que se generalice el bienestar y la felicidad durante Vuestro mandato y bajo Vuestra sabia direccion.

Tenemos la firme esperanza de que los lazos de cooperacion y comprension que unen Nuestros dos paises y pueblos cobraran mas fuerza, solidez y amplitud para abarcar todos los terrenos.

Estamos seguros de que Vuestra Excelencia recibira bien a Nuestro Enviado Especial, Nuestro Ministro de los Asuntos Administrativos Senor MANSOURI BENALI, y prestareis toda Vuestra atencion e interés a lo que os haga llegar de Nuestra parte.

Recibid, Excelentisimo Senor Presidente, el testimonio de Nuestra maxima consideracion.

Hecho en el Palacio Real de Rabat el 10 de
Ramadan 1400 (23 de Julio 1980)

HASSAN II

REY DE MARRUECOS



*À l'occasion de la réception officielle à l'Assemblée nationale
de Sa Majesté le Roi du Maroc*

Le Président Philippe Seguin,

Le Bureau de l'Assemblée Nationale

prie Monsieur Mansouri Benali

*de bien vouloir assister à la séance solennelle
au cours de laquelle Sa Majesté le Roi du Maroc
s'adressera à Mesdames et Messieurs les Députés
dans l'hémicycle du Palais-Bourbon
le mardi 7 mai 1996, à 16 heures*

Invitation strictement personnelle

R.F.F.P.

دعوة من رئيس البرلمان الفرنسي السيد فليب سوغان، لحضور استقبال جلالة الملك في هذا المجلس الذي ألقى فيه جلالتة خطابا بالمناسبة. (ماي 1996).

*Le Président de la République
et Madame Jacques Chirac*

prie Monsieur Mansouri Benali

*de bien vouloir venir au dîner qu'ils offriront en l'honneur de
Sa Majesté Hassan II, Roi du Maroc
au Palais de l'Élysée, le mardi 7 mai 1996, à 20 h 30.*

*Cravate noire. Uniforme
Robe longue*

دعوة من رئيس الجمهورية الفرنسية السيد جاك شيراك لحضور حفل على شرف جلالة الملك الحسن الثاني، بقصر الاليزي، (ماي 1996).

NADOR

SAR la Princesse Lalla Mériem remet les clés de logements à des familles de chouhada

NADOR (MAP). — SAR la Princesse Lalla Mériem, présidente des œuvres sociales des Forces Armées Royales (FAR) a présidé hier matin à Segangan, localité située à 9 km à l'Ouest de Nador, à l'occasion du 27^e anniversaire de la création des FAR, la cérémonie de remise des clés de 20 logements aux familles des martyrs de l'intégrité territoriale, réalisés par l'Association socio-culturelle du Bassin Méditerranéen, au coût de 300 millions de centimes.

Au cours de cette cérémonie qui s'est déroulée dans une place publique à Segangan, en présence d'une foule nombreuse de citoyens, le président de l'association, M. Mansour Benali, après la lecture de versets de Coran, prononcé une allocution dans laquelle il a souhaité la bienvenue à SAR la Princesse Lalla Mériem qui avait pris place dans une tribune, édifiée dans la grande place de Segangan.

La visite de SAR la Princesse Lalla Mériem à Nador a, dit-il, ajouté, témoigne de l'intérêt qu'attache SM le Roi Hassan II à Nador et aux familles des martyrs

des FAR. Ce programme de 20 logements, de 3 à 4 pièces, disposant de toutes les infrastructures de base, a été, dit-il, inscrit dans le cadre des activités sociales de l'Association socio-culturelle du Bassin Méditerranéen qui est honoré d'avoir pour président d'honneur SAR le Prince Héritier Sidi Mohammed.

Il a exprimé par ailleurs la joie des membres de l'association que SAR la Princesse Lalla Mériem, présidente des Œuvres sociales des FAR, préside la cérémonie de remise des titres et clés de ces 20 logements aux familles des martyrs. Il a prié enfin SAR la Princesse Lalla Mériem à qui il a remis un chèque de 10 millions de centimes, comme don de l'association aux œuvres sociales des FAR, de transmettre à SM le Roi au nom des membres de l'association et de la population de Nador et des provinces du Nord du Royaume, leur indéfectible attachement à son Auguste Personne et au Glorieux Trône Alaouite.

Il a réaffirmé leur constante mobilisation derrière le Souverain pour relever tous les défis et prier Le Très Haut de préserver

SM le Roi et de Le combler en la Personne de SAR le Prince Héritier Sidi Mohammed, SAR le Prince Moulay Rachid et tous les membres de la Famille Royale.

Auparavant, SAR la Prin

cesse Lalla Mériem avait visité, peu après son arrivée à Nador, au siège de la province où elle a été saluée par les autorités locales et les élus, le siège de l'association, construit sur le front de mer.

NADOR

SAR LA PRINCESSE LALLA MERIEM REMET LES CLES DE LOGEMENTS A DES FAMILLES DE MARTYRS

Un chèque de 10 millions offert aux œuvres sociales des FAR

(voir en page 2)

ترأس الأميرة للا مريم لحفل توزيع الشقق على أرامل
شهداء معارك الصحراء المغربية

En présence d'une importante délégation ministérielle POSE DE LA PREMIERE PIERRE POUR LA CONSTRUCTION DE LOGEMENTS EN FAVEUR DES FAMILLES DE NOS CHOUHADA

Dans le cadre des activités culturelles et sociales de l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen qui est placée sous la Présidence d'honneur de Son Altesse Royale le Prince Héritier Sidi Mohammed, M. Mansouri Ben Ali, Ministre des Affaires Administratives, et président de l'Association en compagnie d'une délégation ministérielle composée de M. Moussa Sakali, Ministre de l'Énergie et des Mines, Arsalane El Jadhli, Ministre du Travail et de la Formation Professionnelle, Khalil Henna Ould Errachid, Secrétaire d'Etat, novice du Premier Ministre chargé des Affaires Sahariennes et de Monsieur Abdellahadji Benmiloud, Président Directeur Général de la Banque Nationale pour le Développement Économique et avec la présence du Gouvernement de la Province à l'inauguration des travaux de construction de 20 logements dont le coût s'élève à Deux cent millions de Dinars en faveur des fils de martyrs tombés sur le champ d'honneur.

Il est à rappeler que l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen avait organisé des campagnes de collecte de dons en faveur des familles de martyrs à Nador, Al Hoceima, Tizout et Tanger.

A cette occasion, Monsieur Monsieur Ben Ali a prononcé l'allocution suivante :

Messieurs les Ministres, Monsieur le Gouverneur, Messieurs et Mesdames,

Dans le cadre de ses activités sociales, l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen a organisé sans les villes de Nador, Al Hoceima, Tizout et Tanger une vaste campagne de collecte des dons au profit des enfants des martyrs et a décidé au terme de cette campagne la construction de logements dans les villes de Nador et Tizout qui seront distribués aux familles de nos fils tombés sur le champ d'honneur.

Je suis très heureux aujourd'hui de participer avec vous à la cérémonie de pose de la première pierre pour la construction à Nador d'un ensemble de logements au profit des familles des martyrs.

Messdames et Messieurs, L'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen qui a inscrit ses objectifs dans le cadre des activités culturelles et sociales s'est engagée de participer aux actions sociales à travers tout le Royaume. Ainsi, cette entreprise sera poursuivie pro-

chainement par une autre à Tizout en vue de la construction d'un second ensemble de logements destinés aux familles des martyrs.

L'acte ainsi accompli par l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen est une initiative louable, une contribution à la mobilisation nationale que vit le peuple marocain dans les circonstances actuelles et une participation à l'effort de lutte du pays contre toute tentative de l'ennemi visant à porter atteinte à notre intégrité nationale et à nos valeurs sacrées.

Je sais cette occasion pour remercier toutes les personnes qui ont répondu à l'appel de l'Association et qui ont participé à la campagne par leur aide, moral et matérielle.

Il est pas étrange que les citoyens de cette région s'empressent pour participer à de pareilles œuvres nationales, car ils savent à travers les temps, les premiers à tout donner pour l'honneur et la dignité de la patrie et à reconstruire l'exemple vivant du sacrifice.

Si des marocains défendent notre Sahara occupé, en sacrifiant leur vie pour que vive la nation et pour sauvegarder notre intégrité territoriale, il faut savoir que leurs frères ici sont disposés à prendre la relève sur le champ d'honneur et à sacrifier âme et argent pour la vie de la patrie.

Messdames et Messieurs, Cette terre sur laquelle nous sommes aujourd'hui en reconnaissance de la bravoure des martyrs de notre légèrie territoriale, connaît le feu du combat, et du sacrifice car les habitants du ri ont enregistré dans cette région des pages lumineuses de l'honneur et de la bravoure et du sacrifice.

C'est ici que le moujabbid, Ech-Chafi, Mohammed Amziane s'est engagé contre la division et la répression de la nation et aussi contre les convoitises extérieures et c'est ici également que les moujahid, ses avec à leur tête Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi se sont sacrifiés pour l'intégrité de la nation, sa libération et la présence contre la colonisation.

Un peuple qui se sacrifie de la sorte traduit bien l'état de son authenticité et les défis auxquels son origine de peuvent en travers sa marche et limiter ses ambitions.

Le peuple marocain, sous la conduite de Sa Majesté le Roi Hassan II, qui pour le glorieux, se rappelle avec tant de gloire les martyrs de notre liberté territoriale et les vainqueurs qui ont enregistré pour la défense de notre Sahara des convoitises extérieures.

Les habitants de la province de Nador availability, sont jamais leurs fils qui ont donné leur vie pour le ver haut le drapeau de la nation.

Messdames et Messieurs, L'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen sous la présidence d'honneur de SAR le Prince Héritier Sidi Mohammed, fixe parmi ses principaux objectifs la gloire et de la nation en s'ajoutant dans son action pour l'Unité général de l'État de Sa Majesté le Roi Hassan II que Dieu le glorifie, tendant à servir la Nation et les citoyens avec dévouement, invite la jeunesse saïane à continuer la mission de servir la nation et à se sacrifier pour son honneur et sa dignité et à faire face à tous les défis.

M. Khalil Henna Ould Errachid a ensuite lupe visé une allocution dans laquelle il a remercié l'As-



sociation. Il a rendu hommage à son initiative bravement nationaliste et aux habitants du Ri pour le rôle héroïque qu'ils ont joué dans l'histoire marocaine pour l'unité du pays et leur détermination à combattre toutes les forces d'agression qui soumettent à la souveraineté nationale.

M. Khalil Henna a souligné que nos frères du Sahara sont déterminés à se lever tous les défis des

gouvernements d'Alger dont les ambitions aveugles lèvent à commettre les crimes les plus odieux comme les agressions répétées et la séquestration de citoyens marocains dans les camps de Tifnout.

Le ministre a insisté également sur le fait que le Sahara continue pour le Maroc, le père et la source ; la majorité des dynasties qui ont précédé aux

mesures du Maroc dont la dynastie saïane, sont venues du Sahara.

A la suite de cette inauguration, l'Association Socio-Culturelle du Bassin Méditerranéen a organisé une réception au siège de son local à Nador, à laquelle ont pris part la délégation ministérielle, le gouverneur de la province de Nador, les députés de la province, le président du Conseil municipal et les membres de l'Association.

توقيع اتفاقية بإنهاء النزاع بين الدولة والشركة «فنادق Holiday Inns»

Le différend entre l'Etat marocain et Holiday Inns réglé à l'amiable



Comme nous l'avons annoncé dans nos précédentes éditions, le gouvernement marocain et le groupe américain composé des sociétés « Occidental Petroleum Corporation », « Occidental Hotels of Morocco », « Holiday Inns Inc. » et « Holiday Inns SA » (Calrus) sont parvenus samedi à un règlement à l'amiable et définitif du différend qui les opposait par une transaction sur les quatre hô-

tels ex-Holiday-Inns de Fès Marrakech, Casablanca et Tanger », annonce un communiqué officiel du ministère du Tourisme.

La convention relative à cette transaction a été si-

gnée par M. Mansour Ben Ali, ministre du Tourisme représentant le gouvernement marocain et MM. Klein et Collins, représen-

tants du Groupe américain. (Photo Information)

A propos du différend opposant le Maroc à la société «Holiday - Inns»

RABAT. .. Le gouvernement marocain et le groupe américain composé des sociétés « Occidental Petroleum Corporation », « Occidental Hôtels Of Morocco », « Holiday-Inns Inc ». Et « Holiday Inns S.A. « Glarus » sont parvenus samedi à Rabat à un « règlement amiable et définitif du différend qui les oppose par une transaction sur les quatre hôtels ex-Holiday-Inns de Fès, Marrakech, Casablanca et Tanger », annonce un communiqué officiel du ministère du Tourisme.

Aux termes de cette transaction le groupe américain cède au gouvernement marocain la totalité de ses droits et intérêts dans la propriété des quatre hôtels, moyennant un prix global de 750.000 dollars U.S., de telle sorte qu'à la suite de cette cession l'Etat marocain soit seul propriétaire des quatre hôtels.

Par cette transaction également ajoute le communiqué les deux parties renoncent définitivement à toutes les réclamations qu'elles peuvent avoir l'une contre l'autre et se désistent l'une et l'autre

de l'action engagée devant le tribunal arbitral du centre international pour le règlement des différends relatifs aux investissements

La convention relative à cette transaction a été signée par M. Mansouri Ben Ali, ministre du Tourisme, représentant le gouvernement marocain et MM. Klein et Collins représentant le groupe américain (MAP).

24-1-83

M. Felipe Gonzalès reçoit M. Mansouri Ben Ali

MADRID, (MAP) — Le président du gouvernement espagnol, M. Felipe Gonzalez a reçu lundi à Madrid M. Mansouri Ben Ali, ministre des Transports, apprend-on de source proche de la présidence du gouvernement espagnol.

L'entrevue a eu lieu à 20 heures 15 au Palais de la Moncloa siège du gouvernement espagnol, indique-t-on de même source.

غونزاليس يستقبلني في إسبانيا في إطار تهييء زيارة للمغرب

MADRID : **ENTRETIEN DE 90 MINUTES** **ENTRE M. FELIPE GONZALEZ** **ET M. MANSOURI BEN ALI**

Le secrétaire général du parti socialiste ouvrier espagnol (PSOE) et futur président du gouvernement espagnol, M. Felipe Gonzalez, a reçu jeudi soir au siège de son parti dans la capitale espagnole, M. Mansouri Ben Ali, ministre des Transports.

Au cours de cette rencontre qui a duré une heure et demie, M. Felipe

Gonzalez a exprimé son désir de renforcer davantage les relations hispano-marocaines et il a accepté une invitation de visiter le Maroc.

Par la même occasion, le ministre des Transports a exposé au leader socialiste la lutte séculaire de la dynastie alaouite et du peuple marocain pour son unité nationale.

جريدة إسبانية

EL PERIODICO DE MELILLA

MELILLA HOY

≡ Año XI ≡ Núm. 3.573 ≡ Precio con Magazine 150 Ptas. ≡ Prensa de Melilla S.A. ≡ Telf. (95) 268 40 24/26 ≡ DOMIN

MANSOURI BEN ALI ENVIA UNA CARTA DE REPLICA A ENRIQUE BOHORQUEZ

Un ministro de Hassan II asegura a MELILLA HOY que los musulmanes melillenses son marroquíes

*Fiel a las tesis de Marruecos, dice en su escrito que el futuro de Ceuta y Melilla sólo
compete "al guardián de la nación marroquí"*

Mansouri Ben Ali, ministro del Gabinete Real de Hassan II, ha remitido una carta al editor de este Diario, Enrique Bohórquez, al hilo de la polémica desatada por el escrito de fidelidad al monarca alauita que suscribieron y enviaron los imanes de las mezquitas melillenses al rey de Marruecos... En su escrito, reproducido íntegramente en el interior de esta edición de MELILLA

HOY, el ministro marroquí reitera las tesis oficiales mantenidas por Marruecos sobre Ceuta y Melilla y los españoles de ambas ciudades de confesión islámica y origen marroquí o rifeño.

Mansouri Ben Ali asegura que todos los musulmanes melillenses son marroquíes y están "orgullosos de su marroquinidad". Asimismo, mantiene, fiel a las tesis

oficiales de Hassan II, que el futuro de Ceuta y Melilla "es una causa de todos los marroquíes" y un asunto que sólo compete "al guardián de la nación marroquí".

El editor de MELILLA HOY, Enrique Bohórquez, contesta, mediante un artículo editorial que publicamos en nuestra página 3, a las opiniones de Mansouri Ben Ali.

(Págs. 2 a 4)

جريدة إسبانية ترد على تصريح المنصوري الذي قال: بأن سبتة ومليلية مدينتان
مغربيتان وسكانها مغاربة، الشيء الذي أثار ضجة في الأوساط الحكومية الإسبانية.

asa: Pasarán cosas inesperadas.
mo estos son escasos en nuestras vidas y no podéis dejarlo pasar sin haberlo vivido inten-
Amaros, Ilusionaros, emocionaros, divertirlos, disfrutarlo y ser felices por siempre jamás.
jes, Serafín y Eva

Hace 25 años

Ignacio Velázquez, presidente de la Ciudad, pensaba remitir al Ministerio de Asuntos Exteriores el escrito que el ministro del gabinete real de Hassan II, había enviado al editor de MELLILLA HOY, Enrique Bohórquez, y que había sido reproducido íntegramente en el Diario. Para Velázquez, resultaba muy grave que un ministro de Marruecos se dirigiera al rotativo mellillense para decir que los españoles mellillenses de religión musulmana, en realidad, eran marroquíes "orgullosos de su marroquinidad", "como si fueran, -decía-, una especie de caballo de Troya". Velázquez consideraba que era al mismo nivel, como Mansouri debía obtener "una contes-tación contundente a su atrevimiento" y valoraba el escrito como "una ingerencia más a nuestra soberanía, causada por la debilidad del Gobierno español".



8 de agosto 1995

CEUTA Y MELILLA DESDE LA POSTURA MARROQUI

Carta de Mansouri Ben Ali a Enrique Bohórquez

Las relaciones hispano-marroquíes ante la estrategia del pasado y las perspectivas del futuro

(Viene de pág. 2)

la estabilidad y el bienestar en el Mediterráneo como bien han participado en la construcción de su civilización.

Creo que todos debemos evitar la incitación al caos y a la discordia social y tratar que en nuestras acciones y actos prevalezca siempre la razón y el buen sentido y que nos sirva de ejemplo lo que está sucediendo en numerosas partes del mundo donde las guerras y las luchas fratricidas están al orden del día.

Asimismo debemos felicitar a todos aquellos que, con su aportación, participan en la consolidación de la convivencia armoniosa en las ciudades de Ceuta y Melilla, dejando la solución de su contencioso en las manos de las altas instancias de los estados español y marroquí que son bien capaces de tomar decisiones oportunas y responsables y que preservan los intereses de ambas partes.

En cuanto a la actitud del Sr. Moh Jimmy y a sus declaraciones vicciadas y tendenciosas, me referiré empezando con una citación coránica que en traducción literal sería: "Dios no cambia el estado de una comunidad hasta que sus miembros cambien su propio estado", citación esta que se aplica para incitar a la gente a mejorar su propio estado, para, de este modo, participar en la mejora de su comunidad. Pues creo que lo primero que hay que aconsejar al Sr. Moh Jimmy es que trate de tener un mínimo de honestidad y moralidad si es que estos términos significan algo para él.

En MELILLA HOY del 16 de Julio de 1995 se afirma que este señor **miente a los medios de comunicación** y tergiversa los debates y contenidos de la Comisión Islámica de Melilla (CIM)

Este simple hecho descalifica a este señor para tener un cargo, con lo insignificante que sea, en una organización religiosa ya sea musulmana, cristiana o judía. Pues en las tres religiones la mentira es un pecado capital.

Lo más grave es que dichas mentiras las inventa este señor precisamente para atacar y criticar los preceptos de la religión que presuntamente defiende coordinando sus asociaciones.

En el mismo periódico MELILLA HOY del 16/7/95 se afirma que el dicho Moh Jimmy ha escrito al Ministerio de Justicia e Interior español "solicitando que los crucifijos no se retiraran" (al parecer de algunas dependencias públicas frecuentadas por musulmanes) y esto "por su cuenta y riesgo" y a espaldas de las asociaciones musulmanas que presuntamente coordina.

Una carta en tal sentido escrita por un melillense católico sería comprensible, pero no es presentable que tal carta la escribiera por su cuenta y riesgo el presunto coordinador de la Comisión Islámica de Melilla.

El que quiere asumir una responsabilidad de coordinación entre musulmanes debe poseer, en primer lugar, un conocimiento correcto del Islam y de sus preceptos y no permitirse opinar y emitir juicios sobre algo que ignora totalmente.

Pues D. Moh Jimmy ha criticado y atacado a sus hermanos marroquíes-musulmanes de Ceuta y Melilla por cumplir con un deber que les impone tanto su religión como su historia y origen, y todo

esto para la consecución de sus propios fines personales, olvidándose de que si sus antepasados hubieran actuado de igual manera, no hubieran habido hoy en día musulmanes en Ceuta y Melilla a quien coordinar.

A pesar de la larga colonización, los marroquíes-musulmanes de Ceuta y Melilla han conservado su personalidad marroquí y su religión musulmana y han expresado siempre su vinculación a Marruecos y su lealtad al Jefe de los Creyentes en Marruecos "Amir Almuminin". ¿Cómo se les puede criticar hoy en día por ejercitar este deber y derecho en la época de los derechos humanos, libertad de expresión y libertad de los pueblos?

Si el Sr. Moh Jimmy se hubiera molestado en saber algo de la historia de su país, Marruecos, y de la historia de Ceuta y Melilla y de la firmeza y resistencia heroica de los habitantes del Rif, incluida su propia tribu Beni Boughafer, para defender a su patria y rechazar las agresiones extranjeras, hubiera sentido vergüenza de sí mismo y de sus actitudes.

La historia testifica que no hay una familia en el Rif en la que haya habido, por lo menos, un mártir en defensa de la patria y en la lucha contra la expansión colonialista a lo largo de los tiempos.

Sin ir más lejos en la historia heroica del Rif, mencionemos las luchas heroicas de Cherif Mohamed Amezián, Abdelkrim El Khattabi y S.M. Mohamed V como ejemplos de la resistencia del Rif al expansionismo colonialista. ¿Cree acaso el Sr. Moh Jimmy que los descendientes de estos dos héroes cederán un palmo de su tierra o que pueda influenciarlos y conducirlos a donde él quiera para lograr sus bajos intereses personales?

¿Cómo afrontará el Sr. Moh Jimmy esta historia heroica de su región y a su familia que ha participado, sin duda, en escribirla con la sangre de los suyos?

Nosotros queremos, sin lugar a ninguna duda y de forma sincera, construir relaciones sólidas con el pueblo español. Pero queremos que estas relaciones estén basadas sobre la realidad y la buena vecindad y el respeto mutuo.

Estas relaciones tendrán la credibilidad necesaria sólo si las personas que intervienen en **tejerías**, tanto de la parte marroquí como de la parte española, tienen un conocimiento profundo de las realidades históricas, de las connotaciones del presente y de las perspectivas futuras.

En cuanto a los oportunistas que pretenden meterse en lo que yo denomino "**la batalla de tejer las relaciones hispano-marroquíes**" pues dañan siempre a estas relaciones de manera consciente o inconsciente.

En este sentido tenemos que reflexionar y darnos cuenta de que estas relaciones, aunque comportan elementos de solidez y fuerza, tienen que superar algunas susceptibilidades y puntos de fricción creados o fomentados por nostálgicos del pasado de ambos lados.

Por nuestra parte, el problema de Ceuta y Melilla es una causa de todos los marroquíes y que está en la mano sabia del guardián de la nación marroquí y garante de su integridad territorial, Su Majestad el Rey Hassan II y ningún oportunista puede ni debe pretender relación alguna con este importante asunto.

Datos biográficos de Mansouri Ben Ali

Mansouri Ben Ali es oriundo de la provincia de Nador, ha cursado sus estudios en el instituto de Melilla completando su bachillerato en Tetuán y sus estudios universitarios en Francia.

Ha sido presidente del consejo provincial de Nador y parlamentario durante 15 años, Ministro de Turismo, Ministro de Asuntos Administrativos y Ministro de Transportes dos veces. Ac-

tualmente tiene cargo de Ministro en el Gabinete Real del rey Hassan II desde hace 10 años. Es también presidente fundador de la Asociación Sociocultural de la Cuenca del Mediterráneo. Ha sido recibido varias veces por Su Majestad el rey Juan Carlos y por el presidente del Gobierno español. Ha sido condecorado por S.M. el Rey Juan Carlos I con la medalla "Al mérito civil" con categoría de comendador.

Mansouri Ben Ali, ministro alaudita de Asuntos Administrativos

«EL PROBLEMA DE CEUTA Y MELILLA SE ARREGLARA EN FAMILIA»

● «Veinte millones de marroquíes están dispuestos a morir por el Sáhara»

MADRID. (Efe).—«Veinte millones de marroquíes están dispuestos a morir por defender el Sáhara, un territorio que siempre ha pertenecido a Marruecos y que seguirá perteneciendo pese a la oposición de Bumedian», declaró a Efe el ministro marroquí de Asuntos Administrativos, Mansouri Ben Ali.

El ministro marroquí ha asistido con carácter privado a la Primera Semana de Marruecos en Andalucía, organizada por la Asociación de Cooperación España-Marruecos, celebrada en Cádiz.

Mansouri Ben Ali manifestó que la opinión pública mundial sabe que el Sáhara pertenece a Marruecos, «como en Marruecos se sabe que nuestro país ha sido el único que ha defendido con firmeza los intereses de España ante la organización de la OUA».

En sus declaraciones a Efe, Mansouri Ben Ali señala respecto a la tensión del eje Rabat-Argel que «todo el problema se centra en la persona de Bumedian y que no existe en forma alguna enemistad entre el pueblo marroquí y el pueblo argelino. Los argelinos saben muy bien que antes de que apareciera en escena Bumedian, estaban en nuestro pueblo y la comunicación entre ambos países era la propia de los pueblos hermanos».

«Bumedian ha vivido —añade Mansouri Ben Ali— con la ayuda marroquí hasta que configuró un liderazgo imposible de llevar a cabo y que está costando muchos disgustos. Su comportamiento es extraño y este año el pueblo argelino no ha podido

celebrar la fiesta del 1 de noviembre».

«El Polisario no es nada»

Preguntado sobre la actividad del Polisario en el desierto sahariano, el ministro contestó que el Polisario «no es nada; el Polisario es Argelia, ya que 50.000 saharauis de los 70.000 que habitaban el desierto viven ahora con Marruecos en su territorio. Otros permanecen en la zona de Tinduf, confinados en campamentos y sin poder abandonarlos bajo la vigilancia argelina».

Sobre las relaciones España-Marruecos, el ministro alaudita se muestra muy optimista, especialmente en el intercambio comercial.

«No podemos ignorar que tres millones de marroquíes hablan el español, se sienten en cierto modo españoles y viven su cultura en Tetuán, Tánger, Alhucemas y Nador. Sería muy triste que España perdiera este sentimiento de amistad entre ambos pueblos.» «En este sentido —añade—, un grupo de cien industriales españoles residentes en Tánger y otros tantos residentes en España van a iniciar contactos comerciales y culturales a través de esta Asociación de Cooperación España-Marruecos.»

«El problema de Ceuta y Melilla se arreglará en familia»

Sobre el acuerdo pesquero entre España-Marruecos, relativo al banco canario-sahariano, Mansouri Ben Ali declaró a Efe que no existe problema alguno y que Marruecos está dispuesto a cumplir fielmente el estipulado en dicho tratado. «Hay una ley y unas normas —añade— que hay que respetar por ambas partes.»

El ministro recordó que todos los problemas que han tenido hasta ahora los pescadores españoles han sido en aguas de Mauritania, pero no de Marruecos. La firma de la renovación del acuerdo será llevada al Parlamento marroquí en el próximo mes de diciembre.

«España aún tiene mucho que hacer en Marruecos, tanto en el aspecto cultural como en el económico, porque nuestras gentes del norte quieren mucho a España. Es natural que Ceuta y Melilla sean marroquíes, pero éste es un problema que se arreglará en familia. Marruecos nunca ha pedido nada que no sea suyo.» «Ceuta y Melilla —añade Ben Ali— están costando mucho dinero a España. Además, todo el agua y la comida les llega de nuestro país, por lo que sería muy fácil cortar el suministro para que la población tuviera que marcharse. Pero, como señalo anteriormente, este asunto se tratará en familia y todo se arreglará bien para nuestros países.»

تصريح المنصوري حول سبتة واملييلية وأن قضية المدنيين ستكون بطريقة سليمة راعية
للصداقة المغربية-الإسبانية

L'aéroport Mohammed V et l'aéroport de Paris jumelés



M. Mansouri Benali, ministre des Transports, a présidé samedi en fin d'après-midi la cérémonie de jumelage entre l'aéroport Mohammed-V et les aéroports de Paris.
Cette cérémonie de jume-

lage, qui s'est déroulée en présence du président de l'organisme général « Aéroport de Paris », M. Raoul Moreau, du directeur de l'Office des Aéroports, M. El Biaz et du président-directeur général de la

Compagnie nationale «Royal Air Maroc», le général Driss Ben Omar Alami, va renforcer les relations entre le Maroc et la France dans le domaine aéronautique.

(SUITE EN PAGE 2)

توأمة مطار محمد الخامس مع مطار أوربي كوزير للنقل

Une grande cérémonie a scellé un acte fraternel Le jumelage des aéroports de Jeddah et Mohammed V est entouré de la Haute sollicitude de LL MM Hassan II et Fahd a déclaré M. Mansouri Benali en présidant la manifestation



La cérémonie de jumelage des aéroports a S.M. Abdelaziz a de Jeddah et Mohammed V de Casablanca s'est déroulée hier en fin d'après-midi en présence de nombreuses personnalités.

M. Mansouri Benali, ministre des Transports qui présidait cette manifestation a prononcé un discours dans lequel il a souligné l'importance de ce jumelage.

Ce jumelage, a dit M. Benali, est entouré de la haute sollicitude de LLMM Hassan II et Fahd d'Arabie Saoudite.

Le ministre des Transports a par ailleurs indiqué que le nom attribué aux deux aéroports de Jeddah et de Casablanca est un hommage rendu aux deux grands et illustres souverains que sont S.M. Abdelaziz, d'Arabie Saoudite et S.M. Mohammed-V du Maroc.

M. Mansouri Benali a souligné également le fait que cette cérémonie de jumelage est le signe que le pont entre les deux pays pélo du monde arabe : le Maroc et l'Arabie Saoudite s'est raffermi encore plus.

Cet acte de jumelage fraternel vient renforcer par ailleurs les relations en-

tre les deux aéroports a ajouté M. Mansouri Benali.

M. Zoubir Sindi, directeur de l'aéroport « Roi Abdelaziz », a pour sa part rendu hommage à la commission mixte maroco-saoudienne et notamment aux ambassadeurs du Maroc en Arabie Saoudite et d'Ar-

bie Saoudite à Rabat qui ont joué un rôle important dans le cadre de cette manifestation fraternelle de jumelage.

Le directeur de l'Office des aéroports de Casablanca, M. Ahmed Biaz a également mis en évidence l'importance que revêt le jumelage des aéroports Mohammed V et de Jeddah qui ne fait que rendre encore plus palpable la coopération étroite qui régit les relations entre les deux pays frères.

M. Biaz a rappelé l'importance des deux aéroports de Casablanca et de Jeddah et le rôle qu'ils jouent dans l'économie des deux Royaumes.

Les directeurs des aéroports jumelés ont signé par la suite l'acte qui fait entrer ces deux institutions dans une ère nouvelle de coopération et de collaboration intensives.

Outre M. Mansouri Be-

nal et les directeurs des deux aéroports de Jeddah et de Casablanca, étaient également présents à cette cérémonie, MM. Noujmi, secrétaire général du ministère des Transports ; Mohamed Mékour, directeur de l'air.

Ahmed Hammoud, secrétaire général du ministère d'Etat chargé des Affaires étrangères ; Ali Kabbani, ambassadeur d'Arabie Saoudite à Rabat ; Zine El Abidine Abou, ambassadeur du Maroc en Arabie Saoudite ; l'ambassadeur du Soudan à Rabat ; Bel-yout Bouchentouf, président de la Communauté urbaine de Casablanca ; Abdelkader Berbeche, adjoint du Wali du Grand Casablanca ; le Colonel Fouad Benkirane, commandant de la Place d'armes ; le représentant de l'OLP ; Mohamed Oukacha, ainsi que de nombreuses autres personnalités civiles et militaires.

B. SITOU

توأمة مطار محمد الخامس مع مطار جدة كوزير النقل

el Correo de Andalucía

SEVILLA, domingo 5 de noviembre de 1978. Precio: 25 pesetas



El ministro de Asuntos Administrativos de Marruecos, Mansour Benali, firmando el documento. (Foto: Riera).

Con la llegada ayer del ministro de Asuntos Administrativos del Reino de Marruecos, Mansour Benali, a nuestra ciudad, procedente de Algeciras donde había desembarcado, juntos con otras personalidades de Marruecos.

Hoy, clausura de la Semana de España-Marruecos

A las 20 horas inauguró los locales de la Asociación España - Marruecos. Por la tarde a las 21 hora fuimos invitado por el ministro a una cena de gala en un céntrico restaurante del Puerto de Santa María donde acudió el presidente de la Diputación, comandante de Marina, alcalde de Cádiz, y otras personalidades.

Tendríamos que decir a título personal que fue un rotundo éxito, acudieron unos cuatrocientos cincuenta invitados, que después de saborear la maravillosa

cocina marroquí, pudieron admirar los bailes de distintos grupos de bailarines.

Para hoy está prevista la visita de las autoridades marroquíes a las instalaciones de Rumasa de Jerez y al museo de relojes, asistiendo a una comida ofrecida por la Junta del Puerto.

Por la tarde para clausura la semana asistirán a una mesa redonda sobre el plan de desarrollo marroquí y serán finalmente agasajados con una cena.



Cena de gala ofrecida a las personalidades marroquíes que se encuentran en Cádiz. El segundo a la derecha es el ministro de Asuntos Administrativos y a su lado el presidente de la Diputación. Foto: Riera.

حضور أسبوع ثقافي مغربي-إسباني كوزير للشؤون الإدارية 1978

CREATION D'UNE SOCIETE HOTELIERE MIXTE MAROCO-ESPAGNOLE POUR LA CONSTRUCTION D'UN COMPLEXE TOURISTIQUE

QUI AURA UNE CAPACITE DE 10.000 LITS

MADRID, 18 mai (M.A.P.). — Poursuivant son séjour officiel en Espagne, M. Mansouri Ben Ali, ministre du Tourisme, a été reçu mercredi par le Roi Juan Carlos.

Au cours de l'audience qui lui a été accordée par le Souverain espagnol, M. Mansouri Ben Ali a remis un message de S.M. Hassan II. Le Souverain espagnol a, au cours de cette audience, mis en relief les relations hispano-marocaines qu'il a qualifiées de très bonnes et a chargé le ministre du Tourisme de transmettre à Sa Majesté Hassan II ses expressions d'amitié et ses meilleurs vœux, souhaitant bonheur et prospérité au peuple marocain.

L'audience s'est déroulée en présence de M. Garcia Diez, ministre du Commerce et du Tourisme et de M. Mohamed Bouetta, chargé d'Affaires à l'ambassade du Maroc à Madrid.

Par ailleurs, au cours de la séance de travail tenue mercredi et qui a réuni la commission mixte hispano-marocaine, les deux parties ont convenu de créer une société hôtelière mixte qui serait chargée de construire des complexes touristiques d'une capacité de 10.000 lits, par étapes successives.

D'autre part, le ministre du Tourisme, M. Mansouri Ben Ali a offert dans la soirée un dîner en l'honneur de son homologue, M. Garcia Diez.

Ont assisté à la cérémonie, MM. Ignacio Aguirra, secrétaire d'Etat au Tourisme, Sanchez Teran, ministre des Transports et des Communications, Lavarez De Miranda, président du Parlement des dirigeants de partis politiques et des anciens ministres dont MM. Fraga Iribarne, secrétaire général du parti de l'Alliance Populaire et Solis, ancien ministre du Mouvement, le chargé d'Affaires de l'ambassade du Maroc à Madrid, ainsi que des membres de missions diplomatiques accréditées dans la capitale espagnole, notamment les ambassadeurs de Mauritanie, de Tunisie, d'Arabie saoudite, d'Irak et d'autres pays.

Le dîner a été agrémenté d'attractions par une troupe folklorique marocaine.

A l'issue du dîner, M. Mansouri Ben Ali a parlé des excellentes relations unissant les deux pays voisins et a rappelé la phrase suivante prononcée par Sa Majesté Hassan II : « L'Espagne et le Maroc sont condamnés à s'entendre ».

Le ministre devait indiquer que les deux peuples du Maroc et de l'Espagne vivent actuellement une importante étape de leur histoire caractérisée par l'instauration de la démocratie dans le cadre des monarchies parlementaires.

De son côté, M. Garcia Diez, ministre du Commerce et du Tourisme, a prononcé une allocution dans laquelle il a souligné que le détroit de Gibraltar rapproche les deux pays et ne les sépare pas.

Le ministre espagnol devait affirmer qu'à un moment où l'Europe toute entière était encore plongée dans l'obscurantisme, l'Andalousie et en particulier la ville de Cordoue étaient une source de rayonnement, de lumière et de civilisation, indiquant que le Maroc et l'Espagne demeurent les gardiens historiques d'un passage maritime de grande importance internationale. Il devait conclure que les contacts entre les deux pays sont appelés à se développer pour consolider les relations bilatérales.

عقد اتفاقية إنشاء شركة إسبانية/مغربية
تتعلق بالفنادق وتكوين الأتر في المجال
السياحي، وهو مما أنجزته كوزير للسياحة.

المصادقة على تأسيس مؤسسة عبد الكريم الخطابي في المجلس الوزاري
المنعقد يوم الخميس 9 ماي 1996 بالرباط

LE MATIN
du Sahara et du Maghreb

JEUDI 9 MAI 1996

NAT

Approbation de plusieurs projets de décrets en Conseil des ministres

Le Conseil des ministres que S.M. le Roi a présidé samedi dernier a approuvé, comme l'a annoncé un communiqué du ministère de la Communication, plusieurs textes dont le projet de Loi des Finances, des décrets se rapportant à cette loi, ainsi que les projets de décrets suivants :

- 1- Projet de décret conférant la qualité d'utilité publique à l'Association fondée par les fils de feu Mohamed Ben Abdelkrim Al-Khattabi et portant le nom de «Fondation Mohamed Ben Abdelkrim Al-Khattabi».
- 2- Projet de décret n°2-96-

107 fixant le tarif des droits de Douane applicable à certains produits.

3- Projet de décret n°48-95-835 portant application de la loi n°48-95 relative à la création de l'institut national des recherches halieutiques et océanographiques.

4- Projet de décret n°2-95-836 instituant une taxe parafiscale au profit de l'Institut national des recherches halieutiques et océanographiques appelée taxe d'exploration halieutique.

5- Projet de décret n°2-95-837 modifiant et complétant le décret n°2-94-931 du 18 Chaabane 1415 (20 janvier 1995) portant création au

profit de l'Office national des pêches d'une taxe parafiscale appelée taxe sur l'affrètement des bateaux pour la pêche en haute mer.

6- Projet de décret n°2-95-838 fixant la composition des structures d'administration et de gestion de l'Office National des pêches.

7- Projet de décret n°2-96-127 autorisant la rémunération des services rendus pour l'encadrement des pèlerins par le ministère des Habous et des Affaires islamiques (division du pèlerinage et des relations islamiques).

8- Projet de décret n° 2-96-305 portant application

de la loi n°12-94 relative à l'Office national interprofessionnel des Céréales et légumineuses et à l'organisation du marché des céréales et des légumineuses.

9- Projet de décret n°2-96-318 fixant le niveau minimum des traitements versés par la Caisse Nationale de sécurité sociale.

10- Projet de décret n°2-96-319 modifiant le décret n°2-72-541, en date du 23 Doui Kaada 1392 correspondant au 30 décembre 1972, relatif aux indemnités versées par la Caisse nationale de sécurité sociale.

(MAP)

برقية الشكر من طرف إياد عبد الكريم الخطابي
إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

Message de gratitude à S.M. le Roi de MM. Abdelmohcine et Saïd El Khattabi, fils de feu Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi

Le Cabinet Royal a reçu un message de gratitude adressé à S.M. le Roi Hassan II par MM. Abdelmohcine et Saïd El Khattabi, fils de feu Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi, et ce à l'occasion de la création de l'«Institution Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi».

Les fils du combattant Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi, indique le message, ont l'insigne honneur d'exprimer leur profonde gratitude à S.M. le Roi Hassan II pour avoir bien voulu donner son accord pour la création de l'«Institution Mohamed Ben Abdelkrim El Khattabi» et pour la Haute sollicitude Royale dont est entouré leur famille.

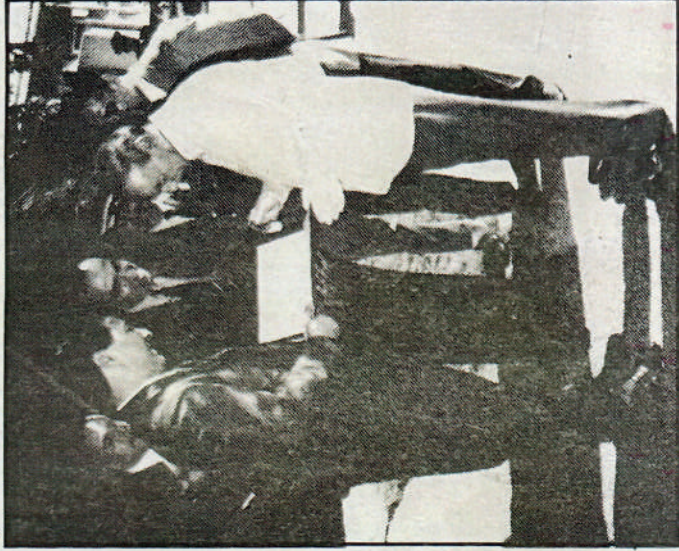
Ils saisissent aussi cette occasion, ajoute le message, pour réaffirmer au Souverain leur volonté de faire de cette institution une cellule dynamique de recherches, d'études et de vulgarisation de la personnalité marocaine, de mettre en exergue les apports excellents de cette dernière empreints de modération et d'attachement aux préceptes de l'Islam et de jeter la lumière sur les actions entreprises par les sujets de cette Nation au service du raffermissement de la paix et du bien-être de l'Humanité.

MM. Abdelmohcine et Saïd El Khattabi souhaitent vivement, indique le message, que cette jeune institution, de par ses ambitions, soit à la hauteur de la confiance placée en elle par S.M. le Roi Hassan II.

Ils implorent Dieu le Très Haut d'assister le Souverain pour la réalisation des aspirations du peuple marocain et de la Nation islamique à la grandeur et de combler Sa Majesté le Roi en la personne de S.A.R le Prince Héritier Sidi Mohammed et de tous les membres de l'illustre Famille Royale, conclut le message.

(MAP)

S.M. Hassan II reçoit M. Mustapha Mansouri qui a présenté à S.M. le Roi sa thèse de doctorat d'Etat dirigée par M. Habib Malki et soutenue à la Faculté de Droit de Rabat



Sa Majesté le Roi Hassan II, a reçu M. Mustapha Mansouri, professeur à l'ENAP, qui a présenté à Sa Majesté, une thèse de doctorat d'Etat es-sciences économiques traitant des problèmes du coût et du financement de l'enseignement au Maroc.

Ce travail était dirigé par le professeur Habib El Malki qui en a exposé les grandes lignes à Sa Majesté et mis en relief la valeur scientifique et l'apport original de cette thèse.

Le sujet traité constitue le prolongement des travaux effectués antérieurement par l'auteur et pour lesquels il a obtenu le titre de docteur de troisième cycle à l'Université Panthéon Sorbonne en 1981, avec la mention très bien.

Le travail présenté à Sa Majesté le Roi a fait l'objet d'une soutenance à la Faculté de Droit de Rabat devant un jury de composition internationale et pour lequel l'auteur a obtenu le titre de docteur d'Etat avec la plus haute distinction ; à savoir la mention très bien avec félicitations du jury.

(IMAF)

• **S.M. Hassan II consultant la thèse d'Etat de M.
Mustapha Mansouri**

(Ph. LINH)

استقبال الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه للسيد مصطفى المنصوري
الذي قدم بالمناسبة لصاحب الجلالة رسالة دكتوراه بحضور المشرف عليها
السيد الحبيب المالكي وبحضور كذلك السيد المنصوري بنعلي.

اللقاء الطبي الثقافي المغربي الإسباني الرابع بالدار البيضاء

الاوروبيين منالقيام بدوره على الضفة الجنوبية من حوض البحر الابيض المتوسط والتمك في حدوده والتصدي لكل الافات التي تهدد الامن والاستقرار وتقف عقبة امام كل تخطيط او تنمية.

ونوه السيد بنعلي المنصوري بمجهودات الجمعية الثقافية المغربية الإسبانية المتواصلة وبتنشاط اعضائها الاسبان والمغاربة معتبرا ذلك امالا حيا وقوة حسنة في سبل الارتفاع بمستوى العلاقات المغربية الإسبانية وتحسين تشارك وتفاعل لخدمة المصلحة العليا للبلدين وتجاوز كل الحساسيات وسلبات الماضي والنظ الى المستقبل بعقلية جديدة ملؤها التفاني في خدمة السلام والمصلحة المشتركة وحقوق الانسان.

وفي ختام الملتقى تم توشيح عدد من الاساتذة والاطباء الاسبانيين بأوسمة ملكية ويتعلق الامر بالاساتذة:

البروفيسور ج. بيدرو لاريس الجامعة الملكية للطب والجراحة بفرنطة والبروفيسور مانويل ابييان بهريث رئيس هيئة الاطباء بفرنطة والبروفيسور. كامبوس قيديم كلية الطب ورئيس جمعية عمداء كليات الطب باسبانيا والبروفيسور سولي بسيلس رئيس مؤسسة بويجبرت الطبية ببرشلونة والبروفيسور ميكل كويرا والرئيس الشرفي للاكاديمية الملكية للطب بفرنطة والروفيسور كابريل كالدو استاذ جامعي رئيس جمعية قداماء طلبة الطب بفرنطة والبروفيسور مرياس استاذ جامعي في القانون وعميد جامعة غرناطة.

السياسية الملائمة التي تساعد مثل هذه الجهود الثقافية والعلمية على الوصول الى اهدافها البعيدة. وذكر في هذا السياق بالزيارة التي قام بها مؤخرا صاحب السمو الملكي ولي العهد الامير سيدي محمد لاسبانيا معتبرا انها تلبأ على التقارب المغربي والاسباني. وقال ان المغاربة يشعرون بانجذاب قوي نحو الاسبان ويعبرون في كل مناسبة عن هذا الميل الطبيعي نحو جيرانهم فقد تابعوا باهتمام كبير اول زيارة يقوم بها الوزير الاول الاسباني للامم المتحدة وايضا بكل تلقائية مطالبة المشروعية لاسترجاع جبل طارق للسيادة الاسبانية.

واستخلص في السياق نفسه انه حين يلقى المغاربة مع اسبانيا في حقها في استعادة جزء منارضيتها فانهم يهدفون بذلك الى احلال سلام دائم حقيقي على ضفتي المضيق وحين يطلبون من جيرانهم وشركائهم الطبيعيين الاسبان تفهم حق المغرب في سبته وملكيته فانما يريدون بذلك ان يسهو الاستقرار وترسخ علاقات التعاون ويتمكن المغرب بمساعدة جيرانه

القيم مؤخرا بالدار البيضاء اللقاء الطبي والعلمي والثقافي المغربي الاسباني الرابع بمبادرة من الجمعية الثقافية المغربية الاسبانية التي يرأسها عبد السلام البقالي.

ولد ابنز السيد بنعلي المنصوري في التناح هذه الظاهرة العلمية والثقافية المنظمة تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني جهود العلماء والمفكرين التي لا تزال وسيلة سياسة في احلال التفاهم والتقارب بين المجتمعات مضيها قوله ان هذه اللقاءات تصب في هذا المنحى وتعمل على ترسيخ التقارب بين المغرب واسبانيا خاصة من خلال اختيار موضوع الايجابية في العلاقات المغربية الاسبانية. واعتبر من جهة اخرى ان هذه البادرة العلمية تجسد لمطامح الشعبين الجارين المغربي والاسباني لخلق تقارب وتعاون مثاليين تكلم المطامح التي يسهر على تحقيقها عاهلا للبلدين جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة الملك كتيوان كارلوس ويعملان على توفير الاجواء

الأخبار 31 ماي 1997

توسيم مجموعة الأطباء الاسبان بأوسمة ملكية بمناسبة انعقاد مؤتمر طبي

“La positivité dans les relations entre le Maroc et l’Espagne”

Thème du quatrième congrès médical, scientifique et culturel organisé à Casablanca par l’Association Culturelle Maroco-Espagnole

Sous le Haut Patronage de S.M. le Roi, l’Association Culturelle Maroco-Espagnole a organisé, dernièrement à Casablanca, son quatrième congrès médical, scientifique et culturel.

A l’occasion de la clôture de cette rencontre, S.M. le Roi a offert un dîner en l’honneur des congressistes avec la participation de M. Ben Ali Mansouri qui a eu l’insigne privilège de décorer certaines personnalités du monde scientifique et médical de diverses distinctions que S.M. le Roi leur a décernées en récompense de leurs mérites personnels et de leurs efforts pour la consolidation des rapports d’amitié et du bon voisinage entre l’Espagne et le Maroc.

Il est à noter, par ailleurs, que la séance d’ouverture a été marquée par plusieurs interventions dont celle de M. Ben Ali Mansouri qui a mis en relief le rôle militant des intellectuels dans le règne de la paix entre les peuples et le respect des Droits de l’Homme.

Il a, en outre, souligné que les penseurs et les érudits espagnols et marocains en particulier ne cessent de militer pour le rapprochement entre le Maroc et l’Espagne et pour le règlement pacifique de la question des villes marocaines, Sebta et Méllilla.

En effet, tant que le Maroc demeure amputé d’une partie de ses frontières, il ne pourra ni jouer convenablement le rôle qui lui revient sur la rive Sud de la Méditerranée, ni concevoir un plan efficace de développement économique et social des provinces du Nord.

Seule la maîtrise par le Maroc de la plénitude de ses frontières permettra de créer la synergie nécessaire et le climat propice à la sécurité et au développement des provinces de la région du Nord.

Dans son intervention, M. Mansouri a rappelé que, de tout temps, les intellectuels n’ont cessé de déployer des efforts inlassables pour instaurer et véhiculer un mouvement de compréhension et de rapprochement entre les peuples et les communautés pour que règnent la paix et la tolérance.

La rencontre d’aujourd’hui et celles qui l’ont précédé, à n’en point douter, versent, a-t-il dit, dans la même voie et œuvrent pour l’approfondissement des relations entre le Maroc et l’Espagne.

En choisissant le thème : “La positivité dans les relations entre le Maroc et l’Espagne”, ce congrès donne la preuve de la détermination de mettre la recherche scientifique au service de la consolidation des liens séculaires entre le Maroc et l’Espagne, a-t-il ajouté.

A l’occasion de la dernière visite que S.A.R. le Prince Héritier Sidi Mohammed a effectuée en Espagne, il a été en effet relevé avec une réelle satisfaction que l’accueil réservé au Prince Héritier revêtait un caractère chaleureux et que tous les signes de rapprochement et d’amitié qui se sont manifestés durant cette visite, démontrent clairement que de nouvelles dispositions sont en train d’être mises en œuvre pour une réelle coopération fondée sur une meilleure compréhension de nos intérêts réciproques et une volonté évidente

de les concrétiser d’une manière significative au profit des deux peuples marocain et espagnol, a-t-il dit.

M. Mansouri n’a pas manqué de dire que pour dépasser les sensibilités et le négativisme du passé et que pour appréhender l’avenir avec sérénité et une mentalité nouvelle tournée vers l’apologie de la paix, le souci de l’intérêt commun et le respect des Droits de l’Homme, il n’y a pas en effet de meilleur cadre possible d’émulation que celui qui pourrait s’offrir dans la société civile pour développer des relations humaines saines et porteuses d’espoir et de bien-être.

Voici la liste des personnes ayant obtenu les décorations décernées par S.M. le Roi Hassan II :

— Pr G. Piedrola : président de l’Université Royale de la Médecine et la Chirurgie de Grenade.

— Pr Manuel Abillan Perez : président du Conseil médical de Grenade.

— Pr A. Campos : doyen de la Faculté de Médecine et président de l’Association des Doyens des facultés de Médecine d’Espagne.

— Pr Sole Bacels : président de l’Institut Médical de Barcelone.

— Pr Jose Vicente : directeur scientifique de l’Académie Royale de Médecine de Grenade.

— Pr Miguel Guirao : président honoraire de l’Académie Royale de Médecine de Grenade.

— Pr Gabriel Galdo : professeur universitaire et président de l’Association des anciens étudiants de la faculté de Médecine de Grenade.

— Pr. Morillas : professeur de Droit et recteur de l’Université de Grenade.

ALMAGHRIB 30 MAI 1997

المؤتمر الطبي الرابع للجمعية الثقافية المغربية الإسبانية

الأخ المنصوري بن علي ينهي زيارته لرومانيا

الروماني واتفق الطرفان على تعزيز هذه العلاقات باقامة عروض في كلا البلدين والاحتفال بالاعياد الوطنية بهدف التقارب بين الشعبين كما وافق الجانبان على خلق جمعية الصداقة المغربية الرومانية

وكان رئيس المجلس الوطني للجبهة الديمقراطية والوحدة الاشتراكية قد اقام مأدبة عشاء تكريما للسيد الوزير وبهذه المناسبة ارتجل الجنرال بوركا كلمة اكد فيها الصداقة المتينة التي تربط بين الشعبين المغربي والروماني ، واشاد الاخ المنصوري بن علي بالمستوى الممتاز للعلاقات المغربية الرومانية التي تعكس رغبة البلدين في تعزيز التعاون بينهما ووضح ان الفصل في كل ذلك يرجع الى الصداقة المتينة بين جلالة الملك والرئيس نيكولا تشاوسيسكو

وكانت هذه الزيارة فرصة عبر فيها الجانبان عن رغبتهما في تبادل الخبرات الدورية وتنظيم ندوات مشتركة تجربة البلدين في ميدان تكوين الاطر العليا



واستقبل الاخ المنصوري بنعلي ايضا من طرف رئيس المعهد الروماني للعلاقات الثقافية مع الخارج ودار النقاش حول ربط العلاقات الثقافية بين الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الابيض المتوسط والمعهد

عاد الاخ المنصوري بن علي الى المغرب بعد زيارته لرومانيا بعد ان اجري اتصالاته ومحادثاته المكثفة مع المسؤولين الرومانيين في بوخارست واستقبل من طرف الرئيس الروماني

وقد عقد جلسة عمل مع نائب رئيس اللجنة الخاصة لمشاكل المجالس الشعبية المكلفة بالشؤون الادارية

وقد دارت المحادثات بين الجانبين حول تقوية العلاقات الثنائية وتعزيز التعاون بين

البلدين وقد عرض السيد الوزير بهذه المناسبة التجربة الحية قراطية بالمغرب والتي

تتمثل في الجماعة التي تعتبر الخلية الاولى في المجالس الاقليمية وياقي المؤسسات

الديمقراطية وبعد ذلك قام السيد الوزير والوفد المرافق له بزيارة لمعهد تكوين وتدريب اطر التشيدين العليا برومانيا

الأخ المنصوري - بنعلي خلال توزيع الغلاف المائي للمنطقة الشرقية إقليم الناظور يمكن أن يلعب بامكاناته دوراً هاماً في التنمية الاقتصادية للبلاد

الحديد التي يتوفر عليها يمكن
ان يقوم بدور فعال ، في التنمية
الاقتصادية ببلادنا ، فضلا عن
تنشيط الحركة الاقتصادية في
الاقليم المجاورة ...

وانطلاقا من هذه المعطيات
صدرت تعليمات صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني نصره الله
بانشاء معمل الصلب و الحديد
بالناظور ، ولكن تأخير اتجا
هذا المعمل كان له تأثير سلبي
على مشاريع التنمية بالاقليم
فقد ارتبط تحقيق كل مشروع في
أذهان المسؤولين بانجاز معمل
الصلب والحديد .

لهيئة من 3



حضرات السادة

ان اقليم الناظور بموقعه
الجغرافي ، ومينائه ومناجم

بسم الله الرحمن الرحيم

اصحاب المعالي

اصحاب السعادة

حضرات السادة

● يسعدني ان اتناول الكلام
في هذا الاجتماع المبارك الذي
يدخل في اطار تحقيق رغبة قائد
البلاد جلالة الملك الحسن الثاني
نصره الله في الحوار والتشاور
ان القرار الذي يوضع
الاعتمادات المخصصة للتجهيزات
ذات الصيغة الاقليمية والمحلية
والتي تفوق 100 مليار سنتيم
رهن اشارة الجماعات المحلية
تجربة اخرى في مسيرتنا
الديمقراطية / ستمكن الجماعات
من القيام بدورها في التخطيط
والتنفيذ تحقيقا لحاجات السكان
ورغباتهم

الأخ المنصوري ينعلي خلال توزيع الغلاف المائي للمنطقة الشرقية

كما ان مدينة الناظور لا تتوفر على منطقة صناعية على الرغم من استعداد السكان للمساهمة الفعالة في التصنيع والتنمية الاقتصادية للبلاد بخاصة في ظروف التهيئة التي تعيشها بلادنا في الوقت الراهن وفي نطاق صرف حصة اقليم الناظور من المائة مليار يجب اعطاء الاسبقية الى وضع تصاميم مديرية لمن الاقليم وخاصة مدينة الناظور التي تدعو الضرورة الملحة الى وضع تصميم مديري لها ومخطط لاستصلاحها ، وللمشاريع الاجتماعية التي لا يعرف الاقليم شيئا منها وكذا الماء الصالح للشرب والانارة، فنسبة السكان الذين لا يتوفرون على الماء الصالح للشرب والانارة تتراوح ما بين 60 و 70٪ حضرات السادة

ان مشاكل اقليم الناظور متعددة ، ولكن الامل كبير في ان تجد هذه المشاكل الحلول بفضل تضامير جهود الجميع ، ومن هذه المشاكل التي تتطلب الحل العاجل بناء ميناء رأس الماء لتسوية مشاكل صغار الصيادين الذين لا يتوفرون على مرافق لتقريبهم :

وتعبيد الطريق التي تربط بين الناظور وقيابل تسمان سابق ان خصصت لها اعمادات في التصميمين الماضيين ولايفوتني هنا ان اشير الى ان 100 الف عامل من اقليم الناظور يوجدون في الخارج ونظرا للمشاكل التي تواجهه عمالنا يسبب سياسة الدول الاوروبية الرامية الى الاستغناء عن اليد العاملة الخارجية ، فان الضرورة تدعو الى التفتيش في ايجاد مراكز الشغل لعمالنا العائدين وفي النهاية اسجل بكامل الارتياح التفاهم والتعاون القائم بين المنتخبين ورجال السلطة تحقيقا لرغبة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ، ودعوته في مناظرة مراكز الى التعايش بين السلطة والمنتخبين لان هدف المواطنين واحد وهو بناء المغرب الجديد في ظل سلكية دستورية سواء كانوا رجال سلطة او منتخبين

كما يسعني ان اعبر اصالة عن نفسي ونيابة عن سكان اقليم الناظور عن استعدادنا وتعبئتنا الدائمة لحماية وحدتنا الترابية والوقوف في وجه الاطماع الخارجية ، وان اؤكد ان سكان الريف همجندون وراء قائد البلاد لتحرير مدينتي سبتة ومليلية وماتبقى من التراب الوطني تحت النفوذ الجزائري وفقنا الله لخدمة البلاد تحت القيادة الرشيدة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله والسلام عليكم ورحمة الله

تابع ص 2

وهكذا توقفت الطريق الكبرى الرابطة بين جبل العروي والناظور في منتصفها ، وحولت الاعتمادات المخصصة لها الى اقليم آخر وتوقفت العمل في السكة الحديدية التي تربط بين تاوريرت والناظور بعد انجاز نصف المسافة بين الميناء والناظور حيث صرف اكثر من ثلاثة ملايين سنتيم كما توقف استغلال المناجم الريف التي تعيش منه مدينة زغفان التي يبلغ سكانها اكثر من 15000 نسمة ، وتشغل هذه المناجم اكثر من 2000 من العمال المهديين بالطرد والذين لم يتقاضوا اجورهم منذ خمسة اشهر اما الميناء فانه ينتظر بدوره التجهيزات الاساسية الضرورية كما تاخر بناء المطار

وهكذا نرى ان مصير الاقليم ارتبط بمشروع معمل الصلب والحديد الذي تدعو الضرورة الى انجازه نظرا للظروف الاقتصادية وظروف التهيئة الوطنية التي تعيشها بلادنا ، لان بلدا كالمغرب يسير في طريق النمو لابد له من صناعة ثقيلة ، وقد يبدو المشروع قليل المردودية في المراحل الاولى الا انه سيساعد في التخفيف من البطالة ، وخلق مشاريع كثيرة ، ويساهم في تطوير المنطقة

هذا ويجب فصل بقية المشاريع عن مشروع معمل الصلب والحديد ، فالطرق والسكة الحديدية والمطار مشاريع ضرورية لارتبط اساسا بمشروع معمل الصلب والحديد

حضرات السادة ان اقليم الناظور على الرغم من جهود الدولة الجبارة في كل القطاعات لا يزال في حاجة الى جهود اخرى وخاصة في القطاع الاجتماعي والطرق والمستشفيات ، والمدارس والانارة والماء الصالح للشرب . فالكل يعرف ان اقليم الناظور كان قبل 15 سنة خلوا من كل شيء

ويتعرض اقليم الناظور منذ عشر سنوات للجفاف ، وكان عاما 78 و 79 اشد جفافا حيث عرف الاقليم خسارة كبيرة في الماشية ، وكانت جهود وزارة الفلاحة الرامية الى التخفيف من سوء الحال جهودا ضئيلة جدا ، نظرا للاعتمادات القليلة المخصصة لهذه الغاية ، ولهذا اطالب بمد وزارة الفلاحة باعتمادات خاصة لمواجهة الظروف القاسية التي تشمل عدة اقاليم ولاسيما اقاليم الناظور ووجدة وفكيك التي يمكن اعتبارها من الاقاليم النكوبة



تم إنشاء مؤسسة الأخوة للتضامن سنة 2020. هدفها دعم العمل الاجتماعي والثقافي والرياضي في بلدنا، إلى جانب تشجيع البحث الميداني في المجال الثقافي عامة، والتاريخي بشكل خاص. والمؤسسة متفتحة على كل الهيئات الوطنية والكلوية التي لها نفس الأهداف. وقد تم منح حفة المنفعة العامة لمؤسستنا، ونشر النص المتعلق بذلك، في الجريدة الرسمية، عدد 7252 بتاريخ 30 نونبر 2023.

07 دجنبر 2023

الرباط، في

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المملكة المغربية

الأمانة العامة للحكومة

مديرية الجمعيات

عدد.....312

الأمين العام للحكومة

إلى

السيّد رئيس الجمعية المسماة:

"مؤسسة الأخوة للتضامن"

كلم 6.6، شارع محمد السادس، ساحة الحسن الداخل-الرباط.

الموضوع: نشر مرسوم منح صفة المنفعة العامة للجمعية المسماة: "مؤسسة الأخوة للتضامن".

*_*_*

سلام تام بوجود مولانا الإمام،

وبعد، يشرفني أن أنهي إلى علمكم أن المرسوم رقم 2.23.1058

الصادر في 15 من جمادى الأولى 1445 (29 نوفمبر 2023)، الذي بموجبه تم

منح صفة المنفعة العامة للجمعية المسماة: "مؤسسة الأخوة للتضامن"، تم

نشره بالجريدة الرسمية عدد 7252 بتاريخ 30 نوفمبر 2023. وتجدون رفقته

نسخة منه.

وتقبلوا خالص التحيات.

الأمين العام للحكومة

محمد جيجريفا

المملكة المغربية الجريدة الرسمية الطبعة الخاصة

نصوص خاصة

مرسوم رقم 2.23.1058 صادر في 15 من جمادى الأولى 1445 (29 نوفمبر 2023) باعتبار الجمعية المسماة «مؤسسة الأخوة للتضامن» الكائن مقرها بالرباط جمعية ذات منفعة عامة.

رئيس الحكومة،

بناء على الظهير الشريف رقم 1.58.376 الصادر في 3 جمادى الأولى 1378 (15 نوفمبر 1958) بتنظيم حق تأسيس الجمعيات، كما تم تغييره وتتميمه، ولا سيما الفصلين 9 و 10 منه ؛

وعلى المرسوم رقم 2.04.969 الصادر في 28 من ذي القعدة 1425 (10 يناير 2005) لتطبيق الظهير الشريف رقم 1.58.376 السالف الذكر ؛

وبعد الاطلاع على الطلب الذي قدمته الجمعية المسماة «مؤسسة الأخوة للتضامن»، الكائن مقرها بالرباط، ملتزمة فيه اعتبارها جمعية ذات منفعة عامة ؛

وعلى نتائج دراسة الوثائق المدلى بها من لدن الجمعية المذكورة من قبل مصالح الأمانة العامة للحكومة ؛

وبعد استشارة السلطات الحكومية المعنية،

رسم ما يلي :

المادة الأولى

تعتبر الجمعية المسماة «مؤسسة الأخوة للتضامن»، المصرح بها بالرباط جمعية ذات منفعة عامة.

المادة الثانية

يجوز للجمعية المشار إليها في المادة الأولى أعلاه، أن تملك من المنقولات والعقارات ما يلزم لبلوغ أهدافها، على أن لا تتجاوز قيمة ذلك مائة مليون (100.000.000) درهم.

المادة الثالثة

تطبيقاً لأحكام الفصل التاسع من الظهير الشريف رقم 1.58.376 المشار إليه أعلاه، يجوز للجمعية المذكورة أن تقوم مرة كل سنة، دون إذن مسبق، بالتماس الإحسان العمومي شريطة التصريح بذلك للأمين العام للحكومة خمسة عشر يوماً على الأقل قبل تاريخ التظاهرة المزمع القيام بها.

المادة الرابعة

ينشر هذا المرسوم بالجريدة الرسمية.

وحرر بالرباط في 15 من جمادى الأولى 1445 (29 نوفمبر 2023).

الإمضاء : عزيز أخنوش.

أعضاء المكتب

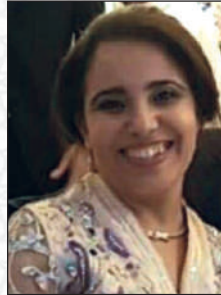
الرئيس المؤسس المنصوري بنعلي



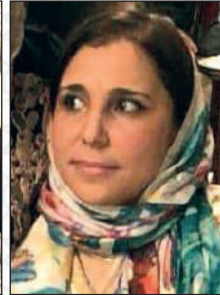
الرئيس المنتدب حكيم المنصوري



عائشة المنصوري



كلثوم المنصوري



جميلة المنصوري



منصور زايدي

الفهرس

- التصدير بقلم..... د. محمد الكتاني13
- التقديم بقلم..... د. محمد احميدة17
- ا- النشأة والمسار الدراسي 23
- أ- نسبي وتاريخ ميلادي 25
- ب- مساري الدراسي 26
- 1 - المرحلة الابتدائية 26
- المدرسة الابتدائية بقرية تيزطوطين ومدرسة جبل العروي 26
- 2 - مرحلة التعليم الثانوي 27
- مدرسة École Polytechnique 27
- 3 - المرحلة الجامعية 32
- المدرسة العليا للتجارة وتسيير المقاولات بمدينة نانت Nantes... 32
- اا- أسرتي 43
- مع والدي الحاج المختار ووالدي الحاجة نجيمة 45
- مع أخي العزيز الجنرال ميمون 62
- مع أخي مصطفى 81
- جانب آخر من محيطي العائلي 91
- الدخول إلى بيت الزوجية 93
- عُرس ابني حكيم 104
- ااا- مغادرة فرنسا والعودة إلى الوطن وبداية مساري المهني 147
- في المكتب الشريف للفوسفاط 149

- 154..... في وزارة التعاون والخدمة المدنية
- 156..... الخطوة الأولى لخوض غمار الانتخابات
- 158..... من الترشح بشكل حرّ إلى الانضمام لحزب الحركة الشعبية
- 163..... **IV- المرحلة الوزارية: إنجازات ومصاعب**
- 165..... في وزارة السياحة
- 190..... في وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري
- في وزارة الوظيفة العمومية والشؤون الإدارية والإصلاح الإداري
- 193..... والخدمة المدنية
- 199..... في وزارة النقل
- 214..... - حول مطار العروي
- 250..... ما بعد وزارة النقل
- 257..... **V- مساهماتي داخل المجتمع المدني**
- 259..... تأسيس جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»
- المؤتمر الأول لجمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»
- 270..... في مدينة الرباط
- 287..... بعض الأعضاء من المؤسسين لجمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»
- 294..... من أنشطة جمعية «حوض البحر الأبيض المتوسط»
- 304..... إحياء ذكرى معركة أنوال
- 322..... محاولة الانعطاف من جمعية إلى حزب سياسي
- 323..... سعبي لإحداث «مؤسسة محمد بن عبد الكريم الخطابي»
- 324..... سعبي لرفع الحيف عن أسرة المجاهد الخطابي
- 331..... جوانب من علاقتي بأبناء المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي
- 343..... **VI- في رحاب الديوان الملكي**
- 345..... هذا الفتى القادم من قرية نائية
- 354..... ملامح لبرنامج يومي للملك الحسن الثاني

381..... مع الملك الحسن الثاني خارج أرض الوطن

383..... في المملكة العربية السعودية

386..... في الولايات المتحدة الأمريكية

396..... في بريطانيا

397..... في البرتغال

399..... في إسبانيا

394..... في إيطاليا

404..... في جمهورية مصر العربية

407..... في فرنسا

411... VIII- حديث عن بعض المهام التي كلفني بها الملك الحسن الثاني...

413..... أ- مهام في الدول العربية والإسلامية

413..... في الجمهورية الجزائرية

417..... في تونس

419..... في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

423..... في جمهورية مصر العربية

423..... في الجمهورية العربية السورية

426..... في دولة الإمارات العربية المتحدة

431..... في جمهورية تركيا

431..... ب- مهام في الدول الإفريقية:

431..... في الغابون

435..... في غينيا الاستوائية

436..... في جمهورية الزاير

437..... في غينيا (كوناكري)

456..... ج- مهام في دول أمريكا الجنوبية

456..... في البرازيل

- 458..... في البرازيل بتكليف من الملك الحسن الثاني
- 463..... في الأرجنتين
- 465..... في المكسيك
- 466..... في البيرو
- 469..... د- في إسبانيا
- 476..... ه- مهمة خاصة في مدينة مليلية
- 485..... IX- مع الملك الحسن الثاني في سياقات مختلفة
- جوانب من شخصية الملك الحسن الثاني، كما انطبعت
- 487..... في وجداني وذاكرتي
- 493..... إشارات إلى بعض الاهتمامات الكبرى للملك الحسن الثاني
- 494..... - في المجال الفلاحي
- 494..... - مسألة التشغيل
- 498..... بعض المواقف والوقائع الخاصة مع جلالته
- 498..... - حكاية النشيد الوطني
- 500..... - أحداث 1984
- 505..... - أزمة داخل حزب الحركة الشعبية
- 510..... - ما جرى لإدريس باموس
- 513..... - التفاتة «حسنية» إلى الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد
- 515..... - حول الطائرة الليبية الغامضة
- 516..... - حول سعيي لخلق جهة الحسيمة/الناضور
- 517..... - حكاية فندق «الريف» بطنجة
- 521..... - سعيي لإنشاء إقامة ملكية في الناضور
- 525..... - سعيي لإنشاء إقامة ملكية في «المضيق»
- 526..... - حول تنظيم الألعاب الرياضية للدول الإسلامية
- 527..... علاقة الملك الحسن الثاني بأهل الفن

قصتي مع الفكاهيين «بزيزا» و «بازا».....530

X- مع الأمراء والأميرات وبعض «الشُّرفا» من العائلة الملكية.....533

XI- خطواتي الأولى في العهد الجديد: مع جلالة الملك

محمد السادس حفظه الله.....559

كيف عشْتُ اللحظات الأولى بعد إعلان وفاة الملك الحسن الثاني؟.....562

رصدي لملاح التغيير القادم داخل المحيط الملكي.....565

الاتصال الهاتفي الأول بيني وبين جلالة الملك محمد السادس.....566

صعوبات البداية.....569

مرافقتي الأولى لجلالة الملك.....575

XII- ملامح من جهود الملك محمد السادس.....591

في سبيل تنمية منطقة الشمال.....593

موضوع الأراضي المسترجعة.....596

عن وضعية المساجد في مدينة مليلية المحتلة.....604

خطوة «هيئة الإنصاف والمصالحة».....609

العناية الملكية باللغة والثقافة الأمازيغيتين.....611

البعد الإفريقي في سياسة الملك محمد السادس.....614

XIII- شخصيات عرفتهم في مساري.....623

السيد المحجوبي أحرضان.....627

الدكتور محمد بنهيمه.....640

السيد أحمد عصمان.....643

الأستاذ المعطي بوعبيد.....649

السيد كريم العمراني.....653

الأستاذ أحمد رضا الكديرة.....654

- 661.....الأستاذ محمد عوّاد
- 665.....الأستاذ أحمد بنسودة
- 668.....الأستاذ عبد الهادي بوطالب
- 672.....الأستاذ إدريس السلاوي
- 674.....الأستاذ محمد بوستة
- 675.....السيد إدريس البصري
- 689.....السيد مولاي مصطفى العلوي
- 696.....السيد عبد اللطيف الجواهري
- 700.....السيد عبد الرحمان بوفتاس
- 705.....السيد محمد أوجار
- 715.....السيد مُحمد العنصر
- 718.....الجنرال أحمد الدليبي
- 723.....الجنرال حسني بنسليمان
- 724.....الجنرال عبد الحق القادري
- 729.....ختاما أقول
- 735.....ملحق يضم بعض الوثائق
- 831.....الفهرس

